

المباحث الدلالية

في شرح نهج البلاغة المطبوعة

(دراسة موازنة)
(دراسة موازنة)

جنان ندهم حميد مجيد



مكتبة الروضة الحيدرية

المكتبة الرقمية

الرسائل الجامعية

اعداد مكتبة الروضة الحيدرية المكتبة الرقمية

السر سائل
حاسة داسا
البحر مجمع
حاسة داسا

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يبيغ مدحهُ القائلون ، ولا يحصي نعماءه العادون ، ولا يؤلّي حقّه المجتهدون ، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين ، سيّدنا محمّد وآله الأخيار المنتجبين ، ومن صحبه بإحسانٍ إلى يوم الدين وبعد : فقد شغل نهج البلاغة منذ ظهوره للناس ، وملاً الدنيا ، فأقبل العلماء من شتى بقاع الأرض عليه بين حافظٍ ، وراوٍ ، و ناسخٍ ، ومحقّقٍ ، ومفهرسٍ ، ومترجمٍ ، وناقضٍ ، ومدافعٍ .

أما الشّراح فقد شحذ الشريف الرضّي بجمعه نهج البلاغة قرائحهم ، وحرك أقلامهم بعد أن سبق إلى التعليق على بعض الخطب ، فأقبلوا على النهج يشرحون منته ، ويستخرجون كنوزه المعرفية . ثم تتابعت تلك الشُّروح والمؤلفات مع مرّ الزمن ، وفاقّت شروحه منتهى شرحٍ ، قسم منها عربيّ ، والقسم الآخر في لغات أخرى . فأما شروحه العربية ، فلم يصل إلينا منها مطبوعاً إلا أقلّها بعد أن أتى الزمن على أكثرها .

ولما لم تتل هذه الشروح الحية دراسة لغوية شاملة توازن بينها ، وتجمع فنون العربية فيها ، رأيت ان يكون (المباحث الدلالية في شروح نهج البلاغة المطبوعة ، دراسة موازنة) موضوعاً أبحث فيه لنيل درجة الدكتوراه . وأنا اخترت (البحث الدلالي) دون غيره من فنون اللغة ؛ لأن شروح النهج جميعاً حفلت بإبراز الجانب الدلالي لالفاظ النهج ، وتراكيبه ، واساليبه ، ولم تكن كثيراً بفلسفة النحو ، والصرف ، والاصوات . بل أخذت من هذه العلوم ما له علاقة ببيان معاني نهج البلاغة ومداليله ، فجاءت علوم العربية الواردة في هذه الشروح علوماً تطبيقية يؤتى بها لإبراز المعنى أو اظهار الدلالة .

لقد استدعت طبيعة البحث ان ينتظم في خمسة فصول مسبوقة بتمهيد وملتوة بخاتمة . ففي التمهيد عرضت باجمال لموضوع : (نهج البلاغة بين انصاره ومؤيديه) ؛ لان تفصيل هذا العنوان قد كتبت فيه المطولات ، فاكتفيت بسرد أهم الشبهات التي أثارها منكرو النهج ، ثم ذكرت حجج المؤيدين في دفع تلك الشبهات . اما الفصول : فالأول منها خصصته بعنوان (شروح نهج البلاغة عبر القرون) ، وهو منتظم من ثلاثة مباحث : في الأول منها رتبت أسماء شراح النهج من ذوي الشروح المطبوعة ترتيباً زمنياً ، فاحصيت منهم أكثر من عشرين شارحاً ظفرت بسبعة عشر شرحاً من شروحهم واعتمدت عليها في هذه الدراسة . وفي المبحث الثاني بينت طرائق الشّراح في شرح متن النهج . وكان أهمها بيان موقفهم من المصنّف ، وتوثيقهم متن النهج ، ودرءهم الشبهات عنه ، وتتبعهم أثر النهج في الدّرات العربي . وفي المبحث الثالث مهّدت للموضوع الرئيس بتلّس الفكر الدلالي لدى الشّراح من حيث تقسيماتهم للالفاظ ، وبيانهم العلاقة بين الدال والمدلول ، وتوثيقهم المسائل الدلالية . واما الفصل الثاني فدرست فيه الدلالة الصوتية في شروح النهج وجاء في اربعة مباحث: الأول : درست فيه دلالة تعاقب الصوائت في شروح النهج . والثاني خصصته بدرس دلالة تعاقب الصوامت في شروح النهج . والثالث بحثت فيه دلالة التكرار الصوتي لدى الشّراح ، وأما الأخير فخصصته بدرس

الأداء الصوتي من نبر وتنغيم وفصل ووصل . وأما الفصل الثالث فدرست فيه الدلالة الصرفية في شروح النهج ، وهو في أربعة مباحث : الأول تلمست فيه دلالة أبنية الأسماء المجردة ، والثاني درست فيه دلالة أبنيو الأسماء المزيدة بحرف واحد ، والثالث خصصته بدرس دلالة أبنية الأسماء المزيدة بحرفين فأكثر ، والأخير درست فيه دلالة أبنية الأفعال . أما الفصل الرابع فخصصته بدرس الدلالة النحوية وجاء منتظما من أربعة مباحث : الأول درست فيه الدلالة الإعرابية في شروح النهج . والثاني درست فيه الدلالة التركيبية في شروح النهج والثالث درست فيد دلالة الأدوات الأحادية في شروح النهج والأخير درست فيه دلالة الأدوات الثنائية فأكثر . أما الفصل الخامس - وهو الأخير - فدرست فيه الدلالة المعجمية في شروح نهج البلاغة وهو في أربعة مباحث : الأول درست فيه المشترك اللفظي . والثاني درست فيه التضاد . والثالث درست فيه الترادف والفروق اللغوية . والأخير درست فيه التطور الدلالي . ولخصت في الخاتمة أهم نتائج البحث وتوصياته .

ولطول عنوانات شروح النهج وتشابهها كثيرا ، أثرت الاحالة اليها في الهامش بذكر ما اشتهر به الشارح من كنية أو لقب طلبا للاختصار . ثم تَبَّثُ الشروح في قائمة المصادر بأسمائها الصريحة ، فضلا عن اختصار أسماء الكتب الطويلة ، وإذا تشابهت عنوانات الكتب ذكرت اسم المؤلف بين معقوفتين . ووثقت متن النهج من طبعته التي عني بها صبحي الصالح لدقَّتْها في ضبط المتن واحتوائها على فهارس توضيحية كثيرة . وقد أثرت إيراد مصادر الأطروحة كلها في ثبت جامع شامل دون النظر إلى نوعها أمصادر هي أم مراجع أم أطاريح ورسائل أم بحوث؟ واعتمدت على طبعات حديثة لمعجمات اللغة انمازت بدقة الضبط وتوثيق الشواهد وسهولة التداول فضلا عن رصانة دور نشرها . وأهم ما واجه البحث من عقبات هو ندرة شروح النهج المطبوعة ، فالمشهور المعروف بين ذوي الصنعة شرح المعتزلي ، وشرح محمد عبده . أما الشروح الأخرى فنادرة مجهولة لعدة أمور أهمها منع تداولها قبل عام ٢٠٠٣م ، وقلة عدد المطبوع منها ، وإقبال أرباب العلم والأدب على اقتناء ما عرض منها أخيرا على نحو نفذت معه من المكتبات واصبحت مقتنيات شخصية . ولذا أمضيت وقتا طويلا في جمعها فظفرت بأكثرها وبعد قراءتها جميعا راعني كثرة المادة الدلالية الموثقة فيها لا سيما في الشروح المتقدمة منها ، فزاد ما جمعته من الجذاذات على خمسة الاف جذاذة ، ثم كانت عملية الانتقاء والموازنة عسيرة للغاية ، إذ مضت السنتان في الجمع والموازنة والتصنيف . فطفقت أسبق أيام هذا الزمن في الكتابة فجاء عملي هذا وقد أفرغت فيه ما وسع الجهد واستطاعت القدرة ، ولولا رعاية تفوق المؤلف أولتنيها أستاذتي الفضال الدكتورة خديجة زيار المشرفة على البحث لما قدر لي أن تُلِّمَ بحثي هذا ، فجزاها الله عني خير ما يجزي به العلماء .

والحمد لله رب العالمين

الباحثة

بغداد ٢٠٠٩ م

التَّمْهِيدُ

نَهْجُ الْبَلَاغَةِ بَيْنَ أَنْصَارِهِ وَمُعَارِضِيهِ

١ - نَهْجُ الْبَلَاغَةِ ، مَا هُوَ؟

نهج البلاغة اسم وضعه الشريف الرضائي كتاب جمع بأسلوب فريد روايات منتقاة من خطب الإمام علي بن أبي طالب (ع) ورسائله وحكمه ، بلغ المختار المجموع منها مئتين واثنين وأربعين خطبة أو كلاما وثمانية وسبعين كتابا أو رسالة، وأربع مئة وثمانين وتسعين حكمة . ثم اضحى النهج لدى الناس علما مبلغا عن الإمام وفكره ، فكلامه بين ايديهم يحكي عبقرية رجل لم يعرفه إلا الله (عزوجل) ورسوله (صلى الله عليه وآله)^(١) . اذ تعجز العقول وأن قويت فطنتها عن سبر غور علي بن أبي طالب (ع) الذي جمع من الفضائل والمناقب ما تمنى الصحابة (رضي الله عنهم) ان يظفروا بإحداها ليكون ذلك خيرا لهم مما طلعت عليه الشمس او خيرا لهم من حمر النعم^(٢) ، ورحم الله المتنبى اذ قال^(٣) :

وَكَوْنَتْ مَدْحِي لِلْوَصِيِّ تَعَمُّدًا إِذْ كَانَ نُورًا مُسْتَبِطًا لَا شَامِلًا
وَإِذَا اسْتَطَالَ الشَّيْءُ قَاهِرٌ نَفْسِيهِ وَصِفَاتُ ضَوْءِ الشَّمْسِ تَذْهَبُ بِاطْلَا

فماذا يقول الباحث « في رجل سبوا الناس إلى الهدي وأمن بالله وعبده وكل من على الأرض يعبد الحجر ويجحد الخالق؟ لم يسبقه أحد إلى التوحيد إلا السابق إلى كل خير : محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله) »^(٤) وماذا يقول « في رجل أقر له أعداؤه وخصومه بالفضل ، ولم يمكنهم جحد مناقبه ولا كتمان فضله؟ فقد اجتهد بنو أمية في إطفاء نوره ولعنوه على جميع المنابر وحبسوا مادحيه وقتلوه ومنعوا من رواية كل حديث يتصق له فضيلة أو يرفع له ذكرا حتى حظروا أن يسمى أحد باسمه فما زاده ذلك إلا رفعة وسموا . وكان كالمسك كلما ستر انتشر عرفه . ، وتصحونشره . وكالشمس لا تستر بالراح . وكضوء النهار إن حجب عن عين واحد أدرسته عيون كثيرة . وماذا يقول في رجل تعزى إليه كل فضيلة وتنتهي إليه كل فرقة وتتجاذبه كل طائفة ؟ »^(٥) .

ولا يملك الباحث في سيرة علي (ع) إلا أن يقول : « سبحان الله من منح هذا الرجل هذه المزايا النفيسة والخصائص الشريفة ! أن يكون غلام من أبناء عرب مكة ، ينشأ بين أهله ، لم يخالط الحكماء ، وخرج أعرف بالحكمة ودقائق العلوم الإلهية من إفلاطون وأرسطو . ولم يعاشر أرباب الحكم الخفية والآداب النفسانية ، لأن قريشا لم يكن أحد منهم مشهورا بمثل ذلك ، وخرج أعرف بهذا الباب من سقراط . ولم يرب بين الشجعان لأن أهل مكة

(١) ينظر: كنز العمال ١٥٦/٦

(٢) ينظر: صحيح البخاري ٧٤٢-٧٤٤ وصحيح مسلم ١٠١٩-١٠٢٢ .

(٣) ديوان المتنبى بشرح البرقوقي ٥٤٦/٢

(٤) شرح المعتزلي ٣٠/١

(٥) نفسه ١٧/١

كانوا ذوي تجارة ، ولم يكونوا ذوي حرب ، وخرج أشجع من كل بشر مشى على الأرض ... وخرج أفصح من سحبان وقس ، ولم تكن قريش بأفصح العرب ، قالوا : أفصح العرب جرهم وإن لم تكن لهم نباهة. وخرج أزهدي الناس في الدنيا ، وأعفهم ، مع أن قريشا ذوو حرص ومحبة للدنيا ، ولا غرو فيمن كان محمد صلى الله عليه وآله مربيه ومخرجه ، والعناية الإلهية تمده وترفده أن يكون منه ما كان^(١) .

وزاء تراكم غبار الظلم صرف مبعضو علي (ع) ما نزل بحقه من قرآن ، وحرفوا ما قيل في فضله من حديث ، وراموا هم ما شيده هو لنفسه من مجد تليد بجهاده وعلمه وعبادته . ثم شاء الله وحمدا على مشيئته أن يصل إلينا نهج البلاغة وفيه حاجة العالم والمتعلم ، وبغية البليغ والزاهد . وفيه أقام ابن أبي طالب براهين التوحيد ودلائل الصنعة وأسرار الخليفة وتزويه الله سبحانه وتعالى عن شبهة الخلق . وفيه تهذيب النفس وسياسة المدن وحكمة التشريع والعظات البليغة والحجج الدامغة وإنارة العقول وطهارة النفوس ونبايع الحكمة . وفيه وصف الخلق عموما وتمثيل الجنة والنار عيانا . وفيه قوانين الحرب وسوق الجيوش وتعبئة العساكر . وفيه وصف الطاووس والخفاش والذرة والنملة وصفا يستوعب ما في هذه الكائنات من عجائب التكوين وبدائع القدرة . وفيه حقوق الأخوان والرعية والوالدين والأبناء والناس أجمعين . ثم فيه خبر ما سيأتي نقلا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) . وفي كل ذلك ارتفع أمير المؤمنين (ع) بالفصاحة العربية عن أن تنصب في التوافه ، فتكون مسوقة لبيان صفة فرس أو بعير أو حمار وحشي أو امرأة أو بركة ماء أو قصر أو معركة . وسما بها لتتلخص في نوازع البشر المخلوق من الطين . إذ لم يعهد العرب فصيحيا يسوق الكلام في توحيد الله تعالى ولم يألفوا فصيحيا يصف خلق الكون من أرض وسماوات وماء وجبال وصخور وسحاب وهواء وأنس وجن وملائكة . فحق لأهل البلاغة أن يدهشوا ويعجبوا برجل هو أعرف بطرق السماوات منه بطرق الأرض^(٢) . لكن العجب سيزول حين يعي المرء أن هذا المتكلم هو من رسول الله بمنزلة هارون من موسى ، وأنه الأذن الواعية التي صب فيها رسول الله بأمر ربه العلم صبا^(٣) فحق لها أن تعي وتحفظ ثم تبلغ على رغم أنف الناكثين والمارقين والقاسطين والنواصب .

لقد وصل إلينا كتاب نهج البلاغة وفيه من خطب الإمام علي بن أبي طالب (ع) ما هو قبس من نور الكلام الإلهي وشمس تضيء بفصاحة المنطق النبوي ، والنظر فيه يورث الشجاعة والشهامة والمروءة وعظمة النفس لأنه

(١) المعتزلي : ١٤٥ / ١٦

(٢) قال الإمام (ع) : (أيها الناس، سلوني قبل أن تفقدوني ، فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض) .

ينظر: نهج البلاغة : الخطبة ٢٣١ ، ص : ٢٣٨

(٣) ينظر: صحيح مسلم ١٠١٩ ومجمع البيان ١٠ / ٢٩ / ١٠٧

من روح قهارّ واجه المصاعب بعزائم الأسود^(١). وهو كتاب ضمّ بين دفتيه عيون البلاغة وفنونها وتهيأت به - للناظر فيه - أسباب الفصاحة ودنا منه قطافها. إذ كان من كلام أفصح الخلق بعد الرسول (ﷺ) منطقاً وأشدهم اقتداراً وأبرعهم حجة وأملكهم للغة يديرها كيف شاء الحكيم الذي تصدر الحكمة عن بيانه ، والخطيب الذي يملأ القلب سحر بيانه ، والعالم الذي تهيأ له من خلال الرسول (ﷺ) وكتابة الوحي والكفاح عن الدين بسيفه ولسانه منذ حدثته ما لم يتهيأ لأحد سواه^(٢). ثم شهد لعليّ (ع) بالفصاحة اعداؤه قبل انصاره إذ قصد بعضهم الشام عبر الكوفة فقال لمعاوية : جنتك من عند أعبي الناس - يريد علياً (ع) - فقال معاوية : يا ابن اللخناء ألعليّ تقول هذا ؟ وهل سنّ الفصاحة لقريش غيره^(٣).

ومن حق المرء أن « يطيل التعجب من رجل يخطب في الحرب بكلام يدلّ على أن طبعه مناسب لطباع الاسود والنمور وامثالها من السباع الضارية ، ثم يخطب في ذلك الموقف بعينه- اذا اراد الموعظة- بكلام يدل على ان طبعه مشاكل لطباع الرهبان لابسى المسوح الذين لم يأكلوا لحماً ولم يريقوا دماً...»^(٤). ومهما أطال ذوو الصنعة النظر في نهج البلاغة والتأمل في ألفاظه وتراكيبه لن يجدوا في أنفسهم نفورا ولاصدودا بل أن هواجسهم تجرهم إليه بعد حين جراً فيقبلوا عليه مجددا كأن لم يقرؤوه بالأمس، وفي كل يوم لهم فيه جديد فيظفرون منه بالمزيد، وهذا حال أحد ذوي الصنعة مع النهج إذ قرأ خطبة للإمام يصف فيها الأموات والبرزخ أكثر من ألف مرة وفي كل مرة تترك أثراً جديداً في نفسه عجزت كل طرق البلاغة عن محاكاة بعضه فقال : « اقسام بمن تقسم الامم كلها به لقد قرأت هذه الخطبة منذ خمسين سنة والى الان أكثر من ألف مرة ، ما قرأتها قط الا وأحدثت عندي روعة وخوفاً وعظمة وأثرت في قلبي وجيبيا ، وفي أعضائي رعدة ولا تأملتتها إلا وذكرت الموتى من أهلي وأقاربي وأرياب ودي وخيلت في نفسي أنني أنا ذلك الشخص الذي وصف عليه السلام حاله . وكم قد قال الواعظون والخطباء والفصحاء في هذا المعنى وكم وقفت على ما قالوه وتكرر وقوفي عليه فلم أجد لشيء منه مثل تأثير هذا الكلام في نفسي»^(٥).

لقد اقترن نهج البلاغة باسم الإمام علي (ع) اقترانا يذكر الملام باسم جامع الشريف الرضي المولود في بغداد سنة ٣٥٩ هـ والمتوفى فيها سنة ٤٠٦ هـ (رحمه الله) ، وهو محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم

(١) ينظر: شرح المعتزلي ١٥٣/١١ وتام نهج البلاغة ١/٨٩.

(٢) ينظر: مقدمة شرح محمد عبده ٢-٣

(٣) ينظر: شرح المعتزلي ٢/٩٩.

(٤) المعتزلي ١٥٣/١١

(٥) نفسه ١٥٣/١١

ابن الإمام موسى الكاظم (ع) وينتهي نسبه الى الإمام علي (ع) ، ومن الحفيد الى جده اثنا عشر علما^(١). وقد عكف الرضي على جمع النهج منذ عام ٣٨٢ هـ حتى سنة ٤٠٠ هـ ، فكان زمن جمع النهج سبعة عشر عاما^(٢). ثم غلبت شهرة الشريف الرضي - الذي لم يجاوز عمره العقد الخامس - الافاق بعد جمعه النهج ، إذ فشا عمله هذا بين الناس معرفا به ومشيرا اليه ومغظيا على جهده الاخر في الادب واللغة والحديث ، ولذا فاقت شهرة الرضي شهرة اخيه الاكبر الشريف المرتضى المولود سنة ٣٥٥ هـ ، والمتوفى سنة ٤٣٦ هـ عن عمر ناف على الثمانين زاهر بمسائل العقيدة والفقه والاصول^(٣). ولكن الرضي جمع النهج فسماه بسموه ، ولو أتى بالنهج وحده لكان الظفر له في ساحة المقايسة بالكتب.

لقد عاش الرضي عصاميا عظيما في نفسه حاملا رسالته الدينية والأدبية بأحسن وجه فأمضى العمر زاهدا عالما مؤلفا في القرآن الكريم والسنة النبوية والبلاغة العلوية في سلسلة منتظمة مترابطة من البحوث النافعة التي أنارت الطريق للأجيال فكان الفارس الوثاب الذي جرى خفيفا إلى العلا بخطى راسخة ، فحق له القول إذ يصف نفسه^(٤):

حَدَقْتُ فُضُولَ الْعَيْشِ حَتَّى رَدَدْتُهَا
وَأَمَلْتُ أَنْ أُجْرِيَ خَفِيفًا إِلَى الْعَلَا
حَلَقْتُ بَرَبَّ الْبُذُنِ تَدْمَى نُحُورَهَا
لَأَبْتَدِلَنَّ النَّفْسَ حَتَّى أَصُونَهَا
إِلَى دُونَ مَا يَرْضَى بِهِ الْمُتَعَفِّفُ
إِذَا شِئْتُمْ أَنْ تَلْحَقُوا فَتَحَقُّوا
وَبِالنَّقْرِ الْأَطْوَارِ لَبَّوْا وَعَرَّفُوا
وَعَيْرِي فِي قَيْدٍ مِنَ الذَّلِّ يَرشِفُ
فَقَدْ طَالَمَا ضَيَّعْتُ فِي الْعَيْشِ رِصَّةً
وَأَنَّ قِوَا فِي الشَّعْرِ مَا لَمْ أَكُنْ لَهَا
أَنَا الْفَارِسُ الْوَثَابُ فِي صَهَوَاتِهَا
وَهَلْ يَنْفَعُ الْمَلْهُوفَ مَا يَتْلَهَفُ
مُسْفِسْفَةً فِيهَا عَتِيقٌ وَمَقْرَفُ
وَكُلُّ مُجِيدٍ جَاءَ بَعْدِي مُرْدَفُ

وقد تولى الرضي عدة مناصب معظمها دينية وترك في المكتبة العربية كتباً قيمة اذ كان ((نقيب النقباء وهو ذو الفضائل الشائعة والمكارم الذائعة كانت له هبة وجلالة وفيه ورع وعفة وتقشف ومراعاة للأهل والعشيرة. ولي نقابة الطالبين مرارا وكانت إليه إمارة الحاج والمظالم كان يتولى ذلك نيابة عن أبيه ذي المناقب، ثم تولى ذلك بعد وفاته مستقلا وحج بالناس مرات، وهو أول طالبي جعل عليه السواد، وكان أحد علماء عصره، قرأ على أجراء الافاضل وله من التصانيف : كتاب المتشابه في القرآن وكتاب مجازات الآثار النبوية وكتاب نهج البلاغة وكتاب تلخيص البيان في مجازات القرآن وكتاب الخصائص))^(٥) وغيرها .

(١) ينظر: بتيمة الدهر: ١٣٦/٣ والرجال ٣٩٨ وتاريخ بغداد ٦٤٦/٢ وعمدة الطالب ٢٠٧ .

وشذرات الذهب ١٨٢/٣ وروضات الجنات ٥٤٦ .

(٢) ينظر: نهج البلاغة (خاتمة الرضي) ٦٩٧ ودراسة حول النهج ١٤ .

(٣) ينظر: الرجال ٢٧٠-٢٧١ والمنتظم ٢٧٦/٧ .

(٤) ديوان الشريف الرضي ٢١/٢ .

(٥) عمدة الطالب ٢٠٧ .

وفي يوم الأحد السادس من محرم سنة ست وأربعمئة توفي الشريف الرضي، وراثه جمع غفير من الشعراء أبرزهم تلميذه مهيار الديلمي (٤٢٨هـ) من قصيدة طويلة يقول فيها^(١) :

أبكيك للنيا التي طأقتها
وقد اصطفتك شبابها وعرامها
ورميت غادتها بفضلة معرض
زهدا وقد ألفت إليك زمامها

لقد وثق الرضي في تقديمه للنهج مسيرته المباركة في جمع هذا السفر الجليل، فقال : «إني كنت في عنفوان السن وغضاضة الغصن. ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الأئمة عليهم السلام يشتمل على محاسن أخبارهم وجواهر كلامهم ... فجاء في آخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه عليه السلام من الكلام القصير في المواعظ والحكم والأمثال والآداب؛ دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة، فاستحسن جماعة من الأصدقاء ما اشتمل عليه الفصل المقدم ذكره معجبين ببديعته ومتعجبين من نواصحه. وسألوني عند ذلك أن أبتدئ بتأليف كتاب يحتوي على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه ومتشعبات غصونه من خطب وكتب ومواعظ وأدب ... فأجبتهم إلى الابتداء بذلك عالما بما فيه من عظيم النفع ومنشور الذكر ومذخور الأجر»^(٢) .

ونهج البلاغة فيض من خطب أمير المؤمنين ورسائله ووصاياه وحكمه مما قدر للرضي أن يجمعه وقد صرح الرضي بأن ما جمعه بعض من كلام الإمام (ع)، فقال : «ولا أدعي - مع ذلك - أنني أحيط بأقطار جميع كلامه (ع) حتى لا يشذ عني شاذ ولا يند ناد بل لا أبعد أن يكون القاصر عني فوق الواقع إلي والحاصل في ريفتي دون الخارج من يدي، وما علي إلا بذل الجهد وبلاغ الوسع ..»^(٣) ثم سمى الرضي ما جمعه بنهج البلاغة وبين وجه التسمية بأن نهج البلاغة «يفتح للناظر فيه أبوابها ويقرب عليه طلابها»^(٤) . وقد قسم الرضي كتابه على ثلاثة أبواب بعد أن رأى «كلامه عليه السلام يدور على أقطاب ثلاثة: أولها الخطب والأوامر. وثانيها الكتب والرسائل. وثالثها الحكم والمواعظ»^(٥) والفرق بين الخطب والأوامر هو أن الخطبة كلام منتظم يتضمن محاسن البلاغة وبراعي حفظ الأوزان والفواصل. وأما الأوامر فهي الأحكام والتكاليف المتعلقة بأفعال المكلفين لما فيه صلاحهم في الدين والدنيا . والفرق بين الكتب والرسائل هو أن المراد بالكتب الكلام المكتوب الصادر منه (ع) إلى الناس من ولادة وخصوم وأصحاب وأبناء. والرسائل كتب صغيرة في مقام بعث السفراء والرسول أو ما كان جوابا لهم. وأما الفرق بين الحكم والمواعظ فهو أن الحكم كلمات قصار ترفع الأنسان عن فعل القبيح. والمواعظ هي وصايا بالتقوى والحث على الطاعات^(٦). وأبواب النهج الثلاثة التي أقرها الرضي هي:

(١) ديوانه ٣/٣٦٦-٣٧٠

(٢) نهج البلاغة (مقدمة الرضي) ١١

(٣) نفسه ١٤

(٤) نفسه ١٤

(٥) نفسه ١٢

(٦) ينظر: شرح الخوئي ٢٨١/١

الأول : وهو المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام وأوامره ويدخل في ذلك المختار من كلامه الجاري مجرى الخطب في المقامات المحضورة والمواقف المذكورة والخطوب الواردة^(١) .

الثاني: وهو المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام ورسائله إلى أعدائه وأمرائه بلاده ويدخل في ذلك ما اختير من عهده إلى عماله ووصاياه لأهله وأصحابه^(٢) .

الثالث : وهو المختار من حكم أمير المؤمنين (عليه السلام) ويدخل في ذلك المختار من أجوبة مسائله والكلام القصير الخارج في سائر أغراضه^(٣) .

ووضح الرضي منهجه في الجمع فقال : ابتدأت ((باختيار محاسن الخطب ثم محاسن الكتب ثم محاسن الحكم والأدب مفردا لكل صنف بابا ومفصلا فيه أوراقا لتكون مقدمة لاستدراك ما عساه يشذ عني عاجلا ويقع إلي آجلا. وإذا جاء شيء من كلامه عليه السلام الخارج في أثناء حوار أو جواب سؤال أو غرض آخر من الأغراض - في غير الأنحاء التي ذكرتها وقررت القاعدة عليها - نسبته إلى أليق الأبواب به وأشدّها ملامحة لغرضه. وربما جاء في ما أختاره من ذلك فصول غير متسقة ومحاسن كلم غير منتظمة، لأنني أوردت النكت واللمع، ولا أقصد التتالي والنسق))^(٤) ونوه على ما في النهج من كلام مكرّر فقال : ((ربما جاء في أثناء هذا الاختيار اللفظ المردد والمعنى المكرر. والعذر في ذلك أن روايات كلامه تختلف اختلافا شديدا. فربما اتفق الكلام المختار في رواية فنقل على وجهه ، ثم وجد بعد ذلك في رواية أخرى موضوعا غير موضعه الأول إما بزيادة مختارة أو لفظ أحسن عبارة فتقتضي الحال أن يعاد استظهارا للاختيار، وغيره على عقائل الكلام، وربما بعد العهد - أيضا - بما اختير أولا فأعيد بعضه سهوا أو نسيانا، لا قصدا واعتمادا))^(٥) .

٢ - معارضو النهج وشبهاتهم.

بعد ان حظي نهج البلاغة بإقبال العلماء في القرنين الخامس والسادس الهجريين ظهرت بواكير التشكيك في القرن السابع ، ثم توالى الشكوك مع مر الزمن لعدة بواعث: بعضها مذهبي وأكثرها سياسي. ولذا شقّ نهج البلاغة طريقه بدءا من منتصف القرن السابع بين فريقين : الاول له ، والآخر عليه . وإنما انطلق أكثر المشككين من باعث سياسي في التشكيك بمضمون النهج لأنه يحدد مفهوم السلطة تحديدا دقيقا ، ويشيع الحقوق العامة ، ويحثّ على الحرية والعدالة الاجتماعية ، وهذه المفاهيم لم يرتضها الحكام بعد عصر الراشدين (رض) إلى الآن ، فشجّعوا ثقافة الطعن بعلي (ع) أولا حتى سبّ علي المنابر ثمانين حولا. ولما جمع النهج بعد حقبة من الزمن بادر الحكام وقضاتهم الى ابطال نسبة الكتاب الى علي (ع) بغية ابعاد الناس عن مفاهيمه التي تزلزل حكم الجبابرة والطواغيت^(٦) .

(١) نهج البلاغة ١٥ (٢) نفسه ٤٥٧

(٣) نفسه ٥٩٧ (٤) نهج البلاغة (مقدمة الرضي) ١٢

(٥) نفسه ١٤ (٦) ينظر: صوت الإمام في نهج البلاغة ٦٨/١

ويمكن تقسيم المشككين على قسمين: قدماء ومحدثين. وأول القدماء هو قاضي قضاة دمشق في زمانه ابن خلكان (٦٨٦هـ) الذي عرض شكه في النهج لما وقف على ترجمة الشريف المرتضى، فقال: « اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الإمام علي بن أبي طالب (رض) هل هو جمعه ام جمع اخيه الرضي؟ وقد قيل : انه ليس من كلام علي، وانما الذي جمعه ونسبه اليه هو الذي وضعه والله اعلم»^(١). ثم شايح ابن خلكان فريق من القدماء منهم الحافظ الذهبي (٧٤٨هـ) الذي رأى ان النهج مكذوب على امير المؤمنين علي (ع) لما فيه من السب الصراح والحط على الصحابة والتناقض والركاكة^(٢). وكرر ابن ابيك الصفدي (٧٦٤هـ) ما قاله ابن خلكان والذهبي لا سيما شبهة الرضي والمرتضى^(٣). والامر نفسه يلحظ لدى اليافعي (٧٦٨هـ)، وابن كثير (٧٧٤هـ)، والعسقلاني (٨٥٢هـ)، وابن عماد الحنبلي (١٠٨٩هـ)^(٤).

واما المحدثون فابرز المشككين في النهج منهم : احمد امين (١٩٥٤م)، وملخص شكوكه في النهج ان فيه سجعا منمقا، وصناعة لفظية لا تعرف في ذلك العصر، وفيه تعبيرات فلسفية لم يألفها العرب الا بعد ان نقلت الفلسفة اليونانية الى العربية، وبعد تدوين العلوم، وفيه أوصاف دقيقة منمقة باسلوب لم يعرف الا في العصر العباسي كوصف الخفاش الطاووس^(٥). ومنهم شوقي ضيف (٢٠٠٥م)، وشكوكه تتلخص بأن الكتاب للرضي أم لآخيه؟، وفي وجود السجع في متن النهج، وعنده ليس من الطبيعي ان يسجع علي في خطابته بينما ينهى الرسول الكريم (صلوات الله عليه وآله) عنه^(٦). وشكك محمد كرد علي في الخطب الطوال من النهج لان التطويل في الخطب لم يكن معهودا آنذ، ورأى ان النهج زيدت فيه زيادات كثيرة قبل عهد الرضي وبعده، واكثره من كلام فصحاء الشيعة وغيرهم بدليل الاختلاف الكبير في نسخه^(٧). وجمع احمد زكي صفوة^(٨) شكوكا كثيرة طول في سردها كما طول في مناقشتها، فرد بعضها وآمن باكثرها واهمها: خلو المصادر الادبية والتاريخية قبل الشريف الرضي من كثير مما ورد في نهج البلاغة. وورود الافكار السامية والاحكام الدقيقة والعلوم المختلفة في نهج البلاغة مع انها امور عرفت في عصور متاخرة. واطالة الكلام واشباع القول في طائفة من الخطب كما في عهد الإمام (ع) الى الاشتهر النخعي الذي جاء مسهبا مطنبا مشتملا على كثير من الحيطة والحذر والتوكيدات والمواثق والنظرات

(١) وفيات الأعيان ٣/٣١٣ .

(٢) ينظر: ميزان الاعتدال ٣/١٢٤ وسير أعلام النبلاء ١٧/٥٨٩ .

(٣) ينظر:الوافي بالوفيات ٧/٢١ .

(٤) ينظر: مرآة الجنان ٣/٥٥ والبداية والنهاية ١٢ / ٣٥ وميزان الاعتدال ١/١٠١ ولسان الميزان ٤/٢٢٣ وشذرات الذهب ٣/٢٥٧ .

(٥) ينظر: فجر الإسلام ١٤٨-١٥١

(٦) ينظر: الفن ومذاهبه في النثر العربي ٦٠-٩٣

(٧) ينظر: أمراء البيان ٢٢

(٨) ينظر: ترجمة علي بن أبي طالب ١٢٠-٢٠٨

السياسية والقواعد العمرانية التي لم تكن معروفة في عصر الإمام (ع). والتعريض ببعض الصحابة وذمهم كما في خطبته المُسمّاة بالشقشقية . وطغيان النزعة الصوفيّة الفلسفية في كثير من خطب النهج مما لم يعرف بين المسلمين الا في القرن الرابع الهجري. ودقة الوصف وغلبة السجع وتنميق الكلام مما لم يعهد في صدر الاسلام . ووقف محمد طاهر درويش موقف المشكك في قسم من خطب النهج لاسيما تلك التي وردت خالية من بعض الحروف وغلبت عليها الصبغة الفلسفية والصناعة اللفظية وتلك التي تصف الطاووس والخفاش والزرع والسحاب وصفا دقيقا لم يكن معروفا انئذ ، وتلك التي تصف الملاحم والفتن وتخبر بالغييب من نبوّاته بالحجاج ، وفتنة الزنج ، وغارات التتر ، وتلك التي تتناول الخلفاء قبله بما لا يليق بهم^(١). ولخص محمّد محيي الدين عبد الحميد شكوكه في النهج بعدة نقاط منها: التعريض بالصحابة ، وادعاء صاحب النهج علم الغيب، ودقة الوصف ، واستقراغ صفات الموصوف ، واحكام الفكرة ، وبلوغ النهاية في التدقيق كما في وصف الخفاش والنحلة والجراد والطاووس ، وهذا الوصف لم يلتفت اليه علماء الصدر الاول ولا ادباؤه ، وانما عرفه العرب بعد تعريب كتب اليونان والفرس^(٢). وشكك محمد سيد كيلاني في معظم ما جاء في النهج ان لم يكن كله ، وبعض شكوكه جديدة لم يسبق اليها ، وبعضها الآخر تكرر لسابقه ، فأما جديده فهو إنّ متن النهج طويلٌ وواسع يتعذر نقله مشافهة وحفظا عن علي (رض) إذ ليس من شكّ في أنّ حفظ هذا المقدار الضخم من الأمور المتعدّدة ، وفي النهج خطب طويلة جدا ليس من السهل وعيها وتذكر الفاظها بعد اجيال . واما الشكوك المرّدة عن السابقين فأهمها: إنباء خطب النهج بالغييب ، واشتمالها على علوم فلسفية وروحانية لم تعرف في المجتمع الاسلامي كدقائق علم التوحيد وابعاث الرؤية ، ودقته في وصف اصناف الطيور والحشرات ، والدعوى الى الرهينة ، والاختلاف الكبير في أساليب الخطب ، والطعن على الخلفاء والقضاة والوزراء ، والتطويل بالحمدله في صدر الخطب ، وذكر الوصي والوصاية ، وهي خرافة لم تظهر الا بعد قتل علي^(٣).

٣ - أنصار النهج ورد الشبهات .

الثابت لدى المعنيين بالنهج ان معظم ما جاء فيه موجود في كتب المتقدمين وان لم يشر الشريف الرضي الى ذلك «ولو لم يعر بغداد ما عراها من الدمار على يد التتر ، ولو بقيت خزانة الكتب الثمينة التي احرقها الجهلاء لعثرنا على مرجع كل مقولة مندرجة في نهج البلاغة»^(٤). ولذا تلقف البلغاء المتقدمون خطب النهج غير مرتابين

(١) ينظر: الخطابة في صدر الإسلام ٣٣٠/١-٣٣٣

(٢) ينظر: شرح عبده بتحقيق محمد محيي الدين / مقدمة المحقق ٧-٩

(٣) ينظر: أثر التشيع في الأدب العربي ٥١-٦٧

(٤) دراسة حول نهج البلاغة: ٧ وينظر: استناد نهج البلاغة ٢٠

من ان علياً (ع) قالها ؛ لقوة متونها من حيث جزالة اللفظ ، وقوة السبك ، وعجيب النظم ، وسحر البيان . وهذه اقوى القرائن لدى البلاغيين في الاطمئنان الى صحة نسبتها الى الإمام (ع) . ثم لا ريب لديهم في صحة سندها، إذ هو منقول عنه (ع) بالاستفاضة والشياخ المفيد للإطمئنان وتواتر جانب كبير منه. وقد عني فريق من العلماء بتحقيق متن النهج من جانبين^(١) : الاول : اسناد النهج الى جامعه الشريف الرضي . الاخر : تواتر النهج من الرضي الى الإمام (ع) فلاحظوا ان السند الى الشريف الرضي قوي ومعروف من عدة طرق منها تصريح الشريف الرضي بعمله الكبير هذا في كتبه الاخرى وأقوال المشايخ المعاصرين للرضي او المتأخرين عنه ووجود نسخة النهج التي كتبها الرضي بخط يده وكثرة النسخ الأخرى التي نسخت على منوالها^(٢). فضلا عن أمانة الرضي وتحرره من التعصب المذهبي ، إذ خص الدكتور زكي مبارك الى ((ان الشريف الرضي كان قليل الرعاية للعصبية المذهبية ، والظاهر انه كان حر العقل الى حد بعيد ، فقد كان يدرس جميع المذاهب الاسلامية ليمد عقله بالانوار التي يرسلها اختلاف الفقهاء))^(٣) . وكان قد تتلمذ على مشايخ في عصره من مذاهب مختلفة^(٤) ، ((فلم يتعصب لرجال مذهب على رجال مذهب اخر ، لقد كان من شيوخه الشيعي والسني والمعتزلي والشافعي والحنفي والمالكي ، فلم يتخرج ان ياخذ العلم من اي مصدر . وقد رأينا ان ابا اسحاق الطبري الذي منحه الشريف داره ليقوم فيها كان فقيها سنيا على مذهب الإمام مالك))^(٥) .

واما تواتر النهج من الرضي الى الإمام (ع) فيعضده كثرة المصادر التي نقلت كثيرا من خطب الإمام علي (ع) قبل ان يخلق الرضي بكثير . فنهج البلاغة ((قد طبقت معروفه بالشرق والغرب ، ونشر خبره في اسماخ الخافقين ، وتطور من تعليمات النهج جميع افراد نوع البشر لصدوره عن معدن الوحي الالهي))^(٦) والرضي يرتبط بجده الإمام علي (ع) بسند قوي لا مجال للشك فيه والطعن به هو سند الحفدة عن الابناء عن الالاء عن الاجداد ، وهو السند نفسه الذي اشار اليه الإمام الصادق (ع) بقوله : ((حديثي حديث أبي ، وحديث أبي حديث جدي ، وحديث جدي حديث الحسين ، وحديث الحسين حديث الحسن ، وحديث الحسن حديث امير المؤمنين ، وحديث امير المؤمنين حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحديث رسول الله قول الله عزوجل))^(٧) .

(١) ينظر: دراسة حول نهج البلاغة ٨-٩ .

(٢) ينظر: شرح الكيبري ١/٥٤-٥٦ وما هو نهج البلاغة ١٣ ودراسة حول نهج البلاغة ١٢٦ .

(٣) عبقرية الشريف الرضي ١/١٢٥ .

(٤) ينظر: دراسة حول نهج البلاغة ٣٦-٣٨ .

(٥) الشريف الرضي (محمد عبد الغني) ٣٠ .

(٦) الذريعة ١٤/١-٥ .

(٧) أصول الكافي ١/٤١ ، وينظر: مصادر نهج البلاغة ١/١١٠ .

وأكثر من عني بمصادر نهج البلاغة وأسانيده هو عبد الزهراء الخطيب الذي وثق نسبة النهج الى الإمام علي (ع) معتمدا على اربعة انواع من المصادر :

الأول : مصادر ألفت قبل سنة ٤٠٠ هـ وهي سنة ظهور النهج الى المملأ ولا تزال تلك الكتب موجودة الى اليوم .

الثاني: مصادر الفت قبل صدور النهج ، ولكنها لم تصل الينا وكثير منها مبعوث في كتب اخرى وصلت الينا . **الثالث :** كتب الفت بعد الرضيّ دونت كلام امير المؤمنين (ع) باسناد متصل لم يمر على الرضيّ ولا على كتابه. **الاخير :** كتب صدرت بعد الرضيّ ونقلت كلام الإمام (ع) بصورة تختلف عما ورد في النهج ولم نشر اليه البتة .

وقد احصى عبد الزهراء الخطيب من المصادر في القسمين الاول والثاني مئة واربعة عشر مصدرا ترتيبها ترتيبا الفبائيا^(١) اما المصادر والروايات التي صرح الرضيّ بذكرها فبلغ مجموعها خمسة عشر مصدرا ورواية^(٢) . وقد تبين لعبد الزهراء الخطيب ان الشريف الرضيّ لم يكن هو السابق الى جمع كلام امير المؤمنين ولا السابق الى تدوينه ، اذ عني الناس به عناية بالغة قبل الرضيّ ، فدونوه في عصر الإمام (ع) ، وحفظوه في ايامه ، وكتبوه ساعة القائه . ودلل عبد الزهراء الخطيب على ذلك بذكره اثنين وعشرين مصدرا قبل الرضيّ كلها مختصة بخطب امير المؤمنين ورسائله وحكمه^(٣) . ثم عضد ذلك باربعة وعشرين مصدرا جمعت كلام امير المؤمنين (ع) بعد الرضيّ^(٤) . ومن هنا انبرى مناصرو النهج للشبهات التي أثرت حوله بالرد والتخطئة فأما شبهة الرضيّ أو المرتضى فقد ردت بأنّ كلاً من الشريف الرضيّ والمرتضى كانا ينتسبان الى السيد ابراهيم المرتضى ابن الإمام موسى الكاظم (ع) ، فكان الأخوان كلاهما يلقبان بلقب جدّهما (المرتضى) ثم وقع اللبس بين لقب الابن (الرضيّ) ولقب جدّه (المرتضى) ، ولم يزعم احد ان الشريف المرتضى جمع النهج او شارك في جمعه. ورأى هبة الدين الشهرستاني ان الشريف الرضيّ كان يلقب بالمرتضى احيانا ، كما ان اخاه كان يلقب بذلك ، ثم بقي اخوه على هذا اللقب ، ولقب الاول بالرضيّ يوم رضوه نقيبا ، وكل من الرضيّ والمرتضى لقبان يتصرف بهما في كثير من المواقف وليس اسمين ثابتين لهما^(٥) .

وقد وثق الشريف الرضيّ جمعه للنهج في اكثر من موضع من كتبه ، اذ ذكر ذلك في حقائق التاويل والمجازات النبوية^(٦) وغير ذلك .

(١) ينظر: مصادر نهج البلاغة وأسانيده ٢٩١/١-٤١

(٢) ينظر: نفسه ٤١/١-٤٢

(٣) ينظر: نفسه ٥١/١-٦٦

(٤) ينظر: نفسه ٦٦/١-٨٦

(٥) ينظر: ماهو نهج البلاغة ١٨ والمدخل إلى علوم نهج البلاغة ٢٣٩

(٦) ينظر: حقائق التاويل ٢٨٧/١ ، ١٦٧/٥ والمجازات النبوية ٤٠ ، ٦٧ ، ١٩٩ ، ٢٥١ .

وأما شبهة الخطب الطويلة وتعذر روايتها فقد ردت بان رواية الخطب الطويلة وحفظها امر متيسر لا متعذر على أرباب الفصاحة والبيان والذوق الادبي الرفيع ، وليست بأعجب من رواية المعلقات السبع والقصائد الاخرى التي عرفت بالطوال ، فضلا عن ان العناية بالحفظ والكتابة كانت في زمن الراشدين اهم واعظم ممن قبلهم . وقد عرف بين

الصحابة من كان يحفظ المطولات لأول مرة من سماعها كابن عباس وغيره ، والنيل من نهج البلاغة بدعوى ان العرب لم يعرفوا الخطب الطوال ما هو الا قول باهت لا يقوم على دليل ، وبأباه العقل والنقل ، فاما العقل فيؤكد لنا ان الخطيب يتكلم بما يملئ عليه الجمهور والموقف ، وربما قصر وربما طول ، وأما النقل فأقر خطبا كثيرة وصفت بالطويلة ذكرتها كتب اللغة بعضها اطول من خطب امير المؤمنين (ع)^(١) . وربما شعر الرضي بفتور همة الناس - في زمانه - عن حفظ المطولات من الخطب والرسائل ، فعمد الى تقطيع بعض الخطب الطويلة في النهج الى عدة اجزاء ، كخطبة (الوسيلة) التي اوردها العلماء تامة لكن الرضي اوردها في اجزاء مستقلة في باب الحكم والمواعظ للتسهيل على الحفاظ والمتلقين^(٢) . اما اتهام الرضي بانتحال النهج والكذب على جده امير المؤمنين (ع) فمن الاعتساف أن يقال مثل هذا في الرضي وهو من هو في الأمانة والصدق والتقوى والورع . ومن درس سيرة الرضي وادرك حقيقته عرف انه على جانب كبير من الصلاح والتقوى ، وهو بعيد عن الكذب والانتحال والتقول . وخلص السيد القبانجي الى ((انه اذا ثبت ان كل ما في نهج البلاغة للإمام علي فهو معجزة ادبية ، واذا اراد النافون ان ينفوه عنه وينسبوه الى جامع الكتاب فتكون معجزة الإمام اعظم اذ يستطيع حبه ان يملئ على محبيه ان يأتوا بمثل هذه الدرر الغوالي))^(٣) ويمكن عد شرح النهج من أبرز المناصرين له فقد انبرى الجميع لرد الشبهات التي أثارها المشككون لا سيما تلك التي تشكك ببلاغة الكتاب وتقده بفصاحته وسيأتي تفصيل ذلك في المبحث الثاني من الفصل الأول.

(١) ينظر: ماهو نهج البلاغة ٥٢-٥٣ والمدخل إلى علوم نهج البلاغة ٢٤٠-٢٤١

(٢) ينظر: المدخل إلى علوم نهج البلاغة ١٣

(٣) صوت الإمام علي ٤٦/١

الفصل الاول

شّراح نهج البلاغة عبر القرون .

- المبحث الأول : الشّراح وشروحهم / تعريف ووصف .
- المبحث الثاني : الشّراح وطرق العناية بمتن النهج .
- المبحث الثالث : شدّاح النهج وعلم الدلالة .

المبحث الأول

الشّراح وشروحهم / تعريف ووصف

أقبل ذوو الصنعة عبر القرون الى نهج البلاغة بين حافظ وناسخ ومترجم الى غير العربية ومجاز من المشايخ لتدريسه وروايته وقد توالى شروحهم له وتعليقاتهم عليه ، واخذت تلك الجهود بالاتساع حقبة بعد اخرى . إذ استحوذ نهج البلاغة على جانب واسع من الجهد العلمي الانساني قديما وحديثا فنجد المعنيين به من قوميات شتى كالعرب والفرس والهنود والأتراك والاوزيك سواء كانوا مسلمين على اختلاف مذاهبهم ام غير مسلمين . وقد عني جمع غفير من علماء العربية بسرد اسماء شراح النهج وشروحهم المعروفة أو المفقودة . كما فعل المحدث حسين بن محمد النوري (١٩٢٠هـ)^(١) ، والسيد محسن بن عبد الكريم الامين العاملي (١٩٥٢هـ)^(٢) ، والمحدث اغابزرك الطهراني (١٩٧٠هـ)^(٣) والشيخ العلامة عبد الحسين بن احمد الاميني (١٩٧١هـ)^(٤) . وجمع السيد عبد الزهراء الخطيب معظم ما ألف في نهج البلاغة في مبحث نافع عنوانه (مكتبة نهج البلاغة)^(٥) قسمه على قسمين رئيسين : الاول خصصه بشروح النهج ، فجمع منها مئة وشرحا واحدا ، رتبها ترتيبا زمنيا ، والقسم الثاني عرض فيه ما ألف في النهج من ترجمات ونظم ومصادر واستدراكات واشعار ودفاع عنه وتأليف على نسقه . وجمع من هذه المؤلفات ثلاثة وثلاثين مؤلفا . لكن الزمن أتى على كثير من مكتبة نهج البلاغة ففقد كثير من الشروح وبقيت أسماؤها مدونة في كتب الفهارس والرجال فضلا عن ورود نتف منها في ما وصل إلينا من الشروح المطبوعة . وفي ما يأتي أسماء الشراح من أصحاب الشروح المطبوعة بالعربية ، مرتبين بحسب الزمن مع وصف واف لشروحهم المتداولة التي قام عليها هذا البحث :

(١) ينظر: مستدرك الوسائل ٥١٣/٣

(٢) ينظر: اعيان الشيعة ٢٦٧/٤١

(٣) ينظر: الذريعة ١٦٠-١١١/١٤

(٤) ينظر: الغدير ١٩٣-١٨٣/٤

(٥) ينظر: مصادر نهج البلاغة ٢٧٣-٢٠٠/١

١- ظهير الدين أبو الحسن علي بن أبي القاسم زيد بن محمد البيهقي المعروف بفريد خراسان المتوفى ٥٦٦ سنة هـ (رحمه الله)^(١) وشرحه بعنوان: **معارج نهج البلاغة** ، حققه محمد تقي دانش ، وعنيت بطبعه مكتبة اية الله المرعشي سنة ١٤٠٩ هـ ، لكن المحقق كتب تقديمًا للكتاب باللغة الفارسية ناف على السبعين صفحة لم يفد البحث منه في تعرف حياة الشارح ومنهجه في الشرح ، وعلى الرغم من ذلك تفصح مقدمة الشارح نفسه عن ذكره اسمه وكنيته ولقبه ونسبه الذي

ينتهي إلى الصحابي الجليل خزيمة بن ثابت الانصاري (ذي الشهادتين)^(٢) ثم ذكر سنده إلى الشريف الرضي فقال في أول شرحه « قرأت كتاب نهج البلاغة على الإمام الزاهد الحسن بن يعقوب بن حمد القاري، وهو وابوه في فلك الادب قرمان ، وفي حدائق الورع ثمران ، في شهور سنة ست عشرة وخمسة ، وخطه شاهد لي بذلك والكتاب سماع له عن الشيخ جعفر الدوريسي المحدث الفقيه والكتاب بأسره سماع لي عن والدي الإمام أبي القاسم زيد بن محمد البيهقي ، وله اجازة عن الشيخ جعفر الدوريسي ، وخط الشيخ جعفر شاهد عدل بذلك ، وبعض الكتاب سماع لي عن رجال لي رحمة الله عليهم ، والرواية الصحيحة في هذا الكتاب رواية الى الاغر محمد بن همام البغدادي تلميذ الرضي ، وكان عالما باخبار امير المؤمنين (ع) »^(٣).

والمعارج شرح صغير مطبوع في مجلد واحد من (٤٦٨) صفحة وليس فيه حضور واسع لعلوم العربية وتتبع أهميته من كونه أقدم الشروح المتداولة الآن ، وقد صرح البيهقي بسبقه إلى شرح النهج فقال : « ولم يشرح قبلي من الفضلاء السابقين هذا الكتاب بسبب موانع منها : من كان متبحرا في علم الأصول كان قاصرا في علم اللغة والأمثال ومن كان كاملا فيهما ، كان غافلا عن أصول الطب والحكمة وعلوم الأخلاق ومن كان كاملا في جميع هذه العلوم والآداب ، كان قاصرا في التواريخ وأيام العرب ، ومن كان كاملا في جميع ذلك كان غير معتقد لنسبة هذا الكلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام ومن حصلت لديه هذه الأسباب لم يفز بنخائر كنزه الدقيق . وأنا المتقدم في شرح هذا الكتاب فمن أراد الزيادة على ذلك فليزد إن استطاع مثل مُخْرَبِقٍ لِيَنْبَغَ »^(٤) وكذا نسب اليه فريق من المؤرخين انه اول من شرح النهج^(٥) . ويبدو أنه مسبوق بشراح آخر نقل عنه الشراح اللاحقون كالراوندي والبرحاني واسمه محمد بن أحمد الوبيري وهو من علماء القرن الخامس^(٦).

حرر البيهقي شرحه في أخريات عمره فقال : « فرغت من كتابة هذا الشرح وإتمامه واخراج أنواره من أكمامه

(١) تنظر ترجمته في الذريعة ١١٣/١ والغدير ١٨٧/٤ ومستدرک الوسائل ٣/٣٦٣ .

(٢) ينظر: البيهقي ٢ (٣) نفسه ٢-٣ .

(٤) نفسه ٣ ، ومخرنبق لينباع مثل للعرب في من يسكت لداهية يريدها ، فالمخرنبق : الساكت ، ولينباع : ليثب .

ينظر: المستقصى ١٦٢/٢ وفصل المقال ١٦٨/١

(٥) ينظر: الذريعة ١٣٧/١٤ ومصادر نهج البلاغة ٢٠٥-٢٠٧ .

(٦) ينظر: الذريعة ١١٥/١٤ ، ومصادر نهج البلاغة ٢٠٤/١ ودراسة حول النهج ١٣٢ .

في الثالث عشر من جمادى الأولى سنة اثنتين وخمسين وخمسة^(١) . وكانت وفاة البيهقي سنة ٥٥٦ هـ أي بعد إتمامه الشرح بأربعة أعوام . أهدى البيهقي شرحه هذا إلى « خزانة كتب الصدر الأجل السيد العالم عماد الدولة والدين جلال الاسلام والمسلمين ملك النقباء في العالمين أبي الحسن علي بن محمد بن يحيى بن هبة الله الحسيني ... »^(٢) .

ومنهج الشارح يقوم على الانتقاء والاختيار لطائفة من التراكيب والعبارات دونما استقصاء لمتن النهج كله ثم يرقم اختياراته بأرقام متسلسلة وصل بها إلى (٢٢٢١) اختيارا وفي كل مرة يعلق بما اختاره شرحا موجزا متضمنا نتفا من علوم شتى . وقال في ختم شرحه يصف ما أودعه فيه من العلوم : «أوردت في هذا الشرح من العلوم : علم الفقه وعلم أصول الفقه وعلم غرائب الأخبار وعلوم التواريخ وعلوم الاشارة والأيام للعرب وعلوم نواذر اللغة وعلوم الكلام وعلوم الطب وعلوم الهيئة والحساب وعلوم الأخلاق وعلوم الموازين : موازين النحو وغيره وعلوم أمثال العرب وعلوم مقامات الأولياء ...»^(٣)

٢- قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي المتوفى سنة ٥٧٣هـ في قم (رحمه الله)^(٤). شرحه بعنوان : **منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة** ، حققه عبد اللطيف الكوهكمري ، وعينت بطبعه مكتبة اية الله المرعشي النجفي في ثلاثة اجزاء عام ١٤٠٦ هـ . نُسب اليه تسمحا انه اول من شرح النهج^(٥) . سمع الراوندي « بعض العلماء بالحجاز يقول : اني وجدت بمصر مجموعا من كلام علي (ع) في نيف وعشرين مجلدا في جميع فنونه »^(٦). وذكر طريقه الى النهج رواية ، فصرح بأنه تلقى النهج عن الشيخ عبد الرحيم البغدادي الذي نقله عن طائفة من المشايخ ينتهي آخرهم إلى الفاضلة السيدة بنت السيد الشريف المرتضى عن عمها الشريف الرضي . وله طريق اخر الى النهج عن السيد المرتضى والمجتبى ابني الحسين الحلبي عن أبي جعفر الدورستاني عن الشريف الرضي^(٧). تقوم طريقته في الشرح على إيراد الكلمات والتراكيب ثم شرحها وكثيرا ما يقول في مبتدأ شرحه : « قال عليه السلام في خطبة اخرى ». وأغفل شرح بعض الخطب والوصايا والحكم فجاء شرحه انتقائيا أيضا وربما يكون سبب الانتقاء هو اعتقاده بظهور المعنى لديه في بعض الخطب فيقول بعد شرحه جزءا من الكلام : « ما سواه ظاهر » .

(١) البيهقي ٤

(٢) نفسه ٤

(٣) نفسه ٤٦٨

(٤) تنظر ترجمته في : الغدير ٣٨٠/٥ ومعجم رجال الحديث للخوئي ٩٣/٨ وروضات الجنات ٣٠٢ وأعيان لشيعه ٧/ ٢٣٩ والذريعة ٥٥/٣ ومستدر الوسائل ٣٦٣/٣ والراوندي ١/٥٠-٦٦ .

(٥) ينظر :المعتزلي ٥/١ ومستدرك الوسائل ٣٦٣/٣ والكنى واللقاب ٣/٢٣ .

(٦) الراوندي ١/٥٩ ينظر : الراوندي ٣/٢١٩ .

أثار شرح الراوندي حركة من الجدل والنقاش بين الشراح اللاحقين وهم بشأنه بين مؤيد ومنكر فأما المعتزلي فقد شنع عليه كثيرا على الرغم من أنه كان ينقل منه باللفظ أو المعنى في مواضع كثيرة جدا يدركها القارئ ببسر . وأما الشراح اللاحقون فقد انتصروا له من المعتزلي لا سيما الشارحان البحراني والخوئي .

٣- قطب الدين ابو الحسين محمد بن الحسين الكيدريّ ، نسبة الى كيدر وهي قرية من قرى بيهق في نيسابور ، من علماء القرن السادس الهجري (رحمه الله)^(١) وشرحه على نهج البلاغة بعنوان : **حدائق الحقائق في فسر دقائق أفصح الخلائق** ، حققه عزيز الله العطاردي ، ونشره بجزأين في طهران سنة ١٣٧٥ هـ. فرغ من شرحه سنة ٥٧٦ هـ صدر شرحه بتقديم ذكر فيه أقسام البلاغة وخلص إلى أن نهج البلاغة هو « الغاية في بلاغة البلغاء ، والنهاية في فصاحة الفصحاء »^(٢). وشرحه جمع لأقوال البيهقيّ صاحب المعارج والراونديّ صاحب منهاج البراعة وقد صرح بهذا في مقدمته فقال : « عن لي ان اشرح في شرح هذا الكتاب مستمدا - بعد توفيق الله - من كتابي المعراج والمنهاج غائصا على درهما كافلا بإيراد فوائد على ما فيهما وزوائد لا كزيادة الاديم بل كما زيد في العقد من الدرّ اليتيم ... »^(٣) فضلا عن ذلك فاق الكيدريّ الشّراح جميعا في النقل عن الوبريّ ذي الشرح المفقود^(٤) . ولم يستسلم للشروح الثلاثة قبله التي نقل منها كثيرا بل زاد فيها وعلق بها واستدرك عليها على وفق ما صرح في قوله المذكور آنفا. ولم يشرح الكيدريّ النهج شرحا تاما بل جزأه إلى جمل صغيرة وكلمات مفردة وضعها بين قوسين أثناء شرحه وكان في الغالب يصدر شرحه بإيراد بضع كلمات من مقدمة الخطبة ومن ختمها ثم يشرح النص تاما ولا يراعي تسلسل عباراته .

وكان الكيدريّ قد « جمع شعر أمير المؤمنين مرتين : مرة اقتصر فيه على الآداب والحكم سماه الحديقة الأنيقة . ومرة أخرى جمع كل شعره وسماه أنوار العقول من شعر وصي الرسول توجد نسخة منه في دار الكتب المصرية »^(٥). وقد أحال الكيدريّ إلى هذين الكتابين في شرحه النهج وكذا أحال الى كتاب نحوي له اسمه الدرر في النحو^(٦) . وصرح بأنه وقف على شرح خاص بالخطبة المقصدة المعروفة بالشقشقية أملاه السيد الشريف المرتضى أخو الشريف الرضيّ فأورده تاما في حدائقه^(٧) .

(١) ينظر: الغدير ١٣/٦ وأعيان الشيعة ٣١٧/٧ ومصادر نهج البلاغة ٢٠٩/١ والكيدريّ ٥٨/١-٦٢ .

(٢) الكيدريّ ٨٦/١

(٣) نفسه ٨٧/١

(٤) ينظر: نفسه ١١٣/١ و ٣٠٨/١ و ٤١٢/٢

(٥) مصادر نهج البلاغة ١٥٧/٤ .

(٦) ينظر: الكيدريّ ١٩٨/٢ و ٥٩٨/١ .

(٧) ينظر: الكيدريّ ١٥٩/١-١٦٤ .

٤- عز الدين عبد الحميد بن محمد بن أبي الحديد المعتزليّ المدائنيّ البغداديّ المتوفّي سنة ٦٥٦ هـ (رحمه الله)^(١) شرحه بعنوان : **شرح نهج البلاغة** ، طبع مرارا آخرها في عشرين جزءا وهي اجزاء الكتاب حسب تجزئة مؤلفه. وقد وهم المعتزليّ لما قال : « لم يشرح نهج البلاغة قبلي فيما اعلم الا واحد وهو سعيد بن هبة الله الحسن الفقيه المعروف بالقطب الراونديّ ، وهو من فقهاء الإمامية »^(٢) فقد سبقت الإشارة إلى سبق الوبريّ والبيهقيّ والراونديّ والكيدريّ

المعتزليّ إلى شرح النهج. وقد شرع المعتزليّ في تأليف شرحه في غرة رجب سنة أربع وأربعين وستمئة وأتمه في سلخ صفر من سنة تسع وأربعين وستمئة ففضى أربع سنين وثمانية أشهر في تأليفه وكان يقول في هذه المدة : هي مقدار مدة خلافة أميرالمؤمنين^(٣). وأهدى شرحه إلى خزانة الوزير أبي طالب محمد بن احمد بن علي العلقمي عام ٦٥٦ هـ وزير المستعصم اخر خلفاء بني العباس^(٤).

جهر المعتزليّ في عدة مواضع بإعجابه الشديد بالإمام عليّ (ع) وفصاحته وليس أدل على ذلك من قوله في شرح كتاب للإمام (ع) إلى عبد الله بن عباس (رض) بعد مقتل محمد بن أبي بكر (رض) : « أنظر إلى الفصاحة كيف تعطي هذا الرجل قيادها ، وتملكه زمامها ، واعجب لهذه الألفاظ المنصوبة يتلو بعضها بعضا كيف تواتيه وتطاوعه ، سلسة سهلة تتدفق من غير تعسف ولا تكلف ... »^(٥). وشرح المعتزليّ من أشهر الشروح وأكثرها انتشارا ، واغزرها مادة ، وأكثرها فائدة ، نقل عبد الزهراء الخطيب عن بعض اساتذته قوله : « لقد قرأت شرح ابن أبي الحديد عدة مرات من فاتحته الى خاتمته ، وكلما اعدت مراجعته اجد فيه ما كآني لم أقرأه ولم اعرج عليه »^(٦).

وشرح المعتزليّ من أفضل المراجع لدراسة الملاحم الدامية في تاريخ الاسلام كالجمل وصفين والنهروان وقد حاول فيه الاعتذار لخصوم علي (ع) من الصحابة فبرع في هذا الاعتذار واجاد ، فقال بعضهم : « لو اوقف خصوم امير المؤمنين (ع) بين يدي الله ما استطاعوا ان يعتذروا عن انفسهم كما اعتذر عنهم ابن أبي الحديد »^(٧). والكتاب مصباح كاشف لعقيدة الاعتزال في الجدل والكلام والعقائد وخلق القرآن. ومن هنا طبع شرح المعتزليّ بطابع أدبي تاريخي وصرح هو بذلك قائلا « إن كتابنا هذا كتاب أدب لا كتاب نظر »^(٨).

التزم المعتزليّ في شرحه أن يقسم الكلام فصولا ، فيشرح كلمات كل فصل شرحا مشتملا على « الغريب والمعاني وعلم البيان وما عساه يشنبه ويشكل من الإعراب والتصريف »^(٩) ثم يورد « ما يطابقه من النظائر والأشباه

(١) ينظر: البداية والنهاية ١٣/١٩٨ - ١٩٩ وروضات الجنات ٤٠٨-٤٠٩ وفوات الوفيات ١/٥١٩-٥٢٢ والمعتزليّ ١/١٣-٢٠ .

(٢) المعتزليّ ١/٥ . (٣) ينظر: نفسه ٢٠/٣٤٩ .

(٤) ينظر : نفسه ٣/٤-١٤٥ . (٥) المعتزليّ ١٦/١٤٥ .

(٦) مصادر نهج البلاغة ١/٢١٣ . (٧) نفسه ١/٢١٣ .

(٨) المعتزليّ ٧/١٩٨ . (٩) نفسه ١/٤ .

نثرا ونظما»^(١) وكثيرا ما يستطرد إلى ذكر «ما يتضمنه من السير والوقائع والأحداث»^(٢) وينبه على ما ينطوي عليه كل فصل من دقائق علم التوحيد والعدل ويلوح إلى ما يستدعي الشرح ذكره من الأنساب والأمثال والنكت ويرصعه بما يشاء من المواعظ والزواجر والحكم والآداب .

وعلى الرغم من اعجاب الناس على اختلاف مشاربهم بهذا الشرح ظهر فيهم من يطعن به ويشنّع على صاحبه ، فرماه فريق من علماء الإمامية بالعناد والوهم والخطأ في عدة مواضع ، والف فريق منهم في الطعن عليه لا سيما في

المسائل العقديّة وأبرز عنوان في هذا الجانب هو **سلاسل الحديد في تقييد ابن أبي الحديد** للشيخ يوسف بن أحمد آل عصفور البحراني (١١٨٦هـ)^(٢) عرض فيه بالرد لكثير من عقائد المعتزلة وآرائهم في الخلافة والإمامة والوصية وغيرها من المسائل التي يفسرها المعتزلة غير ما ورد لدى الإمامية . واما الاشاعة فطعن فريق منهم عليه تفضيله عليا (٤) على الصحابة جميعا ، وبرز الطاعنين هو محمود الملاح في كتاب له سماه (تشریح شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد)، والكتاب ليس طعنا في المعتزليّ وحده بل هو مليء بالطعن على الإمام علي (٤) وانصاره وانكار فضائله ومناقبه ، ولم يسلم من طعن الملاح علماء المسلمين كاحمد بن حنبل والنسائي وابن قتيبة والزمخشري ومحمد عبده ومحمد محيي الدين عبد الحميد واحمد زكي شيخ العروبة وغيرهم . وقد رد بعض الباحثين على (تشریح الملاح) ، ومنهم الاديب الشاعر عبد الحسين السماوي في كتاب سماه **مبضع الجراح في تشریح الملاح**^(٤) . ويأتي شرح المعتزليّ في الترتيب الثاني من حيث الطول بعد شرح الخوئي .

٥- كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني المتوفى سنة ٦٧٩هـ (رحمه الله)^(٥) وشرحه الكبير مطبوع بعنوان : شرح **نهج البلاغة** ، وله ثلاثة شروح على نهج البلاغة أهمها شرحه الكبير الذي طبع مرارا اخرها بخمسة مجلدات في بيروت وهو كتاب مشحون بدقائق الحكمة والفلسفة والفقّه ، دعاه الى تأليفه علاء الدين الجويني حاكم بغداد سنة ٦٦١هـ^(٦) . وله شرح متوسط بعنوان مصباح السالكين حققه الدكتور محمد صادق الاميني في عام ١٣٦٦هـ ، وله شرح صغير هو تلخيص للشرح الكبير بإشارة من الحاكم علاء الدين لولديه ، وله أيضا كتاب منهاج العارفين شرح فيه المئة المختارة التي جمعها الجاحظ من كلام امير المؤمنين (٤) فيحسن القول : إن البحراني أوسع العلماء - قدماء ومحدثين - تأليفا في النهج . ويبدو البحراني في شرحه من الفلاسفة والفقهاء والمتكلمين كما في مقدمته الاصولية وقد نعت بعض الشراح المتأخرين بالمتكلم والفيلسوف^(٧) .

(١) المعتزلي ٤/١ . (٢) نفسه ٤/١ .

(٣) طبع في مملكة البحر ين عام ٢٠٠٧ بتحقيق محمد علي آل مكباس .

(٤) طبع في النجف سنة ١٣٧٦ .

(٥) ينظر ترجمته في : مستدرک الوسائل ٧٥/٥ والذريعة ١٥٩/٤ ولؤلؤة البحر ين ٢٢٦

وروضات الجنات ٤١٣-٤١٤ والغدير ١٨٩/٤ ومصادر نهج البلاغة ٢٢٣/١-٢٢٦ والبحراني ٨/١-١٨ .

(٦) ينظر: البحراني ٢١/١ . (٧) ينظر : الخوئي ٦/١ .

عرض في مقدمته الى ذكر بعض الشّراح قبله ، ثم وصف شرحه بالقول: « الناقد المسدد للصواب يميز القشر من اللباب والسراب من الشراب »^(١) . ثم طوّل في مقدمته بشرح مباحث الالفاظ^(٢) من حيث تقسيم اللفظ ودلالته على معناه ، وذكر مباحث الاشتقاق والترادف والمشتراك وحد البلاغة والفصاحة ، والمحاسن العائدة الى اللفظ ، والمحاسن العائدة الى الكلمات ، واقسام المحاسن الكلامية ، وأحكام المبتدأ والخبر ، والحقيقة والمجاز ، والتشبيه واقسامه ومراتبه ، والاستعارة وانواعها ، والنظم واقامته ، وحسن التعليل ، والتقديم والتاخير ، والفصل والوصل ،

والحذف والاضمار ، وحقيقة الخطابة وفائدتها ومبادئها واقسامها وتحسيناتها ، ومناقب علي بن أبي طالب وفضائله ، ثم شرح بالشرح واوله شرح خطبة الرضوي مكتفيا بذكر نسبه . وانتصر البحراني في شرحه للراوندي من المعتزلي في معظم المواضع التي خطأه فيها^(٣) ويبدو أنه لم يذكر المعتزلي إلا في موضع الرد والتخطئة فلم يحفل بشرحه على الرغم من أنه نقل منه في كثير من المواضع^(٤).

٦- علي بن ناصر الحسيني السرخسي المتوفى في القرن السابع (رحمه الله)^(٥) وشرحه بعنوان : اعلام نهج البلاغة، طبع عدة مرات أولها في طهران عام ١٣٦٦ هـ وهو شرح صغير لم يجاوز ثلاثمئة صفحة.

أما طريقته في الشرح فكان ينتقي من الخطبة مقطعا معينا فيشرحه شرحا لغويا خالصا متضمنا مباحث في الاشتقاق ومعاني الكلمات فجاء شرحه في الغالب ذا طابع لغوي فكانه معجم للألفاظ وكثيرا ما يمزج علوم العربية بعضها مع بعضها بلا فصل وهو شرح قائم على الانتقاء والاختيار فلم يذكر شرحا لكثير من الخطب والرسائل والحكم.

٧- الشيخ محمد عبده بن حسن خير الله المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ (رحمه الله) ، من علماء الازهر ومفتي الديار المصرية في زمانه^(٦)، وشرحه بعنوان : شرح نهج البلاغة ، إذ حاز نهج البلاغة على إعجابه فانبرى له بالإيضاح والتعليق فجاء شرحه في الغالب تعليقات لغوية وتاريخية على جميع الكتاب ادرجت في ذيل صفحات النهج وطبعت في حياته. وقد وصف عبده شرحه بأنه طراز لنهج البلاغة وليس شرحا في عداد الشروح^(٧) ، ثم طبع شرح عبده عدة مرات أولها في سنة ١٨٨٥م في بيروت مع زيادات عليه من تلامذته ، ومنهم :

أ - محيي الدين الخياط زاد عليه منتخبات من شرح المعتزلي ، وطبعه في ثلاثة اجزاء .

(١) البحراني ٢٣ / ١

(٢) ينظر: نفسه ١ / ٢٣-١٢٠

(٣) ينظر: نفسه ٦١/٢ ، ٢٧٤/٣

(٤) ينظر على سبيل المثال : المعتزلي ٢٦٣/٧ والبحراني ١٠٥/٣ .

(٥) تنظر ترجمته في : مصادر نهج البلاغة ٢٠٣/١ والسرخسي ١٦٦-١٨ .

(٦) ينظر: دراسة حول النهج ١٦٦ ومصادر نهج البلاغة ٢٤٧/١-٢٤٨ وعبده ١٢/١-١٤ .

(٧) ينظر: عبده ٤/١ .

ب - محمد محيي الدين عبد الحميد المدرس بكلية اللغة العربية في جامعة الازهر قدم له ، وطبعه بالقاهرة

ج - عبد العزيز سيد الاهل ، زاد عليه تعليقات من شرح ابن ميثم ، وطبعه في اربعة اجزاء.

وفي تقديمه للشرح حث محمد عبده الشيببي المصرية والعربية على مطالعة الكتاب والتمعن فيه واستجابة لحث عبده هذا قررت وزارة المعارف المصرية آنذاك تدريس نهج البلاغة في جميع مدارس مصر بشرح عبده بعد أن رأت ((أن الكتاب حاو جميع ما يمكن أن يعرض للكاتب والخطاب من أغراض الكلام ؛ فقد تعرض للمدح وللعذل الأدبي وللتغريب في الفضائل والتنفير عن الرذائل وللمحاورات السياسية والمخاضات الجدلية ولبيان حقوق الراعي على الرعية

وحقوق الرعية على الراعي وأتى على الكلام في أصول المدنية وقواعد العدالة وفي النصائح الشخصية والمواظب العمومية . وعلى الجملة فلا يطلب الطالب طلباً إلا ويرى فيه فضلها ولا تخالج فكره رغبة إلا وجد فيه أكملها»^(١) .

٨- السيد حبيب الله بن السيد محمد المعروف بأمين الرعايا الموسوي الخوئي ولد في بلدة خوى في دولة أذربيجان حالياً وتوفي في طهران سنة ١٣٢٤ هـ (رحمه الله)^(٢)، له شرح واسع للنهج سماه : **منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة** ، وهو تكرر لعنوان شرح الراوندي ، وصل فيه الى منتصف الخطبة (٢٢٨) فتوفي قبل إتمامه ثم طبع عام ١٣٦٥ هـ في سبعة اجزاء واخرى عام ١٣٧٧ هـ في أربعة عشر جزءا بعناية السيد ابراهيم الميانجي الذي أتم شرح الخطبة (٢٢٨) إلى آخرها وألحقها بالشرح في ختم الجزء الرابع عشر . ثم قصرت همة الميانجي عن شرح ما لم يشرحه الخوئي من النهج فنهض بهذا العمل نجم الدين حسن زادة الآملي وشرح الباقي من خطب الإمام ووصاياه ، فزاد ستة اجزاء أخرى على الشرح ليبلغ العشرين ، ثم زاد محمد باقر الكمري جزءا واحدا هو الحادي والعشرون خصصه بشرح الحكم فتم الكتاب وطبع في واحد وعشرين جزءا في طهران عام ١٤٠٠ هـ . وشرح الخوئي من اوسع شروح النهج وقد نقل عبد الزهراء الخطيب عن المرجع الاعلى ابي القاسم الخوئي (١٤١٣هـ) - رحمه الله - عن أبيه انه أدرك صاحب الشرح في أواخر ايامه ونقل عنه سبب تأليف الكتاب ما هذا نصه « إن السيد محمد - والد الشارح - المعروف بأمين الرعايا كان من ذوي الجاه والثراء وكان يملك أراض واسعة فوق نزع بينه وبين رجل على أرض وطلب ذلك الرجل من أمين الرعايا أن يكون الحكم بينهما ولده السيد حبيب صاحب الشرح المذكور وكان السيد حبيب يومئذ من أكابر العلماء وأفاضلهم وله منزلة ومكانة بين الناس فترافعا إليه فتنصل من الحكم بينهما لأن والده طرف بالقضية فأصر عليه فحكم الرجل على أبيه فغضب لذلك وجعل يقوم في مجالس الناس وحشودهم فيصف ولده بالعقوق وقلة التدبير حتى أسقط من أعين الناس وقل احترامهم له وأعرضوا عنه فقرر السيد أن يذهب إلى ضيعة له وأن يعتزل الناس

(١) ديباجة شرح عبده ١٠

(٢) تنظر ترجمته في: الذريعة ١٥٧/١٤ ومصادر نهج البلاغة ٢٤٩/١-٢٥٠ والخوئي ١-١/١-ز .

كلية فاعتزل هناك واشتغل بتأليف الشرح المذكور حتى وافاه الأجل قبل إتمامه»^(١) . لكن الخوئي - الشارح - لم يذكر شيئا عن تلك الحادثة وإنما ألمح إلى أن باعته إلى شرح النهج هو أنه لم يجد له شرحا يليق به فعزم « على تهذيب شرح يذلل صعابه للطالبيين ويرفع حجابهم للراغبين مسفرا عن وجوه فرائده النقاب مفصلا بين اللغة والترجمة والإعراب»^(٢) .

صدر الخوئي شرحه بديباجة جاءت من (٢٦١) صفحة ، أورد فيها شيئا من مناقب علي (ع) واعتد فيها بعمل الرضي ، ووصف النهج بـ « انه كتاب شرع المناسك للناسك ، وشرح المسالك للسالك ، وهو خلاص المتورطين في الهلكات ، ومناص المتحيرين في الفلوات ، ملاذ كل بائس فقير ، ومعاذ كل خائف مستجير ، مدينة المآرب ، وغنية الطالب ؛ لان ما اودع فيه كلام عليه مسحة من الكلام الالهي وفيه عبقرة من الكلام النبوي ، ظاهره انيق وباطنه عميق

... ومع ذلك قد احتوى من حقايق البلاغة ودقائق الفصاحة ما لا يبلغ قعره الفكر...»^(٣) ثم وصف الشروح قبله وذكر منها شرح القطب الراوندي الذي لم يظفر به وإنما اعتمد على ما حكاه الشارح المعتزلي عنه في تضاعيف شرحه^(٤). وذكر - أيضا - شرح المعتزلي الذي وصفه بأنه «ابسط الشروح الا انه عند الناقد البصير والمتتبع الخبير جسد بلا روح ؛ لانه قد اتى فيه بما قويت فيه منته ، وترك ما لا معرفة له به مما قصرت عنه همته حيث اكتفى بتفسير غرائب الالفاظ وما زعمه مشكلا من النحو والتصريف والاشتقاق ونحوهما مما يدور على القشر دون اللباب ، واظن بذكر القصص والحكايات وايراد الامثال والانساب والمناسبات ونحوها مما ليس له كثير فائدة في شرح الكتاب ولا له ثمرة عند اولي الالباب، وانما هي وظيفة اصحاب التواريخ والسير لا اهل الدرايات والاثر . ومع ذلك فليته يقنع بذلك ولم يجتر بعد على الله ولم يؤول بمقتضى رايه الفاسد ونظره الكاسد ظواهر كلام ولي الله...»^(٥) ثم ذكر شرح « الشيخ الفقيه الحكيم المتكلم ميثم بن علي بن ميثم البحراني ... وهو احسن الشروح خال من الحشو والزوائد ، منظم بدرر الفوائد الا انه (قدس سره) لما كان عمدة فنه المطالب الحكمة والمسائل الكلامية سلك في الشرح مسلك اهل العقول وفاته فوائد المنقول...»^(٦). ثم طول ديباجته ببحث تقسيم اللفظ بالنسبة الى المعنى وفي الحقيقة والمجاز والمشارك والتشبيه والاستعارة والكناية والمحسنات البديعية ، قال في ختمها : « اوردت نيفا وستين نوعا من انواع البديع واستخرجت امثلتها من كلام الإمام عليه السلام»^(٧). اعقب ذلك بذكره جملة من مكارم اخلاق امير المؤمنين من ميلاده واسمه ونسبه والقابه وكناه ووصف شكله.

(١) مصادر نهج البلاغة ٢٥٠

(٢) الخوئي ٦/١ .

(٣) نفسه ١/ ٤ .

(٤) ينظر: نفسه ٥/١ .

(٥) نفسه ٥/١-٦ .

(٦) نفسه ٦/١

(٧) نفسه ٢١٥/١

ثم ذكر نسب الشريف الرضي ثم ما قيل في مدح نهج البلاغة شعرا. وقد أعاد الخوئي ما قاله البحراني وكرره مع كثير من الزيادات من الآثار والروايات. وطريقة الخوئي في الشرح تقوم على نقل متن النهج اولا ثم إعرابه فشرحه شرحا مفصلا ، ثم يختم بترجمته الى الفارسية .

أما الأملي الذي زاد على شرح الخوئي ستة أجزاء فقد صدر إتمامه بالثناء على الخوئي ثم قال : «لما بلغ رحمه الله إلى الخطبة المئتين والتاسعة والعشرين انقطع مهله وانقضى أجله وقضى نحبه وجف قلمه فبقي هذا الأثر القويم أبتى فعزمت متوكلا على الله المتعال ومستعينا به لإتمامه على النهج المذكور لكي يكون تكملة له وتاماما فكتابنا هذا (تكملة منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة)»^(١) .

ويقف (منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة) اليوم في صدارة شروح النهج من حيث الطول فهو من هذا الجانب ضعف شرح المعتزلي وربما يكون توالي الجهود على هذا الشرح سببا لاتساعه وتطويله ، إذ تعاقب على إنجازه أربعة من العلماء هم: الخوئي الذي شرح الخطب إلى منتصف الخطبة (٢٢٨) فالميانجي الذي أتم شرح الخطبة (٢٢٨) فالأملي الذي شرح الباقي من الخطب والباب الثاني من النهج وهو الرسائل والوصايا فالكمري الذي شرح الباب الثالث من النهج وهو الحكم والمواعظ .

١٠ - الشيخ محمد جواد مغنية المتوفى سنة ١٤٠٠ هـ (رحمه الله) ، وشرحه بعنوان : **في ظلال نهج البلاغة/ محاولة لفهم جديد** ، طبع في لبنان في اربعة اجزاء ، ثم في ستة أجزاء بعناية سامي الغريزي في عام ٢٠٠٥ م .
نبه في مقدمته للشرح على حبه للتأليف على الرغم من تقدم عمره ، ورأى ان التأليف لا خير فيه ان لم يكن فيه منفعة الناس وهدايتهم ، فان لم يكن كذلك فقد ود مغنية « لو كان شهيدا او طريدا او سجيناً او جريحاً ولو بنقطة دم في سبيل الله بدل الاربعين كتاباً بما فيها موسوعة : (فقه الإمام) و (التفسير الكاشف) و(شرح النهج) ان قدر له التمام»^(٢).
وقال في المقدمة أيضا : «ترتيبي في هذا الشرح كترتيب التفسير الكاشف ابتدئ بفقرة للغة ، وثانية للإعراب ، ثم شرح المعنى وتفسيره جملة فجملة على طريقة القدامى في تفسير القران واقفا على ظاهر الكلام بلا استطراد وحشو فقرات»^(٣) ونبه في شرحه على الخطب المنبرية التي تشرأب إليها أعناق خطباء الجمعة فارشدهم الى ما يعينهم في ذلك من خطب الإمام (ع) فقال : « واذا استقل المنبري ما ذكرت لهذه الغاية ، فان الكلمة الحية تنتقل بالفكر الموهوب الى العديد من الاجواء»^(٤). وقد قسم الخطب الطويلة الى فقرات مرقمة لتسهيل الرجوع الى ألفاظ الخطبة في الشرح .

(١) الخوئي ٤/١٥

(٢) مغنية ٥٧/١

(٣) نفسه ٥٧/١

(٤) نفسه ٥٧/١

وذكر اختلافه عن الشواح القدماء بالجدة ومراعاة العصر قائلا : «رفضت من القديم ما يجب رفضه في هذا العصر ولا ينقص من الدين شيئا ، وقبلت منه ما يتفق مع كل عصر وأوضحته وأحكمته ومنه تطلعت وانطلقت إلى ما تقبله كل النفوس وتقره كل العقول في هذا العصر وكل عصر ونصوص الإسلام ما عدا العقيدة والعبادة بحاجة إلى هذه الرؤية المعاصرة»^(١).

١١ - الشيخ محمد تقي بن كاظم بن الشيخ محمد علي التستري المولود في النجف عام ١٣٢٠ هـ المتوفى في بلدة آبائه تستر في إيران سنة ١٤١٥ هـ (رحمه الله)^(٢). له شرح بعنوان : **بَهج الصِّيَاغَةِ في شرح نهج البلاغة** مطبوع في أربعة عشر جزءا. لكن المطبوع أظهر عنوان الشرح بلفظ (بَهج الصَّبَاغَةِ) بدلا من (الصياغة) مع أن المؤلف ألمح في مقدمته إلى أنه يريد الصياغة لا الصباغة إذ قال « لكون شرحي على صوغ بهج على ما من الله تعالى سميته بهج الصياغة

في شرح نهج البلاغة^(٣) فصرح بذكر المصدر الآخر (صوغ) وهو بمعنى المصدر (الصياغة) الدال على الحرفة ، ثم إن معنى التركيب (بِهَج الصياغة) مألوف بين أسماء الكتب وهو بمعنى: (حسن الصنعة) ولا أجد معنى للتركيب (بهج الصباغة) .

لقد جاء البهج شرحا على وفق المنهج الموضوعي إذ ضم ستين فصلا لكل فصل اسم خاص به ، وكل فصل يشتمل على عنوانات جانبية مستتبطة من نصوص النهج المتفرقة ، ثم تنتظم هذه العنوانات لتؤلف الفصل الجامع ، واول الفصول هو (في التوحيد) الذي يضم على (٥٣) عنوانا ، واخرها هو فصل (في موضوعات مختلفة) وفيه (١٠٤) عنوانا . وشرحه يبدأ باقتطاع كلمات أو فقرات متتالية يضعها بين قوسين فيأتي باللغة أول الأمر ثم يستطرد لسرد الوقائع التاريخية والقصص الأدبية. واقتصر «في شرح الفقرات من الإعراب واللغة والتفسير على المشكلات التي تحتاج إلى ذلك لا في كل فقرة كما فعله بعضهم لكونه لغوا»^(٤) وكثيرا ما يذكر سند الخطبة وروايتها وسبب قولها وشأن إيرادها ثم يوردها مقطعا بعد آخر فيشرح مفرداتها ويعرب تراكيبها ويشير إلى اختلاف الروايات في كلماتها ويعرض لأقوال الشراح السابقين في ذلك إن رام التخطئة والرد ولما يورد قولاً لهم ليحتفي به وكثيرا ما يعضد شرحه بشواهد قرآنية وشعرية ونقل من المعجم العربي وأئمة اللغة . وشرحه زاخر بسير السابقين وقصصهم وأحاديثهم وأخبارهم . وعلى العموم يمتاز التستري من سابقيه برأي مستقل ، وفكر خاص في معظم مسأله ومن هنا جاء شرحه مشحونا بالرد والتخطئة لمعظم الشراح قبله بدءا من مقدمته وانتهاء بخاتمته ، ولم يسلم منه حتى الرضي جامع النهج . وفي ردود التستري على الشراح قبله ما يستحق ان يكون مؤلفا كبيرا . وتتبع أهميته من أنه شرح موضوعي يعنى بالمعاني والموضوعات لا بالألفاظ والعبارات فيجمع الأشتات المتفرقة في فصل واحد ثم يحللها ويقارب بينها بغية فهم رأي الامام (ع) فهما دقيقا فيها .

(١) مغنية ٦٨-٦٩ (٢) تنظر ترجمته في : دراسة حول النهج ١٧٢ .

(٣) التستري ٤٢/١ (٤) نفسه ٢٧/١ .

١٢ - الأستاذ الدكتور ابراهيم أحمد راشد السامرائي المتوفى سنة ٢٠٠٤م^(١) (رحمه الله) ، له كتاب : (مع نهج البلاغة /دراسة ومعجم) مطبوع في عمان عام ١٩٨٧م في ٣٨٩ صفحة . استهل كتابه بتقديم وقف فيه عند شرحي المعتزلي وعبد ، فنقل فقرات من مقدمتي الشرحين تفصح عن اعجاب الشارحين بالنهج ثم عرض لآراء المشككين بالنهج ذكرا ابن خلكان انموذجا من القدماء ، والزيات انموذجا من المحدثين ، ومال الى رد كثير من الشبهات على وفق ما سيأتي . ولم ير السامرائي قيمة كبيرة لما ذهب اليه المعاصرون ومنهم جرجي زيدان ومحمد كرد علي والزيات في إنكارهم أن يكون الكتاب مما لا تصح نسبته إلى الإمام (ع) بعد الذي عرفه من اثبات المتقدمين للنهج^(٢) واعتمد على وحدة الاسلوب في تصحيح نسبة الكتاب الى الإمام (ع) ، قال : « استطيع ان اقول ان الكتاب ينتظمه اسلوب واحد يشتمل

على عناية باللفظ مسوق في ابنية فصيحة تصل الى المراد بطريقة فنية من استعمال وغيره مما تعين عليه العربية وتسمح به مقدرة سمحة»^(٣)

وأما دراسته للنهج فجاءت على هيئة معجم لالفاظ النهج رتبت مواده ترتيبا الفبائيا بحسب الحرفين الاول والثاني وكان يورد عبارة النهج التي تضطم على اللفظة ثم يعلق بها دراسة موجزة . والمعجم مؤلف من (٢٧) فصلا ، كل منها يحتوي على مواد لالفاظ منتخبة من متن النهج . وعلى الرغم من صغر الكتاب إذا ما قيس بالمطولات من الشروح جاء زاخرا بمسائل اللغة التي أفاد منها البحث كثيرا لاسيما في معاني الأبنية والتطور الدلالي . وينماز كتاب السامرائي هذا بتلمس أثر نهج البلاغة في اللهجات العربية الحاضرة وأقوال المنشئين المعاصرين^(٤) .

١٣ - آية الله العظمى السيد محمد بن المهدي الشيرازي ، له : **توضيح نهج البلاغة** ، مطبوع في قم عام ١٤١٠هـ بأربعة أجزاء فرغ من تأليفه عام ١٣٨٥هـ عندما كان مقيما في مدينة كربلاء .

قدم لشرحه بحث الشباب المسلم على التقرب من ((علوم الإسلام الخمسة ، وهي: أصول الدين ، التفسير ، الأخلاق ، تاريخ الإسلام ، فقه الأحاديث . والتقرب إلى هذه العلوم لا يمكن إلا بالعلم باللغة العربية فإن هذه اللغة مفتاح فهمها))^(٥) ، ثم قال : ((إذا دققنا في كتاب نهج البلاغة للإمام المرتضى أمير المؤمنين عليه الاف التحية والثناء الذي جمعه الشريف الأجل السيد الرضي (قدس الله تربته) رأينا أن الأمور الستة مجتمعة فيه إجمالا وتفصيلا ، بسطا أو تحريضا ، فإنه يشرح أصول العقائد من توحيد ورسالة ومعاد وإمامة شرحا ويحث إلى القرآن حثا ويلمح إلى الأخلاق الفاضلة تلميحا ويشير إلى تاريخ الإسلام إلماعا وكله حديث بالإضافة إلى أنه سنام اللغة ومنتجعها ومنبثها ومرعاها))^(٦) .

(١) ينظر في ترجمته : ابراهيم السامرائي وجهوده اللغوية ٦ - ٢٣ .

(٢) ينظر : السامرائي ٣١ . (٣) نفسه ٢٦ .

(٤) ينظر : ٧٠ و ١١٣ و ١٧٥ . (٥) الشيرازي ٧/١ .

(٦) نفسه ٨/١

طريقته في التوضيح تقوم على تقطيع الخطبة الواحدة على عدة مقاطع كل مقطع يوضح فكرة معينة ثم يعيد تقطيع المقاطع إلى كلمات وتراكيب يبثها بين أثناء شرحه ليحيطها بالتوضيح والبيان وعلى العموم جاء توضيحه موجزا يشتمل على تبيهاات لغوية من نحو الفروق اللغوية ومعاني الأبنية ومباحث في الاشتقاق . وقد احتوى توضيحه على استطرادات كثيرة ذكر فيها أحوال الناس المعاصرين من ساسة متجبرين وشعوب محرومة مبتلاة بفقر وتخلف وفتور همة ورأى أن النهضة الإسلامية تكمن في العودة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية ونهج البلاغة . وانماز شرحه مما سبقه بإفادته من معطيات العلم الحديث .

١٤ - آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي صاحب تفسير الأمثل ، وشرحه للنهج بعنوان : **نفحات الولاية / شرح عصري جامع لنهج البلاغة** . بدأ به من سجنه في عهد الشاه بقم سنة ١٩٦٣م بمساعدة مجموعة من الفضلاء

ثم طبع الكتاب في خمسة أجزاء عام ١٤٢٤هـ ووصل في الشرح إلى الخطبة ١٥٠ ومازالت أجزاء الكتاب الأخرى مخطوطة أو قيد التأليف. وهو شرح موضوعي ذو طابع عصري زاخر بالعلوم التطبيقية والإنسانية وكثير من عنواناته الجانبية كانت أسئلة جوابها مستتبط من متن النهج فنجد فيه : هل يصطلح بالعارف على الله؟ كيف كان السجود لآدم؟ ما كانت جنة آدم؟ هل اقترف آدم المعصية؟ ما حقيقة الشجرة المحظورة؟ ونحو هذا^(١).

قال في مقدمته يصف النهج : «إنه كتاب المعاني الروحية والعدالة الإجتماعية والتربية الرسالية والقيم الخلقية والأدلة والكمال والنقاء ونباض بكل مفيد وسديد ورشيد ورافض لكل ألوان الشرور والفجور والغرور ومهما استجدت من أفكار وآراء ونظريات واكتشافات خلال هذه القرون المتطاولة فلا تزيده إلا تسديدا وتأييدا وتخليدا ولا يزداد المفكرون والباحثون نحوه إلا انسجاما واحتراما»^(٢) ورأى أن «العصر الحاضر يجعل نهج البلاغة يتطلب جهودا أكثر وأنشطة أوسع وأشمل من شأنها التوصل إلى الطرق والأساليب التي تذلل الصعاب المادية والمعنوية والفردية والاجتماعية إلى جانب التصدي إلى النزعات الفكرية الهدامة التي تستهدف الدين والأخلاق»^(٣) فعقد العزم على أن يؤلف « شرحا جديدا جامعا لهذا الكتاب من شأنه تلبية حاجات العصر ووضع الحلول الوافية الشافية للمعضلات الفكرية والاجتماعية»^(٤). ألف شرحه بعد أن فرغ من تفسيره المعروف بالأمثل فجاء جهده هذا أقرب إلى الدين والشرع منه إلى اللغة والأدب فقلت الافادة منه في هذه الاطروحة .

(١) ينظر: نفحات الولاية ١/٧٤ و١٢٢ و١٣٢ و١٣٣ و١٣٥ .

(٢) نفسه ٥/١ .

(٣) نفسه ٧/١ .

(٤) نفسه ٨/١ .

١٥- السيد أبو علي عباس علي الموسوي الملقب بالخطيب ، من علماء لبنان له : شرح نهج البلاغة ، مطبوع في لبنان عام ١٤١٨هـ في خمسة أجزاء وكان قد فرغ منه عام ١٤١٣هـ إذ قال في ختم شرحه القسم الثاني من النهج يذكر اسمه ولقبه وكنيته : «تم شرح كتب الإمام ورسائله الكريمة بيد العبد الفقير إلى الله عباس علي الموسوي أبو علي الملقب بالخطيب في ضواحي بيروت... وذلك في ٢٣ من شهر جمادي الأولى من سنة ١٤١٣ هجرية الموافق ١٧ تشرين الثاني من سنة ١٩٩٢م»^(١).

وطريقته في الشرح تقوم على ذكر الخطبة كلها او بعضها تحت عنوان المتن ، ثم شرح المعنى اللغوي للكلمات الغامضة تحت عنوان (اللغة) ، ثم يشرع في شرح الكلام تحت عنوان (المعنى) . ويغلب على الشرح سير الصحابة وأخبار غزوات الرسول (ﷺ) مع شيء من التفسير والفقہ .

١٦- الأستاذان علي أنصاريان ومرتضى حاج علي ، لهما شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار للعلامة المجلسي . قام الأستاذان باستخراج أقوال المجلسي في شرح عبارات النهج التي أوردها في كتابه بحار الأنوار ونظماً تلك الأقوال وزادا عليها كثيرا من شرحي المعتزلي والبحراني فبلغ ما استخراجاه ثلاثة اجزاء طبعت في طهران عام ١٤٠٨هـ . كانا يبدآن بوضع فقرات من متن النهج بين معقوفتين ثم استخراج شرح المجلسي لها ورفدها بما قاله المعتزلي والبحراني ، ثم يعلقان بالجميع رأيهما . وفي الغالب أظهرتا في تعليقاتهما ودا ورضا للشارحين قبلهما، فلم يبادرا إلى التخطئة والرد وإذا ما أبديا اعتراضهما عليهما أبدياه متبعين أسلوب الاحتمال أو تعدد الوجوه في المسألة الواحدة .

١٧- الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم له (شرح نهج البلاغة) طبع في بيروت عام ١٤١٦هـ في مجلدين وقد أفاد الشارح من تحقيقه شرح المعتزلي ليعيد متن النهج محققا وعليه تعليقات وإيضاحات على غرار ما فعله الشيخ محمد عبده وفي الغالب كانت تلك التعليقات مقتطفة من شرح المعتزلي وقد ذكر في مقدمته أن شروح النهج تنوف على الخمسين ، واستحسن منها شرح المعتزلي^(٢) . وشرح أبي الفضل انتقائي لطائفة من أقوال النهج فلم يذكر شرحا لكثير من خطب النهج وورسائله وحكمه .

١٨- الأستاذ صبحي الصالح له تعليقات وإيضاحات على متن النهج الذي حققه وطبعه طبعة دقيقة قريبة إلى تناول الناس أجمعين . وقد اعتمد البحث على هذه الطبعة في توثيق متن النهج .

وثمة شرح قيم لشارح مجهول بدا لناشره انه من اعلام القرن الثامن الهجري ، عنوانه : مصباح السالكين الى نهج البلاغة من كلام امير المؤمنين ، طبع في طهران ١٩٥٨م .

وفضلا عن ذلك ثمة شراح آخرون لهم شروح على النهج ما زالت مخطوطة أو في دور الطبع فلم يفد البحث منها في عرض مادته ، واهمها :

(١) الموسوي ٢٠٢/٥ ينظر: أبو الفضل ٨/١ .

- شرح نهج البلاغة للعلامة الحلبي (٧٢٦هـ) منه نسخة مخطوطة في مكتبات بعض العلماء في طهران رآها محمد حسين الجلاي^(١) .

- يحيى بن حمزة الزيدي العلوي صاحب الطراز المتضمن لاسرار البلاغة (٧٤٩هـ) توجد نسخة من شرحه في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء^(٢)

- كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن ابراهيم الحلبي (٧٨٠هـ) من شرحه نسخة مخطوطة في خزانة مكتبة امير المؤمنين علي (ع) في النجف^(٣)

- السيد افصح الدين محمد بن حبيب الله بن احمد الحسيني ، من شرحه نسخة في مكتبة السيد علي الهمداني الخاصة في النجف^(٤)

- قوام الدين يوسف بن حسن الشهير بقاضي بغداد (٩٩٦هـ) من شرحه نسخة في مكتبة احمد الثالث بتونس^(٥) .

- فخر الدين عبد الله بن المؤيد بالله (هـ ١٠٨٠هـ) ، من شرحه نسخة في مكتبة المجلسي بطهران^(٦) .
- السلطان بن محمود بن غلام علي (هـ ١٠٨١هـ) ، من شرحه نسخة في مكتبة السيد المرعشي^(٧) .
- محمد باقر اللاهيجي (هـ ١٢٢٦هـ) ، من شرحه نسخة في مكتبة نواب بمشهد^(٨) .
وثمة علماء علقوا بمتن نهج البلاغة -بعد أن أعادوا طبعه بعنايتهم - تعليقات نحوها فيها منحي تعليمياً فلم تفد هذه الدراسة منها ومن هؤلاء :

- نظام الدين الجيلاني (هـ ١٣٠٧هـ) ، له : أنوار الفصاحة في شرح نهج البلاغة في القاهرة ١٣١٣هـ^(٩) .
- محمد حسن نائل المرصفي (هـ ١٣٢٨هـ) ، طبع تعليقاته على النهج في مصر ١٣٢٥هـ^(١٠) .
- محمد كاظم بن الحسين الخراساني (هـ ١٣٢٩هـ) ، طبع شرحه في بيروت ١٣٣١هـ^(١١) .
- الشيخ محمد حسن القبيسي ، له : بيان القناعة في شرح نهج البلاغة في بيروت عام ١٤٠٠هـ^(١٢) .

(١) ينظر : دراسة حول النهج ١٤٢ .

(٢) ينظر: الذريعة ١٥٢/١٤ ودراسة حول النهج ١٤٣ ومصادر نهج البلاغة ٢٢٧/١ والطراز ١١٨/١ و١٦٦، و٢٥٢/٢ .

(٣) ينظر: دراسة حول النهج ١٤٤ . (٤) ينظر: نفسه ١٤٧ . (٥) ينظر: نفسه ١٥١ .

(٦) ينظر: الذريعة ١٣٤/١٤ ودراسة حول النهج ١٥٦ .

(٧) ينظر : دراسة حول النهج ١٥٦-١٥٧ .

(٨) ينظر: نفسه ١٦٢ .

(٩) ينظر: نفسه ١٦٥ .

(١٠) ينظر : نفسه ١٦٧ .

(١١) ينظر: مصادر نهج البلاغة ٢٥٤/١ .

(١٢) ينظر: دراسة حول النهج ١٦٧ .

المبحث الثاني

الشّراح وطرق العناية بمتن النهج .

صرح معظم الشّراح تبعاً للمصّف بأن باعثهم إلى الإبّال على النهج ومن ثمّ شرحه هو إيمانهم المطلق بأن كلام الإمام علي (ع) فوق كلام المخلوقين ودون كلام الخالق^(١) إذ نقل المعتزليّ مذهب اصحابه في كلام الإمام عليّ (ع) فقال : « واعلم اننا لا يتخالجنا الشك في أنه عليه السلام أفصح من كل ناطق بلغة العرب من الأولين والآخرين إلا من كلام الله سبحانه وتعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وآله »^(٢) . وقال محمد عبده : « وليس في أهل هذه اللغة الا قائل بان كلام الإمام عليّ بن أبي طالب هو اشرف الكلام وأبلغه بعد كلام الله تعالى وكلام نبيه صلّى الله عليه وسلم وأغزره مادة ، وأرفعه اسلوبا ، وأجمعه لجلائل المعاني »^(٣) . ومن هنا أقبل الشّراح على نهج البلاغة يوثقون

منته ويقارون بين نسخه ويتلمسون أسانيده ويشيرون إلى مصادره قبل الرضيّ وبعده ويستدركون على الرضيّ ما فاته منه ويقومون عمل الرضيّ في جمع النهج من حيث تقطيع الخطب وانتقاء أجزاء منها ويحققون روايات النهج ويذكرون مناسبة إلقاء الخطب والوصايا فضلا عن ذكر أسماء الخطب على اختلافها ثم يدرؤون الشبهات والشكوك التي حامت حول النهج . ولكثرة طرق الشّراح في العناية بمتن النهج ارتأيت تقسيمها على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الشّراح وجامع النهج .

١- منزلة الرضيّ لدى الشّراح .

حاز عمل الرضيّ على ثناء الشّراح واعجابهم فأوفوا الرجل وكتابه حقهما من الثناء ، إذ جهر الشّراح بعلو منزلة الرضيّ بين علماء العربية وفضله على طلابها بجمعه هذا السفر الجليل الذي « يتضمن من عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربية وثواقب الكلم الدينية والدينيوية ما لا يوجد مجتمعا في كلام ولا مجموع الأطراف في كتاب إذ كان أمير المؤمنين مشرع الفصاحة وموردها ومنشأ البلاغة ومولدها ومنه عليه السلام ظهر مكنونها وعنه أخذت قوانينها وعلى أمثله هذا كل قائل وخطيب وبكلامه استعان كل واعظ وبلغ ومع ذلك فقد سبق وقصروا وقد تقدم وتأخروا لأن كلامه عليه السلام الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي وفيه عبقة من الكلام النبوي»^(٤).

والرضيّ لدى الشّراح منزّه عن الانتحال والكذب على جدّه لأنه « علوي زاهد ارتقى من الصيانة مرعاة لا يرقاها إلا ذو حظ عظيم ونال من الزهد والعلم مزية لا ينالها إلا ذو خيم كريم هل يجوز مثله من ديانته أن يزيد في كلام

(١) ينظر: نهج البلاغة ١١ والبيهقيّ ٣ والرواندي ٤/١ والكيدري ٦٨/١ والمعتزليّ ٤/١ والبحراني ٢٠/١ والخوئي ٢٦٩/١ .

(٢) المعتزليّ ٢٧٨-٢٧٩ .

(٣) عبده ٦/١

(٤) نهج البلاغة ١٠-١١

أبيه على حسب ما يشتهي وينسب إليه ما لم يكن إليه منسوبا ويحتقّب بذلك إثما كبيرا وحوبا هيهات هيهات قال الله تعالى (إِنَّ مَا يُفْتَرِي الْكُفْبُ الْأَيْنِ لَا يُؤْمِنُونَ) وحاشا لمثله أن يكون بالافتراء موصوفا»^(١).

ولم يكتف الشّراح بالتمسك بتقوى الرضيّ وورعه في درء شبهة انتحال الرضيّ النهج بل عضدوها بحجة أقوى منها وهي أن أسلوب الرضيّ معروف في رسائله وكتبه وهو أسلوب لا يرقى إلى أسلوب الإمام علي (ع) وقد نقل المعتزليّ عن بعض شيوخه أنه سئل عن شبهة انتحال الرضيّ النهج فقال : « أنى للرضيّ ولغير الرضيّ هذا النفس وهذا الأسلوب ! قد وقفنا على رسائل الرضيّ وعرفنا طريقته وفنه في الكلام المنثور»^(٢).

وقد تمسك المشككون في النهج ببعض الخطب التي نسبت في المصادر القديمة الى آخرين ، كقطري بن الفجاءة الخارجي ، وابن المقفع ، ومعاوية ، وغيرهم . وزعموا أن الرضيّ انتحلها ونسبها إلى الإمام عليّ (ع) ورد الشّراح هذه الشبهة بان الشريف الرضيّ لم يكن جامعا فقط ، بل كان جامعا ومحققا ، فلم يعلن عن نسبة الخطب الى امير

المؤمنين الا بعد تمحيص وتدقيق ووزن كلام الإمام (ع) بعضه على بعض ، وتتبع سند الخطبة ، ودراسة متنها واستقصاء مصادرها المعتمدة واما وجود بعض الخطب منسوبة إلى غير الإمام (ع) في بعض المصادر فوهم بين او انتحال مفضوح^(٣).

أما تعدد الروايات في اللفظة الواحدة او العبارة الواحدة فسمة مميزة في نهج البلاغة تشهد بان النهج للإمام علي (ع) ، اذ لو كان النهج من وضع الرضي لما وجدنا فيه الان هذا الكم الهائل من الروايات المتعددة المتباينة التي يحتاج جمعها والمقابلة بينها كتابا كبيرا كالذي عنوانه (تمام نهج البلاغة) وهذا دليل على ان ما جاء في نهج البلاغة هو جزء مما قاله الإمام (ع) لا كله.

٢ - الاستدراك على الرضي

على الرغم من احتفاء الشراح بعمل الرضي هذا سبب كل منهم ملاحظه في تقويم عمل الرضي إذ بلغت عناية الشراح بمتن النهج انهم لم يكتفوا بما جمعه الشريف الرضي في (نهج البلاغة) من خطب ووصايا وحكم ، فزادوا على الخطبة نقلا عن الكتب التي ذكرتها قبل الرضي وفي هذا الاستدراك فاق الشارحان : المعتزلي والبحراني أقرانهما في إتمام ما أغلفه الرضي وزيادة ما حذفه كما في قول المعتزلي معلقا بإحدى الخطب : « هذه الخطبة طويلة ، وقد حذف الرضي - رحمه الله تعالى - منها كثيرا ومن جملتها: اما والذي فلق الحبة ...»^(٤) . وقوله ايضا : « ... هذا كلام متصل بكلام لم يحكه الرضي رحمه الله وهو ذكر قوم من أهل الضلال...»^(٥) . وقول البحراني يصف إحدى وصاياه (ع) : « رويت هذه الوصية بروايات مختلفة بالزيادة والنقصان ، وقد حذف السيد منها

(١) البيهقي ١٣ والآية هي النحل ١٠٥ .

(٣) ينظر: التستري ١٤٦/٨ - ١٤٧ .

(٢) المعتزلي ٢٠٥/١

(٥) نفسه ١٦٥/٩

(٤) المعتزلي ٣٨٢/٦

فصولا ونوردها برواية يغلب على الظن صدقها...»^(١) . وذكر البحراني - أيضا - تمام خطبة الإمام (ع) في ذكر يوم القيامة وأحوال الناس المقبلة ، وهي طويلة استدرك فيها على الرضي أضعاف ما ذكره^(٢).

وقد صرح الشراح بان الرضي كثيرا ما يورد في الخطبة الواحدة جزءا ليس منها ، وقد تبين لهم ان هذا شائع لدى الرضي وهو كالعادة لديه، فكانوا يتمنون لو اتى الرضي بالخطب كاملة في النهج لا أن يلتقط بعضها دون بعضها الاخر^(٣) . إذ قال المعتزلي يصف بعض الخطب : « هذا الفصل ليس بمنظم من اوله الى اخره ، بل هو فصول متفرقة التقطها الرضي من خطبة طويلة على عادته في التقاط ما يستفصحه من كلامه عليه السلام وان كان كل كلامه فصيحاً»^(٤) ، على حين تلمس البحراني لبعض من أمثلة الاقتطاع في خطب النهج وجوها اخرى تبرئ الرضي من الإهمال والتقصير في تبويب الخطب ، من ذلك ان الرضي اورد قوله (ع) في ذكر الملاحم : (... ذاك حيث

تسكرون من غير شراب بل من التعمية والتعميم ، وتلغون من غير اضطرار ، وتكذبون من غير إخراج ، ذاك إذا

عَضُّكَ الْبَلَاءُ كَمَا يَعْضُّ الْقَبُّ غَارِبَ الْبَعِيرِ . ما أطولَ هذا العناء ، وأبعدَ هذا الرجاء! (٥) ، ولما وقف البحراني على هذا قال : ((وقوله : ما أطولَ هذا العناء وأبعدَ هذا الرجاء ، كلام منقطع عما قبله هو عادة الرضي - رضي الله عنه - في التقاط الفصول وإحاقها بعضها ببعض)) (٦) . ثم ارفد قائلاً : ((ويحتمل ان يكون الكلام متصلاً ، ويكون قوله : ما اطولَ هذا العناء ، كلاماً مستأنفاً في معنى التوبيخ لهم على اعراضهم عنه واقبالهم على الدنيا ، واتعابهم انفسهم في طلبها ...)) (٧) .

وكان الرضي قد نبه في تقديمه للنهج على ان ما فاته الكثير فترك له اوراقاً من البياض في ختم كل باب ليستدرك ما ندد عنه ولم يدركه فقال : ((ومفصلاً فيه اوراقاً لتكون لاستدراك ما عساه يشذ عني عاجلاً ويقع لي أجلاً)) (٨) . وقال في اخر النهج يصف تلك الأوراق البيض : ((قر العزم - كما شرطنا اولاً - على تفضيل اوراق من البياض في آخر كل باب من الأبواب ليكون لاقتناص الشارد واستلحاق الوارد ...)) (٩) .

وقد سغّر المعتزلي عمل الرضي في تقطيع الخطبة الواحدة الى فصول مفرقة او اشتمال الفصل الواحد على قسمين مختلفين احدهما غير مختلط بالآخر ولا مسوق عليه ، بان الرضي كان ((يلتقط كلام امير المؤمنين - عليه السلام - التقاطاً ، ولا يقف مع الكلام المتوالي ؛ لان غرضه ذكر فصاحته - عليه السلام - لا غير ، ولو اتى بخطبه كلها

(١) البحراني ٣٥٧/٤

(٢) ينظر : نفسه ٣ / ١٤٥ - ١٤٧ .

(٣) ينظر : المعتزلي ١٨٨/٧ ، ١٠٠/١٣ ، والبحراني ٤ / ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٣ ، والخوئي ٧٢/١٨ .

(٤) المعتزلي ٢٨٨/٨ .

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ١٨٧ : ص ٣٤٨ .

(٦) البحراني ١٦٩/٤ .

(٧) نفسه ١٦٩/٤ .

(٨) نهج البلاغة ١٢ .

(٩) نفسه ٦٩٧ .

على وجهها لكانت اضعاف كتابه الذي جمعه)) (١٠) . ولذا استدرك الشارح المعتزلي على القسم الثالث ، وهو (الحكم) حكماً لم ترد في النهج ، وصفها بالالف المختارة ، وقال في مقدمة ما استدركه منها : ((ونحن الان ذاكرون ما لم يذكره الرضي مما نسبه قوم اليه عليه السلام ، فبعضه مشهور عنه عليه السلام ، وبعضه ليس بذلك المشهور ولكنه قد روي عنه وعزي اليه ...)) (١١) .

وبسبب هذا الانتقال الانتقائي في عمل الرضي نجد تبايناً واضحاً في ترتيب الخطب والوصايا والحكم بين شرح وآخر ، فالخطبة ذات الرقم المعين في شرح ما نجدها برقم سابق او لاحق في شرح آخر ، وبرقم آخر في شرح ثالث ، وقد زاد التفاوت في ترتيب الحكم عنه في الخطب والوصايا انطلاقاً من عمل الرضي نفسه ، فقد ذكر من الحكم ٢٦٠ حكمة ، ثم تلاها بباب الغريب من اقوال الامام (ع) ، فعد منها تسعاً ، ثم استأنف الحكم واكملها ليصل بها الى ٤٨٠ حكمة .

ونبه الشراح المحدثون الذين تهياً لهم النظر في نسخ النهج كلها على شيء من الزيادات والاختلافات وقعت بين النسخ بسبب المحشين الذين علقوا بهامش المتن جملاً وتراكيب زائدة بغية التفسير والايضاح ، ثم اختلطت هذه الزيادات بالمتن بسبب تسمّح النساخ اللاحقين . يتّضح هذا في قول التستري : ((ولا هو أهلٌ ما فوّض الله ، هكذا في المصرية ، وهذه الجملة ليست موجودة في ابن ميثم والخطية ، واما وجودها في نسخة ابن أبي الحديد فالظاهر كونها من زيادات المحشين ...))^(٣)

وفي العصر الحديث ظهرت كتب عنيت بمستدركات نهج البلاغة على مر العصور أهمها :

١- مستدرک نهج البلاغة الموسوم بمصباح البلاغة للسيد حسن ميرجهاني الطباطبائي ، طبع في طهران ١٣٨٨ هـ في مجلدين .

٢- مستدرک نهج البلاغة لكاشف الغطاء ، نشر في بيروت ١٤٠٤ هـ .

٣- نهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة للشيخ باقر المحمودي ، طبع في النجف في سبعة اجزاء سنة ١٣٨٥ هـ

٤- نهج البلاغة الثاني (ما لم يذكر في نهج البلاغة) للشيخ جعفر الحائري ، طبع بقم ١٤١٠ هـ .

٥- تمام نهج البلاغة مما أورده الشريف الرضي عن أثر مولانا الإمام أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب (ع) ، للسيد صادق الموسوي وفيه أعاد المؤلف متن النهج محققاً تحقيقاً غاية في الضبط والتميم والتنسيق واعتمد على ما يقرب من ثمانمئة مصدر رجع إليها في إتمام متن النهج ، ورتبها ترتيباً ألفبائياً في فهرس جامع عنوانه فهرس مصادر نهج البلاغة ، وقد أفاد المؤلف من المخطوطات الكثيرة التي ظهرت للملأ في النجف الأشرف بعد سقوط النظام^(٤) . ثم طبع الكتاب في بيروت عام ١٤٢٦ هـ في ثمانية اجزاء .

(١) المعتزلي: ١٥٣/٣ . (٢) نفسه: ٢١٥/٢٠ .

(٣) التستري ٣١٧/٧ . (٤) ينظر: تمام نهج البلاغة ٢٤١/١ .

وهو عمل كبير ظهر الى الملأ بعد عشرين عاماً من البحث والتنقيب كشف المؤلف فيه ما حذفه الرضي من متن النهج ، فاعاده الى اصله موثقاً من مصادره^(١) .

وما زالت رحلة الاستدراك على نهج البلاغة قائمة لدى علماء العربية المعاصرين من غير اصحاب الشروح المعروفة ، إذ ألف عليّ النجدي واخرون كتاب (سجع الحمام في حكم الإمام) ، قال في مقدمته : ((بقي كثير من كلامه (ع) متفرقا في كثير من كتب الادب والتاريخ لا يقل روعة ونفاسة وصدقا وبلاغة عما ورد في هذه الكتب ، على ان كثيرا مما جاء فيها يعوزه الضبط والشرح ، ويشيع فيه التحريف والابهام ، فرأينا ان نجتمع شتات هذه الحكم في عقد يضم ما تقرق ونختار ما رجح عندنا انه من كلام الإمام ومن منبع إلهامه وشرعة بيانه))^(٢) .

وكان الرضي قد علق بمتن النهج تعليقات وايضاحات شرح بها بعضا من مفردات النهج أوغريبه فكانت تلك التعليقات محطّ عناية الشراح وقبولهم . وفي الغالب الأعم انطلق الشراح من تلك التعليقات في شرحهم متن النهج

وانماز المعتزليّ منهم بإظهاره طائفة من الردود والاستدراكات على تلك التعليقات من ذلك أن الرضيّ أورد خطبة للامام (ع) عند المسير الى الشام ، وفيها : (...وامرتهم بلزوم هذا الملطاط حتى ياتيهم امري)^(٣) ، وعلق بها قوله : « يعني عليه السلام بالملطاط هاهنا سمت الذي امرهم بلزومه وهو شاطئ الفرات ، ويقال ذلك -ايضا- لشاطئ البحر ، واصله ما استوى من الارض»^(٤). ورأى المعتزليّ ان قول الرضيّ هذا « لا معنى له ؛ لانه لافرق بين شاطئ الفرات وشاطئ البحر وكلاهما امر واحد ، وكان الواجب ان يقول : الملطاط : سمت في الارض ، ويقال -ايضا- لشاطئ البحر»^(٥) .

ومنها ان الرضيّ اورد خطبة للامام (ع) ينعي فيها الأشتر قائلاً : (لَوْ كَانَ جَبَلًا لَكَانَ فُنْدًا)^(٦) ، فعلق الرضيّ بها قائلاً : « الفند : المنفرد في الجبال»^(٧) ، ولم يرتض المعتزليّ هذا التفسير فقال : « الفند قطعة الجبل طولاً ، وليس الفند القطعة من الجبل كيفما كانت»^(٨) .

وأورد الرضيّ قوله (ع) في الاستسقاء : (لَلْأَمِّ انصاحت جبالنا ، واغربت أرضنا ، وهامت دوابنا ...) ^(٩) ففسر (هامت دوابنا) بـ « عطشت ، والهيام : العطش»^(١٠) ، ثم علق المعتزليّ بهذا التفسير قوله : «يجوز ان يريد بقوله : وهامت دوابنا معنى غير ما فسره الشريف الرضيّ رحمه الله ، وهو ندودها وذهابها على وجهها لشدة المحل ، يقول : هام على وجهه يهيم هياما وهيماناً»^(١١) .

- | | |
|--|--|
| (١) ينظر : تمام نهج البلاغة ٤٩/١-٦٤ . | (٢) سجع الحمام ٦-٧ وينظر : دراسة حول نهج البلاغة ٢٠١ |
| (٣) نهج البلاغة ، الخطبة ٤٨ : ص ٥٣ . | (٤) نفسه : ٥٣ |
| (٥) المعتزليّ ٢٠١/٣ . | (٦) نهج البلاغة : الحكمة ٤٤٣ ، ص : ٦٩٠ |
| (٧) نفسه : ٦٩٠ | (٨) المعتزليّ ٩٣/٢٠ |
| (٩) نهج البلاغة : الخطبة ١١٤ ، ص : ١٣٤ . | (١٠) نفسه : ١٣٤ |
| (١١) المعتزليّ ٢٦٤/٧ . | |

المطلب الثاني : توثيق متن النهج .

عني الشّراح بتوثيق متن النهج من عدة جوانب أهمها :

١- تتبّع مصادر نهج البلاغة قبل الرضيّ وبعده .

لم يعن الرضيّ بذكر الاسانيد والمصادر الا ما ندر ؛ لانه لم يكن بحسبان ان يظهر للناس مصدرا للفقّه او مرجعا لاحكام الشرعية ، وانما رام ان يخرج للناس جانبا من كلام الإمام (ع) زاخر بعجائب البلاغة ، وغرائب الفصاحة ، وجواهر العربية ، وثواقب الكلم الدنيّة والدنيويّة وبذا صرح في مقدمته^(١) . وقد توسع الشّراح في توثيقهم متن النهج فذكروا مصادره قبل الرضيّ وبعده وقد ذكرت تلك المصادر طائفة من خطب الإمام (ع) وذكرت مناسبتها ومضمونها وجهت بنسبتها الى الإمام (ع) . وفي هذه المسألة صرح الشّراح القديما بذكر طائفة من المصادر التي نقلت كلام الامام (ع) قبل الرضيّ ، ومنها : كتاب صفين لنصر بن مزاحم (٢٠٢هـ) ، والجمل للواقدي (٢٠٧هـ) ، والبيان والتبيين

للجاحظ (٢٥٥هـ) ، والامامة والسياسة لابن قتيبة (٢٧٦هـ) ، والكامل في اللغة والأدب ، والمقتضب للمبرد (٢٨٥هـ) ، وتاريخ الطبري (٣١٠هـ) ، والعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي (٣٢٨هـ) ، والكافي للكليني (٣٢٨هـ) ، ومروج الذهب للمسعودي (٣٤٦هـ) ، والأغانى لأبي فرج الأصفهاني (٣٥٦هـ) ، وغير هذه كثير يطول المقام بذكره^(٢) .
وقد عني الشّراح المتأخرون بذكرهم سند النهج ومصادره فضلا عن المقابلة بين نسخه في عدة مواضع . إذ حفّ زهم على ذلك توافر الكتب في زمانهم ، يوضح هذا قول الخوئي : « ان هذا الكلام له عليه السلام مما رواه ثقة الاسلام الكليني في الكافي ، وصاحب الاحتجاج عطر الله مضجعهما ، فاحببت ان اذكر ما في الكتابين اعتضادا لما اورده الرضي في الكتاب ومعرفة بمواقع الاختلاف بين الروايات فأقول : ... »^(٣) . ولما اتم الامدي شرح الخوئي اجتهد كثيرا في توثيق باب الكتب - وهو الباب الثاني من النهج - اذ يصدر شرحه للكتاب ب (مصدر الكتاب وسنده) ، فيذكر المصادر المطبوعة في زمانه ويوثق منها بذكره الجزء والصفحة^(٤) .

ويبرز الشارح التستري موثقا متن النهج ومنتبعا مصادره القديمة على نحو جلي من ذلك أنه وقف على قول الإمام (ع) من خطبة له يحث فيها على الجهاد : (... ألبسه الله ثوبَ الذلِّ ... وسِيمَ الخَسْفِ)^(٥) ، فقال موثقا الروايات : « ان الجاحظ والدينوري نقلاه مثل المتن - يريد الرضي - وكذا الكافي ، ورواه المبرد والصدوق واسنادهما واحد عن ابن عائشة بلفظ - البسه الله الذل وسيماء الخسف- »^(٦) .

(٢) ينظر: مصادر نهج البلاغة ٢٩/١-٣٣.

(١) ينظر: نهج البلاغة ١٢

(٤) ينظر: الخوئي ١١٥/١٨ ، ١٢٥ .

(٣) الخوئي ٢٦١/٣ وينظر: ٢٩٩/٣

(٦) التستري ٥٠١/١٠

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ٢٧ ، ص ٦١ .

وتبين للشارح حسن زاده الأملي متم شرح الخوئي « أن أول من جمع خطب أمير المؤمنين (ع) على ما ذكره الشيخ الطوسي في الفهرست هو زيد بن وهب وكان ممن أدرك الجاهلية والاسلام وقد أسلم على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي انتقل إلى دار كرامته قبل وصوله إليه ولذلك لم يعد في الصحابة بل من التابعين من كبارهم ونزل الكوفة وتوفي سنة ٦٦ هـ وكان من أصحاب أمير المؤمنين (ع) وكان كتابه موجودا في زمان الشيخ الطوسي (رضي الله عنه) »^(١) .

ثم سجل الأمدي أسماء اثني عشر من علماء المسلمين الذين جمعوا جانبا من كلام الإمام في القرنين الثاني والثالث الهجريين فضلا عن « أن كثيرا من المؤرخين والمحدثين نقلوا في سياق ما نقلوا من الحوادث والوقائع كلامه وخطبه (ع) كاليقوبي والطبري وأصحاب أخبار الجمل وصفين والنهروان وكتاب الكافي وغيره »^(٢) .

٢ - تصحيح نسبة متن النهج .

كان الرضي قد عني بتصحيح نسبة الخطب إلى الإمام (ع) ، وفي تعليقاته وحواشيه على متن النهج ما يؤكد ذلك ومنه انه لما اورد قوله (ع) : (العين وكاء السه...)^(٣) قال : « كأنه شبه الستة بالوعاء ، والعين بالوكاء فإذا أطلق

الوكاء ينضبط الوعاء وهذا القول في الأشهر الأظهر من كلام النبي (صلى الله عليه وآله) ، وقد رواه قوم لامير المؤمنين (ع) ، وذكر ذلك المبرّد في الكتاب المقتضب في باب اللفظ بالحروف ، وقد تكلمنا على هذه الاستعارة في كتابنا الموسوم بمجازات الآثار النبوية»^(٤) . وقد نبه الرضّي نفسه على اختلاط بعض كلام امير المؤمنين (ع) بكلام النبي (صلى الله عليه وآله) لدى الرواة ، او عن قصد واقتباس من الإمام عليّ (ع) نفسه ، من ذلك قوله معلقا على خطبة قالها الإمام (ع) عند عزمه على المسير الى الشام : « ابتداء هذا الكلام مروى عن رسول الله - صلى الله عليه واله - وقد قفاه امير المؤمنين - عليه السلام - بأبلغ كلام وتممه بأحسن تمام...»^(٥) .

وقد عني علماء العربية قبل الرضّي بتمحيص كلام الإمام (ع) وتوثيقه ، ومنهم الجاحظ الذي وقف على قوله (ع) : (أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي ذَهْرٍ عُنُودٍ ، وَزَمَنٍ كُوْدٍ يُعَدُّ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسِيئًا ، وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ قُرُوءًا ، وَلَا نَنْتَفِعُ بِمَا لَمْنَا ، وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهَلْنَا)^(٦) فوجد بعضهم ينسب هذا القول الى معاوية ، فانكر ذلك قائلا : « ان هذا المذهب في تصنيف الناس وفي الأخبار عما هم عليه من القهر والإذلال ومن التقية والخوف أشبه بكلام عليّ رضي الله عنه ومعانيه . ولم نجد معاوية في حالٍ من الحالات يسلك في كلامه مسالك الزهاد . »^(٧)

(١) الخوئي ٣-٢/١٥ . (٢) نفسه ٤/١٥ .

(٣) نهج البلاغة :الحكمة ٤٥٨ ، ص : ٥٠٠ .

(٤) نهج البلاغة ٥٠٠ وينظر : المقتضب ٣٤/١ والمجازات النبوية ١٨٤ والنهاية ٤٢٩/٢ ، ٢٢١/٥ .

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ٤٦ ص ٨٨ .

(٦) نهج البلاغة ، الخطبة ٣٢ ، ص : ٦٩ .

(٧) البيان والتبيين ٢٤١/٢ وينظر : المعتزلي ١٧٥/٢ .

ولما أوردتها الرضّي علّق بها قوله : « وهذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له إلى معاوية وهي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي لا يشك فيه وأين الذهب من الرغام ، والعذب من الأجاج وقد دلّ على ذلك الدليل الخريّت ، ونقده الناقد البصير عمرو بن بحر الجاحظ فإنه ذكر هذه الخطبة في كتابه البيان والتبيين»^(١) وذكر التستري أن ممن نسبها إلى معاوية من دون تدوّر ابن قتيبة في عيون الأخبار وابن عبد ربّه في العقد الفريد^(٢) . وجزم بأنها من كلام أمير المؤمنين الذي لا شك فيه بشهادة منته^(٣) .

أما الشّراح فقد صححوا نسبة طائفة من أقوال الإمام (ع) اليه بعد ان وجدوها منسوبة الى غيره في كتب أخرى معتمدين على المصادر القديمة قبل الرضّي أو مقارنة نصوص النهج بعضها ببعض، أو رواية الرضّي اياها الى الإمام . وقد فاق المعتزليّ أقرانه في هذا الجانب فنّبه على اختلاط بعض كلام الإمام بكلام غيره ثم يحسم هذا الخلط موضحا سببه ومفضيا إلى تصحيح نسبته إلى الإمام عليّ (ع) من ذلك بعض الحكم التي نسبت الى آخرين ، ومنها الحكمة : (نَفْسُ الْمَرْءِ خُطَاهُ إِلَى الْجَهِّ)^(٤) ، ولما وقف المعتزليّ عليها فقال : « وجدت هذه الكلمة منسوبة الى عبد الله

بن المعتز ، فلا ادري هل هي لابن المعتز ام اخذها من امير المؤمنين (ع) ، والظاهر انها لأمير المؤمنين ؛ فانها بكلامه اشبه ، ولان الرضي قد رواها عنه وخبر العدل معمول به ((^(٥))).
ومنها الحكمة : (مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ لَا يُعْصَى إِلَّا فِيهَا)^(٦) ، فقد اوردها الشريف الرضي في باب الحكم ، وقال المعتزلي فيها : « هذا الكلام نسبه الغزالي في كتاب إحياء علوم الدين الى أبي الدرداء والصحيح ذاه من كلام علي (ع) ذكره شيخنا ابو عثمان الجاحظ في غير موضع من كتبه ، وهو اعرف بكلام الرجال))^(٧) .
ومنها قوله (ع) : (أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي إِحْزَنُكُمْ الدُّنْيَا ، فَإِنَّهَا حُلُوهٌ خَصْرَةٌ خُذَتْ بِالشَّهَوَاتِ)^(٨) . ورواها الجاحظ وغيره لقطري بن الفجاءة وهو من زعماء الخوارج^(٩) . ورد الشراح هذه الرواية كالمعتزلي الذي تلتطف في إنكار رواية - صاحبه - الجاحظ ، فقال : « الناس يروونها لأمير المؤمنين ، وقد رأيتها في كتاب الموفق لأبي عبيد المرزباني مروية لامير المؤمنين (ع) وهي بكلام امير المؤمنين اشبه ، وليس يبعد عندي ان يكون قطري قد خطب بها بعد ان اخذها عن بعض اصحاب امير المؤمنين (ع) ، فإن الخوارج كانوا اصحابه وانصاره وقد لقي قطري اكثرهم))^(١٠) .

(١) نهج البلاغة : ٤٠ وينظر البيان والتبيين ٢/٢٤٢

(٢) ينظر: عيون الأخبار ٢/٣٥٥ والعقد الفريد ٣/١٠١ .

(٣) ينظر: التستري ١٤٦/٨ . (٤) نهج البلاغة ، الحكمة ٧٤ : ص: ٦١٢ .

(٥) المعتزلي ١٨/٢٢١ . (٦) نهج البلاغة ، الحكمة ٣٨٥ : ص: ٦٨٠ .

(٧) المعتزلي ١٩/٣٢٦ وينظر: البيان والتبيين ٢/٣١٢ وإحياء علوم الدين ١/١٧٧ .

(٨) نهج البلاغة الخطبة ١١١ : ص : ٢٠٥ .

(٩) ينظر: البيان والتبيين ٢/٢٧٧ و عيون الأخبار ٢/٢٥٠ والعقد الفريد ١/١٤١ .

(١٠) المعتزلي ٧/٢٣٦ .

ويبرز التستري من بين الشراح المتأخرين موثقا خطب الإمام (ع) ، ومعنيا بتتبع صحة سندها وتصحيح نسبتها إليه (ع) ، فقال يصف بعض الخطب : «نسبها ابن قتيبة في عيونها الى المأمون وتبعه ابن عبد ربه في عقده ... ويبدو أن المأمون حفظها من خطب الإمام كما كان غيره من الخطباء يحفظون خطبه (ع)))^(١) .

وثمة خطب وأقوال في النهج اوردها الرضي على انها للإمام (ع) فنسبها التستري الى غيره لاسيما النبي محمد (صلى الله عليه وآله) ، والحسن (ع) ، كقوله يصف بعض الكلام : «لم أدر من أين نسب المصنف هذا الكلام إليه (ع) وقد اتفقت الخاصة والعامّة على أنه كلام ابنه الحسن (ع)))^(٢) .

٣ - توجيه الروايات المختلفة بين نسخة واخرى.

كان الرضي قد قدم للنهج يقول : « روايات كلامه عليه السلام تختلف اختلافا شديدا ... »^(٣) ، ولذا كان هو أول المعنيين في إيراد الروايات المتعددة وتوجيهها والاختيار بينها من ذلك أنه لما أورد قول الإمام (ع) في الخوارج : (أصَابَكُمْ حَاصِبٌ ، وَلَا بَقِيَّ مِنْكُمْ أَبْرٌ)^(٤) قال : « قوله عليه السلام (ولا بقي منكم أبر) يروى على ثلاثة أوجه أحدها :

أن يكون كما ذكرنا (أبر) بالراء من قولهم رجل أبر للذي يأبر النخل ، أي : يصلحه ، ويروى أثر بالثاء - بثلاث نقط - يراد به الذي يأثر الحديث أي يرويه ويحكاه وهو أصح الوجوه عندي كأنه عليه السلام قال : لا يبقى منكم مخبر! ويروى أبر بالزاي المعجمة وهو الواثب^(٥).

وأكد الشّراح هذا الاختلاف بين نسخ النهج الكثيرة التي كتبها القدماء بدءاً من نسخة الرضيّ . وهذه النسخ محفوظة اليوم في مدن الهند وإيران ودمشق والقاهرة وغيرها^(١) ، فاجتهد العلماء في تحقيق صحّة هذه النسخ ، وضبط عباراتها والفاظها ، والاشارة الى خطأ النساخ ، وتوجيه الروايات المختلفة في النسخ وغير هذا من الجهود التي عنيت بالتوفيق بين الروايات والمقابلة بين النسخ وقد عني الشّراح بنسخ النهج والمقابلة بين الروايات المختلفة وتلمس سبب هذا الاختلاف وعزوا بعضه إلى تحريف النساخ وقبلوا بعض الروايات الأخرى من التي ذكروا لها وجهاً مقبولاً في العربية . وقد برع الشّراح المتأخرون لاسيما التستريّ في هذا الجانب فأكثر من سرد الروايات المتعددة مشيراً إلى نسخها واجتهد في التوفيق بينها وانتقاء الاصول منها ورجح نسختي المعتزلي والبحراني على غيرها من النسخ لأن نسخة البحراني هي نسخة المصنف ونسخة المعتزليّ قريبة منها في الزمن^(٧).

(١) التستريّ ١٠/١٦٤ .

(٢) نفسه ١٢/٤٦٧ .

(٣) نهج البلاغة : المقدمة ١٣ .

(٤) المصدر نفسه : الخطبة ٥٨ ، ٩٧-٩٨ .

(٥) نفسه الخطبة ٥٨ ، ص ٩٨ .

(٦) ينظر : تمام نهج البلاغة ١/٣٩ .

(٧) ينظر : التستريّ ٢/١٤٢ ، ٥/١٠ ، ١٢/٢٠٣ ...

وقد استند فريق من الشّراح الى قياس العربية لترجيح رواية على اخرى ، كما فعل المعتزليّ لما اورد قوله (٤) : (هَلُمَّ إِنَّكَ أَنْسُ الْأَنْسِينَ لِأَوْلِيَاءِكَ)^(١) ، فقال : « كان القياس ان يقول : إنك أنس المؤمنيين ؛ لان الماضي أفعل ، وانما الآنسون جمع أنس وهو الفاعل من أنست بكذا لا من أنست ، فالرواية الصحيحة اذن : بأوليائك ، اي أنت أكثرهم أنسا بأوليائك وعطفاً وتحناً عليهم »^(٢) فوقف على رواية اخرى وهي : بأوليائك ، ورجح هذه الرواية لأن القياس يؤيدها ، إذ استدل بتعني الفعل المجرد (أنس) بالباء وتعدي المزيد (أنس) بنفسه أو باللام^(٣) فصحح (بأوليائك) لأنه متعلق باسم الفاعل (الآنسين) المشتق من المجرد لا من المزيد بالهمزة .

ومنه - أيضاً - أن التستريّ لما وقف على قوله يصف بعثة النبي (صلى الله عليه وآله) : (وَخَلَّفَ فَيْكُمْ مَا خَلَّفَتِ الْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَّهَا ... كِتَابَ رَيْكُمْ مَبِينًا حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ)^(٤) ، نبه على رواية أخرى زيد فيها (فيكم) بعد (كتاب ريكم) . وضغف التستريّ هذه الرواية لأن نسخ المصنف والمعتزليّ والبحراني خلت من هذه الزيادة فقال : « كتاب ريكم فيكم مبينا ، هكذا في المصرية ، والصواب : كتاب ريكم مبينا كما في ابن أبي الحديد ، وابن ميثم والخطية ، ولان (كتاب) بدل من

(ما) فلا معنى لكلمة فيكم»^(٥) . وكان ينبه على أن بعض الروايات لا وجه له في العربية من ذلك أنه لما وقف على قوله (هـ) : (إِنَّا رَجَبَتِ الرَّاجِفَةُ... فَلَمْ يَجْزْفِي عَدْلَهُ وَقَسَطِهِ يَوْمئِذٍ خَرَقَ بَصْرِي فِي الْهَوَاءِ ، وَلَا هَمْسٌ قَدَمٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا بِحَقِّهِ...)^(٦) .

أورد الروايات في (لم يَجْز) مع ذكر وجهها في العربية وهي:

- (لم يَجْزِ) مضارع جرى والمعنى : لم يكن في ديوان حسابه ذلك اليوم صغير ولا حقير الا بالحق والانصاف.

- (لم يَجْزِ) مضارع جاز ، والمعنى : لم يسغ ولا يرحص ذلك اليوم لاحد من المكلفين في حركة الحركات المحقرات المستصغرات الا اذا كان قد فعلها بالحق.

- (لم يَجْزِ) مضارع جار . ولم ير التستري المعنى مستقيما في هذه الرواية فقال: ((الخير بلا وجه لانه لا معنى لان يقال : لم يكن يومئذ جور إلا بحقه))^(٧) .

واعتمد التستري على المعجم العربي في تصحيحه للروايات أو رفضها من ذلك أنه لما وقف على قوله (هـ) يصف الدنيا في آخر الزمان : (قَدْ تَرَسَتْ مَنَالُهُ نَى وَهْزَ رَتْ أَعْلَامُ الرَّدَى فِيهِ مُتَجَهِّمَةٌ لِأَهْلِهَا...)^(٨) قال : ((متجهمة اي: متلقيتهم بالغلظة ، وقال الخوئي وفي نسخة (متجهمة لأهلها) قلت: هي تحريف لانه لا يقال : تهجم لفلان بل على فلان والنسخة انما تنقل فيما احتملت صحتها))^(٩) .

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ٢٢٧ ، ص : ٤٤٢ .

(٢) المعتزلي ٢٦٧/١١ .

(٣) ينظر : المقاييس ٩١ .

(٤) نهج البلاغة ١٢/١

(٥) التستري ١٤٢/٢

(٦) نهج البلاغة الخطبة ٢٢٣ ، ص : ٤٣٦

(٧) التستري ٢٠٣ /١٢ وينظر: الخوئي ٢٧١/١٤

(٨) نهج البلاغة الخطبة ٨٩ ص ١٤٥

(٩) التستري ١٧٨/٢ وينظر: المقاييس ١٠٦٥ .

وكان التستري يعدد بنسخة الرضي التي اعتمد عليها البحراني إذا ما اختلفت مع نسخة المعتزلي من ذلك ان الروايات اختلفت في ما ورد في الخطبة الشقشقية : (أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّهَدَا فُلَانٌ)^(١) ، فالمعتزلي روى : (ابن أبي قحافة)^(٢) ، وروى البحراني : (فلان)^(٣) فرجح التستري (فلان) على (ابن أبي قحافة) مع ان هذه الأخيرة هي الشائعة ، قائلا: ((والصواب كون النهج بلفظ : فلان ، وان كان اكثر اسانيد الخطبة بلفظ : ابن أبي قحافة ، لتصديق ابن ميثم البحراني الذي نسخته بخط المصنف))^(٤) .

وكان الشراح القدماء قد سبقوا إلى المقابلة بين نسخ النهج وإيراد الروايات المتعددة فيها لكنهم أوردوا من الروايات ما له وجه في العربية ويستقيم معه كلام الإمام . ولذا لم يفاضل أكثرهم بين رواية وأخرى في الغالب . من ذلك أنهم لما وقفوا على قوله (هـ) في خطبة يحث فيها على الجهاد : (... فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثُوبَ الدُّلِّ ... وَسِيمَ الْخَسْفِ ، وَعَنْ النَّصْفِ)^(٥) اطبق الشراح على ان (سيم الخسف) روي- ايضا- (سيما الخسف)^(٦) ، ووجهوا : (سيم الخسف) بؤلي ذلا ، وكلف مشقة ، وأدق عذابا كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُوءُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ

يُنْبِهُنَّ أَبَاعَ ۖ م وَيَسْتَحُونَ نِسَاءَهُمْ وَفِي نَذِكُمْ بِلَاءٍ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٍ ﴿٧﴾ أَي : يذيقونكم أو يولونكم (٨) . و (سيم) معطوف على ألبسه . وأما (سيماء الخسف) فعلامته وهو معطوف على (الذل) ومنه قوله تعالى : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ (١٠) أَي : علامتهم (١١) . ورجح المعتزلي رواية (سيم) على (سيماء) ؛ لأنها « بين افعال متعددة بنيت للمفعول به ، وهي (دَيْثُ) ، (ضَرْبُ) و (أَدِيلُ) و (مُنْعُ) ولا يمكن ان يكون ما بين هذه الافعال معطوفا عليها الا مثلها ولا يجوز ان يكون اسما » (١٢) .

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ٣ ص : ٢٨

(٢) ينظر: المعتزلي ١٥٠/١

(٣) ينظر: البحراني ٢٥٠/١

(٤) التستري ١٠/٥

(٥) نهج البلاغة الخطبة ٢٧ ص : ٦١

(٦) ينظر: البيهقي ١١٦ والراوندي ٢١٣/١ والكيدي ٢٣٧/١ والمعتزلي ٧٦/٢ والبحراني ٣٢ /٢ والسرخسي ٦٣/١ والخوئي ٣٩٠/٣

ومغنية ١٨٦/١ والتستري ٥٠١/١ وابو الفضل ٧٥/١ وأنصاريان ١٣٠/١ والشيرازي ١٥٠/١ والموسوي ٢٢٠/١

(٧) البقرة ٤٩

(٨) ينظر: مجمع البيان ٢٠٣-٢٠٤ ومعاني القرآن وإعرايه ١١٩/١ .

(٩) الفتح ٢٩

(١٠) الرحمن ٤١

(١١) ينظر: معاني القرآن وإعرايه ٢٤/٥ ، ٨٠-٨١ .

(١٢) المعتزلي ٧٦/٢

وكان التستري يكثر من الرد على المعتزلي في انتقائه الروايات انتقاءً يختلف عن سائر الشراح قبله أو بعده فيقو التستري اختيار الكثيرين ليعضد ما ضعه المعتزلي ويضعف ما صححه . من ذلك ما ورد في قوله (هـ) يصف قوما : (وَقَدَرَامُ أَقْرَامُ أَمْوًا بَغِيرِ الْحَقِّ ، فَتَأَوَّلُوا عَلَى اللَّهِ فَاكْذَبَهُمْ) (١) . إذ رجح المعتزلي رواية أخرى وهي (تأولوا) بدلا من (تأولوا) ، ومعنى تأولوا : حلفوا ، من الألية وهي اليمين ، وفي الحديث : (من يتأل على الله يكذبه) (٢) ، فيكون المعنى : من اقسام تجبرا واقتدارا لأفعلن كذا أكذبه الله ولم يبلغ امله (٣) ، وأما سائر الشراح فرجحوا : (تأولوا) ، ومعناه : حرفوا الكلم عن مواضعه ، وتعلقوا بشبهة في تأويل القرآن انتصارا لمذاهبهم ورائهم فاكذبهم الله بان اظهر للعقلاء فساد تأويلهم (٤) . ومن هنا رد التستري المعتزلي بقوله : « تأولوا هو الصحيح فلم نجد غيره ولم ينقل غيره الراوندي وابن ميثم ، ونسخة ابن ميثم بخط مصنفه » (٥) . وعلى العموم أكثر الشراح المحدثون من التصريح بأن بعض الروايات خطأ أو تحريف أو تصحيف أو من زيادات المحشين (٦) .

٤ - ذكر مناسبة الخطب .

عني شراح النهج - لاسيما اصحاب الشروح الطويلة كالمعتزلي والبحراني والخنوي والتستري- بسبب لقاء الخطبة والمناسبة التي قيلت فيها ، وزمنها ، وحال الإمام (ع) عند القائنها اواقفا كان ام جالسا؟ ، في حرب هو ام في سلم؟ ، وغير ذلك من الامور المتعلقة بالخطب لحظة قولها . وقد سبق الشريف الرضي الى العناية بأحوال الخطب في عدة مواضع فتابعه الشّراح فيما قال ، ولم يختلفوا فيما بينهم في الخطب التي وصف الرضي شأنها وحالها لأن قوله حجة عليهم . وثمة خطب اخرى لم يذكر الشريف الرضي شيئا عن مناسبة قولها فظهر بين الشّراح خلاف في شأن إيرادها . فمثال ما وثقه الرضي بشأن ايراد الخطب ، الخطبة التي ورد فيها : (مَا هِيَ إِلَّا الْكُفَّةُ أُقْبَضُهَا وَأُبْسَطُهَا)^(٧) فذكر الشريف الرضي سبب قول هذه الخطبة ، وهو ان الأخبار تواترت على الإمام (ع) باستيلاء اصحاب معاوية على البلاد ، وقدم عليه عاملاه على اليمن وهما : عبيد الله بن عباس ، وسعيد بن نمران ، لما غلب عليهما بسر بن أبي ارقطاة ، فقام عليه السلام على المنبر ضجرا لتناقل أصحابه عن الجهاد ومخالفتهم له في الرأي ، فقال الخطبة^(٨) . وقد أطبق الشّراح على ترديد ما قاله الرضي بشأن هذه الخطبة بالمعنى تارة وباللفظ تارة اخرى فخلصوا الى انها خطب بها امير المؤمنين (ع) بعد فراغه من صفين وانقضاء أمر الحكمين والخوارج وهي من أواخر خطبه (ع)^(٩) .

(١) نهج البلاغة ، الرسالة ٤٨ ، ص: ٣٦٣ .

(٢) النهاية ٦٢/١ . (٣) ينظر: المعتزلي ١٢/١٧ .

(٤) ينظر: البيهقي ٣٨٦ والرواندي ١٦١/٣ والبحراني ١٢٥/٥ والخنوي ١٣٥/٢٠ وأنصارين ٢٢٠/٣ والشيرازي ١٣٠/٤ .

(٥) التستري ٥٨٩/٧ . (٦) ينظر: الخنوي ٦٦/١٨ ومغنية ٣٠٠/٤ والتستري ٣١٧/٧ .

(٧) نهج البلاغة الخطبة ٢٥ ، ص: ٥٧ . (٨) ينظر: نهج البلاغة ص: ٣٢ .

(٩) ينظر : والرواندي ١٩٨/١ والمعتزلي ٣٣٣/١ والبحراني ١٨/٢ والخنوي ٣٥٠/٣ والتستري ٤٦٩/١٠ والشيرازي ١٣٩/١ .

ومثال الخطب التي اهمل الرضي ذكر مناسبة قولها الخطبة التي اولها : (أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَّرَ حِزْبَهُ) ^(١) فاختلف الشّراح في شأنها على وفق ما جاء في قول المعتزلي : ((هذه الخطبة ليست من خطب صفين كما ذكره القطب الرواندي ، بل من خطب الجمل ، وقد ذكر كثيرا منها ابو مخنف - رحمه الله تعالى - ، قال : حدثنا مسافر بن عفيف بن أبي الاخنس ، قال : لما رجعت رسل علي (ع) من عند طلحة والزبير وعائشة يؤذنونه بالحرب ، قام فحمد الله واثنى عليه وصلى على رسوله (صلى الله عليه وآله) ثم قال : (...))^(٢) .

ويبرز الشراح المعتزلي من بين الشّراح بحرصه الشديد في رصد الوقائع والاحداث المصاحبة لكل خطبة ، وله في ذلك عدة اسانيد وروايات تعضد ما ذهب اليه ؛ لانه مؤمن بان العلم بما يحيط بالخطبة يعين على فهمها واستيعاب مضمونها . وقد خصص الدكتور محسن الموسوي في كتابه : مدخل الى علوم نهج البلاغة فصلا بعنوان: (شأن ايراد الخطب والرسائل والحكم) جمع فيه (٢٤١) شأنًا للخطب ، و (٧٩) شأنًا للكتب والرسائل ، و (٤٨٠) شأنًا للحكم والمواعظ ، ونقل معظم الشؤون والمناسبات عن شروح النهج لاسيما شرح المعتزلي^(٣) .

بلغت عناية الناس بخطب الإمام (ع) انهم اخذوا يضعون لها اسما يميزون بها الخطب بعضها من بعض ، وتلك الاسماء مستقاة من مضامين الخطب ، او المناسبات التي قيلت فيها ، او الالفاظ المهيمنة فيها ولا خلاف في ان اسما خطب الإمام (ع) عرفت بين المصنفين والادباء قبل زمن الرضي بكثير ؛ لان الرضي ذكر كثيرا من تلك الاسماء ، فضلا عن وجود عدة مصادر قبل الرضي ذكرت هذه الاسماء ، منها : العقد الفريد لابن عبد ربه ، الذي ذكر : الغراء ، والزهراء^(٤) ، وذكر ذلك فريق من العلماء في كتبهم ، منهم الكليني ، والصدوق ، وابن شعبة الحراني^(٥) . وكذا عني الشّراح تبعا للرضي بذكر اسما هذه الخطب وقد جمع التستريّ هذه الأسماء وهي : ((الاشباح ، التوحيد ، الهداية ، الملاحم ، اللؤلؤ ، الغراء ، القاصعة ، الافتخار ، الدرّة ، اليتيمة ، الزهراء ، الاقاليم ، الوسيلة ، الطالوتية ، القصبية ، النخيلة ، السليمانية ، الناطقة ، الدامغة ، الفاضحة ، المونقة ...))^(٦) . وكان الشّراح يفسرون سبب التسمية كخطبة (الاشباح) ، وهي برقم (٩٠) من خطب النهج وقد ذكرها الرضي بهذا الاسم^(٧) ففسر الشّراح سبب تسميتها بالاشباح بأن الخطبة تشتمل على لفظ (الاشباح او الاشخاص) ، فالاشباح الكائنات غير المرئية، والاشخاص الكائنات المرئية^(٨) . وكذا الخطبة الغراء ، وهي برقم (٨٢) في النهج ، وسميت بالغراء ((لما اشتملت عليه الفاظها من انواع المحسنات البيانية والبديعية من الانسجام والترصيع ، والتجنيس ، والسجع ، والمقابلة

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ٢٢ ، ص : ٥٢ . (٢) المعتزليّ ٣٠٥/١ وينظر : الراونديّ ١١٨٨

(٣) ينظر : المدخل إلى علوم نهج البلاغة ٢٧١ - ٣٩٠ . (٤) ينظر : مصادر نهج البلاغة ٤٧/١ - ٤٨

(٥) ينظر : العقد الفريد ٤١٦٣ و ١٦٧ - ١٦٩ . (٦) التستريّ ٩ - ٨/٥

(٧) ينظر : نهج البلاغة ، الخطبة ٩١ ، ص : ١٤٨ . (٨) ينظر : البيهقيّ ١٦٩ والراونديّ ٣٧٧/١ والكيدريّ ٤٤٣/١

والمعتزليّ ٣٩٨/٦ والبحرانيّ ٨٨/٢ والسرخسيّ ٩٠/١ والخوئيّ ٩٠/٦ والتستريّ ٩٧/١ والشيرازيّ ٣٨/٢ .

والموازنة ، والمجاز ، والاستعارة ، والكناية وغيرها^(١) . وكذا الخطبة الشقشقية : وهي برقم (٣) في النهج ، وهي من الخطب المشهورة التي اطلق الشّراح على تسميتها بالشقشقية ، ووجه التسمية ان الإمام (ع) قال لابن عباس وقد سأله الاطراد فيها : (هَيَّاتَ يَابْنَ عَبَّاسَ! تَلِكِ شِقْشِقَةٌ هَرَّتْ ثُمَّ قَرَّتْ)^(٢) ، والشقشقة صوت يردده البعير في رنته اذا هاج^(٣) . وذكر فريق منهم انها ((تعرف بالمقصفة - ايضا - من حيث اشتمالها على لفظ التقمص الوارد في اولها ، وهو نظير التعبير عن السور بأشهر الفاظها كالبقرة وال عمران))^(٤) .

وثمة أسماء لخطب تلمس الشّراح عدة أوجه لاسمها الذي عرفت به كالخطبة القاصعة : وهي برقم (١٩٠) وتتضمن ذم ابليس ولعنه لاستكباره وتركه السجود لادم (ع) ، إذ ذكر الراونديّ ثلاثة أوجه لتسمية الخطبة بالقاصعة قائلا : ((وأما سميت هذه الخطبة بالقاصعة لأحد الوجوه الثلاثة : أحدها لأن المواعظ والزواجر فيها مرددة من أولها إلى آخرها من قولهم : قصعت الناقة بجرتها أي : ردتها إلى جوفها وأخرجتها فمألت فاهها ، فكأن هذه الخطبة تكرر الوعد والوعيد وتردد الأوامر والنواهي والثاني : أن يكون من قصع القملة وهو أن يهشمها ويقتلها فكأن الخطبة هي القاتلة لأبليس والهاشمه له والثالث : أن يكون من قولهم قصعت الرجل قصعا أي صغرته وحقرته فكأن هذه الخطبة صغرت

كل جبار وكل عبد متكبر وإن كان مسلماً»^(٦) ونقل معظم الشّراح هذه الأوجه كلها أو بعضها عن الراوندي^(٦). وانماز المعتزلي من الشّراح بذكره أسماء خطب أخرى لم يذكرها الرضي في جمعه النهج ، كالمونقة ، وخطبة البصرة ، وخطبة القصية^(٧).

٧- تتبّع أوجه التفسير المتعددة .

عني شّراح النهج بسرد الأوجه التفسيرية المحتملة لطائفة من الالفاظ او التراكيب وهي سمة منهجية لدى فريق من الشّراح تفصح عن سعة ادراكهم وعمق تفكيرهم وشدة اهتمامهم بالنهج ، وهذا التعدد في تلمس الأوجه المحتملة جاء لدى الشّراح على متن النهج كله : ألفاظه وتراكيبه وأسماء خطبه ومناسبة قولها وأماكن قولها وغير ذلك . فأما ألفاظ النهج فتعدّ الأوجه التفسيرية فيها يعدّ أمراً جلياً لدى الشّراح جميعاً كقول المعتزلي : «يحتمل (تبارك الله) معنيين : أحدهما ان يراد تبارك خيره وزادت نعمته واحسانه ، وهذا دعاء ، وثانيهما : ان يراد به تزايد وتعالى في ذاته وصفاته عن ان يقاس به غيره وهذا تمجيد»^(٨) ، وهنا جوز المعتزلي في باب البلاغة أن يكون (تبارك الله) خبراً وانشاءً معاً . على حين جوز البحراني أن يكون للتركيب وجهان - أيضاً - في باب الاشتقاق فقال : «تبارك : قيل مشتق من البروك المستلزم للمقام في موضع واحد ... وقيل من البركة وهي الزيادة وبالاعتبار الاول

(١) الخوئي ٧٠/٦ . (٢) نهج البلاغة ، الخطبة ٣ ، ص : ٣٣ .

(٣) ينظر: المعتزلي ٢٠٥/١ والبحراني ٩٧/١ والخوئي ١١٣/٣ .

(٤) الخوئي ٣٤٥/٢ . (٥) الراوندي ٢٢٧/٢ .

(٦) ينظر: الكيدري ٣٣٩/٢ والمعتزلي ١٢٨/١٣ والخوئي ١٣٤/٣ والتستري ٣/٧ وأبو الفضل ٨٩/٢ .

(٧) ينظر: المعتزلي ٣٠/١ ، ١٣٤/٦ ، ١٢٨/١٣ . (٨) المعتزلي ٦١/٧ وينظر : ٣٧/١٩ .

يكون اشارة الى عظّمته باعتبار دوام بقائه ... وبالاعتبار الثاني اشارة الى فضله واحسانه ولطفه وهدايته»^(١) . وفسر التستري التخریب في قوله (ي) يذكر الأموات : (وَتَرْتَعُونَ فِيمَا لَقَّطُوا ، وَتَسْكُنُونَ فِي مَا خَرَّبُوا)^(٢) ، فقال : «يجوز أن يريد عليه السلام تسكنون في مساكن خربوها بترك العبادة ، وان يريد في مساكن اخلوها ، واطلق الخراب عليه مجازاً ، والثاني اقرب ، وانما يطلق التخریب بترك العبادة على بيت الاخرة لا بيوت الدنيا»^(٣) .

وأما تفسير تراكيب النهج وعباراته فقد كثرت لدى الشّراح أوجهها ، من ذلك ان الراوندي لما وقف على قوله (ي) : (مَنْ أَحَبَّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ لِيُسْتَعْلَى لِفَقْرٍ جَلْبَابًا)^(٤) جمع ثلاثة أوجه في تأويل هذا القول نقلاً عن السابقين «أحدها : ما قاله أبو عبيد: إن المراد به ، من أحبنا فليعد لفقره يوم القيامة ما يجزّره من الثواب والقرب الى الله ، ولم يرد به الفقر في الدنيا ؛ لأننا نرى في من يحبهم كما في سائر الناس من الغنى والفقر ، وقال ابن قتيبة فيه وجهاً ثانياً وهو أنه أراد ، من أحبنا فليصبر على القليل من الدنيا والتقنع منها ، وقال المرتضى فيه وجهاً ثالثاً ، اي من أحبنا فليلزم نفسه وليقدها الى الطاعات ، وليذلّلها على الصبر عما كره منها»^(٥) .

ومن العبارات التي جوز الشّراح أكثر من وجه في شرحها قوله لأصحابه عند الحرب : (لا تَشْتَدَنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّةٌ بَعْدَهَا كَرَّةٌ ، لَأَوْجَلَةٌ بَعْدَهَا حَمَلَةٌ)^(٦) فالجملتان : (بعدها كرة) و(بعدها حملة) في محلّ نعت للكرة والجولة . وقد فهم الشّراح من تقديم الفرة على الكرة والجولة على الحملة أن الإمام (ع) يأمرهم بخداع العدو فينظّاهروا بالفرار أولا ، ثم يكبرون عليه فيتمكّنوا منه وإنما نهاهم عن أن يشتدّ عليهم فرارهم الأول ؛ لأن الفرار بين العرب صعب وشديد وفيه العار والذلة ولم يعهده العرب خدعة في القتال قبل مجيء الإسلام^(٧) . وجوز الرواندي أن يكون المراد : فلا تشتدّن عليكم فرة من عدوكم بعدها كرة منه عليكم لأن كرتّه عليكم بعد فراره لم تكن من قلوب ثابتة ونيات صحيحة . وفي هذا الاحتمال يكون تقديم الفرة دليلا على تحقير الكرة التي تتلوها ويكون تقديم الجولة تحقيرا للحملة بعدها^(٨) . واحتمل البحراني وجها ثالثا وهو أن يكون المراد أنكم إذا اتفق لكم أن فررتم فرة عقبتموها بكرة فلا تشتدّن عليكم تلك الفرة فتخجلوا فإن الكرة ماحية لعار الفرة^(٩) .

ويدخل في باب تعدد أوجه التفسير ان الشّراح تحرّروا الروايات المحتملة للفظة الواحدة فيختلف المعنى تبعا لاختلاف الرواية . وهذا الاختلاف يكون في الغالب واقعا بحركة مخالفة بين رواية واخرى . من ذلك ما في قوله

(١) البحراني ٣٤٩/٢ وينظر: ١٥٥/١ . (٢) نهج البلاغة ، الخطبة ٢٢١ ، ص : ٤٢٥ .

(٣) التستري ٢٢٧/١١ . (٤) نهج البلاغة ، الحكمة ١٢٢ ، ص: ٦٢١ .

(٥) الراوندي ٣١١/٣ . (٦) نهج البلاغة الرسالة ١٦ ، ص: ٤٧٣ .

(٧) ينظر : الراوندي ٤٤/٣ والمعتزلي ١١٤/١٥ والبحراني ٣٨٧/٤ والخوئي ٢٠٨/١٨ والتستري ٤٩٨/١٣

وأنصارين ٢٣٥ /٣ والشيرازي ٤٥٦/٣ .

(٨) ينظر: الراوندي ٤٤/٣

(٩) ينظر: البحراني ٣٨٧/٤

(ع) : (أَصْبَحَتِ الْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رَعَاهَا ، وَأَصْبَحَتْ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي)^(١) إذ جوز الراوندي أن يكون (تخاف) بضم التاء وفتحها وإن لم ترد رواية بالضم لأنهما وجهان صالحان في العربية ف : ((تَخَافُ عَلَى مَا لَمْ يَسْمُ فَاعِلُهُ ، أَي صَارَتِ الْأُمَمُ يَخَافُونَ أَنْ يَظْلَمُوا رَاعِيَهُمْ ، وَإِذَا رَوَى (تَخَافُ) بِفَتْحِ التَّاءِ ، أَي : كَانَتِ الْأُمَمُ خَائِفَةً مِنْ أَنْ يَظْلَمَهُمْ رَاعِيَهُمْ وَصَرَتْ خَائِفًا مِنْ ظُلْمِ رَعِيَّتِي))^(٢) .

وقد يتخذ سرد الأوجه المتعددة في تفسير متن النهج لدى الشّراح طابعا خلافيا بينهم وعلى العموم جاء الخلاف بين الشّراح سمة بارزة في أقوالهم لا سيما في تفسيرهم ألفاظ النهج وعباراته . فمن ذلك أن الإمام لما سئل عن مقتل الخليفة الثالث قال : (إِنَّ النَّاسَ قَدْ طَعَنُوا عَلَيْهِ ، فَكُنْتُ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أُكْرِمُ اسْتِعْتَابَهُ ، وَأُقَلُّ عِتَابَهُ)^(٣) فذهب فريق من الشّراح إلى أن : (أُقَلُّ عِتَابَهُ) بمعنى آتى به قليلا فيكون أقلّ نقيضا لأستكثر^(٤) .

وذهب بعضهم إلى أن معنى « أقل ليس قبال أكثر وإن جعل قبالة في اللفظ بل المراد أن أقل هنا بمعنى النفي ، أي : ما عاتبت عليه قط وهذا اللفظ يستعمل كثيرا في نفي أصل الشيء وفي الحديث (إنه كان يقل اللغو)^(٥) أي : لا يلغو أصلا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَكَلِمَاتٌ يُؤْمِنُونَ ﴾^(٦) أي : لا يأمنون قط »^(٧) .

ومنه أن فريقا من المسلمين نُكروا بحضرة الإمام علي (ع) وقد اعتزلوا القتال معه ، ولم يحاربوا ضده ، فقال فيهم : (خَذَلُوا الْحَقَّ ، وَلَمْ يَنْصُرُوا الْبَاطِلَ)^(٨) ، ثم اختلف الشّواح في مراد كلام الإمام هذا فقال المعتزلي : « يدل هذا القول من الإمام أنه راض عنهم »^(٩) ، وقال البحراني : « يجري هذا الكلام مجرى العذر عنهم »^(١٠) ، وأما مغنية فلم ير « ذمّا أوجع وأقذع من هذا كيف وقد تهيأت لهم الأسباب الكافية الوافية لمناصرة الحق وخذلان الباطل ؟ ومع هذا تجاهلوا واحجموا »^(١١) . واستدل على رأيه هذا بقوله تعالى : ﴿ فَكَلِمَاتٌ يُؤْمِنُونَ ﴾^(١٢) ويقول الرسول (صلى الله عليه واله) : (الساكت عن الحق شيطان أخرس)^(١٣) ، وبكلام الإمام (ع) في موضع آخر : (أيّ دارٍ بعدَ دارِكُمْ تَمْنَعُونَ ، وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي قَاتِلُونَ ؟)^(١٤) . ولم تخل شروح النهج من عرض مسائل الخلاف النحوي بين علماء المدرستين كخلافهم في إعراب قراءة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾^(١٥) ، برفع

(١) نهج البلاغة الخطبة ٩٧ ، ص : ١٧٧ . (٢) الراوندي ٤٣١/١ .

(٣) نهج البلاغة ، الرسالة ١ ص : ٤٥٩ . (٤) ينظر : الراوندي ١٢/٣ والمعتزلي ٧/١٤ والبحراني ٣٣٩/٤ .

والسرخسي ٢٢٥/١ وعنده ٢/٢ ومغنية ٣٧٦/٣ والتستري ٣٠٨/٩ وانصاريان ١٢/٣ والشيرازي ٤٢٥/٣ .

(٥) سنن النسائي رقم : ١٣٩٧ وسنن الدارمي : رقم ٧٤ .

(٦) البقرة ٨٨ . (٧) الخوئي ١٩٦/١٦ - ١٩٧ ويظر : الكشاف ٢٩٥/١ .

(٨) نهج البلاغة : حكمة ١٨ ص : ٦٠١ . (٩) المعتزلي ١١٥/١٨ .

(١٠) البحراني ٣٨٤/٤ (١١) مغنية ٤٧/٦ .

(١٢) الحجرات ٩ (١٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٢٠ / ٢ .

(١٤) نهج البلاغة ، الخطبة ٢٩ ، ص : ٦٧ . (١٥) الأحزاب ٥٦ .

ملائكته^(١) فقد أورد بعض الشراح^(٢) خلاف النحويين في هذه المسألة إذ جوز الكوفيون العطف على اسم إن بالرفع قيل استيفاء الخبر فيكون (ملائكته) معطوفا على موضع اسم أن . وأعربه البصريون مبتدأ ثانيا وخبر إن محذوف والتقدير : إن الله يصلي والملائكة يصلون على النبي ؛ لأنهم منعوا العطف على اسم إن بالرفع قبل تمام الخبر^(٣) .

٨ - تلمس علل التعبير في نهج البلاغة .

عني شراح النهج بتلمس السبب الذي من أجله جاءت الفاظ النهج على ما هي عليه ، وأول من جاء بالتعليل الرضي في تعليقاته على النهج ، ومنها أنه لما أورد قوله (ع) في الخطبة الشقشقية : (فَصَاحِبُ الْكَوَاكِبِ الصَّعْبَةِ ، إِنَّ أَشْنَقَهَا خَرَمٌ ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَحَمَّ)^(٤) ، قال : « إنما قال (ع) أشنق لها ولم يقل أشنقها ؛ لأنه جعل ذلك في مقابلة أسلس لها ، وهذا حسن لأنهم إذا قصدوا الازدواج في الخطابة فعلوا مثل هذا... »^(٥) . وشايح جَلِّ الشّواح المصنف فعلوا :

(اشنق لها) مع ان الفعل يرد متعديا في الغالب لأنه جعل في مقابل قوله: (اسلس لها)^(١). ومثل هذا أن المعتزلي لما وقف على قوله (ع) لأخيه عقيل: (أَتَتْنِ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانَهَا لِعَبِهِ؟ وَتَجْرُنِي إِلَى نَارٍ سَجَّهَا جَبَلُهَا لِغَضَبِهِ) ^(٧) قال: ((انسانها، أي: صاحبها، ولم يقل انسان؛ لأنه يريد ان يقابل هذه اللفظة بقوله: جبارها))^(٨). ولما وقف المعتزلي على قول الإمام (ع) يذكر رسول الله (صلى الله عليه وآله): (مُسَقَّرُهُ خَيْرٌ مُسَقَّرٌ، وَمَبِيتُهُ أَشْرَفُ مَنَبِتٍ، فِي مَعَادِنِ الْكَرَامَةِ، وَمَمَاهِدِ السَّلَامَةِ.)^(٩)، قال: ((المهاد الفراش، ولما قال: (في معادن)، وهي جمع معدن، قال بحكم القرينة والازدواج: ومماهد، وان لم يكن الواحد منها ممد، كما قالوا: الغدايا والعشايا، ومأجورات، ومأزورات، ونحو ذلك))^(١٠) وكرر اخرون قول المعتزلي هذا بتمامه^(١١)، على حين خرج البحراني اللفظة على القياس فرأى أن المفرد (ممد) والميم زائدة^(١٢)، ووافقه في قوله هذا فريق من الشراح^(١٣). وكثيرا ما صرح الشراح بعلّة المزوجة، كما في تعليهم ما في قوله (ع): (وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَ كُلِّ طَاعَةٍ عَوْنًا مِنَ اللَّهِ... فِيهِ كَأَنَّ لُكْتَفًا، وَشَفَاطًا مُشْتَفًا)^(١٤)، إذ الوجه ان يقال: (كفاية لمكتف)، وانما قال: كفاء لاجل الازدواج مع شفاء^(١٥).

(١) ينظر: الكشاف ٢٧٢/٣ . (٢) ينظر: الخوئي ٢٠٥/٥ .

(٣) ينظر: الإنصاف ١٨٥/١-١٩٥ . (٤) نهج البلاغة الخطبة ٣، ص: ٢٩ .

(٥) نهج البلاغة ٣٣ .

(٦) ينظر: الراوندي ١٣١/١ والمعتزلي ٢٠٣/١ والبحراني ٢٦٧/١ والخوئي ١١٠/٣ والتستري ٢٥٧/٥ والشيرازي ٧٥/١

(٧) نهج البلاغة، الخطبة ٢٤٤ ص: ٤٣٨ (٨) المعتزلي ٢٤٧/١١

(٩) نهج البلاغة الخطبة ٩٦ ص: ١٧٦ (١٠) المعتزلي ٦٨/٧

(١١) ينظر: عبده ٢٠٣/١ والخوئي ١١٧/٧ وأبو الفضل ٢١٥/١ وانصاربان ٣٢٤/١ .

(١٢) ينظر: البحراني ٤٠١/٢ . (١٣) ينظر: ومغنية ٦٨/٢ والشيرازي ١٠٨/٢ .

(١٤) نهج البلاغة الخطبة ٢٠٥ ص: ٢٤٩ .

(١٥) ينظر: الراوندي ٣٤٥/٢ والمعتزلي ٧٢/١١ والبحراني ٣٢/٤ والخوئي ٨٩/١٤ .

المذكور بعده كما قالوا: الغدايا والعشايا^(١). وثمة اسماء لعلل اخرى غير المزوجة والمقابلة كما في تعليهم مجيء الفعل مبنيًا للمجهول دون المعلوم في قوله (ع) في الاستسقاء: (نَدْعُوكَ حِينَ نَطَ الْأَنَامَ، وَمُنِعَ الْغَمَامَ وَهَلَكَ السَّوَامُ)^(٢) إذ قال الراوندي: ((وانما قال: مُنِعَ الْغَمَامَ عَلَى مَا لَمْ يَسْمُ فَاعِلُهُ، وَلَمْ يَضِفِ الْمُنْعَ إِلَى اللَّهِ الَّذِي هُوَ الْفَاعِلُ لِذَلِكَ تَأْدِيبًا وَاعْلَامًا بَانَ اللَّهُ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَتْ حَتَّى يَغَيِّرُوا مَا بَانَفْسَهُمْ، فَكَأَنَّهُمْ هُمُ الْمَغْيِرُونَ))^(٣)، فقد سمى الراوندي هذه العلة بالتأديب وهو اسم غريب بين علل العربية، على حين سماها المعتزلي بالكراهة فقال: إنه ((بنى الفعل للمفعول به؛ لأنه كره ان يضيف المنع الى الله وهو منبع النعم))^(٤).

وكثيرا ما ألمح الشراح إلى علة الحمل على وفق ما جاء لدى المعتزلي الذي بين سبب ظهور الواو في الفعل (اعتور) بانه في معنى تعاوروا، فحمل عليه، ولو لم يكن في معناه لأُمَّتٌ^(٥). وصرحوا بعلّة المشابهة على وفق قول الراوندي

معللا ما جاء في قوله (ع) : (وَأَحْشَرْنَا فِي زُمْرَتِهِ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَادِمِينَ)^(٦) : « خزايا جمع خزيان نحو سكران وسكاري ، وحيران وحيارى ، وانما كسروا فعلان على فعالي تشبيها بصحراء صحارى وبابه»^(٧) . ومن أمثلة علة المشابهة جمع الضمير على الضمائر تشبيها بالسريرة والسرائر ؛ لأن فعيل لا يجمع على فعائل^(٨) ، وصرح فريق منهم بعلة التغليب كما في قول الإمام (ع) : (حَتَّى لَقَدْ وَجَّطَ الْحَسَنَانُ)^(٩) ، إذ غلب اسم الأكبر وهو الحسن عليه السلام^(١٠) .
ومال بعضهم الى تعدد العلل في الحكم الواحد ، كما في قول المعتزلي شارحا قوله (ع) : (مِنْ الْوَالِدِ الْفَانِ ، الْمَقَرِّ لِلزَّمَانِ ... إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمَّلِ مَا لَا يُدْرِكُ)^(١١) : « حذف الياء ها هنا للازدواج بين الفان والزمان ، ولانه وقف وفي الوقف على المنقوص يجوز مع اللام حذف الياء واثباتها »^(١٢) .

(١) ينظر: المعتزلي ٧١/١١-٧٢ والخوئي ٨٩/١٤ وأبو الفضل ٢٠٧/٢ .

(٢) نهج البلاغة الخطبة ١١٥ ص: ٢١٦ .

(٣) الراوندي ١٨/٢ .

(٤) المعتزلي ٢٦٦/٧ .

(٥) المعتزلي ٣١/٧ ، من الخطبة ٩١ ص ١٦٨ (وَلَا اعْتَوَوْهُ فِي تَنْفِيذِ الْأُمُورِ وَتَدَابِيرِ الْمُتَوَقِّينَ مَلَأَةً) .

(٦) نهج البلاغة الخطبة ١٠٦ ص ١٩٣ .

(٧) الراوندي ٤٥٦/١ وينظر: الخوئي ٢٥٦/٧ .

(٨) ينظر: الخوئي ٢٧٩/٧ .

(٩) نهج البلاغة الخطبة ٣ ، ص ٣١ .

(١٠) ينظر: الراوندي ١٢٩/١ والكيري ١٨٤ /٢ والمعتزلي ٢٠٠/١ والبحراني ٢٦٥/١ والخوئي ١٠٣/٣ .

(١١) نهج البلاغة الرسالة ٣١ ص: ٤٩٦ .

(١٢) المعتزلي ٥٣/١٦ .

المطلب الثالث : بيان أثر النهج في التراث العربي

أدرك الشراح جميعا أثر النهج الواضح في التراث الإسلامي واللغة العربية ، فاجتهدوا في تلمس ذلك الاثر لتتخذ عنايتهم بنتبئعه عنة جوانب ، أهمها :

١ - بيان أثر النهج في تفسير القرآن الكريم .

حفظ الإمام علي (ع) القرآن الكريم كله بعد ان كتبه بيده ووقف على اسراره وعلم محكمه ومتشابهه وتفسيره وتأويله ، والقارئ يدرك جليا اثر القرآن الكريم في نهج البلاغة من موضع الى اخر لكثرة ما اقتبس منه الإمام من لفظ القرآن الكريم ومعانيه وقد كان من الطبيعي ان يقتبس الإمام (ع) من القرآن لفظه ومعناه لانه طرق في نهجه الابلغ بحثا في التوحيد واسرار الكون وطبائع الناس وتشريح النفوس وبيان خصائصها واصنافها ، ووصف مداخل الشيطان ومخارجه ، وفتن الدنيا وافاتها والموت واحواله ، وبدء الخلق ووصف الارض والسماء والملائكة وخطب في السياسة وشؤون الناس من

بيعة وعهد ووفاء واختيار الافضل . ثم ان الإمام (ع) لما وصف مظاهر الخلق عموما كانت خطبه تفوح عرفا قرآنيا لم يانس بعبيره الا عليّ (ع) الذي خلقه القرآن . وكان الإمام (ع) يفرغ الى القرآن يقتبس منه في كل مقام عضدا لقوله وتاكيدا لحجته ، ومن هنا اخذ شراح النهج على كواهلهم بيان اثر القرآن الكريم في النهج وتلمس المواضع القرآنية فيه ، فاهتدوا الى ان النهج اول تفسير للقران ؛ لانه يستشهد بالقرآن في الموضوع الذي انزله الله تعالى فيه ، فلا مجال للتاويل او الزيغ عن الحق لان النهج محاكاة للقران. إذ فصل القرآن الكريم خلق ادم في آيات كثيرة في عدة سور وذكر انه مخلوق من اجرام عدة : (الماء، التراب، الطين اللزب ، الحما المسنون، الصلصال كالخفار، نفخ الروح..) وجمع الإمام (ع) ما تفرق في القرآن في قوله : (ثُمَّ جَعَلَهُمْ سُبْحَانَهِ مِنْ حَزَنِ الْأَرْضِ وَسَلْبِهَا ، وَعَذِيبَهَا وَسَبْخِهَا ، تَرْبَةً سَنُهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلُصَتْ ، لَاهِلًا بِاللَّيْلِ حَتَّى لَزِبَتْ ، فَجَبَلَ هَذَا صُورَةَ ذَاتِ أَعْضَاءٍ وَوُصُولٍ وَأَعْضَاءٍ وَفُصُولٍ : أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ ، وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلَّصَلَتْ طَوْقَتِ مَعْتُودٍ وَأَمِدٍ مَطْمُومٍ ، ثُمَّ قَدَحَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ فَمَلَأَتْ إِنْسَانًا ذَا أَدْهَانٍ يُجِيلُهَا وَفِكْرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا ، وَجَوَارِحٍ يَخْتَمُّهَا)^(١) . ولما وقف الشراح على هذا نبهوا على أنه يجري مجرى التفسير لقصة خلق آدم (ع) كما أوردها القرآن الكريم في عدة مواضع إذ في هذا القول ترتيب لمراحل خلق ادم بدءا من مرحلة الطين حتى مرحلة خلق الروح^(٢).

وأبين من تتبّع اثر القرآن الكريم في النهج من الشراح هو البحراني الذي دأب على تلمس اقتباسات النهج من لفظ القرآن ومعناه في معظم الخطب . وكان كثيرا ما يصرح بان قول الإمام (ع) يجري مجرى التفسير للقران ، لاسيما خطبة الإمام (ع) في خلق السموات والارض وما فيهن ، ففي خلق الملائكة جمع الإمام كل معاني القرآن والفاظه

(١) نهج البلاغة الخطبة ١ ص : ٢١

(٢) ينظر: البيهقي ٦٢ والراوندي ٧١-٧٢ والكيدري ١٣٦/١ والمعتزلي ٩٧-٩٨ والبحراني ١٧٠/١ والسرخسي ٤١/١-٤٢ وعبيد ٢٢/١ والخوانساري ٣٩/٢ ومغنية ٤١-٤٢ والتستري ٥٧٧/١-٥٧٩ وأبو الفضل ٢٠/١ وانصاريان ١٤٤ والموسوي ٣٦/١.

التي تفصل خلقهم فجاء قوله (ع) تفسيريا جليا للقران ، ف(قوله (عليه السلام) : (ثم فتق ما بين السموات العلى) كقوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ يَرِ الدِّينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾^(١) وقوله : (فملاهن أطوارا من ملائكته منهم سجود لا يركعون) كقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾^(٢) وقوله : (وصافون لايتزايلون) كقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴾^(٣) و ﴿ وَالصَّافَاتِ صَفَا ﴾^(٤) وقوله : (مسبحون لا يسأمون) كقوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴾^(٥) وقوله : (ولا فترة الأبدان) كقوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾^(٦) وقوله : (ومنهم أمناء على وحيه) كقوله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾^(٧) وقوله : (وألسنة إلى رسله) كقوله تعالى : ﴿ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا ﴾^(٨) وقوله : (مختلّفون بقضائه وأمره) كقوله تعالى : ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾^(٩) وقوله : (ومنهم الحفظة لعباده) كقوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُ عَنِّي حَفَظَةً ﴾^(١٠) و ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ﴾^(١١) و ﴿ لَهُ مَعْبُوتَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾

(١٢) وقوله : (والسنة لأبواب جنانه) كقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خِرَافَتُهَا ﴾ (١٣) وقوله : (والمناسبة لقوائم العرش أكنافهم) كقوله تعالى : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةً ﴾ (١٤) وقوله : (بأجنحتهم) كقوله تعالى : ﴿ أُولَئِي أَجْنَحَةٌ ﴾ (١٥) ﴿ (١٦) .

وقد نبه الشراح على أن في النهج نوعين من الاقتباس من القرآن ، الأول : الاقتباس اللفظي ، كقوله (م) : (الحمد لله كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَعَسَقَ) (١٧) ، إذ نبه الشراح (١٨) على أن هذا قبس من قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ شَرَّ غَاسِقًا إِذَا وَقَبَ ﴾ (١٩) ، والآخر : الاقتباس المعنوي ، كقوله (م) لابنه الحسن (م) : (وَلَوْلَا مَنْ غَاظَكَ ، فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا يَبْنَكَ) (٢٠) . ، فقد نبه بعضهم (٢١) على أن أصل هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ انْفَعُ بِالَّذِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا لِلَّذِي يَنْبَغُ وَبَيْنَهُ عِدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (٢٢) . ومنه - أيضا - قوله (م) عند مسيره من الكوفة إلى البصرة : (خَرَجْتُ مِنْ حَيٍّ هَذَا إِطْمَالًا ، وَإِمَامًا مَظْلُومًا وَإِمَامًا بَاطِلًا وَإِمَامًا مَبْغُوبًا عَلَيْهِ) (٢٣) فقد قرنه بعضهم (٢٤) بمعنى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَدُوٌّ هُوَ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٢٥) .

- | | | | | |
|-------------------------------|-------------------------------------|--|-----------------------------------|-------------------------------------|
| (١) الانبياء ٣٠ . | (٢) الرعد ١٥ . | (٣) الصافات ١٦٥ . | (٤) الصافات ١ . | (٥) فصلت ٣٨ . |
| (٦) الانبياء ٢٠ . | (٧) الشعراء ١٩٣-١٩٤ . | (٨) فاطر ١ . | (٩) القدر ٤ . | (١٠) الانعام ٦١ . |
| (١١) الانفطار ١٠ . | (١٢) الرعد ١١ . | (١٣) الزمر ٧١ . | (١٤) الحاقة ١٧ . | (١٥) فاطر ١ . |
| (١٦) البحراني ١٩٧/١ . | (١٧) نهج البلاغة الخطبة ٤٨ ص : ٨٩ . | (١٨) ينظر : الراوندي ٢٦٦/١ والمعتزلي ٢٠٠/٢ والبحراني ١٢٦/٢ والخوئي ٢٧٠/٤ والتستري ١٩٦/١٠ . | (١٩) الفلق ٣ . | (٢٠) نهج البلاغة الرسالة ٣١ ص ٥١١ . |
| (٢١) ينظر : أبو الفضل ١٧٩/٢ . | (٢٢) فصلت ٣٤ . | (٢٣) ينظر : الكيدري ٥٥٢/٢ . | (٢٤) ينظر : الكيدري ٥٧٢ ص : ٥٧٢ . | (٢٥) سبأ ٢٤ . |

ولشدة تأثر أسلوب النهج بالقرآن الكريم تمسك بعض الشراح المعاصرين بموافقة النهج للقرآن في عضد نسبة النهج إلى الإمام (م) فقال : « القول الفصل في نسبة النهج إلى الإمام هو أن ننظر ونحاكم ما جاء فيه على أساس كتاب الله ، فما وافق منه الكتاب فهو قوله ؛ لانه مع القرآن والقرآن معه ، وما خالفه فلا علاقة له بالإمام لا من قريب او بعيد ... وما من كلمة في نهج البلاغة الا ودل عليها القرآن بالتفصيل او الاجمال ... واعترف بانى ادركت هذه الحقيقة بعد ان فسرت القرآن ، وباشرت بشرح نهج البلاغة وكنت من قبل اشبه بالمقلد » (١) .

وقد اجتهد الشراح في عدة مواضع في التوفيق بين التعبير القرآني و متن النهج بعد أن وجدوا اختلافا بينهما في ظاهر طريقة نظم الكلام مع أن المعنى واحد بين القرآن والنهج من ذلك أن الإمام قال (الحمد لله الذي لا يبلغ مدحه القائلون لأويحيى نعمة العائون) (٢) إذ نبه فريق من الشراح (٣) على أن هذا مقتبس من قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾ (٤) . ثم وفق الراوندي بين مجيء النعمة مفردة في القرآن ومجموعة في النهج بأن الله تعالى

دلّ عباده على نعمه العظيمة بأن ذكر نعمة واحدة منها ونسب إليهم العجز في فهم حقيقتها على حين ذكر الإمام الجمع إشعاراً إلى أن أصول نعمه تعالى لا تحصى لكثرتها فكيف تعدّ وجوه فروع نعمائه؟ ثم وجد الرواندي لطيفة عجيبة في إيراد كلامه على لفظ الخبر وفي كون كلام الله تعالى على لفظ الشرط بأن الله تعالى قال لعباده إن أردتم أن تتعوا نعمة الله لاتقدروا على حصرها؛ لأن تفاصيلها لا يعلمها إلا الله على حين أخبر الإمام بأنه أنعم النظر فلم أن أحداً لا يمكنه حصر نعمة الله غيره تعالى^(٥).

وقد أنس الشراح بما جاء في متن النهج من تفصيل لجانب من القصص القرآني الذي ورد مجملاً في القرآن، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾^(٦)، وفي هذا دليل على أن بيت الله كان موجوداً قبل إبراهيم الخليل (ع)، وقد نبه الشراح^(٧) على أن آدم (ع) أول من بنى الكعبة مستلدين بقوله (ع): «إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الْأَوْلِيَيْنَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ (صلوات الله عليه) إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لَا تَضُولُ لَا تَنْفَعُ وَلَا تَبْصُرُ وَلَا تَسْمَعُ... ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوَلَدَهُ أَنْ يُبْنُوا أَعْلَافَهُمْ نَحْوَهُ فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجِعِ أَسْفَارِهِمْ وَغَايَةً لِمُلْقَى رِجْلِهِمْ...»^(٨) وقال تعالى في شأن موسى (ع) لما ألقى السحرة عصيهم: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾^(٩) وفسر الإمام (ع) سبب وجس موسى (ع) بقوله: «لَمْ يُوجِسْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ بَلْ أَشْفَقَ مِنْ

(١) مغنية ٦٠/١ .

(٢) نهج البلاغة الخطبة ١ ص ١٧ .

(٣) ينظر: الرواندي ٢٥/١ والكيدري ١١٤/١ والمعتزلي ٢٩/١ والبحراني ١٠٧/١ والتستري ١٤٩/١ .

(٤) إبراهيم ٣٤ . (٥) ينظر: الرواندي ٢٦/١ . (٦) إبراهيم ٣٧ .

(٧) ينظر: الرواندي ٢٥٣/٢ والمعتزلي ١٥٨/١٣ - ١٥٩ - والبحراني ٢٧٩/٤ والخوئي ٣٤٠/١١ ومغنية ١٣٠/٣ والتستري ١٢٥/١٣ .

(٨) نهج البلاغة الخطبة ١٩٢ ص: ٣٦٩ .

(٩) طه ٦٧ .

غَلْبَةِ الْجَهَالِ وَدَوْلِ الضَّلَالِ»^(١) وألمح فريق من الشراح إلى أن هذا تفصيل لوجس موسى الذي لا يقدر بعصمته^(٢). وجاء في النهج وصف دقيق لأحوال الأنبياء وسلوكهم الذي أجمله القرآن، كدعاء موسى (ع): ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾^(٣)، فقال الإمام (ع): (والله، ما سأله إلا خبزاً يأكله، لأنه كان يأكل بقلّة الأرض، وقد كانت خضرة البقل تدري من شفيف صفاق بطه، لهؤلاء وتشدّب لحمه)^(٤). وقال تعالى في داود (ع): ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مَا يَشَاءُ فِي السُّورِ﴾^(٥)، وزاد الإمام (ع) على صنعة داود (ع) هذه أنه (كان يعمل سفائف الخوص بيده، ويقول لجلسائه: أيكم يكفيني بيعها ويأكل قرص الشعير من ثمنها)^(٦). وأخبر (ع) عن عيسى (ع) أنه: (كان يتوسّد الحجر ويلبس الخشن، ويأكل الجشب، وكان إدامه الجعّ، وسواجه بالليل القمر، وظلامه في الشتاء مشارق الأرض ومغاريها، وفاكته

وريحانه ما تبتت الأرض للبهائم ، ولم تكن له زوجة تفتته ، ولا ولد يحزنه ، ولا مال يلقفه ، ولا طعم يبله ، دلته رجلاه ، وخادمه يده ! (٧)

٢ - بيان أثر نهج البلاغة في فهم الحديث النبوي الشريف .

صحب علي (ع) مذ كان وليدا محمدا (صلى الله عليه وآله) ، ووثق علي (ع) هذه الصحبة المبكرة فقال : (وضعتني في حجره وأنا ولد يضمنني إلى صدره ويكنفني في فراشه ويمسني جسده ويشمني عوفه . وكان يمضغ الشئ عذم يلقمنيه ... ولقد كنت أتبعه أتبغ الفصيل أثر أمه يهف لي في كل يوم من أخلاقه علما ويأمرني بالأفداء به ، وقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري) (٨) ثم أثمرت تلك الصحبة المباركة معرفة لم يحزها آدمي ، ومصاديق هذه الصحبة أقرها علي (ع) ليس بقرباته من النبي ، وكفالة النبي إياه ، بل أقرها بالافتداء بالنفس والمبيت على الفراش ، وقتل الصناديد في بدر ، والمواساة في أحد ، وهزم الأحزاب في الخندق ، وحمل الراية في خيبر (٩) وغير ذلك مما يطول المقام بذكره . فلا غرو بعد هذا من أن يتمثل الإمام (ع) بحديث النبي (صلى الله عليه وآله) في خطبه ورسائله وحكمه . وقد نبه شراح النهج على ما اقتبسوا الإمام من كلام النبي (صلى الله عليه وآله) من حكم وأقوال قصيرة من ذلك ما جاء في النهج : (الحجر الغصيب في الدار رهن غي خرابها) (١٠) فقد نبه الشراح تبعا للرضي على أن هذا الكلام يروى للنبي (صلى الله عليه وآله) ، ووجهوا هذا التشابه بأن الإمام يستقي من بئر النبوة ويفرغ من

(١) نهج البلاغة الخطبة ٤ ص ٣٥ .

(٢) ينظر: البيهقي ٨٦ والراوندي ١٤١/١ والكيدري ١٧٥/١ والمعتزلي ٢١١/١ والبحراني ٢٧٥/١ والخوئي ٣/٣٠ ومغنية ١٠٥/١ .

(٣) القصص ٢٤ . (٤) نهج البلاغة الخطبة ١٦٠ ص ٢٨٢ .

(٥) سبأ ١٠-١١ . (٦) نهج البلاغة : الخطبة ١٥٩ ص ١٨٥ .

(٧) نفسه الخطبة ١٦٠ ص ٢٨٣ . (٨) نهج البلاغة ، الخطبة ١٩٢ ، ص : ٣٧٨ .

(٩) ينظر : صحيح البخاري ٧٤٢-٧٤٤ .

(١٠) نهج البلاغة الحكمة ٢٤٠ ص : ٦٤٥ .

دلوا (١) . وقال الكيدري : هذا « كقول النبي (صلى الله عليه وآله) : اتقوا الحرام في البنيان فإنه أساس الخراب » (٢) . ومن أمثلة التشابه بين النهج والحديث النبوي ما ورد في النهج : (أخبر نقيه) (٣) ، وهي حكمة نبه الشراح (٤) على أن الناس يروونها للرسول (صلى الله عليه وآله) والمعنى إن من خبرت باطنه قلبيته لأن التجربة تكشف لك سوء الخلق الموجب للبغض والقطيعة وهو مثل يضرب لمن يظن به الخير وليس منه ونقل الرضي عن ثعلب عن ابن الإعرابي أن المأمون لما سمعها قال : « لولا أن عليا قال : أخبر نقيه لقلت : إفيه تخبر » (٥) يريد إن إظهار البغض للشخص مدعاة لاختباره وكشف باطنه .

ونبه الشّراح على اقتباس النهج معاني الحديث النبوي في عدة مواضع منها ما جاء في النهج: (ما المُجاهدُ الشَّهِيدُ في سبيلِ اللهِ بأعظمِ أجرٍ ممَّنْ قَدَرَ فَعَفَّ) ^(٦) ، إذ هو ^(٧) قبس من قوله (حَلَّمَ اللهُ عَلَيْهِ وَالهِ) لقوم عادوا من الجهاد :)) مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر فقيل : وما الجهاد الأكبر قال : جهاد النفس)) ^(٨) .

٣- بيان أثر النهج في الفلسفة الإسلامية .

نَبّه الشّراح على أن نهج البلاغة أساس الفلسفة الإسلامية الصحيحة البعيدة عن التكلف والغموض والالوهام التي وقع فيها كثير من الفلاسفة والمتكلمين بقصد أو بدونه ، من ذلك ان الإمام (ع) يقول : (حَقَّقَ الخَلْقَ عَلى غَيْرِ تمثيل ، ولا مَشُورَةٍ مُشِيرٍ ، ولا مَعُونَةٍ مُعِينٍ) ^(٩) ، فعَلَّقَ البيهقي بهذا قائلا : ((أنما خلق الله الخلق بلا مثال لأنه عالم بكلّ معلوم مفصّلا، ولا يستحيل أن يحدث العالمُ الأزلِّيُّ فعلا محكما بلا مثال . وليس يجوز أن يكون للحق أمثلة متقدمة لأنه لا يخلو إما أن يكون للمثال نهاية حدّي يصحّ من الله تعالى إحكام الفعل اقتداءً بالمثال فيكون المثال قديما؛ أو يحدث مبادئ أفعاله غير محكمة ثم يصير مثلا في لواحق أفعاله فتكون الأوائل خارجة على الأحكام جارية على التبخيت وهذا يناقض الحكمة . وأما أن يتعذّر عليه إحكام الأفعال أصلا وذلك يقتضي إبطال كونه عالما . فلذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام خلق الخلق من غير تمثيل ولا مشورة مشيرٍ وهذا ردّ على من زعم من المتكلمين أن الله تعالى متصور للأشياء فإن الله تعالى منزّه عن التصور لأن التصور من أقسام العلم البشري)) ^(١٠) .

(١) ينظر : الكيديرّي ٦٦٦/٢ والمعتزليّ ٧٢/١٩ والبحراني ٣٦١/٥ وعبد ١٩٧/٢ والخوئي ٣٠٩/٢١ ومغنية ٣٦١/٤

(٢) الكيديرّي ٦٦٦/٢

(٣) نهج البلاغة ٤٣٤ ص ٦٨٩ وينظر: غريب الحديث لابن قتيبة ٥٩٦/٢ والفائق ٣٥٤/١ .

(٤) ينظر: البيهقيّ ٤٥٦ والكيديرّي ٧٠١/٢ و المعتزليّ ٨٠/٢٠ والبحراني ٤٥٢/٥ وعبد ٢٤٧/٢ والخوئي ٥١٠/٢١

(٥) نهج البلاغة ٦٨٩ والتستريّ ٤٤٣/١٣

(٦) نهج البلاغة ، الحكمة ٤٧٤ ، ص ٦٩٦ (٧) ينظر: الموسوي ٥٣٩/٥ .

(٨) الزهد الكبير ١٦٥ . (٩) نهج البلاغة الخطبة ١٥٥ ص : ٢٧١ .

(١٠) البيهقيّ ٢٥٧ وينظر: الرواندي ٩٩/٢-١٠٠ والكيديرّي ٦٨١/١ والبحراني ٢٥٥/٣-٢٥٦ والسرخسي ١٤٨/١-١٤٩

والخوئي ٣٥٤/١٢ ومغنية ٣٩٣/٢ والتستريّ ٣٤٠/١ وأنصاريان ٨٦/٢ والشيرازي ٣٥٩/٢

ولما وقف الشّراح على قوله (ع) : (كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ ، وكُلُّ قائمٍ في سِوَاهُ مَعْلُوفٌ) ^(١) خلصوا إلى أن الإمام (ع) أبين من نزه الباري - عزوجل - عن الافتقار الى آخر فالمراد بالمعروف بنفسه المعلوم بذاته وحقيقته لا بأفعاله وآثاره وهذه المعارف تتوقّف على معرفة العناصر التي تكون منها ، ومعنى هذا أن المعروف بالذات مركّب والمركّب مفتقر إلى أجزائه وإلى من يؤلّف بينها أيضا . ثم إن كل موجود هو أمّا علّة وأما معلول ، وكل موجود لا يكون وجوده عين ذاته معلول . والموجود الوحيد الذي يكون وجوده عين الوجود هو الله تعالى ، فالعلة هو الخالق والمعلول هو المخلوق ^(٢) .

وقال الإمام (٤): (... فالويل لمن أنكر المُقَدَّرَ وَجَدَّ المُدَبَّرَ ! زَعَمُوا هَؤُلَاءِ مِ كَالنَّبَاتِ مَالَهُمْ زَرْعٌ ، وَلَا لِاخْتِلَافِ صُورِهِمْ صَعْنٌ) (٣) وقد تمسك الشراح المعاصرون بهذا القول فردوا على الماديين الذين قالوا بقدوم المادة واستقلالها في التصرف ، فالفلسفة الاسلامية المؤمنة تقرر ان القديم هو الله وحدة خلق المادة من عدم وهو الموجود الأزلي الذي لا يحتاج الى موجد ، وان الكون يسير بازادة هذا الخالق القوي والويل لمن انكره وجدد تدبيره . والإمام (٤) يصف بعض أهل زمانه وهو ما عليه الفلاسفة الماديين في زماننا الذين زعموا أنهم كالنبات البري ماله زارع (٤) .

والماء في النهج اصل الكون وما فيه من جماد ونبات وحيوان وانسان ، ونبه الشراح (٥) على أن هذا يجري مجرى التفسير لقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ (٦) ، وهي نظرية قال بها بعض الفلاسفة امثال ((تالسين الاسكندري ، فالماء هو الجوهر السائل اصل الاجسام كلها كثيفها من متكاثفه ، ولطيفها من شفافه)) (٧) . وفي النهج تفصيل لفلسفة المعاد وما تتضمن من اضطراب أحوال الناس في الدنيا والقبر وأهواله وحياة البرزخ والحشر والنشور وعلامات الساعة والصراط المستقيم والحساب وغير ذلك من الأمور التي نبه عليها الشراح في كثير من المواضع (٨) .

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٨٦ ص ٣٤٢ .

(٢) ينظر: البيهقي ٣٤١ والراوندي ٤٢٨/٢ والكيدري ٢٨٤/٢ والمعتزلي ٧٠/١٣ والبحراني ١٥١/٤ والسرخسي ١٩٧/١ وعبد ٣٧٦/١ والخوئي ٦٠/١١ ومغنية ٦٧/٣ والتستري ٣٠٢/١ وانصاريان ٢٧٧/٢ والشيرازي ١٢٩/٣ .

(٣) نهج البلاغة ١٨٥ ص ٣٤٠ .

(٤) ينظر: الخوئي ٢٣/١١ ومغنية ٥٨/٣-٥٩ والتستري ٩٢/٧ وانصاريان ٢١٢/٢ والشيرازي ٩٢/٣ والموسوي ٢٢١/٣ .

(٥) ينظر: البيهقي ٥٨-٥٧/١ والراوندي ٥٨-٥٧/١ والكيدري ١٢٩/١ والمعتزلي ٨٥/١ والبحراني ٣٣/١ والسرخسي ٣٨/١

وعبد ١٩/١ والخوئي ٣٦٩-٣٧٩/١ ومغنية ٣١-٣٥/١ والتستري ٤٦٣/١-٤٦٤ وابو الفضل ١٧/١

وانصاريان ٣٤/١ والشيرازي ٢٠/١-٢١ .

(٦) الانبياء ٣٠ .

(٧) عبده ١٩/١ وينظر: جمهورية الحكمة ٤١

(٨) ينظر: المعتزلي ٥٦/١٣ و جمهورية الحكمة ٤٢-٤٤ .

وفي هذه المسألة رأى آية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي أن « العصر الحاضر يجعل نهج البلاغة يتطلب جهودا أكثر وأنشطة أوسع وأشمل من شأنها التوصل إلى الطرق والأساليب التي تذلل الصعاب المادية والمعنوية والفردية والاجتماعية إلى جانب التصدي إلى النزعات الفكرية الهدامة التي تستهدف الدين والأخلاق» (١) .

٤- بيان أثر النهج في الأدب العربي .

دلّ الشراح في عدة مواضع على إغارة الشعراء على معاني النهج ونظمها شعرا ، كقوله (٢) : (مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئًا إِلَّا ظَهَرَ فِي فَتَاتِ سَانِهِ وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ) (٢) ، إذ طوّل التستري في إيراد الأشعار التي نقلت هذا المعنى فقال : « قد أكثروا من هذا المعنى في الشعر ، قال ابن داود الأصفهاني :

لا خَيْرَ في عَاشِقٍ يُبَدِي صَبَابَتَهُ بِالْقَوْلِ ، وَالشَّوْقُ في زَفْرَاتِهِ بِأَدْيِ
يُخْفِي هَوَاهُ وَمَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ حَتَّى عَلَى الْعَيْسِ وَالرُّكْبَانِ وَالْحَادِي

وقال ابن المعتز: تَفَقَّدَ مَسَاقِطًا حَظَّ الْمُرِيبِ فَإِنَّ الْعَيُونَ وَجُودَهُ الْقُلُوبِ
وطلَّعَ بُوَادِرَهُ فِي الْكَلَامِ فَإِنَّكَ تَجْنِي ثَمَارَ الْقُلُوبِ

وقال أبو العتاهية: وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ وَلِلنَّاسِ مِنَ النَّاسِ
مَقَابِيِسٌ وَأَشْبَاهُ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ
يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ إِذَا مَا هُوَ مَا شَاهُ
وَفِي الْعَيْنِ غِنَى عَنَّا أَنْ تَنْطَقَ أَفْوَاهُ^(٣)

على حين نبه المعتزلي^(٤) على سبق زهير ابن أبي سلمى إلى هذا المعنى وذلك في قوله^(٥):

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تَعْلَمُ

ولما قال الإمام (ع) في وصية ابنه الحسن (ع): (... إِذَا كَانَ الرَّفْقُ خُرْقًا كَانَ الْخُرْقُ رِفْقًا ...) ^(٦) فهم البحراني
من هذا «ان الرفق في بعض المواضع كالخرق في كونه مخلا بالمصلحة غالبا ومفوتا للغرض ، فكان استعمال
الخرق في ذلك الموضع كاستعمال الرفق في استنزاهه للمصلحة وحصول الغرض غالبا، فكان اولى من الرفق في
ذلك الموضع ... والى هذا المعنى أشار ابو الطيب المتنبى :

وَوَضِعَ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَى مُضِرٌّ كَوْضِعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى^(٧) .

(١) نفحات الولاية ٧/١ . (٢) نهج البلاغة الحكمة ٢٦ ص: ٦٠٣

(٣) التستري ١٤ / ٤٧٨ - ٤٨١ وينظر: ديوان ابن المعتز ٦٧ وديوان أبي العتاهية ٢١٤ .

(٤) ينظر: المعتزلي ١٨ / ١٣٧

(٥) ديوانه ٢٥٧ وينظر: شرح القصائد السبع الطوال ٢٨٩ وشرح القصائد التسع المشهورات ٣٥٢ .

(٦) نهج البلاغة الرسالة ٣١ ص: ٣٤٥

(٧) البحراني ٥ / ٤٧ - ٤٨ وينظر: شرح ديوان المتنبى للبرقوقي ١ / ١٧٨ .

وقال الإمام (ع) يصف الموتى: (فَهُمْ جِرَّةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا ، وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْمًا ... جَعِبٌ وَهُمْ آحَادٌ ، وَجِيرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ ،
مَتَدَانُونَ لَا يَتَرَابِلُونَ ، وَفَرِيبُونَ لَا يَقَارِبُونَ)^(١) ، فنبه المعتزلي^(٢) على جمع من الشعراء اقتبسوا هذا المعنى منهم البحراني
في قوله^(٣):

بِرْنَا أَنْتَ مِنْ مَجْفُورَةٍ لَمْ تَوْتَبِ وَمَهْجُورَةٍ فِي هَجْرَاهَا لَمْ تَعْتَبِ
وَنَازِحَةٍ وَالِدَارُ مِنْهَا قَرِيبَةٌ وَمَا قُرْبُ ثَاوٍ فِي الثَّرَابِ مَغِيبٌ

والرضي في قوله^(٤):

رُجِبَ أَنَاخُوا لَا يُرْجَى مِنْهُمْ قَصْدٌ لِاتِّهَامٍ وَلَا لِإِجَادِ
كَرَهُوا النُّزُولَ فَأَنْزَلْتَهُمْ وَقَعَةً لِلدَّهْرِ نَازِلَةٌ بِكُلِّ مَقَادِ

فتهافتوا عن رحل كل مَدَّالٍ وتطاوخوا عن سرج كل جوادِ
بأدون في صور الجميع وأنهم مُنْفَرِدُونَ تَفَرَّدَ الْأَحَادِ

وقال الإمام (ع) في إحدى حكمه : (رسولك ترجمانُ عَقِكَ وكتابك أبلغُ ما ينطقُ عنكَ) (٥) . فنبه فريق من الشَّراح (٦) على أن بعض الشعراء نظم معنى البيت قائلا (٧) :

تخيّر إذا ما كنت في الأمر مُرسلاً فمبْلُغ آراءِ الرّجالِ رسولها
وروّ وفكّر في الكتابِ فإتّما بأطرافِ أقلامِ الرّجالِ عقولها

وأما أثر النهج في النثر العربيّ فطول المعتزليّ في سرد خطب لبعض الحكام وقادة الجيوش على منوال كلام أمير المؤمنين (ع) (٨) ، وعلى الرغم من ذلك نبه الشَّراح على قصر همة الفصحاء عن محاكاة النهج وقلة حيلتهم ازاء أسلوبه الساحر وبلاغته العليا ، ومن هنا عقد المعتزليّ موازنة بين كلام الإمام عليّ (ع) وخطب ابن نباتة « وهو الفائز بقصبات السبق من الخطباء ، وللناس غرام عظيم بخطبه وكلامه » (٩) فساق المعتزليّ عدة خطب لابن نباتة وانتهى الى أنّها الى الفتور والبلادة اقرب كقوله : « أيها النَّاسُ ؛ حصصَ الحقِّ فما من الحقِّ مناصٌّ ، وأشخصَ الخلقُ فما لإحدٍ من الحقِّ خلاصٌّ ، وأنتم على ما يباعدكم من الله حراصٌّ ، لكم من مواردِ الهلكة اغتصاصٌ ، وفيكم على مقاصد البركة انتكاصٌ . كأن ليس امامكم جزاء ولا قصاصٌ ، ولجوارح الموت في وحش نفوسكم اقتناصٌ ، ليس بها عليها تأبّ ولا اعتياصٌ » (١٠) .

(١) نهج البلاغة الخطبة ١١١ ص ٢٠٩

(٢) ينظر: المعتزليّ ٢٤٣/٧

(٣) ديوانه ٤٩/١

(٥) نهج البلاغة الحكمة ٣٠١ ص ٦٦٣

(٦) ينظر: المعتزليّ ٣٠٧/١٩ ومغنية ٣٧٣/٦ والتستريّ ٢٠٩/١٤ .

(٧) لم أقف على القائل .

(٨) ينظر: المعتزليّ ٢٧٨/١ - ٢٢٨٠

(٩) نفسه ٢١١/٧

(١٠) نفسه ٢١٤/٧ .

فعلق المعتزليّ بهذا قوله : « فليتأمل أهل المعرفة بعلم الفصاحة والبيان هذا الكلام بعين الانصاف ليعلموا ان سطرًا واحدا من كلام نهج البلاغة يساوي الف سطر منه ، بل يزيد ويربي على ذلك فان هذا الكلام ملزق عليه اثار كلفة وهجنة ظاهرة يعرفها العامي فضلا عن العالم » (١١) . وقد توسع الدكتور محسن باقر الموسوي في كتابه علوم نهج البلاغة في استقصاء معاني نهج البلاغة في الأدب العربي شعره ونثره والموضوع قمين بأكثر من دراسة (١٢) .

٥ - بيان أثر النهج في النحو العربي

نبه فريق من الشَّراح على إغفال النحويين نهج البلاغة في إقرارهم القواعد من ذلك ذهابهم إلى أن الضمير المتصل المرفوع لا يجوز العطف عليه قبل تأكيده بالمنفصل فلا يقال : جئت وزيدٌ ، بل يقال : جئت أنا وزيدٌ (٣) . ولما وقف الشَّراح على قول الإمام (ع) من رسالة له إلى أهل الأمصار يخبرهم بما حدث في صفين جاء فيها :

وكان بدءُ أمنا أذنا التقينا والقوم من أهل الشام^(٤) جوزوا^(٥) عطف (القوم) على الضمير المرفوع (نا) في التقينا وهو غير مؤكد بالظاهر، وأنكر بعض الشراح على النحويين اشتراطهم توكيد الضمير المتصل المرفوع بإعادة الضمير المنفصل بعده قبل العطف عليه مستدلا بما جاء في القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿ فَأَنْجِيَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(٦) وفيه عطف على الضمير المتصل المنصوب (الهاء) قبل توكيده، ثم ما جاء في النهج وهو (التقينا والقوم)^(٧) وفيه عطف على الضمير المرفوع المتصل (نا) قبل توكيده. وفي هذا الموضع يبدو المعتزلي منكرًا تأويلات النحويين^(٨) في إعرابهم المعطوف بالرفع على الضمير المتصل أو المستتر كما في قول الشاعر عمر بن ابي ربيعة^(٩):

قَلْتُ إِذْ أَقْبَلْتُ وَزَهْرٌ تَهَادَى كِنْدِجَاجِ الْفَلَا تَعَسَّفَن رَمَلًا

فمال إلى رواية أخرى وهي: (التقينا بالقوم)، وجوز رواية ثالثة وهي: (التقينا القوم)، وقال بعد ذلك يصف الرواية الأشهر (التقينا والقوم): «من لم يروها بالواو استراح من التكلف»^(١٠).

وجوز الشراح مجيء الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي حالًا لمجيئها كذلك في قوله (ي): (ثُمَّ جَمَّ سَبْحَانَهُ ... تَرِيَةً سَنَهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ وَلَا طَافَ بِهَا بِالْبَلْبَةِ حَتَّى لَزَيْتُ، فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ وَوُصُولٍ وَأَعْضَاءٍ وَفُصُولٍ

(١) المعتزلي ٢١٤/٧ .

(٢) ينظر: المدخل إلى نهج البلاغة ٣٦١-٤١٧ .

(٣) ينظر: الانصاف ٤٧٥ .

(٤) نهج البلاغة: رسالة ٥٨ ص ٥٧٣ .

(٥) ينظر: الراوندي ٢١٧/٣ والبحراني ١٨٣/٥ والمعتزلي ١٤٢/١٧ والخوئي ٣٤٠/٢٠ .

(٦) العنكبوت ١٥ . (٧) مغنية ٥٠٠/٥ .

(٨) ينظر: الكتاب ٣٧٨-٣٧٩ والخصائص ٣٨٦/٢ والانصاف ٤٧٤-٤٧٦ وشرح المفصل ٧٤/٣ وشرح الاشموني ١١٤/٣ .

(٩) من شواهد سيبويه ٣٧٨/٢ . (١٠) المعتزلي ١٤٢/١٧ .

أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمَسَكَتْ..^(١) فجملة (أجمدها حتى استمسكت) لدى فريق من الشراح في موضع الحال^(٢) وفاقا للكوفيين وخلافا للبرصيين الذين منعوا مجيء الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي حالًا وتأولوا قوله تعالى: ﴿ أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتٌ صُورُهُمْ ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ فُذِّمَ مِنْ نَبِيِّ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْبُكُنَّ ﴾^(٤)، وغير ذلك كثير بأنه دعاء لا خير^(٥).

وجوز فريق من الشراح مجيء الحال معرfa بالألف واللام في قوله (ي) يصف المنافقين: (يَمْشُونَ الْغَاءَ وَيَدْبُونَ الضَّرَاءَ)^(٦) ولم يؤولوه بالنكرة^(٧) كما فعل النحاة^(٨) في نحو قول الشاعر^(٩):

فَارْسَلَهَا الْعِرَاكُ وَلَمْ يَدِّدْهَا وَلَمْ يَشْفُقْ عَلَى نَعْصِ الدَّخَالِ

وعلى العموم أشاح النحاة وجوههم عن النهج في تفعيمهم قواعد العربية فلا نكاد نظفر بشاهد نحوي من كلام الإمام أقرت به قاعدة نحوية على حين ساقوا شواهد شعرية غريبة كما قيل في حمار الوحش الذي أرسل حمرة عراكا إلى الماء ولم يشفق على تزامنها في البيت السابق وهو شاهدهم المبرز على مجيء الحال معرفا بالألف واللام شذوذا . ولما وقف بعض الشراح على قوله (ع) : (حتى إذا خلوق الاجل ، واستراح قوم إلى الفتن ، وأثلوا عن لِقاح حريمهم ، لم يمتوا على الله بالصبر)^(١٠) أنكروا على ابن مالك وشراح الألفية الزامهم اقتران خبر اخلوق بـ(ان) ، اذ قال ابن مالك :

وألزموا اخلوق أن مثل حرى وبعد أو شك ائنفى أن نذرا

ويعني « اخلوق تلزم ان خبرها نحو : اخلولقت السماء أن تمطر ، وهو من امثلة سيبويه »^(١١) اذ فهم الشراح من قوله (ع) هذا جواز استعمال اخلوق تامة خلافا للنحويين الذين ألزموا مجيئها ناقصة وخبرها مقترن بان^(١٢) .

٦ - بيان أثر النهج في المعجم العربي

نقل المعجميون^(١٣) كثيرا من كلام الإمام عضدا لمسائلهم وأقوالهم ، وبرز على نحو جلي ما نقله الجوهري وابن الأثير وابن منظور . وفي الغالب صدر اللغويون هذه الشواهد بقولهم : (حديث علي) .

وفي شرحهم كلمات النهج اطمان الشراح لأقوال المعجميين الذين سبقوهم إلى شرحها كونها في الذروة من كلام العرب . ونبه معظم الشراح على ما نقله المعجميون من كلام الإمام (ع) في استدلالهم على تحري الاستعمال العربي

(١) الخوئي ٤١/٢ . (٢) ينظر : الخوئي ١٣٩/٢ ومغنية ٤١/١ والتستري ٥٧٧/١ .

(٣) النساء ٩٠ . (٤) يوسف ٢٨ وينظر : البحر المحيط ١٤/٤-١٥ .

(٥) ينظر : الإنصاف ٢٥٢/١-٢٥٥ . (٦) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٤ ص ٣٨٦ .

(٧) ينظر : الكيدير ١٣٩/٢ والبحراني ٤٢٩/٣ وعبد ٤٢٦/١ .

(٨) ينظر : الكتاب ٣٧٢/١ والإنصاف ٢٥٥ /١ والهمع ٢٣٩/١ .

(٩) ديوان علقمة ٨٦ . (١٠) نهج البلاغة الخطبة ١٥٠ ص ٢٦٢ .

(١١) شرح ابن عقيل ٣٢٢/١ وينظر : الكتاب ١٥٨/٣-١٥٧ . (١٢) ينظر : الخوئي ١٣٢/٩ والتستري ٥٢٠/٣ .

(١٣) ينظر : الصحاح : خرق ، نصص ، نغر . والنهية ١٩٤/٣ ، ١٧١/٥ ، ٢٣٦/٥ واللسان : بدأ ، بكأ ، بوأ ، برك .

الفصيح ، من ذلك ما جاء في النهاية : « وفي حديث علي : ألقى السحابُ بركَ بوانيتها ، البركُ الصدورُ والبواني أركانُ البنية »^(١) ونبه الشراح^(٢) على أن ما ذكره ابن الأثير هو قول الإمام (ع) في صفة خلق السماء : (فلما ألقى السحابُ بركَ بوانيتها وبعاعَ ما استقلت به من العبء المحمول عليها)^(٣) .

واستعان الشراح بما ورد في المعجم العربي في المفاضلة بين روايات كلام أمير المؤمنين . فلما وقف الشراح على قول الإمام (ع) في بني أمية : (والله لئن بقيتْهُم لَأَنْفُضْتَهُمْ نَفْضَ اللَّحَامِ الْوِدَامِ التَّرِيَةِ)^(٤) اختلفت روايات النهج بين (الودام الترية) و (التراب الودمة) فصحح الشراح رواية (الودام الترية) لأن المعجميين المتقدمين نقلوها هكذا^(٥) ، يتضح ذلك في

قول الرواندي الذي نقل ما في الصحاح بشأن الرواية: (الوذام التربة) : « ذكر الجوهري في صحاح اللغة هذا الحديث على الرواية الأخيرة ثم ذكر أن الأصمعي سأل شعبة عن هذا الحديث فقال هو الوذام التربة لا التراب الوذمة »^(٦) وتبعه بعضهم في النقل من الصحاح^(٧) . ونقل عبده والخوئي تصحيح الرواية عن الفيروز آبادي^(٨) الذي قال : « الصواب الوذام التربة »^(٩) وهي اللحوم التي تعفرت بسقوطها في التراب أما (التراب الوذمة) فيجوز ان يكون التراب بالكسر اصل ذراع الشاة ، وهو مفرد مؤنث فساغ نعتة بالمؤنث (وذمة) ، او يكون التراب جمع (تريب) وهي صفة لمن لازم التراب من فرط فقره فيجمع على تراب كشدود وشداد^(١٠) لكن الشائع بين اهل اللغة (الوذام التربة) . على حين استعان التستري بما جاء في النهاية^(١١) فصحح رواية (الوذام التربة) أيضا^(١٢) . والغريب أن أحدا من الشراح لم يرجع إلى معجم العين وهو أول من نقل قول الإمام (ع) : (لئن وُدَّيت بني أمية لأنفضنهم نفض القصاب الوذام التربة)^(١٣) ويبدو أن قلة نسخ معجم العين وتأخر نشره فوت على شراح النهج جميعا فرصة الرجوع إليه في شرح متن النهج مع أنه زاخر بأقوال الإمام أيضا .

(١) النهاية ١٢١/١ وينظر: اللسان ٣٩٨/١٠ (برك) .

(٢) ينظر : البيهقي ١٨٦ والرواندي ٤٠٦/١ والكيدري ٤٦٤/١ والمعتزلي ٦ / ٤٣٨ والبحراني ٢ / ٣٦٩ والسرخسي ١ / ٩٥ وعبده ١٨٨/١ والخوئي ٤/٧ ومغنية ٣١/٢ والتستري ٤٩٠/١ وأبو الفضل ١٩٦/١ وانصاربان ٢٨٩/١ والموسوي ٩٦/٢ والشيرازي ٧١/٢ .

(٣) نهج البلاغة الخطبة ٩١ ص ١٦٤ . (٤) نهج البلاغة ، الخطبة ٧٧ ص : ١١٦ .

(٥) ينظر: البيهقي ١٤٩ والرواندي ٣١٢/١ والكيدري ٣٦٥/١ والمعتزلي ١٧٤/٦ والبحراني ٢١٢/٢ والسرخسي ٧٦/١ وعبده ١٣٧/١ والخوئي ٢٤٢/٥ ومغنية ٣٦٧/١ والتستري ١٥٢/٩ وأبو الفضل ١٤٥/١ وأنصاربان ٢٠٩/١ والشيرازي ٢٩٤/١ .

(٦) الرواندي ٣١٢/١ وينظر: الصحاح ١١٣٢ . (٧) ينظر: الكيدري ٣٦٦/١ .

(٨) ينظر: عبده ١٣٨/١ الخوئي ٢٤٢/٥ .

(٩) القاموس المحيط ٧١ (ترب) .

(١٠) ينظر : نفسه .

(١١) ينظر : النهاية ١٧١/٥ .

(١٢) ينظر: التستري ١٥٣/٩ .

(١٣) العين ٢١٧/١ وينظر: التهذيب ٢٧١/١٢ .

ونبه الشراح على استدراقات بعض المعجميين المتأخرين على السابقين الذين خلت معجماتهم من الكلام الفصيح الوارد في نهج البلاغة من ذلك إن الإمام لما قال يصف الدنيا وحال الانسان معها : (... ولم تَطَّهْه فِيهَا دِيمَةٌ رُخَاءٍ إِلَّا هَتَنْتَ عَلَيْهِ مُزْنَةً بَلَاءٍ ... وَنُجَانِبٌ مِنْهَا اعْدُوذِبَ وَاِحْلُولِي أَمْرٌ مِنْهَا جَانِبٌ فَأُوْبِي)^(١) . نبه التستري على أن ابن الأثير عاب على المعجميين قبله إغفالهم إيراد : (هتن) و (اغذوب) فقال : « وفي النهاية : في كلام علي عليه السلام : اعذوب جانب منها واحلولى هما افوعول من العذوبة والحلاوة وهو من أبنية المبالغة ومن الغريب خلو باقي كتب اللغة من اعذوب كخلو كثير منها من هتن »^(٢) .

ولما وقف التستريّ على قول الإمام(ع) : (أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وُلِّتْ حَذَاءً ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبابَةٌ كُصَّابَةٌ الْإِنَاءِ اصْطَبَّهَا صَابُهَا)^(٣) فهم منه أن الإِنَاءَ مؤنَّثٌ بدليل عود الضمير عليه مؤنثاً في (اصْطَبَّهَا صَابُهَا) ومنع عود الضميرين على الصبابة لأنه لا يقال : صببت الصبابة ، ولذا خلص إلى القول : «استعمال الجمهرة والصاحح للإِنَاءِ مذكراً في غير محلّه»^(٤) . وما خلص إليه التستريّ لا يخلو من التسمّح وهو مبنيّ على فهم قاصر لمعنى الصبابة التي هي بقية الماء في الإِنَاءِ^(٥) وقد أوقع القرآن الصبّ على الماء في قوله تعالى : ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾^(٦) فيكون تنكير الإِنَاءِ أولى بل هو القياس في كلّ ما جاء على(فعال) مكسور الفاء وهو دال على الآلة كـ(نطاق ، حزام، حجاب) وغير ذلك .

ولما أورد الشّراح قول الإمام(ع) في ذم أهل الشام : (جُفَاءٌ طِغَامٌ وَعَبِيدٌ أَقْزَامٌ)^(٧) أشاروا إلى ان أقزام يروى أيضا : قِزَامٌ وفاضلوا بين الروايّتين فاخترنا أكثرهم (أقزام) لشيوعه وندرة (قزام)^(٨) ، لكن الخوئي خالف الجميع فاختر (قزام) بحجة خلّو معجمات اللغة من أقزام ثم عاب على الشّراح اختيارهم (أقزام) مع إنه غير معروف فقال : «لم تذكر المعاجم المتداولة هذا الجمع (أقزام) ولذا اخترنا رواية (قزام) ورجحناها على أقزام لأن القزام ذكرت في المعاجم قال الشاعر^(٩) :
أَحْصَنُوا أُمَّهُم مِّنْ عِبْدِهِمْ تَلَكَّ أَقْعَالُ الْقِرَامِ الْوَكَيْعَةَ
على أن في الجمع بين الطغام والقزام موازنة بديعية أولى من الطغام والأقزام»^(١٠)

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١١١ ص ٢٠٦ . (٢) التستريّ ١١ / ٤٥٥ - ٤٥٦ وينظر : النهاية ٣ / ١٩٥ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٤٢ ص ٨٤ . (٤) التستريّ ١٢ / ٢٣٤ وينظر : الجمهرة ٢ / ٧٥ والصاحح ٥٨ (أنبي) .

(٥) ينظر : المقاييس ٥٦٧ . (٦) عبس ٢٥ .

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ٢٣٨ ص ٤٥٣ .

(٨) ينظر : الكيدريّ ٢ / ٣٢٧ و المعتزليّ ١٣ / ٣١٠ والبحرانيّ ٤ / ٣٢٩ والسرخسيّ ١ / ٢٢٤ وعبدّه ١ / ٤٩٤ ومغنية ٢ / ٣٦١

والتستريّ ١٣ / ٣ وأبو الفضل ٢ / ١٢٠ والشيرازيّ ٣ / ٤١٥ .

(٩) من شواهد الصّاحح ص : ٨٥٨ من دون عزو .

(١٠) الخوئيّ ١٥ / ٢١٢ .

وما قاله الخوئيّ يفصح عن قلة نظر في معجمات اللغة التي ذكرت : (رجال أقزام وقزام) ولما ذكرت (قزام) نظرتّه بـ(كتاب) واستدلّت عليه بالشعر لندرتّه^(١) .

ولما وقف الشّراح على قول الإمام(ع) : (أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً ، بَلَا رُوِيَّةَ أَجَالِهَا ... وَلَا هَمَامَةَ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا)^(٢) . قال المعتزليّ بعد نسبته الهمامة إلى الثنوية والمجوس الذين نسبوا التردد في الخلق إلى الباري عزوجل : الهمامة ((لفظة اصطلاحوا عليها واللغة العربية ما عرفنا فيها استعمالها الهمامة بمعنى الهمة))^(٣) . وعلاّق التستريّ بقول المعتزليّ هذا قوله : «ابن أبي الحديد لا يراجع غير الصّاحح وحيث لم يذكرها جعل اللفظة غير عربية وهو غلط ، فتفهم عربيته من كلامه(ع) وكلام غيره من العرب وذكرها القاموس واللسان... ومن الغريب أن ابن أبي

الحديد يغلظ يعرب بن قحطان إذا رأى في كلامه شيئاً على خلاف قول الصحاح ، ومنه أنكاره كون الهمامة ليست عربية لعدم ذكر الصحاح لها مع أن الصحاح وإن لم يذكر اللفظة إلا أنه قال : يقال: أهمني الأمر إذا أفلقك وأحزنك فلم يجعلها مشتقة منه كما يشهد له المقام^(٤) . وخلص إلى أن الهمامة هو مصدر من هممت بالشيء إذا قصدته كما في كلامه (٥).

ومنها أن الإمام لما أنبأ عن النتر قال : (كأني أراهم قوماً كأنّ وجوههم المجانّ المطرقة^(٥)) ذهب صاحب القاموس إلى أن « المجانّ المطرقة كمكرمة التي يطرق بعضها على بعض كالنعل المطرقة :المخسوفة^(٦)» وعلّق عبده بهذا قوله: «عجز عن التعبير والأحسن أن يقال أي التي ألزق بها الطراق ككتاب وهو جلد يقور على مقدار الترس ثم يلزق به^(٧)»

وما ذكره عبده ملائم لكلام الإمام الذي «شبه وجوههم بالتروس المطرقة ، ووجه الشبه في تشبيهها بالتروس الاستدارة والعظم والانبساط وفي كونها مطرقة :الخشونة والغلظة وهو تشبيه للمحسوس بالمحسوس^(٨)» .

وانما تفهم الغلظة والخشونة في (المجان المطرقة) من لصق الجلد (الطراق) على باطن الترس ليلاصق الجلد الوجه ويكون حديد الترس إلى الخارج فكأن المجان المطرقة هي المبطنة بالطراق وهو قطعة الجلد ، على أن تعبير صاحب القاموس مقبول أيضاً من قبيل أن لزق الطراق على باطن الترس لا يكون إلا بالخصف كما يخصف النعل فتشبيهه بالنعل المخسوفة جلي . ولذا فسر معظم الشراح المجان المطرقة بأنها المخسوفة بالجلد كالنعل^(٩) .

(١) ينظر: اللسان ٤٧٧/١٢ (قزم) والقاموس المحيط ١٠٥٩ (قزم) . (٢) نهج البلاغة الخطبة ١ ص ١٨

(٣)المعتزلي ٨٣/١ (٤) التستري ١٦٤/١ ، وينظر: الصحاح ١١٠٧-١١٠٨ .

(٥) نهج البلاغة الخطبة ١٢٨ ص: ٢٣٤ . (٦) القاموس المحيط ٨٣٣ .

(٧) عبده ١٦/٢ .

(٨) البحراني ١٣١/٣

(٩) ينظر: البيهقي ٢١٩ والراوندي ٤٤/٢ والكيري ٥٨٥/١ و المعتزلي ٢١٦/٨ والبحراني ١٣١/٣ والسرخسي ١٢٦/١

والخوئي ٢٠٩/٨ ومغنية ٢٥٢/٢ وابو الفضل ٢٩٩/١ وأنصاريان ٤٢٩/١ والشيرازي ٢٧٧/٢ والموسوي ٣٦٤/٢

٧- بيان أثر النهج في التصحيح اللغوي .

نبه ابراهيم السامرائي على عزوف المعجمات العربية في بعض الأصول عن الاستعمال الفصيح الذي جاء في كلام أمير المؤمنين (ع) إلى استعمال آخر لا دليل عليه . فلما أورد السامرائي قوله (ع) من كتاب له إلى الأشر: (... ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد وأهلك العباد)^(١) قال : «الفعل أخرج هو الفاشي في الاستعمال في فصيح العربية القديم وقد تنوسي هذا الفعل وحلّ محلّه المضاعف (خرب) وكأن المعربين شعروا أنه أدل على التكثير والمبالغة والاستقضاع^(٢)» . وقد أفاد السامرائي من اطلاعه على متن النهج في تصحيح أخطاء المنشئين في عدة مواضع^(٣) وعاب على المعجميين العرب عدم اهتمامهم بمتن النهج في جمع متن العربية وتفسيره فقال : « وكان ينبغي على أهل

العربية أن يتخذوا من استعمالات الإمام مادة يرفدون بها المعجم التاريخي ومن العجب أننا لا نجد شيئاً من مواد المعجم القديم يتخذ من لغة النهج مصوباً ومقوماً^(٤). واستدل التستري بما جاء في النهج اللهم أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِزَةِ^(٥) بأن تنكير كلمة غير مع كونها صفة مقالتنا العادلة يدل على عدم قبولها التعريف ومثله: ﴿غَيْرِ الْمُقْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾^(٦) فهو صفة (الذين) «واستعمال المتأخرين لها معرفة غلط»^(٧). ولما وقف الراوندي على قوله (ي) يصف بعثة الانبياء الى الناس: (وَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ)^(٨) فسر (واتر) ب (رادف) و (تابع) ، وصحح المعتزلي هذا فقال: «قوله (عليه السلام): واتر اليهم انبياءه ، أي: بعثهم وبين كل نبين فترة ، وهذا مما تغط فيهِ العامة كما ظن الراوندي ان المراد به المرادفة والمتابعة»^(٩).

٨- بيان أثر النهج في العلم الحديث

نبه الدكتور محسن باقر الموسوي على الإشارات الواردة في النهج التي تؤسس لعلوم كثيرة منها: علم النفس وعلم الحقوق وعلم الجغرافيا وعلم الاجتماع وعلم الأديان وغير ذلك وله كتابه النافع: علوم نهج البلاغة^(١٠). أما الشراح فقد وقفوا عند طائفة من أقوال الإمام التي لخصت ما آل إليه بعض من نتائج العلم الحديث ومنها ما جاء في قول الإمام (ي): (اعجبوا لهذا الإنسان ينظر بشحم ويتكلم بلحم ويسمع بعظم ويتنفس بخرم)^(١١) وقد طوّل معظم

(١) نهج البلاغة الحكمة ٥٣ ص: ٣٧٥ . (٢) السامرائي ١٤٨

(٣) ينظر: نفسه ٢٦، ٦٢، ٧٨ . (٤) نفسه ٢٦

(٥) نهج البلاغة: الخطبة ٢١٢ ص ٤١٤ . (٦) الفاتحة ٧ .

(٧) التستري ٥/٧ .

(٨) نهج البلاغة: الخطبة ١ ص ٢٢

(٩) المعتزلي ١١٤/١ وينظر: السامرائي ٣٥٧ .

(١٠) ينظر: علوم نهج البلاغة ١٣٣ - ١٦١

(١١) نهج البلاغة الحكمة ٨ ص ٦٠٠ .

الشراح في ربط هذا القول بما آل إليه علما الطب والفيزياء من حيث تشريح آلية النطق والتنفس والسمع والنظر^(١) ووقف بعضهم عند قوله (ي): (شاركوا الذي قد أقبل عليه الرزق فإنه أخلق للغنى وأجدر بإقبال الحظ عليه)^(٢) وفهم منه أن الإمام (ي) نبه على «أصل اقتصادي كبير قد جعلته الأمم الراقية والشعوب المتقدمة في هذا العصر المشرق بالعلم والازدهار أساساً لحياتها وبناء مجتمعاتها»^(٣).

ومن امثلة تطابق معطيات العلم الحديث مع متن النهج ما جاء في قوله (ي) يصف ابتداء خلق السماء: (جعل سفلاًهن موجاً مكفوفاً ، وعُلياهنَّ سَقفاً محفوظاً)^(٤) إذ ربط الشيرازي هذا القول مع العلم الحديث بقوله: «في علم الفلك الحديث قالوا: إن أعالي الجو طبقة نتروجينية تحفظ الارض من قذائف السماء ، والمراد: محفوظاً من وصول الشياطين ومن

الفساد والاختلال»^(٥) . وقد ضمّن فريق من الصرّفيين والمفسرين السقف المحفوظ في القرآن الكريم معنى حافظ ليستقيم الكلام لديهم^(٦) .

ومنها ما في قوله (ع) : « ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء ، وشقّ الأرجاء ، وسكّك الهواء»^(٧) إذ تبين للشارح مغنية ان « قوله (ع) : (وسكّك الهواء) اشارة الى ما اكتشفوه في هذه العصور من امواج الهواء التي تحمل الاصوات في الراديوات»^(٨) . واستدل بعضهم بقوله (ع) في خلق السماء وعلق به قائلا : « هذه الخطبة تشير الى نظرة الإمام الى خلق السموات والارض ، وهي تشير الى نظرية الانفجار الكبير الذي حدث في (سوبرنوفيا) وهي اخر نظرية في نشوء الكون اطلقها العلماء ومنهم فرانك كلوز العالم البريطاني»^(٩) فليس بعد هذا من الانصاف ان يرفض بعضهم ما ورد في النهج من الخطب والرسائل المتضمنة لهذا العلم بحجة ان الإمام عليّ (ع) قالها قبل فرانك كلوز ورهطه .

(١) ينظر: الراونديّ ٢٦٨/٣ والمعتزليّ ١٥٣/١٨ والبحراني ٢٤٢/٥ والخوئي ٢١/٢١ - ٢٢

ومغنية ٢٢١/٤-٢٢٢ والتستريّ ٤٥٦/١-٤٥٧ والموسوي ٢١٢/٥

(٢) نهج البلاغة الحكمة ٢٣٠ ص ٦٤٣ .

(٣) الخوئيّ ٢٩٩/٢١ ومغنية ٢٨٨/٦ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص ١٩

(٥) الشيرازي ٢٠ / ٤٤١ .

(٦) ينظر : ص من الأطروحة

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص ١٨

(٨) مغنية ٣٢/١ .

(٩) المدخل إلى علوم نهج البلاغة ٢٤٤ .

المطلب الرابع : درء الشبهات عن النهج .

يمكن عدّ شرح النهج من أشد المناصرين له والذابين عنه شبهات المعارضين واعتراضات المرجفين . فالشارح محمد عبده كان يسمع بالنهج فينكر نسبته الى الإمام عليّ (ع) حتى وقعت بيده نسخة من النهج مصادفة فتصفح بعض صفحاته وتأمّل جملا من عباراته فخيّل له « في كل مقام ان حروبا شبت وغازات شنت ، وان للبلاغة دولة ، ولفصاحة صولة ، وان للاوهام عرامة ، وللريب دعاة ... فما انا الا والحق منتصر والباطل منكر ومرج الشك في خمود وهرج الريب في ركود ، وان مُدبّر تلك الدولة وباسل تلك الصولة هو حامل لوائها الغالب امير المؤمنين عليّ بن أبي طالب»^(١) . وفهم الاستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد من قول عبده هذا انه كان يسمع بالشبهات والشكوك التي تحوم حول النهج قبل اطلاعه عليه ولكنه بعد ان قرأ نسخة منه تبددت أوهامه وتلاشت شكوكه، وصار من اليقين عنده

ان صاحب النهج هو عليّ بن أبي طالب لا غيره^(١) وقد سبقت الإشارة إلى ما أثاره المرجفون من شكوك حول النهج فانبرى الشّواح للردّ على دقائق الشبهات تفصيلا لا مجال معه للشك في نظر المنصف وكما يأتي :

١ - رد شبهة ذم الصحابة في النهج

انكر المشككون^(٢) مضمون الخطبة الشقشقية لما فيها من ذم لكبار الصحابة، وكذا انكروا ان يصف الإمام (ع) أحدهم بابن النابغة، ويصف الآخر بالثور العاقص قرنه^(٣) وردّ المناصرون هذه الشبهة بأن الشقشقية من أكثر خطب النهج تواترا ، وقد ذكرتها عدة مصادر قبل الرضّي ، وصحح سندها المشككون قبل المناصرين^(٤) ، وصححها معظم الشّواح بعد أن وجدوها في كتب سبقت زمن الرضّي بكثير ، ووجدوا سندها ومناسبة قولها ومكان إلقائها وكثيرا مما خفي من تفاصيلها ، ولذا وثق شراح النهج الخطبة الشقشقية رواية ونقلها ، كقول الراونديّ : « وأما الرواية للخطبة فعن الشيخ أبي نصر الحسن بن محمد بن ابراهيم ... عن ابن عباس : كنا مع عليّ (ع) بالرحبة فجرى ذكر الخلافة ومن تقدم عليه فيها فقال : أما والله ...»^(٥) . وقال الكيدريّ : « وجدت في الكتب القديمة ان الكتاب الذي دفعه اليه رجل من أهل السواد كان فيه مسائل ، أحدها : ما الحيوان الذي خرج من بطن حيوان آخر وليس بينهما نسب ؟ فأجاب عليه السلام بأنه يونس بن متى عليه السلام خرج من بطن الحوت...»^(٦) .

وقال المعتزليّ يصف ختم الخطبة الشقشقية بتأسف ابن عباس على ما فاتته منها : « وأما قول ابن عباس (ما

(١) عبده ٢٧/١ . (٢) ينظر : نفسه ٦

(٣) ينظر : ينظر الخطابة في صدر الإسلام ٣٣١/١ - ٣٣٣ وأثر الشيعة في الأدب العربي ٥٢ - ٥٤ .

(٤) ينظر : نهج البلاغة الخطبة ٣ ص ١٥ والخطبة ٣١ ص ٤٠ والخطبة ١٧٩ ص ٢١٥

(٥) ينظر : مصادر نهج البلاغة ١١٥-١٢١ .

(٦) الراونديّ ١٣٢/١ - ١٣٣

(٧) الكيدريّ ١٦٩/١ وينظر : البحراني ٢٦٩/١ .

أسفّت على كلامٍ ...) فحدثني شيخي أبو الخير مُصدّق بن شبيب الواسطي في سنة ثلاث وستمئة ، قال : قرأت على الشيخ أبي محمد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشّاب (٥٧٣هـ) هذه الخطبة فلما انتهيت إلى هذا الموضع قال لي : لو سمعت ابن عباس يقول هذا لقلت له : وهل بقي في نفس ابن عمك أمر لم يبلغه في هذه الخطبة لتتأسف ألا يكون بلغ من كلامه ما أراد! ... قال مُصدق .. فقلت له : أتقول إنها منحولة ! فقال : لا والله وإني لأعلم أنها كلامه كما أعلم أنك مُصدّق»^(١) وأردف المعتزليّ قائلا : « وجدت انا كثيرا من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخيّ إمام البغداديين من المعتزلة وكان في دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضّي بمدة طويلة ووجدت أيضا كثيرا منها في كتاب أبي جعفر بن قبة أحد متكلمي الإمامية وهو الكتاب المشهور المعروف بكتاب الإنصاف وكان أبو جعفر هذا من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخي - رحمه الله - ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضّي - رحمه الله تعالى - موجودا»^(٢) . وذكر فريق من الشراح^(٣) عدة كتب أوردت الشقشقية قبل ولادة الرضّي . ورجح الدكتور ابراهيم السامرائي

كون الشقشقية للامام علي (ع) فقال : « ليس للدارس أن يقول أن الشقشقية ليست لعلي بل هي له وهي تشير إشارات صريحة إلى ما كان يعتلج في نفسه مما يشعر أن حقه قد سلب ..»^(٤) .

وليس بدعا ان يتعرض امير المؤمنين (ع) الى نوي المواقف المضادة له لا سيما الذين خرجوا عليه في الجمل وصفين والنهروان ، وهؤلاء الذين نعتهم الإمام (ع) بما لم يعجب المشككين. فهل ينكر المشككون ان حروبا طاحنة سعرها فريق من الذين عرفوا بالصحابة ضد امير المؤمنين (ع) ، ووقع بسببها آلاف القتلى من المسلمين ؟ وقتل فيها من الصحابة ايضا كطلحة والزبير وعمار بن ياسر ومالك الاشرى ومحمد بن أبي بكر ، وغيرهم كثيرون ، فكيف لا يعرض الإمام لهذه الفتن في كلامه ؟ وهل اذا عرض الإمام تلك الاحداث يغض الطرف عن مثيرها وموقديها ؟ ثم ان في النهج ما يدل على تقدير الإمام (ع) للصحابة الأوائل الذين خلصت صحبتهم ولم ينفادوا للفتن فقرن حبههم وفضلهم بحب ال البيت وفضلهم ، إذ قال (ع) : (انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم فلان يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم في ردى فإن لبدوا فالدوا وإن نهضوا فانهضوا ولا تسبقوهم فتضلوا ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا . لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله فما أرى أحدا يشبههم منكم ! لقد كانوا يصبحون شعثا غبرا ، وقد باتوا سجدا وقباما يراوون بين جباههم وخدودهم ، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم ! كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم ! إذا ذكر الله هطت أعينهم حتى تبل جيوبهم ، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفا من العقاب ورجاء للثواب)^(٥) .

(١) المعتزلي ٢٠٥/١ وينظر: الخوئي ١١٤/٣ .

(٢) المعتزلي ٢٠٥/١-٢٠٦ .

(٣) ينظر: الخوئي ٣٦-٣٢/٣ والتستري ٥/٢٦٩-٢٧٦ وأنصاريان ٦٠/١ .

(٤) السامرائي : ١٠ .

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ٩٧ ص ١٧٨-١٧٩ .

وصفوة القول في الرد على هذه الشبهة ان ما ورد من ذم للصحابة في النهج ما هو الا صدق لتلك الحروب الطاحنة ، وما اورده الإمام (ع) من الذم والطعن على اعدائه فيها قليل اذا قيس بالدماء التي أريقَت والنفوس التي انتُهكت ، واذا كان بالإمكان التشكيك بهذا الذم والطعن الوارد في النهج فمن المحال التشكيك بالتاريخ الحافل بتلك الاحداث المظلمة .

٢ - رد شبهة الإنباء بالغيب

رد الشراح وغيرهم شبهة إنباء النهج بالغيب بأن علم الغيب مختص بالله تعالى ومن ارتضاهم من انبيائه وأوليائه ، وقد حوت السنة النبوية أنباء غيبية وأخبارا عن الملاحم والفتن ، وكل ذلك انما ورد بوحي من الله عز وجل الى نبيه الكريم ، ثم لم ينطق امير المؤمنين (ع) بشيء عن الملاحم والخفايا الا بخبر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وقد دفع الشراح البحراني في مقدمته لشرح النهج هذه الشبهة مبينا ان اخبار الإمام (ع) بالغيب في بعض المواضع انما هو نقل عن الرسول (صلى الله عليه وآله) ، وليس علما افاضه الله - عز وجل - على الإمام (ع) مباشرة ، قال : « لا نسلم

ان ذلك علم ألهمه الله إياه وأفاضه عليه ، بل الرسول (صلى الله عليه وآله) أخبره بوقائع جزئية من ذلك وحينئذ لا يبقى بينه وبين غيره فرق في هذا المعنى ، فان الواحد منا لو أخبره الرسول (صلى الله عليه وآله) بشيء من ذلك لكان له ان يحكي ما قال الرسول ... ويدل على ذلك قوله بعد وصف الاتراك وقد قال له بعض اصحابه في ذلك المقام : لقد اعطيت يا امير المؤمنين علم الغيب ، فضحك وقال للرجل وكان كلبيا : يا اخا كلب ليس هذا بعلم غيب وانما هو تعلم من ذي علم ، وانما علم الغيب هو علم الساعة ((^(١)).

ومعظم اخبار الغيب التي ذكرها امير المؤمنين يدخل في تحذير الاجيال من الفتن والوقائع ، وحثهم على عدم الركون الى الظالم ، وكثير مما ذكره الإمام (ع) من اخبار المستقبل وقع فعلا كواقعة كربلاء ، ودخول هولاء بغداد ، واخباره عن بني امية وبني العباس^(٢) . وهذا دليل على عظمة النهج وصاحبه ، فكيف يكون مثارا للشبهة والتشكيك ؟ قال الشارح المعتزلي : ((واعلم أن هذا الغيب الذي أخبر به (ع) قد رأيناه نحن عيانا ووقع في زماننا ، وكان الناس ينتظرونه من اول الاسلام حتى ساقه القضاء والقدر الى عصرنا ، وهم ينتار الذين خرجوا من اقصي المشرق ...))^(٣). وخلص الدكتور ابراهيم السامرائي إلى أن ما ورد في النهج من أخبار الغيب ((يدخل في باب التصور الذي يبدو لأولي الرأي والعقل الذين يدركون الأمر وما وراءه وما يمكن أن يفضي إليه ثم إن الإمام أراد أن يقول إن ما عنده قد أتاه لطول ملازمته للرسول الذي بصره بأساليب الفهم والحكم))^(٤).

(١) البحراني ١١٣ / ١ - ١١٤

(٢) ما هو نهج البلاغة ٥٤-٥٥ ، والمدخل إلى نهج البلاغة ٢٤٢

(٣) المعتزلي ٣٦٢ / ١ .

(٤) السامرائي ٢١

وقد ورد في النهج ما هو اهم من الاخبار ببعض الامور الغيبية ، هو وصف خلق السماء والاجواء والملائكة حتى ان المعتزلي لما وقف على خطبة الإمام (ع) في وصف الملائكة ، قال : ((هذا موضع المثل : إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل ، إذا جاء هذا الكلام الرياني واللفظ القدسي بطلت فصاحة العرب وكانت نسبة الفصيح من كلامها إليه نسبة التراب إلى التُّضار الخالص ولو فرضنا أن العرب تقدر على الألفاظ الفصيحة المناسبة أو المقاربة لهذه الألفاظ من أين لهم المادة التي عبرت هذه الألفاظ عنها ؟ ومن أين تعرف الجاهلية بل الصحابة المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وآله هذه المعاني الغامضة السيمائية ليتيها لها التعبير عنها ؟))^(١).

وقال المعتزلي - أيضا - بعد ان وقف على خطبة للامام (ع) يصف فيها علم الله - عز وجل - بدقائق الامور : ((ولو سمع هذا الكلام ارسطوطاليس القائل بأنه تعالى لا يعلم الجزئيات لخشع قلبه ، ووقف شعره ، واضطرب فكره... لا أرى كلاما يشبه هذا إلا أن يكون كلام الخالق سبحانه فإن هذا الكلام نبعة من تلك الشجرة وجدول من ذلك البحر وجذوة

من تلك النار وكأنه شرح قوله تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعْطِيهَا إِلَّا هُوَ وَيُعْطِمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا يَظُنُّهَا وَلَا رُبٌّ وَلَا يَأْبِسُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٢) ((٣)).

واستدل المعتزلي على سعة علم الإمام (ع) بقوله (ع) يصف خلق الخلق : (أنشأ الخلق إنشاءً وابتدأه ابتداءً بلا روية أجالها .. ولا همامة نفس اضطرب فيها) (٤) إذ قال : « فيه رد على المجوس والثنوية القائلين بالهمامة ولهم فيها خبط طويل يذكره أصحاب المقالات وهذا يدل على صحة ما يقال من أن أمير المؤمنين (ع) كان يعرف آراء المتقدمين والمتأخرين ويعلم العلوم كلها وليس ذلك ببعيد من فضائله ومناقبه » (٥).

٣ -- رد شبهة احتواء النهج على الزهد والتصوف .

ردّ الشراح هذه الشبهة بان الزهد في النهج لا يعني ترك الدنيا والانصراف عنها الى الرهينة ، وانما هو امر اكد عليه الإمام (ع) بعد انتشار الترف والولوع في حبّ الدنيا وحب مقتنياتها بسبب الثروة الهائلة التي اعقبت الفتوحات الكبيرة في بلاد فارس وبلاد الروم ، فظهرت بسببها الطبقة في المجتمع لأول مرة ، فوجد الإمام (ع) نفسه مسؤولاً لتوجيه الناس الى الجادة والعمل من اجل الآخرة . وعلى الرغم من ذلك لم يؤثر عن الإمام (ع) انه دعا الى ترك الدنيا واتخاذ صومعة معزولة للعبادة ، وليس أدلّ على ذلك من قوله (ع) في عهده لمحمد بن أبي بكر (رض) : (انّ المتّقين ذهبوا بعاجلِ الدُّنيا وأجلِ الآخرة ، فشاركوا أهلَ الدُّنيا في دنياهم ولم يشاركوا أهلَ الدنيا في آخرتهم . سَكُنُوا الدُّنيا بأفضلَ ما سَكُنْتَ وأكلوها بأفضلَ ما أكلتَ ، فحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون وأخذوا منها ما

(١)المعتزلي ٣٢٥/٦ وينظر: مجمع الأمثال ٨٨/١ .

(٢) الانعام ٥٩ وينظر: الكشاف ٢٤/٢ .

(٣) المعتزلي ٢٤/٧ ، والخطبة هي ٩١ ص ١٦٥ .

(٤) نهج البلاغة الخطبة ١ ص ١٨

(٥) ينظر: المعتزلي ٨٠/١

أخذة الجبابرة المتكبرون ، ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلّغ والتمجّر الرابع . أصابوا لذة زهد الدنيا في دنياهم ، وتيقنوا أنّهم جيران الله غدا في آخرتهم ...» (١).

وقد شاع بين الناس قوله (ع) في احدي حكمه : (اعملْ لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعملْ لآخرتك كأنك تموت غداً) (٢) فهل في هذه الاقوال ترك الدنيا والانصراف عنها. بل ان الإمام (ع) حارب الرهينة والاعتكاف الى العبادة دون العمل ، مثلما حارب الترف والتبذير ، فعندما سمع الإمام (ع) أنّ بعض اصحابه واسمه عاصم بن زياد ترك أهله وعياله واولاده ولزم المسجد واشتغل بالعبادة قال له : (يا عديّ نفسه ! قد استهأمت بك الخبيثُ أما رحمتُ أهلك وولَدَكَ !) (٣) وذكر الإمام (ع) عاصما بالآيات القرآنية التي تحت على نبذ التقشف والعزلة ، فقال : (ويحك يا عاصم أتري الله أباح لك اللذات وهو يكره ما أخذت منها ؟ لأنت أهون على الله من ذلك أو ما سمعته يقول : ﴿ مَرَجَ الْجُرَيْنِ إِلَى قِيَانِ ﴾

﴿^(٤) ثم يقول: ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا الدُّوْدُوُّ وَالْمِجَانُ﴾^(٥) وقال: ﴿وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا﴾^(٦) ، أما والله إن ابتذال نعم الله بالفعال أحب إليه من ابتذالها بالمقال^(٧) . ولما سأل عاصم الإمام (ع) عن خشونته في ملبسه ومأكله قال له الإمام (ع) : (ويحك ، إني لست كأنت ، إن الله تعالى فرض على أئمة العدل أن يقدرُوا أنفسهم بضَعْفَةِ النَّاسِ كَي لَا يَتَّبِعَ بِالْفَقِيرِ فِقْرَهُ)^(٨) . وقد عقد التستري في شرحه الموضوعي فصلا خصصه بزهد الإمام (ع) وهو الفصل الرابع عشر الذي عنوانه (زهده وإعراضه عن الدنيا) ، خلص فيه إلى أن الإمام علي وصف الدنيا تارة بورقة في فم جرادة تقضمها ، وتارة أخرى بعراق خنزير في يد مجذوم ، وتارة ثالثة بعفطة عنز . ووصف الدنيا بهذه الشاكلة ملائم للتذكير بالآخرة التي هي دار القرار . وقد وصف القرآن الدنيا بدار اللعب واللهو والغرور وغير ذلك من النعوت التي ترغب في الآخرة^(٩) .

(١) نهج البلاغة الرسالة ٢٧ ص: ٤٨٥-٤٨٦ وينظر: الراوندي ٧١/٣ والمعتزلي ١٦٥/١٥ والبحراني ٤٢٣/٤ وعبد ٢٨/٢ والخوئي ٦٢/١٩ ومغنية ٤٥٩/٣ والتستري ١٧/٩ .

(٢) مصباح البلاغة ١١٧/٢ .

(٣) نهج البلاغة الخطبة ٢٠٩ ص ٤٠٨ وينظر: البيهقي ٣١٥ والرواندي ٣٢٩/٢ والكيدري ١٨٧/٢ والمعتزلي ٣٤/١١ والبحراني ١٧/٤ والخوئي ١٧/١٣ والتستري ٣٦٨/٦ .

(٤) الرحمن ١٩ .

(٥) الرحمن ٢٢ .

(٦) فاطر ١٢ .

(٧) نهج البلاغة الخطبة ٢٠٠ ص: ٢٤٣ . وينظر: البيهقي ٣١٦ والرواندي ٣٢٩/٢ والمعتزلي ٣٦/١١ والبحراني ١٨ /٤ والخوئي ١٣ / ١٢٤ والشيرازي ٣٠٥/٣ .

(٨) نهج البلاغة الخطبة ٢٠٩ ص: ٤٠٩ .

(٩) ينظر: التستري ٦/٣٦٨-٣٨١ .

٤ - رد شبهة السجع في نهج البلاغة .

احتواء النهج على السجع من الشبهات الكبيرة لدى المشككين ، لأنه ظاهرة أدبية متأخرة ، وأما السجع قبل الاسلام فقد نهى عنه الرسول (صلى الله عليه وآله) ، فالتزم الخلفاء الراشدون بهذا النهي ، وما ورد في النهج يخالف ذلك النهي^(١) . ورد المناصرون وأولهم الشراح ذلك بأن السجع على نوعين^(٢) : الاول: السجع المتكلف الذي يغلب اللفظ على المعنى كسجع الهكّان الذين يعنون بالكلمات المنمّقة ذات الفواصل المشتركة على حساب المعاني وهذا النوع من السجع مرفوض ، وهو الذي نهى النبي (صلى الله عليه وآله) عن الاتيان به في الكلام ، والآخر : هو السجع المستحسن ، وفيه تتساب الكلمات فتغمر السامع بالتأثير والشّد ، وهذا السجع محمود عند الادباء ، وقد اخذ به القرآن الكريم في سورة المكية ، كالذاريات والواقعة والرحمن والقمر ، وما ورد في القرآن من العبارات المسجوعة يفوق ما ورد في النهج جميعه ، وكذا اخذ الرسول (صلى الله عليه وآله) بالسجع في كثير من أقواله ، وقد اورد الشارح المعتزلي منها عدة أحاديث

مسجوعة^(٣). ولما وقف الخوئي على قوله (٤) : (هَلْ مِنْ مَنَاصٍ أَوْ خَلَاصٍ أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلَاذٍ أَوْ فِرَارٍ أَوْ مَحَارٍ) (٤) وقوله (٤) : (فَاتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةً مِنْ سَعْمٍ فَخَعَدَ وَالْقَوَفَ فاعْتَرَفَ وَوَجَلَ فَعَمِلَ) (٥) ، قال : « انك اذا لاحظت كل لفظة منها وجدتها آخذة برقبة قرينتها ، جاذبة اليها ، دالة عليها بذاتها ، ومحسنات كلامه (عليه السلام) غنية عن الاظهار ، غير محتاجة الى التذكار» (٦). بل ان بعض المشككين لم يعترف بهذه الشبهة ، كمحمد طاهر درويش الذي قال : « استناد بعض المشككين في نهج البلاغة الى شيوع السجع فيه لا يصلح دليلا على اطلاقه ؛ لان الرسول والخلفاء قبل علي وغيرهم من الفصحاء كانوا يسجعون » (٧).

وقد اعجب البلغاء والادباء بأسجاع امير المؤمنين (٤) ، ومنهم قدامة بن جعفر الذي قسم السجع على أنواع ، ومثل لكل نوع فقال : «... فمما اتى في نهاية النظم قول أمير المؤمنين - رض - في بعض خطبه : (أَيُّنَ سَعَى وَاجْتَهَدَ ، وَجَمَّ وَعَدَّدَ ، وَزَخْرَفَ وَنَجَّدَ ، وَبَنَى وَشَيَّدَ) فأتبع كل حرف بما هو في جنسه ، وما يحسن معه نظمه ، ولم يقل : اين من سعى ونجد ، وزخرف وشيد ، وبنى وعدد ، ولو قال ذلك لكان مفهوما ومن قائله مستقيما ، وكان مع ذلك فاسد النظم ، قبيح التأليف » (٨). يريد ان اختلال الترتيب في كلمات الإمام (٤) يفسد النظم والتأليف . وأورد الدكتور ابراهيم السامرائي طائفة من الشبهات التي أثرت حول النهج تتعلق بالصناعة اللفظية فأنكرها قائلا : « ليس للباحث الجاد قبول كثير من هذه المواد كصناعة السجع والعناية اللفظية وبقية الوصف واستعمال الألفاظ التي تقوم مقام المصطلح والتقسيمات التي أشير إليها ذلك أن شيئا من كل هذا نلمحه ونقف عليه في العربية الإسلامية في خطب الخلفاء ورسائلهم ووصاياهم وفي حديث الرسول الكثير من العناية واحكام البناء اللغوي » (٩).

- (١) ينظر: ص ٩-١٠ من الأطروحة
(٢) ينظر : اسرار البلاغة ١١-١٣ وجواهر البلاغة ٢٤٨ .
(٣) ينظر : المعتزلي ١٢٨/١-١٣٠ والبحراني ٤٨/١ والخوئي ٢٠٣/١ . (٤) نهج البلاغة الخطبة ٨٣ ص ١٣٥
(٥) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ ص ١٢٦
(٦) الخوئي ٧٠/٦ .
(٧) الخطابة في صدر الاسلام ٣٣٣/١ . (٨) نقد النثر ٧٧ . (٩) السامرائي ٩ .

٦- رد شبهة النزعة الفلسفية في النهج .

هذه الشبهة ردها المشككون قبل المناصرين ، فقد اجاب احمد زكي صفوة عنها متسائلا : « هل في فكر الإمام وحكمه نظريات فلسفية يعتاص على الباحث فهمها ، ويفتقر في درسها الى حدّ ذهن وكدح خاطر ، فكيف تستكثر الحكمة على علي وهو الذي كان معروفا بين الصحابة بأصالة الرأي وسداد الفكر» (١) وشارك بعض المشككين في رد التشكيك بعدم معرفة علي (٤) بعلم الكلام ، قال محمد طاهر درويش : « ولكن مما لا شكّ فيه ان الإمام عليا كان أبا لعلم الكلام في الاسلام لان المتكلمين جميعا اقاموا مذاهبهم على اساسه فلا بد ان شيئا مما ينسب اليه في هذا الموضوع صحيح» (٢).

وأما مناصرو النهج ومنهم الشّراح المتأخرون فرموا أصحاب هذه الشبهة بأنهم لا يعرفون الإمام عليا (٤) حق المعرفة ، فلم يتصوروا الإمام وهو يتكلم بعلم لم تكن موجودة في زمانه ، لأنهم لا يعرفون ان عليا هو باب مدينة

العلم ، ولا يعرفون انه منبع العلوم وان النهج هو مصدر لعلوم لم يكتشفها الانسان حتى يومنا هذا . ووجه الدكتور ابراهيم السامرائي وجود المصطلحات العلمية والاراء الفلسفية المتاخرة عن زمن الإمام (ع) ، بان « كل ذلك يدل على فهم يتجاوز المتعارف في اللغة في عصر الإمام ولكننا لا نسرع فنحمل هذا كله على الوضع ولنا في سعة مدارك الإمام مندوحة وامتسع »^(٣).

وقد أنكر بعض المشككين الوصف الفلسفي في النهج كوصف الخفاش والطاووس والجرادة والنملة وغيرها ، فانبرى فريق من الشّراح لردّ هذه الشبهة فنوّها إلى أن غاية الإمام (ع) لم تكن الوصف بل الوعظ والارشاد ، فوصف الطاووس والخفاش إنما ورد في النهج للتنبيه على عجائب صنع الله بغية الالتفات إليه والتفكر في ملكوته^(٤) وأما وصف الجرادة فجاء لفائدة عظيمة نبه عليها بعضهم وهي إرشاد الفلاحين إلى خطرهما لأنّ أول خطوة على طريق مكافحة الجرادة هو معرفتها معرفة تفصيلية ، وأما وصف النملة فيمنح الانسان درسا في العمل الدؤوب كي لا يكل عن العمل الشاقّ ، ويعلمه مبدأ الادخار الذي لم يكن معروفا في اقتصاديات الصحراء^(٥).

وأثار بعضهم شبهة وجود التقسيمات العددية والمنطقية في النهج فتصدى الشّراح لهذه الشبهة فردوها من زاويتين : الاولى : وجود هذه التقسيمات في القرآن الكريم ، لا سيما بالاداة (اما) التي سماها العلماء بالتفصيلية ، وكذا وردت في الحديث الشريف كثيرا ، ولو جيء بما ورد من التقسيم في الأدب النبويّ وفي أقوال الحكماء والعلماء في صدر

(١) ترجمة الامام عليّ ١٢٢ .

(٢) الخطب في العصر العباسي ٣٣٢/١ . (٣) السامرائي ٢٦ .

(٤) ينظر : البيهقيّ ٢٧٥ والراونديّ ١٣٧ /٢ والمعتزليّ ٢٦٧ /٩ والبحراني ٣٠٨/٣ والخوئي ٤٨/١٠ والتستريّ ٦٦/٧-٦٧ وانصاربان ١٣٤/٢ والشيرازي ٣/٣ .

(٥) ينظر : المدخل الى علوم نهج البلاغة ٢٦٠ .

الاسلام لألف كتابا كاملا^(١) . فما أكثر الاحاديث التي تبدأ بعدد يتلوه تقسيمه ، نحو : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ... »^(٢) ، و « اربع خلال من كن فيه كان منافقا خالصا ... »^(٣) فضلا عن ذلك يرتبط استخدام هذه التقسيمات بالخطيب وغرضه ، وربما كان التقسيم هو السبيل الافضل في ترسيخ العبارة في الازهان .

وأثار منكرو النهج وجود مصطلحات فلسفيّة متأخرة فيه لم تكن مألوفة آنئذ كقوله بالأوليّة والأزليّة والكيفيّة من نحو قوله (ع) : « ليس لأوليّيه ابتداء ولا لأزليّيه انقضاء »^(٤) إذ ردّ السامرائي هذه الشبهة بأن « استعمال الإمام هذه الألفاظ في حيز فلسفي إنما يدل على فهم يتجاوز المتعارف في اللغة في عصره ومنه استقيت هذه المصطلحات فيما بعد ؛ لأنه المؤسس الأول للفلسفة الإسلامية ولعلوم الكلام »^(٥) .

بقي أن يعلم أن أكثر ما تمسك به الشّراح في عضد نسبته إلى الإمام عليّ هو فصاحته العليا التي لا يليق بها إلا ابن أبي طالب ، إذ جهر معظم الشّراح بذهولهم الشديد إزاء فصاحته التي لا تدانيها فصاحة ، بل إنّ الفصاحة العربية أعطته قيادها وملاكته زمامها بلا منازع^(١) .

(١) ينظر: المدخل إلى نهج البلاغة ٢٥٧

(٢) صحيح البخاري ٢٣٦٩ وينظر : ٧٢١٢ و ٧٤٤٦ .

(٣) نفسه ٣١٧٨ .

(٤) الخطبة ١٦٢ ص: ١٩٠

(٥) السامرائي ٢٦

(٦) ينظر: المعتزلي ١٤٦/١٤

المبحث الثالث

شرح النهج وعلم الدلالة .

سار الفكر الدلالي لدى شرح نهج البلاغة في جانبين : الاول : تطبيقي يظهر خلال الشروح ، إذ عمد الشّراح إلى البحث الدلاليّ في شرحهم مفردات النهج وتراكيبه على نحو جليّ بغية الوصول الى مغزى كلامه (٢) ، فجاء البحث الدلالي لديهم متنوعاً ومتخذاً عدّة جوانب ، منها ما ارتكز على احياء الاصوات وائتلافها للدلالة على المعنى العام للفظه، ومنها ما اهتم ببنية اللفظة ومجبيها على زنة معينة دون غيرها لأداء معنى محدّد لا تؤديه لفظة بصيغة اخرى ، ومنها تلمس العلاقة بين المعنى والتركيب من حيث التقديم والتأخير والحذف والذكر والوصل والفصل والتعريف والتكثير

وعود الضمير والمطابقة أو الاختلاف في العدد والجنس فضلا عن ملاحقة التطور التاريخي للألفاظ ، ومتابعة تغيّرات المعنى بين ارتفاع وهبوط ، أو تخصيص وتعميم ، الى جانب الاهتمام بنسبة الالفاظ بعضها الى بعض ، وملاحظة اثر الحركات الإعرابية ، وتتبع معاني الادوات ودلالاتها على المعنى المقصود. وسيأتي تفصيل ذلك في الفصول الأربعة القادمة . والآخر : تنظيري وهو موضوع هذا المبحث ويظهر في مقدمتي الشارحين البحراني والخوئي إذ هما بعنوان (مباحث الالفاظ) . أما سائر الشّراح فأوردوا كثيرا من الالتماعات الدلالية المستقلة التي جاءت مبنوثة في عدة مواضع من شروحوهم .

لقد زحرت مقدماتا البحراني والخوئي بالكثير من المفاهيم الدلالية من حيث التقسيمات المتعددة للالفاظ حسب معانيها لتظهر لنا مصطلحات : المجمل ، والمفصل ، والمتواطئ ، والمشترك ، والمترادف . وقد افرد الشارحان مباحث مستقلة لدراسة المشترك والمترادف ، واكتفيا بتعريف عام لباقي الاقسام ، فضلا عن ذكرهما تقسيمات الدلالة وانواعها ، وتقسيمات الالفاظ تبعا لدلالاتها العامة . وتضمنت هذه المباحث اللفظية جانبا مهمّا من جوانب الدلالة عالج فيه الشارحان مسألة علاقة الدال بالمدلول من خلال دراسة وقت اطلاق الاسم على المسمى الخارجي . وتضمنت - ايضا - مسألة مهمّة هي أصل وضع اللفظة للدلالة على معناها ، إذ عرض الشارحان لبحث ما يعرف بالحقيقة والمجاز بصورة تفصيلية .

والشارحان في مقدمتيهما هاتين يسيّران على خطى الاصوليين الذين يفتتحون مصنفااتهم بالبحوث اللغوية التي ينظم جزؤها الاكبر من العلاقة بين اللفظ والمعنى ، وقد سمّوها (المبادئ اللغوية) او (مباحث الالفاظ)، وهي تمثل جملة من العلوم هي : النحو ، والصرف ، واللغة ، وعلوم البلاغة ، والمنطق وغيرها من العلوم التي تعين على الاستنباط في تأدية الوظائف الفقهية^(١) ، وقد أدرك الاصوليون قبل الدخول في موضوعاتهم وقواعدهم لاستنباط الحكم الشرعي من النص اهمية هذه المباديء ، اذ تساعدهم على فهم معنى النص ، فاستعانوا

(١) ينظر: البحراني ١٧/١-١٤٢ والخوئي ٢٦/١-٣٥١

بها على نطاق واسع في التفسير سواء في النص القرآني وشروح الحديث الشريف ودراسة متون المرويات ، ونصوص الصحابة (رض) ، ونصوص خطب الائمة (ع) . ومن ذلك شروح نهج البلاغة^(١) .

لقد أشار الشارح البحراني الى غايته من وضع مقدمة لشرحه بقوله : « فاعلم ان كلامه عليه السلام يشتمل على مباحث عظيمة تتشعب عن علوم جلييلة يحتاج المتصدي للخوض فيه وفهم ما يشرح منه بعد جودة ذهنه وصفاء قريحته الى تقديم ابحاث تعينه على الوصول الى تلك المقاصد ، ولما ابرز (ع) مقاصده في الفاظ خطابية اما منطوق بها او مكتوبة تعيّن ان اذكر من مباحث الالفاظ قدرا تمس الحاجة اليه»^(٢) ، والامر عينه يلحظ لدى الخوئي في قوله : « قبل الشروع في المقصود لا بد من تقديم مقدمة وجملة من المطالب المهمة يستعان بها على ما يذكر في الشرح

وتوجب زيادة البصيرة»^(٣)

وقد تناول الاصوليون جملة من المسائل في مباحث (المباديء اللغوية) تشتمل على العلاقة بين اللفظ والمعنى، واقسامها واحكام كل قسم ، وانواع دلالة اللفظ ، وبحوث الوضع وأصل اللغة ، والبحوث المرتبطة بمعاني الحروف والهيئات والمشتقات ودراسة الحقيقة والمجاز . كما استخلصوها من الاستقراء لكلام العرب^(٤) ، ولذا كان الاصوليون من اكثر العلماء عناية بدراسة المعنى، فقد فاق اهتمامهم بها اللغويين والبلاغيين^(٥) وقد نحا الشارحان البحراني والخنوي هذا المنحى فأقرا الركائز الدلالية في مباحث الالفاظ سيرا على نهج الاصوليين ، كما في المطالب الآتية:

المطلب الأول : تقسيمات الالفاظ .

ابتدأ الشارحان البحراني والخنوي في مقدمتيهما بتقسيمات متعددة للالفاظ وباعتبرات متنوعة ، منها تقسيمات للالفاظ حسب المراد بجزئها ، وتقسيمات للالفاظ بحسب تصور معناها ، وتقسيمات للالفاظ على وفق علاقتها بالمعنى ، وتقسيمات للالفاظ حسب مدلولها ، وتقسيمات للالفاظ حسب دلالتها على مسمياتها^(٦) . وما يهمنا هو التقسيمات الدلالية للالفاظ ، وهي الثلاثة الاخيرة ، فقد ذكر البحراني تقسيمات للالفاظ على وفق علاقتها بالمعنى ، بقوله : ((اللفظ والمعنى اما ان يتخدا او يتكثرا او يتخذ اللفظ ويتكثّر المعنى ، او بالعكس))^(٧) ، وتابعه على هذا التقسيم الشارح الخنوي^(٨) . وهذه التقسيمات الأربعة هي المتبعة لدى أغلب الأصوليين^(٩) ، وقد فحّر البحراني

(١) أصول الفقه (المظفر) ٣ .

(٢) البحراني ٢٣/١ . (٣) الخنوي ١٠/١ .

(٤) ينظر: المعتمد في أصول الفقه ٣٠/١ وعدة الأصول ٤/١ - ٢٤ واللمع في أصول الفقه ٥ - ٢٩ والمستصفي ٩/١ - ٣٢ .

(٥) ينظر: التصور اللغوي عند الأصوليين ٧٣ ودراسة المعنى عند الأصوليين ١١ .

(٦) ينظر: البحراني ٢٨/١ والخنوي ١٠/١ . (٧) البحراني ٢٧/١ .

(٨) ينظر : الخنوي ١٠/١ .

(٩) ينظر: المستصفي ٣١/١ والتصور اللغوي عند الأصوليين ٩٩ - ١٠٠ .

متابعة منه لأغلب الأصوليين القسم الاول ، وهو اتحاد اللفظ والمعنى الى نوعين : أولهما : ان يكون الاتحاد بين اللفظ والمعنى جزئيا ، وهو العَلْم نحو : لفظة (زيد) ، والآخر: ان يكون الاتحاد بين اللفظ والمعنى كليا ، وهو المتواطئ نحو لفظة : (رجل) ، وقد بين الأصوليون المراد بالالفاظ المتواطئة بانها « الالفاظ التي تطلق على اشياء متغايرة بالعدد ولكنها متفقة بالمعنى الذي وضع الاسم عليها ، كاسم الرجل فانه يطلق على زيد وعمرو وبكر وخالد ... وكل اسم مطلق ليس بمتعين ... فانه ينطلق على احاد مسمياته الكثيرة بطريق التواطئ ، كاسم اللون للسواد والبياض والحمرة فإنها متفقة في المعنى الذي به سمي اللون لونا ، وليس بطريق الاشتراك»^(١) . غير ان الشارح الخنوي خالف صاحبه في القسم الاول ، رافضا القول باتحاد اللفظ والمعنى ، معللا ذلك بقوله : ((والظاهر عدم وجود مثال لهذا القسم ... وذلك لأن مرادهم بالمعنى في المقسم ان كان خصوص المعنى الحقيقي فيبطل التقسيم في الاقسام الآتية ، وان كان

الاعم من الحقيقة والمجاز فيشكل القسمة الى هذا القسم ، اذ ما من حقيقة الا وله مجاز ، فليس لنا لفظ متحد المعنى ظاهرا فتأمل»^(٢) يريد ان لفظ (رجل) السابق لا يخلو من استعماله مجازيا ، وبذلك لا يتحد اللفظ مع معناه كليا كما ذكروا ، فيبطل تقسيمهم لدى الخوئي الذي نظر الى الالفاظ المتواطئة من زاوية امكانية وقوع الشركة في تصور مفهوم اللفظ المفرد من عدمها ، لا من حيث اتحاد هذا اللفظ مع معناه ، فالكلبي عنده ما «تساوى صدقه على أفراد كالانسان يسمى متواطئا لتواطؤ أفراد وتوافقه فيه»^(٣) ، فلفظ (الانسان) هو لفظ مفرد لا يمنع مفهومه من وقوع الشركة مع اسماء اخرى نحو : زيد وعمرو وخالد ، على حين ان الجزئي وهو العلم نحو : زيد يمتنع فيه حصول الشركة مع أسماء أخرى ، فهو لا يدل الا على زيد دون غيره . ويبدو ان العلماء ولا سيما الاصوليون قد اسرفوا في ادعاء المجاز حتى جعلوا اللغة كلها مجازا كما يذكر ابن جني^(٤) ، وهذه مسألة فيها نظر وغير مسلم بها . وقد اصطلح البحراني والخوئي متابعة منهما للاصوليين على التقسيم الثاني للفظ والمعنى حين يتكثرا ب (الالفاظ المتباينة) ، والمراد بها « الاسامي المختلفة للمعاني المختلفة ، كالسواد ، والقدرة والاسد ، والسماء ، والارض ، وسائر الاسامي ، وهي الاكثر»^(٥) ، فمصطلح المتباين ماخوذ من البين بمعنى الافتراق^(٦) ، اي افتراق المسميات في حقائقها لان المتباين هو ما اختلف لفظه واختلف معناه^(٧) . وكذلك اصطلاحوا

(١) المستصفي ٣١/١ - ٣٢ وينظر: دراسة المعنى عند الأصوليين ٩٠

(٢) الخوئي ١٠/١

(٣) الخوئي ١٤/١

(٤) ينظر : الخصائص ٤٤٩/٢ .

(٥) المستصفي ٣١/١

(٦) ينظر: المفردات ١٥٦ والقاموس ١٠٨٩ .

(٧) ينظر: التضاد في ضوء اللغات السامية : ٥

على القسم الثالث الذي يتكرر فيه اللفظ ويتحد المعنى بأنه الالفاظ المترادفة ، اما القسم الرابع فهو المعروف بالمشترك ، الذي تنعكس فيه المسألة فيتحد اللفظ وتتكرر المعاني ، وقد افرد الشارحان البحراني والخوئي لكل من : الترادف والاشتراك مبحثا مستقلا . ومن الملاحظ أن هذه التقسيمات التي ذكرها الشارحان هي تقسيمات أشار اليها سيبيويه في الباب الذي سماه : باب اللفظ للمعاني ، وفيه يجعل التقسيمات ثلاثة ، اذ يقول : « اعلم ان من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين»^(١) ، وهو بذلك يذكر : المتباين ، والمترادف ، والمشترك . وقد ذكر البحراني تقسيما للالفاظ حسب دلالاتها فقال : « اللفظ قد يكون مدلوله لفظا مفردا او مركبا ، وعلى التقديرين فأما ان يدل على معنى او لا يدل ، فهذه اقسام اربعة ، الاول : لفظ مفرد دال على معنى مفرد كلفظ الكلمة والاسم والفعل والحرف ، والثاني : لفظ مفرد دال على لفظ مركب دال على

معنى مركب كلفظ الخبر والكلام والقول الدال على قولنا : زيد كاتب الدال على معانيه ، والثالث : لفظ مفرد دال على لفظ مفرد غير دال على معنى كقولنا : ا ، ب ، وسائر حروف المعجم ، والرابع : لفظ مفرد دال على لفظ مركب غير دال كلفظ الهذيان والهذر^(٢) ، وهذا القول فيه نظر ، فقد ذكر البحراني في مقدمة هذا التقسيم العلاقة بين اللفظ (المفرد والمركب في مدلوله) وبين المعنى ، وذكر أن هذين التقديرين أما ان يدلّ على معنى او لا يدلّان ، لكنّه لما ذكر الصنف الاول وهو (المفرد الدال على معنى مفرد) لم يذكر التقدير الثاني، وهو (المفرد الدال على معنى مركب) ، ولما ذكر (المفرد الدال على لفظ مفرد غير دال على معنى) لم يذكر التقدير الثاني له وهو (المفرد الدال على لفظ مفرد دال على معنى) ليتناسب ذلك مع مقدمته للتقسيم. فضلا عن ذلك جاء تمثيل الشارح لهذه التقسيمات قاصرا ، فلفظة (الكلمة) التي مثل بها للفظ المفرد الدال على معنى مفرد قد تاتي دالة على معنى مركب عندما تكون دالة على خطبة طويلة او قصيرة ، وكذلك لفظ (الخبر) التي ذكرها مثلا للفظ المفرد الدال على لفظ مركب دال على معنى مركب لا تصدق في كل الاحيان على الجملة الخبرية فهذه اللفظة قد يراد بها الدلالة على المفرد وهو خبر المبتدأ في الاستعمال النحوي ، والشيء نفسه يلحظ في لفظة (الهذيان) ، فهي دالة على مركب ، ولكن هذا المركب لا يخلو من الدلالة كما ذكر الشارح ، لان المفهوم من دلالة (الهذيان) - اللفظة المفردة - هو دلالتها على جملة ، وهذه الجملة مكونة من الفاظ ذات معنى ، وان تركيب هذه الالفاظ مع بعضها له معنى غير مفهوم للسامع ، فهي جملة لها دلالة على معنى غير مفهوم^(٣) . وقد أورد البحراني تقسيما آخر للالفاظ حسب دلالتها على مسمياتها ، وهو تقسيم يذكر فيه انواع الدلالة لدى الاصوليين ، بقوله : ((دلالة

(١) الكتاب ٢٤/١ وينظر: الخصائص ٤٥/٢ و١٥٢ والمزهر ٣٦٩/١ .

(٢) البحراني ٢٩/١ .

(٣) ينظر: الحل القصدي ١٥

اللفظ اما على تمام مسماه ، او على جزء مسماه من حيث هو جزؤه ، او على الامر الخارج عن مسماه اللازم له في الذهن من حيث هو لازم له ، والدلالة الاولى : هي دلالة المطابقة ، كدلالة لفظ الانسان على الحيوان الناطق ، والثانية : دلالة التضمن ، كدلالته على الحيوان وحده او على الناطق وحده ، والثالثة : دلالة الالتزام ، كدلالته على الضاحك^(١) . والدلالة الاولى - المطابقة - يسميها البحراني وضعية ، اما الدالتان الثانية والثالثة فيرى انهما مشتركتان بين الوضع والعقل ، وبذلك يخالف تقسيم الاصوليين في عدّهما عقليتين^(٢) ، وقد علّل رفضه العقلية الصرفة في تسمية هاتين الدالتين التضمنية والالتزامية بقوله : ((لانهم ان ارادوا انهما حاصلتان عن صرف العقل من دون مشاركة الوضع فهو باطل ، لانه لولا ارتسام المعنى في الذهن عن اللفظ لما حصلت هاتان الدالتان ، وايضا فانهم - اي الاصوليين - صرحوا بانهما من دلالات الالفاظ فلا يمكن مع ذلك دعوى حصولهما عن مجرد العقل ، وان ارادوا بذلك ان الذهن عند تصور المعنى من لفظة ينتقل منه الى جزئه او الى لازمه فهو حق وحينئذ تكون هاتان الدالتان

بشركة من الوضع والعقل»^(٣) . وفي قول البحراني هذا يظهر اتجاه القصدية في العلاقة بين الدال والمدلول بقوله : « لولا ارتسام المعنى في الذهن عن اللفظ» الذي سيتضح لاحقا . ولولا هذه القصدية في وضع اللفظ دالا على مسماه لما حصلت الدلالة على ما يتضمنه اللفظ او يلزمه . واكد البحراني على اشتراك الوضع والعقل في الدلالة الالتزامية دون اقتصارها على العقل وحده بقوله : إن « اللزوم الذهني ليس موجبا لانتقال الذهن من الملزوم الى لازمه ، اذ ليس هو تمام ما يتوقف عليه الالتزام ، بل لابد من تصوّر الملزوم اولا ، وذلك متوقّف على وضع اللفظ بازائه ، والعلم بالوضع ، وسماع اللفظ او حضوره بالبال ، فهو اذن احد الشروط المعدة لتصور اللازم»^(٤) .

وتابع الخوئي البحراني في ذكر هذه الانواع الثلاثة ، غير انه اورد رأي المناطقة^(٥) في تسميتها بأنها وضعية « من جهة ان للوضع مدخلا فيها ، ويخصون العقلية بالعقلية الصرفة المقابلة للوضعية والطبيعية ، كدلالة الدخان على النار ، واللفظ المسموع من وراء الجدار على وجود الالفاظ ولا مشاحة في ذلك»^(٦) وتعقيب الخوئي على تصنيف المناطقة يدل على أخذه به .

لقد ذكر الشارح البحراني الدلالة الطبيعية المتعلقة بما يعتري الانسان من تغيرات ظاهرية دالة على حالاته النفسية وصراعاته الداخلية ، وذلك في شرحه لقوله (ع) : (ما أضمر أحد شيئا إلا ظهر في فلتات سانه وصفحات

(١) البحراني ٢٣/١ وينظر: السرخسي ١٩٨/١ .

(٢) ينظر: غاية الوصول شرح لب الأصول ٢٩ .

(٣) البحراني ٢٤/١ . (٤) نفسه ٢٤/١ .

(٥) ينظر: شرح تنقيح الفصول للقرافي ٢٣ ، وشروح التلخيص ٢٦٦/٣-٢٦٧ والطراز ٣٤/١-٣٩ وتحرير القواعد المنطقية ٢٠-٢١ . (٦) الخوئي ١٢/١-١٣

وجّهه^(١) ، فقد بين البحراني أنه « لما كانت التصورات والامور النفسانية مبادئ للأثار الظاهرة ، كصفرة الوجع ، وحمرة الخجل لم ينفك بعض الامور المضمر عن ظهور ما يعرف به من الآثار في صفحات الوجه والعين»^(٢) ، ثم زاد الشارح مغنية بيانا لهذه الحالات من الدلائل الطبيعية فقال : « للتعبير عما في النفس العديد من الوسائل ، منها : اللفظ ، والكتابة ، والاشارة ، ومنها : الرقص ، والرسم ، والالحن ، ومنها : نظرات العين ، وابتسام الفم ، وصفحات الوجه ، والعبوس ، والدموع ، حتى المني جوب ، وشعر الخنافس ، بل والصمت ايضا بعض الاحيان من وسائل التعبير ... وبالأولى فلتات اللسان»^(٣) وقد ألمح سائر الشراح إلى ذلك دونما تفصيل^(٤) .

اما الدلالة العقلية الصرفة فقد ذكرها شراح النهج وهم يشرحون قوله (ع) : (الحمد لله الدال على وجوده بخلقه ...) ^(٥) إذ بيّنوا أنّ ثمة نوعين من الدلالة على وجوده تعالى هما : الدلالة العقلية ، والدلالة الكلامية ، فالدلالة العقلية على وجوده تعالى هي « من النظر في نفس الوجود»^(٦) ، اما الدلالة الكلامية فقد تكفل الشارح البيهقي في بيانها ، فرأى ان كلامه (ع) يعني « أنّ الفعل لا يصح الا من قادر ، فالفعل يدل بواسطة الصّحة على القادر ، والقادر لا

يصح كونه قادرا حتى يكون موجودا لاستحالة كون المعدوم قادرا ، ولقيام الدلالة على ذلك ، فصح أنه تعالى دال على وجوده بخلقه ، فكلما وجد مقنن من مقدراته دل على وجوده من هذا الوجه^(٧) وشايح البيهقي فريق من الشراح^(٨) . وهناك تقسيم آخر ينبثق من انواع الدلالات الوضعية ، وهو يختص بدلالة التراكيب والجمل ، فقد قسم المتكلمون^(٩) الدلالات على قسمين رئيسين :

القسم الأول : دلالة المنطوق ، وهي دلالة اللفظ على حكم في محل النطق . والمنطوق على نوعين أولهما : المنطوق الصريح وهو دلالة اللفظ على الحكم بطريق المطابقة او التضمن . **والآخر :** المنطوق غير الصريح وهو دلالة اللفظ على الحكم بطريق الالتزام ، وهذا دلالاته ثلاث هي : دلالة الاقتضاء ، ودلالة الايماء ، ودلالة الاشارة .

(١) نهج البلاغة : الحكمة ٢٦ ص ٦٠٢-٦٠٣ .

(٢) البحراني ٢٣٤/٥ .

(٣) مغنية ٥٩/٦

(٤) ينظر : البيهقي ٤٠٣ والراوندي ٣٧٠/٣ والكيدري ٦٠٨/٢ والمعتزلي ١٣٧/١٨ والخوئي ٤٣/٢١ والتستري ٤٨٢/١٤ وأبو الفضل ٣١٢/٢ والشيرازي ٢٦٩/٤ والموسوي ٢٢٣/٥ .

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ١٥٢ ص ٢٦٦ .

(٦) المعتزلي ١٤٨/٩ وينظر : البحراني ٢٢٩/٣ ومغنية ٣٧٠/٢ والتستري ٢٦٠/١ وأنصاريان ٧٢/٢ والشيرازي ٣٧٤/٢ .

(٧) البيهقي ٢٤٠-٢٤١ . (٨) ينظر : الراوندي ٩٠/٢ والكيدري ٦٥٩/١ .

(٩) ينظر : أصول السرخسي ٢٣٦/١ وأسباب اختلاف الفقهاء ١٥٨-١٩٣ وأصول الفقه الإسلامي في نسجه الجديد ١٠/١-١١

ومفاهيم الألفاظ ودلالاتها عند الأصوليين ٦

القسم الثاني : دلالة المفهوم . وهو على نوعين : مفهوم الموافقة ، ومفهوم المخالفة ، والمفهومات كلها تعد من باب دلالة الالتزام . وقد عرفوا مفهوم الموافقة بانه « فهم غير المنطوق به من المنطوق بدلالة سياق الكلام ومقصده ، كفهم تحريم الشتم ، والقتل ، والضرب من قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمْ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا ﴾^(١) »^(٢) . اما مفهوم المخالفة عند القائلين به^(٣) فقد عرفوه بأنه « الاستدلال بتخصيص الشيء بالذكر على نفي الحكم عما عداه »^(٤) ، ومن امثله لديهم قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ﴾^(٥) اذا استدلووا على وجوب الصلاة على المسلم الميت بطريق المفهوم من تحريم الصلاة على المنافقين .

ولا نجد تفصيلاً هذه الأقسام في مقدمتي البحراني والخوئي سوى ذكر البحراني بصورة مجملة لدلالة الاقتضاء التي عداها من دلالات الالتزام ، وذكر انها أمة اقتضاء عقلي او اقتضاء شرعي ، ومثّل للعقلية بشرطية « نصب السلم لصعود السطح عند الامر به ، او شرعية كشرطية الوضوء للصلاة عند الأمر بها »^(٦) ، ثم تطرق الى ذكر دلالة المفهوم بقوله : « اللفظ المركب اذا استلزم تركيبه معنى فأما ان يكون من متممات المعاني المذكورة بالمطابقة او من تابعها ، والأول كدلالة تحريم التأفيف على تحريم الضرب ، واما الثاني فكاستلزام قوله تعالى : ﴿ أَجَلٌ لَكُمْ لِيَلْذَنَ الصِّيَامِ

الرَّفَثُ إِذِي سَأْتِكُمْ ... حَدَّثَ يَ بَيِّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴿٧﴾ لعدم فساد صوم من أصبح جنباً ، والا لحرم الوطء في اخر جزء من الليل يتسع للغسل ﴿٨﴾ .

وعرض مغنية الى ذكر دلالاتي المنطوق والمفهوم ، والتعريف بكل منهما ، وذلك في شرحه لقوله (هـ) في احدى حكمه ، انه لما (قيل له : صف لنا العاقل ، فقال (هـ) : (هُلْذِي يَضَعُ الشَّيْءَ مَوَاضِعَهُ ، فَقِيلَ : فَصِفْ لَنَا الْجَاهِلَ ، فَقَالَ : قَدْ فَعَلْتُ) ^(٩) ، اذ شرح مغنية هذه الحكمة بقوله : « ان تحديد احد الضدين اللذين لا ثالث لهما كالعلم والجهل ، والليل والنهار هو تحديد للاخر بالمفهوم لا بالمنطوق ، ويسميه علماء اصول الفقه بمفهوم المخالفة ، وعرفوه بدلالة اللفظ على مخالفة حكم المسكوت عنه لحكم المنطوق به مثل: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(١٠) ، فالمنطوق به هنا تحريم ما ذبح على غير اسم الله ، والمسكوت عنه تحليل ما ذبح على اسم الله ، ولكن دل عليه اللفظ مفهوما لا منطوقا ، اما مفهوم الموافقة فهو دلالة اللفظ على موافقة الحكم المسكوت عنه لحكم المنطوق به بطريق اولى ، مثل: ﴿ وَقَضَى

(٢) المستصفي ١٩٠/٢ .

(١) الإسرائء ٢٣

(٣) ينظر: البرهان في أصول الفقه ٤٥٥/١ والمستصفي ١٩١/٢ وميزان الأصول ٥٨٢/١ .

(٥) التوبة ٨٤ .

(٤) المستصفي ١٩١/٢ .

(٧) البقرة ١٨٧ وينظر: الكشاف ٣٣٨/١ .

(٦) البحراني ٢٩/١ .

(٩) نهج البلاغة : الحكمة ٢٣٥ ص ٦٤٥ .

(٨) البحراني ٢٩/١-٣٠ .

(١٠) البقرة ١٧٣

رَبِّكَ إِلَّا تَعْبُوهُ إِلَّا إِيَّاهُ وَيَالِوَالِدِ بْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْدُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿١﴾ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى تَحْرِيمِ الضَّرْبِ بِالْمَفْهُومِ وَهُوَ مُوَافِقٌ لِحُكْمِ الْمَنْطُوقِ ، وَمِنْ هُنَا سَمِّيَ بِمَفْهُومِ الْمَوْافَقَةِ ، وَذَلِكَ بِمَفْهُومِ الْمَخَالَفَةِ ﴿٢﴾ وَيُظْهِرُ تَعْرِيفَ مَغْنِيَةِ هَذَا قَرِيبًا مِنْ تَعْرِيفِ الْأَمْدِيِّ (ص ٦٣١ هـ) الَّذِي عَرَفَ مَفْهُومَ الْمَخَالَفَةِ بِأَنَّهُ « مَا يَكُونُ مَدْلُولُ الْلفظِ فِي مَحَلِّ السُّكُوتِ مُخَالَفًا لِمَدْلُولِهِ فِي مَحَلِّ النُّطْقِ » ^(٣) وَعَرَفَ مَفْهُومَ الْمَوْافَقَةِ بِأَنَّهُ : « مَا يَكُونُ مَدْلُولُ الْلفظِ فِي مَحَلِّ السُّكُوتِ مُوَافِقًا لِمَدْلُولِهِ فِي مَحَلِّ النُّطْقِ » ^(٤) .

ولم يلتفت سائر شراح النهج الى دلالة المفهوم من قوله (هـ) السابق ، الا انهم اوردوا انواعا من دلالة المنطوق ، ودلالة المفهوم في شرحهم لأقوال أخرى للإمام (هـ) فذكروا مصطلحات : الايماء، والاقتضاء، والاشارة، والمفهوم، وغير ذلك . ومن ذلك ذهاب معظم شراح النهج الى تفسير قوله (هـ) : (بِن تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعُفُوا الَّذِي تَرَكَهُ) ^(٥) بالمفهوم من هذا النص ، وهو الذي عبر عنه الشارح الراوندي بقوله ان هذا الكلام هو : « اشارة الى أن التولي لاولياء الله لا يتم الا بالتبرؤ من أعداء الله » ^(٦) وتابعه المعتزلي على هذا المفهوم مستعملا مصطلح (التنبيه) بدلا من (الاشارة) ، مبينا ان هذا الكلام « فيه تنبيه على انه يجب البراءة من اهل الضلال ، وهو قول اصحابنا جميعهم ... » ^(٧) ، ثم تابعه

في ذكر هذا المعنى المفهوم من نص الإمام (ع) معظم شراح النهج^(٨) ، ويبدو أن الذي قادهم الى تجاوز ظاهر النص الذي مفاده ان معرفة الظالم هي معرفة للرشد ، والغور الى مفهوم اخر ، هو ما بينه الشارح مغنية من ان «دين الله لا يعرف بالرجال، فاعرف الحق تعرف اهله ... لا يريد الإمام (ع) بقوله هذا ان يحدد معنى الرشد ولا هو بصدد ذلك ، وانما يريد ان ينبّه الأذهان الى أن المؤمن عليه ان يتبرأ ويكفح اهل الفساد والضلال»^(٩) . وبين الراوندي دلالة المفهوم وهو يوضح قوله (ع) : «لَا يُدْرِكُهُ بَعْدَ الْهَمَمِ»^(١٠) قائلا : «ان الهمة القريبة لا تدرکه ايضا... ونحوه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(١١) فانه لما استوى على العرش مع انه أكبر المخلوقات فلأن يكون عاليا الى ما دونه أولى ، ونحوه ، و(ان كان) بالعكس من وجه آخر قوله : ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفَّ﴾^(١٢) فإنه أدنى العقوق وقد نهى سبحانه عن كثير العقوق ايضا ، أي : لا تؤذهما بقليل ولا كثير»^(١٣) .

(١) الإسرائ ٢٣ . (٢) مغنية ٢٩٥/٦ .

(٣) الإحكام ٩٩/٣ وينظر: شرح تنقيح الفصيح ٥٥ .

(٤) الإحكام ٩٤/٣ وينظر : كشاف اصطلاحات الفنون ٤٢٠/٦ والمعجم الفلسفي ٤٠٣/٢

(٥) نهج البلاغة الخطبة ١٤٧ ص ٢٥٨ .

(٦) الراوندي ٧٥/٢ . (٧) المعتزلي ١٠٧/٩ .

(٨) ينظر: البحراني ٢٠٤/٣ والخوئي ٧٥/٩ وابو الفضل ٣٣٦/١ وأنصاريان ٥٧/٢ والموسوي ٤٤٩/٢ .

(٩) مغنية ٣٤٢/٢ (١٠) الخطبة ١ .

(١١) طه ٥ وينظر: الكشاف ٥٣٠/٢ . (١٢) الاسراء ٢٣ وينظر: الكشاف ٤٤٤/٢ .

(١٣) الراوندي ٣١/١ وينظر: الكيدري ١١٨/٢ .

وقد تتعدد المفهومات من النص تبعا لآراء الشّراح ، على وفق ما جاء في مخالفة الشارح التستري لهذا المفهوم الذي أجمع عليه شراح النهج^(١) . ومن أمثلة ذلك - ايضا - استعمال الشارح الراوندي لمصطلح (الاشارة) للدلالة على ان مراد الإمام (ع) هو ذكر الإمام المهدي (ع) ، وذلك في عدة عبارات منها قوله (ع) : «يا قوم هذا إبان ورود كل موعود ، ودنو من طلعة ما لا تعرفون»^(٢) ، إذ ذكر الراوندي أن « هذا اشارة الى عهد المهدي ، وقرب قيامه ، وايماء الى المؤمنين الذين يكونون في غيبة الإمام يحلون مشكلا وشبهة في الدين ، ويعتقون رقّا من ضعفاء الشيعة ...»^(٣) ، وتابعه جمع من شراح النهج^(٤) على اشارة هذا النص الى الإمام المهدي (ع) ، عدا الشارح الخوئي الذي لم يفهم من النص دلالاته على الإمام المهدي (ع) بحجة عدم اكتمال الخطبة التي وردت فيها هذه العبارة اذ اقتطعها الرضي من كلام اخر ، فعلق الخوئي قائلا : «والانصاف ان كلامه (ع) متشابه المراد لان السيد (ع) حذف اول الخطبة وساقها على غير نسق ، فأوجب ذلك ابهام المراد ، وأعضال الكلام»^(٥) .

ومن استعمال الشراح مصطلح الإشارة أن الكيدري لما وقف على قوله (ي) في الموت : (وصارت الأجساد شحبة بعد بضتها والعظام نخرة بعد قوتها والأرواح مرتهنة بقل أعبائها)^(٦) قال : « هذا إشارة الى العذاب الروحاني »^(٧) ، وبه قال بعض شراح النهج^(٨) .

وورد لدى الشارح المعتزلي مصطلح (الايماء) وهو يشرح قوله (ي) : (كل معدود منقضى ، وكل متوَّع آت)^(٩) ، اذ قال في تفسير كلامه (ي) : « انه ليس يعني ان العدد علة في وجوب الانقضاء ، كما يشعر به ظاهر لفظه ، والذي يسميه اصحاب اصول الفقه ايماء ، وانما مراده كل معدود فاعلموا انه فان ومنقضى ، فقد حكم على كل معدود بالانقضاء حكما مجردا عن العلة ، كما لو قيل : زيد قائم ، لانه يسمى زيدا »^(١٠) ، وخالفه في هذا التفسير بعض الشراح^(١١) .

(١) ينظر: التستري ٦٠/٣ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ٥٠ ص ٢٦١ و ينظر: الخطبة ١٨١ والخطبة ٢٩٩ .

(٣) الراوندي ٨١/٢ .

(٤) الكيدري ٦٥١/١ والبحراني ٢١٤/٣ ومغنية ٣٥٦/٢ والتستري ٢٠٧/٦ وأنصاريان ٦٢/٢ والموسوي ٤٦٢/٢ .

(٥) الخوئي ١٣٥/٩ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ ص ١٢٩ .

(٧) الكيدري ٣٩٢/١ .

(٨) ينظر: البحراني ٢٨٣/٢ وللشيرازي ٣٢٧/١ .

(٩) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٢ ص ١٨٧ .

(١٠) المعتزلي ٢٢٢/١٨ .

(١١) ينظر: البحراني ١٨/٣ والخوئي ١٨٤/٧ والموسوي ١٨٠/٢ .

واستعمل الشراح مصطلحات اخرى مقارنة للدلالة على المفهوم من نصوص الإمام (ي) من نحو : « وفيه رمز الى كذا »^(١) ، « وفيه تعريض »^(٢) ، « وهذا يدل على كذا »^(٣) ، « وفيه تلويح الى كذا »^(٤) ، وغيرها من المصطلحات الموصلة الى المعنى المفهوم من ظاهر النصوص .

ويمكن عد الكنايات والامثال من التراكيب التي توصل الى المعنى المراد منها من خلال مفهومها ، وقد بين أكثر شراح النهج المراد من الكنايات الواردة في كلام الإمام (ي) من خلال مصطلح الإشارة الذي ينفذ من ظاهر الكناية الى المعنى المراد منها ، من ذلك قول الراوندي وهو يشرح الكناية الواردة في قوله (ي) يصف مدة خلافة مروان ابن الحكم : (كَلْفَةُ الْكَلْبِ أَنْفَه)^(٥) ، اذ قال : ان هذه الكناية «إشارة الى قلة مدة خلافته»^(٦) ، وهذا هو رأي سائر الشراح^(٧) . وعبرالشيرازي عن هذا المعنى بلفظة (التصوير) ، اذ يقول : « هذا تصوير لقصر مدة اماره مروان ، والمراد بلعق انفه لحسه اياه »^(٨) . ومن الكنايات الواردة في النهج قوله (ي) يصف مآل أنصاره بعد وفاته : (وَلتَسْلُطَنَّ سَوطَ القَدْرِ)^(٩) ، اذ

بين الشّواح ان المراد منها هو الاشارة الى ما ستؤول اليه احوال الناس من الاختلاط واختلال النظام حتى يعود الوضع رفيعا ، والتبع متبوعا^(١٠) .

المطلب الثاني : العلاقة بين الدال والمدلول .

شهد التقعيد للعلاقة بين الدال والمدلول لدى البحراني اضطرابا واضحا بين القول بقصدية هذه العلاقة واعتباطية اطلاق الاسم على مسماه . على حين لم يُظهر التقعيد لدى الخوئي سوى القول بقصدية هذه العلاقة ، وذلك من خلال حده للحقيقة بانها : « الكلمة المستعملة فيما وضعت له من حيث هو كذلك »^(١١) ، فأشار (بوضع الكلمة) الى قصدية علاقتها مع المدلول . وقد عرف الاصوليون الوضع بانه: « التصيير على اسماء

(١) ينظر: التستريّ ٤٤٥/٦-٤٤٦

(٢) ينظر: السامرائي ٢٥٩ وأنصاريان ١٧٧/١ والشيرازي ٢٢٦/٤ .

(٣) ينظر: الكيدريّ ١٥٢/٢ وأبو الفضل ٩١/٢

(٤) ينظر: الشيرازي ٢٢٦/٤

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ٧٣ ص ١١٣ .

(٦) الراونديّ ٣٠٦/١

(٧) ينظر: المعتزليّ ٤٧/٦ والخوئي ٢٢٠/٥ وأنصاريان ٢٠٤/١ .

(٨) الشيرازي ٢٨٦/١ وينظر: عبده ١٣٤/١

(٩) نهج البلاغة : الخطبة ١٦ ص ٤٤ .

(١٠) ينظر: البيهقيّ ٩٧/١ والسرخسي ٥٨/١ والخوئي ٢١٨/٣ ومغنية ١٣٣/١ وأبو الفضل ٥٢/١ والسامرائي ١٨٦

(١١) الخوئي ٢٣/١

المسميات»^(١) ، وبعبارة اخرى : « تعيين اللفظة بازاء معنى بنفسها »^(٢) ويظهر تأكيد الشارح الخوئي على هذه القصدية وهو يبين المعنى الحقيقي بأنّه المعنى « الظاهر من اللفظ عند الاطلاق »^(٣) ، اي ان معنى اللفظة يظهر من ائتلاف اصوات الكلمة عند النطق بها وهذه هي القصدية في العلاقة بين الدال والمدلول التي تظهر في فكر الشارح البحراني -ايضا- من تعريفه للحقيقة بانها : « كلُّ كلمة أُفيد بها ما وضعت له في اصل الاصطلاح الذي وقع التخاطب به »^(٤) ، وتظهر - ايضا - في معالجاته الدلالية في مواضع متفرقة ، فقد اشار الى قصدية العلاقة عند توضيحه للدلالاتين التضمنية والالتزامية ، اذ بين انه « لولا ارتسام المعنى في الذهن عند اللفظ لما حصلت هاتان الدالتان »^(٥) ، فعبارة « ارتسام المعنى في الذهن عند اللفظ » تبين ان اللفظ دال بائتلاف اصواته على معناه ، فهو دال ومدلول في الوقت ذاته عن الشيء الخارجي . وقد اشترط البحراني هذه القصدية في الدلالة الالتزامية بقوله : « لابد من تصور الملزوم اولا ، وذلك متوقف على وضع اللفظ بازائه ، والعلم بالوضع ، وسماع اللفظ ، او حضوره بالبال ، فهو اذن احد الشروط المعدة لتصور اللازم »^(٦) ، ويصرح البحراني بهذه القصدية في موضع آخر قال فيه : « معلوم

ان اللفظ اطلق لارادة مسماه ، واستعمل فيه بالذات ، لا فيما انتقل الذهن اليه من الاجزاء واللوازم^(٧) وهذا تأكيد من البحراني على القصدية الرابطة بين معنى اللفظ و (المسمى) فلا يخرج اللفظ عن حدود الدلالة العامة له والمتاتية من ائتلاف اصواته بعضها مع بعض .

وفي مواضع اخرى تمسك البحراني باعتبارية العلاقة بين الدال (اللفظ) والمدلول (المسمى) وذلك في قوله : « ليس الغرض الاول من وضع الالفاظ المفردة افادتها لمسمياتها المفردة »^(٨) ، فهذا رفض للعلاقة القصدية بين الالفاظ (الدوال) ومسمياتها (مدلولاتها) ، والغاء لوجود القصدية الاولى للتعاقب الصوتي من خلال التعبير عن هذه القصدية بـ (المفردة) للالفاظ المفردة . ثم وضع البحراني ذلك بقوله : « بيان ذلك يستلزم ان افادتها لها موقوفة على العلم بكونها موضوعة لها ، وهذا يستلزم العلم بها قبل الوضع »^(٩) ، اي ان القصدية في افادة الالفاظ لمسمياتها تتوقف على العلم بالوضع ، اي وضع اللفظ دالا على مسماه ، وهذا يستلزم على حد قوله : « العلم بها قبل الوضع » اي العلم بالالفاظ قبل ان توضع لمسمياتها ، او ان الواضع لو كان يضع اللفظ خصيصا للمعنى لكان ذلك يعني انه يدرك معنى محدد لكل لفظ ، وهو المراد بالقصدية في العلاقة ، وهذا الادراك المحدد رفضه البحراني لأن الألفاظ : « لو توقفت افادتها على الوضع لزم الدور »^(١٠)

(١) ميزان الأصول للسمرقندي ٥٤٦/١ وينظر : علم الوضع ١٧-١٩

(٢) مفتاح العلوم ٥٨٧ وينظر : تلخيص المفتاح للقرظيني ٦٤-٦٥

(٣) الخوئي ٢٧/١ (٤) البحراني ٥٢/١ (٥) نفسه ٢٤/١ (٦) نفسه ٢٥/١

(٧) نفسه (٨) نفسه ٥٠/١ (٩) نفسه (١٠) نفسه

فالدور هو المانع من القصدية ، وهذه (الالفاظ) هي التي تقابل (الافكار) لدى دي سوسير الذي أكد على اعتبارية العلاقة بين الافكار (الالفاظ) والصورة الصوتية (اي اصواتها) في قوله : « مهما رجعنا الى الوراء وتوغلنا في القدم ، ومهما كانت الفترة التي نختارها فان اللغة تظهر لنا على انها تراث من الفترة السابقة لفترة التي نحن بصدها ، وقد نتصور لحظة زمنية حددت فيها مسميات الاشياء وقامت صلة بين الافكار والصورة الصوتية ، ولكن مثل هذه العملية لم تسجل قط . إن فكرة ان الامور قد جرت بمثل هذا الاسلوب امر يوحي به شعورنا العميق بالطبيعة الاعتبارية للاشارة »^(١) . وقد بين سوسير مراده بالاشارة في قوله : « الاشارة اللغوية تربط بين الفكرة والصورة الصوتية ، وليس بين الشيء والتسمية ، ولا اقصد بالصورة الصوتية الناحية الفيزيائية للصوت ، بل الصورة السيكولوجية للصوت ، اي الاثر او الانطباع الذي تتركه في الحواس »^(٢) ، فالاشارة عند دي سوسير ذات طبيعة اعتبارية فهي التي تربط بين الفكرة (اللفظ) والصورة الصوتية . وعليه فان المسمى يوجد قبل الاسم ، ومن ثم تظهر الدلالة متأخرة بعد اطلاق الاسم على مسماه ، ولا تظهر من العلاقة القصدية بين الاسم وائتلاف اصواته .

وهذا القول نجد جنوره في الفكر الدلالي لدى البحراني ، اذ بين الغرض من وضع الالفاظ بقوله : «الالفاظ (الغرض

منها تمكن الانسان من تفهم ما يتركب من تلك المسميات بواسطة تركيب تلك الالفاظ المفردة^(٣) ، وهذا يعني ان البحراني يجعل الدلالة تظهر من التركيب لا من وضع اللفظ دالا على معناه -كما ذكر سابقا- ولذا نجده يعترض على نفسه قائلاً : ((ولا يقال : ماذكرتموه قائم بعينه في المركبات ، لان اللفظ المركب لا يفيد مدلوله الا عند العلم بكون تلك الالفاظ موضوعة لتلك المعاني))^(٤) ثم اجاب على الاعتراض بقوله : ((لا نسلم ان الالفاظ المركبة لا تفيد مدلولها الا عند العلم بكون الالفاظ المركبة موضوعة له . بيان ذلك انا متى علمنا وضع كل واحد من تلك الالفاظ المفردة لكل واحد من تلك المعاني المفردة ، فاذا توالى الالفاظ المفردة بحركاتها المخصوصة على السمع ارتسمت المعاني المفردة في الذهن مستلزماً للعلم بنسبة بعضها الى بعض))^(٥) فارتسام المعاني المفردة في الذهن ياتي بنظر البحراني من نسبة الالفاظ بعضها الى بعض اي من خلال الجملة ، وهذا ما ذكره الجرجاني صاحب نظرية النظم^(٦) ، وبذا يبتعد البحراني في هذا النص عن قصدية العلاقة بين الدال والمدلول التي ذهب اليها سابقا .

وفي الجانب التطبيقي للشروح ثمة خلط واضح بين القول بقصدية العلاقة بين الالفاظ ومسمياتها واعتباطية هذه العلاقة ، اذ تتمثل القصدية - على قلتها - في كلام الشّراح وهم يجعلون لكل صوت دلالة خاصة على المعنى

(١) علم اللغة ، سوسير ٩

(٢) نفسه ٢٣

(٤) نفسه ٤٩/١-٥٠

(٣) البحراني ٥٠/١

(٥) نفسه ٥٠/١

(٦) ينظر: دلائل الإعجاز ٨١ .

المراد من اللفظة ، فمثلاً : القَد غير القطّ لاقتراق الدال عن الطاء ولا يتساوى مدلولاً اللفظتين على وفق ما سيأتي في الفصل الثاني . وتظهر القصدية -ايضا- في تحري الشّراح للمعاني الدقيقة للألفاظ . فنجد لديهم أقوالاً كثيرة يبتعدون فيها عن الإقرار بالمشترك اللفظي وان أقرّوا به في الجانب التنظيري ، وفي القسم الاكبر من الجانب التطبيقي ، وذلك من خلال اظهار الفروقات الدقيقة بين معاني اللفظ الذي يظهر عليه الاشتراك عن طريق وضع هذا اللفظ في سياقات متعددة تبرز منها استقلالية المعنى في كل سياق على وفق ما سيأتي في الفصل الخامس . وربما اتبع شراح النهج طريقة ابن فارس في معجمه المقاييس لايضاح العلاقات الدلالية التي تربط الالفاظ ذات المعاني المختلفة بارجاعها الى معنى عام تنطوي تحته المباني الاشتقاقية ذات الدلالات المختلفة وبذا يسهل على القارئ معرفة المعاني المختلفة بعد وضع اليد على معنى عام يجمع المختلفات ، ولفظة (الجنة) تدل على البستان المتشابك الاغصان ، ولفظة (المجنّة) تعني المقبرة التي يرقد تحت ترابها الاموات ، ولفظة (الجِن) بمعنى الكائنات غير المرئية ، ولفظة (الجُنّة) بمعنى خرقة تلبسها المرأة وتغطّي بها وجهها ، ولفظة (الجنين) تعني الولد في بطن امه ، ولفظة (المَجِن) أي الترس الذي يحتمي خلفه المحارب ، وكلّ هذه الألفاظ اجتمعت على أصل ثلاثي واحد هو (جنن) ، ولكن الاشتقاقات جاءت بمعان مختلفة

وكثيرة من الجذر نفسه ، ولذا فسّر الشّراح هذه المختلفات بعموم دلالة (جنن) على السّتر والخفاء^(١) ، لتجتمع الاشتقاقات الصرفية من هذا الجذر على ملحظ معنوي هو (الخفاء)^(٢) .

والقول بالأصل العام للفظة يعضد قصدية العلاقة بين الدال والمدلول من ناحية أخرى هي التخلّص من القول بالاستعمال المجازي ، فاللفظ ذو المعنى العام يمكن الدلالة به على المعاني الفرعية ذات الجوانب المتعددة بملحظ عمومه لا بملحظ الانتقال من حقيقة الدلالة الى مجازيتها . فلفظة (الغوص) في قوله (م) : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُبْلَغُ مِدْقَهُ الْقَائِلُونَ... الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بَعْدَ الْهَمِّ وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطْنِ)^(٣) ، لم تدل على الجانب الفكري وهو (غوص الفطن) استعارة من المعنى الحسي وهو الغوص في الماء ، وإنما دلّت على هذا الجانب بملحظ عموم دلالة لفظة (غاص) على الوقوع في الشيء ، فهذا المعنى العام للفظة يمكن الدلالة به على المعنى الحركي وهو الغوص في الماء للسباحة ، او المعنى الفكري في (غوص الفطن) ، وغير ذلك من المعاني الفرعية . وبذا يمكن الابتعاد عن مجازية الاستعمال الدلالي ، وفي ذلك يقول الشارح البيهقي : « الغوص اصل يدل على هجوم على امر مستقبل ... ومعنى قوله : لا يدركه غوص الفطن ، اي لا يدركه هجوم الافهام على امر مستقبل ، بل انما يعرف تبارك وتعالى

(١) ينظر: الرواندي ٢٨٧/٢ والكيدري ١٤٦/٢ والمعتزلي ١٧٤/١٠ والبحراني ٤٣٥/٣ والسرخسي ١٧٣-١٧٤

والخوئي ١٨٦/١٢ ومغنية ١٨١/٣ والسامرائي ١١٥ والشيرازي ٢٥٣/٣ والموسوي ٣٨٠/٣ .

(٢) ينظر: مقاييس اللغة ٢٠٠-٢٠١ والتطورات المعجمية ٧٤

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص ١٧ .

بالدلائل المحسوسة من أفعاله أو بنفس الوجود واعتباره وانقسامه^(١) . فلا مجاز هنا في استعمال الغوص دالا على المعنى الفكري للفظة . على حين اقر سائر شراح النهج المجاز في (غوص الفطن) بجعلهم المعنى الحقيقي لهذه اللفظة خاصا بالماديات وهو الارتماس في الماء والحركة في عمقه^(٢) .

وفضلا عن ذلك يمكن ملاحظة القصدية بين الدال والمدلول في ظاهرة المشترك نفسها ، فلفظة (السراج) مثلا يمكنها ان تدل على الشمس ، وفي الوقت نفسه على المصباح ، ليس بملحظ الاشتراك اللفظي على معان عدة ، وإنما لعموم دلالة مادة (سرج) على الضوء ، فالسراج « اصل يدل على الحسن والزينة والجمال ... وسمي السراج سراجا لضيائه ، وسميت الشمس السراج لحسنها وضيائها »^(٣) .

المطلب الثالث : الوضع بين الحقيقة والمجاز .

اهتم الاصوليون بدراسة الوضع اللغوي والبحث في اصوله واسبابه ، وذلك لعلاقته الوثيقة بكثير من الموضوعات الدلالية من الحقيقة والمجاز ، والاشترك اللفظي ، والترادف . وذلك بهدف تأصيل الاستعمال المجازي للألفاظ في تركيبها المختلفة لاستنباط الأحكام الشرعية منها ، اذ يستدل عليها بعد معرفة حقيقة الوضع وعلاقة الدال (الاسم) بالمدلول (المسمى)^(٤) .

ولما كان الوضع لديهم هوالتنصيص على أسماء المسميات^(٥) وهذا يعني قصديّة العلاقة بين الدال والمدلول - أدّى ذلك الى عدم القول بالمشترك ، والترادف ، والمجازات في دلالات الالفاظ ، فلكل لفظ معنى يدل عليه دون سواه . ولما كان شراح النهج من القائلين بهذه الظواهر الدلالية ، اذ أقرّوا المجاز ، والاشترار ، والترادف ، لاسيما البحراني والخوئي عمد فريق منهم الى التخلص من قيد القصدية في الوضع بجعل الحقيقة تظهر من اصطلاح التخاطب . فقد عرف البحراني الحقيقة على انها « كل كلمة أُفيد بها ما وضعت له في اصل الاصطلاح الذي وقع التخاطب به»^(٦) ، واصطلاح التخاطب هو استعمال الجماعة اللغوية للفظة دالة على معناها . وتقييد البحراني للحقيقة بجعلها خاصة بالاستعمال يريد به ان دلالة اللفظة لا تظهر الا من خلال التخاطب بها ، وهذا ما اكد عليه الخوئي في قوله : « اللفظ حين الوضع قبل ان يكون مستعملا ليس بحقيقة ولا مجاز »^(٧) ، ومعلوم ان الاستعمال متغير من جماعة الى اخرى ومن زمن الى اخر ، فتكون الحقيقة متغيرة باستمرار ، وهو ما ذهب اليه المحدثون .

(١) البيهقي ٣٣

(٢) ينظر : الرواندي ٢٨/١ والمعتزلي ٧٠/١ والبحراني ١٠٧/١ والخوئي ٣٠٧/١ وأنصاريان ٢٣/١ والشيرازي ١٢/١ .

(٣) البيهقي ٢٣ .

(٤) ينظر:المزهر ٣٦٩/١ و٤٠٥-٤٠٦ ومنهج البحث اللغوي ١٣١ .

(٥) ينظر: البحث الدلالي عند الأصوليين ٢٦ ومنهج البحث اللغوي ١٢٢ والوضع والاصطلاح ١٥-٦٨ .

(٦) البحراني ٥٢/١ وينظر : ٢٤/١ . (٧) الخوئي ٥٠/١ .

وعلى راسهم دي سوسير عندما عد الدلالة متغيرة بصورة اعتبارية ، ولكن نظام اللغة يعيد توازنه كلما حدث التغيير^(١) . فاللغة نظام اعتباطي ، وهنا نقطة التقاء بين فكر الشارحين والنظرة الدلالية الحديثة . الا ان علم اللغة الحديث اوقف البحث في اصل اللغة بدعوى ان النظريات التي قيلت في اصل اللغة افتراضية ، وغير مقطوع بصحتها^(٢) على حين بحث علماءنا القدامى في هذه المسألة ، واختلفوا فيها ، فمنهم من ذهب الى ان اللغات توقيف من الله تعالى ، وذهب فريق الى انها اصطلاح ومواضعة ، وعدّها اخرون ذات بداية توقيفية ونهاية اصطلاحية ، وفريق قال بان دلالة الالفاظ على المعاني ذاتية ، وان الاصوات جاءت من محاكاة الطبيعة^(٣) ، ولم يقطع علماء اللغة القول في أصل اللغة بين التوقيف والاصطلاح ، كما نجد عند ابن جني ، وابن فارس وغيرهم^(٤) .

اما الشارحان البحراني والخوئي فقد ذكرا ان اصل اللغة كان بوضع المتخاطبين - كما هو واضح من تعريفهما للحقيقة والمجاز ، لكن ثمة ارتباك في تحديد الشارحين لوضع اللغة ، وذلك في معالجتهم لمسألة التمييز بين الحقيقة والمجاز التي تابعا فيها الاصوليين ، وفي ذلك يقول البحراني : «الفصلين الحقيقة والمجاز إما أن يقع بالتنصيص أو الاستدلال . أما التنصيص فمن وجوه : أحدها : أن يقول الواضع هذا حقيقة وهذا مجاز ، وثانيها : أن يذكر واحدا منهما ، وثالثها : أن يذكر خواصهما . أما الاستدلال فالحقيقة تُعرف من وجهين : أحدهما : أن يسبق المعنى من ذلك اللفظ

إلى فهم بعض السامعين من أهل تلك اللغة فيحكم بأنه حقيقة فيه...وثانيهما : إن أهل اللغة إذا أرادوا إفهام غيرهم معنى اقتصروا على عبارات مخصوصة وإذا قصدوا بالتعبير الحسن بعد الفهم عبروا بعبارات أخرى وقرنوا بها قرائن فيعلم أن الأول حقيقة^(٥). والشيء نفسه يذكره الخوئي بقوله : « اعلم ان معرفة المعاني الحقيقية والتفرقة بينها وبين المعاني المجازية إنما يحصل بالرجوع الى أهل اللغة ، وذلك يكون على وجوه : ان يقول أهل اللغة : هذا اللفظ حقيقة في هذا المعنى ، ومجاز في ذلك ، الثاني : ان يقول : ان اللفظ الفلاني موضوع للمعنى الفلاني وان استعماله في الفلاني خلاف وضعه ، الثالث : ان يقول : هذا المعنى متبادر من هذا اللفظ او سلبه عنه غير صحيح ، وذلك المعنى غير متبادر وسلبه صحيح ، او نحو ذلك من طرق التعبير والاقهام^(٦) ويظهر من هذا ان الخوئي يرى أن واضع اللغة هم أهل اللغة ، دون ان ينص عليهم هل هم متكلمو اللغة الفصحاء

(١) ينظر: علم اللغة (سوسير) . (٢) ينظر: الترادف في اللغة (حاكم) ٢٠٦ .

(٣) ينظر: الدراسات اللغوية إلى نهاية القرن الثالث ٢٤٣-٢٥٣ وفقه اللغة (مبارك) ٤١٢-٢٠ والوضع والاصطلاح ٤٧-٦٢

والمدخل إلى العربية ٣٩-٦٤ وبنية العقل ٤٢-٤٣ وعلم الدلالة (عمر) ١٨-١٩ وفقه اللغة العربية (أميل بديع) ١٤-١٩ وفقه اللغة العربية ٣٤-٤٦ وعلم الدلالة (الداية) ١٧-١٨ .

(٤) ينظر: الخصائص ٤٧/١-٤٨ والصاحبي ٣١ .

(٥) البحراني ٥٦/١ .

(٦) الخوئي ٢٦/١ .

ام علماء اللغة واصحاب المعجمات ؟ ثم يشير في نص اخر الى تعدد الواضعين ، اذ يقول: «وتعدد الوضع قد يحصل بتعدد الواضعين ، وعدم اطلاع احدهم على الاخر ، وقد يحصل باتحاده وعدم تذكره حين الوضع الثاني للوضع الاول^(١)» ، وقد نسب الشارحان البحراني والخوئي^(٢) في كلام لهما الوضع الى قبائل العرب ، اذ اجازا حصول الاشتراك اللفظي وذكرنا تعدد وضع القبائل سببا لحصوله ، اذ «يجوز ان تضع احدى قبيلتين ذلك اللفظ لمعنى ، ثم تضعه قبيلة اخرى لمعنى اخر ، ثم يشيع الوضعان ويخفى كونه موضوعا منهما^(٣)» ، ويتعبير الخوئي بقوله : «لا امتناع في ان يضع قوم لفظا لمعنى ، ثم يضعه اخرون لآخر ، ويشيع الوضعان فيحصل الاشتراك^(٤)» . وثمة دعوات حديثة الى الاهتمام بنظريات اللغة لأنها المعين على كشف دلالة اللفظة الاولى ، وملاحظة التطور الدلالي من خلال الاستعانة بتاريخ الكتابة ، والنصوص القديمة ، اذ لم يوقف علماء اللغة القدامى البحث في الوضع اللغوي ، و لم يقطعوا بصحة واحدة من نظرياته ، التي وجدت بسبب البحث عن الدلالة ، وسكوت علماء اللغة عن القطع باحدى هذه النظريات لا يعني سوى استمرار الجدل بشأن الأصل ، فضلا عن ميلهم الواضح الى القصدية في اللغة^(٥) .

وقد ذكر الشارحان البحراني والخوئي متابعة منهما لمن سبقهما^(٦) نوعين من المجاز هما : المجاز اللغوي ، والمجاز العقلي الذي يسميه الجرجاني بالمجاز الحكمي^(٧) ، فاذا كان الموصوف به اللفظ المفرد يسمى المجاز اللغوي ،

وإذا كان الموصوف به الجملة يسمى المجاز العقلي^(٨) . وقد اعتمد الشارحان تعريف عبد القاهر الجرجاني للمجاز العقلي الذي يذهب فيه الى أنه^(٩) كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضوعه في العقل لضرب من التأويل ، مثاله قوله تعالى : ﴿ تُوْتِي أُلْهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾^(١٠) ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾^(١١) . وقال القزويني : ((هو اسناده - اي الفعل او معناه - الى ملابس له غير ما هو له بتأول ، اي بنصب قرينة صارفة للاسناد عن ان يكون الى ما هو له لفظية كانت او معنوية))^(١٢) ، ومعنى ذلك ان كل لفظ قد وقع على الاصل في دلالاته على المعنى . لكن الجملة المتكونة غير مطابقة للوجود ، وهنا يتعارض رأي الشارحين مع ما ذكرناه سابقا من ان دلالة اللفظ تظهر من خلال التركيب والاستعمال . فكيف يكون التركيب مجازا مع انه وسيلة لمعرفة الاصل الدلالي للمفردة ؟ وقد اعاد الشارحان أمثلة الجرجاني نفسها ، وهما يبينان المجاز العقلي جاعلين المجاز في كل فعل منسوب الى غير فاعله الاصيل كقوله تعالى : ﴿ تُوْتِي أُلْهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ وقوله

(١) الخوئي ١٢/١ ينظر: البحراني ٥٦/١ والخوئي ٥٣/١ .

(٣) البحراني ٣٣/١ (٤) الخوئي ٥٣/١ .

(٥) ينظر: الحل القصدي ٢٥٢-٢٥٤ . (٦) ينظر: دلائل الإعجاز ٢٦٣ و اسرار البلاغة ٣٤٤ ونهاية الايجاز ٨٣ .

(٧) ينظر: دلائل الإعجاز ٢٦٤ . (٨) ينظر: البحراني ٥٢/١ والخوئي ٢٩/١ .

(٩) ينظر : اسرار البلاغة ٣٦٦ والايضاح للقزويني ٢٧٢ . (١٠) ابراهيم ٢٥ .

(١١) الزلزلة ٢ . (١٢) التلخيص ٤٥ .

تعالى : ﴿ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ ، فالشجرة لا تقوم بالإتيان ، والأرض لا تقوم بالإخراج مع أنه تعالى نسب للجمادات الأفعال العقلانية فقال سبحانه : ﴿ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾^(١) . وقد عمموا المجاز حتى فاق الحقيقة عددا وأهمية ، على حين كانت الفكرة تقضي بأن المجاز استعمال جزئي يقل عن الاستعمال الحقيقي ، وأقروا وقوع المجاز في القرآن الكريم . وأورد الشارح الخوئي بعد تمثيله للمجازات القرآنية شواهد من كلام الإمام (ع) للاستعمال المجازي^(٢) . ولم ينبه الشارحان على التيار الرفض لفكرة المجاز في القرآن الكريم ، وكان المسألة لدى الشارحين قد قرّرت وسلّم بها ، فالسيوطي اورد رأي المنكرين للمجاز في الاستعمال القرآني ، وحجتهم في ان المجاز أخو الكذب ، والمتكلم لا يعدل اليه الا اذا ضاقت به الحقيقة ، وهو على الله محال ، ثم رد هذا الراي بقوله : ((وهذه شبهة باطلة ، لو سقط المجاز من القرآن سقط منه شطر الحسن ،وقد اتفق البلغاء على ان المجاز ابلغ من الحقيقة))^(٣) .

وقد ذكر الشارحان البحراني والخوئي^(٤) في مقدمتهما اصناف المجاز نقلا عن الرازي^(٥) الذي عدّها خمسة وعشرين صنفا الا ان الشارح الخوئي ترك المجال مفتوحا امام انواع اخرى من المجاز ، لان فكرة الانتقال من الاستعمال الحقيقي الى المجازي لديه تعتمد على وجود علاقة مسوغة للتجاوز ، اذ جعل هذه العلاقة قائمة على الذوق السليم والاستساغة ، فلم ير حصر المجاز بالعلاقات الخمسة والعشرين التي ذكرها الرازي ، وفي ذلك يقول : ((يظهر لك بالتأمل فيما حققناه ... ان العلاقات المسوغة للتجاوز لا تنحصر في عدد ، ولا تنتهي الى حد ؛ لانه بعدما كان المدار

على المناسبة والاستحسان عرفا ، فوجوه التناسب غير مضبوطة ، وجهات الحسن غير محصورة كما هو ظاهر ، ولعل ذلك هو السر في عدم مبالغة الأكثرين في حصر أنواع العلاقات وضبطها ، الا ان جمعا منهم حام حول الضبط ، وذكر عدة منها ، وادعى حصرها فيها بالاستقراء ، وتراهم مع دعواهم هذه انهم في تعيين أصل النوع مختلفون ، وفي العدد والمعدود ايضا غير متفقين ، حيث قلله بعضهم ، وكثره اخرون ، وغاية ما قيل انها خمسة وعشرون^(١) ، وهذه العلاقات ذكرها الشارحان وهما يعرضان للمباحث الدلالية كعلاقة السببية ، والمسببية ، والجزئية ، والكلية ، والمكانية ، والزمانية... الخ . وقد أوردا أمثلة عليها من كلام الإمام (ع) بعد ذكرهما للشواهد القرآنية ، اما سائر شراح النهج فيظهر اهتمامهم بالمجازات عبر الجانب التطبيقي فقط ، وهم ينبهون على نوع الاستعمال المجازي في شرحهم لكلام الإمام (ع) ، وهو كثير يفوق الاحصاء ، كقول الراوندي في شرح قوله تعالى : ﴿ اَنْتِبَا طَوْعًا اَوْ كَرْهًا قَالَتَا اَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾^(٧) : ان لم يجرى من السماء مطر ولا من الارض نبات وثمر فانهما مطيعتان لله تعالى ، واسناد الطاعة اليهما مجاز^(٨) .

(١) الاسراء ٤٤ . (٢) الخوئي ٣٠/١

(٣) المزهري ٣٥٨/١ . (٤) ينظر: البحراني ٥٣/١ والخوئي ٣٨/١ .

(٥) ينظر: المحصول ٤٤٩/١/١ والمزهري ٣٥٩/١ . (٦) الخوئي ٣٨/١ .

(٧) فصلت ١١ وينظر: الكشاف ٤٤٥/٣ . (٨) الراوندي ٦٨/٢ .

وكذا قول الكيدري في شرح قوله (ع) يصف فتق الاجواء : (فَأَمْرَهَا يَرَدُّهٗ وَسَلَّطَهَا عَلٰى سُدِّهٖ)^(١) : « فأمرها لان الحكيم لا يأمر الجماد به »^(٢) . وقول الشيرازي يشرح قوله (ع) : (أَحْمَدُهُ عَلٰى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ)^(٣) : « العطف هو الميل نحو الغير ونسبته الى الكرم مجاز من باب علاقة السبب والمسبب لان الكرم لا يعطف وانما الشخص يعطف »^(٤) . وقول السرخسي يشرح قوله (ع) : (وَطَفِقْتُ ارْتِيَّ بَيْنَ اَنْ اَصُولَ بَيْدٍ جَدَاءٍ اَوْ اَصْبِرَ عَلٰى طَخِيَةِ عَمِيَاءٍ)^(٥) : « اي ظلمة مظلمة ... وانما توصف الظلمة بالعمياء للمبالغة لانه لا يبصر فيها ، وهذا من اطلاق المسبب على السبب بطريق المجاز »^(٦) . وقول التستري : « ان اسناد الغر الى الدنيا بان الدنيا غرت فلان اسناد مجازي ، وحقيقته ان الناس يغترون بها فيقال مجازا ان الدنيا غرتهم ، ومثل هذا المجاز كثير في الكلام ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَرَانَا لَجَهَنَّمَ كَثِيْرًا مِّنَ الْجَنِّ وَالانس ﴾^(٧) ، وفي الحقيقة ما نراهم لجهنم بل ليعبدوه ويدخلهم جنته ... »^(٨) . وقول أبي الفضل في قوله (ع) يصف السموات السبع : (دَعَاهُنَّ فَاَجَبْنَ طَائِعَاتٍ مُّذْعَبَاتٍ)^(٩) : « كلام من باب المجاز والتوسع ، وهو مثل قوله تعالى : ﴿ اَنْتِبَا طَوْعًا اَوْ كَرْهًا قَالَتَا اَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾^(١٠) »^(١١) .

المطلب الرابع : شرح النهج وتوثيق الدلالة .

لقد استعان شراح النهج للوصول الى معنى اللفظة بعدة وسائل توثيقية ، أهمها ما يأتي :

١ - وظف شراح النهج **التقابلات الدلالية** لتحديد المعاني الدقيقة للالفاظ التي شرحوها ، وهذه طريقة انتهجها علماءنا الاوائل من مفسرين ومعجميين^(١٢) في توجيههم لمعاني الالفاظ . والتقابل الدلالي يعني وجود لفظتين معنى احدهما

عكس معنى الاخرى ، مثل : الخير والشر ، والنور والظلمة ، والحب والكراهية ، والصغير والكبير ، وفوق وتحت ، وياخذ ويعطي ، ويضحك ويبكي^(١٣) . وقد ادرك الاوائل ظاهرة التقابل من خلال المصطلحات التي تشير اليها ، وهي : تقابل الضد ، والخلاف ، والنقيض ، فقد ذكر المبرد ان « من كلام العرب اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين»^(١٤) . وذكر ابن الانباري ان من كلامهم « ان يقع اللفظان المختلفان على المعنيين ، كقولك : الرجل والمرأة ، والجمل والناقة ، واليوم واللييلة ، وقام وقعد ، وتكلم وسكت ، وهذا هو الكثير الذي لا يحاط به»^(١٥)

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص ١٩ . (٢) الكيدري ١٢٩/١ وينظر: أنصاريان ٣٥/١

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ ص ١٢٠ . (٤) الشيرازي ٣١١/١

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ٣ ص ٢٨ . (٦) السرخسي ٤٦/١

(٧) الأعراف ١٧٩ (٨) التستري ١٩٤/٢ .

(٩) نهج البلاغة : الخطبة ١٨٢، ص ٣٢٨ . (١٠) فصلت ١١ . (١١) أبو الفضل ٤٣٠/١

(١٢) ينظر: ظاهرة التقابل في القرآن الكريم ١-٢ وظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية: ٩٧

(١٣) ينظر: ظاهرة التقابل في علم الدلالة ١٥ وظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية ٥٠

والتقابل والتماثل في القرآن الكريم ١٥ والتقابل الدلالي في القرآن الكريم ٤ .

(١٤) ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن: ٢-٣ . (١٥) الأضداد ، ابن الأنباري: ٦

وقد اتخذت ظاهرة التقابل الدلالي في العصر الحديث مصطلحات جديدة منشعبة من اصطلاحات القدماء يندرج تحتها ما عرف عندهم بالتقابل بالتضاد والتناقض والتخالف ، فقسموا التقابل على عدة أنواع بحسب نوع العلاقة بين الالفاظ المتقابلة^(١) ، فاذا كانت درجة التقابل كاملة فان التقابل حاد (غير متدرج) ، وهو التقابل الذي يجمع بين متضادين ، مثل : (ميت وحي) ، و (ذكر وانثى) ، و (اعزب ومتروج) وفيه تتقابل الالفاظ تقابلا كاملا غير قابل للتعدد او الوصف بدرجات التدرج ، من نحو : اقل او اكثر او الى حد ما ، وتقابلات هذا النوع لا تعترف بما يسمى بـ (بين بين) ، اي ان نفي احد طرفيها يعني اثباتا للآخر ، اما اذا كان التقابل جزئيا فيسمى بالتقابل المتدرج ، وفيه تقع الالفاظ بين طرفي معيار متدرج ، وبين طرفيه تقع الالفاظ التي تمثل تقابلا داخليا او ضمنيا ، مثل التقابل بين (حار وبارد) ، فلو وصف الجو بانه حار او بارد فهذا لا يعني ثبات المعيار على لفظة حار او بارد ، فقد يكون الجو معتدلا ، او مائلا الى البرودة وغيرها ، فنفي أحد طرفي التقابل لا يعني إثباتا للطرف الآخر ، فإذا قلنا : فلان ليس قبيحا ، فهذا لايعني أنه وسيم . واما اذا كانت العلاقة تبادلية فالتقابل هو تقابل العكس ، وهو يتمثل في العلاقة بين ازواج من الالفاظ مثل : (زوج ، زوجة) و (والد وولد) و (باع واشترى) فالعلاقة تبادلية بين الضدين ، اذ لابيع من غير شراء ، ولا ولد من غير والد^(٢) . اما عندما تكون العلاقة اتجاهية متعكسة فالتقابل هو تقابل اتجاهي ، يتمثل في العلاقة بين ازواج من الالفاظ تجمعها حركة في احد اتجاهين متقابلين متضادين بالنسبة لمكان معين ، مثل : أعلى وأسفل ، ويصل ويغادر ، وشمال وجنوب^(٣) .

وقد عرفت ظاهرة التقابل لدى البلاغيين القدماء -ايضا- باسمي : الطباق والمقابلة ، فالطباق لديهم أضيق مفهوما من المقابلة ، لأنه ينحصر في الأضداد ، على حين يتسع مفهوم المقابلة ليكون بالأضداد وغيرها ، فهو يتضمن اشكال التناقض والتضاد ، والتعاكس ، والاختلاف^(٤).

وقد تابع فريق من الشّراح البلاغيين في نظرتهم للطباق والمقابلة ، فذكر الشارح الكيدري أن المراد بالمقابلة هو « مراعاة الأضداد ، والاشكال ، كالأب والابن ، والأبيض والأسود ، والليل والنهار ، والاعداد والجهات »^(٥)، وذكر المعتزلي ان التقابل يكون بالضد والخلاف والمثل^(٦) في استطراد له بعد شرحه قوله (م) : (ألا وأنَّ اليومَ المضمَر ، وغداَ السَّبَّاق ، والسَّبَقَةُ الجَنَّةُ والغَايَةُ النَّارُ)^(٧).

(١) ينظر : علم الدلالة (عمر) : ١٠٢-١٠٤ او ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة : ١١١-١١٧

(٢) ينظر : علم الدلالة علم المعنى : ١١٨-١١٩

(٣) ينظر : علم الدلالة علم المعنى : ١٢٠-١٢١

(٤) ينظر : المثل السائر ٢٨٠/٢ والبرهان ٤٥٨/٣

(٥) الكيدري ١٥٤/١ . (٦) ينظر : المعتزلي ١٠٣/١-١١٠ .

(٧) نهج البلاغة ، الخطبة ٢٨ ، ص : ٦٤

على حين فصل البحراني القول في الطباق والمقابلة في مقدمته التي ذكر فيها اقسام النظم ، فخصص المطابقة ب « الجمع بين المتضادين في الكلام »^(١) ، وجعل المقابلة اوسع من ذلك . اما الشارح الخوئي فقد نظر للطباق والمقابلة بصورة تخالف ما ذكره الشّراح والبلاغيون قبله ، ذاهبا الى ان « المتكلم إن اتى بلفظ ثم اتى بما يقابله ضدا كان او غيره فهو مختص بأن يسمى بالطباق ، وإن أتى بلفظين او الفاظ ثم بمقابلها على الترتيب فيجوز ان يطلق عليه اسم الطباق ، وان يطلق عليه اسم المقابلة الا ان الثاني اكثر »^(٢) ، فالفرق بين الطباق والمقابلة لديه قائم على عدد المتقابلات لا على نوع التقابل ، فالطباق ما كان بين لفظة وأخرى ضداً أو غير ضداً ، اما المقابلة فهي بين لفظتين أو أزيد سواء كان التقابل بالضد أو غيره . وقد مثل الخوئي لذلك بقول أمير المؤمنين (م) في وصف الدنيا بقوله : (ما أَصْفُ مَنْ دَارَ أَوْلُهَا عَنَاءً ! وَأَخْرَهَا فَنَاءً ! فِي حِلَالِهَا حِسَابٌ وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ ، مَنْ اسْتَعْنَى فِيهَا فُتِنَ وَمَنْ اقْتَدَرَ فِيهَا حَزَنَ ، وَمَنْ سَاعَاَهَا فَلْتَهُ مَوْتٌ قَدَّعَتْهَا وَلْتَهُ)^(٣) ، فذكر « ان التقابل في كل من الفقر من مقابلة الاثنتين بالاثنتين لكنها في بعضها بالأضداد وفي بعضها بغيرها »^(٤).

ولم يغفل سائر شراح النهج مصطلح التقابل وكان الدافع وراء اهتمامهم به هو وروده في كلام الإمام (م) اذ تضمنت طائفة من خطبه ذكر المتقابلات والمتضادات ، مما فتح الباب امامهم نحو معالجة هذه المسألة ، من ذلك قوله (م) في خطبة الاشباح وهو يصف خلق الارض بقوله : « ولأعمَّ بقدرته بين متضادها ، ووصل أسباب قرائنها ، وفرّقها أجناساً مختلفات في الحدود والأفدَارِ والغَرَائِزِ والهِئَاتِ »^(٥) ، اذ عكف شراح النهج على بيان العناصر المتضادة من مكونات الارض ومثلوا لما تقابل فيها من المختلفات التي وردت في نص كلامه (م) ، فمثلوا لمختلفات الحدود

بلفظتي الارتفاع والانخفاض ، ومثلوا لمختلفات الاقدار بالكبير والصغر ، ولمختلفات الغرائز والطبائع باليبوسة والرطوبة ، و لمختلفات الهيئات بالاحمر والاصفر^(٦) .
ومن ذلك -ايضا- قوله (٤) في التوحيد : (بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرِ عُرِفَ أَنْ لَا مَشْعَرَ لَهُ، وَبِمُضَادَاتِهِ بَيْنَ الْأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لَا ضَدًّا لَهُ)^(٧)، اذ وقف شراح النهج على بيان المراد بقوله (٤) : بمضاداته بين الامور ، فذكروا امثلة كثيرة للمضادات كالحرارة والبرودة ، والسواد والبياض ، والنور والظلمة ، والوضوح والبهمة ، والجمود واللين ، والحرور والصدرد ، وغير ذلك^(٨) .

(١) البحراني ٧٢/١ (٢) الخوئي ١٢١/١ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٨٢ ، ص ١١٩ .

(٤) الخوئي ١٢٢/١ (٥) نهج البلاغة : الخطبة ٩٠ ، ص ١٥٣ .

(٦) ينظر : والمعتزلي ٤١٧/٦ والبحراني ٣٤٤/٢ والخوئي ٣٣٢/٦ وأنصاريان ٢٧٦/١ والشيرازي ١٥٣/٢ .

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ١٨٦ ، ص ٣٤٣ . وينظر : الخطبة ٢٣٤

(٨) ينظر : البيهقي ٣٤٤ والروندي ٣٣٤/٢ والكيدري ١٨٦/٢ والمعتزلي ٧٣/١٣ والبحراني ١٥٧/٤ والسرخسي ٢٠٠/١

وعبد ٣٧٧/١ والخوئي ٦٨/١١ ومغنية ٦٨/٣ والتستري ٣٠٤/١ والشيرازي ١٣٠/٣ والموسوي ٢٣٤/٣ .

وقد استعان شراح النهج بذكر ما يقابل اللفظة من ضدها او خلافها او نقيضها للوصول الى تحديد دقيق للمعنى المراد منها . وكانت هذه سمة بارزة لديهم جميعا لاسيما في شرحهم للالفاظ ذات الدلالات المتعددة ، اذ يلجأ الشراح الى الاستدلال بمقابل اللفظ لازالة الاحتمال غير المراد منه ، من ذلك لفظة (الوشيك) في قوله (٤) في صفة الملائكة : (لَمْ تَنْقَطِعْ أَسْبَابُ الشَّفَقَةِ مِنْهُمْ فَيُنُوا فِي جِدِّهِمْ ، وَلَمْ تَأْسِرْهُمْ الْأَطْمَعُ فَيُؤَثِّرُوا وَشِيكَ السَّعْيِ عَلَى اجْتِهَادِهِمْ ، وَلَمْ يَسْتَعْظُمُوا مَا مَضَى مِنْ أَعْمَلِهِمْ ...) ^(١) ، اذ تدل اللفظة على معنى القريب ، وهو معناها المعروف حتى عد (اوشك) من افعال المقاربة^(٢) ، وهذا رأي معظم الشراح^(٣) ، لكن آخرين^(٤) قرونا اللفظة بما يقابلها لتفسيرها بالضعف لا القرب ، وفي ذلك يقول الشيرازي : «وشيك السعي ، اي : السعي الوشيك ، وهو السعي الضعيف مقابل السعي الحثيث»^(٥) ، وجوز الشارح الروندي ارادة المعنيين معا بقوله : «أي : يطيعون الله تطلبا لرضاه لا طلبا للاجر ، فيبالغون في اكنار الطاعة ، ويسعوا سعيا وشيكا ليكثر اجرهم بكثرة طاعتهم . ويجوز ان يكون المراد انهم لم تأسروهم الاطماع الفاسدة الدنيوية فيشتغلوا بتحصيلها ويؤثروا وشيك السعي على الاجتهاد طلبا للفراغ لتحصيل تلك الاطماع»^(٦) .

ومن ذلك - ايضا - لفظة (البادي) في قوله (٤) في الخطبة الغراء : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَا بِحَوْلِهِ... وَأُوْمِنُ بِهِ أَلُوْبَادِيًا ، وَأُسْتَهْدِيهِ قَرِيْبًا هَادِيًا...) ^(٧) التي تحتمل معنى الظهور ومعنى البداية فهي اسم فاعل يصح اشتقاقه من البدو بمعنى الظهور ، او من البدء وهو البداية ، وأجاز الشارح الخوئي ارادة المعنيين مبينا كلا منهما بما يقابله في المعنى خلافا لسائر شراح النهج الذين ذكروا لهذه اللفظة معنى واحدا هو الظهور^(٨) وفي ذلك يقول الخوئي :
« والبادي : الظاهر ، ومنه قوله تعالى : ﴿ بَادِي أَلِي ﴾^(٩) ، أي : ظاهره ، او من البداية مقابل النهاية»^(١٠) .

وقد أكثر شراح النهج من الاستعانة بالتقابل بالتضاد في شرحهم للالفاظ بنسبة تفوق استدلالهم بالتقابل بالخلاف او النقيض ، لاسيما إن خطب الإمام (ع) تضمنت ذكر المتضادات الكثيرة وقد أورد التستري^(١١) ما يقرب من مئة مثل على تقابلات التضاد وهو يشرح التقابل المتضاد بين الحياة والموت في قوله (ع) : (قد احيا عقله ، وأمات نفسه)^(١٢) وجاء في النهج التضاد سبيلا الى معرفة الاشياء ، وذلك عندما سئل الإمام (ع) عن الايمان فأجاب بقوله : (الإيمان على رُبْعِ دعائم ... والكُفْرُ على رُبْعِ دعائم ...) ^(١٣) ، فذكر (ع) الكفر مع ان السؤال كان عن مضاده وهو

(١) نهج البلاغة الخطبة ٩١ ص ١٥٩ (٢) ينظر: شرح عمدة الحافظ ٨١٦ والبهجة المرضية ١١٣ ، ١١٥ .

(٣) ينظر: البيهقي ١٨٦ والمعتزلي ٤٣١/٦ والبحراني ٣٥٤/٢ وعبد ١٨٧/١ والخوئي ٣٩٣/٦ والتستري ٦٧/١ وانصاريان ٢٨٨/١ .

(٤) ينظر: الكيدري ٤٦٤/١ ومغنية ٢٩/٢ والشيرازي ٦٩/٢ . (٥) الشيرازي ٦٩/٢ .

(٦) الراوندي ٤٠٢/١ . (٧) نهج البلاغة ، الخطبة ٨٣ ص: ١٢٠ .

(٨) ينظر: البيهقي ١٥٦ والرواندي ٣٢٢/١ والمعتزلي ٢٤٣/٦ والبحراني ٢٣٢/٢ ومغنية ٣٨٧/١ والتستري ٣٩١/١ .

(٩) هود ٢٧ وينظر: الكشاف ٢٦٥/٢ . (١٠) الخوئي ٣٤٢/٥-٣٤٣ (١١) ينظر: التستري ١٢/٤٨٣-٤٨٤ .

(١٢) نهج البلاغة الخطبة ٢١٠ ص: ٢٥٥ . (١٣) نهج البلاغة الحكمة ٣١ ، ص ٦٠٣ .

الايمان ، ثم علل بعض الشّراح لهذا الجواب بقولهم : « وانما ذكر الكفر والشرك ، وقد سئل عن الايمان لانهما ضدان ، وبالضد تتبين الاشياء»^(١) .

وقد بين الشّراح بذكر المتضادات كثيرا من معاني الفاظ النهج ، من ذلك لفظة (السهة) التي اوضح الشّراح معناها بقرنها الى ضدها ، وهي لفظة (الحلم) ، وهو مراد الإمام (ع) في قوله من خطبة له في تخويف اهل النهروان : «... وانتم معاشر أخفَاء الهام ، سفهاء الاحلام»^(٢) ، وليس المراد منها معنى الحقايرة والقلّة الماخوذ من قولهم : تسفّهت الشيء اذا استحقّرتة^(٣) ، وفي ذلك يقول الكيدري : « السفه ضد الحلم ، والعرب تضيف الشيء الى ضده اثباتا للمضاد ونفيا للمضاد اليه »^(٤) . ومن امثلة التقابل بالضد -ايضا- ما نجده في معالجة الشّراح للفظ (الجابر) الواردة بدلا من لفظة (جابل) في رواية لقوله (ع) من خطبة له علم فيها الناس الصلاة على النبي (عليه السلام) : (اللهم مَدَحِي المَدْحَاتِ ، ودَاعِم المَسْمُوكَاتِ ، وجَابِل القُلُوبِ على فِطْرَتِهَا شَقِيَّهَا وَسَعِيدِهَا ...) ^(٥) ، اذ مُجِّع الشّراح على دلالة لفظة الأصل (جابل) على الخلق ، أي : خالق القلوب ، على حين اختلفوا في تفسير رواية (جابرالقلوب) ، فذكر الشّراح احتمال دلالة اللفظة على معنيين : الاول : هو الاقامة ، اي : اقامة القلوب على ما فطرت عليه ، وهو معنى بينه الشّراح بذكر ضد اللفظة وهو (الكسر)^(٦) ، والثاني : هو الاجبار بمعنى اجبار القلوب والزامها على الامر ، وفي ذلك يقول الكيدري : « وجابر القلوب على فطرتها من الجبر الذي هو ضد الكسر ، أي : اثبتها واقامها ... ويجوز ان يكون من جبره على امره بمعنى اجبره عليه ، اي : الزمها »^(٧) . وقد اهتم البيهقي بتصحيح التقابل الدلالي للفظ (الشجاعة) بقوله : «(الشجاعة وهي الاقدام ... وضد الشجاعة الجبن لا الزهد والعفة ، فان الزهد ضد الفجور لا ضد الشجاعة)»^(٨) ، وزاد الشارح الخوئي ان «(الزهد خلاف الرغبة ، والزهد : القليل)»^(٩) . وغير ذلك كثير لدى الشّراح^(١٠) .

وقد اورد شراح النهج امثلة للتقابل بالخلاف اوضحوا من خلالها معاني كثير من الفاظ النهج ، ويبدو من هذه النماذج ان التقابل بالخلاف هو مفهوم أعم من التقابل بالضد فقد يتضمن (الخلاف) المتضاد من الالفاظ والمتغاير منها ، وقد لا يكون المتقابلان متضادين او متناقضين بل قد يكونا مختلفين ، فليس كل تقابل يتضمن تناقضا او تضادا ، بل فيه ما يكون المتقابلان متغايرين^(١١) . ويظهر هذا من امثلة الشّراح التي يتبين فيها دلالة الخلاف على

(١) البحراني ٢٥٤/٥ (٢) نهج البلاغة الخطبة ٣٦ ص : ٧٩-٨٠ .

(٣) ينظر: البيهقي ١٢٧ والتستري ٤٤٧/٥ والشيرازي ١٩٠/١ والموسوي ٢٨٣/١ .

(٤) الكيدري ٢٧١/١ (٥) نهج البلاغة الخطبة ٧٢ ، ص ١١٠ .

(٦) ينظر: المعتزلي ٣٩/٦/٦ والبحراني ١٩٧/٢ وعبد ١٣٠/١ والخوئي ١٩٠/٥ ومغنية ٣٥٢/١ والتستري ٣٢١/٢ والشيرازي ٢٧٨/١ .

(٧) الراوندي ٣٠٣/١ وينظر: الكيدري ٣٥٥/١ . (٨) البيهقي ٣٠ . (٩) الخوئي ١١٠/٣ .

(١٠) ينظر: الراوندي ٢٨ / ١ ، ١٧٦/١ والبحراني ٣٥٠/٤ وعبد ٦١/١ والخوئي ١٠/١٥ والتستري ٤٦٢/١

ومغنية ٢١/٦ والشيرازي ٢٢/٤ . (١١) ينظر: التقابل الدلالي في القرآن ٩ .

التغاير ، كما في ذهابهم الى ان ((الغامض ... خلاف الواضح))^(١) ، و ((العبد ... خلاف الحر))^(٢) ، و ((الظهر ... خلاف البطن))^(٣) ، و ((الدقيق خلاف الجليل))^(٤) ، و ((العظم خلاف الصغر))^(٥) ، وهذا التفريق بين مصطلحي الضد والخلاف اقّره ابو الطيب اللغوي ، في قوله : ((الاضداد : جمع ضد ، وضد كل شيء ما نفاه ، نحو البياض والسواد ، والسخاء والبخل ، والشجاعة والجبن ، وليس كل ما خالف الشيء ضدا له ، الا ترى ان القوة والجهل مختلفان وليسا ضدين ، وانما ضد القوة الضعف ، وضد الجهل العلم))^(٦) ، وجاء في المخصص أنّ : ((الضد ضرب من الخلاف))^(٧) . وكذلك يظهر اشتغال مصطلح الخلاف على امثلة التضاد في بعض ما اورده الشّراح ، من ذلك ذهابهم الى ان ((الصفو : خلاف الكدر))^(٨) ، و ((الرشاد خلاف الغي والضلال))^(٩) ، و ((الانس خلاف الوحشة))^(١٠) .

اما التقابل بالنقيض فمن امثله لدى الشّراح يظهر اقترايه من مصطلح التضاد الا ان النقيض يعبر عن التضاد المتدرج ، وليس التضاد الحادّ كما في امثلة التقابل بالنقيض بين الثنائيات : ((البطء والسرعة))^(١١) ، و ((الخصب والجذب))^(١٢) ، و ((القبح والحسن))^(١٣) ، و ((الهزال والسمن))^(١٤) ، وغير ذلك مما ذكره الشّراح ، وفيه وقوع المتقابلات على درجات من التضاد وليس على طرفي الضدية ، فالبطء ضد السرعة ولكن بدرجات تحتل السرعة والبطء ، والتوسط ، وكذا القول في سائر الامثلة ، على حين نجد استعمالا للشّراح يعبرون فيه عن التضاد الحاد بمصطلح النقيض ، كما في جعلهم ((الحق نقيض الباطل))^(١٥) ، و ((الادبار نقيض الاقبال))^(١٦) ، و ((الخطا نقيض الصواب))^(١٧) ، و ((الجزع نقيض الصبر))^(١٨) ، فالحق ضد الباطل لا يجتمعان ، ونفي الحق لم يكن مقابله الا الباطل . ولذا ورد النهي عن الجمع بينهما في القرآن كثيرا ، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾^(١٩) . وتفاوت الشّراح في هذين المصطلحين فاستعمل فريق مصطلح النقيض على التقابل بين (الصعب و الذلول)^(٢٠) ، واستعمل آخرون

(١) الراوندي ٣٣٨/١ وينظر: أنصاريان ٢٠٨/١ و ٨٧/٢ .

(٢) الخوئي ٢١١/١٥ وينظر: أنصاريان ٢٧١/١ .

(٣) الخوئي ٨٣/١٨ (٤) الخوئي ١٨٧/٣

(٥) أنصاريان ٢٨٩/١ (٦) الأضداد في كلام العرب ١/١

(٧) المخصص ٩٣/٢ (٨) الموسوي ١٨٩/٢

(٩) أنصاريان ٢٠٨/١ (١٠) الراوندي ٣٧٣/٢

(١١) الراوندي ٤٣/١ (١٢) نفسه ١٠٤/٣

(١٣) نفسه ١٠٤/٣ (١٤) الخوئي ٣٦٠/٩

(١٥) البيهقي ٣٨ (١٦) الخوئي ٤٥/٢١

(١٧) البيهقي ٣٢ (١٨) السرخسي ٦٠/١ وينظر: الخوئي ٦٨/١٥ .

(١٩) البقرة ٤٢ . (٢٠) ينظر: الراوندي ٤٤٦/٢ والخوئي ٤٣/٤ .

مصطلح الخلاف على التقابل نفسه^(١)، وفي التقابل بين (الصدر والورود)^(٢) استعمل فريق منهم مصطلح الخلاف^(٣) ، واستعمل مغنية مصطلح التضاد على التقابل نفسه^(٤).

وقد يكون التقابل ظاهرا ضمن السياق نفسه ، إذ اعتمد الشراح على تقابل السياق للوصول الى المعنى المراد من اللفظ ، من ذلك التقابل بين لفظتي (القديم) و (العادي) الواردتين في قوله (م) : (لم يمنعنا قديم عزنا ولا عادي طولنا على قومك ان خلطناكم بانفسنا)^(٥) ، إذ احتملت لفظة (العادي) معنى المعتاد ، فان الطول بمعنى الفضل والعادي بمعنى الشيء المعتاد كما فهم فريق من الشراح^(٦) . واحتملت ايضا معنى القديم من قولهم : « شيء عادي ، أي: قديم كانه منسوب الى عاد»^(٧)، وهو اختيار اغلب شراح النهج^(٨) ، إذ استدل الأمدي - متمم شرح الخوئي - على هذا المعنى للفظة بتقابل السياق بقوله: « وهذا الوجه - اي العادي بمعنى المعتاد - خطر ببالنا ايضا الا ان مقابلته بالقديم منعنا من ذلك»^(٩) . ومقابلة السياق غالبا ما تكون على أساس المخالفة بين المتعاطفين ، وقلما يحصل العكس من نحو قوله تعالى : ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نِصْبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾^(١٠) . وقد استعان الشراح المعتزلي بهذه الآية ليدلل على صحة عطف المتقاربين في السياق الواحد ، وذلك في تفسيره للفظتي المراح والسائم الواردتين في قوله (م) : (كَيْفَ وَلَوْ اجتمع جميع حيوانها من طيرها وبهائمها ، وما كان من مراحها وسائمها ، وأصناف أسناخها وأجناسها ، ومُتَبَلِّدَةِ أُمَمِهَا وَأَكْبَاسِهَا عَلَى إِحْدَاثِ بَعْضَةٍ ...) ^(١١) ، إذ ذهب الى ان المراح والسائم بمعنى واحد فالمرح النعم التي ترد الى المراح وهو موضع ابوائها ، والسائم ما ارسل من النعم للرعي بقوله : « ليس المراح ضد السائم على ما يظنه بعضهم ويقولون : إن عطف احدهما على الاخر عطف على المختلف والمتضاد ، بل احدهما هو الاخر و ضد هما المعلوفة وانما عطف احدهما على الاخر على طريقة العرب في الخطابة ، ومثله في القرآن كثير ، نحو قوله سبحانه : ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نِصْبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ ^(١٢) . وتابعه في ذلك شراح النهج^(١٣) ، الا ان التستري انكر هذا التفسير جاعلا التقابل بين المراح والسائم على التضاد على نحو التقابل بين الطير والبهائم من السياق نفسه^(١٤) .

- (١) ينظر: السامرائي ١٦٧
- (٢) نهج البلاغة الرسالة ٤٥ ص: ٣٥٧
- (٣) ينظر: الرواندي ٢٩٩/٢ وانصاريان ١٥٩/٣ والموسوي ٥٣/١ .
- (٤) ينظر: مغنية ٢٧٥/١
- (٥) نهج البلاغة الرسالة ٢٨ ، ص ٤٩٠ .
- (٦) ينظر: عبده ٣٣/٢ والشيرازي ٢٨/٤ والموسوي ٢٣٠/٤ .
- (٧) الصحاح (عود)
- (٨) ينظر: البيهقي ٣٧٣ والرواندي ٧٥/٣ والكيدري ٤٤٠/٢ والمعتزلي ١٩٤/١٥ والبحراني ٤٣٥/٤ والسرخسي ٢٤١/١ ومغنية ٤٦٩/٣ وأبو الفضل ١٧٣/٢ وانصاريان ٨٤/٣ .
- (٩) الخوئي ٩٧/١٩
- (١٠) فاطر ٣٥ . (١١) نهج البلاغة الخطبة ١٨٦ ، ص ٣٤٦ .
- (١٢) المعتزلي ٨٩/١٣ - ٩٠ .
- (١٣) ينظر: البحراني ١٥٠/٤ وعبده ٣٨١/١ والخوئي ٥٩/١١ - ٦٩ ومغنية ٧٤/٣ والشيرازي ١٤١/٣ والموسوي ٢٣١/٣ .
- (١٤) ينظر: التستري ٣٢٨/٣

ومن تقابلات السياق تفسيرهم للفظه (البارئ) بمعنى البراءة من المرض والعيب لا بمعنى البرء ، أي : الخلق^(١) وذلك بعد مقابلته بلفظة السقم الواردة في السياق نفسه في قوله (ع): (فَلَا تَنْفَرُوا مِنَ الْحَقِّ قَبَارَ الصَّحِيحِ مِنَ الْأَجْرِبِ ، وَالْبَارِئِ مِنْ ذِي السَّقَمِ)^(٢) ، قال الشارح مغنية : « والبارئ هنا من البراءة من العيب او المرض بدليل مقابلته للسقم^(٣) » . وامثلة ذلك كثيرة لدى شراح النهج^(٤) .

ويبرز لدى شراح النهج استعمالهم لـ (المنزلة) ، و (كاف التشبيه) للدلالة على التقابل بين الالفاظ ، كما في أقوالهم : والكرش : « هو لكل مجتر بمنزلة المعدة للانسان^(٥) » ، و« والمخلب للسبع بمنزلة الظفر للانسان^(٦) » ، و« الكباسة بالكسر ، العذق وهو من التمر بمنزلة العنقود من العنب^(٧) » و« الوضين للهودج بمنزلة البطان للقتب^(٨) » والوضين هو سيور تتسج مضاعفة بعضها على بعض ، يشد بها الهودج على البعير كالحزام للسرّج ، ويقال للرجل غير الثابت القدم في الامر هو قلق الوضين ، أي : مضطرب شاك فيه^(٩) . ومن استعمال كاف التشبيه ما جاء في أقوالهم : « الربوض للغنم كالبروك للابل^(١٠) » ، و« الجفلة للخيل والبعال والحمير كالشفة للانسان^(١١) » ، و« الضرع للناقة كالثدي للمرأة^(١٢) » ، و« الشرق بالماء كالغصّ بالطعام^(١٣) » ، و« الاخفاف جمع خف وهو للبعير كالقدم للانسان ، والاطلاف جمع ظلف بالكسر وهو للبقر والشاء وشبهها كالقدم للانسان^(١٤) » .

٢ - اعتمد شراح النهج على وضع اللفظة المفردة في سياقات مختلفة لابرّاز الفروقات الدقيقة بين معانيها ، فليس اللفظ المفرد يشترك بمعان متعددة على الاطلاق ، بل ثمة فروق تبرز من خلال السياق ، وربما يكون هذا النهج لدى الشّراح ميلا منهم نحو قصدية العلاقة بين الدال والمدلول ، الى جانب اقرارهم بوقوع المشتركات اللفظية .

والاستدلال بالسياق للوصول الى المعنى الدقيق للالفاظ هو منهج واضح وجلي لدى الشّراح جميعا وله حضور واضح سياطي ذكره في عدة مواضع ، وما يهمننا في هذا المبحث هو تلمس موقف الشّراح من ظاهر السياق ، فقد اعتمد شراح النهج في نظرتهم لسياق الكلام على قاعدة مهمة مفادها ان حمل السياق على ظاهره أولى من تأويل الكلام عند تعذر وجود القرينة ، وقد جهر بهذا المبدأ الشارح المعتزلي ، اذ بين انه « لا يجوز صرف اللفظ عن

- (١) ينظر: عبده ١٨٦/١ والتستري ٨٩/٣ والشيرازي ٣٤٨/٢ والموسوي ١٤٤/٢ .
- (٢) نهج البلاغة ١٤٧ ، ص ٢٥٧-٢٥٨ . (٣) مغنية ٣٤٠/٢ .
- (٤) ينظر: الرواندي ٤١/٢ والخوئي ١٧٦/٢ و ٣٢/١٥ والتستري ٥٢٣/١ و ٣٥٠/٩ والسامرائي ١٨٧ .
- (٥) الراوندي ٥١/٣ (٦) الراوندي ٣١٩/٢ والمعتزلي ٦/١١ (٧) الكيدري ٣٩/٢ .
- (٨) الرواندي ٢٢٢/٢ وينظر: الكيدري ٥١٠/١ والمعتزلي ١١٨/٧ والسرخسي ١٠٧/١ وعبده ٢١٧/١ والخوئي ٢١٦/٧ ومغنية ١١١/١ وابو الفضل ٢٣٤/١ والموسوي ٨٩/٢ .
- (٩) ينظر: العين ٩٦/٣ والصحاح ١١٤٦ (١٠) الراوندي ١٥٥/٣ وينظر: السامرائي ١٧٨ .
- (١١) السامرائي ٣٢٠ (١٢) الموسوي ٧٤/١ .
- (١٣) الراوندي ٣٣٧/٣ (١٤) الموسوي ٥٨/١ .

ظاهرة ... ولو جاز ان نصرف الالفاظ عن ظواهرها لغير دليل قاهر يصرف ويصد عنها ، لم يبق وثوق بكلام الله - عز وجل - وبكلام رسوله عليه السلام^(١) ، وكذا جهر به البحراني فقال : ((واعلم ان حمل الكلام على ظاهره عند الامكان اولى من التعسف في التأويل))^(٢) .

ثم بسط الشارح الخوئي القول في هذه المسألة جاعلا للجوء الى التأويل مقيدا بوجود قرينة مانعة من الحمل على الظاهر ، وفي هذا يقول : ((إذا تميز المعنى الحقيقي من المعنى المجازي ، واستعمل اللفظ في كلام خاليا من القرينة الدالة على إرادة أحد المعنيين فلا بد من حمله على المعنى الحقيقي))^(٣) ، وقد شدد الخوئي على تطبيق هذا المبدأ في تفسير القرآن الكريم وشرح آياته ، إذ ان العمل بالظاهر ((يتعين إرادته خصوصا في كلام الحكيم ؛ لان اطلاق ماله ظاهر وإرادة خلافه من دون نصب قرينة مستلزما للإغراء بالجهل والتكليف بما لا يطاق . وهو قبيح ، وايضا لو لم يرد ظاهره لزم انتفاء الفائدة في ارسال الرسل وانزال الكتب ؛ لان الفائدة العظمى حصول النظام بتبليغ الاحكام الموقوف على المخاطبة والافهام))^(٤) . وهذه التفاتة سديدة من الشارح الخوئي ، إذ ان كل لفظة دالة على معناها المراد من ظاهر النص ، على حين إن اللجوء الى التأويل يعني الخضوع لإهواء الشراح والمفسرين مما يخرج الكلام عن مراد قائله . ومن متابعة تطبيقات الشراح لهذا المبدأ نجد عدم التزامهم به التزاما تاما ، وقد أنكّر على المعتزلي والبحراني خروجهما عن هذه القاعدة ، ذاهبا الى تعدد ((توهمات الشارحين المعتزلي والبحراني في غير واحد من المقامات ، حيث صرفا كلام الإمام (م) عن ظاهره في موارد كثيرة من غير دليل ، وأولاه عن رأيهما ، وانحرفا عن وضح السبيل))^(٥) . من ذلك تفسير الشراح للفظتي الشافع والمشفع اللتين ذكرهما الإمام (م) في وصفه للقران الكريم بقوله : (واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش ... واعلموا أنه شافع مشفع ، وقائل مصدق)^(٦) ، إذ ذهب معظم شراح النهج الى حمل الكلام على التشبيه والاستعارة^(٧) ، ووجه الاستعارة ((كون تدبره والعمل بما فيه ماحيا لما يعرض في النفس من الهيئات الرذيلة من المعاصي وذلك مستلزم لمحو غضب الله كما يحو الشفيع المشفع اثر الذنب عن قلب المشفوع اليه ...))^(٨) . على حين خالفهم الخوئي جاعلا الاولوية في فهم السياق هي الاعتماد على ظاهره ، مبينا ان

القرآن الكريم يشفع لقرائه على الحقيقة لا المجاز ، وعاضداً ذلك بالروايات المنقولة عن أئمة أهل البيت (ع) ، إذ يقول : «والانصاف أن حمل الكلام على المجاز مع التمكن من

(١) المعتزلي ٣٥/٧ (٢) البحراني ٤١٣/٣ وينظر: ٢٣٠/٤ .

(٣) الخوئي ٢٧/١ (٤) نفسه ٢٧/١ .

(٥) نفسه ٢٨/١ (٦) نهج البلاغة الخطبة ١٧٦ ، ص ٣١٦ .

(٧) ينظر: المعتزلي ١٩/١٠ والبحراني ٦١/٣ وعبد ٣٤٨/١ ومغنية ٢٩/٢ والتستري ٤٠/١٣-٤١

وأبو الفضل ٤١٧/١ والشيرازي ٦١/٣ .

(٨) البحراني ٦١/٣ .

إرادة الحقيقة لا معنى له كما قلناه ... والحمل على الحقيقة هنا ممكن بل متعين لدلالة غير واحد من الروايات على انه يأتي يوم القيامة بصورة إنسان في أحسن صورة ويشفع في حق قرائه العاملين به ...»^(١)

ومن ذلك معالجة الشراح لقوله (ع) : «تم أسكن سبحانه آدم داراً رُغِدَ فيها عَيْشُهُ .. فاغتره عدوُّه نفاساً عليه بدارِ المُقامِ ومُرافقةِ الأُمرِ ، فباعَ اليقينَ بشكِّه ، والعزيمةَ بوهْنِه ، واستبدلَ بالجدلِ وجلاً ، وبالاغترارِ ندماً ، ثم بسطَ اللهُ سبحانه له في توبته...»^(٢) ، إذ حمل معظم الشراح ظاهر الكلام على الاستعارة ؛ لما استقر عندهم من مبدا عصمة الانبياء ،

فذهبوا الى ان معيشة ادم (ع) كانت في الجنة على حال يعلمها يقينا ، وما كان يعلم كيف معاشه في الدنيا ، ثم شككه ابليس في صدق مقاله ، فنسي ادم ما كان عنده يقينا مما هو فيه من الخير الدائم. وشك في نصح ابليس فكأنه باع اليقين بالشك بمتابعتة^(٣) . وقد استحسّن البحراني هذه الاستعارة بقوله : «وهي استعارة حسنة على سبيل الكناية عن

استيعاض ادم الشك عن اليقين»^(٤) ، واستدل البيهقي لصحة هذا التأويل بقوله : «والدليل على ان هذا الكلام استعارة على طريق الامثال انه لا يبيع هاهنا ولا يشرى»^(٥) . وقد تمسك الشارح المعتزلي بظاهر السياق وحمل الالفاظ على حقيقتها متابعة منه لمذهب اصحابه المعتزلة الذين جوزوا الخطأ على الانبياء ، قائلاً : «اما الالفاظ فظاهرة ، والمعاني

اظهر ... اما اصحابنا فانهم لا يمتنعون من اطلاق العصيان عليه ، ويقولون : انها كانت صغيرة ، وعندهم ان الصغائر جائزة على الانبياء (ع)»^(٦) . اما الشارح الخوئي فقد ذكر انه يمكن حمل الكلام على ظاهره ، الا انه تأول لهذا الظاهر بقوله : «ويمكن اجراء الكلام على ظاهره بان يراد باليقين اليقين بعداوة ابليس ، وبالشك الشك فيها ، والمراد

ببيعه به تبديله به ، وذلك لان ابليس لما ابى واستكبر عن السجود وأظهر الفضيلة ... تيقن ادم بعداوته له ، وقد اعلمه الله سبحانه به حينئذ ايضا ... ولم يكن ادم وحواء شهدا قبل ذلك من يحلف بالله كاذبا ، ووثقا بقوله وشكا في عداوته لمكان ذلك»^(٧) ، وتابعه على هذا التأويل الشارح مغنيه وهو يتوخى حمل السياق على ظاهره بقوله : «هذا ما يدل عليه

سياق الكلام وظاهره او ما نفهمه نحن»^(٨) ، على حين لم يلتزم الشارح مغنيه بظاهر السياق وهو يشرح قوله (ع) : «أصدقاؤك ثلاثة ، وأعداؤك ثلاثة : فأصدقاؤك : صديقك ، وصديق صديقك ، وعدو عدوك ، واعداءك : عدوك ،

وعدوٌ صديقك ، وصديقُ عدوك^(٩) ، وانما اوجب التأويل بقوله : ((صديق الصديق ليس صديقا على سبيل الحتم والجزم ... واذن فلا بد من التوجيه والتاويل ، والذي تصورناه في التوجيه ونحن نشرح هذه الكلمة ان سبب التأخي والصدافة بين اثنين هو المشابهة والمشاركة في اي شيء ، وان سبب العداوة والتباعد هو المعاكسة وعدم الانسجام ... ومعنى هذا أن أية صفة كانت السبب الموجب للصدافة بين

(١) الخوئي ١٩٨/١٠ (٢) نهج البلاغة : الخطبة ١ ، ص ٢٢ .

(٣) ينظر: الرواندي ٧٥/١ والكيدري ١٣٨ / ١ والتستري ٥٩٠/١ وأنصاريان ٥٤/١ والشيرازي ٣٤/١ والموسوي ٤٠/١ .

(٤) البحراني ١٧٦/١ (٥) البيهقي ٦٨/١ (٦) المعتزلي ١٠٢/١

(٧) الخوئي ٨٤/٢ (٨) مغنية ١٥٢ (٩) نهج البلاغة : الحكمة ٢٩٥ ، ص ٦٦٢ .

اثنين فهما ايضا صديقان لكل من كانت فيه الصفة من حيث يريدان أو لا يريدان^(١) ، فالذي حمل الشارح مغنية على تاويل النص هو ما بينه من قبله الشارح البحراني من ان علم الشخص بصديق صديقه امر غير مؤكد قائلا : ((الحكم بأن صديق الصديق وعدو العدو صديق من القضايا المظنونة لاحتمال كون الصديق غير عالم بأن لصديقه صديقا))^(٢) ، وجعل العلم او الجهل بحال الصديق حائلا دون ارادة ظاهر الكلام ، خلافا لاكثر شراح النهج^(٣) ، وقد رفض محمد باقر الكمري متمم الجزء الحادي والعشرين من شرح الخوئي تاويل البحراني مبينا أن الإمام (ع) ((بين الاثر الذاتي للحب الاخوي والبغض الناشئ من العداوة، ولا ربط له بالعلم والجهل بحال الغير))^(٤) .

٣- اهتم شراح النهج بالرموز والاشارات الواردة في كلام الإمام (ع) لما تحمله من دلالات على المعاني ، وهو ما يعرف في علم الدلالة الحديث ب (السيمياء) ، أي : علم الاشارات والرموز^(٥) . وقد عكف الشراح على بيان المراد ب (الرمز) وهم يشرحون قوله (ع) : (لَهُمْ أَغْفِرُ لِي رَمَزَاتِ الْأَلْحَاطِ ، وَسَقَطَاتِ الْأَفْأَظِ ، وَشَهَوَاتِ الْجَنَانِ ، وَفَهَوَاتِ اللَّسَانِ)^(٦) ، اذ اجمع الشراح على تفسير الرمز بالاشارة ، والايماء بالعين ، والحاجب ، للدلالة على حالات مختلفة للانسان من غضب او فرح او أمر بفعل شيء او تركه^(٧) . من ذلك تفسير الشراح لقوله (ع) في استتفار الناس الى اهل الشام : (أَفُّ لَكُمْ ! لَقَدْ سَمَّتُ عَنَابَكُمْ ! أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ عَوَضًا ؟ وَبِالذَّلِّ مِنَ الْعِرِّ خَلْفًا ؟ إِذَا دَعَوْتُمْ إِلَى جِهَادِ عَدُوِّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ ، كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي غَمَّةٍ ، وَمِنَ الدُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ)^(٨) ، إذ بين الشراح^(٩) أن دوران الاعين من الاشارات الى الخوف والرعب ، قال البيهقي : ((دوران الاعين على تلك الهيئة من امارات الرعب والخوف))^(١٠) .

(١) مغنية ٣٦٨/٦ .

(٢) البحراني ٣٩٤/٥ .

(٣) ينظر: المعتزلي ١٩ / ٢٠٠ والتستري ٤٣٣/١٣ والشيرازي ٤٠٨/٤ والموسوي ٤٣١/٥ .

(٤) الخوئي ٣٨٧/٢١ .

(٥) ينظر: علم الدلالة (عمر) ١٢-١٤ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ٧٨ ، ص ١١٧ .

(٧) ينظر: الراوندي ٣١٥/١ والمعتزلي ١٧٦/٦ والبحراني ٢١٣/٢ وعبد ١٥٧/١ والخوئي ٢٥٠/٥ ومغنية ٣٦٧/١ والتستري ٥/٧ وأبو الفضل ١٤٦/١ والسامرائي ١٨٣ والشيرازي ٢٩٧/١ والموسوي ٤٤٤/١ .

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ٣٤ ، ص ٧٥ .

(٩) ينظر: الراوندي ٢٣٨/١ والمعتزلي ١٩٠/٢ والبحراني ٧٨/٢ والسرخسي ١٦٦/١ وعبد ٩١/١ والخوئي ٧١/٤ ومغنية ٢٦٦/١ والتستري ٥١٧/١ وأبو الفضل ٩٢/١ وانصاريان ١٤٩/١ والموسوي ٢٦٧/١ .

(١٠) البيهقي ١٢٣ .

وعَلَّ الشيرازي هذه الدلالة بقوله : « إِنَّ » الانسان الخائف يلتفت يمينا وشمالا ليجد مهريا من الخوف الذي احاط به ^(١) ، وهي اشارة استعمالها القرآن الكريم للدلالة على الخوف الذي انتاب المنافقين ، قال تعالى : ﴿ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَلَوُّرًا عَلَيْهِمْ كَالَّذِي يُفْتَنُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ ^(٢) .

والرموز الواردة في أقوال الإمام (ع) كثيرة ، عالجها الشراح مبينين دلالتها على المعاني المختلفة من ذلك الإشارة بالسكوت إلى الرضا ^(٣) ، وقد ذكر البيهقي أن السكوت من الاشارات التي استدل بها الفقهاء على تجويز ما صدر عن النبي (صلى الله عليه وآله) من افعال سكت عنها ، قائلا : « كان سكوته دليلا على حسن الحادثة ، سواء كان ذلك قولاً ، او نقلاً ، وبهذا استدل العلماء في مواضع سكوت النبي (صلى الله عليه وآله) عن فعل ما كالنص على التجويز ... » ^(٤) وقد عد الخوئي السكوت من الاشارات على الشجاعة في الحروب في مقابل الدلالة بالضوضاء والاصوات المرتفعة على الجبن والضعف « اذ الوعيد ، والتهديد ، والضوضاء قبل ايقاع الحرب والظفر على الخصم امارة الضعف والجبن وعلامة رذالة النفس ، كما ان الصمت والسكوت امارة الشجاعة » ^(٥) .

وتعد حركات الانسان اشارات دالة على المعاني المختلفة كالعض على اليد ، اذ بين الشراح انها علامة الندم والاسف ^(٦) وذلك في شرحهم قوله (ع) في وصف الدنيا : (أَلْهَلُّ أَعْلَى سَاقٍ وَسِيقٍ ... فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ ... وَعَاضٌ عَلَى يَدَيْهِ ، وَصَافِقٌ بِكَفَيْهِ ، وَمُرْتَفِقٌ بِخَدَيْهِ) ^(٧) ، اذ قال المعتزلي : « وعاض على يديه ، أي ندما . وصافق بكفَيْهِ ، أي : تعسفا او تعجبا . ومرتفق بخديه : جاعل لهما على مرفقيه فكرا وهما » ^(٨) ، وجوز آخرون دلالة هذه الحركة على الغضب ، اذ « يقال : فلان عاض على يده من الندامة ، وقد يكون من الغضب » ^(٩) . وهذه الحركة وردت في القرآن الكريم إشارة الى ندم الظالم ، قال تعالى : ﴿ وَوَيْحٌ لِلظَّالِمِ عَلَى يَدَيْهِ ﴾ ^(١٠) وقد تكون الإشارة بجمع الأصابع

(١) الشيرازي ١٧٩/١ . (٢) الاحزاب ١٩ .

(٣) ينظر: الكيدري ٤٨٣/١ والمعتزلي ٦٩/٧ والبحراني ٤٠٢/٢ والسرخسي ١٠١/١ ومغنية ٧٠/٢ والتستري ٢٠٢/٢ وأبو الفضل ٢١٥/١ وانصاريان ٣٢٥/١ والشيرازي ١٠٩/٢ والموسوي ١٣٩/٢ .

(٤) البيهقي ١٩٤

(٥) الخوئي ١٥٩/٣ وينظر: ١٤٣/٤

(٦) ينظر: المعتزلي ١٢٤/١٣ والسرخسي ٢٠٦/١ وعبد ٣٩٥/١ والتستري ٢٧/١٢ وأبو الفضل ٨٨/٢

والشيرازي ١٨٥/٢ والموسوي ٢٨٣/٣ .

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ١٩١ ، ص ٣٥٨ .

(٨) المعتزلي ١٢٤/١٣

(٩) الرواندي ٢٢٥/٢ وينظر: الكيدري ٣٢١/٢

(١٠) الفرقان ٢٧ وينظر: الكشاف ٩٠/٣ .

الأربعة ووضعها بين الأذن والعين للدلالة على إن بين الحق والباطل أربعة أصابع ، إذ بين الشراح^(١) أن الإمام (ع) لما قال : (الباطل أن تقول سمعتُ ، والحق أن تقول رأيت) ^(٢) جاء بهذه الإشارة . وقد كثرت في النهج مثل هذه الإشارات وكثرت أيضا تنبيهات الشراح على المعنى المراد من كل إشارة أو حركة أو رمز ^(٣) .

٤- اعتماد شراح النهج جميعهم على المعجمات اللغوية في التوثيق الدلالي ، وتحديد الاصول الدلالية للالفاظ ، ثم تتبع تغيرات المعنى وما يطرأ عليها من استعمالات. وقد تنوعت مصادر الشراح وفاقته الحصر والعد بحكم ما تضمنته خطب الإمام (ع) ورسائله وحكمه من موضوعات اشتملت جوانب الحياة المختلفة ، اذ ضمت مصادر الشراح كتب الفقه والتفسير وعلم الكلام والفلسفة والمنطق والتاريخ والفلك والطب والحيوان والشعر والادب والبلاغة واللغة الا ان بحث الشراح في الجانب الدلالي كان معتمدا على المعجمات اللغوية ، وما ينقله اصحابها من اراء اللغويين في معاني الالفاظ وتطور دلالاتها ، بوصفهم اهل اللغة على حد تعبير الشراح الخوئي الذي يقول : «اعلم ان معرفة المعاني الحقيقية والتفرقة بينها وبين المعاني المجازية انما يحصل بالرجوع الى اهل اللغة» ^(٤) ، ومثل الخوئي لاهل اللغة بصاحب الصحاح وصاحب القاموس ^(٥) ، ولذا نجد معظم معجمات اللغة حاضرة في شروح النهج ، وتتفاوت في عددها تبعا للعصر الذي ينتمي اليه كل شارح ، اذ رجع الشراح الى معجمات : العين والجمهرة والمجمل والصحاح والنهاية والمفردات والاساس واللسان والمصباح المنير والمنجد وغيرها .

وقد أحاط شراح النهج بأراء المعجميين في الالفاظ التي تباينت الاقوال في تحديد معناها كتوجيههم لفظة (المس) الواردة في قوله (ع) من كتاب له (ع) الى معاوية : (واحذر أن يصيبك الله منه بعاجل قارعة تمسُّ الأصول تقطعُ الدَّابِرَ) ^(٦) ، اذ اتفق شراح النهج على ان المراد ب(تمس الاصل) هو انها تقطعه ^(٧) ، غير ان الشراح المعتزلي جعل

(١) ينظر: البيهقي ٣٣ والرواندي ٦٣/٢ والكيدري ٦٢٣/١ والمعتزلي ٧٢/٩ والبحراني ٣/ والسرخسي ١٣٣/١

وعنده ١٧٩-٢٧٨-٢٧٩ والخوئي ٣٩٣/٨ ومغنية ٣٠٨/٢ والتستري ٣٤٦/١٣ وأبو الفضل ٣٢٣/١ والشيرازي ٣٢٢/٢ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٤١ ، ص ٢٤٩ .

(٣) ينظر: البيهقي ٣٠٩ ، ٤٥١ والرواندي ٢٥٢/٢ والكيدري ٥٨٨/٢ والتستري ٢٤٣/١٠ والسامرائي ٢١١ ، ٣١٥

والشيرازي ١٧١/١ ، ٣٠٠ و ٥٨/٢ ، ٣١٤ و ٢٧٦/٤ .

(٤) الخوئي ٢٦/١

(٥) ينظر: نفسه

(٦) نهج البلاغة الرسالة ٥٥ ص ٥٧١ .

(٧) ينظر: الراونديّ ٢١٥/٣ والبحراني ٩١/٥ والسرخسي ٢٧٤/١ وعبد ١١٧/٢ والخوئي ٣٣٠/٢٠ ومغنية ١٣٠/٤ و ١٢/٥ والتستريّ ٣٩١/٩ وابو الفضل ٢٦٩/٢ والشيرازي ٢٠٤/٤ .

هذه الدلالة مأخوذة من قولهم: ((ماء مسوس ، اي : يقطع الغلة))^(١) ، ودلالة المسّ على القطع غير صحيحة كما ذكر التستريّ وأنصاريان ، وإنما هي مستحصلة من اضافة (تمسّ) بمعنى تصيب الشيء ، الى لفظة (الاصل) ، اي : داهية تصيب اهلك ((فتكون اصابة الاصل كناية عن الاستئصال))^(٢) ، واستدل أنصاريان بأقوال المعجميين لبيان خطأ المعتزليّ ، فذكر أنّ كلامه ((فيه نظر ؛ اذ المس بمعنى القطع لم يذكره احد من اهل اللغة واما الماء المسوس فهو الماء بين العذب والمالح كما ذكر الجوهري، او الذي تناله الايدي كما ذكر الخليل في العين والفيروزابادي ... والظاهر انه من المس بالمعنى المعروف ، أي : داهية تصيب اهلك))^(٣) ولذا احتل الشارح التستريّ ان يكون (تمس) محرّفاً من (تحسّ) بمعنى تستأصل بعد تأكيده على انتفاء دلالة المس على القطع^(٤).

ومال الشارح المعتزليّ الى تبني آراء الجوهري في صحاحه ، وتقديمه على غيره من المعجميين على حين مال الشارح التستريّ إلى صاحب القاموس ، وكثيرا ما شنع على المعتزليّ اعتماده على الصحاح ، مرددا عبارات من مثل : ((ان ابن أبي الحديد يتبع غالبا صاحب الصحاح))^(٥) ، و((اخذ ما قاله عن الصحاح))^(٦) ويبدو اعتماد التستريّ على اللغوي المتأخر دون المتقدم غريبا في هذا المقام. فأكثر الشّراح يستدلون بما قاله المعجميون الأوائل ثم يأسون بكلام اللاحقين على وفق ما جاء لدى الخوئي في قوله : ((ان اللغوي الذي يرجع اليه لتشخيص الاوضاع ان كان واحدا فهو ، والا فان اتحد قولهما فلا اشكال فيه ايضا ، فلو اختلفا فان كان مع احدهما مرجح فهو المتبع ، ولو وقع الاختلاف بين الصحاح والقاموس فاخذ الاول متعين ؛ لانه من اهل اللسان))^(٧).

٥- اعتمد شراح النهج على ايراد المتقاربات لبيان المعنى الدقيق للالفاظ التي يشرحونها ، وهذه الطريقة اشبه بما يعرف لدى المحدثين بالحقول الدلالية ، اذ توضع اللفظة المراد تعرف معناها بدقة الى جانب الفاظ تقاربها في المعنى لتتضح - بالتمييز بين مجموع الالفاظ ذات الحقل الواحد - المعاني الدقيقة لكلّ منها ، وسيأتي بسط القول في هذه المسألة في مبحث الترادف في الفصل الخامس^(٨) .

(١) المعتزليّ ١٣٧/١٧

(٢) التستريّ ٣٩١/٩

(٣) أنصاريان ٢٧٦/٣ وينظر: العين ١٧٠٠/٣ والصحاح ٩٨٧ والقاموس ٥٣١ .

(٤) ينظر: التستريّ ٣٩١/٩

(٥) التستريّ ٨٩/٣

(٦) التستري ١٣١/١

(٧) الخوني ٢٩/١ وينظر ١١٨/٣ و ١٢٥/٦ و ٦٤/٩

(٨) ينظر: ص ٤٤١ وما بعدها من الأطروحة .

الفصلُ الثاني

الدَّلالةُ الصَّوتيةُ في شُروحِ نهجِ بلاغةِ .

- توطئة : الدلالةُ الصوتيةُ مفهومٌ وخلافٌ .
- المبحث الأول : دلالةُ تعاقبِ الصوائتِ في شُروحِ نهجِ البلاغةِ .
- المبحث الثاني : دلالةُ تعاقبِ الصوامتِ في شُروحِ نهجِ البلاغةِ .
- المبحث الثالث : دلالةُ التكرارِ الصوتيِّ في شُروحِ نهجِ البلاغةِ .
- المبحث الرابع : دلالةُ الأداءِ الصوتيِّ في شُروحِ نهجِ البلاغةِ .

توطئة : الدلالة الصوتية / مفهوم وخلاف .

١ - مفهوم الدلالة الصوتية .

يبرز من موضوعات الدراسة الصوتية مسألة الصوت والمعنى أو ما عرف لدى المحدثين بالدلالة الصوتية. وهو موضوع لم يؤثر له عن القدماء مصطلح واضح ولاحد بين ، وعلى الرغم من ذلك كان القدماء قد وضعوا أسس هذا النوع من الدلالة أو هذا الفن من الدرس الصوتي، وذلك بذكرهم أمثله التي أنسوا بتلمسها من كلام العرب، فضلا عن توثيقهم العلاقة بين الصوت والمعنى إلى درجة بلغت الزهو والغلو - أحيانا - على وفق ما جاء لدى ابن جني وغيره^(١) . وقد أصل القدماء هذا الموضوع ضمن موضوع أوسع منه وهو الخلاف في نشأة اللغة الذي افضى في بعض نظرياته إلى أن اللغة نشأت من محاكاة الأصوات معانيها أو محاكاة الألفاظ أصوات الطبيعة^(٢) . وربما يكون السبب في عزوف القدماء عن تحديد المصطلح الدقيق ووضع الحد الجامع لهذا الفن الجديد هو أنهم اكتفوا بما استنبطوه من أمثلة جلية تقرب هذا الفن الجديد نحو الإفهام في زمن كانت فيه المصطلحات والحدود في طور النشأة ، وكان التطبيق يقوم مقام التنظير في التعريف بفنون اللغة وموضوعاتها ، ثم إن هذا الفن -الدلالة الصوتية- بقي معروفا بأمثله وتطبيقاته لا باسمه وتعريفه حتى العصر الحديث الذي يطالعنا فيه ابراهيم أنيس (١٩٧٦م) بالمصطلح وحده ، لكنه يعتمد على التمثيل - أيضا- فيقول: «الدلالة الصوتية وهي التي تستمد من طبيعة بعض الأصوات ... فكلمة **تنضح** كما يحدثنا كثير من اللغويين القدماء تعبر عن فوران السائل في قوة وعنق وهي إذا قورنت بنظيرتها **تنضح** التي تدل على تسرب السائل في تودة وبطء يتبين لنا أن صوت الخاء في الأولى له دخل في دلالتها فقد أكسبها في رأي أولئك اللغويين تلك القوة وذلك العنف ، وعلى هذا فالسامع يتصور بعد سماعه كلمة تنضح عينا يفور منها النفط فورانا قويا عنيفا والفضل في مثل هذا الفهم يرجع إلى إيثار صوت على آخر أو مجموعة من الأصوات على أخرى في الكلام المنطوق»^(٣) وقد تمسك معظم الباحثين بهذا التعريف مع شيء من التغيير في أمثله أو ألفاظه^(٤) . وهو تعريف قاصر عن وصف مظاهر الدلالة الصوتية كلها إذ تلمس المحدثون^(٥)

(١) ينظر: الخصائص ١٥٤/٢-١٧٠ والمزهر ٤٧/١ .

(٢) ينظر: الخصائص ١/٤٧-٤٨ و ١٥٤/٢-١٥٥ والصاحبي ٢ .

(٣) دلالة الألفاظ ٤٦ .

(٤) ينظر: معجم مصطلحات اللغة والأدب ١٦٩ ومصطلحات الدلالة ٨٤ والبحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن ٣١ والبحث الدلالي في إرشاد العقل السليم ٢٥ .

(٥) خص فريق من الباحثين العرب الموضوع بدراسة مستقلة منهم : صالح سليم عبد القادر في الدلالة الصوتية في العربية وكريم حسام الدين في كتابه :الدلالة الصوتية -دراسة لغوية لدلالة الصوت ودوره في التواصل والدكتور : خالد قاسم بني دومي في كتابه دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم وكريم مزعل اللامي في رسالته : الدلالة الصوتية في القرآن الكريم وتحسين عبد الرضا الوزان في أطروحته الصوت والمعنى وآخرون .

جملة من أنماط الكلام عدّوها أسسا للدلالة الصوتية تعتمد على **الصوائت والصوامت والمقاطع والالفاظ والجمل** . وقد يكون من العسير جمع هذه الانماط الدلالية في حد جامع ولذا يكون تعريف الدلالة الصوتية بالتفصيل لا بالاجمال كأن يقال: إن الدلالة الصوتية هي الدلالة المستوحاة من تتابع الحركات والحروف في نسق معين أو التعاقب بينها تعاقبا فرديا أو مزدوجا أو تكثيفا بالتكرار والتضعيف والمد . وتستمد أيضا من سبك الالفاظ من اصوات يحاكي اثتلافها صوتا طبيعيا فتدل تلك الالفاظ بجرسها على معناها أو من نظم الجمل والتراكيب بطريقة تومئ الى المعنى الدقيق لا بنظمها الظاهرالمكتوب بل بإلقائها المسموع من حيث ضغط مجرى الهواء في موضع معين والصعود والنزول فيه وقطعه وامتداده .

وصفوة القول في هذا النوع من الدلالة أنه يقوم على التلاؤم بين الاصوات وتناغمها بطريقة تؤدي الى ايقاع يجعل المفردة توحى بجرسها واصواتها المكونة لها على معناها. ويكاد يجمع المحدثون على القول به واستنباط امثلته، وهو ميدان رحب واسع امامهم ، ودرسه حافل بالجنة والأصالة .

٢ - الدلالة الصوتية بين المؤيدين والمعارضين .

شغلت مسألة الصوت والمعنى الفكر الانساني عموما ومن ثم فكر علماء العربية منذ اواخر القرن الثاني الهجري والى ايامنا هذه والجميع ازاء هذه المسألة على فريقين : الاول ، يرى ان العلاقة بين (الدال والمدلول) ويشمل الصوت والمعنى ، واللفظ والمعنى طبيعية قصدية رسخت بعلم المتكلم و تخطيطه وتدييره . والآخر، يرى ان العلاقة بين (الدال والمدلول) علاقة اعتباطية لا قيمة لها ابتداء وان ما يربط الدال بالمدلول من علاقات جاء تلوا للاستعمال العرفي فضلا عن ان الصوت المفرد او اللفظ المفرد لا قيمة له بمعزل عن السياق والانضمام الى اصوات اخرى او الفاظ اخرى . وقد استند اصحاب مذهب (الاعتباطية) الى عدم فهم جميع اللغات من لدن الناس جميعهم^(١) وهذا دليل على ان لا علاقة بين الصوت والمعنى ولو كانت العلاقة قائمة بينهما قصدية لتسنى لنا فهم جميع اللغات. وانكر القصديون هذا الدليل بان الصلة بين اللفظ والمعنى جليلة ظاهرة طبيعية في بدء نشأة اللغة الام (الموحدة) ولكن تفرع اللغات وتطور الالفاظ وتغير دلالاتها مع الزمن طمس العلاقة القصدية بين الصوت والمعنى وقرب الامر نحو الاعتباط فصار من العسير الظفر بالعلاقة الطبيعية على نحو دائم بين الصوت والمعنى^(٢).

ويقف الخليل في صدارة علماء العربية القائلين بالعلاقة الطبيعية بين الصوت والمعنى إذ تلمس تلك العلاقة من نبع صغير كشفه بالملاحظة، ثم صار ذلك النبع الصغير معينا ضخما استمد منه المتأخرون أفكارا كثيرة قادتهم إلى تحليل العلاقة بين الصوت ومدلوله وتأمل الصلة بينهما ، وأول ما جذب انتباه الخليل الى تلك العلاقة هو الالفاظ

(١) ينظر: بحوث ومقالات في اللغة ١٨

(٢) ينظر: دلالة الألفاظ ٦٣ ودلالات الظاهرة الصوتية ١٦

المعبرة عن الاصوات او المسموعات التي رأى فيها اصواتا محاكية للطبيعة^(١) . وفي كتاب العين إشارات واضحة لدلالة الصوت المضعف والصوت المكرر وصفات الأصوات على وفق ما سيأتي بيانه في هذا الفصل . وقد أفاد تابعو الخليل من هذه الإشارات فعدوا عليها كثيرا من آرائهم في هذه المسألة، كدلالة توالي الحركات في الفعلان والفعل على سببويه على الهياج والاضطراب^(٢) .

ثم تأخذ تلك الإشارات حيزا كبيرا من فكر ابن جني الذي فاق المتقدمين واللاحقين في تبيان مظاهر الدلالة الصوتية بعد أن خصص لها بابين من خصائصه الأول : تصاقب الالفاظ لتصاقب المعاني^(٣) وفيه عدة مظاهر للدلالة الصوتية منها تشابه الحروف والمعنى واحد، وتداخل الاصول الثلاثية والرباعية والخماسية، وتقليب الحروف الاصول والمعنى واحد، وتقارب الحروف لتقارب المعاني وهو الإبدال . والباب الثاني هو امساس الالفاظ اشباه المعاني^(٤) وأهم مظاهره : تقطيع المثال او تطويله دليل على تقطيع الفعل او تطويله ، وتوالي الحركات لتوالي الافعال والمثال المكرر للمعنى المكرر، وتوالي الحركات للسرعة نحو: الفعلان والفعل ، وترتيب الحروف على ترتيب الافعال، وتكرير العين في المثال دليل على تكرير الفعل، وتكرير اللام والعين في باب المبالغة، ومقابلة الالفاظ بما يشاكل اصواتها من الاحداث، وسوق الحروف على سمت المعنى، وتسمية الاشياء باصواتها، ودلالة جرس الصوت على معناه ، فالصوت الشديد للمعنى الشديد والصوت الرخو للمعنى الرخو والصوت المهموس الرخو للضعف والوهن . ولم يكتف ابن جني بذكر مظاهر الصوت والمعنى بل جاوز ذلك ليحشد الادلة والبراهين التي تفصح عن قصدية العلاقة بين الصوت والمعنى وانكر ان تكون العلاقة اعتباطية لأن انكار العلاقة الطبيعية بين الصوت والمعنى ابطال لحكمة العرب في لغتها، تلك الحكمة التي تشهد بها عقول ذوي التحصيل^(٥) . وقد عزا ابن جني ابتعاد المعنى عن الصوت في كثير من الامثلة وخفاء العلاقة بينهما لأمرين « إما أن تكون لم تتعم النظر فيه فيقع بك فرك عنه ، أو لأن لهذه اللغة أصولا وأوائل قد تخفى عنا وتقصر أسبابها دوننا»^(٦)

وقد رغب ابن جني الباحثين بالدلالة الصوتية والتمس منهم النظر فيها فقال: «فهذا ونحوه أمر إذا أنت أتيتته من بابه ، وأصلحت فرك لتناوله وتأمله، أعطاك مقادته، وأركبك نروته ، وجلا عليك بهجاته ومحاسنه . وإن أنت تناكرته وقلت : هذا أمر منتشر ، ومذهب صعب موعر ، حرمت نفسك لذته ، وسددت عليها باب الحظوة به»^(٧)

(١) ينظر: العين : ١/ ٥٤ - ٥٦

(٢) ينظر: الكتاب ١٢/٤ - ١٤

(٣) ينظر: الخصائص ١٤٧/٢ - ١٥٤

(٤) ينظر: نفسه ١٧٠ - ١٥٤ / ٢ والمزهر ٤٨/١ .

(٥) ينظر : نفسه ١٦٦/٢

(٦) نفسه ١٦٦/٢

(٧) نفسه ١٦٤/٢

وأيد كثير من المحدثين قصدية العلاقة بين الصوت والمعنى فمن الغربيين : همبلت^(١) وجسبرسن^(٢) وفيرث^(٣) . ومن العرب : أحمد فارس الشدياق^(٤) وصبحي الصالح^(٥) ومحمد المبارك^(٦) وجرجي زيدان^(٧) وعباس محمود العقاد^(٨) ورمضان عبد التواب^(٩) . ويكفي ان كل من يتلمس المباحث الدلالية^(١٠) لا يجاوز ما استقر حديثا بالدلالة الصوتية التي اقيمت واستقرت على علاقة الصوت بالمعنى .

ويعد الباحث العراقي عالم سبيط النيلي^(١١) من أشد المدافعين عن العلاقة العقلية بين الصوت والمعنى وله في إنكار الاعتباط وإثبات القصد أربعة كتب هي^(١٢) :

- اللغة الموحدة وهو كتاب يركز على إثبات وجود القيمة المسبقة للعلامات الصوتية والألفاظ ويهدف إلى تأسيس علم للغة جديد قائم على القصدية وتقنيد النظرية الاعتباطية للجرجاني وسوسير .
- الحل القصدي للغة وهو كتاب يناقش المباحث الاعتباطية للألفاظ ومباحث الدلالة عند الأصوليين ويقوم بتفنيدها على وفق النظرية القصدية الجديدة ويعتمد على النظام القرآني في تقديم الحلول . وهذا الكتاب مفعم بالنقد اللاذع لأئمة اللغة قديما وحديثا لا سيما الجرجاني وسوسير .
- الحل الفلسفي وهو كتاب يناقش الاعتباط الفلسفي العام ولا سيما في الفلسفة الإسلامية عن طريق المنهج القصدي للغة .
- النظام القرآني وهو مشروع يتضمن الكشف عن النظام القرآني ويظهر إعجازه الحقيقي من خلال الحل القصدي للغة .

(١) ينظر : دلالة الألفاظ ٦٨ - والدلالة اللغوية عند العرب ٢٢١ .

(٢) ينظر : دلالة الألفاظ ٦٨-٦٩ والدلالة اللغوية عند العرب ٢٢٢ .

(٣) ينظر : الدلالة اللغوية عند العرب ٢٣٠ .

(٤) ينظر : الساق على المساق ٦٥/١ - ٦٧ .

(٥) ينظر : دراسات في فقه اللغة ١٤١ .

(٦) ينظر : فقه اللغة وخصائص العربية ٢٦١ .

(٧) ينظر الفلسفة اللغوية ٣٦-٣٧ .

(٨) ينظر : اشتات مجتمعات ٤٣-٤٩ . (٩) ينظر : بحوث ومقالات في اللغة ١٧ .

(١٠) ينظر البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن ٣١-٦٤ والبحث الدلالي في إرشاد العقل السليم ٢٥-٥٧ .

(١١) ولد في الحلة عام ١٩٥٦ ، أكمل دراسته الإعدادية بتفوق عام ١٩٧٥ فقبل ضمن بعثة دراسية إلى الإتحاد السوفيتي ليختص في الهندسة الالكترونية ، عاد إلى العراق فعين بدرجة ملازم أول مهندس في المؤسسات العسكرية ثم نبغ في حقل اللغة على نحو مفاجئ فترك بعد وفاته في ١٨/٨/٢٠٠٠ جملة من الآثار القيمة هي محل تداول ذوي الصنعة حاليا . ينظر : في ترجمته كتابه : أصل الخلق (١٢) ينظر : النظام القرآني ٥

لقد حاول النيلي من خلال منجزه في اللغة ((إعادة تفسير اللغة على نحو آخر هو وجود معنى ذاتي في الصوت وحركة عامة (معينة) ومحددة إجمالاً في كل تعاقب صوتي وهو ما تم شرح القسم الأكبر منه في كتاب اللغة الموحدة الذي تم فيه أيضاً تفنيد ونسف الاعتباطية في اللغة ووحداتها الأصلية خلافاً لمزاعم البنيوية الغربية أو الشكلية النظامية العربية بقيادة سوسير في الأولى والجرجاني في الثانية))^(١) . ويرى النيلي أن الحل القصدي يرفض رفضاً قاطعاً أن تكون دلالة اللفظ خارجية جاءت من الاتفاق الجزافي وإنما هي ذاتية في اللفظ ومنبثقة من عناصره الأولى وترتيبها التعاقبي ورأى أن منجزه في حقل اللغة يكشف لأول مرة عن القيمة الحركية الفيزيائية للأصوات . وحدد نظامها التعاقبي بما يفسر النظام الاشتقائي لكل لغات العالم . وطلب من جميع المختصين إجراء التجارب والتطبيقات على الألفاظ قديمها وحديثها ، فالحل القصدي يمتلك من الأدلة ما يحدد الكلمات التي نطق بها الخلق بينما لا يمتلك الحل الاعتباطي دليلاً واحداً على نظريته سواء في مؤسسة التقافية أو الدينية^(٢) . والناظر في منجز النيلي يجد الجدة في الطرح مقرونة بالزهو في تفسير العلاقة القصديّة بين الدال والمدلول على نحو دائم ومطرّد فضلاً عن التّبجّح بمسائل اللغة من مثل إبطال الترادف والمشارك والتضاد والمجاز وغير ذلك من الظواهر اللغوية التي اصطرع القدماء بشأنها بين مؤيد ومنكر فجاء النيلي ليختزل أحد أطراف ذلك الصراع وهم المنكرون ليزعم أنه أول من أبطل الترادف والمشارك والتضاد والمجاز وغير ذلك .

أما القائلون باعتباطية العلاقة بين اللفظ والمعنى من علماء العربية فيتصدهم الجرجاني الذي نفى أن يكون لنظم الاصوات وتواليها امر عقلي ذلك ان ((نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط وليس نظمها بمقتضى عن معنى ولا الناظم لها بمقتف في ذلك رسماً من العقل اقتضى ان يتحرى في نظمه لها ما تحراه فلو ان واضع اللغة كان قد قال (ربض) مكان (ضرب) لما كان في ذلك ما يؤدي الى فساد))^(٣) وقال أيضاً: ((وجب ان يعلم أنّ مدلول اللفظ ليس هو وجود المعنى او عدمه ولكن الحكم بوجود المعنى او عدمه ، وإنّ ذلك ، أي الحكم بوجود المعنى أو عدمه حقيقة الخبر))^(٤) .

ودلالة الالفاظ لديه مرتبطة فيما تفيد من معنى عند التركيب والدليل لديه على ذلك انك لو فككت الالفاظ ونثرتها متباعدة غير منتظمة لا تحصل على الدلالة نفسها وهي مترابطة مركبة وأن الالفاظ قد تحسن دلالتها في موضع وقد تقبح دلالتها في موضع آخر ومرد ذلك كله إلى النظم وليست دلالة الالفاظ نابعة من أصواتها المسموعة وحروفها المتواليّة^(٥) .

وفي العصر الحديث تزعم سوسير مذهب الاعتباط فرأى أن الاعتقاد بأن الألفاظ لا قيمة ذاتية لها هو امر لا يختلف حوله اثنان واما الاصوات فان الاعتقاد بوجود قيمة لها هو ضرب من الخيال وشيء لا يخطر على بال^(٦)

(١) الحل القصدي ٥

(٢) ينظر : الطور المهدي ١٢-١٣

(٣) دلائل الاعجاز ٥٦

(٤) نفسه ٥٢٩

(٥) ينظر: نفسه ٥٤-٥٥

(٦) ينظر: علم اللغة العام ١٣ ودلالة الألفاظ ٧٠.

وهو بهذا لا يختلف عن الجرجاني بشيء في نظرتة للاصوات والألفاظ إذ عدها مبهمة في ذاتها ولا تدل على المعاني الا بعد التركيب . ويقف في صف سوسير فريق اخر منهم (اولمان) في قوله: «قد تؤدي شدة التاثر بالباحث الصوتي على توليد الكلمات او الاصوات الى ما يكاد يكون اعتقادا غامضا في وجود مطابقة خفية بين الصوت والمعنى»^(١) . ورأى ابراهيم انيس ان القول بوجود مناسبة طبيعية بين الصوت والمعنى لا يخلو من العنت والمشقة والتعسف^(٢) . وذكر الدكتور حسام النعيمي « ان ابن جني كان من العلماء القلائل الذين يذهبون الى وجود مناسبة بين اللفظ والمعنى فقد اشار السعد التفتازاني الى مذهب بعض العلماء في وجود المناسبة الطبيعية بين اللفظ والمعنى وقال : اتفق الجمهور على ان هذا القول فاسد »^(٣) . وما قاله التفتازاني ثم النعيمي غير مقبول ، ذلك ان السيوطي (ت ٩١١ هـ) يصف ما عليه اصحابه بالقول: « واما اهل اللغة والعربية فقد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين الالفاظ والمعاني»^(٤) . فضلا عن الاشارات والالتماعات التي نجدها لدى المتقدمين ومنهم الخليل وسيبويه والفراء وابن الانباري والفارسي وصولا إلى ابن جني . ويبدو أن نظرية سوسير استحوذت على فكر بعض الباحثين العرب فأشاحوا وجوههم عن تراثهم الزاخر بمظاهر التأييد لطبيعة العلاقة بين الصوت والمعنى .

٣- موقف الشراح من العلاقة بين الصوت والمعنى

ورد في شروح النهج ما يفصح عن اهتمام الشراح بالجانب الصوتي من حيث تعريفهم الصوت وذكروهم مخارج الأصوات وحدهم بعضها منها : كالحلق والشجر والقم واللهاة وكذا ذكرهم صفات الأصوات ، وحدهم تلك الصفات من : جهر وهمس وذلاقة وطباق ، وفي مقدمة البحراني^(٥) لشرحه النهج تعريف واف بالأصوات وتقسيمها وصفاتها ومخارجها ومظاهر فصاحة اللفظة على وفقها . إذ تأثر البحراني بمن سبقه من البلاغيين^(٦) ، فجاء بترتيب لمخارج الأصوات سار فيه على ترتيبهم في أغلب المواضع وما أورده البحراني في تقديمه لشرح النهج هو اختصار لما فصله في كتابه المعروف بـ(أصول البلاغة)^(٧) . أما موقف الشراح من العلاقة بين الصوت والمعنى فقد ألمحوا في عدة مواضع بأن العلاقة بينهما طبيعية لا سيما في الألفاظ التي تحاكي أصوات الطبيعة . ولم يصرح الشراح بقصدية تلك العلاقة ولكنه أمر مفهوم من أقوالهم التي تكشف عن عنايتهم بالدلالة الصوتية التي تلمسوها من تعاقب الحركات على فاء الكلمة وعينها أو حذفها أو مدّها ، ومن تعاقب الحروف في فاء الكلمة وعينها ولامها ، أو تكرار الحروف أو تضعيفها . ومن الظواهر التطريزية كالنبر والتغيم والفصل والوصل . وعلاقة الصوت بالمعنى

(١) دور الكلمة ٨١ . (٢) ينظر : الأصوات اللغوية ٦٧ ودلالة الألفاظ ٧٢ .

(٣) الدراسات اللهجية ٢٧٨ . (٤) المزهر ٤٧/١ .

(٥) ينظر : البحراني ٤١/١-٤٤ .

(٦) ينظر: سر الفصاحة ٢٩ ونهاية الإيجاز ١٨٨ والمثل السائر ١٨٠/١ ومفتاح العلوم ١٢ .

(٧) ينظر : أصول البلاغة ٣٧ والمدارس الصوتية ١٩٦ .

التي ستظهر من خلال أقوال الشّراح مسألة صعبة ؛ لأن العلاقة بين الصوت والمعنى ليست مباشرة بل تتوقف على ذوق الشارح وحسّه ، وقد يتذوق شارح ما إحياء بالمعنى من لفظ معين ولا يرى شارح آخر أي ظلال بالمعنى في اللفظ نفسه .

وفضلا عما سبق ذكره في الفكر الدلالي للشارح من تفرد البحراني بدرس العلاقة بين الدوال والمداليل ، يبدو من قوله في هذه المسألة أنه يميل إلى اعتبارية العلاقة بينهما وعدم عقليتها إذ يقول: « ليس الغرض الأول من وضع الألفاظ المفردة إفادتها لمسمياتها المفردة»^(١) أي أنه لا يؤمن بوجود علاقة عقلية بين اللفظ والمعنى ولا قيمة لنطق الالفاظ ابتداء لديه . واما وقت ظهور دلالة المفردة لدى البحراني فهو وقت يتأخر عن اطلاق اللفظ لأن الألفاظ يكون « الغرض الاول منها تمكن الانسان من تفهم ما يتركب من تلك المسميات بواسطة تركيب تلك الالفاظ المفردة»^(٢) . ويشرح البحراني سبب تاخر زمن دلالة المفردة عن زمن اطلاقها الاول بقوله: « بيان ذلك يستلزم ان افادتها لها موقوفة على العلم بكونها موضوعة لها وهذا يستلزم العلم بها قبل الوضع»^(٣) . ومعنى ذلك ان الواضع لو كان يضع اللفظ خصيصا للمعنى او الفكرة كان ذلك يعني انه يدرك معنى محدد لكل لفظ فهذه هي قصدية اللفظ . وهنا قال البحراني : إن الأفكار « لو توقفت افادتها على الوضع لزم الدور»^(٤) . ومعنى ذلك انه لا يوجد زمان تم فيه الوضع ، إذ يحدد البحراني زمن ظهور الدلالة بتركب المفردة مع غيرها بعد اطلاقها على معنى محدد فيقول : « متى علمنا وضع كل واحد من تلك الالفاظ المفردة لكل واحد من تلك المعاني المفردة فاذا تولت الالفاظ المفردة بحركاتها المخصوصة على السمع ارتسمت المعاني المفردة في الذهن مستلزمة للعلم بنسبة بعضها الى بعض»^(٥) اي ان القيمة الاصلية للمفردة غير موجودة لحظة اطلاق المفردة وانما تظهر من خلال نسبة الالفاظ بعضها الى بعض في الجملة . وبهذا يكون البحراني قد شايح الجرجاني في التمسك بالعلاقة الاعتبارية بين الدال والمدلول .

ويبدو أن البحراني لم يلتزم بهذا الذي أقره نقلا عن الجرجاني إذ يلمس في محتوى شرحه للنهج أمثلة كثيرة تفصح عن اهتمامه بالعلاقة الطبيعية بين الصوت والمعنى فذكر كثيرا من أمثلة ابن جني في التفريق بين الألفاظ التي تشابهت حروفها ولم تختلف إلا في واحد نحو : (الخضم والقضم) و(القد والقط) و(النضح والنضخ) وغيرها كثير من الأمثلة التي سيأتي ذكرها^(٦) .

(١) البحراني ٥٠/١ .

(٢) نفسه ٥٠/١ .

(٣) نفسه ٥٠/١ .

(٤) نفسه ٥٠/١ .

(٥) نفسه ٥٠/١ .

(٦) ينظر: نفسه ٣١٣/١ ، ٢٨٢/٣ ، ٣٢٣/٤ .

المبحث الأول

دلالة تعاقب الصوائت في شروح نهج البلاغة .

أدرك القدماء القيمة الرمزية للحركات في ايجاد دلالات متعددة ، ففي الجانب الصرفي تسهم الحركة بتناوبها على فاء الكلمة وعينها في التمييز بين الاسماء والافعال والصفات والمصادر^(١) . وفي الجانب النحوي تتعاقب الحركات في اخر الكلم تبعاً لاختلاف معاني النحو ، فالضم علامة الفاعلية والفتح دليل المفعولية والكسر يرمز للاضافة^(٢) . فضلاً عن ذلك ارتبطت الحركات بالمعاني النفسية من صغر الحجم وكبره وقوة المعنى وضعفه اذ اختار العرب الحركة الاقوى للمعنى الاقوى ، والحركة الاضعف للمعنى الاضعف فرتبوا الحركات حسب قوتها من الضم الى الكسر الى الفتح . وهذا ما ذهب اليه المحدثون اذ عدوا الحركات رموزاً تشير الى صغر حجم الاشياء او كبرها فضلاً عن دلالتها على نوع البيئة اللغوية من بداوة او حضارة^(٣) . فالصوائت القصيرة صوتيات (فونيمات) يفرق بها بين معاني الألفاظ ذات الصوامت المتشابهة كالفرق بين : البَرِّ والبَرِّ والبَرِّ^(٤) . وقد اتخذ اهتمام شراح النهج بالدلالة الصوتية المستمدة من الصوائت عدة اتجاهات يمكن تصنيفها على المطالب الآتية :

المطلب الاول : التعاقب بين الصوائت القصيرة .

عني شراح النهج بقرن الصوائت القصيرة بالمعاني الملائمة لها من دون التصريح بصفات هذه الصوائت الثلاثة ثم ربطوا تلك الصفات بالمعنى العام للفظة ، ويلحظ في هذه المسألة ان الشّراح المتأخرين فاقوا المتقدمين بتتبع المعاني الدقيقة للفظة التي تتعاقب الصوائت القصيرة في اولها . وهنا يجب التنويه على أنّ كثيراً من الدارسين^(٥) بحثوا هذه المسألة تحت عنوان الاستبدال الفونيمي وهو مصطلح هجين صدره عربي وعجزه اعجمي محرف او معرب ببياء النسب ، وصدر المصطلح (استبدال) لا يدلّ على المراد في هذه المسألة ذلك ان الاستبدال يعني طرح شيء وأخذ غيره ، والمطلوب في هذه المسألة رسوخ الأمثلة التي تعاقبت الصوائت في أوائلها لا ترك بعضها تركاً نهائياً كما يفهم من مدلول كلمة (استبدال) .

وقد تلمس الشّراح دلالة التعاقب الصوتي بين الصوائت القصيرة في فاء الكلمة وعينها :

أولاً : التعاقب الصوتي في فاء الكلمة .

المح ابن جني الى ان ضم فاء الكلمة يدلّ على المعاني الثقيلة الشديدة الوطأة على النفس وان الكسر اقل وطأة

(١) ينظر : دلالة الالفاظ ٨٦ وفي اللهجات العربية ٨١ وعلم الدلالة (عمر) ٣٥ .

(٢) ينظر : أبحاث في أصوات العربية ٦٥

(٣) ينظر : علم اللغة العام / الأصوات ١٥٨ .

(٤) ينظر : أبحاث في أصوات العربية ٦٥

(٥) ينظر : البحث الدلالي في التبيان ٣٤ والبحث الدلالي في إرشاد العقل السليم ٢٦ .

على الأسماع - ربما لارتباطه بغير العقلاء - من الضم واما الفتح فاخف الجميع ، اذ يوحى بالسعة والخفة والشيوع. يقول ابن جنى : « الدَّلُّ في الدَّابةِ ضِدُّ الصُّعوبةِ والدَّلُّ لِلإنسانِ وهو ضد العَزِّ وكأَنَّهُمُ اختاروا للفصل بينهما الضمة لِلإنسانِ والكسرة للدَّابةِ لان ما يلحق الإنسان أكبرُ قدرا مما يلحق الدابةِ ، واختاروا الضمة لِقوتها لِلإنسانِ والكسرة لضعفها للدابةِ »^(١). وعلى هذه الشاكلة سار الشراح في ربطهم ضم اول البناء (فعل) بالدلالة على افعال العقلاء الراسخة لديهم او الثقيلة عليهم ، وألحوا إلى ان كسر اول البناء او فتحه اخف دلالة من الضم لانه ينصرف غالبا الى غير العقلاء او يدل على حالة طارئة عليهم . ومن ألفاظ هذا البناء لديهم (الجهد) الذي ورد في متن النهج في عدة مواضع مضموم الفاء ومفتوحها فأما المواضع التي ورد فيها مفتوح الفاء فكلها في سياق الذم واللعن ، منها ما في قوله (٢) في ذم المغيرة بن الاخنس الذي توعد الامام بالقتل فقال له الامام : (يَا بِنَ اللِّعِينِ الأَبْتَرِ ، والشَّجَرَةَ لاَ تِي لاَ أَصَلَ لَهَا ولاَ فَوْعَ اُخْرَجَ عَنَّا أَبْعَدَ اللهُ وَالكَ ، ثُمَّ اَبْلَغَ جَهْدَكَ فلاَ تُؤَيِّ اللهُ عَلَيْكَ إِن أُبْقِيَتْ!)^(٢) . ومنها -أيضا - ما في خطبة له (٣) تسمى القاصعة في ذم إبليس ولعنه : (.. فاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللهِ بِالإِبْلِيسِ إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ ، وَجَهْدَهُ الجَهْدَ) ^(٣). وقد ضبط الشراح الجهد في هذين الموضعين بالفتح ، وألحوا إلى أنه في الأصل يعني شقاء البهائم ثم يستعار للعقلاء من فرط حمقهم او بعدهم عن الحق^(٤).

واما المواضع التي ورد فيها الجهد بضم الجيم فكلها مواضع مقرونة بالعقلاء المدركين المدبرين ، إذ ورد فيها الجهد راسخا لاصحابه لا ينفك عنهم لانه طاقتهم وقدرتهم كقوله (٤) : (مِنْ وَاجِبِ خُوقِ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ النَّصِيحَةَ بِمُطَبِّغِ جُهْدِهِمْ ، وَالتَّعَاوُنِ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ)^(٥) . وقد تفاوتت أقوال الشراح في تفسير الجهد بالضم، فالراوندي يقول : « الجهد الطاقة ، والجهد المشقة ، يقال : جهد دابته وأجهدها اذا حمل عليها في السير فوق طاقتها »^(٦) . اي انه ربط ما ضم اوله بالعقلاء من ذوي القدرة والطاقة وهو معنى ملائم لقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ ﴾^(٧) . وقد ردد معظم الشراح^(٨) هذه الآية مع قرنها ضم بطاقة العققلين والفتح بشقاء البهائم ، او ان تكون المشقة حالة طارئة على العقلاء وليست راسخة دائمة معهم كالطاقة او القدرة التي تدوم معهم ما دامت حياتهم .

(٢) نهج البلاغة الخطبة ١٣٥ ، ص ٢٤٣ .

(١) المحتسب ١٨/٢

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٢ ، ص ٣٦١ .

(٤) ينظر: الراوندي ٤٥/٢، ٢٣٦/٢ والكيدري ٢٣٤/٢ والمعتزلي ٣٠٢/٨، ٢٣٨/١٣ والبحراني ٢٣٤/٤ والخوئي ٣٢٤/٨، ومغنية ٢٨٥/٢ و ٢٨٧/٢ والتستري ٣٥٦/١٤ وابو الفضل ٩٥/٢، ٣١٣/١، والشيرازي ٣٠٧/٢ والموسوي ٢٨٦/٣، ٣٩٩/٢، ٤٠٠/٢.

(٥) نهج البلاغة: الخطبة ٢١٦ ص: ٤٢٠.

(٦) الراوندي ٢٣٦/٢ وينظر: المقاييس ٢٢٧ والقاموس المحيط ٢٦٣.

(٧) التوبة ٧٩

(٨) ينظر: عبده ٥٢/٢ و الخوئي ٣١٢/٤، ومغنية ٤٨٧/٤ والتستري ٤١٥/١١، والموسوي ٣٥٤/١.

فتردد ذكرها لديهم. وزاد الخوئي^(١) في النقل عن الفيومي^(٢) الذي عزا تعاقب الضم والفتح في (جهد) الى اللغات، فالضم لغة الحجاز والفتح لغة غيرهم ومن هنا قرئ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾: (جهدهم) بالفتح^(٣). ومن هنا - ايضا - ضبط البحراني اللفظة بفتح الجيم، وضبطها المعتزلي بضم الجيم في قوله (ج): (وتالله لو انما انتقوا لوبكم انميائنا، وسالت عيونكم من رغبة إليه أورهبة منه دط، ثم عمرتم في الدنيا، ما الدنيا باقية ما جزت أعمالكم عنكم. ولو لم تقوا شيئا من جهدكم)^(٤). إذ يبدو أن المعتزلي فهم أن الامام (ج) أمرهم ببذل ما وسعت الطاقة وما استطاعت القدرة، وهذا هو معنى (الجهد) بالضم، على حين فهم البحراني أن المراد هو الدوام على الفعل حتى التعب والمشقة وهذا هو معنى الجهد بالفتح^(٥).

ومثل هذا لفظة (الروع) في قوله (ج): (فوالله ما كان يُلقى في روعي ولا يخطر بالبال أن العربت زعج هذا الأمر من بعده (صلى الله عليه وآله) عن أهل بيته)^(٦). إن تفاوتت أقوال الشراح في تفسير الروع بالضم، فهو الخلد عند المعتزلي^(٧). وهو القلب عند أكثرهم^(٨)، وعند بعضهم هو العقل او الذهن^(٩). واما الروع بالفتح فرواية ذكرها فريق من الشراح وفسروا الروع بالفزع^(١٠). وعلق التستري بهذا قائلا: ((ولا ربط له هنا))^(١١).

وقرن الروع بالفزع والخوف^(١٢) يلائم احياء الفتحة في اول اللفظ التي تفيد الدلالة على الحركة وعدم الاستقرار فضلا عن السعة والوضوح والانتشار، اذ تدل في الغالب على معنى طارئ كما ذكر انفا. واما رواية الضم (الروع) فعلى الرغم من تعدد اقوال الشراح فيها يفهم منها انهم يقرون الروع بالقلب او العقل وهم يريدون مركز الاحساس لدى الانسان. وكل الالفاظ التي ذكرها الشراح في تفسير الروع تعد من معطيات العقلاء المدركين، ومما يرجح رواية الضم على رواية الفتح ان المعنى يستدعي الضم لأن الامام (ج) يتكلم عن حسه وادراكه وشعوره وهو امر ثابت لا طارئ، فضلا عن ان اللفظة (روعي) اقتترنت في السياق بلفظة (بالي) وهي لفظة يقرب معناها من القلب والعقل والذهن، ويبتعد كثيرا عن الفزع والخوف. ومما يرجح دلالة الروع بالضم على مركز الحس لدى الانسان ان نظير (الروع) في باب تعاقب المتماتلات هو (الروح) الذي يدل على مركز الحياة في

(٢) ينظر المصباح المنير ٨٤.

(١) ينظر الخوئي ٣٢٤/٨

(٤) نهج البلاغة: خ ٥٢، ص ٩٣.

(٣) ينظر: الكشاف ٢٠٤/٢ والبحر المحيط ٤٦٨/٥.

(٥) ينظر : المعتزلي ٣٠٢/٨ والبحراني ٢٣٤/٤ .

(٦) نهج البلاغة : الرسالة ٦٢ ، ص ٥٧٧ .

(٧) ينظر : المعتزلي ١٥٢/١٧

(٨) ينظر : الراوندي ١٢٣/٣ والكيدري ٥٦٢/٢ والبحراني ٢٠٢/٥ والخوئي ٣٥٧/٢ والتستري ٣٧٤/٤

وابو الفضل ٢٧٧/٢ والشيرازي ٢١٦/٤ والموسوي ١٣٣/٥ .

(٩) ينظر : انصاريان ٢٨٨/٣ ، ومغنية ١٤٩/٤ .

(١٠) ينظر : المعتزلي ١٥٢/١٧ والتستري ٣٧٤/٤ وعبد ١٣٢/٣ وابو الفضل ٣٧٧/٢ والموسوي ١٣٣/٥ .

(١٢) ينظر : المقاييس ٤٣٠ والقاموس المحيط ٦٦٧ .

(١١) التستري ٣٧٤/٤ .

الجسد والفرق بين الروح والروح ليس كثيرا اما فتح فاء الرُّوع فقد صرف المعنى إلى صفة عارضة طارئة ، وكذا (الروح) بفتح الراء معناه الراحة^(١) ، وهو صفة عارضة أيضا . وقد خص الشارح محمد عبده الرُّوع بالدلالة على موضع الفزع من القلب بقوله: ((الرُّوع بضم الراء القلب ، او موضع الرُّوع منه))^(٢) ، وهو تفسير يتلاءم مع مراد الامام (ع) في الاخبار عن ذهول باله بعد انتقال الخلافة من بني هاشم الى غيرهم . فإذا كان الرُّوع يعني الفزع ، فالرُّوع يعني موضع الفزع وهو القلب ، ولهذا اختار الامام (ع) هذه اللفظة دون غيرها من مرادفاتها الاخر كالقلب والبال والخلد لانها استعملت للقلب ((فيما ألقى فيه من الفزع))^(٣) . ولعلَّ الضمَّ مناسب أن يكون الرُّوع دالا على العضو لا الفعل الذي تشير إليه فتحة الرُّوع بما فيها من سعة .

ومن أقوالهم^(٤) التي تبرز دلالة الصوائت القصيرة تفسيرهم (الجنة) بدار الثواب او الحديقة ، و(الجنة) بمجتمع الجن ، و(الجنة) بالدرع او الوقاية او ما يستتر به . وهنا تومئ كل حركة الى المعنى الملائم ، فالضمة التي يصحبها ضيق الشفتين تناسب الدرع القوي الذي يقي من يستتر به وهو من لوازم العقلاء المدركين ، والكسر الذي ينسدل معه الحنك الى الاسفل يناسب طائفة من الخلق انمازوا بالتستر والاختفاء فكأنهم من هذا الجانب ذهبت عقولهم لذهابهم من الحواس ، حتى ان الانسان الذي يذهب عقله يسمى بلفظهم فيقال له : مجنون ، وهذه اشارة الى ان الجن مرتبة دون العاقلين المتدبرين ، واما الفتح فيومئ الى السعة والانتشار وعدم الضيق المفهوم في الضم .

ولما فسر الشراح^(٥) الكفّة في قوله (ع) من وصية لجيش بعثه الى العدو: (وَإِذَا غَشِيَكُمْ اللَّيْلُ فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كُفَّةً)^(١) ، نبهوا على أنها رويت بالضم والكسر ، وفسروا الكفّة بالمستديرة ، أي اجعلوا رماحكم كالدائرة حولكم ، وكلّ ما استدار فهو (كفّة) بالكسر ككفّة الميزان وكفّة الصائد وكفّة اللثة ، وفسروا الضم بالاستطالة مع الاستدارة ككفّة الثوب وكفّة الرمل ، وكأنهم قرنوا الضم بالمعنى الأقوى لان ما استطال في استدارة أقوى مما استدار وهو ضيق ، ورجح الشراح رواية الكسر لأن المراد هو أن يَنخِذُوا الرِّمَاحَ حصنا ودرعا حولهم إذا غشيم الليل ، والمراد أخذ الحيطة والحذر لأنهم لا يعلمون من أي جهة قد يأتيهم العدو ، أما إذا وقفوا للقتال فإن اللائق بمقام

(١) ينظر : الصحاح ٤٣٥ .

(٢) عبده ٢٣١/٣ .

(٣) المفردات ٣٧٢ .

(٤) ينظر: المعتزلي ٧٧/٢ والبحراني ٣١/٢ وعبدہ ١٥٧/٢ والخوئي ٣٩٥/٣ ومغنية ٤٨٩/١ وابو الفضل ٧٥/١ وانصاريان ١٢٩/١ والشيرازي ١٤٩/١ والموسوي ٣١٤/١ .

(٥) ينظر: الراوندي ٣٢/٣ والكيدري ٣٩٩/٢ والمعتزلي ٩٥/١٥ والبحراني ٣٧٨/٤ والسرخسي ٢٣٢/١ وعبدہ ١٣/٢ والخوئي ٧٥/١٨ ومغنية ٤٠٩/٣ والتستري ٥٠٥/١٣ وابو الفضل ١٤٤/٢ والشيرازي ٤٤٩/٣ والموسوي ١٦٣/٤ .
(٦) نهج البلاغة : الرسالة ١١ ، ص ٤٧٠ .

الجيش المتاهب ان يجعل الرماح (كفة) بالضم اي استطالة في دائرة ، لتكون درعا لهم ازاء العدو الظاهر امامهم .
ولما وقف الشراح^(١) على قوله (ي) في وصف المؤمن : (الْمُؤْمِنُ بِشُورِهِ فِي وَجْهِهِ ... مَغْمُورٌ بِفِكْرَتِهِ ، ضَنْيْنٌ بِخُلَّتِهِ ، سَهْلُ الْخَيْقَةِ لَيِّنُ الْعَرَبِيَّةِ ! نَفْسُهُ أُصْلَبُ مِنَ الصُّلْدِ ، وَهُوَ أَدْلُ مِنَ الْعَبْدِ)^(٢) ، ذكروا ان الخلة رويت بالضم والفتح ، ومعنى الضم الصداقة التي تخللت القلب فصارت خلاله اي في باطنه ، واما الفتح فيعني الحاجة والفاقة ، ولذا فسروا (ضنين بخلته) بوجهين يفيدان الدلالة على القوة والاستحكام ، الاول : انه لا يتخذ خليلا لنفسه الا من وثق بديانته وامانته وعفته ، والآخر : انه حريص على صداقته فلا يضيع حقها اي ان المودة قد استحكمت لديه فلا يهمل صديقه ، وهذان المعنيان يناسبان ثقل الضمة ، اما الفتح فيعني المرة او الحاجة الواحدة وهو معنى يلائم خفة الفتح . فلما كان الاختلال عارضا للنفس أما لشهوتها لشيء او لحاجتها اليه ، فسرت الخلة بالحاجة ودلت الخلة بالضم على المودة ، لانها تتخلل النفس ، اي تتوسطها ، او لانها تخل النفس فتؤثر فيها او لفرط الحاجة اليها ومنه سمي ابراهيم (ي) خليل الله لافتقاره الى الله سبحانه^(٣) . فما تخلل النفس من حاجة لشيء فهو خلة بالفتح ، وما تخلل من محبة فهو خلة بالضم ، وقد بين بعض الشراح هاتين الدالتين ، ووجهها كلام الإمام (ي) على وفقهما فإذا كانت الخلة فيه بضم الخاء فيحتمل وجهين : ((الاول : انه ضنين بخلته لترصده مواضع الخلة ... الثاني ان يكون المراد انه اذا خال احدا اي صادقه ضن ان يضيع خلته او يهمل خليله فالمراد استحكام مودته))^(٤) . واما معنى الكلام بفتح الخاء فله وجه واحد في وصف المؤمن وهو انه « اذا عرضت له حاجة ضن بها ان يسأل احدا فيها ويظهرها »^(٥) اي لا يظهر فقره للناس^(٦) . ولما كانت الحاجة مرتبطة بالأمور المادية وهي مما يمكن تحقيقه وان صعب جاءت الخلة بفتح الخاء ، واما الصداقة فتختص بأمر معنوي يكلف النفس مشقة ومكابدة لرغبتها في عدم الاستغناء عن الصديق او الحرص المفرط على المحافظة على صدق العلاقة بين الصديقين ، ولذا جاءت الخلة بالضم محاكية بتقلها هذه الصعوبة .
ولم يشر الشراح الى دلالة الكسر في هذه اللفظة لعدم انسجامها مع مراد الامام (ي) وهي ما يخرج من بين الاسنان عند التخلل^(٧) .

(١) ينظر: الراوندي ٤٠١/٣ والكيدري ٦٩٠/٢ والبحراني ٤٠٧/٥ والسرخسي ٣٠٩/١ وعبدہ ٢٢٤/٢ ومغنية ٤١٤/٤

والتستري ٣٩٨/١٢ والشيرازي ٤٠١/٤ وابو الفضل ٣٨٣/٢ والموسوي ٥٠٠/٥ .

- (٢) نهج البلاغة: الحكمة ٣٣٣ ، ص : ٦٦٨ .
(٣) ينظر : المفردات ١٩٠ .
(٤) انصاريان ٤٧٠/٣ وينظر: البحراني ٣٧٩/٥
(٥) أنصاريان ٤٧٠/٣
(٦) ينظر: مغنية ٤٠٤/٦
(٧) ينظر: المثلث ٥٠١/١ - ٥٠٢ .

والتزم الخوئي بهذه الدلالات وهو يفسر (الضلة) في قوله (ي): (وَلِكُلِّ ضَلَّةٍ لِمَّةٌ)^(١) إذ فسر (الضلة) بالحيرة والغيبة بخير وشر ، وفسر الضلة بأنها ضد الهوى وهنا تخصيص للدلالة عما كان في الضلة ، ثم تحدد الدلالة أكثر بضم الفاء لتصبح اللفظة دالة على معنى أكثر ضيقا هو الحذق في الدلالة^(٢) . وما ذكره الخوئي في الفتح والكسر أكثر فائدة مما ورد في كتب الصرف ، وهو ان الفتح في بناء (فعلنة) يعني المرة الواحدة والكسر يعني الهيئة^(٣) . وتفسير الضلة بالمرة الواحدة من الضلال ظاهر في قوله (ي) لكنه تفسير مجمل لتشعب مسالك الضلال ويفصل بتفسير الضلة بالحيرة كما فعل الخوئي الذي رجح ضبط اللفظة بالفتح . وربما يكون تفسير الخوئي للضلة بالضلال أو ضد الهدى هو الأقرب الى الفهم لأن الضلال معنى لا يدرك بالحس فلا تتصور له هيئة .

ومن ذلك لفظة الدولة مفرد (نول) في قوله (ي): (لَمْ يُوجِسْ مُوسَى خِيَةَ عَلَى نَفْسِهِ ، بَلْ أَشْفَقَ مِنْ غَلْبَةِ الْجُهَالِ وَدُولِ الضَّلَالِ)^(٤) فقد ذكر الشراح^(٥) (الدولة) بضم الدال وفتحها ونقل بعضهم عن الجوهرى^(٦) تخصيصه الدولة بالفتح في الحرب ليدل معناها على غلبة طائفة على أخرى ، وبالضم في المال بأن تكون مرة لهذا ومرة لهذا . وفي قوله تعالى : «كِي لَا يَكُونُ نُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ»^(٧) نقل المفسرون أن « النولة والدولة بالفتح والضم وقد قرئ بهما»^(٨) ونسب إلى علماء العربية اختلافهم في مدلول القراءتين فأبو عمرو ابن العلاء يرى ان الفتح في (الدولة) يأتي في الحرب ، والضم فيها يأتي في المال ، وأسند إلى عيسى بن عمر اتفاق المعنى في حالتي الفتح والضم فاللفظة لديه تدل على المال والحرب على حد سواء ، وعُزي إلى يونس أنه لم يعرف الفرق بين الفتح والضم^(٩) . وقال الزمخشري : « النولة ما يتداول كالعُرْفَة اسم لما يُتَعَرَفُ ، يعني كِي لا يكون الفيء شيئا يتداوله الأغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء . والنولة بالفتح بمعنى التداول أي كِي لا يكون ذا تداول بينهم أو كيلا يكون إمساكه تداولاً بينهم لا يخرجونه إلى الفقراء»^(١٠) .

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٤٨ ، ص ٢٥٩ .

(٢) ينظر: الخوئي ١٠٥/٩ .

(٣) ينظر : الكتاب ٤٤/٤ - ٤٥ والمقتضب ٣٧٢/٣ وشرح الكافية ١٨٠/١ - ١٨١ والتطبيق الصرفي ٧٣ - ٧٤ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ٤ ، ص ٣٥ .

(٥) ينظر : الشيرازي ٨٠/١ والخوئي ١٣٠/٣ والراوندي ١٤١/١ والموسوي ١٢٣/١ .

(٦) ينظر : الصحاح ٣٢٦.

(٧) الحشر ٧

(٨) الكشاف ٨٢/٤ وينظر : البحر المحيط ٤٢٩/٥

(٩) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٩/١٨ ومجمع البيان ٤٢٩/٩

(١٠) الكشاف ٨٢/٤

ثانيا : التعاقب الصوتي في عين الكلمة .

لم يكتف الشراح بتلمس الدلالة الصوتية من الحركات المتعاقبة على فاء الكلمة بل جاوزوا ذلك ليفرقوا بين الألفاظ التي تعاقبت الصوائت القصيرة على عينها لا سيما الأفعال ، من ذلك أنهم لما وقفوا على قوله (م) في التوحيد : بُدِّ لَمِ السَّرَائِرِ وَخَبَرَ الضَّمَائِرِ ، له الإحاطة بِكُلِّ شَيْءٍ^(١) ميزوا بين ضم عين (خبر) وفتحها وكسرها ، اذ قال الراوندي : « خَبِرَ الضَّمَائِرِ بفتح الباء بفتح الباء اي امتحن ، وروي خبرٍ بالكسر اي عِلِمِ^(٢) ووافقه المعتزلي فقال : « خَبِرَ الضَّمَائِرِ بفتح الباء امتحنها وابلها ومن رواه بكسر الباء اراد عِلِمِ^(٣) وعلى هذا الخوئي^(٤) الذي زاد رواية ثالثة هي (خُبر) ك(كُرم) ، فكأن الخبرة صارت له سجية وطبعاً . واكتفى فريق من الشراح^(٥) بذكر رواية الفتح وحدها وهي التي فسرت بالامتحان والابتلاء على حين اكتفى الشيرازي^(٦) برواية الكسر وحدها وفسرها باطّاع وعلم وهو تفسير مردود لان السياق سبق الى ذكر (علم السرائر) ولو أراد العلم لكرر الفعل نفسه مع الضمائر ، لان العلم أعلى مرتبة من المعرفة والخبرة ، ذلك ان العلم يشمل المعنوي والمادي واما المعرفة فتشمل المعنويات غالباً ، والخبرة تكثر في المحسوسات^(٧) ، ولكن مقصد الامام ان الله كاشف السرائر مطّاع عليها ، عالم بها ، وانه يمتحن الناس ويخبرهم ويمحصهم ليميز الخبيث من الطيب لا من عدم معرفته بذلك ولكن لإثبات الحجة على الخلق . ومن هنا يكون الملائم للسياق (خبر) بالفتح وهو الامتحان والابتلاء لان غاية الابتلاء هو الوضوح والبيان والجلء ، اي جلاء الخبيث من الطيب ، ووضوح الحق من الباطل . والمخبر بمعنى عِلِمِ فان العلم بالشيء يستدعي النفاذ الى جوهره واستكناه باطنه وظاهره ، فلاءمت الكسرة هذه المعاني لتقلها مقارنة بالفتحة ، واما (خبر) بالضم فهو ان تكون الخبرة سجية لصاحبها ملازمة له لا تتفك عنه وحينئذ يسمى صاحب الخبرة بالخبير في ذلك الشيء وهنا لاءمت الضمة هذه الدلالة لأنها الأثقل . والباري - عز وجل - خبير بكل شيء ولذا لا معنى لضم عين الفعل في هذا المقام لان (خبر) واقع على الضمائر هنا فقط لا على جميع الموجودات. تعالى اللطيف الخبير عما يقول الجاهلون علواً كبيراً . اي ان الانسب هو رواية الفتح التي تعني الابتلاء والامتحان ، لان كسر عين الفعل وضمه يفضي إلى ان العلم الالهي محدد بمعنى ضيق هو السرائر والضمائر وهذا غير موجه .

(١) نهج البلاغة الخطبة ٨٦ ، ص ١٣٨ .

(٢) الراوندي ٣٥٧/١ وينظر: الكيدري ٤١٣/١ والموسوي ١٠/٢ .

(٣) المعتزلي ٣٥٠/٦ .

(٤) ينظر: الخوئي ١٢٥/٦ .

(٥) ينظر: التستري ٤١٧/١ وابو الفضل ١٦٩/١ .

(٦) ينظر: الشيرازي ٥/٢ .

(٧) ينظر : مختصر العين ٣٦٤/١ والمقاييس ٣٣٩ - ٣٤٠ والقاموس المحيط ٣٥٧ .

ومن أمثلة تعاقب الحركات على عين الفعل أَنَّ الشَّرَاحَ لما وقفوا على قوله في صفة من يتصدى للحكم بين الامة وليس لذلك بأهل : (لَا يَحْسَبُ الْعِلْمُ فِي شَيْءٍ مِّمَّا أَنْكَرَهُ)^(١) وقد ألمح الشَّرَاحُ الى ان عين الفعل (يحسب) مثلثة أما فتحها وكسرها فكلاهما بمعنى الظن ، والمعنى ان هذا يظن ان العلم شيء منكر . وأما الضم فمعناه العد والحساب ، والمعنى العام ان هذا يرى ان العلم شيء معدود ، فيعده مع المنكرات . وقد ذكر معظم الشَّرَاحِ هذين المعنيين تبعا للغويين^(٢) ، لكنهم اختلفوا في ترجيح احدهما على الاخر وصحح كل منهم ضبط اللفظة في المتن على وفق ما رجحه من معنى لها ، فاما (يحسب) بمعنى ظن فقد رجحه الراوندي والكيدري^(٣) واما (يحسب) بمعنى عد واحصى فقد رجحه البحراني^(٤) واورد الآخرون الوجهين دون ترجيح^(٥) .

ويفهم من هذا ان الشَّرَاحِ مجمعون على تفسير فتح السين وكسرها بالظن والحسبان وتفسير الضم بالعدد والحساب ، ولما كان الظن امرا خفيا ناسبت الفتحة والكسرة الدلالة عليه في حين ان الحساب ظاهر مدرك يقع على الجمادات كالنقود ويقع على الناس في المحاكم الدنيوية ، كمحاسبة المخطئين وقد يبلغ اعلى مراتب الثقل والهول في يوم الحساب ، وهذه معان ثقيلة تلائم الضمة الدلالة عليها ، لكن الشَّرَاحِ لم يفسلوا القول في تعدد اوجه هذا الفعل في ابواب الفعل الثلاثي ، وتفصيل ذلك ان الفعل الماضي منه يروى بالفتح والكسر والضم ويروى المضارع بالثلاث ايضا ، فاما مكسور العين في الماضي فيأتي مضارعه مفتوح العين ومكسورها ، وقد فسر الشَّرَاحِ تبعا لاهل اللغة (حسب يحسب) و(حسب يحسب) بالظن ، وهو كذلك في باب الافعال التي تنصب مفعولين في النحو العربي^(٦) ، لكن احياء الفتحة في المضارع يومي بالظن الخفيف ، وكسرها يومي بالظن القوي القريب من اليقين ، ولذا جاء في القرآن بفتح العين غالبا . واما ما فتحت عينه في الماضي فان مضارعه يحتمل الضم لاغيره ، وهو العد ، وهو خاص بالمال وحده ، واذا اريد القائم بالمحاسبة والرقيب على الحساب فكان هذا المعنى صار سجية وطبعا لصاحبه ، وهو المعنى الذي يفهم من ضم السين في الماضي والمضارع .

ومنه ايضا ان الشَّرَاحِ لما وقفوا على قوله (ع) من كتاب له الى أهل الكوفة يخبرهم عن مقتل عثمان (رض) : (إنَّ النَّاسَ طَعَّنُوا عَلَيْهِ فَكُنْتُ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ...)^(٧) أشاروا الى أَنَّ الطعن قد يقع باللسان والسنان ، فأما طعن اللسان فمضارعه بالضم يقال : طَعَنَ يَطْعُنُ ، واما طعن الرمح فمضارعه بالفتح يقال : طَعَنَ يَطْعُنُ^(٨) وكلام الامام

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٧ ، ص ٤٧ .

(٢) ينظر: العين ١٥٠/٣ والزاهر ٨٢/٢ والتهذيب ٣٣٣/٤ والمقاييس ٢٦٣ والمحكم ١٥١/٣ .

(٣) ينظر: الراوندي ١٧٨/١ والكيدري ٢٠٨/١ .

(٤) ينظر: البحراني ١١٤/١

(٥) ينظر: المعتزلي ٢٨٤/١ والخوئي ١٠٨/١ وعبد ٥٧/١ وأنصاريان ٩٨/١ والشيرازي ١٠٨/١ .

(٦) ينظر: شرح عمدة الحافظ ٢٤٤ .

(٧) نهج البلاغة: الكتاب ١، ص ٤٥٩ .

(٨) ينظر: الراوندي ١٢/٣ والبحراني ٣٣٩/٤ والخوئي ١٩٦/١٦ والشيرازي ٤٢٥/٣ والموسوي ١٢٠/٤ .

يحتمل طعن اللسان ، لانه يفسر نفمتهم على الخليفة وهو حي لم يصب برمح بعد ، وأما قرن الشّراح الفتحة بالدلالة على الطعن بالرمح ، والضمة بالدلالة على طعن اللسان لأن من حكمة العرب في حياتهم أن وقع اللسان أشد من ضرب السيف ، ذلك أن من عيب عليه فعله ونقم الناس عمله كان كالميت ، لانه لا قدر له بينهم ، اما طعن الرمح فانه من لوازم النصر والشهادة واليه تشرّب اعناق المؤمنين ، لانه طريقهم الى الجنة ، فكأن وقع الرمح على الجسد خفيفا من هذا الجانب لان المطعون دفاعا عن العرض والدين يهون عليه ذلك ويلقاه بقلب ثابت فضلا عن ان الضمة غلبت دلالتها على المعاني النفسية المعنوية كطعن اللسان ، واما الفتح فغلب في المعاني الظاهرة المحسوسة والاصل في الطعن ان يكون محسوسا ، أي بالرمح ، ثم استعير للمعنويات كالوقية^(١) ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ ﴾^(٢) و ﴿ وَطَعُوا فِي بَيْتِكُمْ ﴾^(٣) .

وفي هذه المسألة يخلص البحث الى ان اعادة درس أفاظ المثلث اللغوي المختلف المعاني صوتيا أمر لا يخلو من الجدة والريادة ، ذلك ان التفريق بين رموز الصوائت القصيرة ليس مبالغة ولا غلوا كما زعم بعضهم^(٤) ، بل ان اضعاف شيء من الدلالة على كل حركة ما هو الا دليل على فضل العربية التي انمازت من غيرها بان تنبثق من الفاظها معان متعددة بتغييرات صوتية يسيرة في تلك الالفاظ ، واما ما اقره القدماء في باب (المثلث المتفق المعاني) فأمر ينبغي الوقوف عليه مجددا بالتأمل والبحث العميق والاستقراء الشامل ، فربما اختلفت المعاني باختلاف الحركات في جملة من تلك الامثلة التي حشروها في هذا الباب . واما حملهم تلك الامثلة على اللغات واللهجات فأمر مقبول ولا نعدم امثلته في لغتنا المعاصرة التي تعد الصوائت القصيرة فيها علائم وامارات على اللهجات المتعددة في البلد الواحد احيانا كما في العراق اذ يميل اهل الجنوب نحو الكسر على حين يميل البغداديون الى الضم ويكفي أن تستمع إلى كلمة واحدة يقولها عراقي لتعرف بيئته من طريقة نطقه الصوائت القصيرة فيها .

(٢) النساء ٤٦

(٣) التوبة ١٢ وينظر: المقاييس ٦١٩ والقاموس المحيط ١١١٨ .

(٤) ينظر: علم اللغة العام / الأصوات ١٤٩ - ١٥٠ والدراسات اللهجية ٢٨٧ .

المطلب الثاني : ذكر الصائت وحذفه .

ثمة مظهر اخر من مظاهر اختلاف المعنى بين الالفاظ بسبب ذكر الصائت او حذفه في الموضع الواحد من الكلمة نفسها وهو مظهر مقصور على عين الكلمة ، فقد تأتي كلمة ما محرّكة العين بإحدى الحركات الثلاث ، وتأتي أخرى ساكنة العين فيختلف المعنى قليلا بين ذكر الصائت القصير وحذفه. وقد عد الدكتور فاضل السامرائي حذف الصائت وذكره في اللفظة نفسها وسيلة من وسائل توليد معاني المفردات إذ « تولد الحركات والسكون في بنية الكلمة معنى جديدا في الاغلب ، فقد يكون للكلمة الواحدة أكثر من معنى بحسب اختلاف الحركات في بنيتها وذلك نحو ... الحَوْر بسكون الواو وهو الرجوع والحَوْر بفتحها من صفات العين وغير ذلك»^(١) ، وقد نبه الشّراح الى اختلاف الدلالة بين ما حركت عينه وما سكنت بعد ان وجدوا في متن النهج تعدد روايات الكلمة الواحدة بين تحريك عينها واسكانها من ذلك :

١ - الوهم - الوهم

وقف الشّراح على قوله (م) في احاديث البدع : (إِنْ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقًّا وَبَاطِلًا ، وَصِدْقًا وَكُذْبًا ، وَنَاسِحًا وَمُنْسُوخًا ، وَعَامًّا وَخَاصًّا ، وَمُحْكَمًا وَمُنْتَلَبِيًّا ، وَحِفْظًا وَوَهْمًا...)^(٢) . فذكروا أنّ (الوهم) روي بفتح العين واسكانها ، وفسر أكثرهم نقلا عن اللغويين^(٣) الوهم بأنه مصدر وهم بالفتح إذا ذهب وهمه إلى شيء وهو يريد غيره^(٤) ، وضبط الشيرازي^(٥) اللفظة في هذا الموضع بسكون العين ومعناه : ما لم يُتعمد كُذِبُهُ وَلَكِنْ تُوهِمُ خِلَافُ ما قاله الرسول (صلى الله عليه وآله) . ورأى الخوئي أنّ الوهم من خطرات القلب ، وهو الامر المرجوح بين الامرين المتردد فيهما^(٦) . والوهم عند الراوندي والكيدري^(٧) هو ان تظن ظنا مظنوناه على خلاف ما ظننته ، وهو في المنطق مقابل الظن عند الموسوي^(٨) . وأمّا الوهم بالفتح فمصدر وهم بالكسر اذا غلط واخطأ^(٩) وهو عند الخوئي يقع في الحساب لانه اساس الغلط^(١٠) . والمخ بعض الشّراح الى ان الوهم والوهم معناهما متقارب^(١١) . وهذا التقارب الذي ألمح اليه الشّراح لم يقصدوا فيه ان المعنى متشابه تماما بين اللفظين ولكن بينهما ادنى فارق دلالي افاده ذكر الفتحة في موضع وحذفها في موضع اخر ، ذلك ان ساكن العين خطأ غير متعمد ، وهو أمر مرجوح ازاء امر آخر راجح

(١) توليد المعاني في العربية ص ٤١ . (٢) نهج البلاغة : الخطبة ٢١٠ ، ص ٤٠٩ .

(٣) ينظر : المقاييس ١١٠٧ والقاموس المحيط ١٠٧٦ .

(٤) ينظر : انصاريان ٤٠٥/٢ والبحراني ٢١/٤ والمعتزلي ٤٠/١١ وعبيده ٤٥٠/١ ومغنية ١٩٣/٢ .

(٥) ينظر: الشيرازي ٣/٣٠٧ .

(٧) ينظر: الراوندي ٢/٣٣٥ والكيدري ٢/١٩٣ .

(٩) ينظر: البحراني ٤/٢١١ والمعتزلي ١١/٤٠ وانصاريان ٢/٤٠٥ والموسوي ٣/٤٦٤ .

(١٠) ينظر: الخوئي ١٤/٢٦ .

(١١) ينظر: المعتزلي ١١/٤٠ وانصاريان ٢/٤٠٥ .

وهو بمنزلة الظن والشك ولا يرقى الى الغلط الظاهر والخطا البين ، وهو المعنى المستحصل من ظهور الحركة في الوهم لان الفتحة اثقل من السكون فناسب ذكر الصائت او حذفه معنى اللفظ الذي اضطم عليه .

٢ - الأَفَن - الأَفَن

من امثلة ذكر الصائت وحذفه الدالة على اختلاف المعنى بين اللفظتين أنه (هـ) قال يوصي الحسن (هـ) : (وَأَيَّاكَ وَمُشَاوِرَةَ النَّسَاءِ فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفَنٍ وَعَزْمَهُنَّ إِلَى وَهْنٍ) ^(١) . وقد روى الشراح (افن) بفتح الفاء وسكونها ، فاما الفتح فيكاد يجمع الشراح على انه الضعف ، اي ان رأيهن الى ضعف . وكذا اجمعوا على تفسير (الأفَن) بانه النقص اي نقص الرأي ^(٢) .

وضعف الرأي اهون من نقصانه لان النقصان يعني خسران العقل ، واما ضعف الرأي فأمر يقع للجميع رجالا ونساء الا الذين من الله عليهم بالعصمة ، وهنا ناسب ذكر الصائت القصير (الفتحة) في الأفَن الدلالة على أقوى المعنيين وأليق اللفظين بمقام النساء ، واما سكون الفاء فمناسب لمعنى النقص ، ذلك أن نقصان الحركة وحذفها يؤول الى معنى النقصان والخسارة في (الأفَن) والمعنى يرجح التحريك لكن السياق يرجح التسكين ليستوي السجع بين (الأفَن) والوَهْن) بسكون العين . ويمكن الاستدلال بمقابلة الأفَن بالوَهْن على ان اللفظين يدلان على الضعف وفتور الهمة لا المنقصة والخسارة ، فضعف العزيمة هو الوَهْن وضعف الرأي هو الأفَن ^(٣) ، ومع هذا التقابل الدلالي لا ينظر الى تحسين السجع بين اللفظين اذ يجوز الاكتفاء بصوت النون لتحقيقه ولا يعتد بحركة الفاء .

٣ - السَّبَقَةُ - السَّبَقَةُ - السَّبَقَةُ .

أورد الشراح ^(٤) قوله (هـ) في وعظ الناس وتذكيرهم بالآخرة : (ألا وإنَّ اليومَ المِضْمَارَ وَغَدًا السَّبَاقَ ، وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ وَالغَايَةُ النَّارُ) ^(٥) ونقلوا عن الرضي تفسيره السَّبَقَةُ والغاية بان كليهما يعني الانتهاء الى المكان ولكن الامام خص السبقة بالانتهاء الى الجنة لان السابق لا يكون الا الى مقام محمود ، واما النار فمكان مذموم استعمل معها الغاية لان الغاية قد ينتهي اليها من لا يسره الانتهاء اليها . ثم ذكر الشراح ان السَّبَقَةُ رويت بفتح الباء وسكونها ، وفسروا اللفظة مع فتح الباء بأنها تعني الغاية التي يجب على السابق ان يبلغها او المكان الذي ينافح المتسابق الى بلوغه والانتهاء اليه ، ومن هنا استعمل مع الجنة ، واما اللفظ بسكون العين فيعني المرّة من التسابق وقد ناسب

(١) نهج البلاغة : الرسالة ٣١ ، ص ٥١٣ .

(٢) ينظر: البيهقي ٣٧٧ والراوندي ٣/١١٥ والكيدري ٢/٤٦٩ والمعتزلي ١٦/١٢٢ والبحراني ٥/٥٩ والسرخسي ١/٢٥١ .

وعبده ٥٨/٢ والخوئي ٣٦/٢٠ ومغنية ٥٢٩/٣ والتستري ٤٥٨/٨ وابو الفضل ٢٠١/٢ والموسوي ٤٠٧/٤ والشيرازي ٨١/٤ .
(٣) ينظر: المقاييس ٨١ والقاموس المحيط ١٠٨٣ .

(٤) ينظر: البيهقي ١١٨ والكيدري ٤٢/١ والمعتزلي ٩٢/٢ والبحراني ٤٠/٢-٤١ وعبده ٧٩/١ والخوئي ٣/٤ ومغنية ١٩٥/١ والتستري ١٥٨/١ والسامرائي ١٩٩ والموسوي ٢٣٤/١ والشيرازي ١٥٨/١ . (٥) نهج البلاغة : الخطبة ٢٨ ، ص ٦٤ .

توالي الفتحات في السبقة دلالتها على المكان المحمود الذي يسعى المؤمنون الى الانتهاء اليه بعملهم الصالح الدؤوب في دنياهم ، فكأن توالي الفتحات يدل على دوام المؤمن على العبادة والاستمرار بالعمل الصالح ومجاهدة النفس كي ينال الجنة ، واما حذف الفتحة من عين الفعل فيوحي الى ان الفعل العبادي لم يداوم عليه ولم يجاهد فيه وانما يأتي مرة تلو المرة منقطعاً ، وهذا المعنى لا يرقى الى قرنه بالجنة واسناده اليها في قوله (٦) المذكور آنفاً ، ومن هنا رجح الشراح اللفظ بفتح الباء تبعاً لما رجحه الرضي . ثم روى فريق منهم^(١) تبعاً للرضي ايضاً (السبقة) بضم فسكون لأن المعنى لديهم اسم لما يجعل للسابق اذا سبق من مال او عرض اي الجائزة التي يظفر بها السابق ، وهذا المعنى على الرغم من احتمال لا يخلو من التشخيص والتحديد وضيق الدلالة المفهوم من الضمة ذلك ان تشبيه الجنة الواسعة بالجعل الذي يناله المتسابقون بعيد وهو من نوع التشبيه المقلوب والاولى منه ان تكون الجنة سبقة بالتحريك الى المكان الرفيع والمقام المحدود الذي يسعى المؤمنون الى الظفر به .

٤ - العتب - العتب

جاء في خطبة للإمام (٦) اشتملت على الاسباب المهلكة للناس قوله : (... وفي دُونِ مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ قَدْبٍ وَمَا اسْتَدْبِرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ مُعْتَبَرٍ!)^(٢) وقد ضبط الشراح العتب بسكون التاء ، وفسره اكثرهم بالعتاب ، والمعنى في دون ما استقبلتم من عتابي لكم^(٣) . وفسره الخوئي والموسوي بالموجدة اي غضب الزمان عليهم وقرناه بالعتب محرك التاء لا ساكنها^(٤) . ورووا العتب بفتح التاء ايضاً ومعناه لدى اكثرهم جمع عتبه وهو الامر الكريه الشديد^(٥) . وجوز فريق منهم ان يكون المعنى هو المشقة التي لقوها في مستقبل ايامهم من ولاة السوء وتكرر الزمان عليهم واذلالهم بالقتل والنفي^(٦) وهذا قريب من الأمر الكريه . وتسكين العين في العتب يلائم ما اثبتته معظم الشراح له من معنى وهو العتاب او اللوم وفيه شدة ومشقة على المعاتبين أهون من تلك التي ذكرها الشراح للعتب بالتحريك إذ هو الأمر الكريه من مشقة النفي والقتل وغضب الزمان وغير ذلك^(٧) . فناسب كل لفظ بحركاته وسكناته المعنى الذي دل عليه .

٥ - نُومَة - نُومَة

وقف الشراح على قوله (٦) في وصف أهل آخر الزمان والفتن التي تحيط بهم : (ذلك زمان لا ينجو فيه الا كلُّ

(١) ينظر : المعتزلي ٩٢/٢ والبحراني ٤٠/٢-٤١ والخوئي ٣/٤ . (٢) نهج البلاغة : الخطبة ٨٨ ، ص ١٤٤ .

(٣) ينظر: المعتزلي ٣٨٥/٦ والبحراني ٣٠٦/٢ وعبده ١٦٩/١ ومغنية ٤٤٤/١ والتستري ٥٣٩/٢ والسامرائي ٢٠٢

وانصاريان ٢٤٤/١ والشيرازي ٢٥/٢ الفضل ١٧٨ /١

(٤) ينظر: الخوئي ٢٤١/٢ والموسوي ٣٨/٢

(٥) ينظر: المعتزلي ٣٨٥/٦ والبحراني ٣٦/٢ والخوئي ٢١٤/٦ وعبدہ ١٦٩/١ ومغنية ١٤٤/١ والموسوي ٣٨/٢ والسامرائي ٢٠٣

(٦) ينظر: انصاريان ٢٤٤/١ والشيرازي ٢٥/٢ وابوالفضل ١٧٨/١

(٧) ينظر: المقاييس ٧٣٦ والقاموس المحيط ١١٦ .

مُؤْمِنٍ نُومَةٍ^(١) وقد ضبط الشّراح (نومة) بضم النون وفتح الواو ثم رووا تسكين الواو ايضا ، فاما النومة بفتح الواو فهو بمعنى الكثير النوم وهو البعيد عن مشاركة الاشرار كالانسان النائم الذي لا يشارك الناس اعمالهم او الخامل الذكر الذي لا يؤبه به . واما النومة بسكون الواو فهو الضعيف^(٢) . وتفسير الشّراح للنومة بانه الكثير النوم ملائم لفتح العين ومن ثم توالي الحركات في البناء (فُعْلَة) الذي يدل على الكثرة والمبالغة بهذا الشكل كالهَمْزَة للكثير الهمْزِ والْمُزَة للكثير اللمز^(٣) ، ويبدو أنّ كثرة النوم كناية عن الخمول والبعد عن الشر السائد في ذلك الزمان لأن الانسان إذا نام يَحْمَلُ وَيَحْمَلُ عَنْهُ^(٤) . واما تسكين العين في (نومة) فإنّ نقص الصائت أفاد معنى أكثر دلالة على الخمول وعدم الذكر وهو الضعف أو الوهن وهذا المعنى انما ضعفه الشّراح لأن الضعف عيب لا يليق بالمؤمن ، والاولى منه رواية تحريك العين التي تدلّ ضمنا على النشاط الخفي عن انظار الناس . ويبدو ان المراد من النوم الكثير ليس الهجوع في الفراش وإنّما اعتزال الاشرار والبعد عن الفتن ، وهنا يكون هذا الانسان كالنائم في انظارهم وما هو كذلك .

٦ - اليبس - اليبس

وقف الشّراح على قوله (ي) في وصف بدء الخلق : (وكان من اقتدار جبروته وبديع لطائف صنعته أن جعل من ماء البحر الزاخر المواقم المتقاصف يبسا جامدا...) ^(٥) فذكر فريق منهم ان (اليبس) يروى بفتح الباء وسكونها والمعنى مختلف بين الروائيتين ، إذ نقل المعتزلي عن ائمة اللغة ولم يسمهم ان اليبس بالتحريك المكان يكون رطبا ثم ييبس ومنه قوله تعالى : ﴿ فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا ﴾^(٦) واليبس بسكون الباء هو اليباس خلقة كالحطب^(٧) ، وشايح بعض الشّراح المعتزلي في قوله هذا^(٨) وتتصل اخرون عن ذكر الفرق الدلالي بين ما حركت عينه وما سكنت^(٩) ولم يرض المعتزلي من ائمة اللغة تفسيرهم (اليبس) بالحطب لأنه ليس يابسا خلقة بل كان رطبا ثم ييبس ، ورأى المعتزلي ان هذه اللفظة لا تكون الا في المكان خاصة فتحريك العين للمكان الذي كان رطبا ثم ييبس وتسكين العين للمكان اليباس خلقة^(١٠) .

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٣ ، ص ١٨٧ .

(٢) ينظر: الراوندي ٤٤٨/١ والكيدري ٥٠٥/١ والمعتزلي ١٠/٧ والبحراني ٣ وعبدہ ٢١٤/١ والخوئي ١٨٩/٧

ومغنية ١٠١/٢ والتستري ٢٠٠/١ والموسوي ١٧٧/٢ والشيرازي ٢٠/٢ ، ١٤١ .

(٣) ينظر: التفسير البياني ١٦٩/٢ .

(٤) ينظر: المقاييس ١٠٠٥ والقاموس المحيط ١٠٧٣ .

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ٢١١ ص ٤١١ . (٦) طه ٧٧ .

(٧) ينظر : المعتزلي ٥٢/١١ (٨) ينظر : الخوئي ٦٦/١٤ والموسوي ٤٧٢/٣ .

(٩) ينظر : الشيرازي ٣١٤/٣ وعده ٤٥٢/١ والفضل ١٤/٢ ومغنية ٢٤٩/٣ .

(١٠) ينظر : المعتزلي ٥٢/١١

وانكر التستري على المعتزلي قوله : إن اليبس محركا وساكنًا مختص بالمكان ، ونقل عن العرب استعمالهم اللفظ في الدلالة على المرأة والشاة^(١) . ثم انكر عليه قوله : إن أئمة اللغة جعلوا اليبس محركا للمكان اليابس بعد رطوبة وان اليبس ساكن العين لليابس خلقة فذكر أن هذا قول الجوهري^(٢) وحده لا أئمة اللغة جميعهم ، وقد عكس الفيروزبادي^(٣) الامر فجعل المحرك لليابس خلقة ، والساكن لليابس بعد رطوبة ، وأيد التستري الفيروزبادي فقلب الامر وفسر وصف طريق موسى باليبس (محركا) قائلا : ((واما طريق موسى في اليم فانه لم يعهد قط طريقا لا رطبا ولا يابسا ، انما اظهره الله لهم حينئذ مخلوقا على ذلك))^(٤) ويختم التستري ردوده على المعتزلي بقوله : ((ان مناقشته بعدم كون الحطب يابسا خلقة في غير محله ، قال علقمة^(٥)

تُخْشِشُ أَبْدَانُ الْحَدِيدِ عَلَيْهِ كَمَا خَشَخَشَتْ يَبَسَ الْحَصَادِ جَنُوبٌ))^(٦)

فاستعمل الشاعر اليبس للزرع المحصود وقد كان رطبا ثم يبس فهذا كقولهم : اليبس للحطب . وما صححه التستري من أن اللفظ المحرك للشيء اليابس خلقة واللفظ الساكن للشيء اليابس بعد رطوبة بعيد عن الصواب ذلك انه اعتمد على قول الفيروزبادي وحده وخالف أئمة اللغة جميعا^(٧) فضلا عن ذلك إن توالي الحركات في (اليبس) يؤول إلى تحوّل الشيء من حال الى اخر وعدم استقراره على حال معينة ، واما سكون العين فيومي إلى الثبات وعدم التحول ويمكن التفريق بين اللفظين من جانب اخر ذلك ان الشيء لا ينعث باليبس الا بعد تحوله من الرطوبة او البلل سواء كان محرك العين ام ساكنا ، وربما يكون قول الراغب في التفريق بين اللفظين هو الاصوب ، قال : ((اليبس يابس النبات ، وهو ما كان فيه رطوبة فذهبت ، واليبس المكان يكون فيه ماء فيذهب))^(٨) . وهنا تدل الفتحة على سعة المكان ووفرة الماء في (اليبس) ومنه طريق موسى (م) في البحر ، واما السكون فيوحي بالانحسار كما في رطوبة النبات التي لا يشعر بها حين يابسها وجفافها . ومن هنا جوز المعتزلي أن يكون الحطب يابسا خلقة لأن اصله غير اليابس لا يؤبه بوجود الماء فيه لانه غير ظاهر .

(١) ينظر : التستري ٥١٠/١

(٢) ينظر : الصحاح ١١٦٧ .

(٣) ينظر : القاموس المحيط ٥٣٩

(٤) التستري ٥١٠/١ .

(٥) ديوانه علقمة ٧٤

(٦) التستري ٥١٠/١-٥١١

(٧) ينظر : المقاييس ١١٠٩ والصحاح ١١٦٧ والمفردات ٨٨٩ والقاموس المحيط ٥٣٩ .

المطلب الثالث : مدّ الصائت وتقصيره .

ان دراسة كمية الصوت ومدة انجازه نطقيا عبر قياس مدة نطقه زمنيا بوساطة اجهزة مخبرية يعد من الموضوعات المهمة في الدرس اللساني الحديث ، وهو أمر لم يغفله علماءنا القدماء لاسيما علماء التجويد والقراءات القرآنية ، اذ نبهوا على أمرين متعلقين بمدة نطق الصوائت هما :

١ - تطويل زمن نطق الصائت وهو المد .

٢ - تقصير زمن نطق الصائت وهو الاختلاس والتقصير^(١) .

والمدّ حكم نطقي يقاس من خلاله زمن اداء الصوائت الطويلة التي سميت لدى القدماء باصوات المد . وأما الصوائت القصيرة فهي لدى القدماء أبعاض حروف المدّ ، إذ تتبّهوا على أن الفرق بين الفتحة والالف لا يعدو ان يكون فرقا في الكمية وكذلك الفرق بين ياء المد والكسرة وواو المد والضمة^(٢) . إذ عقد ابن جنبي في خصائصه بابا سماه إنابة الحركة عن الحرف والحرف عن الحركة^(٣) ذكر فيه طائفة من الأمثلة القرآنية والشعرية التي نابت فيها الحركات عن الحروف أو الحروف عن الحركات لكنه لم يوجه ذلك دلاليا على وفق ما عُرّف عنه .

وقد عني المحدثون في دراساتهم بمعرفة طول الصوت اللغوي وهو الزمن الذي يستغرقه النطق بهذا الصوت مقدرا بجزء من الثانية ، وأوضح ما يكون طول الصوت اللغوي في الاصوات الصوائت بنوعها القصير وهي الفتحة والضمة والكسرة ، والطويل وهي الالف والواو والياء ، فالصوائت الطويلة هي مدود للصوائت القصيرة والصوائت القصيرة هي تقصير او اختلاس للصوائت الطويلة^(٤) ويمكن أخذ مسألة قصر الصوت وطوله في الحسبان لأهميتها في المعاني أحيانا لاسيما مد الصائت القصير ليؤول الى صائت طويل فيتغير البناء تبعاً لذلك المد ثم تتغير الدلالة كما في (فعل) الذي يؤول الى (فعليل) في حال مد الكسرة ، والى (فاعل) في حال مد الفتحة.

وقد صرح معظم الشراح باسم هذه الظاهرة وهو المد ، لكنهم غالبا ما قصره على الهمزة التي تقلب ألفا اذا اجتمعت همزتان في الطرف في باب (فعل وفاعل) والمعنى واحد نحو (أوى وأوى) كقول المعتزلي: «أوتهم الحال بالمد ضمتهم وانزلتهم قال تعالى : ﴿ أَوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ ﴾^(٥) أي ضمّه إليه وأنزله ، ويجوز أوتهم بغير مد افعلت في هذا وفعلت بمعنى واحد^(٦) . وهنا لم يذكر الشراح فرقا دلاليا بين التقصير والمد على حين صرح فريق من

(١) ينظر : في اللهجات العربية ٩٧ والدراسات اللهجية ٢٠٧ وفي الاصوات اللغوية دراسة في اصوات المد العربية ٢١٥ ودروس في علم اصوات العربية ١٤٧ والمدارس الصوتية ١٣٧-١٣٨ .

(٢) ينظر : الكتاب ٢٥٢/٢ وسر الصناعة ٢٠/١ والمنصف ٢١٣/١ . (٣) ينظر : الخصائص ١٣٧/٣-١٣٨ .

(٤) ينظر : الاصوات اللغوية ١٥٥ واصوات العربية بين التحول والثبات ١٩ والمنهج الصوتي للبنية العربية ١٨ .

(٥) المعتزلي ١٧٩/١٣ وينظر : التستري ٢٩٨/١١ .

(٦) يوسف ٦٩

الشّواح ان المد هو تطويل الصوت لغاية دلالية . من ذلك انهم لما وقفوا على قوله (ي) يشكو فقد اصحابه : (أوه على إخواني الذين ثبوا القرآن فأحكّموه)^(١) . ذكروا ان (أوه) كلمة شكوى وتوجع^(٢) وفيها لغات كثيرة منها أوه من كذا بالمدّ والتشديد لتطويل الصوت بالشكاية . اي انهم عدوا تطويل الصائت القصير بمنزلة تشديد الحرف ، وعند اجتماع المد والتشديد يطول الصوت بهذه الكلمة كثيرا^(٣) .

وفي عدة مواضع تلمس الشّواح الدلالة الصوتية المستوحاة من المدود من ذلك قوله (ي) في خطبة له في الاستسقاء : (نَدْعُوكَ حِينَ قَطَطِ الْأَنْامِ وَغِيْرَ الْغَمَامِ وَهَلْكَ السَّوَامُ أَلَا تَوَاخِذْنَا بِأَعْلَانَا وَلَا تَأْخِذْنَا بِذُنُوبِنَا)^(٤) نَبِّهُوا عَلَيَّ أَنْ الْإِخْذَ مَصْدَرٌ (أخذ) وان المؤاخذة مصدر (أخذ)^(٥) . ثم فرق الشّواح بين المؤاخذة والأخذ بان الأخذ أقوى من المؤاخذة فالراوندي^(٦) يرى أنّ الأخذ هو التناول بالبطش الشديد وان المؤاخذة العقوبة بسبب الذنوب . وقال المعتزلي : «المؤاخذة دون الأخذ لان الأخذ الاستئصال والمؤاخذة عقوبة وان قلت»^(٧) وقال الشيرازي : «لعل الفرق بين المؤاخذة والأخذ ان الاول بمعنى المحاسبة والثاني بمعنى العقاب»^(٨) . ولم يرض الخوئي قول المعتزلي : إن المؤاخذة دون الأخذ بحجة ان «قولهم زيادة المباني تدل على زيادة المعاني يفيد عكس ما قاله»^(٩) ورأى بعضهم^(١٠) أن المؤاخذة هي مقدمة الأخذ بدليل قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ وَاخِذِ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾^(١١) وانفرد انصاريان^(١٢) بقوله ان تغيير اللفظ في قوله للتفنن وليس لفارق دلالي .

ومن استقراء التعبير القرآني للفظين يتبين أنّ القرآن استعمل الأخذ بمعنى العقوبة الواقعة فعلا^(١٣) كقوله تعالى : ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْئَةَ ﴾^(١٤) و﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ تَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴾^(١٥) و﴿ فَأَخَذَتْكُمْ الصَّاعِقَةُ ﴾^(١٦) و﴿ فَأَخَذْنَا هُنَالِكَ مِنْهُمْ قُبُورَهُمْ فَوَجَدَهُمْ فَنَبِّئَانَهُمْ فِي الْيَوْمِ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾^(١٧) وهذا واضح في أنّ الأخذ عقوبة وقعت فعلا في ما مضى .

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٨٢ ص ٣٣٣ .

(٢) ينظر : المقاييس ٩٨ والقاموس المحيط ١١٤٤ .

(٣) ينظر : الراوندي ٩٣/٢ والكيدري ١٨ / ٢ والمعتزلي ١١٠/١٠ والخوئي ٣٤٩/١٠ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ١١٥ ، ص ٢١٦ .

(٥) ينظر : المعتزلي ٣٤٧/١٨ والموسوي ٣٢٤/٥ وأبو الفضل ٣٣٩/٢ .

(٦) ينظر : الراوندي ١٨/٢ . (٧) المعتزلي ٣٤٧/١٨ .

(٨) الشيرازي ٢٢٥/٢ . (٩) الخوئي ٧٩/٨ .

(١٠) ينظر : التستري ٩١/١٤ وأبو الفضل ٢٦٩/١ . (١١) فاطر ٤٥ .

(١٢) ينظر : انصاريان ٣٩٥/١ . (١٣) ينظر : المقاييس ٦٢ .

(١٤) هود ٦٧ (١٥) النازعات ٢٥

(١٦) البقرة ٥٥ (١٧) القصص ٤٠

وأما المؤاخذة فهي في القرآن عقوبة مؤجلة لم تقع فعلا ولذا شاع استعمالها في الدعاء كقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تَوَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ (١) ، و ﴿ قَالَ لَا تَوَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ (٢) ثم ان فاعل الاخذ متعدد في القرآن فقد يكون الله تعالى وقد يكون الصيحة أوالعذاب أوالصاعقة أوالارض أوالرجفة أو (ابن الام) أوالسنة والنوم ، واما المؤاخذة فالفاعل الوحيد لها هو الباري -عز وجل - ، ولما كانت المؤاخذة مشاركة بين اثنين يفهم من مدلولها أن الماخوذ فيها قام بالاخذ اولا ثم اخذه الله بما اخذ ، فكأن الماخوذ مشارك الفاعل (الله) في الفعل لانه المبادر اليه ، يقول الراغب : «تخصيص لفظ المؤاخذة على معنى المجازاة والمقابلة لما اخذوه من النعم فلم يقابلوه بالشكر» (٣) .

وهنا ناسب المد في (أخذ) الدلالة على الامهال وتأخير العقوبة في المؤاخذة ، وناسب التقصير (أخذ) معنى العقوبة الواقعة فعلا في (الأخذ) ولذا لا مسوغ لرأي التستريّ وابي الفضل اللذين قلبا الدلالة فذهبا الى ان المؤاخذة مقدمة الاخذ وان الاخذ دون المؤاخذة ، والصواب ما ذهب اليه معظم الشّراح من ان المؤاخذة دون الاخذ لما فيها من امهال وتأخير وكذا لا مسوغ لرد الخوئي على المعتزليّ لان زيادة المبنى في المؤاخذة افاد زيادات على معنى العقوبة الواقعة فعلا في الاخذ وهي المشاركة والامهال والإشارة إلى الفاعل الأقوى فيها وهو الله تعالى .

ولما وقف الشّراح على قوله (ع) في وصف حال العرب لما بعث الله تعالى عليهم محمدا (صلى الله عليه وآله) : (...فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرْفِينَ وَفِي خُصْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ) (٤) ذكروا ان (فكّهين) يروى ايضا (فاكهين) ونبه فريق منهم على أن الفرق بين (فاكهين) في قوله تعالى : ﴿ وَنِعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴾ (٥) وفكّهين في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَنْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ أَنْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴾ (٦) هو أنّ «فاكهين : ناعمين ، وفكّهين : أشرين» (٧) ، وقد تعددت المعاني التي ذكرها الشّراح الآخرون لفكّهين ، ومنها : مزحجين ، فرحين ، راضين ، مسرورين . ونقلوا عن الاصمعي قوله : فاكهين مازحين والمفاكهة الممازحة (٨) .

وكل ما سبق ذكره لم يدلنا على المعنى الدقيق للاصل (فكه) كي يفرق على وفقه بين (الفكه) و(الفاكه) ونظائر (فكه) في باب الاشتقاق الاكبر (الابدال) تفسر معنى فكه تفسيرا اقرب الى الدقة مما قاله الشراح والمعجميون ، ذلك ان القرآن استعمل الفكّ مع الرقبة ، ويعني العتق من القيد ، ومعنى (فكه) لا يبتعد عن (فكّ) كثيرا ، وهو سرور بعد غم ، ودلت الهاء بجرسها الخفيّ على سرور الروح الذي هو شعور داخلي وربما يبالغ به ليبلغ البطر ، وما نقل عن الأصمعي من أن الفكه بمعنى المزاح أقرب الأقوال إلى مدلول اللفظة الدقيق .

(١) البقرة ٢٨٦ . (٢) الكهف ٧٣

(٣) المفردات ٦٧ . (٤) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٢ ص ٣٧٥ .

(٥) الدخان ٢٧ . (٦) المطففين ٣١ .

(٧) المعتزليّ ١٧٨/١٣ .

(٨) ينظر : البحراني ٢٩/٤ والخوئي ٣٩٠/١١ ومغنية ١٤١/٣ والتستريّ ٣٤٠/٢ والشيرازي ٢١٦/٣ وأبو الفضل ١٠٩/٢ .

واقترب البحراني من هذا المدلول حين قال : « الفكه طيب النفس المسرورة »^(١) وقد ردد بعض الشراح^(٢) كلام البحراني فقرنوا الفكه بطيب النفس وسرورها الى درجة البطر والاشر والمزاح والنعمومة والسرور والرضا وغير ذلك مما يفهم من السرور بعد الغم . وهنا دل مد الالف في (فاكهين) في القران الكريم ونهج البلاغة على سعة المسرة وطيب النفس في وقت محدد لا دائم بدلالة البناء (اسم الفاعل) فكأن الفكه الواسع والمسرة العظيمة لم تكتمل لهم وفي القران : ﴿ وَنِعْمَ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴾^(٣) قرينة تدل على عدم استدامة الفكه في اللفظ (فاكهين) وهي لفظة (نعمة) بفتح النون إذ هي على بناء (فُعلة) الذي يدل على المرة الواحدة ، ولذا ساغ نزع هذه النعمة منهم في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾^(٤) ولو كانت بكسر النون لكانت هيئة لهم ووصفا لحالهم لا يسوغ سلبها منهم ، واما (الفكهين) فان قصر الصائت (فتحة الفاء) ينبئ بتماسك الفكه والتصاقه بهم على وجه المبالغة والاستمرار بدلالة البناء (فعل) فهو مبالغة وكثرة في القيام بالفعل^(٥) فان (الفكهين) لا يتصور قيامهم بعمل غير (الفكه) والا لما صححت المبالغة ، اما (الفاكه) فيتوقع منه القيام بعمل اخر غير الفكه وهنا اختلفت دلالة (الفاكه) بانه فاعل الفكه وغيره ، ولذا لم يكن الفكه ملازما له لانه لم يجبل نفسه عليه اما الفكه فهو الذي شغله الفكه عن اي عمل اخر . ولما وصف القران ونهج البلاغة قوما فكهوا بنعمة ثم زالت عنهم كان وصفهم بالفكهين ابين من الفكهين لان الفاكه يسلب منه هذا الفعل واما الفكه فلا يبرح الفكه والا لم يصدق عليه هذا اللفظ . ومثل فاكهين وفكهين قوله تعالى : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾^(٦) اذ قرئ (مَلِك) وفرق المفسرون بين اللفظين بأن الحجة لمن أثبت الألف في (مالك) هي أن الملك داخل تحت المالك بدليل قوله تعالى : ﴿ قُلِ اللّٰهُمَّ مَالِكِ الْمَلِكِ ﴾^(٧) . وأما حجة من طرح الألف في (مَلِك) فهي أن الملك أخص من المالك فقد يكون المالك غير ملك ولا يكون الملك إلا مالكا ، أي أن الملك أبلغ وأقوى من المالك في الدلالة على معنى الملك^(٨) . ويمكن عضد قراءة (مالك يوم الدين) على قراءة (ملك) بأن يقال : إن (يوم الدين) هو من أيام الله التي لا يزعم أحد أنه مالكا فاستعمل القرآن مالك مع يوم الدين إشارة إلى أن هذا اليوم ملك لله وحده لا يشاركه فيه أحد ولو قال (ملك) لفهم منه وجود مالك وهو أقل حيابة ليوم الدين من المَلِك ؛ لأن ما تحت الملك هو المالك وليس ما تحت المالك سوى المملوك (العبد) وهو حال جميع الخلائق يوم الدين .

(١) البحراني ٢٩١/٤ ، ٤٦٢/١ . (٢) ينظر: الخوئي ٣٩٠/١١ والشيرازي ٢١٦/٣ .

(٣) الدخان ٢٧ . (٤) الدخان ٢٨ .

(٥) ينظر: معاني الأبنية ١١٧ .

(٦) الفاتحة ٤ . (٧) آل عمران ٢٦ .

(٨) ينظر: حجة ابن خالويه ٣٨ ومعاني الزجاج ٥٢/١ - ٥٣ وتفسير الفخر ٢١٢/١ - ٢١٦ .

المبحث الثاني

دلالة تعاقب الصوامت في شروح نهج البلاغة.

برع علماء العربية في الاستماع الى أجراس الأصوات فمَيَّزُوا بين عدّة أنماط منها ، وقد سبقهم الخليل الى تسمية صوت الحرف وصداه (جرسا) وذكر ان بعض الحروف أطلق من بعض وأضخم جرسا كالعين والقاف اللذين لا يدخلان في بناء الا حسّناه^(١) . وهذا الملحظ الصوتي الذي قرّره الخليل تلقفه من بعده علماء العربية^(٢) ومنهم شراح النهج الذين يبرز منهم في هذه المسألة البحراني في قوله : « إن بعض الحروف أفصح جرسا وألذّ سماعا كالعين ، وبعضها أسهل على اللسان كحروف الذلاقة وبعضها أثقل »^(٣) . ويربط البحراني بين الجرس العذب والسهل وبين فصاحة اللفظة فيقول : « ان الكلام المركب من اسهل الحروف وألذّها سماعا أفصح وألذّ سماعا عند النفس مما لا يكون كذلك »^(٤) . ثم يقرن اللفظ الفصيح بالدلالة الأسرع على المعنى ، قال : اللفظ « الأفصح أدلّ على المعنى وأسرع الى قبول النفس له مما لا يكون كذلك »^(٥) .

وشايح البحراني الخليل في ذهابه الى ان الاصوات تتفاضل في أجراسها فقال : « أما العين فأفصح الحروف جرسا وألذّها سماعا وأما القاف فأمتن الحروف وأوضحها جرسا »^(٦) . وقال ايضا : « الدال لانته عن صلابة الطاء وكزازتها وارتفعت عن خفوت التاء »^(٧) . وقال ايضا : « الهاء تحتمل في البناء للينها وهشاشتها »^(٨) . وليس المراد من اختلاف اجراس اصوات العربية ان بعضها ذو جرس مقبول وبعضها الاخر ذو جرس قبيح مرفوض وانما اختلاف الاجراس امر طبيعي يفضي الى تنوع الدلالات وتعدد اللغات .

ويعد التعاقب بين الاصوات مظهرا واضحا من مظاهر تنوع الدلالات وقد أسس ابن جني بناء مرصوفا في ميدان تلمس الدلالة من الصوامت المتعاقبة فطول في ايراد طائفة كبيرة من هذا التعاقب و اشار الى دلالاته الصوتية وذلك في كتابيه الخصائص وسر صناعة الإعراب . إذ يأخذ التعاقب الصوتي لديه عدة انماط فقد يكون أحاديا او ثنائيا او ثلاثيا . من ذلك قوله في أمثلة التعاقب المفرد : أما « تركيب ع ص ر ، ع س ر ، ع ز ر فالعصر شدة

(١) ينظر : العين ٥٣/١

(٢) ينظر : الجمهرة ٧/١ والتهذيب ٥٠/١ والخصائص ٦٦/١ والصاح ١١٦ .

(٣) البحراني ٤٠/١ .

(٤) نفسه .

(٥) نفسه .

(٦) نفسه ٤٢/١ .

(٧) نفسه .

(٨) نفسه .

تلحق المعصور ، وأعسر شدة الخلق ، والتعزير للضرب وذلك شدة لا محالة فالشدة جامعة للاحرف الثلاثة^(١) . ومن امثلة التعاقب الثنائي لديه قولهم : « جلف وجرم فهذا للقشر وهذا للقطع وهما متقاربان لفظاً »^(٢) . واما امثلة التعاقب الثلاثي انهم « قالوا : الغدر كما قالوا الختل والمعنيان متقاربان واللفظان متراسلان »^(٣) . وقد احتقى معظم الخالفين بأمثلة ابن جني هذه فسارعوا الى استذكارها متى ما وجدوا الى ذلك سبيلا . وقد اقتفى شراح النهج سبيل ابن جني فرددوا امثله وزادوا عليها تفصيلا واستدلالات من ذلك انهم لما وقفوا على قوله (م) : (أَحَبَّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ وَالْمَقْتَصِّ لِأَثَرِهِ . قَضَمَ الدُّنْيَا قَضَمًا وَلَمْ يُعْرِطْ طَوْفًا)^(٤) ذكر الشراح أن (قَضَمَ الدُّنْيَا قَضَمًا) روي : (خَضَمَ الدُّنْيَا) والقضم والخضم نوعان من الأكل فَرَّقَ بعض الشّراح بينهما معتمدين على ماسبقهم اليه ابن جني وهو ان الخضم لاكل الرطب كالبطيخ والقثاء والقضم للصلب اليابس لان العرب اختاروا الخاء لرخاوتها للرطب والقاف لصلابتها لليابس حذوا لمسموع الاصوات على محسوس الاحداث^(٥) . ولم يكتف الشّراح بنوع الاكل في التفريق بين الخضم والقضم بل زادوا على ذلك ان الخضم يكون بكل الفم والقضم يكون باطراف الاسنان قال المعتزلي : « القضم اكل الشيء اليابس باطراف الاسنان والخضم اكل بكل الفم للاشياء الرطبة »^(٦) . وفرق اكثر الشّراح بين القضم والخضم باعتبار موضع الفم عند الاكل فالقضم لديهم اكل باطراف الأسنان والخضم اكل بملء الفم^(٧) ، متصلة عن ملحظ ابن جني في التفريق بين الخضم والقضم الذي هو حال المأكل من رطوبة وصلابة .

وانما اکتفی أكثر الشّراح بتفسير القضم بالأكل باطراف الأسنان لأنهم يلحون الى ان جرس القاف ينبثق من الاكل في هذا الموضع من الفم اذ هو اكل قليل ابتداء ومعنى قضم الدنيا « انه تناول منها قدر الكفاف »^(٨) او « قنع منها بقدر الضرورة »^(٩) . ثم إن جرس القاف الصلب المنفجر^(١٠) يوحي بقوة الشيء المأكل وهذا ما دفع الشّراح الى جمع الاكل باطراف الاسنان الى اكل الشيء اليابس في تفسيرهم القضم مراعاة لجرس القاف أما الخاء في خضم فإن نطقه لما تفتى في أقصى الفم الى نهايته^(١١) صور بجرسه المفخم المنقشي الأكل بكلّ الفم ، فضلا عن إن رخاوتها توحى إلى اكل الشيء الرطب لا اليابس .

-
- (١) سر الصناعة ٦/٢ .
(٢) الخصائص ١٥١/٢ .
(٣) نفسه ١٥٢/٢ .
(٤) نهج البلاغة : الخطبة ١٦٠ ص ٢٨٣ .
(٥) ينظر : الخصائص ٥٠٩/١ .
(٦) المعتزلي ٢٣٢/٩ وينظر : البيهقي ٨٥/١ أنصاريان ١١٦/٢ .
(٧) ينظر : الراوندي ١١٦/٢ والكيدي ١٥/٢ والبحراني ٢٨٢/٣ والسرخسي ١٥٢/١ والخوي ٦٠/٩ ومغنية ٤٣٦/٢ والتستري ٤٣٠/٢ والشيرازي ٤٣٣/٢ وأبو الفضل ٢٧٦/١ والموسوي ٣٥/٣ .
(٨) المعتزلي ٢٣٣/٩ .
(٩) التستري ٤٣٠/٢ .
(١٠) ينظر : الأصوات اللغوية ٨٨ ودراسة الصوت اللغوي ٣٩٨ .
(١١) ينظر : دراسة الصوت اللغوي ٣٩٧ وعلم الصوتيات ، دراسة مقارنة ٦٧ .

ولم يعز الشّواح الى ان ابن جنّي سبقهم الى هذه المسألة وربما يكون السبب في ذلك يعود الى ان ابن جنّي نفسه كان قد تلقف هذا النمط من الدلالة من سابقه فصرح باسم فريق منهم كالخليل وسيبويه^(١) وتتصل عن ذكر اسماء آخرين منهم ابن الانباري الكوفي ت ٣٢٨ هـ الذي سبق ابن جنّي الى التفريق بين الخضم والقضم لما اورد قول عنتره^(٢):

فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السَّبَّاحِ يَنْشُنُهُ ما بَيْنَ قُلَّةِ رَأْسِهِ وَالْمِعْصَمِ

فقد ذكر ابن الانباري ان عجز البيت يروى ايضا : يَقْضِمَنَّ حُسْنَ بَنَانِهِ وَالْمِعْصَمِ . وقال في شرح يقضمن : « معناه يأكلن يقال : قضمت الدابة شعيرها ولا يقال : خضمت والقضم: اكل كل شيء يابس والخضم أكل كل شيء رطب »^(٣). والغريب ان هذا المثال مقرون بابن جنّي لانه أعاد ذكره في الخصائص ولم يعزه الى احد . وعلى الرغم من ذلك يعد ابن جنّي رائد هذا الفن وامامه المبرز فقد كانت الدلالة الصوتية قبله أمثلة مرددة في كلام سابقه .

وتظهر إفادة الشّواح جلية من اراء ابن جنّي في مسألة التعاقب الصوتي المفرد . ذلك انهم لما وقفوا على قوله (هـ) يذكر حاله مع الخليفة عثمان (رض) : (...إلا أن يجعلني جملا ناضحا)^(٤) ، فرقوا بين النضح والنضخ بأن النضح معناه الرشّ والشرب دون الرّي الذي هو النضخ ، وهو لديهم أبلغ من النضح^(٥) لقوله تعالى : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَا ﴾^(٦) اي فوارتان غزيرتان^(٧) . والشّواح في هذا الموضوع لخصوا قول ابن جنّي : «النضخ اقوى من النضح قال الله سبحانه : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَا ﴾ فجعلوا الحاء لرققتها للماء الضعيف والحاء لغلظها لما هو اقوى منه »^(٨) وقد أدرك شراح النهج اختلاف المعنى اختلافا جزئيا مع التعاقب الصوتي المفرد في فاء الكلمة أو عينها أو لامها ثم يزداد ذلك الاختلاف وضوحا بين الالفاظ مع التعاقب الثنائي أو المضعف . ولذا نجد الشّواح يشيرون إلى المعاني الدقيقة للألفاظ التي تشابهت أصواتها وتعاقب عليها صامت أو صامتان . والدلالة الدقيقة التي تلمسوها للالفاظ نبعت من جرس الأصوات المتعاقبة وإيحائها ونغمتها . من ذلك أن العهد لدى الراونديّ يعني الأمان واليمين الموثق والذمة وبالقاف كعقد النكاح والبيع والاجارة ونحو ذلك^(٩) ، وهنا لاعم جرس الهاء المهتوت الخفي^(١٠) في (العهد)

(١) ينظر الخصائص ١٥٤/٢ .

(٢) البيت رقم ٥٢ من معلقته في شرح القصائد السبع الطوال ٣٤٧ ورقم ٥٥ في شرح القصائد التسع المشهورات ٥١٠ .

(٣) شرح القصائد السبع ٣٤٨ وينظر: شرح القصائد التسع ٥١١ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ٢٤٠ ، ص ٤٥٥ .

(٥) ينظر: المعتزليّ ١٣ / ٢٩٦ والبحراني ٣٢٣/٤ والشيرازي ٣٢١/٣ والكيدريّ ٣٦٥/٢ والخوئي ١٦ / ١٧٧ .

(٦) الرحمن ٦٦ . (٧) ينظر الكشاف ٤ / ٥٠ والبحر المحيط ١٠ / ٧٠ .

(٨) الخصائص ١٦٠/٢ . (٩) ينظر: الراونديّ ٣ / ٢٤٥ .

(١٠) ينظر: الأصوات اللغوية ٨٨-٨٩ .

الدلالة على المعاني العقليّة أو النفسية ولاعم جرس القاف الصّلب المطبق^(١) في العقد الدلالة على المعاني المحسوسة

ولما وقف الشّراح على قوله (م) في ذكر الأموات : (عبادَ مَخْلُوقُونَ أَقْتَنَارًا وَمُرِيَبُونَ أَقْتَسَارًا وَمَقْبُوضُونَ أَحْتَضَارًا وَمُضْمَنُونَ أَجْدَانًا)^(٢) روى بعضهم (احتضارا) بالحاء وروى آخرون (اختضارا) بالحاء^(٣) . وفضل الراوندي رواية اللفظ بالحاء قائلا : « بالحاء غير المعجمة أحسن ليعم الجميع يقال : احتضر القوم ، إذا ماتوا لأنه بالحاء المعجمة للشبان خاصة يقال : اختضر فلان إذا مات شابا^(٤) . والحاء بجرسه الرخو اللين^(٥) المنبعث من مداعبة الهواء لمؤخرة الطبق الغضة الطرية لاعم نضارة الشباب وطراوته وعضارته والحاء بجرسه الصراوي الرحب^(٦) لاعم احتراق سنّي العمر لدى الكهول .

ولم يكتف الشّراح بتقريب الدلالة ما بين الالفاظ ذات التعاقب الصوتي المفرد بل ثمة الفاظ وقع فيها تعاقب صوتي مزدوج فسرها الشّراح بدلالة مقاربة نحو قول الآمدي : « مكنون ومكتوم معنى احدهما قريب من الآخر اي المخفي والمستور يقال كن الشيء من باب نصر اذا ستره في كنهه واخفاه وغطاه والكن وقاء كل شيء وستره وكنم الشيء من باب نصر ايضا اخفاه^(٧) .

وقد أفاد الشّراح من تنوع رواية ألفاظ النهج في تلمس المعاني المختلفة تبعا لذلك التنوع ، وكثيرا ما تختلف الرواية في صوت واحد فيظهر بعد ذلك فرق دلالي بين الالفاظ حاول الشّراح توجيهه مراعين طبيعة ذلك الصوت وجرسه . من ذلك أنّ الامام (م) قال في عهده لمالك الاشتهر : (تَمَّ اخْتَرَ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ وَأَعْطَاهُ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ . لِمَ يَأْمَنُ بِذَلِكَ اغْتِيَالُ الرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ)^(٨) . فنقل الشّراح ان (اغتيال الرجال) يروى - أيضا- (اغتيال الرجال) وفرقوا بين اللفظين بأن الاغتيال هو الأخذ والقتل على غرة وغفلة من المقتول والاغتيال هو الغيبة والنميمة بالقول واللسان^(٩) . وهنا لاعم صوت اللام في الاغتيال بجرسه المجهور الجانبي الرخو^(١٠) الدلالة على القتل غيلة وخفية على حين لاعم جرس الباء المنفجر بين الشفتين^(١١) الدلالة على التكلم خلف الناس بما يغمهم لو سمعوه .

(١) ينظر: الأصوات اللغوية ٨٤ . (٢) نهج البلاغة: الخطبة ٨٣ ، ص ١٢٤ .

(٣) ينظر: البيهقي ١٥٧ والمعتزلي ٨٢/٦ والبحراني ٢٤٤/٢ والسرخسي ٨٢/١ وعنده ١٤٨/١ والخوئي ٨٢/٥

ومغنية ٣٩٠/١ والتستري ٢٦٦/١٢ والشيرازي ٣٨٨/١ والموسوي ٤٧٠/١ وأبو الفضل ١٥٤/١ .

(٤) الراوندي ٣٢٨/١ وينظر الكيدري ٣٨٩/١ . (٥) ينظر: الأصوات اللغوية ٨٨ .

(٦) ينظر: نفسه ٨٨ . (٧) الخوئي ١٧٤/١٨ .

(٨) نهج البلاغة : الكتاب ٥٣ ، ص ٥٥٤ - ٥٥٥ .

(٩) ينظر : الراوندي ١٨٦/٣ والبحراني ١٥٧/٥ والسرخسي ٢٦٨/١ والخوئي ٥٢/٢٠

وأنصاريان ٢٥٧/٣ والشيرازي ١٦٨/٤ والموسوي ٥٣/٥ .

(١٠) ينظر: الأصوات اللغوية ٦٤ ودراسة الصوت اللغوي ٣٣٠ . (١١) ينظر: الأصوات اللغوية ٤٥ .

وقد اتخذت مسألة التعاقب الصوتي بين الصوامت لدى شراح النهج حيزا كبيرا من أقوالهم وتحليلاتهم وجاء هذا التعاقب على عدة أنماط فقد يقع التعاقب بصوت واحد وهو الأعم الأغلب وهذا الصوت قد يكون فاء للكلمة أو عينا لها أو لاما . وقد يقع التعاقب بصوت مضعّف هو في الاصل صوتان متماثلان يؤلفان عين الكلمة ولامها . وقد يقع التعاقب بصوتين أو أكثر وأمثلة هذا النمط قليلة ولا يخلو توجيهها من التّمحلّ والتعسف على وفق ما سبق ذكره لدى ابن جني . ولذا سيقوم البحث في هذا المقام بدرس التعاقب الصوتي المفرد والمضعّف لوضوح الدلالة الصوتية فيهما وسيغفل الإشارة الى التعاقب الثنائي والثلاثي لقلّة امثله وبعّد تأويله.

المطلب الاول : التعاقب الصوتي في فاء الكلمة

أيقن شراح النهج ان التعاقب الصوتي المفرد في الكلم العربي يبقي المعنى العام له قريبا في كثير من الأمثلة ولذا نجدهم يفسرون الألفاظ بأخرى تشبهها في حرفين من حروفها الأصول وتختلف عنها في واحد . ومن أقوالهم : « وهمود النار : خمودها »^(١) و: « الافتسار من القسر وهو القهر »^(٢) و « وخشع : خضع »^(٣) و « سفح الجبل : سطوحه »^(٤) و : « المتراكم : المتراكب »^(٥) و : « الدعق : الدق »^(٦) و : « الصياخيد جمع صيخود وهي الصخرة الشديدة »^(٧) . ومن مظاهر اهتمامهم بالدلالة الصوتية المستحصلة من التعاقب الصوتي المفرد أنهم كثيرا ما كانوا ينبهون على الروايات المتعددة للفظة الواحدة مع بقاء المعنى العام قريبا بينها بسبب تشابه حروفها نحو : (يعج ويضج) . قال الراونديّ : « العج رفع الصوت والصراخ مثله وروي يضح وهذا يقرب منه ايضا »^(٨) . وفي معظم امثلة التعاقب الصوتي المفرد المح الشّراح الى الفارق الدلالي الدقيق بين الالفاظ التي اضطّمت على ذلك التعاقب فاستقل كل منها بمعنى دقيق يومئ الى جرس الصوت المبدل ويحاكي وقعه في النطق وفي ما يأتي امثلة من التعاقب في فاء الكلمة :

١ - شَنّ - سَنّ

وقف الشّراح على قوله (س) : (وَتَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتْ عَلَيْكُمُ الْغَارَاتُ)^(٩) فذكروا ان معنى (شنت الغارات) : فُوتَ عليكم من كلّ وجه ، وأصل ذلك في الماء المنفّرق إذ الشنّ هو الدلو المتمزّق يتخذ من الجلد البالي فينصبّ

(١) الخوئي ٥/٧ .

(٢) الموسوي ٤٧٥/١ .

(٣) نفسه ٤٧٥/١ .

(٤) البحراني ١٢٧/١ .

(٥) الراونديّ ١٥٠/٣ .

(٦) أنصاريان ٢٩٣/١ .

(٦) المعتزليّ ٧/٨ .

(٩) نهج البلاغة : الخطبة ٢٧ ، ص ٦١ .

(٨) الراونديّ ١٧٨/١ .

منه الماء^(١) ذكر فريق منهم ان الفعل يروى بالسين وهو في الاصل لصب الماء وغيره ثم استعير للغارة^(٢) وفرق هذا الفريق بين الشنّ والسنّ تفرقة سبقهم اليه المعتزلي في قوله: « ما كان من ذلك متفرقا نحو ارسال الماء على الوجه دفعة واحدة فهو بالشين المعجمة وما كان ارسالا غير متفرق فهو بالسين المهملة »^(٣) وهنا يفرق الشارح المعتزلي بين اللفظين مراعيًا جرس الصوتين المتعاقبين الشين والسين فالشين بجرسه المتفشي المنفتح ناسب الدلالة على صب الماء متفرقا مرة بعد اخرى ثم استعير للغارات لانهم يأتون بها من امكنة متعددة وازمنة متفرقة كالماء المتفرق المشنون وقد صنف علماء الاصوات الشين ضمن الاصوات الشجرية التي تنطق من غار الفم ولذا نعت الشين بالصوت الغاري^(٤) وهذا الوصف مشتق من الغارة التي تاتي من المجهول كانها قدمت من غار كتنطق الشين في موضعه اما السين فجرسه الصفيري المنبتق من التقاء طرف اللسان بالثنايا العليا والسفلى يومئ الى ارسال الماء وعدم انقطاعه على حين ان اللسان عند الشين ترتفع مقدمته نحو الغار وهذا احياء الى انقطاع الشراب لا دوامه ثم ان القران استعمل السن بمعنى الارسال والاستمرار في الصب حتى النهاية قال تعالى في خلق ادم: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾^(٥) ومعنى المسنون هو المصبوب في قالب^(٦) وما صب في قالب لياخذ شكلا معينًا لا يبد ان يكون صبه مرسلًا لا متقطعًا لان الانقطاع لا يؤدي الى وحدة الشكل المصبوب .

٢ - همد - خمّد

اورد الشّراخ قوله (م) يصف دحو الأرض على الماء: (فهمّد بعننقاته ولبدّ بعد زيفان ويئاته)^(٧) ففسروا همد بسكن وذكروا ان همد يستعمل بمعنى سكون الماء والنار والريح^(٨) وفرق بعضهم بين همدت النار وخمدت ، فقال الراوندي : « الهمود أبلغ من الخمود »^(٩) وقال المعتزلي : « الخمود دون الهمود »^(١٠) .

(١) ينظر : البيهقي ١١٦ والراوندي ٢١٤/١ والكيدري ٢٣٧/١ والمعتزلي ٧٨/٢ والبحراني ٣٢/٢

وعبده ٨٧/١ والخوئي ٩١/٣ ومغنية ١٨٦/١ وأنصاريان ١٣٠/١ والشيرازي ١٥٠/١ .

(٢) ينظر : المعتزلي ٧٨/٢ وعبده ٨٧/١ والخوئي ٣٩١/٣ وأنصاريان ١٣٠/١ .

(٣) المعتزلي ٧٨/٢ .

(٤) ينظر: الأصوات اللغوية ٧٦ .

(٥) الحجر ٢٦ .

(٦) ينظر : الكشاف ٣٩٠/٢ والبحر المحيط ٣٧٧/٦ .

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ٩١ ، ص ١٦١ .

(٨) ينظر : البيهقي ١٨٦ والراوندي ٤٠٩/١ والكيدري ٤٦٧/١ والمعتزلي ٤٤١/٦ والبحراني ٣٦٩/٢ والسرخسي ٩٥/١

والخوئي ٥/٧ والتستري ٤٩٣/١ وأبو الفضل ١٩٧/١ والموسوي ٩٨/٢ والشيرازي ٧٣/٢ .

(٩) الراوندي ٤٠٩/١ .

(١٠) المعتزلي ٤٤١/٦ .

ومن الاستماع الى جرس الخاء وجرس الهاء يمكن تأويل قول الراوندي - الذي عدّ همد أبلغ في الدلالة على السكون من خمد - بأن جرس الهاء المهتوت يوحي بالسكون التام أما جرس الخاء فيشتم من رخاوته وتفخيمه شبه سكون لا سكون تام . واما قول المعتزلي فتأويله أنّ النار تؤول اولاً الى الخمود ثم ينتهي بها الامر الى الهمود ومن هنا يكون الخمود أقرب من الهمود الى مرحلة اشتعال النار . قال الجوهرى : «خمدت النار تخمد خمودا اذا سكن لهبها ولم يطفأ جمرها»^(١) وقال ايضا : « همدت النار تهمد همودا أي طُفئت وذهبت البتة »^(٢) وقوله البتة يفصح عن ذهاب اللهب والجمر معا ومن هنا كان الهمود أبلغ في الدلالة على انطفاء النار من الخمود ، وبذا لا اختلاف بين قولي الراوندي والمعتزلي .

٣- قصم - فصم

وقف الشراح على قوله (م) : (...فإن الله لم يقصم جباري دهر قطّ الا بعد تمهلي ورخاء)^(٣) ففسروا يقصم بيكسر وأشاروا إلى رواية أخرى للفعل هي يقصم بالفاء للمعنى العام عندهم قريب بين القَصْم والقَصْم إذ هما بمعنى الكسر^(٤) . وميز فريق منهم بين اللفظين معتمدين على احياء الصوتين المتعاقبين القاف والفاء فذكروا ان القصم هو الكسر مع الإبانة بين الجزأين والقصم كسر من دون إبانة بينهما^(٥) وهذا الفارق الدلالي بين القصم والقصم يعضده جرس الصوتين المتعاقبين فالقاف صوت ذو جرس منفجر من العمق بفعل انفراج مفاجئ بين مؤخرة اللسان واللهاة وهو بهذه الصفات يحاكي كسر العظم بإبانة أما الفاء فصوت ذو جرس رخو شفوي ينبثق من اتصال مباشر بين الثنايا العليا والشفة السفلى^(٦) وهو بهذه الصفات يحاكي الكسر دونما فصل او إبانة . وأبين من تلمس هذا الفارق الدلالي بين الشراح هو التستريّ الذي أنكر على المعتزليّ تفسيره القصم بالكسر مطلقا دون تحديد نوع الكسر قال التستريّ: « القصم كسر غير بين والقصم كسر بين وتفسير ابن ابي الحديد له بمطلق الكسر في غير محله »^(٧) .

٤- وجف - رجف

أورد الشراح قوله (م) في وصف من يجاوز الصراط : (أظماً الرّجاء هواجر يومه وظلاف الرّهد شهواته ووجف الدّكر لسانه)^(٨) ففسروا (أوجف) بأنه أفعل من الوجيف وهو ضرب من السير السريع للإيل والخيل والمعنى

(١) الصحاح ٣١٦-٣١٧ . (٢) الصحاح ١١٠٦ .

(٣) نهج البلاغة : خ ٨٨ ص ١٤٤ .

(٤) ينظر : المعتزليّ ٣٨٤/٦ ، ١٤٢/٩ ، والبحراني ٣٠٥/٢ ، والسرخسي ١٣٩/١ وعبد ١٦٩/١ ومغنية ٤٤٤/١ وأنصاريان ٢٤٤/١ والشيرازي ٢٤/٢ ، ٣٦٩/٢ ، وأبو الفضل ١٨٧/١ والموسوي ٣٧/٢ .

(٥) ينظر : الراونديّ ٣٦٨/١ ، ٨٦/٢ ، والكيدريّ ٦٥٦/١ والتستريّ ٥٣٧/٢ والخويّ ٣٥٩/٧ .

(٦) ينظر : الأصوات اللغوية ٤٦ .

(٧) التستريّ ٤٣٠/٢ وينظر المعتزليّ ٣٨٤/٦ ، ١٤٢/٩ .

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ ص ١٣٠ .

أسرع الذكر بلسانه ، وكأنّ الذكر لشدة تحريكه اللسان موجف به كما توجف الناقة براكبها اي تسرع . وضبط معظم الشّواح أوجف بالواو وأشاروا إلى الرواية الاخرى (أرجف) أي : تحرك ، ومعنى أرجف الذكر بلسانه هو إنّ الذكر يحرك لسانه كأنّ به رجة من كثرة ذكر الله^(١) وضبط بعض الشّواح المتأخرين^(٢) اللفظة بالراء وعدوا الواو رواية معتمدين على ما جاء في النسخة المصرية لمتن النهج . وجرس الواو بما فيه من لين واندفاع للهواء وضم الشفتين^(٣) يلائم الدلالة على السير السريع اذ ينزاح الهواء من على جانبي الموجف المسرع كما ينزاح الهواء بالواو بين الشفتين . اما الرفع فدلالته على التحريك تنبثق من جرس الراء التكراري المرفرف المضطرب على سقف الفم ومن هنا صحح التستري^(٤) رواية الفعل أوجف بالواو وضّعت الرواية الأخرى التي صحّحها بعض المتأخرين معتمدا على مناسبة معنى (اوجف) للسياق الذي يصف المؤمن وهو يجتاز الصراط المستقيم ولسانه لهج بذكر الله وليس المعنى ان المؤمن يحرك لسانه مضطربا خائفا لان الخائف يظهر اثر الاضطراب في اعضاء جسده كلها وليس اللسان وحده . اما وجود ارجف في النسخة المصرية فامر لم يثن التستري عن تصحيح اوجف لانه كذلك في نسختي المعتزلي والبرحاني وهما من هما في التحقيق والتوثيق .

المطلب الثاني : التعاقب الصوتي في عين الكلمة .

ومن أمثلته لدى شراح النهج :

١ - دم - لطم

أورد الشّواح قوله (دم) في استعداده للقتال : (والله لا أكون كالضبع تتأم على طول اللدم ...)^(٥) . وفسروا اللدم بأنه صوت الحجر أو العصا أو غيرها تضرب به الارض ضربا ليس شديدا ، فالدم هو الضرب الخفيف^(٦) . «ويحكى ان الضبع تستغفل في جحرها بمنث ذلك فتسكن حتى تصاد»^(٧) . وهنا يمكن قبول الفعل في استغفال الضبع وصيدها إذ لو كان شديدا لنفرت منه، والشّواح في قصرهم دلالة (الدم) على الضرب الخفيف يلحون الى ان (اللطم) يدل على الضرب القوي وبهذا فسروا (تلتطم) في قوله(دم) واصفا الارض ودحوها على الماء : (ولجج بحار زاخرة تلتطم أواذي أمواجها ...)^(٨)

(١) ينظر: الكيدري ٣٩٤/١ والمعتزلي ٢٦٦/٦ والبرحاني ٢٥٧/٢ والخوئي ٣/٦ ومغنية ٤٠١/١

والتستري ٢٥٢/١٢ وأبو الفضل ١٥٩/١ والموسوي ٤٨٧/١ والسامرائي ١٥٣ ، ٢٥٠ .

(٢) ينظر: عبده ١٥٦/١ والشيرازي ٣٢٩/١ . (٣) ينظر: الأصوات اللغوية ٤٣ .

(٤) ينظر: التستري ٢٥٢/١٢ . (٥) نهج البلاغة : الخطبة ٦ ص ٣٦ .

(٦) ينظر : البيهقي ٨٨ والراوندي ٤٨/١ والكيدري ١٨٣/١ والمعتزلي ٢٢/٣ والبرحاني ٢٨١/١ والسرخسي ١٣٦/١ وعبده ٤٧/١

والخوئي ٤٣/٣ ومغنية ١١١/١ والتستري ٢٩/١٠ وأبو الفضل ٤١/١ وأنصاريان ٨٥/١ والشيرازي ٨٥-٨٦ .

(٧) البرحاني ٢٨١/١ (٨) نهج البلاغة : الخطبة ٩١ ص ١٦٠ .

فأصل اللطم لديهم « هو ضرب الخد بالكف مفتوحة »^(١) ثم استعير لموج البحر^(٢) وهذا دليل على قوة اللطم وشدته . وقصر (لدم) على الضرب الخفيف يعضده صوت الدال الانفجاري المرقق لا المفخم^(٣) وصفة الترقيق في الدال تومئ الى خفة اللطم ورقته سواء كان لدم الارض ام لدم الجسد ، ولا يطلق اللطم للدلالة على ضرب الوجه قال الجوهري : « اللطم ضرب المرأة صدرها وعضدها في النياحة »^(٤) ولا شك ان ضرب الوجه اشد وامضى من ضرب الصدر والعضد اما الطاء فهو صوت يشبه الدال بانه انفجاري لثوي وينماز منه بصفة الاطباق او التفخيم^(٥) وهو بهذه الصفة يومئ الى شدة اثر الضرب اذ هو ضرب الوجه خاصة ثم استعير للضرب القوي كتلاطم الامواج

٢ - وخز - وكز .

قال الامام (ع) في وصف صبره : (صَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمْرٍ مِنَ الْعَلَقِمِ وَالْمِ لَلْأَبِ مِنْ وَخَزِ الشَّفَارِ)^(٦) وقد فسر الشراح الوخز بانه الطعن الخفيف غير المमित^(٧) وهو مناسب لقوله (ع) لأن مراده شدة الألم لا القتل ، ولما وقف الشراح على قوله (ع) في عهده لابنه الامام الحسن (ع) (إِنْ تَلُبُّ يَتَ بَخَطًا وَأَفُوطَ عَلَيْكَ سَوْتُكَ أَوْ سَيْفُكَ أَوْ يَدُكَ بِالْعُقُوبَةِ فَإِنَّ فِي الْوَكْرَةِ فَهْوَ أَثَقَلَةٌ)^(٨) فسر بعضهم الوكز بانه الطعن القوي المमित^(٩) . وقال آخرون : هو الطعن بجمع الكف على الذقن^(١٠) وإيحاء (وكز) يرجح أن يكون طعنا بألة كما كان (وخز) بألة . أما الضرب باليد مقبوضة أو مفتوحة ففعل غلب ابتداؤه باللام نحو (لكم ، لكز ، لدم ، لطم ، لتح ، ...) وإنما كان (الوخز والوكز) ضربا بألة لان اللفظين تصدرهما صوت الواو الذي يحاكي بجرسه الهوائي^(١١) اندفاع الالة في الهواء قبل لمسها الجسد ، ويأتي (الخاء والكاف) صوتين يميزان الدلالة الدقيقة بين (الوخز والوكز) فالخاء بجرسه الرخو الاحتكاكي^(١٢) يوحي الى طعن الجسد طعنا خفيفا بألة حادة كالشفار في قول الامام (ع) وهو جمع شفرة وهي حد السيف^(١٣) ، ومن هنا شاع في الطب (وخز الابر) لخفته على الجسد . واما الكاف بجرسه القوي الانفجاري^(١٤)

(١) أنصاريان ٢٨٩/١ وينظر: الصحاح ٩٤٧ .

(٢) ينظر : المعتزلي ٤٣٨/٦ والبحراني ٣٦٩/٢ والبيهقي ١٨٦/١ والموسوي ٧٩/٢

(٣) ينظر: الأصوات اللغوية ٤٨ (٤) ينظر: الصحاح ٩٤٣ .

(٥) ينظر: الأصوات اللغوية ٦١ (٦) نهج البلاغة: الخطبة ٢١٠ ص ٤٢٢ .

(٧) ينظر: المعتزلي ١١٠/١١ والخوئي ١٧٠/١٤ وأبو الفضل ٢٩/٢ والموسوي ٥٠٦/٣

(٨) نهج البلاغة : الرسالة ٥٣ ص ٥٦٧ . (٩) ينظر: الخوئي ٣٠٩/٢٠ .

(١٠) ينظر: عبده ١٢٠/٣ والسرخسي ٢٧٢/١

(١١) ينظر: الأصوات اللغوية ٤٣ .

(١٢) ينظر: نفسه ٨٨ .

(١٣) ينظر: الصحاح ٥٥٤ .

(١٤) ينظر: الأصوات اللغوية ٨٣ .

فيوحي الى قوة الطعنة وهلاك المطعون ، وجرس الكاف يحاكي سقوط طرف الرمح على الجسد بعد ان كان الواو يحاكي ارسال الرمح في الهواء ، ومن هنا ارتبط الوكز بالقتل في القرآن الكريم كقوله تعالى بشأن موسى (ع) : ﴿ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾^(١) وهو مقترن بالقتل ايضا في وصية الامام لابنه الحسن (ع) : (فَإِنَّ فِي الْوَكْرِ فَمَا فَوْقَهَا مَقَلَّةٌ)^(٢) وأما صوت الزاي برخاوته وانزلاقه بين الأسنان في ختم (وكز - وكز) فيحاكي نفاذ الالة في الجسد سواء كان النفاذ خفيفا كما في (وكز) ام شديدا كما في (وكز) .

٣- متح - ماح

جاء في خطبة للامام (ع) كنى فيها عن قوم بالشيطان قوله : (وَأَيُّمُ اللَّهِ لِأَفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضًا أَنَا مَاتِحُهُ)^(٣) . وقد فسر الشراح المتح بالاستسقاء من أعلى البئر وهو ممثلي وذكروا ان اللفظ يروى - ايضا - (مايحه) بالياء وفسروا المائح بانه المستسقي من اسفل البئر بعد ان يجف ماؤه أو يقل^(٤) ونقل المعتزلي عن أبي علي الفارسي أنه لما سئل عن الفرق بين (الماتح والمايح) قال : « اعتبر نقطتي الاعجام فالاعلى للاعلى والادنى للادنى »^(٥) يريد ان المتح من اعلى البئر والميح من أسفله^(٦) فدللت كل لفظة باعجامها على معناها وما يهمننا هنا هو ان تدل اللفظة بجرس اصواتها على معناها ، فالتاء بجرسه الاسناني الانفجاري القريب من الشفتين^(٧) يحاكي وفرة الماء وانبثاقه من فم البئر فيمتحه المستقي من اعلى البئر لقربه منه ، على حين دل الياء بجرسه المستطيل المنحدر^(٨) الى انحسار ماء البئر في قعره فلا يستحصل الا بالنزول اليه .

المطلب الثالث : التعاقب الصوتي في لام الكلمة .

١ - جمس - جمد

اورد الشراح قوله (ع) في وصف عجيب خلق اصناف من الحيوان : (أَطُرُوا إِلَى الثَّمَلَةِ فِي صِغَرٍ جُنَّتْهَا ... لَا يَحْرُمُهَا الدِّيَانُ وَلَا فِي الصَّحَا الْيَلْبِسِ وَالْحَجَرِ الْجَامِسِ ...)^(٩) . وقد فسّر الشراح الجامس بالجامد^(١٠) ، وفرّق

(١) القصص ١٥ وينظر : الكشاف ١٦٨/٣ والبحر المحيط ٢٩٣/٨ .

(٢) نهج البلاغة : الرسالة ٥٣ ، ص ٥٦٧ . (٣) نفسه الخطبة ١٠ ص ٣٩ .

(٤) ينظر : البيهقي ٩٢ والراوندي ٦١/٢ والمعتزلي ٢٤٠/١ ، ٢٧١/٦ ، ٣٥/٩ والبحراني ٣٤٩/١ ، ١٦٦/٣ والخوئي ١٦١/٣ والسرخسي ١٣٠/١ والشيرازي ٩١/١ وأبو الفضل ١٦١/١ والسامرائي ٩٢ ، ١٢٩ ، ٢٢٩ ، ٢٨٣ وأنصاريان ٨٨/١ .

(٥) المعتزلي ٢٤٠/١ وينظر ١٦١/٣ . (٦) ينظر : المقاييس ٩٧٠ ، ٩٧٢ والقاموس المحيط ٢٣٣ ، ٣٣٥ .

(٧) ينظر : الأصوات اللغوية ٦١ (٨) ينظر : نفسه ٤٣

(٩) نهج البلاغة : الخطبة ١٨٥ ص ٣٣٩ .

(١٠) ينظر : الراوندي ٤٢٢/٢ والمعتزلي ٥٦/١٣ والبحراني ١٣١/٤ والسرخسي ١٩٧/١ ومغنية ٥٨/٣

وعبده ٣٧٤/١ والشيرازي ١٢٢/٣ وأبو الفضل ٦٦/٢ والموسوي ٢١٦/٣ .

بعضهم بينهما كقول الخوئي : « الجامس : الجامد وقيل أكثر ما يستعمل في الماء جمد وفي الحجر وغيره جسم»^(١) وفسر أنصاريان الجامس باليابس الصلب^(٢) ، وقال الكيدريّ^(٣) ، وهو « الجامد الصلب »^(٣) ويبدو من هذه الالتماعات الدلالية الدقيقة ان الجامد صلابة من برودة وهو صفة للماء خاصة ، واما الجامس فهو صلابة من حرارة الشمس ، وقد أوما الدال في آخر (جمد) لما فيه من شدة وجهر^(٤) الى البرد وشدته^(٤) على حين اوما السنين في آخر (جمس) الى الجفاف واليباس بفعل سعيير الشمس لما في السنين من صفيير وهمس ورخاوة^(٥) .

٢ - ماد ، مار

قال الامام (٤) في وصف بدء الخلق : (أَمَادَ السَّمَاءَ وَفَطَّرَهَا ...) ^(٦) وقد فسر الشراح^(٧) أَمَادَ بِأَنَّهُ مَاضِي الإِمَادَةِ وَهِيَ الْحَرَكَةُ بِتَمَائِلٍ ، وَذَكَرُوا أَنَّ الْفِعْلَ يَرُودُ أَيْضًا : مُارٌ بِالرَّاءِ وَفَسَّرُوا (مار الشيء يمور مورا) بِتَحَرُّكٍ وَذَهَبٍ وَجَاءَ ، وَنَقَلُوا عَنِ الضَّحَّاكِ تَفْسِيرَهُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تُمْرَسُونَ السَّمَاءَ مَورًا﴾^(٨) بِأَنَّ الْمَعْنَى تَتَمَوَّجُ تَمَوُّجًا ، وَنَقَلُوا عَنِ الْأَخْفَشِ أَنَّ الْمَعْنَى تَتَكْفَى انْكَفَاءً^(٩) . وَرَجَّحَ التَّسْتَرِيُّ^(١٠) رَوَايَةَ (أَمَار) بِالرَّاءِ ؛ لِأَنَّ الْمَوْرَ يَكُونُ لِلسَّمَاءِ وَالْمِيدَانِ يَكُونُ لِلأَرْضِ ، وَهُوَ مُصِيبٌ فِي تَرْجِيحِهِ لَوْجُودِ النِّقْلِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تُمْرَسُونَ السَّمَاءَ مَورًا﴾^(١١) وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾^(١٢) وَكَذَا وَرَدَ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ: (وَوَتَدُّ بِالصُّخُورِ يَمَدَانُ أَرْضِهِ)^(١٣) . فَضْلًا عَنِ ذَلِكَ يُمْكِنُ الْاسْتِمَاعُ إِلَى جَرَسِ الْأَصْوَاتِ الْمُتَعاقِبَةِ فِي (المور والميدان) ، فَالِدَالُ يَلَائِمُ أَنْ يَكُونَ لِحَرَكَةِ الْأَرْضِ وَهِيَ التَّمَائِلُ يَمِينًا وَشِمَالًا ، وَالْمَوْرُ هُوَ الْانْكَفَاءُ وَالدُّورَانُ التَّمُّ حَوْلَ الْمَحْوَرِّ ، وَمِنْ هُنَا قِيلَ لِلْجَنِينِ : يَمُورُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ^(١٤) ، وَالرَّاءُ يَنَاسِبُ الدَّلَالَةَ عَلَى الْحَرَكَةِ الْمُسْتَمِرَّةِ حَوْلَ الْمَحْوَرِّ ؛ لِأَنَّهُ صَوْتُ مُرْفَرَفٌ

(١) الخوئي ٧/١١ . (٢) ينظر: أنصاريان ٢٠٧/٢

(٣) الكيدريّ ٢٧٤/٢ . (٤) ينظر : الأصوات اللغوية ٤٨ .

(٥) ينظر: نفسه ٧٥ وعلم الصوتيات ٦٩ . (٦) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٩ ص ٢٠٢ .

(٧) ينظر : البيهقيّ ٢٠٥ والروانديّ ٤٦٧/١ والكيدريّ ٥٢٩/١ والمعتزليّ ١٣٣/٩ والبحراني ١٤٣/١ وعبد ٢٣١/١

والخوئي ٣٥٨/٧ والتستريّ ٢٥٨/١٢ وأبو الفضل ٢٥٢/١ .

(٨) الطور ٩

(٩) ينظر : الكشاف ٢٣/٤ والبحر المحيط ٥٦٨/٩ .

(١٠) ينظر : التستريّ ٢٥٨/١٢ - ٢٥٩ .

(١١) النمل ١٥ .

(١٢) لقمان ١٠ .

(١٣) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص ١٧ وينظر: البيهقيّ ٣٣ والروانديّ ٢٣/١ والمعتزليّ ٥٨/١ والبحراني ١٠٧/١ والخوئي ٢٩٣/١ .

(١٤) ينظر: المقاييس ٩٧٠ ، ٩٦٨ ، والصاح ١٠٠٩ ، ١٠١١ .

مكّرر يلفُّ اللسان نحو سقف الحنك الاعلى^(١) ، ومور السماء بمعنى دورانها المستمر وهو يلائم حالها في قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ﴾^(٢) . ويبدو أنّ معنى التمايل والتحرك ذهابا وإيابا قد اكتمل في (الميم والحرف المعتل) وتثليث هذين الحرفين يمنح التشكيل دلالة مستقلة نحو (الميلان) لحركة واحدة نحو جهة واحدة إذ اللام بطبيعته صوت جانبي^(٣) أما (الميدان) للحركة بالتعاقب نحو الجانبين، إذ الدال يصنّف ضمن حروف القلقة^(٤) . و(الموج) لحركة الماء بالتعاقب نحو جهة واحدة ، والجيم صوت مركب يبدأ شديدا وينتهي رخوا^(٥) وهذا حال الموج ، و(المور) للحركة المستمرة حول المحور، ويتضح معنى المور بأنه جمع فعل (الميدان) و(الدوران) ، فالميدان حركة نحو الجانبين ، والدوران لف محوري ، والمور دوران وميدان معا ، ولذا ارتبط المور بالسماء التي اخبر البارئ (تعالى) انها تطوى كطي السجل للكتاب ، وطي الكتاب يكون بلفه حول نفسه وتحريكه الى الجانبين .

وفي باب التعاقب الصوتي المفرد في لام الكلمة ورد في شروح النهج ما يمكن تسميته بحقول الدلالة الصوتية ، وذلك حين يتم التعاقب الصوتي في لام الكلمة على طائفة من الاصول ويبقى المعنى العام جامعا لها قريبا بينها ويفيد التعاقب الصوتي في لامها التنوع الدلالي الدقيق ، وخير مثال على هذه الظاهرة لدى الشّراح هو تثليث (النون والفاء) بصامت يقع لاما للأصل فيبقى المعنى في الأصول كلّها يدلّ على حركة الهواء من موضع الى اخر وهو المعنى الذي ظهر من التشكيل (نف) فيأتي التنوع في (نفث ، نفخ ، نفح ، نفج ، نفر ، نفس ، نفش ، نفص ، نفض ، نبط) فاما النفث فمعناه لدى الشّراح قريب من النفخ^(٧) يقال: «نفث من فيه شيئا أي رمى به ،والنَّفْثَةُ ما نُفِثَ من الفم»^(٨) واللفظ في قوله (م) من خطبة حذر فيها من الشيطان : (وَقَدَّثَ فِي الْأَذَانِ نَجِيًّا)^(٩) ، وفي القرآن الكريم : ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾^(١٠) ، وقد فسّر الراونديّ النفث بأنّه شبيه بالنفخ ومن رأى عقدا واراد حله نفث فيه ليسهل ، فاستعير لرد الشيطان انسانا عزم على طاعة الله^(١١) وقال عبده: «النفثة كالنفخة يراد بها ما يمازج النفس من الريق عند النفخ»^(١٢) واقتران اللفظة في القرآن الكريم بالعقد ينبئ عن ان النفث نفخ فيه رطوبة او بلل من الريق يقع على

-
- (١) ينظر: الأصوات اللغوية ٦٦
(٢) (٢) الأنبياء ١٠٤
(٣) ينظر: الأصوات اللغوية ٦٤
(٤) ينظر: نفسه ٧٧
(٥) ينظر: نفسه ٧٠
(٧) ينظر: الراونديّ ٣٤٨/٢ والبحراني ٣١٢/١ والخوئي ٤/٦ والتستريّ ٣٥٠/٣ وأنصاريان ٣٣٧/٢ .
(٨) الراونديّ ٢٧٩/٢ .
(٩) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ ص ١٣١ .
(١٠) الفلق ٤
(١١) ينظر: الراونديّ ٤٤٢/٢
(١٢) عبده ٢٤٦/٣ وينظر: ٢٣٥/٢ .

العقدة ليسهل حلها ، وهذا واضح ، ولو كان هواء الريق خاليا من البلل لما كان فيه فائدة في حل العقدة ، والنفث اقل من التفل الذي فسره بعض الشّراح بانه « نفخ معه ادنى بزاق »^(١) ، وجرس الثاء بهمسه ورخاوته وتفشيه بين الأسنان وطرف اللسان^(٢) يوحي بالدلالة على الهواء القليل الذي يحمل البلل او الرطوبة .

ولما وقف الشّراح على قوله (هـ) في وصف بعضهم : «.. نَافِجًا حِضْنِيهِ بَيْنَ ثَلِيهِ وَمُعْتَدِفِهِ ..»^(٣) فسروا (نفج الحِضْن) بارتفاعه وانتفاخه ، يقال لمن امتلأ بطنه طعاما : جاء نَافِجًا حِضْنِيهِ^(٤) ، وقال بعضهم : « النفج قريب من النفخ »^(٥) ، ولا شك في ان الشّراح ألمحوا الى الفارق الدلالي بين النفج والنفخ في ذكرهم كلمة (قريب) ، ووجه القرب بين النفج والنفخ يؤيدده جرسا الجيم والخاء ، فكل صوت دل بجرسه على المعنى الدقيق للفظة التي ورد لاما لها ، فالنفخ يعني اندفاع الهواء من عمق الفم الى خارجه بلحاظ جرس الخاء المطبق الرخو المنبثق من اقصى الحنك نحو الخارج^(٦) ، واما النفج فدل فيه جرس الجيم المركب من الشدة والرخاوة في شجر الفم على معناه الذي هو انتفاخ البطن وارتفاعه وانحسار الهواء فيه كانحساره في الموضوع الذي ينطق فيه الجيم ، وبلحاظ جرس الجيم الذي يميل الى الشدة شاع استعمال النفج في الدلالة على الرفع والتوسعة وان لم يكن بفعل الهواء المحصور ، كقولهم : « نفج ثدي المرأة قميصها اي رفعه ونفجت الفراريح من بيضها اذا رفعت رؤوسها فيه وخرجت »^(٧) .

واشار الشّراح الى ان (النفخ) هو في الاصل من افعال الهواء او الرياح - ايضا - ، يقال : نفخت الرائحة اذا انتشرت ، ونفخ الطيب اي فاح وانبسط^(٨) ، وهنا لاعم صوت الحاء بجرسه المهموس الاحتكاكي الذي يداعب اوتار الحنجرة^(٩) الدلالة على فوحان الرائحة وتفشيها بهمس .

وفسر الشّراح^(١٠) النفاذ بمعنى الخروج من شيء والدخول في غيره في قوله (هـ) يصف الشيطان : «...وَنَفَذَ فِي الصُّنُورِ حَفِيًّا»^(١١) ، وهذا (تمثيل لدقّة مجاري وسوسته في الأنفس فهو فيما يسوّله يجري مجرى الأنفاس)^(١٢) ،

(١) الراونديّ ٢٤٨/٢ وينظر : الصحاح ١٢٧ .

(٢) ينظر : الأصوات اللغوية ٤٧

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٣ ص ٣٠ .

(٤) ينظر : البيهقيّ ١٨٥ والراونديّ ١٢٨/١ والمعتزليّ ١٩٧/١ والسرخسي ٤٩/١ وعبد ٤٠/١ والخوئي ٩٦/٣ والتستريّ ١٩٧/٥ وأنصاريان ٧٥/١ والموسوي ٧٥/١ .

(٥) البحراني ٢٥٤/١ وينظر : الكيدريّ ١٦٣/١ والشيرازي ٦٩/١ .

(٦) ينظر : الأصوات اللغوية ٨٨

(٧) الصحاح ١٠٥٦ .

(٨) ينظر : المعتزليّ ١٧٠/٥ والبحراني ١٧٩/٢ والخوئي ٢٤/٥ . (٩) ينظر : الأصوات اللغوية ٨٨ .

(١٠) ينظر : المعتزليّ ٢٦٨/٦ والبحراني ٢٥٨/٢ والخوئي ٣-٤/٦ وأبو الفضل ١٦٠/١ والموسوي ٤٩٣/١ وعبد ١٥٥/١

(١١) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ ص ١٣١ . (١٢) عبده ١٥٥/١

وجرس الدال إذ هو النظير المجهور للثاء بتقشيره ورخاوته^(١). لاعم ان يكون (نفذ) من الأفعال الهوائية التي تعني

أصلا انتقال جسم محسوس او خفي في الهواء كالكتاب والسهم والجن والإنس والشيطان .
ولما وقف الشراح على قوله (م) في فتنة بني أمية : (فَلَا يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ إِلَّا قُتَالَةٌ كُنْهَالَةٌ الْقَدْرِ أَوْ قَدْ أَضَةٌ كُنْفَاضَةٌ الْعِمْ)^(٢) فسروا النفذ بتحريك الشيء في الهواء كي يزال عنه ما علق به من تراب او شبهه ، والنفاضة ما سقط من الشيء المنفوض ، والعكم هو العدل^(٣) . وجرس الضاد المطبق المنفجر اللثوي^(٤) يوحي بتحريك الثوب المنفوض في الهواء حتى يسمع له صفق بغية تخليصه مما علق به من (نفاضة) ، ومن هنا جاء في كلام الامام (م) : (فَدَضُّمٌ أُبْدِيكُمْ)^(٥) وهي ((كلمة تقال في اطراح الشيء وتركه وهي ابلغ من ان تقول تركتم ... لان من يخلي الشيء من يده ثم ينفذ يده منه يكون أشد تخلية له ممن لا ينفذها ، بل يقتصر على تخليته فقط لأن نفذها إشعار وإيدان لشدة الاطراح والإعراض))^(٦) .

وهذا التعاقب الصوتي لا يقتصر على لام الكلمة فثمة امثلة لدى الشراح للتعاقب الصوتي في عين الكلمة نحو (نحب ، نذب ، نعب ، نذب) . ففي قوله (م) يذكر الموت : (فَهَلْ دَفَعْتَ الْأَرْبُ أَوْ نَفَعْتَ النَّوَابِحُ)^(٧) ، فسر الشراح النواحب بجمع ناحية وهي الرافعة صوتها بالبكاء والنحيب رفع الصوت بالبكاء ، وذكروا ان اللفظ يروى (النواذب) ، والنذب هو البكاء على الميت^(٨) ، وهنا لاعم جرس الحاء الرخو الاحتكاكي المنبعث من اقصى الحلق بحرقة رفع الصوت بالبكاء ، في حين لاعم الدال المنفجر من خلف الاسنان تأبين الميت وذكر محاسنه قولاً مع البكاء . ونظير ذين النعيب وهو للغراب والنزيب وهو للظبي ؛ لانه من الغراب مسموع ينذر بالبين والفراق فلام العين بنصاعته التعبير عنه ومن الظبي على شكل زفرات متباعدة دون النعيب في الحدة والنصاعة ، فلام الزاي التعبير عنه . وقد يتوسع في هذا التعاقب الصوتي لاسيما في باب (الفعيل) الدال على الاصوات ليأتي التعاقب مزدوجاً نحو (نعيق ، نهيق ، نقيق ، نغيق ، نشيج ، نشيد ، نعير ، نعي) . واصل انبثاق الصوت في مجمل هذه الامثلة هو صوت النون ثم يأتي التعاقب المزدوج بعده تنوعاً لأصوات كثيرة .

(١) ينظر : الأصوات اللغوية ٤٧ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٨ ص : ١٩٧ .

(٣) ينظر : البيهقي ٥٢٠ والراوندي ٤٦٠/١ والمعتزلي ١٨٩/٧ والبحراني ١٠٥/٣ والسرخسي ١١٥/١ وعبد ٢٢٥/١ والحوئي ٢٩٧/٧ ومغنية ١٣٦ /٢ والتستري ١٦٤/٦ وأبو الفضل ٢٤٤/١ وأنصاريان ٣٧٥/١ والشيرازي ١٧٠/٢ .

(٤) ينظر : الأصوات اللغوية ٤٨ . (٥) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٢ ص ٣٧٦ .

(٦) المعتزلي ١٣ / ١٨ . (٧) نهج البلاغة الخطبة ٨٣ ص ١٢٨ .

(٨) ينظر : الراوندي ٣٣٦/١ والمعتزلي ٢٦٢/٦ والبحراني ٢٥٠/٢ والحوئي ٣٩٣/٥ ومغنية ١٦/٣ والتستري ١٥٨/١١ والموسوي ٤٨٠/١ وأبو الفضل ١٥٧/١ والشيرازي ٣٢٦/١ .

المطلب الرابع : التعاقب الصوتي المضمّن .

ومن أمثلته في النهج :

١ - قَطّ - قَدّ .

أورد فريق من الشّراح قول الناس في الامام (ع) : كَانَ يَقَطُّ الْهَاقِطَ الْأَقْلَامِ^(١) ، وفسّروا القَطّ بالقطع عرضا ومنه يقال : قَطَّ القلم ، وأما القطع طولاً فيسمى (القَدّ) ، ومن ثم قيل في الامام (ع) - ايضاً - : « كَانَتْ ضَرَبَاتُ عَلِيٍّ أَبْكَاراً إِنْ اعْتَلَى قَدْ وَإِنْ اعْتَرَضَ قَطٌّ »^(٢) ، وما قاله الشّراح في التمييز بين القَطّ والقَدّ سبقهم ابن جنّي إلى ذكره حين علل تخصيص القَطّ بالقطع عرضاً ، والقَدّ بالقطع طولاً ، ب « أن الطاء أحصر للصوت وأسرع قطعاً له من الدال فجعلوا الطاء المناجزة لقطع العرض لقربه وسرعته ، والدال المماثلة لما طال من الأثر وهو قطعه طولاً »^(٣) . ولم يصرح الشّراح بنسبة هذه المسألة إلى ابن جنّي ، وكذا أغفل المفسّرون ذلك لما فسّروا القَدّ في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ نَبْرٍ فَكُذِّبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّانِقِينَ ﴾^(٤) بالقطع طولاً من الرقبة إلى أسفل الظهر^(٥) .

٢ - حَسَّ ، حَشَّ .

أورد الشّراح قوله (ع) في بعض أيام صفيين : (وتزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا زَالُوَكُمْ حَسًّا بِالنِّصَالِ وَشَجَّرُوا بِالرَّمَاكِ)^(٦) ، فشرحوا الحس بأنه الاستئصال قتلاً^(٧) ، واستدلوا بقوله تعالى ﴿ إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ ﴾^(٨) ، أي تستأصلونهم بالقتل^(٩) وأصل الحس هو « الصوت الخفي »^(١٠) . وذكر فريق منهم أن (حسّاً) رويت - أيضاً - (حشّاً) بالشّين وقالوا : الحشّ إصابة السهم الجوف^(١١) ، ورجّح بعضهم رواية (الحس) بالسّين لذكر النصال بعدها ، وأما (الحش) فللسهام في الاصل^(١٢) ، وهذا ملمح دلالي يمكن الركون إليه في التفريق بين الحس والحش ، إذ الحس أسرع وأمضى من الحش بدلالة جرس السين الانسيابي الامامي الاسناني الذي يوحي بسرعة القطع وسهولته . أما الحش فوجود الشين الغاري فيه يوميء بالمهلة والبطء لان الشين صوت ممتد متفش من شجر الفم نحو الخارج وفي هذا اشارة الى آلة الحشّ وهي السهم النافذ وسط الجسم . ويمكن التفريق بين اللفظين بملمح آخر وهو مكان الضرب لا آله ،

(١) ينظر : البيهقي ٢٩ والمعتزلي ٥٠/١ والبحراني ١٢٧/١ وعبده ١٤/١ والخوئي ١٢٦/١٥ .

(٢) المعتزلي ٥٠/١ وينظر : البيهقي ١٤ وعبده ١٤/١ . (٣) الخصائص ١٦٠/٢ (٤) يوسف ٢٧ .

(٥) ينظر : البحر المحيط ٢٦٠/٦ . (٦) نهج البلاغة الخطبة ١٠٧ ص ١٩٥ .

(٧) ينظر : البيهقي ٢٠٢ والراوندي ٤٥٨/١ والكيدري ٥١٦/١ والمعتزلي ١٨٠/٧ والبحراني ٣٧/٣ والسرخسي ١٠٩/١ وعبده ٢٢٣/١

والخوئي ٢٧٥/٧ ومغنية ١٢٨/٢ والتستري ٢٨٣/١٠ وأبو الفضل ٢٤١/١ والموسوي ٢٠٧/٢ والشيرازي ١٦٣/٢ .

(٨) آل عمران ١٥٢ (٩) ينظر : الكشاف ٤٧٠/١ والبحر المحيط ٣٧٨/٣ - ٣٧٩ .

(١٠) الصحاح ٢٣٧ . (١١) ينظر : الراوندي ٤٥٨/١ والكيدري ٥١٦/١ والتستري ٢٨٣/١٠ .

(١٢) ينظر : التستري ٢٨٣/١٠

فيقال : إن الحسَّ للرقاب خاصة ، وهو قتل سريع حرّض القرآن المؤمنين عليه في قوله تعالى ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾^(١) ، أما الحسَّ فضرب ما دون الرقاب كالجوف في قول الراوندي^(٢) أو الأرجل في قول الكيدري^(٣) وبهذا المعنى شاع الحش في اللغة المعاصرة لقطع النبات والحطب والمراد القطع من تحت لا من فوق ، ويفاد من جرس السنين الامامي وجرس الشين الغاري في الاستدلال على معنى اللفظين بلحاظ موطن الضرب في كل منهما بحسب مخرجيهما . وقد ورد في النهج ما يدل على إن الحشّ قطع من أسفل وذلك في قوله (م) يصف المتخاذلين عن الحرب : (لَيْسَ حِشَّاشُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ)^(٤) ، إذ فسّر الشّواح الحشاش بالحطب الذي يلقى في النار وهو في الاصل النبات يقطع من اسفله^(٥) وروي أيضا (حشّاش) جمع حاشّ من حشّ النار إذا أوقدها والمراد : لبئس الموقدون لنار الحرب أنتم .

٣ - دكّ ، دقّ

أورد الشّواح قوله (م) في ذكر بيعته بالخلافة : (ثُمَّ تَدَاكَتُمْ عَلَيَّ تَدَاكَ الْإِدْلِ الْهَيْمِ ...) ^(٦) . ففسروا (الدكّ) بالتكسير والمساواة بالأرض ومعنى (تدأكوا) ازدحموا ازدحاما شديدا كأن كل واحد منهم يدوس الآخر ويدقّه في الارض^(٧) ، وذكر الكيدري ان الدكّ كالدقّ لكنه أخصّ منه وأبلغ ، إذ قال : « تدأكوا عليّ ؛ اي وردوا عليّ ورودا ودخلوا عليّ يدكّ بعضهم بعضا أي يدقّ ، وكان الكاف مبدلة من القاف تخصيصا »^(٨) ، وقال في موضع اخر : « تداك الناس عليه اي ازدحموا وهو تفاعل من الدكّ وهو أبلغ من الدقّ »^(٩) . وما تلمسه الكيدري وغيره من فروق بين الدكّ والدقّ له ما يعضده في جرس القاف والكاف ، إذ القاف ألين عريكة من الكاف ؛ كونه ينطق من إطباق وانفراج في اللهاة^(١٠) ، وهي لحمة رقيقة متدلّية في الحلق لا تأخذ حيزا كبيرا منه^(١١) على حين ينطق الكاف من إطباق حنكي قوي يأخذ حيزا كبيرا في طبق الفم^(١٢) ، وهذه الصفات لاعمّت أن يكون الدقّ عامّا يطلق على كلّ صدم أو كسر ومنه الدقيق الذي هو من ألفاظ المشترك اللفظي الدالّة على الصغّر والدقّة^(١٣) . على حين اختصّ الدكّ بالدلالة على معنى الدقّ وزيادة هي الوطء في الأرض وبسبب هذه الدلالة القويّة استعمل الدكّ في القرآن الكريم في مشاهد القيامة لدكّ الأرض والجبال كما في قوله تعالى: ﴿ وَحَمَدَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَتُكَدِّمُ نَكَّةً وَاحِدَةً ﴾^(١٤) .

- (١) محمد ٤ (٢) ينظر: الرواندي ٤٥٨/١
(٣) ينظر الكيدريّ : ٥١٦/١ (٤) نهج البلاغة : الخطبة ١٢٥ ص ٢٣١
(٥) ينظر : المعتزليّ ١٠٨ / ٨ وعبد ١٠/٢ (٦) نهج البلاغة : الخطبة ٢٢٩ ص ٤٤٣-٤٤٤ .
(٧) ينظر: البيهقيّ ٣٨ والراونديّ ٢٧٤/١ والكيدريّ ٣١٤/١ والمعتزليّ ١٣/٤، ٦/٣ والبحراني ٤٤، ٤/٢، ٩٩/١ وأنصاريان ١٧٥/١ وعبد ١٢/٢ والخوائيّ ٣٢٤/٤ والتستريّ ٥١٧/٩ وأبو الفضل ١٨/١ ومغنية ٢٩٥/٣ والشيرازي ٢٣٠/١ والموسوي ٢٦٠/١
(٨) الكيدريّ ٣١٥/١ وينظر: الراونديّ ٢٧٤/١ . (٩) الكيدريّ ٢٥٣/٢ وينظر: الراونديّ ٤٠٢/٢
(١٠) ينظر: الاصوات اللغوية ٨٤ (١١) ينظر: نفسه ١٨ (١٢) ينظر: نفسه ٨٣
(١٣) ينظر: المقاييس ٣٤٨ والقاموس المحيط ٨١٤ (١٤) الحاقّة ١٤

المبحث الثالث

دلالة التكرار الصوتي في شروح نهج البلاغة .

ارتبط التكرار اللفظي ارتباطا وثيقا بالمباحث البلاغية المتصلة بالاعجاز القرآني ، فقد عدّ معظم دارسي الاعجاز القرآني التكرار من محسنات الكلام ولونا من ألوان البديع^(١) ، وهو - أيضا - من مقائل علم البيان^(٢) . واما عند النحويين فالتكرار اللفظي ضرب من التوكيد^(٣) او هو نمط من التخويف والتغليظ^(٤) وله وظيفة في الافهام^(٥) وفائدة في الابلاغ بحسن العناية بالامر^(٦) .

وقد عني القدماء بالتكرار اللفظي او التركيبي ولم يعنوا بالتكرار الصوتي على وفق ما ظهر لدى المحدثين الذين خلصوا الى ان ما يتكرر من الاصوات في بعض النصوص الادبية غالبا ما يكون ذا قيمة فنية ابداعية سواء قصد الناظم ذلك أم لم يقصد ، فربط الصوت المكرر بالمعنى من خلال بيت شعري أو جملة أو عبارة هو أمر جدير بالاهتمام والدراسة ؛ لان ذلك له علاقة وطيدة بالصناعة الأدبية وموسيقى الشعر^(٧) . والمراد بالتكرار الصوتي هو ان تتناوب الاصوات المتماثلة وتعاد في تشكيل اللفظة لتؤدي نغما موسيقيا يقصده الناظم ، والدلالة الصوتية النابعة من جرس الاصوات المكررة تكشف عن القوة الخفية في الكلمة وتفصح عن جانب من شعور الناظم وفكره . وقد اورد ابن جني في باب امساس الالفاظ اشباه المعاني جملة من انماط التكرار الصوتي مقرونة بالدلالة على عدة معان ، منها تكرار الحركات في باب (الفعّالان) دليل على الحركة والاضطراب ((فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال))^(٨) ومنها ان التكرار بالتضعيف يفيد الدلالة على الاستطالة والتكرار بالمضاعف يفيد الدلالة على التقطيع ((قال الخليل : كانهم توهّموا في صوت الجندب استطالة ومدّا فقالوا : صرّ ، وتوهّموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا : صرصر))^(٩) ومنها ((انهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلا على تكرير الفعل ، فقالوا كسّ وقطّع وفتحّ وغلقّ))^(١٠)

(١) ينظر: اعجاز القرآن للباقلاني ١٠٦ ، والعمدة ٧٣/٢ .

(٢) ينظر: المثل السائر ٣/٣ .

(٣) ينظر: الكتاب ٥٠٨/٣ .

(٤) ينظر: معاني الفراء ٢٨٧/٣ .

(٥) ينظر: البيان والتبيين ١٠٤/١ - ١٠٦ .

(٦) ينظر: الصاحبى ٣٤١ .

(٧) ينظر: موسيقى الشعر ٤٩ .

(٨) الخصائص ١٥٤/٢ .

(٩) الخصائص ١٥٤/٢ وينظر: العين ٥٢/١ .

(١٠) الخصائص : ١٥٧/٢ .

وربما تكرر العين للمبالغة في الفعل كقولهم خشن واخشوشن وعشب واعشوشب وحلا واحلولى^(١) وتكرر اللام والعين معا للمبالغة نحو دمكك وصمحمم وعشمشم وعصبصب^(٢) .

وقد اعتنى القرآن الكريم بهندسة الأصوات وطريقة تتابعها لينبتق منها إحياء يُشعر السامع بأن لها حلاوة ولذّة ، لأن تشكيل الأصوات في لفظها المعبر عن معناها منح أي الذكر الحكيم إيقاعا محكما، بل معجزا بذاته . فتكرر صوت السين مثلا في سورة الناس ادى وظيفة ايحائية كاملة بفعل تكراره على مسافات متقاربة يشعر قارئ سورة الناس بوسوسة وهمس دائمين ، فيلمس الحدث الكلامي دلاليا وموسيقيا^(٣) ، والاستماع الى تكرار الباء في (ابابيل) في قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾^(٤) يضع المتلقي في اجواء تلك الموقعة التي هلك فيها جيش ابرهة بحجارة السجيل التي تنطلق من مناقير الطيور وأرجلها ثم تسقط على رؤوس أصحاب الفيل كما لو كانت قذائف مدوية تطلقها المدافع الثقيلة فتسمع لها صوتين : الاول : لحظة الانطلاق ، والآخر لحظة السقوط ، وكذا احياء الباءين في (ابابيل)^(٥) . والمهم في هذا المقام هو التكرار الصوتي على مستوى المفردة وأثره في محاكاة معناها أو الايماء إلى ظلال المعنى كما في (أبابيل) . إذ نبه الشراح على هذه الظاهرة عبر شرحهم مفردات النهج ذات الأصوات المكررة شرحا مرتبطا بجرس هذا التكرار ومستمدا من إيقاعه ونغمه فيأتي معنى اللفظة العام نابعا من جرس التكرار الصوتي فيها أو هو محاكاة لوقع ذلك التكرار في الاذن، وهذا الموضوع يمكن جلاؤه عن طريق سرد أنماط من التكرار الصوتي في ألفاظ النهج بحسب نوع الأصوات المكررة فيها . وثمة نوعان من التكرار الصوتي في الفاظ النهج : هما : التكرار المفرد ، والتكرار المزدوج ، ولذا يمكن تقسيم هذا المبحث على مطلبين :

المطلب الاول : التكرار الصوتي المفرد .

ومن أمثلته التي نبه عليها الشراح :

١ - تكرار النون

صوت النون في العربية صوت أغنّ يتضمن شحنة قوية من النغم المشع كيفما استعمل ، وهو صوت واضح في السمع ، ولوضوحه صلح في باب التوكيد والضماير والترنم والتتوين^(٦) والنون بغنّته وتغير مجرى الهواء عند نطقه من جوف الفم الى جوف الانف يومئ مفردا الى النواح الداخلي ، واذا جاء مكررا ضوعف النواح ليكون أنينا ، وقد اورد الشراح طائفة من الالفاظ التي دلت بالصيغة (فعيل) على معنى الصوت ، ثم كرر فيها النون ليصرف معنى الصوت فيها المستحصل بالصيغة الى معنى النواح الداخلي لدى الانسان ، ومن العجيب ان الرنين والائين والحنين والخنين والطين ، كلها امثلة اكتسبت صفتها من هذا الحرف المكرر . وقد استعمل الامام علي (ع) معظم

(١) ينظر: الخصائص ١٥٨/١ (٢) ينظر: نفسه ١٥٧/١

(٣) ينظر: على طريق التفسير البياني ٥٠-٥١ (٤) الفيل ٣

(٥) ينظر : دلالة الفريد من الفاظ القرآن المجيد ٧٣ . (٦) ينظر : الأصوات اللغوية ٦٦ .

هذه الالفاظ في كلامه ، وقرن كلا منها الى الفاظ اخرى قرنا يمكن الاعتماد عليه في القول: انه الاستعمال الافصح لكل لفظ . اذ قال الامام لما رجع من صفين فسمع بكاء النساء : (أَلَا تَتَهَوَّنُونَ عَنْ هَذَا الرَّئِينِ) (١) وقد فسّر الشّراح الرنين بأنّه صوت المرأة تمّده عند البكاء ، يقال : رَتَّ المرأة رنيناً أي صاحت (٢) ، وأوضح من تلمّس دلالة الرنين على الصوت من الشّراح هو الشيرازي في قوله: ((الرنة مدّ الصوت في حزن أو ما أشبهه)) (٣) ، ويبدو من تصدر الراء لفظ الرنين أنه لفظ يحاكي بكاء المرأة المسموع المرّد المشوب بالمرارة فيطرق الأسماع باستمرار ، ولذا نهى عنه الإمام (٤)

وقال الامام (٤) في خطبة له عند الاستسقاء : (اللَّهُمَّ أَرْحَمْ أَنْيْنَ الْآئِنَةِ وَحَنِينِ الْحَائَةِ) (٤) ، وقد فرق الشّراح بين الأنين والحنين بعد أن ذكروا أنّ الآئنة هي الشاة والحنانة هي الناقة ، وربما كان الراوندي أوضح الشّراح في الإشارة إلى أثر الأصوات في التمييز بين الحنين والانين ، إذ قال: ((... أَن يَدُنْ أَنِينَا وَهُوَ أَكْثَرُ مِنَ الْحَنِينِ)) (٥) ، ويبدو أن الراوندي إنّما فهم أنّ الانين أقوى من الحنين لأنّه أدرك أن جرس الهمزة في (الانين) حنجري وشديد وأعمق من الحاء فلاءم أن يكون الانين أكثر وأقوى لانه صوت يعبر عن الشكوى من الالم لدى الانسان . وقد ذكر الشّراح ان اصل الحنين أن ترجع الناقة صوتها أثر ولدها ، ثم استعير لشدة الشوق لدى الانسان ، وقد يبالغ فيه ليدل على البكاء الخفيف (٦) . وهذا ملمح دلالي آخر يفسر قوة الانين أزاء الحنين لأن الانين في الأصل للإنسان وهو ((الصوت الذي يخرج المريض من فمه من شدة المرض)) (٧) ، فعلى هذا يكون وصف الشاة بالآئنة أما من باب الاستعارة او للزدواج مع الحانة . أو يكون المراد ب (أنين الآئنة) كناية عن معاناة الضعفاء من النساء والأطفال في أيام القحط فيكون الاستعمال حقيقياً .

وقال الامام (٤) في خطبة له عرض فيها لهوان الدنيا : (وَلَا يَخِينَنَّ أَحَدَكُمْ خَنِينَ الْأَمَةِ عَلَى مَا زُوِيَ عَنْهُ مِنْهَا) (٨) والحنين لدى الشّراح هو البكاء من الانف ، وهو وهو للإيماء خاصة لأنهن كثيرا ما يبكين ويسمع الحنين منهن ، والحرّة تأنف من البكاء والحنين ، والحنّة لدى الشّراح كالغنة كلاهما من الانف (٩) .

(١) نهج البلاغة : الحكمة ٣٢٢ ص ٦٦٦ .

(٢) ينظر: الراوندي ٣/٣٩٤ والمعتزلي ١٩/١٣٤ والبحراني ٥/٤٠٣ وعبد ٢/٢٢٢ والخوئي ٢١/٤١٠ وابو الفضل ٢/٣٨١

(٣) الشيرازي ٤/٤١٨ (٤) نهج البلاغة : الخطبة ١١٥ ص ٢١٥ (٥) الراوندي ٢/٣٩٨

(٦) ينظر: الراوندي ٢/٣٩٨ والكيدري ٢/٢٤٤ والمعتزلي ٧/٢٦٤ والتستري ٦/٣٣١ والموسوي ٤/٤٨ وأنصارين ٣/٨١ .

(٧) الشيرازي ٣/٣٨٣ (٨) نهج البلاغة : الخطبة ١٧٣ ص ٣١٢-٣١٣ .

(٩) ينظر: الراوندي ٢/١٥٩ والكيدري ٢/٧١ والمعتزلي ٩/٣٣٢ والبحراني ٣/٣٢٥ والسرخسي ١/١٦٤ وعبد ٢/١٠٨ والخوئي ١٠/١٥٧

ومغنية ٣/٤٨٨ والتستري ١٢/١١ وأبو الفضل ٢/٣٠٩ والموسوي ٣/١٢٣ .

وفرق أنصارين بين الحنين والحنين ، وذلك أنّ ((الحنين صوت البكاء بالفم ، والحنين صوت البكاء بالأنف)) (١) . وهذا الملحظ الدلالي الذي أقرّه أنصارين له ما يعضده في جرس اللفظتين ، فالحاء صوت ينبثق من سدّ المجرى الأنفي برفع

الطبق نحوه ، فيمر الهواء من الفم بصوت الخاء ، ولذا فهو من الحروف المطبقة أو المستعلية، وقد روعي الاستعلاء فيه فصار كأنه صوت أنفي ، وكذا الغين الذي هو النظير المجهور للحاء . أما الحاء فهو صوت مستقل لا ترتفع معه مؤخرة اللسان نحو الطبق ، وهو صوت حلقي ، وقد روعي استقلته ومخرجه الحلقي في نسبته إلى الفم ، وكلا اللفظين من المصادر الدالة على الأصوات ، والفعل (خَنَّ) مضعف وهو ضرب من البكاء يتردد فيه الصوت مشوبا بما يحمل من تأثير الانف.

٢ - تكرار الباء

قال الامام (ع) في صفة الارض ودحوها على الماء: (...أرسله سحاً متداركاً قد أسفَّ هيهبُ تمرِّه الجنوبِ برَّ أهاضيبه وعُفَّ شأبيبه...)^(٢). وقد فسر الشراح الشأبيب بأنه جمع (شؤبوب) ، وهو الدفعة من المطر^(٣). ويرع بعض الشراح في إبراز الدلالة الصوتية المستتبهة من تكرار الباء في جرس (شؤبوب - شأبيب)، قال المعتزلي: ((الشؤبوب: رشّة قويّة من المطر تنزل دفعة واحدة بشدة))^(٤). وقال البحراني: ((الشأبيب جمع شؤبوب وهو الرشقة القويّة من المطر))^(٥)، وهذان القولان يفصلان محاكاة جرس اللفظة معناها ؛ لأنّ الشين في (شؤبوب) يحاكي (رشّة) أو (رشقة) والهمزة محاكاة ل(قويّة) وتوالي الباءين محاكاة للمطر النازل ، ولذا ساغ لبعضهم أن يفسر الشأبيب بالقطرات العظيمة^(٦).

٣ - تكرار الصاد

وقف الشراح على قوله (ع) في الإخبار عن مصير بني أمية : (يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَتَارِهِمْ كَسِيلِ الْجَدِّينِ حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَرَّةٌ وَلَمْ تَنْبُتْ عَلَيْهِ أَكْمَةٌ وَلَمْ يَرُدَّ سَنَّهُ رُصٌّ طَوْدٌ وَلَا حِدَابٌ أَرْضٍ)^(٧) ففسر بعضهم (الطود المرصوص) بأنه شديد الالتصاق^(٨). وشدة الالتصاق في اللفظة (مرصوص) منبثقة من تكرار الصاد بجرسه المطبق الأمامي الذي ترتفع معه مؤخرة اللسان نحو سقف الحنك ، وزاد التكرير من حجم هذه المساحة لتدلّ اللفظة (مرصوص) بجرسها - الذي هيمن عليه صوت الصاد المطبق - على معناها الذي يعني شدة الالتصاق .

(١) أنصاريان ١٦٥/٢ وينظر الخوئي ١٥٧/١٠ . (٢) نهج البلاغة: الخطبة ٩١ ص ١٦٣

(٣) ينظر: الراوندي ٤١١/١ والبحراني ٢٣٠/١ وعبد ١٩٢/١ والخوئي ١٤/٧ ومغنية ٥٠٥/٣ والتستري ٣٨٩/٨

وأنصاريان ٢٩٥/١ وأبو الفضل ١٩٠/٢ والموسوي ٢٦٢/٤ ، ٩٩/٢ والشيرازي ٧٧/٢ ، ٦٤/٤

(٤) المعتزلي ٤٤٤/٦ (٥) البحراني ٣١/٥

(٦) ينظر : السرخسي ٩٧/١ . (٧) نهج البلاغة : الخطبة ١٦٦ ص ٣٠٢ .

(٨) ينظر: البحراني ٢٩٤/٣

٤ - تكرار الجيم

الجيم صوت مركب من الشدة والرخاوة يبدأ شديداً وينتهي رخواً، وذلك بالتصاق وسط اللسان على شجر الفم التصاقاً تاماً لحبس مجرى الهواء ، ثم يفرج وسط اللسان عند موضع التقائه بسقف الحنك ليسمح للهواء بالمرور تدريجياً^(١) . وعند تكرير الجيم بصفته هذه يكون اختزالاً لاصوات طبيعية تفاجئ الأسماع بشدتها ثم تميل تلك الاصوات الى الخفوت والتلاشي تدريجياً ، ومما ورد في متن النهج منها (الرجيح)^(٢) ، (الضجيج)^(٣) (العجيج)^(٤) ، وقد فسر الشراح هذه الألفاظ بأنها أصوات طبيعية ، وميّزوا بينها تمييزاً يعتمد على تعاقب الرء والعين والضاد في أولها فضلاً عن تكرار الجيم في جرسها. فالرجيح صوت الزلزلة وارتجاج البحر أيضاً^(٥) ، ويبدو أنّ الشراح راعوا الاضطراب والحركة المتعاقبة ، ففروا الرجيج بهذا المدلول لما في الرء من ارتعاش لساني . واما العجيج لديهم فهو الصوت المرتفع من الاطفال والبهائم بالصراخ^(٦) ، وهذا المدلول ملائم لجرس العين الناصع بالعويل الجوفي الذي يستدعي المفاجأة بين الحنكين كثيراً وهو أمر يأنف عنه العقلاء . وأورد المعتزلي ملحا دلالياً واضحاً على ما يفيد التكرار الصوتي من دلالة على تكرار الصوت الطبيعي ، قال « العجيج رفع الصوت وكذلك العجّ ، وفي الحديث أفضل الحجّ العجّ والثجّ أي التلبية وارقة الدماء ، وعجّ : صوت ، ومضاعفة اللفظ دليل على تكرير التصويت»^(٧) . واما الضجيج لديهم فهو صوت الصائح عند المكروه والجزع^(٨) . وهذا المعنى منبثق من جرس الضاد ، فهو صوت مطبق انفجاري مفخم^(٩) وعند قرنه بالجيم يحاكي الضجر أو الجزع فيأتي الصوت الطبيعي محاكاة لما يدور في نفس الضاح كأنه انفجار مفاجئ من فرط الجزع وعدم التجلد .

٥- تكرار الشين

قال الامام (ع) في تحريض اصحابه على القتال: (... وَكَأَنِّي أَنْظُرُ لِإِيكُمْ تَكْشُونَ كَشَيْشَ الضَّبَابِ)^(١٠) ، وفسر الشراح كشيش الضباب بصوتها من جلودها لا من أفواهاها؛ لأنها تحك جلودها بعضها ببعض عند الازدحام^(١١) . والكشيش عند المعتزلي صوت يشوبه الخور والضعف وهو مثل الخشخشة^(١٢) واتصاف الكشيش بالخور والضعف له ما

(١) ينظر: الأصوات اللغوية ٧٦ - ٧٧ وعلم الأصوات الغوية ٧٦ ودراسة الصوت اللغوي ٣٣٥

(٢) نهج البلاغة الخطبة ٩١ ص ١٥٦ وينظر: المعتزلي ٤٢٥/٦ والخوئي ٣٧١ /٦ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٢٢٤ ص ٤٣٨ (٤) نفسه الخطبة ١٩٨ ص ٣٩٣ .

(٥) ينظر : البيهقي ١٨٣ والمعتزلي ١٢٠/٦ والسرخسي ٩٢/٢ .

(٦) ينظر: الراوندي ١٧/٢ والمعتزلي ٣٠٠/٤ والسرخسي ١٥/١ والشيرازي ٤٧/٢ وأبو الفضل ٦٠/١ وأنصاريان ١٤٧/٢ .

(٧) المعتزلي ١٨٨/١٠ وينظر: غريب الحديث ٢٩/١ والزاهر ١٢٧/٢ .

(٨) ينظر: البيهقي ٣٢٨ والراوندي ٣٩٧/٢ والكيدري ٢٤٤/٢ والخوئي ٢٩٢/١٤ والشيرازي ٣٨٢/٣ وأنصاريان ٣٧٨/٢ .

(٩) ينظر: الأصوات اللغوية ٤٨ ودراسة الصوت اللغوي ٣٤٧ . (١٠) نهج البلاغة : الخطبة ١٢٣ ص ٢٢٧ .

(١١) ينظر: الراوندي ٣٤/٢ وعبد ٤/٢ ومغنية ٢٧/٣ . (١٢) ينظر : المعتزلي ٣٠٤/٧ .

يعضده في جرس اللفظ ، وذلك بامتداد الشين المكرر وتفشييه وهمسه ، فكل هذه الصفات توحى بضعف صوت الكشيش وخوره ، والمراد بكشيش الضباب في قوله (ي) هو ((حكاية حالهم عند الهزيمة))^(١) ، فكانهم ينسحبون من الميدان خلسة . و فرق كثير من الشّراح بين (كشيش الأفعى) و(فحيحها) ، فذكروا ان الكشيش صوت الأفعى من جلدها اذا تحرّكت ، والفحيح صوتها من فيها إذا هدّدت^(٢) ، وهذا الملحظ الدلالي الذي جاء به الشّراح ملائم لجرسى الشين والحاء ، فالحاء نفحة في الحلق مهموسة لا يلتذّ بسماعها لكزازتها ، وهو صوت صحراوي^(٣) ، فيحاكي صوت الأفعى من فيها ، وبين (الفحيح) و(الأفعى) تناسب صوتي ، فهما يشتركان في الفاء والصوت المعتل ، واما العين فهو النظير المجهور للحاء ، فيبدو أنّ الأفعى سميت بصوتها كالقلق والبط^(٤) .

المطلب الثاني : التكرار الصوتي المزدوج .

أشار ابن جني الى نوع من التكرار الصوتي يفيد الدلالة على تكرير الفعل وترديده ((وذلك انك تجد المصادر الرباعية المضغفة تأتي للتكرير نحو الزعزعة ، والقلقلة ، والصلصلة ، والقعقة ، والصعصعة ، والجرجرة ، والقرقرة ... فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر))^(٥) . وقد ورد في متن النهج عدة الفاظ ضوعفت أصولها تضعيفا بفعل تكرار صوتين فيها لاسيما في باب (الفعللة) الذي يأتي الصوتان الاول والثالث ، والصوتان الثاني والرابع منه متشابهين كالجرجرة والشقشقة والمهممة ، وقد اختصت هذه الامثلة بالدلالة على الاصوات الطبيعية بسبب مضاعفة بنائها الداخلي بتكرار الاصوات فيها . ولما كثرت الفاظ هذا البناء في متن النهج فسر الشراح دلالتها ضمن المحاكاة الصوتية التي تستحصل بتريدي الصوت ، وينبثق نوع الصوت المردد من جرس الاصوات المكررة او البناء المضاعف ، كما في الأمثلة الآتية .

١ - الشقشقة - الجرجرة

قال الامام (ي) في ختم خطبة له عرفت بالشقشقية : (... هَيَّاتَ يَا ابْنَ عَبَّاسِ ! تَلْكَ شِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ)^(٦) ، وفسر الشراح^(٧) الشقشقة بكسر فسكون فكسر بانها شيء كالرئة يخرجها فحل الإبل من فيه إذا هاج ، ويسمى الصوت المسموع منها بالشقشقة بفتح فسكون ففتح ، ويقال للخطيب : ذو شقشقة تشيها له بالفحل . والمراد بقوله (ي) : (شِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ) أنها سورة التهبت ثم خمدت .

(١) عبده ٤/٢ . (٢) ينظر : الراوندي ٣٤/٢ والمعتزلي ٣٠٤/٧ والبحراني ١١٤/٣ وعبده ٤/٢ والخوئي ١٥٤/٨

والتستري ٦١/٥ وأنصارين ٢٦٩/٢ وأبو الفضل ٢٨٦/١ والموسوي ٣٣٩/٢ .

(٣) ينظر : الأصوات اللغوية ٨٨ ودراسة الصوت اللغوي ٣٩٨ (٤) ينظر : الخصائص ١٦٧/٢ .

(٥) نفسه ١٥٢/٢ (٦) نهج البلاغة: الخطبة ٣ ص ٣٣ .

(٧) ينظر : الراوندي ٣١/١ والكيدري ١٦٥/١ والمعتزلي ٢٠٥/١ والبحراني ٢٥٤/١ وعبده ٤٢/١ والخوئي ١١٣/٣ ، ١٦٥/٧

والتستري ٢٦٦/٥ ومغنية ٩٣/٢ والشيرازي ٧٦/١ وأنصارين ٨٠/١ والموسوي ١٦٨/٢ وأبو الفضل ٣٥/١ والسامرائي ٢٢٤ .

وقريب من الشقشقة في محاكاة أصوات الجمل (الجرجرة) وهي في قوله (ج) في خطبة له لما غزا النعمان بن بشير - وهو من أصحاب معاوية- عين التمر : (... فَجَرَجَرْتُمْ جَرَجْرَةَ الْجَمَلِ الْأَسْرِّ ...) (١) والجرجرة في الأصل لدى الشراح صوت يردده البعير في حنجرته ، وأكثر ما يكون عند الإعياء والضجر ، واما الاسر فنوع من المرض في زور البعير يفسد صوته ، ثم استعير في قوله لكثرة تمللمهم وشدة تضجرهم من ثقل ما يدعوهم اليه (٢) . وهنا دل جرس كل لفظة على معناها مع انها في الاصل صوتان للجمل ، فالشقشقة امضى واقوى وابين من الجرجرة ؛ لان الشقشقة صوت الجمل الهائج ، ولذا وصفت بالهدير في قوله (ج) المذكور آنفا ، واما الجرجرة فصوت الجمل الذي اعتراه سقم في أعلى صدره فذهب بصوته ولذا وصف بالجر . والجرس المضعف للشين والقاف يوميء الى انشقاق مجرى الهواء في الجوف بفعل قوة الصوت الشائع في المحيط أما جرس الجيم والراء المضعف فيوحي بالتثاقل والضجر وترديد المقاطع في مواضعها من النطق .

٢ - الحمحة - الخمخمة - الهمهمة .

وقف الشراح على قوله (ج) في خطبة له يخبر فيها عن ثورة الزنج : (كَأَنِّي بِهِ وَقَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ الَّذِي لَا يَكُونُ لَهُ غَبَارٌ وَلَا لَجَبٌ وَلَا قَعْقَعَةٌ لُجْمٍ وَلَا حَمْدَمَةٌ خَيْلٍ) (٣) . ففسروا الحمحة بأنه صوت الفرس وهو دون الصهيل وذلك إذا طلب العلف أو رأى الذي يأنس به (٤) ورواه فريق منهم (الخمخمة) بخاءين وفسره بأنه صوت الفرس إذا قصر في الصهيل (٥) وقد لاعم جرس الحاء في الحمحة الدلالة على الصوت الذي يصدره الفرس في طلب العلف او عند ترحابه بمن يأنس به والحمحة للفرس بمنزلة (الحنين للناقة) اما الخمخمة فجرس الخاء فيها يوحي الى اشتراك الانف في اصدار الصوت وهي بمنزلة (الحنين) الذي هو بكاء الإماء ، ويبدو ان الخمخمة انما كانت صوتا يعقب صهيل الفرس لان الخيول في صهيلها تبذل الجهد والنفس حتى اذا فرغت منه رجعت زفيرها وتهافت صهيلها ليؤول الى الخمخمة التي هي مزيج من شهيق من الفم وزفير من الانف .

وفي قوله (ج) : (... وَهَمَاهِمٌ كُلُّ نَفْسٍ هَامَةٌ) (٦) وفسر الشراح الهماهم بأنه جمع همهمة وهي ترديد الصوت في الصدر والهمهمة صوت خفي يسمع ولا يفهم منه شيء (٧) . ويبدو جرس اللفظة دالا على معناها ، فكان الصوت هو هاء مهتوتة هشة يصل صداها الى الشفتين فيرجع باطباقهما بالميم الى الجوف مرة اخرى فلا يفهمه احد .

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٣٩ ص ٨٢ .

(٢) ينظر : الراوندي ٢٥١/١ والكيدري ٢٧٩/١ والمعتزلي ٣٠١/٢ والبحراني ١٠١/٢ ومغنية ٤٧٢/١ والسامرائي ١٠٩ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٢٨ ص ٢٣٣-٢٣٤ .

(٤) ينظر : عبده ١٤/٢ ومغنية ٧٢/٣ والشيرازي ٢٧٥/٢ وأنصاريان ٤٢٧/١ والموسوي ٣٦٤/٢ وأبو الفضل ٢٧٩/١ .

(٥) ينظر : الخوئي ٤٠٨/٨ (٦) نهج البلاغة الخطبة ٩١ ص ١٦٨ .

(٧) ينظر : البيهقي ٥٥ والكيدري ١٤٥/٢ والبحراني ٤٠٣/٣ والسرخسي ٩٩/١ ومغنية ٣٢٤/٥ وأنصاريان ٣٠٣/١ .

٣ - القلقة - القعقة

قال الامام (ع) في بعض ايام صفين : (قَلَقُوا السُّيُوفَ فِي أَغْمَاهَا قَبْلَ سَلْهَا) ^(١) والقلقة لدى الشّراح صوت تحريك السيوف في أغمادها لئلا يصعب سلّها من طول مكثها في الاغمد ، وهي محاكاة لصوت تحريك السيوف في غمده ^(٢) لان انبثاق حركة السيف ابتداء كأنه جرس القاف والحياد عن الاستمرار بالحركة والميل نحو نقطة البدء كأنه صوت اللام ومن هنا صلح القلقة مصطلحا في باب التلاوة في اصوات (قطب جد) لأنها اصوات (تحفّز في الوقف وتُضغَط من مواضعها) ^(٣) . وقريب من القلقة في محاكاة صوت السلاح (القعقة) وهي في قول الامام (ع) يخبر به عن ثورة الزنج : (لا لَجَبٌ ولا قَعْقَعَةٌ لُجْم) ^(٤) وقعقة اللجم عند الشّراح صوتها عند الحركة وهو ما يسمع من صوت اضطراب اللجم بين اسنان الخيل ثم شاع لدى العرب استعمال القعقة لصوت السلاح ووجه الشبوح ان وقع السيف على السيف امضى في السمع من اضطراب اللجام في اسنان الفرس ^(٥) . وتشكيل القاف والعين انصع في السمع وامضى في الحس من تشكيل القاف واللام ومن هنا صلح القعقة لمحاكاة صوت السلاح في الحرب وصلح القلقة لمحاكاة صوت تحريك السيف في غمده .

وورد في متن النهج من نظائر (القلقة) عدة الفاظ منها البلبلة لتفرق الالسن والجلجلة لصوت الرعد والزلزلة لتشقّق الارض فالبلبلة وردت في قوله (ع) : (تَبْلُبُلُنْ بَلْبَةً وَتَغْرِبُلُنْ غَرْبَةً) ^(٦) وفسرها اكثر الشّراح بالاختلاط يقال : « بلبلت الالسن بمعنى اختلطت ، أي خلط بعضهم ببعض فإنّ الأحداث تخلط الناس اعاليهم بادانيهم » ^(٧) وفسرها فريق منهم بالاختلاف والتفرّق ^(٨) وفسرها بعضهم بوساوس الصدر ^(٩) أو الالقاء في الهمّ الشديد ^(١٠) أو التحريك بالشّدائد والنوائب ^(١١) والراجح ان يكون بلبلة الالسن هو تفرّقها لأن الامام (ع) لم يرد الاختلاط بل التفرّق والتشتت وتنمة قوله (ع) يشهد على التفرّق الشديد وهو الغربة التي هي كناية عن التمزيق الذي لا يسلم منه الا الصالحون ^(١٢) .

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٦٦ ص ١٠٤

(٢) ينظر : المعتزلي ١٦٩/٥ والبحراني ١٧٩/٢ والسرخسي ٧٧/١ وعبد ١٢٤/١ والخوئي ٢٣/٥ ومغنية ٣٣٥/١ والتستري ٥٣١/٣ والشيرازي ٢٦١/٢ وأنصاريان ١٩٢/١ وأبو الفضل ١٣٢/١ والموسوي ٣٨٨/١ .

(٣) الموضح في التجويد ٩٤ .

(٤) نهج البلاغة الخطبة ١٢٨ ص ٢٣٣ . وينظر : البيهقي ٢١٩ والرواندي ٤٤/٢ والمعتزلي ١٢٥/٨ والبحراني ١٣٧/٣ .

(٥) ينظر : عبده ٢٦٢/١ والخوئي ٢٠٤/٨ والشيرازي ٧٥/٢ وأنصاريان ٤٣٠/١ وأبو الفضل ٢٩٧/١ والموسوي ٣٦٤/٢ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١٦ ص ٤٤ .

(٧) المعتزلي ٧٤/١ . (٨) ينظر : البيهقي ٩٧

(٩) ينظر : السرخسي ٥٨/١ (١٠) ينظر : الخوئي ٢١٨/٣

(١١) ينظر : الرواندي ١٦٨/١ والكيدري ٢٠٠/١ . (١٢) ينظر : عبده ٥٣/١

٤ - الوحوة - الوعوة

وقف الشّراح على قوله (هـ) في مدح أهل الكوفة لما هزموا جند الشام : (وَظَدَّ شَفَى وَحَاوَحَ صَدْرِي أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخْرَةٍ تَحُورُونَهِمْ كَمَا حَازُوكُمْ)^(١) وتكاد تطبق اقوالهم على ان الوحوحة صوت فيه بحة أو خشونة أو شكاية يصدر عن المتألم . وتقرّد الراونديّ بذكره أصل استعمال اللفظ وهو وحوح الرجل اذا نفخ في يده من شدة البرد^(٢) وفي خطبة للامام (هـ) في لوم اهل الكوفة لتقاعسهم عن قتال العدو: (أَطْرُكُمَ ظَى الْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَتَفَرُّونَ عَنْهُ قُورَ الْمَعْرِى مِنْ وَعَوْعَةِ الْاَسَدِ)^(٣) لم يفصل الشّراح معنى وعوعة الاسد واكتفوا بتفسيرها بصوت الاسد^(٤) ويبدو من جرس اللفظة فضلا عن سياق الكلام انها ادنى صوت يصدره الاسد وهو يكفي لنفور المعزى ويستدل على معنى الوعوعة هذا بنظيره الوحوحة الذي طول الشّراح في تفسيره بانه صوت اقرب الى الخفاء والضعف لانه بحة وشكوى في جوف الانسان .

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٧ ص ١٩٥ .

(٢) ينظر: البيهقيّ ٢٠١ والراونديّ ٤٥٨/١ والبحراني ٣٦/٣ والسرخسي ١٠٩/١ وعبد ٢٥٨/١ والخوئي ٢٧٥/٧ ومغنية ٤٣٣/٢ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٣١ ص ٢٣٧-٢٣٨ .

(٤) ينظر : المعتزليّ ٢٦٤/٨ والبحراني ١٤٨/٣ وعبد ٢٦٧/١ و٢٠/٢ والخوئي ٢٥٦/٨ ومغنية ١٠٨/٣

والتستريّ ٤٥٣/٦ وأنصارين ٢٦/٢ والشيرازي ٢٨٨/٢ والموسوي ٣٨١/٢ وأبو الفضل ٣٠٤/١ .

المبحث الرابع

دلالة الأداء الصوتي في شروح نهج البلاغة .

المطلب الاول : دلالة النبر في شروح نهج البلاغة.

النبر في اللغة هو العلو والارتفاع وكل شيء رفع شيئاً فقد نبره ومنه المنبر لعلوه ، او لرفع الصوت فيه^(١) . ويبدو ان هذه الدلالة الواسعة خصصت - اولاً - لدى العرب برفع الصوت ، يقال : نبر الرجل نبرة اذا تكلم بكلمة فيها علو^(٢) ثم خصصت الدلالة - ثانياً - باستعمالهم النبر بمعنى الهمز ، والنبرة هي الهمزة^(٣) . ووجه التخصيص أن الهمزة تنطق بضغط الوترين على مجرى الهواء فساغ تسمية الهمز بالنبر لوجود الضغط الموجب لرفع الصوت. والنبر مصطلح حديث ولم يعرفه القدماء ملمحاً تمييزياً بين الكلمات ، بل لا يعلم كيف كان العرب ينبرون كلماتهم لأن اللغويين القدماء لم يهتموا بتسجيل هذه الظاهرة^(٤) لكن المحدثين من علماء العربية أقرّوا وجود النبر في العربية بعد ان نقلوا المفهوم والتعريف به عن الغربيين . ثم خلصوا الى أن النبر يعني « الضغط على مقطع معين بزيادة العلو الموسيقي او التوتر او المدة او عدد من هذه العناصر معا بالنسبة الى عناصر المقاطع المجاورة ذاتها»^(٥) . ثم فرق اكثرهم بين نوعين من النبر: الاول هو نبر الكلمات ومعه « لا تختلف معاني الكلمات العربية ولا استعمالاتها باختلاف موضع النبر فيها»^(٦) والآخر هو نبر الجمل وهو ان يعمد المتكلم الى كلمة في جملته فيزيد من نبرها ويميزها على غيرها من كلمات الجمل رغبة منه في تأكيدها او الاشارة الى غرض خاص^(٧) ومع نبر الجمل تختلف دلالة الجملة او الغرض منها تبعا لاختلاف الكلمة المنبورة فيها وقد مثل ابراهيم انيس لذلك بقوله : « هل يعقل ان تتضح العين في وسط الصحراء في ثوان » فهذه الجملة الاستفهامية الطويلة لا يتضح معنى الاستفهام على نحو دقيق فيها دون رفع الصوت باحدى كلماتها لتبيان محل الاستفهام فيها وهكذا تتعدد أنماط الاستفهام في هذه الجملة تبعا لانتقال موضع النبر فيها من كلمة إلى اخرى^(٨) .

(١) ينظر : الصحاح ١٠١٥ .

(٢) ينظر : نفسه

(٣) ينظر : الجمهرة ٨٣٠/٢ (همز) والصحاح (نبر) .

(٤) ينظر : دراسة الصوت اللغوي ٣٠٨ وينظر : التطور النحوي ١٧ والعربية الفصحى ٤٩

(٥) دروس في أصوات العربية ١٩٤ وينظر : والقراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ٢٦

ومعجم اللسانيات الحديثة ١٣٣ - ١٣٤

(٦) الأصوات اللغوية ١٧٤ وينظر : مناهج البحث في اللغة ١٩٥

(٧) ينظر : الأصوات اللغوية ١٧٤ مناهج البحث في اللغة ١٩٥

(٨) ينظر : دلالة الألفاظ ٤٦ - ٤٧

وعلى الرغم من اهتمام معظم علماء اللغة المحدثين بالنبر نجدهم يبادرون الى الشكوى من صعوبة الخوض في هذه الظاهرة لأن « دراستها في العربية الفصحى تتطلب شيئاً من المجازفة لان العربية الفصحى لم تعرف هذه الدراسة في قديمها ولم يسجل لنا القدماء شيئاً بشأنها»^(١) . وتتضح صعوبة الخوض في موضوع النبر من انه « في العربية من

النوع غير التمييزي اي لا تأثير له في المعنى وأنه وأن كان يسهل على السامع تمييزه فانه يصعب في الوقت نفسه على الدارس تحديده وتقعيده وهو أمر عانى منه الاصواتيون المحدثون من العرب وغيرهم^(٢). ومما يزيد من صعوبة تلمس النبر في التراث العربي الفصيح انه ظاهرة صوتية شاعت في الكلام المنطوق وقلما يدرك في المكتوب لان الكتابة لا تصور رفع المنكلم صوته او ضغطه على موضع معين من جملته^(٣) وقد يعتمد الباحثون عند تلمس النبر في النص المكتوب الى الشرح الطويل لتوضيح المراد ، وقلما يهتدي الباحث الى موضع النبر في النص المكتوب كما أراده قائله ؛ لان الاهتداء الى النبر بعد فقدان الاستماع الى النص المنطوق يحتاج الى ذائقة لغوية سليمة والى بعد نظر وقدرة على التأمل ، بل يعتمد على الحدس والتخمين أحيانا وليس ادل على ذلك من اختلاف علماء الصوت المحدثين في تحديد مواضع النبر في بعض الفاظ العربية كالخلاف بين ابراهيم انيس وتمام حسان في تحديد موضع النبر في الكلمات التي تنتهي بمقطع مغلق قبله مقطع قصير نحو (شَجْرَة) ، فابراهيم أنيس يوقع النبر على المقطع الثالث من الأخير وهو /ج - َ / على حين يوقعه تمام حسان على الرابع من الأخير وهو /ش - َ /^(٤).

وعلى وفق ما سبق يمكن القول :إنّ شراح النهج لم يصرحوا بمسألة النبر بنوعيه - نبر الكلمات ونبر الجمل - تصريحاً بينما بل المحوا الى ذلك وكوّنا عنه بأقوال يمكن حملها على إنها تدخل في ما عرف لدى المحدثين بالنبر وأوضح ما أثار عنهم في هذا الموضوع تفريقهم بين الألفاظ المهموزة وغير المهموزة تقريبا يومئ الى أثر النبر بمعناه الاصطلاحي القديم: (الهمز) في استقرار الدلالة وتخصيصها بعد ان كانت عامة مرسلة بغير النبر (الهمز) وهذا الملحظ يدرك في طائفة من الفاظ العربية يكسبها النبر (الهمز) نوعا من التخصيص كالفرق بين تاريخ وتأريخ فالمهموز خاص بزمن محدّد دلّ على حدث معروف والآخر عام يدل على مطلق الزمن الغابر^(٥) ومن هنا نهى النبي محمد (صلّى الله عليه وآله) احدهم عن ان ينبر باسمه اذ قال: يا نبيء الله^(٦) ؛ لان الهمز تخصيص وتضييق للنبوة بالنبا فقط ، أما عدم الهمز في (نبي الله) فيدلّ على علو المقام والمنزلة الرفيعة عند الله وبين الناس فضلا عن نقل الرسالة وإبلاغها وهذه معان تفوق معنى النبا بمعنى الخبر .

(١) مناهج البحث في اللغة ١٩٧ وينظر: العربية الفصحى ٤٩ وعلم الأصوات اللغوية ١٣١.

(٢) المدخل إلى علم الأصوات العربية ٢٥٥ . (٣) ينظر: علم الدلالة (بالمر) ٢٢ .

(٤) ينظر: الأصوات اللغوية ١٧٠ ومناهج البحث في اللغة ١٩٦

(٥) ينظر: النبر في اللغة العربية ٤٧ .

(٦) ينظر: تصحيح الفصحى /١ ٣٤٤ والخصائص /١ ٣٨٤ والإتقان /١ ٩٨ والمنهج الصوتي للبنية العربية ١٧٣ .

لقد كثرت أمثلة النبر بمعنى الهمز لدى الشّواخ الذين أطبقوا على تخصيص الدلالة في الكلمات المهموزة بعد ان كانت عامة بغير الهمز . من ذلك ان الشّواخ لما اوردوا قوله (ي) في وصية له لابنه الحسن (ي) : وَأَكْرَمَ نَفْسِكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ وَإِنْ سَقَّكَ إِلَى الرَّغْبِ^(١) فرّقوا بين الدنيء بالهمز والدني بلا همز بأن المهموز ذو دلالة خصصت بالهبوط

والانحطاط لانه من الدناءة والخسة وغير المهموز نو دلالة مطلقة عامة تدل على مطلق القرب من المكان لانه من الدنو بمعنى القرب^(٢) وبمقدار رقي المكان وهبوطه تكتسب اللفظة (دني) معناها الدقيق إذ يقال : دني من الخير ودني من الشر وفي هذا التطويل نوع من التخصيص الذي يقترب من الهبوط احيانا .

ولما وقف الشراح على قوله (هـ) في خطبة عرض فيها للحج : (وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلَهُ قِبَةً لِلْأَنْبِيَاءِ يُرِيدُونَهُ وَرُودَ الْأَنْعَامِ وَهَذَا وَنَ إِلَيْهِ طُؤُهُ الْحَمَامِ)^(٣) روى فريق^(٤) منهم (يولهون) بالواو وهو مضارع من الوله بمعنى الوجد وروى فريق^(٥) اخر (يألهون) بالهمز ويحتمل معنيين: الاول ان يكون مشتقا من الوله ايضا ولكنه بالهمز يفيد الدلالة على الوله الشديد حتى يكاد العقل يذهب ويعضد هذا الوجه وجود الواو فاء للمصدر (وله) المذكور بعده وهنا تخصيص للدلالة بعد ان كانت مطلقة في يولهون والثاني ان تكون الهمزة في يألهون أصلية يقال: اله ياله كفرح يفرح بمعنى فزع ولاذ^(٦). ومنع الشراح ان يكون يألهون مضارعا من الألوهة بمعنى العبادة لأن هذا المعنى غير متأت للحمام إلا على المجاز والمعنى عكف عليه كأنه يعبده^(٧) وفيه تمحل وبعد في المجاز وهو مردود بالاشتقاق (وله) الحمام وهذا دليل على ان الواو فاء للكلمة^(٨). ويفهم من ميل الشراح الى تلمس اكثر من وجه لتفسير اللفظ المهموز يألهون انهم يدركون اختلاف المعنى بين اللفظ المهموز وغيره وهذا قادم الى تخصيص الدلالة في يألهون تارة وتوجيه اللفظ الى معنى اخر تارة اخرى.

ووقف الشراح على قوله (هـ): (وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أَحِبُّ الْإِطْرَاءَ وَأَسْتَعِ الْنِّثَاءَ)^(٩). وذكروا أن الإطراء يحتمل أن يكون مصدر أطريت فلانا اذا مدحته بأحسن ما فيه وبالغت في مدحه وجاوزت الحد بالثناء عليه ويحتمل ان يكون مصدر اطرات بالهمز بمعنى مدحته فحسب^(١٠) وهنا افاد نبر عين الفعل (أطراته) تخصيص

(١) نهج البلاغة الرسالة ٣١ ص ٥٠٨ .

(٢) ينظر : الراوندي ١١٤/٣ والمعتزلي ٩٤/١٦ والبحراني ٤٥/٥ وعبد ٥٣/٢ والخوئي ٣٠/٢٠ والسرخسي ٢٥٩/١

ومغنية ٩١/٣ والتستري ٣٩٥/٨ والشيرازي ٧٠/٤ وأبو الفضل ١٩٣/٢ والموسوي ٢٦٢/٤ .

(٣) نهج البلاغة الخطبة ١ ص ٢٤ . (٤) ينظر : المعتزلي ١٢٣/١ وأبو الفضل ٢٤/١ والسامرائي ٣٦٧ .

(٥) ينظر : الراوندي ١٠٦/١ والبحراني ٢٢٣/١ والسرخسي ٤٤/١ والخوئي ٢٣/٢ .

(٦) ينظر : التستري ١١٢/١ وعبد ٣١/١ . (٧) ينظر : التستري ١١٢/١

(٨) ينظر : المقاييس ٨٤ ، ١١٠٤ ، والقاموس المحيط ١١٤٤ . (٩) نهج البلاغة : الخطبة ٢١٦ ص ٤٢١

(١٠) ينظر : البيهقي ٣١٨ والراوندي ٣٥٧/٢ والمعتزلي ١٠٢/١١ والبحراني ٤٦/٤ والسرخسي ١٨٣/١ وعبد ٤٦٢/١ والخوئي

١٥٠/١٤ ومغنية ٢٧٤/٣ والتستري ٤٤٦/٦ وأبو الفضل ٢٦/٢ والشيرازي ٣٨٣/٣ والموسوي ٤٩٦/٣ وأنصاريان ٤٤٧/٢ .

الدلالة على حدث واحد هو المدح لمرة واحدة في مناسبة معينة وهذا مفهوم من ضيق مجرى الهمزة وانحسار جرسها أما أطريته فيدل على تواصل المدح وتواليه والمبالغة فيه وهو معنى يفهم من اتساع مجرى الياء وامتداد جرسه .

ووقف الشّراح على قوله (ع) في توبيخ أصحابه : (كَمْ أُدَارِيكُمْ كَمَا تَنَارَى الْبِكَّارُ الْعَمْدَةَ وَالنِّيَابُ الْمُتَدَاعِيَةَ)^(١) ففسّروا المداراة بالمشاشاة مع الآخرين وعضّ الطرف عن عقوبتهم ومقاطعتهم^(٢) . وبرز الراونديّ بين الشّراح في هذا الموضوع بقوله: ((المداراة بالهمز المدافعة وبغير الهمز الملاينة))^(٣) . وهنا قلب نبر المقطع /ر - ّ / معنى اللفظة الى الضد وهو الدفع لان الدرء هو الدفع على حين افاد عدم الهمز فيه ان تدل اللفظة على استعمال اللين واللفظ مع الاخرين . وجرس الهمزة بما فيه من انطباع حنجري يقطع النفس في موضع النطق يوميئ الى التدافع على حين لاعم جرس الالف الممتد بلا عائق الدلالة على اللين وقد سمّي العرب نظيري الألف وهما : الواو والياء حرفي لين إذ سبقا بحركة مغايرة أو اذا تحركا.

وكلّ ما سبق ذكره يدخل في نبر الكلمات وثمة نوع آخر من النبر لم يهتد إليه الشّراح على الرغم من كثرة أمثله في متن النهج هو نبر الجمل وتظهر أمثله جلية في قوله (ع) لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل : (تَرَوُلُ الْجِبَالُ وَلَا تَزُلُّ ! عَضُّ عَلَى نَاجِدِكَ ، أَعْرِ اللهُ جُمَّمَتَكَ ، تَدُ فِي الْأَرْضِ قَدَمَكَ)^(٤) فالقارئ يدرك أنّ ثمة كلمة هيمن جرسها على أجزائها في التركيب فصار معنى التركيب العام مؤتلفا لأجلها لأنها اختصار لتطويله . ولو تتبعنا قوله (ع) كلمة فأخرى لأدركنا ان لفظه (ولا تزل) تستدعي رفع الصوت بها إشعارا بالثبات وتأكيدا على عدم الزوال البتة وان الكلمة (عضّ) في الجملة الثانية تنبثق صادحة بأسلوب الامر الحقيقي الذي يستدعي القيام بالفعل على وجه الاستعلاء بغية بعث العزيمة ودفع الهمة . وان لفظ الجلالة (الله) يستدعي نطقه مد الصوت وتطويله بغية تأكيد معنى الإيمان والتوحيد والشهادة وأشعار المتلقي بأنه تعالى أولى بأن تبذل له الجماجم والأرواح لأنه خالقها ابتداء وقابضها أخيرا . وكلمة (تد) التي تشكل وحدها مقطعا مغلقا يشعر معناها بأن ما بعدها من الالفاظ (في الأرض قدمك) تأكيد لها وعضد لمعناها ومن هنا لابدّ من رفع الصوت بأسلوب الامر الحقيقي في (تد) للتدليل على هيمنة جرس اللفظة على سائر أجزاء التركيب .

ومثل هذا قوله (ع) في ذمّ ناس وصفوه بالكذب : (قَاتَلَكُمْ اللهُ فَعَلَى مَنْ أَكْذَبُ ؟ أَعَلَى اللهِ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَفَّقَ)^(٥) وفي هذين السؤالين وجوابهما أربع كلمات تستدعي نطقا بصوت مرتفع او متموج

(١) نهج البلاغة الخطبة ٦٩ ص ١٠٧ .

(٢) ينظر : البيهقي ١٤٥/١ والمعتزلي ١٠٣/٦ والبحراني ١٨٨/٢ والسرخسي ٧٧/١ وعبد ١٢٧/١ والخوئي ١٢١/٥

ومغنية ٣٤٣/١ والتستري ٥٨٥/١٠ والشيرازي ٢٧٠/١ والموسوي ٤٠٩/١

(٣) الراوندي ٢٩٥/١ . (٤) نهج البلاغة : الخطبة ١١ ص ٤٠ . (٥) نفسه : الخطبة ٧١ ص ١٠٩ .

بارتفاع بغية إبراز معنى الإنكار والاستهزاء والسخرية من الذين نعتوه بالكذب ف(الله ونبيه) يقرآن بتموُّج الصوت في السؤال الإنكاري لإظهار الدهشة والاستغراب والإنكار و(أول) في الموضوعين تقرأ بإشباع التشديد بالواو ورفع الصوت بمقدار كاف لإبراز سبقه (ع) الى الإيمان بالله والتصديق بنبيه .

وثمة محاولة جديرة بالذكر قام بها عبد الصبور شاهين الذي انتقى مقطعاً من خطبة الامام (ع) في ابتداء الخلق قال فيها : (فَمَنْ وَصَفَ اللَّهُ سُبْحَانَ فِدْقَرَنهُ وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَاهُ وَمَنْ ثَنَاهُ فَقَدْ جَزَّاهُ وَمَنْ جَزَّاهُ فَقَدْ جَهَّاهُ وَمَنْ جَهَّاهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّاهُ وَمَنْ حَدَّاهُ فَقَدْ عَدَّاهُ وَمَنْ قَدَّاهُ فَيَحْفَقُ ضَمَنَهُ وَمَنْ قَالَ عَلامَ فَقَدْ أَخْطَى مِنْهُ ، كَانِنٍ لَا عَن حَدَثٍ مَوْجُودٍ لَا عَن عَدَمٍ مَعَمَّ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ وَغَيْرِ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُزَايَلَةٍ) (١) . ثم تلمس شاهين مواضع النبر بنوعيه نبر الكلمات ونبر الجمل ، واجتهد في اضافة نوع من الدلالة على كل موضع ثم خلاص الى القول : « للقارئ أن يتخيل أداء هذه الجمل المتتابعة على نحو يشد إليها أسماع الناس ويستأثر بإعجابهم » (٢) .

المطلب الثاني : التنغيم في شروح نهج البلاغة

التنغيم تفعيل من النغمة التي هي جرس الصوت وحسنه في القراءة (٣) وفي الاصطلاح هو « عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حدث كلامي معين » (٤) أو « هو تغيير في الأداء بارتفاع الصوت وانخفاضه في أثناء الكلام العادي للدلالة على المعاني المتنوعة في الجملة الواحدة » (٥) ومعظم التعريفات تجمع على أنه ارتفاع الصوت وانخفاضه في أثناء الكلام (٦) . وهو من مصطلحات الصوت التي تغير المعنى فتبرز الدلالة الصوتية جلية مع تنغيم الكلام لا سيما في التراكيب المتشابهة في طريقة استعمال الكلمات ونظمها كالخبر والنفي والاستفهام والتعجب باستعمال الاداة ما وذلك « ان العرب ترفع الصوت بما النافية الجاحدة وتخضع الصوت بالخبرية وتمكن بالاستفهامية بحيث يصير بين اي بين النافية والخبرية... » (٧) .

وعلى الرغم من ان جل الاصواتيين المحدثين فصلوا بين النبر والتنغيم في كتبهم نجد اقوالهم قد تداخلت في تقعيدهم لهاتين الظاهرتين فضلا عن التمثيل لهما بل وصل التداخل احيانا الى الاصطلاح للظاهرتين فسمى بعضهم التنغيم بالنبر الموسيقي (٨) ويلحظ هذا التداخل جليا من حد فريق من العلماء نبر الجمل بانه رفع الصوت باحدى كلمات الجملة (٩) وهذا الحد يدخل المسألة في موضوع التنغيم ذلك ان رفع الصوت بكلمة معينة من الجملة يواكب

(١) نهج البلاغة الخطبة ١ ص ١٨ . (٢) علم الأصوات / الدراسة ٢٠٠ .

(٣) ينظر : الصحاح ١٠٥٦ والمصباح المنير ٦١٤/١ .

(٤) أسس علم اللغة ٩٣ (٥) علم الأصوات اللغوية ١٣٧

(٦) ينظر : دراسة الصوت اللغوي ١٩٤ ومناهج البحث في اللغة ٦٤ وعلم اللغة العام / الأصوات ٢١٢ والمدخل إلى علم اللغة ١٠٦ .

(٧) المدخل إلى علم أصوات العربية ٢٥٧ وينظر : المختصر في أصوات العربية ١٧٧

(٨) ينظر : علم الأصوات ، الدراسة ٢٠٩ . (٩) ينظر : الأصوات اللغوية ١٧٤ .

خفضه في كلمات اخرى فيتدرج صوت المتكلم بين الارتفاع والهبوط وهو ينطق جملة وهذا ابين حدود التنغيم على وفق ما قال تمام حسان : « التنغيم هو ارتفاع الصوت وانخفاضه في أثناء الكلام » (١) . وما يهمننا في هذا المقام أن للتنغيم في العربية أهمية كبيرة في التفريق بين المعاني - فضلا عن التمييز بين الأساليب التي يأتي نظمها موحدًا

فتختلف دلالتها بحسب نوع التنغيم المصاحب نطقها - يكون التنغيم هو الفيصل في الاهتداء الى عدة اغراض اخرى لانظهرها الكتابة كالتنغيم والزرجر والموافقة والرفض والاستغراب والدهشة^(٢) . ولذا اجتهد الكتبة العرب في انشاء علامات تعين على فهم المكتوب فهما دقيقا سموها علامات الترقيم .

وللقدماء جهود بينة في هذا الموضوع وان فاتهم الاصطلاح الدقيق له فهو يتضح لدى سيبويه^(٣) من تنوع الدلالة في التركيب الواحد في مثل قول القائل: أتاني رجل . فيقال له : ما أتاك رجل . فهذا يحتمل الاخبار عن العدد أو الجنس او النوع . وألمح الجاحظ^(٤) الى أثر لغة الجسم من الاشارة باليد والرأس والتفنتل والتثني في فهم التركيب وهذه التعبيرات تصاحب نغمة الكلام فتعين على مقصد المتكلم من عبارته . ويقتررب ابن جني^(٥) من الاصطلاح لهذه الظاهرة بعد أن سماها مطلا وتمطيطا في الصوت .

وتظهر اهمية التنغيم في متن النهج بوضوح في عدة مواضع أولها: التفريق بين الجملة الخبرية والجملة الاستفهامية والجملة التعجبية ، وقد تنبه الشراح على ان فقدان النغمة سوغ لهم القول بتعدد الواجه الكلامية في تفسير بعض تراكيب النهج. وثانيها : خروج الاساليب الطلبية عن دلالاتها الحقيقية الى دلالات اخرى وحينئذ فان التنغيم هو الفيصل في التمييز بينها. والآخر : الافصاح عن خواص مسائل التحذير والاعراء والنداء والندبة والاستغاثة فهذه المسائل يدل التنغيم عليها على نحو جلي. وقد استدلل الشراح بالتنغيم فضلا عن السياق في شرح متن النهج وفهم معانيه فميزوا بين أساليبه بدقة والمحوا الى اثر التنغيم في التدليل على المدلول الدقيق لجملة من التراكيب التي يوحي ظاهرها بمعنى اخر، إذ تلمس الشراح لها معاني خفية ضمنية يبدو اثر التنغيم جليا في الاهتداء اليها وفي ما يأتي امثلة لتلك التراكيب التي قالها الامام (ع) :

- والذي نفس ابن ابي طالب بيده .

وقف الشراح على قوله (ع) لأصحابه في ساحة الحرب : (والَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ لِأَفْ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَى الْفَوَاحِشِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ)^(٦) وفهم المعتزلي من هذا أن الإمام (ع) يحرض اصحابه ليجعل طباعهم مناسبة لطباعه واقدامهم على الحرب مماثلا لاقدامه على عادة الامراء في تحريض جندهم وعسكرهم^(٧) .

(١) مناهج البحث في اللغة ١٩٨ .

(٢) ينظر: التشكيل الصوتي ١٣٩ والمدخل إلى علم أصوات العربية ٢٥٩ والأصوات ووظائفها ١٥٦ والمصطلح الصوتي ٢٦٥

والتحليل اللغوي ٥٢- ٥٣ والمفارقة القرآنية ٤٦ .

(٣) ينظر: الكتاب ٥٥/١ .

(٤) ينظر: البيان والتبيين ٧٩/١ .

(٥) ينظر: الخبطة ١٢٣ ص ٢٢٧ .

(٦) ينظر: المعتزلي ٣٠١/٧ .

وفهم الشيرازي من النص انه حلف بالله مع استعماله على التهديد^(١) . ولو فصل هذا القول لقل ان القسم بالذي نفس ابن ابي طالب بيده لم يستعمل على حقيقته في تأكيد النص فحسب بل تفهم منه معانٍ آخر هي التحريض على قتال العدو كما فهم المعتزلي . والتهديد بعذاب النار ان تقاعس احد الجند عن الجهاد كما فهم الشيرازي . وظلال المعنى

هذه تظهر جلية عند الاستماع الى جملة القسم منطوقة إذ يرفع الصوت بنغمة صاعدة بدءاً من **والذي** ثم تأخذ النغمة بالهبوط تدريجياً حتى الفراغ من جملة القسم^(٢) .

- قَرَّتْ إِذْنَ عَيْنِهِ

قال الامام في ذم الدنيا وملذاتها: (أَتَمَلَّتْ السُّلْمَةَ مِنْ رِعِيهَا فَتَبْرُكُ؟ وَتَعْبُدُ الرَّبِيضَةَ مِنْ عُسْبِهَا فَتَرِيضُ؟ وَيَأْكُلُ عَلَيَّ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعُ؟! قَرَّتْ إِذْنَ عَيْفُ إِذَا أَقْتَدَى بَعْدَ السُّدَيْنِ الْمُتَطَوَّلَةِ بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ وَالسَّائِمَةِ الْمُرْعِيَّةِ!)^(٣) وقد اُطبق الشراح^(٤) على ان قرّة العين برودها وهي كناية عن الراحة والأمان كما في قوله تعالى بشأن مريم (عليها السلام) ﴿قَدْ يَ وَاشْرِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾^(٥) ولكن الامام اورد العبارة دالة على الضد من معناها الاصلي وهو الإنكار والاستهزاء ، قال البحراني : « قرّت إذن عينه : إخبار في معرض الإنكار والاستهزاء باللذة كقوله تعالى : ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَوِيضُ الْكَرِيمُ﴾^(٦)»^(٧) . وهو لدى التستري ((كلام تهكمي))^(٨) . ولو فصل هذين القولين لقليل : إن جملة (قَرَّتْ إِذْنَ عَيْنِهِ) صدرت منه (٤) بنغمة هابطة مشوبة بلغة جسمية توحى بالتهكم والسخرية والرفض وإشاحة الوجه عن فعل البهائم .

وقد كثر في متن النهج استعمال الالفاظ بالدلالة على المعنى النقيض المضاد للمعنى الظاهر على وفق (قَرَّتْ عَيْنِهِ) من ذلك (قاتلكم الله) و(لا أب لك) و(تربت يداك) و(ويل أمه) و(ويحك) فهذه الفاظ ان حملت على الظاهر فهي دالة على الذم وتحافظ هذه التراكيب على معناها الظاهر مع النغمة الصاعدة الموحية بالدعاء والتريص بقتال الله او فقدان المعين او الفقر المدقع لكن معناها ينقلب الى الضد بالنغمة الهابطة لتدل على التعجب والغبطة والمدح وقد اهتدى الشراح الى هذه الدلالات الدقيقة مستدلين بالسياق وملححين إلى أثر التنغيم في فهم الدلالة وسيأتي تفصيل هذه الأمثلة في مبحث التضاد السياقي من الفصل الخامس .

(١) ينظر: الشيرازي ٢٥٣/٢

(٢) ينظر: مناهج البحث في اللغة ١٦٥ ودراسة الصوت اللغوي ٣٦٦

(٣) نهج البلاغة ، الكتاب ٤٥ ص ٥٣٥

(٤) ينظر : الراوندي ١٥٥/٣ والمعتزلي ٢٩٥/١٦ والبحراني ١١٧/٥ والخوئي ١٥٥/٢٠ والتستري ٣٩٧/٦ .

(٥) مريم ٢٦ . (٦) الدخان ٤٩

(٧) البحراني ١١٧/٥

(٨) التستري ٣٩٧/٦ .

- طُوبَى لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعَادَ

قال الامام (٤) : (طُوبَى لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعَادَ ، وَعَمِلَ لِإِحْسَابِ ، وَنَعَى بِالْكَفَافِ وَرَضِيَ عَنِ اللَّهِ)^(١) وقال الامدي في تنمة شرح الخوئي : « طوبى لمن ذكر الحساب الجملة اسمية خبرية في مقام الدعاء او التحسر او التغبط باختلاف المقام ومقتضى المقام الاول»^(٢)

وتفصيل هذا القول أن (طوبى ...) جملة خبرية تفيد الدلالة على عدة معانٍ دقيقة بحسب اختلاف المقام الذي استدعى استعمال التركيب وهنا يختلف تنعيم الجملة تبعاً لاختلاف ذلك المقام . فنغمة الدعاء للميت يشوبها التمجيد الصوتي بين الهبوط والارتفاع لإبراز معاني التضرع وطلب الرحمة والعفو والتذكير بالموت والبكاء على فقد الاحبة . واما نغمة التحسر على شيء فات فيخفت معها الصوت كثيراً وتبرز فيها لغة الجسم من نحو صفق الايدي وحركة الراس نحو الجانبين . واما نغمة الغبطة فتكون صاعدة صادحة بكلمة طوبى بغية اظهر معنى تمنى دوام الخير للجميع المفهوم من الغبطة.

- أنت تكفيني؟

وقع جدال بين الامام (ع) وبعض الصحابة فقال المغيرة بن الأخنس للصحابي والامام يسمع: أنا أكفيكه . فقال الامام له: (يا بن اللأعين الأبتير والشجرة التي لا أصل لها ولا فرع أنت تكفيني؟ فوالله ما أعز الله من أنت ناصوه ولا قام من أنت منهض) (٣) وقد فسر الشراح أنت تكفيني بأنه استفهام محذوف الاداة على سبيل الانكار والاستحقار له (٤). وواضح ان نغمة الاستفهام أنت تكفيني تبدو هابطة في استتالة لتبرز معنى السخرية والاستحقار والتصغير وقد اغنت هذه النغمة عن اداة الاستفهام المحذوفة . ولو أريد الخبر في أنت تكفيني لكانت النغمة صاعدة مستقرة بغية الاخبار بإظهار المدح والاحترام تجاه المخاطب .

وقد كثر في متن النهج حذف اداة الاستفهام مع بقاء المعنى جلياً ظاهراً من دونها لوجود عدة قرائن دالة على الاستفهام ومنها التنعيم (٥) .

(١) نهج البلاغة : الحكمة ٤٤ ص ٦٠٩ .

(٢) الخوئي ٨٢/٢١

(٣) نهج البلاغة الخطبة ١٣٥ ص ٢٤٣

(٤) ينظر : المعتزلي ٣٠٣/٨ والبحراني ١٦٣/٣ و٣٠٣/٣ والخوئي ٣٢٥/٨ .

(٥) ينظر : المعتزلي ٣٢٥/٩ والبحراني ٥٤/٤ ، ٦٩/٤ ، ٧٦/٤ والخوئي ١٧/٩ ، ٢٣٥/١٤ و.....

المطلب الثالث: الوقف والابتداء في شروح نهج البلاغة.

الوقف والابتداء ظاهرة صوتية تقوم على السكت بين الألفاظ والجمال المتحدّث بها بغية تنظيم الكلام إذ تضي هذه الظاهرة على الألفاظ والعبارات أداء يؤثر في السامع من حيث حسن الاستماع وشدة الإصغاء وفهم القصد على نحو دقيق. وهي ظاهرة ذات ملامح تمييزية تفرق بين المعاني المتعددة تبعاً لاختلاف مواضع الوقف والابتداء (١). ولذا

حظيت هذه الظاهرة بعناية علماء العربية قديما وحديثا وأخذت صدى واضحا لدى مجودي القرآن الكريم . ومن ثم خصّها كثير من علماء العربية بالتأليف كابن الأثير في كتابه إيضاح الوقف والابتداء والنحاس في كتابه القطع والانتاف وأبي عمر الداني في كتابه المكتفي في الوقف والابتداء ، وآخرين كثر أطبقوا على أن الوقف والابتداء يكون فصلا بين المعاني المتعددة فضلا عن كونه استراحة للمتحدث ينظم بها نفسه ويعيد نشاطه أثناء الحديث أو القراءة^(٢) . قال ابن الجزري : ((لما لم يكن للقارئ أن يقرأ السورة أو القصة في نفس واحد ولم يجز التنفس بين الكلمتين في حال الوصل بل ذلك كالتنفس في أثناء الكلمة وجب حينئذ اختيار وقف للتنفس والاستراحة وتعيين ارتضاء ابتداء بعد التنفس والاستراحة وتحتم أن لا يكون ذلك مما يخل بالمعنى ولا يخل بالفهم إذ بذلك يظهر الإعجاز ويحصل القصد))^(٣) . ولهذا الظاهرة أثر بين في ترتيل القرآن وتجويده إذ « جاء عن علي (رضي الله عنه) أنه سئل عن قوله : ﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾^(٤) قال : الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقف »^(٥) .

وشرط الوقف أن يكون مما يحسن الكلام معه ويتم المعنى به والا فهو وقف قبيح بل قد يكون ممتعا لأنه يحرف الكلم عن مواضعه ويصرف المعنى عن مراده كالوقف على قوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴾^(٦) . ومنه ما نقل في الأثر : ((أنه أسلم رجلان في عهد الرسول (ص) فشهد أحدهما قائلا : أشهد أن من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن لم يطعها ، ثم توقف عن الكلام فقال له رسول الله : قم واذهب ببئس الخطيب أنت))^(٧) . ومما نقل عن الخليفة أبي بكر (رض) أنه لقي رجلا يقود ناقه فقال له : أتبيعها ؟ فقال الرجل : لا عافاك الله . فقال له أبو بكر (رض) : لا تقل هكذا بل قل : لا وعافاك الله^(٨) . وقد طوّل القدماء في ذكر أحكام الوقف التي تعددت بحسب نوع الكلمة الموقوف عليها متمكنة أم غير متمكنة؟ صحيحة أم معتلة أم مهموزة ؟ اسما أم فعلا أم حرفا ؟ آخرها مضموم أم مفتوح أم مكسور ؟ وكذا أنواع الوقف التي منها التام والناقص والكافي والحسن والقبيح وغير ذلك مما يطول المقام بتفصيله^(٩) .

(١) ينظر : المدخل إلى أصوات العربية ٢٦٢-٢٦٤ والدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٥٢٢-٥٢٦ .

(٢) وينظر : إيضاح الوقف والابتداء ١٣/١-١٧١ والقطع والانتاف ٥٤-٥٧ والمكتفي في الوقف ٣-٥ .

(٣) النشر : ٢٢٤/١-٢٢٥ (٤) المزمّل ٤ . (٥) النشر : ٢٠٩/١ .

(٦) الماعون ٤ . (٧) المكتفي في الوقف ١٠٣ . (٨) ينظر : نفسه ٤ .

(٩) ينظر : الكتاب ١٦٨/٤ وشرح الشافية ٢٧١/٢

ولم ينل الوقف والابتداء عناية علماء الصوت المحدثين ربما لأنهم لم يظفروا بجديد يمكن أن يستدركوه على القدماء بشأن هذه الظاهرة . وعلى الرغم من ذلك أشار المحدثون إلى نوع من الوقف بين أجزاء الكلام شاع لديهم باسم (المفصل) « وهو عبارة عن سكتة خفيفة بين كلمات ومقاطع في حدث كلامي بقصد الدلالة على مكان انتهاء لفظ ما أو مقطع ما وبداية آخر»^(١) وذكروا من أمثله قول الشاعر^(٢) :

إِذَا مَلِكٌ لَمْ يَكُنْ نَأْبَهُ فَدَعَهُ فِدْوَلْتَهُ ذَاهِبَهُ

فما بين (ذا) و(هبة) في صدر البيت سكتة مفصلية تدل على أن المعنى هو عدم الهيبة وليس في (ذاهبة) التي في العجز سكت لأنها من الذهاب . وكذا قول الآخر^(٣) :

عَضْنَا الدَّهْرُ بِنَابِهِ لَيْتَ مَا حَلَّ بِنَابِهِ

فبين (بنا) و(به) في عجز البيت سكت يميزه من معنى اللفظ المجانس له في الصدر .

وهذا النوع من الفصل غايته الرئيسة الدلالة على مكان انتهاء لفظ أو مقطع وبداية آخر غيرهما وهو بهذا المعنى لا علاقة له بموضوع الوقف والابتداء الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بتغيير الدلالة تبعا لاختلاف موضعه^(٤) .

وقد خلت شروح النهج مما عرف لدى المحدثين بالمفصل الذي هو سكت مقطعي يفرق بين معاني الكلمات لا التراكيب أو يدل على مكان انتهاء اللفظ وبدء لفظ آخر . على حين زخرت الشروح بأمتثلة الوقف والابتداء كما عرفها القدماء في القرآن الكريم . وانفرد الشارح البحراني من بينهم في حد هذه الظاهرة ناقلا عن سابقه أنها جوهر البلاغة وأنها ظاهرة يشوبها الغموض لا سيما في النصوص المكتوبة ومنها متن النهج الذي وصل إليه كذلك قال : « حاصل معرفة الفصل والوصل يعود إلى معرفة مواضع العطف والاسئناف والتهدى إلى كيفية إيقاع حروف العطف مواقعها وهو باب عظيم عند البلغاء ولذلك جعله بعضهم حد البلاغة فقال : إذا سئل عن معناها فإنها معرفة الفصل والوصل ما ذاك إلا لغموضه وكون معرفته مؤدية للمعاني كما هي »^(٥) .

أما الشراح الآخرون فبرعوا في الاهتداء إلى مواضع الوقف والابتداء في متن النهج وأثر ذلك في اختلاف دلالة التراكيب . من ذلك أنهم لما وقفوا على قوله (٤) : « وَأَعْلَمُ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنْ اقْتِحَامِ السُّدَدِ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ ، الإِقْرَارُ بِجُمْلَةٍ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ ، فَمَدَّحَهُ تَعَالَى اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَتَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْمًا »^(٦) شرحوا هذا مستشهدين بقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ

(١) أسس علم اللغة ٩٥ وينظر : أبحاث في أصوات العربية ٦١ ومحاضرات في اللسانيات ٢٦١ .

(٢) البيت لأبي الفتح البشتي كما في الإيضاح للقرظيني ٣٩٤ .

(٣) ذكره المحدثون من دون عزو ينظر : أبحاث في أصوات العربية ٦٢ ودراسة الصوت اللغوي ٣٦٥ والتحليل اللغوي ٥٥ .

(٤) ينظر : أبحاث في أصوات العربية ٦٩ والمدخل إلى أصوات العربية ٢٦٣ .

(٥) البحراني ٥٨ / ١ . (٦) نهج البلاغة الخطبة ٩١ ص ١٥٠ .

مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أَمْ الْكِتَابِ وَأُخْرٌ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَاءُ بِهِ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَأْتِيهِمْ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِيهِ يُدْعُونَ النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَهُمْ يُؤْتُونَ أَمَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١﴾^(١)

ثم فصل فريق منهم مواضع الوقف في هذه الآية وأثره في تغيير المعنى فقال المعتزلي : « إن من الناس من وقف على قوله تعالى (إلا الله) ومنهم من لم يقف على ذلك وهذا القول أقوى من الأول لأنه إذا كان لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله لم يكن في إنزاله ومخاطبة المكلفين به فائدة بل يكون كخطاب العربي بالزنجية ومعلوم أن ذلك عيب قبيح »^(٢) . ولذا

أعرب المعتزلي (يقولون) بأنه « يمكن أن يكون نصبا على الحال من الراسخين ويمكن أن يكون كلاما مستأنفا أي هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون : آما به »^(٣) أي أن المعتزلي يضعف الوقف على (إلا الله) ويقوي الوقف على (العلم). لكن شراحا آخرين عارضوا ما ذهب إليه المعتزلي إذ جَوَزَ أنصاريان أن يكون الوقف على (إلا الله) وحينئذ يكون المتشابهة مما خصَّ الله به ذاته فقال: « المراد بالمتشابهة ما يشمل كنه ذاته وصفاته - سبحانه - مما استأثر الله بعلمه وعلى هذا فمحل الوقف في الآية (إلا الله) كما هو المشهور بين المفسرين والقراء فتفيد اختصاص علم المتشابهة به سبحانه»^(٤) فأنصاريان ينسب إلى معظم المفسرين الوقف على (الله) ويعرب ما بعده استئنافا على أنه مبتدأ وخبر وعلق بهذا قائلا: « وهو بظاهرة مناف لما دلت عليه الأخبار المستفيضة من أنهم عليهم السلام يعلمون ما تشابه من القرآن »^(٥) ولذا جَوَزَ أنصاريان الوقف على (العلم) كي يعطف الراسخين بالعلم على الله في كونهم يعلمون المتشابهة أيضا فالجملة « يقولون حال من الراسخين أو استئناف موضح لحالهم »^(٦) ثم اجتهد أنصاريان في التأويل كي يوفق بين المعنيين المفهومين من الوقفين توفيقا يحفظ للراسخين بالعلم اطلاعهم على علم المتشابهة في كلا الوقفين ، بعد أن أدرك اختلاف دلالة التراكيب بهما . لكن التستري منع أن يكون الراسخون في العلم عطفًا على الله مستدلا بظاهر كلام الإمام علي (ع) المذكور آنفا . فضلا عن إعراب الآية الذي لا يستقيم بعطف الراسخين على (الله) قال : « إنه وإن اختلفت الخاصة والعامة في الآية «والراسخون في العلم» عطف على (الله) أو مستأنف إلا أن كلامه (ع) دال على الثاني وهو الظاهر من الآية حيث إنه لو كان عطفًا لكان الأنسب أن يقال : (ويقولون) لا (يقولون) وتأتي فيه زيادة كلام»^(٧) أما ما أطبق عليه معظم المسلمين وهو أن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابهة لأن الله علمهم « فلا ينافي ذلك علم النبي وأوصيائه بتأويل القرآن فإن علمهم به بوحيه وإلهامه فعلم تأويله من علم الغيب وقد قال تعالى في موضع آخر: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ﴾^(٨) «^(٩) والرسول (ص) وأوصياؤه ممن رضي عنهم الله وأرضاهم باطلاعهم على تأويل متشابهة القرآن .

ولما وقف الشراح على قوله (ع) لبعض أصحابه وقد ابنتى دارا: (مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسَعَةِ هَذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا ؟ وَأَنْتَ

(١) آل عمران ٧ . (٢) المعتزلي ٤٠٤/٦ . (٣) نفسه ٤٠٤/٦ .

(٤) أنصاريان ٢٧٠/١ . (٥) نفسه ٢٧٠/١ . (٦) نفسه ٢٧٠/١ .

(٧) التستري ٢١٣/١ . (٨) الجن ٢٦-٢٧ . (٩) التستري ٢١٣/١ .

إِلَيْهَا فِي الآخِرَةِ كُنْتَ أَدَجَّوْ؟ وَبَلَىٰ إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الآخِرَةَ ، تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ وَتَصِلُ فِيهَا الرِّجْمَ)^(١) . ذكر بعضهم أن « جملة تقري فيها الضيف يجوز أن تكون حالا من بها ويجوز أن تكون استئنافا بيانيا ، فإنه (ع) لما قال له إن شئت بلغت بها ، فكأنه سأل عن كيفية البلاغ فقال تقري فيها الضيف»^(٢) . وفي حال كون الجملة تقري فيها الضيف استئنافا يكون الوقف على الآخرة أما إذا كان حالا فالوقف على الرحم .

ولما أورد الشّواح قوله (م) يصف من يتصدى للحكم وليس لذلك بأهل : (تَصَوَّخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدَّمَاءَ وَتَعَجُّ مِنْهُ المَوَارِيثُ إِلَى اللَّهِ مِنْ مَعَشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَالًا وَيَمُوتُونَ ضَلَالًا)^(٣) ذكر فريق من الشّواح أن الرواية في « كثير من النسخ إلى الله أشكو فمن روى ذلك وقف على المواريث ومن روى الرواية الأولى وقف على قوله إلى الله ويكون قوله من معشر من تمام صفات ذلك الحاكم أي هو من معشر صفتهم كذا »^(٤) .

ووقف الشّواح على قوله (م) في حمد الله عزوجل : (مُتَوَحِّدٌ إِذْ لَا سَكَنَ يَسْتَدِسُّ بِهِ لِأَوْيَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ)^(٥) فذكر الراوندي أن قوله (م) (لا يستوحش) كلام مستأنف فيكون الوقف على (به)^(٦) وعارض المعتزلي الراوندي بقوله : « كيف يكون كلاما مستأنفا والهاء في (فقدته) ترجع إلى السكن المذكور أولا »^(٧) فرجح كون لا يستوحش عطا على يستأنس ليكون الوقف على (فقدته) . وفهم أنصارين من قول المعتزلي هذا أنه يرى أن « كلمة لا في لا يستوحش لفقدته تأكيد للنفي السابق أي : ولا سكن يستوحش لفقدته . أو تكون زائدة كما في قوله تعالى ﴿ مَا مِنْكَ إِلَّا تَسْجُدٌ ﴾^(٨) »^(٩) . وانتصر الخوئي للراوندي من المعتزلي بقوله : « لا يستوحش لفقدته جملة استئنافية كما ذكره القطب الراوندي وإيراد الشارح المعتزلي عليه بأنه كيف يكون مستأنفا والهاء في فقدته ترجع إلى المذكور فاسد جدا »^(١٠) . ثم ذكر الخوئي وجهين لفساد قول المعتزلي : الأول إن وجود الضمير لا ينافي الاستئناف كما لا ينافيه وجود الواو وهذا بعينه مثل قوله تعالى ﴿ ثُمَّ يَعِيدهُ ﴾^(١١) بعد قوله : ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الخَلْقَ ﴾^(١٢) . فقد ذكر أنه جملة مستأنفة نظرا إلى أن إعادة الخلق لم تقع بعد فيقروا بروبيتها . والثاني إنه لو لم يكن كلاما مستأنفا فلا بد وأن يجعل معطوفا إما على جملة الصفة (يستأنس) أو على الموصوف مع صفته وكلاهما غير ممكن لوجود لا النافية في (لا يستوحش) التي لا يستقيم الإعراب إلا بزيادتها وهو غير ممكن في القرآن^(١٣) .

(١) نهج البلاغة الخطبة ٢٠٩ ص ٤٠٨ .

(٢) الخوئي ١٢٤/١٣ وينظر: الراوندي ٣٢٩/٢ والبحراني ١٦/٤-١٩ والتستري ٣٧٨/٦ والشيرازي ٣٠٣/٣ .

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٧ ص ٤٨ . (٤) المعتزلي ٢٨٥/١ - ٢٨٦ وينظر: أبو الفضل ٥٧/١ .

(٥) نهج البلاغة الخطبة ١ ص ١٨ (٦) ينظر: الراوندي ٥٠/١ .

(٧) المعتزلي ٨٢/١ . (٨) الاعراف ١٢ .

(٩) أنتصارين ٤٤٦/٢ (١٠) الخوئي ٣٤٣/١ - ٣٤٤ .

(١١) العنكبوت ١٩ . (١٢) العنكبوت ١٩ .

(١٣) ينظر: الخوئي ٣٤٤/١ .

الفصل الثالث

الدلالة الصَّرْفِيَّةُ فِي شُرُوحِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ

- توطئة: الدلالة الصَّرْفِيَّةُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا.
- المبحثُ الأوَّلُ : الدلالةُ الصَّرْفِيَّةُ لِأَبْنِيَةِ الْأَسْمَاءِ الْمَجْرَدَةِ .
- المبحثُ الثَّانِي : الدلالةُ الصَّرْفِيَّةُ لِأَبْنِيَةِ الْأَسْمَاءِ الْمَزِيدَةِ بِحَرْفٍ .
- المبحثُ الثَّالِثُ : الدلالةُ الصَّرْفِيَّةُ لِأَبْنِيَةِ الْأَسْمَاءِ الْمَزِيدَةِ بِحَرْفَيْنِ فَأَكْثَرَ .
- المبحثُ الرَّابِعُ : الدلالةُ الصَّرْفِيَّةُ لِأَبْنِيَةِ الْأَفْعَالِ .

توطئة : الدلالة الصَّرْفِيَّةُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا .

حدّد العلماء نوعاً من الدلالة الصَّرْفِيَّةِ يُسَمَّى مِنْ تَرْتِيبِ الْحُرُوفِ وَالْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ فِي الْأَلْفَاظِ ، فَمَا تَشَابَهَ مِنْهَا فِي ذَلِكَ يَكُونُ مَجْتَمِعًا فِي صِيغَةٍ وَاحِدَةٍ تَتِمَّازُ مِنْ غَيْرِهَا مِنَ الْأَبْنِيَةِ بِدَلَالَةٍ مَعِينَةٍ مُسْتَقَاةٍ مِنْ هَيَأَةِ الْحُرُوفِ أَوْ طَرِيقَةٍ

صوغها وتعاقبها ، أو زيادتها بمقدار معين . إذ نَبه القدماء على أن كلَّ زيادة في المبنى موجبة لزيادة في المعنى . وهذا النوع من الدلالة يقترن بأبنية العربية قديمها وجديدها . ويعدّ كتاب سيبويه منهلاً ثراً لكل الباحثين عن معاني أبنية العربية ، فلم يترك بناء إلا وساق معه معانيه المفهومة من أمثله ، وفي عدة مواضع جهر سيبويه بما أخذه عن الخليل من مداليل الأبنية^(١) . وقد يدلّ البناء الواحد على معنى واحد أو على عدة معان .

ثمّ توالى جهود الخالفين في إقرار هذا النوع من الدلالة فبرع منهم في تلمس أمثله ابن قتيبة والمبرد وابن السراج والفراسي وابن جني وابن سيده والزمخشري وابن يعيش وابن الحاجب وابن عصفور والرضي الاستريادي^(٢) وآخرون . لكن مباحثهم فيه جاءت مبعثرة من دون تبويب ولا يجمعها حدّ جامع ولا اصطلاح معروف ، لأنّ هذا النوع من الدلالة معروف لديهم بأمثله . ويبدو أنّ الكفويّ أول من صرح بتعريف الدلالة الصرفية التي سماها : (معنى الصيغة) . إذ بين إن للفظ نوعين من الدلالة : الأول ، دلالة لغويّة تفهم من اللفظة نفسها . والآخر ، دلالة الصيغة وهي المستمدة من طبيعة اتئلاف الحروف الأصول والزوائد والحركات والسكنات على نسق معين متشابه فقال : « كلّ لفظ له معنى لغويّ وهو ما يفهم من مادّة تركيبه ومعنى صيغي وهو ما يفهم من هيأته أي حركاته وسكناته وترتيب حروفه لأن الصيغة اسم من الصوغ الذي يدلّ على التصرف في الهيئة لا في المادة »^(٣) . وقال أيضاً في التفريق بين دلالة الألفاظ ودلالة الأبنية : « ما دلّ عليه أصل التركيب فهو دلالة اللّغة ، وما دلّت عليه هيأته فهو دلالة الصيغة »^(٤) .

لقد انصبّ اهتمام القدماء على الألفاظ ومعانيها وكأنّهم يعلمون أن جيلاً من الخالفين سيرميهم بالقصور والتقاعس عن الاهتمام بالألفاظ دون المعاني ، إذ عقد ابن جني باباً في الردّ على من ادّعى على العرب عنايتها بالألفاظ واغفالها المعاني قال فيه : « ويدلّك على تمكّن المعنى في أنفسهم وتقدّمه للفظ عندهم ، تقدّمهم لحرف المعنى في أول الكلمة ، وذلك لقوة العناية به فقدّموا دليله ليكون ذلك أماراً لتمكّنه عندهم ، وعلى ذلك تقدّمت حروف المضارعة في أول الفعل إذ كنّ دلائل على الفاعلين : من هم؟ وما هم؟ وكم عدّتهم؟ نحو : أَفَعَلَ وَنَفَعَلَ وَتَفَعَّلَ وَيَفَعُلُ »^(٥) .

(١) ينظر : الكتاب ١٤/٤-٣٧ وأبنية الصرف ١٣-١٤ .

(٢) ينظر : المصادر والمشتقات في لسان العرب ٢٠٩-٢١٣ .

(٣) الكليات ١٤٢/٥ .

(٤) نفسه ٣٢٦/٥ .

(٥) الخصائص ٢٢٥/١-٢٢٦ .

وانماز الخوئي من سائر شراح النهج حدّ واضح لبنية اللفظ التي سماها بالهيئة فقال : « الهيئة جزء اللفظ إذ هي عبارة عن عدد الحروف مع مجموع الحركات والسكنات الموضوعة وضعا معيناً »^(١) . وصرح بأن لكل بنية دلالة معينة تجتمع عليها كلّ الألفاظ التي تضطّم عليها تلك البنية ، فالفعل الماضي مثلاً يدلّ بهيأته (فَعُلَ) على حدوثه في الزمن الماضي ، والمضارع يدلّ بهيأته (يَفَعُلُ) على استمرار الحدث وغير ذلك^(٢) .

أما المحثون فقد توالفت جهودهم في تلمس معاني أبنية العربية من الأسماء والأفعال ، ويبرز منهم الباحثان العراقيان الدكتور هاشم طه شلاش (رحمه الله) في كتابه أوزان الفعل ومعانيها ، والدكتور فاضل السامرائي في كتابه معاني الأبنية في العربية. لكن الملاحظ في تلك الجهود أنها فرقت البحث في مدلول البناء الواحد بين عدة مداليل فلم تجمع الدلالات المستمدة من البناء الواحد في بحث شامل يشير بوضوح إلى أوجه العلاقة بين هذه المداليل بعد أن ظفرت جميعها بالبناء نفسه فقد تكون الدلالة متعددة في الظاهر ولكنها متحدة إذا ما نُعم النظر واتسع الإدراك . ثم إن تلك الدراسات جميعها أطبقت على مقوله واحدة في الصرف العربي لم تتفك منها مع تقادم العهد وتجدد الدرس ، وهي مسألة تتأوب الصيغ التي فتحت بابا واسعا من تحريف الكلم عن مواضعه فصار من العسير معها الظفر بالمدلول الدقيق لجملة من ألفاظ العربية فترت همّة الصرفيين عن إدراك معناها بما هي عليه من هياة فعمدوا إلى التأويل فيها وهو تأويل قادهم في الغالب إلى القول بنبياة صيغة أدركوا استقامة المعنى معها عن صيغة أخرى استغلق عليهم فهم السياق بها .

وقد نبه المعتزلي على أن القول بالنبياة الصرفية يُبعد اللفظ عن معناه ويحرف الكلم عن مواضعه ، من ذلك أنه لما وقف على قوله (٤) من كتاب له إلى معاوية: (فَأَتَى اللهُ فِيمَا لَدَيْكَ ... فَإِنَّ لِلطَّاعَةِ أَعْلَامًا وَاضِحَةً ، وَسُبُلًا نُّورَةً وَمَحَجَّةً نَهْجَةً ، وَغَايَةً مَطْلَبَةً) (٣) فسّر الغاية المطلوبة بأنها «مُساعدة لطلبيها بما يطلبه تقول : طلب فلان مني كذا فأطلبته أي أسعفت به» (٤) وأنكر على الراوندي قوله : «مطلبه بمعنى مُتطلبه يقال : طلبت كذا وتطلبته» (٥) فعلق به قوله : «هذا ليس بشيء ويخرج الكلام عن أن يكون له معنى» (٦) ، يريد أن المطلب غير المتطلب فلا يجوز تفسير أحدهما بالآخر على وفق ما يرد في النبياة الصرفية .

ومن هنا جاء البحث في هذا الفصل قائما على جمع مداليل البناء الواحد في مطلب واحد كي يسهل النظر في أواصر قريباها ، وتلمس سبل الاتصال بينها . فضلا عن إنكار مسألة تتأوب الصيغ في الأمثلة كلها . وبغية تحقيق هذه الغاية سار البحث في هذا الفصل مراعيًا أنواع الأبنية من حيث التجرد والزيادة في أربعة مباحث ثلاثة منها للأسماء وواحد للأفعال .

(١) الخوئي ١٤/١

(٢) ينظر: الخوئي ١٤/١

(٣) نهج البلاغة ر ٣٠ ص: ٤٩٥

(٤) المعتزلي ٦/١٦

(٥) الراوندي ٨٥/٣

(٦) المعتزلي ٦/١٦

المبحث الاول

دلالة أبنية الأسماء المجردة .

الأسماء المجردة في العربية أكثرها ثلاثي وقسم منها رباعي وقليل منها خماسي ، فأما الرباعية والخماسية فتكاد تتحصر دلالاتها على أسماء الذات . وقلما تجاوز ذلك لتدل على الصفات والمبالغة والجمع والمصادر . ولذا اختص

هذا المبحث يتتبع دلالات الاسم الثلاثي الذي يأتي في العربية على عشرة أبنية^(١) هي: (فُعْلِي ، فُعْلِي ، فَعْل ، فَعْلِي ، فَعْلِي ، فَعْلِي ، فَعْلِي ، فَعْلِي). ويجري مجراها ما لحقته تاء التأنيث منها.

لقد وردت عدة أمثلة في متن النهج لهذه الأبنية جميعا سواء كانت مذكرة أم مؤنثة ؟ . وقد برع الشراح في تلمس مداليل معظم أمثلة هذه الأبنية وفترت همتهم عن إيضاح الدلالة لبعضها ، ولذا وقف هذا المبحث على الأبنية المبرزة التي عني الشراح بتلمس معانيها كما في المطالب الآتية :

المطلب الأول : معاني فعل - فَعْلَة

كثرت أمثله (فُعْلِي) في متن نهج البلاغة ففرقها الشراح على عدة دلالات هي :

١ - فَعْلٌ مصدر^(٢) .

شاع (فَعْلٌ) مصدرا للثلاثي المتعدي نحو: (نَحَتَ نَحْتًا) و(طَعَنَ طَعْنًا) و(رَفَضَ رَفْضًا) و(أَمِنَ أَمْنًا) و(شَرِبَ شَرِبًا) و(إِضْمَقَ ضَمًّا). ونقل ابن سيده عن أئمة اللُغة قبله أنهم يرون أن الأصل في الأفعال الثلاثية كلها أن تأتي مصدرا على (فُعْلِي) لأنه أخف الأبنية^(٣). ولذا برز الشراح دلالة (فُعْلِي) على المصادر في كثير من المواضع ، وذلك بتفسيرها بمصادر أخرى اختلفت عنها في الوزن واتحدت معها في الاشتقاق كما في أقوالهم : « الأمان : الأمان »^(٤) ، و« سَلْمًا اي استسلاما »^(٥) و« المَهْل : الإمهال »^(٦) ، و« الجَهْد بفتح الجيم : الاجتهاد »^(٧). ولم يكتفوا بالتلميح - على نحو ما سبق - في ابراز دلالة امثلة (فُعْلِي) على المصادر ، بل اعتمدوا على التصريح في كثير من المواضع بذكرهم لفظة (مصدر) لا سيما في حال مجيء المصادر في موضع الحال ، نحو قوله (ي) : (وَيْلُ أُمَّه كَيْلًا بَغِيرِ ثَمَنِ)^(٨) ، ف « كَيْلًا انتصب لأنه مصدر في موضع الحال »^(٩). ولا يعني هذا أن شراح النهج مسلمون بتوافق الدلالة بين أمثلة النهج التي على (فُعْلِي) وبين الأمثلة التي أوردوها في تفسيرهم ، إذ توالفت أقوالهم في التفريق بين

(١) ينظر : التكملة ٣٩٩-٤١٣ .

(٢) ينظر : الكتاب ٥/٤ والمقتضب ١٢٤/٢ والأصول ١٨٦/٣ والتكملة ٥٠٧ واللمع ٤٨ والمفصل ١١١ .

(٣) ينظر : المخصص ١٣١/١٤-١٣٢ .

(٤) عبده ١١٩/٣ .

(٥) المعتزلي ١٣١/١٤ .

(٦) مغنية ١٤٨/٢ .

(٧) البحراني ١٤/٤ .

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ٧ ص ٢٧ .

(٩) انصاريان ٢٠١/١ .

مصادر هذا البناء والمصادر التي على أبنية أخرى كتفريقهم بين (الأخذ) و(المؤاخذة) ، بأن الأخذ يعني العقاب والمؤاخذة بمعنى المحاسبة^(١). وكذا الفرق بين (العدو) و(العدوان) و(العداوة) و(المعاداة) و(العدواء). ف «العدو التجاوز ومنافاة الائتنام ؛ فإن كان بالقلب يقال له : العداوة والمعاداة . وان كان بالمشي يقال له : العدو . وإن كان بالإخلال في العدالة يقال له : العُدوان وإن كان في أجزاء الموضع يقال له : العَدَواء »^(٢).

وفي عدة مواضع فرق الشّراح بين المصادر التي على (فعل) والمصادر التي تختلف عنها بحركة واحدة تفريقاً قائماً على طبيعة تلك الحركة ، وقد سبقت الإشارة الى ذلك في الدلالة الصوتية . ومن امثله فضلاً عما سبق قول المعتزلي : « السّقي مصدر سقيت والسّقي بالكسر النصيب من الماء »^(٣). وقوله : « الوسم التأثير والسّمة الأثر »^(٤). وقول الخوئي : « الرّعم بالضم اعتقاد الباطل بلا تقوّل وبالفتح اعتقاد الباطل بتقوّل ، وقيل بالفتح قول مع الظن ، وبالضم ظن بلا قول »^(٥). وتفريق المعتزلي بين (الوسم والسّمة) ردّ على الصرفيين الذين أخرجوا (السّمة) من (وسم) بحذف واو الوسم وتعويضها بتاء في السّمة ، لأن الحذف والتعويض لا يؤدّي فارقاً دلالياً . وهو ردّ مقبول لو التزم به في النظائر نحو : (فئة) و(فئة) ، إذ عاد المعتزلي إلى مقالة الصرفيين : « الفئة الطائفة والهاء عوض من الياء التي نقصت من وسطه واصله فيّ مثال فيع لانه من فاء »^(٦). فلم يفرق بين الفئة والفيء مع ان الفرق واضح ، وقد ذكر جانباً منه عرضاً ، وهو ان الفئة جماعة بشرية على حين لا يفيد الفيء هذه الدلالة ، فضلاً عن ان ما لحقته التاء يخرج عن المصادر إلى حيز الاسماء . ومن هنا كانت (السّمة) أثراً للوسم الذي هو الحدث المطلق (المصدر) ، فالوسم مصدر والسّمة اسم مصدر .

٢ - فَعَلَّ اسْمٌ مَصْدَرٌ (٧) :

نّمة أمثلة في متن النهج وردت على (فعل) فسّرها الشّراح بأنّها أسماء مصادر وهي في الأصل مصادر لكنّها فقدت الدلالة على الحدث ، وبهذا فسّروا كلمة (نَهَج) في التركيب (نهج البلاغة) الذي هو عنوان المجموع من خطب الامام علي (ع) ورسائله وحكمه . إذ قال المعتزلي : « النهج هنا ليس بمصدر بل هو اسم للطريق الواضح نفسه »^(٨)

(١) ينظر : السرخسي ٢٢٥/٢ .

(٢) البيهقي ٣٨ وينظر : البحراني ١٤٢/١ وانصاريان ٣٠٠/١ .

(٣) الخوئي ٧٤/٦ .

(٤) المعتزلي ١٨٠/٩ .

(٥) انصاريان ٣٥٩/١ .

(٦) المعتزلي ٤٦/٧ .

(٧) ينظر : الأمامي النحوية ٢٦/٤ والتسهيل ٤٢ وأوضح المسالك ٦١/٤ وشرح التصريح ٦١/٢ والأشباه والنظائر ١٨٥/٢ .

(٨) المعتزلي ٥٤/١

والفرق بين المصدر واسم المصدر اذا اتحدت البنية هو إن المصدر يدلّ على الحدث واسم المصدر يدلّ على الأثر الحاصل بالحدث . وهذا ما وضّحه الدكتور ابراهيم السامرائي لما وقف على لفظة (سَعْر) من قوله (ع) في استنفار الناس الى اهل الشام : (لَبِئْسَ - اَعْمُرُ اللّٰهَ - سَعْرًا نَارِ الحَرْبِ اَنْتُمْ ! تَكَادُونَ وَلَا تَكِيدُونَ)^(١) .

إذ قال السامرائي : « السّعْر في الأصل مصدر قولك : سَعْرُ النَّارِ مِثْلُ خَعْبٍ ، وكأَنَّ المَصْدَرَ قد صُرِفَ إلى الاسم والمُرَادُ الوَقُودُ »^(٢). لكنّ الشّراح المتقدمين رأوا أنّ (سَعْر) « جَمَعَ سَاعِرٍ كَقَوْلِكَ : قَوْمٌ كَظُمَ لِلغَيْظِ جَهْمٌ كَاطِمٌ »^(٣) .

ويبدو أن دلالة (فعل) على الأسماء تدخل في باب التغليب ، ذلك أن المصدر حدثٌ مطلق وعندما يظهر أثره في بعض الأسماء الشائعة المعروفة يغلب لفظ المصدر على لفظ الاسم لدى الناس فالسُّعْر هو الإيقاد ، ولكن لما كان السعر يظهر جليا في (الحطَب) دون غيره من الأسماء القابلة للإيقاد خَصَّ الاسم بلفظ المصدر من باب التغليب أو التخصيص أو التلازم ، وكذا (نهج البلاغة) غلب على غيره من طرق البلاغة وسبلها وصار علما لهذا السفر الخالد ومثل هذا أمثلة (فعل) التي قيل : إنها معدولة عن المصادر الى المفعولين والفاعلين والجموع على ما سيأتي .

٣- فَعْلَى بِمَعْنَى مَفْعُول .

أقرّ السابقون دلالة (فعل) على المفعول ، ومن أشهر أمثله : هذا ضَرَبُ الأمير بمعنى مضروبه^(٤) . وبهذا فسّر بعضهم (النَّهْب) في قوله (ع) لبعض أصحابه وقد سأل عما لا يعنيه : (..وَدَعَّ عَنْكَ نَهَبًا صِيحْفِي حَوَاتِهِ) ^(٥) ، وفي قوله (ع) في الخطبة الشَّقَشَقِيَّة : (رَأَى وَثِيَّيَ نَهَبًا)^(٦) . فقد ذكروا أن (نَهْب) في الموضوعين بمعنى (هَذَا وَب) ؛ لأنَّ النَّهْبَ هو ما ينهب من المال والإبل^(٧) . ومن أمثلتهم لهذه الدلالة (الْخَلْق) في قوله (ع) : (الْحَمْدُ لِلَّهِ...الَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِمًا دَائِمًا إِذْ لَا سَمَاءَ دَاتُ أَبْوَاجٍ ... لِأَوْخَلَقَ ذُو اعْتِمَادٍ)^(٨) ، فتكاد تجمع أقوالهم على ان الخلق بمعنى المخلوقين ، والمعنى: لا مخلوق يسعى برجلين فيعتمد عليهما^(٩) .

ويمكن القول: إنَّ (فعل) باقٍ في هذه الأمثلة دالًّا على المصادر . فالنهب لفظ دال على كل ما ينهب أو يصلح للنهب دون التقيد بالزمن الماضي الذي دل عليه اسم المفعول^(١٠) (المنهوب) وهذا هو حد المصدر ، وكذا الخلق يدل على كل ما خلق وسيخلق ومن التحريف تخصيصه بالمخلوقين السابقين .

- (١) نهج البلاغة : الخطبة ٣٤ ص: ٧٦ (٢) السامرائي ٢٠٣-٢٠٤ .
- (٣) المعتزلي ٢٧/٧ وينظر: البيهقي ١٢٤ والراوندي ٣٢٩/١ والكيدري ٢٦٣/١ والبحراني ٧٨/٢ .
- (٤) ينظر : الكتاب ٤/٤٣ وشرح المراح ٣١ . (٥) نهج البلاغة : الخطبة ١٦٢ ص: ٢٨٨ .
- (٦) نهج البلاغة الخطبة ٣ ص ٢٩ .
- (٧) ينظر : البيهقي ٢٤ والراوندي ٢٣٩/١ والكيدري ٢١/٢ والمعتزلي ١٥٣/١ ، ٢٤٥/٩ ، ٨/١٩ ، والبحراني ٢٧٥/٣ و ٣١٩/٥ .
- (٨) نهج البلاغة : الخطبة ٩٠ ص : ١٤٦-١٤٧ .
- (٩) ينظر : الراوندي ٣٧٣/١ والمعتزلي ٣٩٤/٦ والبحراني ٣١٦/٢ وعده ١٩٧/١ ومغنية ٤٥١/١ والتستري ١٨٩/١ والشيرازي ٣٣/٢ .
- (١٠) ينظر: معاني الأبنية ٥٩-٦٠ .

وأكثر ما عمد الشراح إلى التسليم بأن هذه الأمثلة منقولة إلى المفعول ؛ لأنهم وجدوها كثيرة في موضع الحال وهي مصادر جامدة فأقروا تأويلها بالمشتقات ومنها اسم المفعول وفاقا للنحويين^(١) ، كما في قوله (ع) : (وَيْلُ امِّهِ كَيْلًا بَغِيرِ ثَمَنِ)^(٢) ، فكيف منسوب على الحال مع أنه مصدر جامد لأنه مؤول باسم المفعول (مكيل)^(٣) .

وفي مواضع أخرى فسّر الشراح أمثلة (فعل) بالدلالة على المصدرية ، ثم قادهم التوسع في إيراد التراكيب المختلفة الى القول بالتحول لاستغلاق المعنى عليهم مع التركيب الجديد ، من ذلك لفظتي :الرفض والتترك في قوله (ع)

(أَوْصِيَكُمْ بِالرَّفْضِ لِـ هَذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ وَإِنْ لَمْ تَحِبُّوا تَرَكْهَا)^(٤). فقد صرَّح بعضهم بأنَّ (الرفض) و (الترك) مصدران لـ (فَعَلَ) المتعدي ، إذ أورد المعتزلي قول العرب : إِبْلَ رَفُضٌ وَتَرَكَ ، وفَسَّرَه بالمفعول أي : مرفوضة ومتروكة^(٥) . ولا شك أنَّ المفهوم من قولهم : إِبْلَ تَرَكَ وَرَفُضٌ غير المفهوم من قولهم : مرفوضة ومتروكة ؛ لأنها عندما توصف بالمصدر تصبح كأنها مختصة بهذا الوصف ملازمة له في كلِّ حين ، وعندما توصف بالمفعول يتحدد زمن الترك الرفض بالمضي وحده ، فضلا عن تخصيص الفاعلين الراضين التاركين بطائفة قليلة ، وأما الوصف بالمصدر فالزمن فيه مطلق وكذا عدد الفاعلين غير محدد .

٤- فَعَلَ بِمَعْنَى فَاعِلٍ^(٦) .

فَسَّرَ الشَّرَاحُ تَبَعًا لِلسَّابِقِينَ كَثِيرًا مِنْ أَمْثَلَةِ (فَعَلَى) بِالدَّلَالَةِ عَلَى (فَاعِلٍ) ، مِنْ ذَلِكَ (عَدَلَ) وَ (فَصَلَ) فِي قَوْلِهِ (م) مِنْ خُطْبَةٍ لَهُ وَصَفَ بِهَا النَّبِيَّ (ﷺ) اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : (...ذَا مَنْطِقٍ عَدَلٍ وَخُطْبَةٍ فَصَلٍ)^(٧) . فالمعنى لديهم : ذو منطق عادل لا جور فيه عن الحق وخطبة فاصلة للحق عن الباطل^(٨) . وعضدوا هذه الدلالة بقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصَلٌ ﴾^(٩) أي فاصل بين الحق والباطل^(١٠) ، وقوله تعالى : ﴿ أَرَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوَاً^(١١) أَي : غائراً^(١٢) .

(١) ينظر : شرح عمدة الحفاظ ٤٤٤-٤٤٦ وارتشاف الضرب ٣/٣٣٦ والبهجة المرضية ١٨٩

(٢) نهج البلاغة خ ٧ ص: ٢٧ .

(٣) ينظر: الكيدري ١٣٠/١ والمعتزلي ٢٠٩/٧ والبحراني ٣٠٩/٤ والسرخسي ٤٠/١ وأبو الفضل ٢٥٨/١ وأنصارين ٢٠١/١

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٩ ص: ١٨٠ .

(٥) ينظر : المعتزلي ٨٢/٧ .

(٦) ينظر: الكتاب ٤٣/٤ .

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ٧٢ ص: ١١٢ .

(٨) ينظر : الرواندي ٢٠٣/١ والكيدري ٣٥٦/١ والمعتزلي ١٤٣/٦ والبحراني ٢٠٥/٢ والسرخسي ٧٩/١ وعبد ١٣١/١

والخوئي ١٩١/٥ ومغنية ٣٥٣/١ والتستري ٣٢٠/٢ وأبو الفضل ١٤٠/١ .

(٩) الطارق ١٣ . (١٠) ينظر: الكشاف ٤/٢٤٢ .

(١١) الملك ٣٠ . (١٢) ينظر: الكشاف ٤/١٣٧ .

وأكثر ما فسَّرَ الشَّرَاحُ أَمْثَلَةَ (فَعَلَ) بِالدَّلَالَةِ عَلَى (الفاعل) إِذَا كَانَتْ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، مِنْ ذَلِكَ (كَذَبَا وَبَغِيَا) فِي قَوْلِهِ (م) : (أَيْنَ الدِّينِ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاْسُخُونَ فِي الْعِلْمِ تَوَنَّنَا كَذَبًا وَبَغِيَا عَلَيْنَا)^(١) ، إِذْ هُمَا مَنْصُوبَانِ عَلَى الْحَالِيَةِ مِنْ فَاعِلٍ (زَعَمُوا) وَهُمَا بِمَعْنَى الْفَاعِلِ ، أَي : كَاذِبِينَ بَاغِينَ^(٢) . وكذا ما في قوله (م) مُحَدَّرًا مِنَ الشَّيْطَانِ (... وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ... قَذْفًا بِغَيْبٍ بَعِيدٍ وَرَجْمًا بِظَنٍّ غَيْرٍ مُصِيبٍ)^(٣). قَذْفًا وَرَجْمًا بِمَعْنَى : قَاذَفَا وَرَاجَمَا ؛ لِأَنَّهُمَا مَصْدَرَانِ مَنْصُوبَانِ عَلَى الْحَالِ مَوْضُوعَانِ بِالمَشْتَقِ الَّذِي هُوَ اسْمُ الْفَاعِلِ^(٤) .

وهذه النيابة كسابقاتها غير مسلم بها ؛ لان (فعل) ليس ك(فاعل) في المعنى من عدة امور منها : إن (فعل) عام في الوصف غير مقيد بزمن لأنه مصدر في الأصل ، على حين يقيد (فاعل) موصوفه بزمن وحدث معلومين^(٥) ، وإن (فعل) أبلغ وأكد في الوصف من (فاعل) ، ومن وصف ب(فعل) صار كأنه الحدث نفسه ، فقولنا : (رجل عدل) يدخل في باب التشبيه البليغ الذي اقره أهل البيان وهو التشبيه الذي يحذف معه وجه الشبه وأداته نحو : فلان أسد . فالاسم « إذا وصف بالمصدر صار كأنه في الحقيقة مخلوق من ذلك الفعل ، وذلك لكثرة تعاطيه له واعتياده إياه »^(٦) وقد صرح بعض الشراح بأن إسناد أفعال العقلاء إلى أمثلة (فعل) لا يخرجها عن المصدرية لأنه داخل في الاستعارة ، من ذلك ما ورد في قوله (ع) يحث على التقوى : (أَيَقْضُوا بِهَا نَوْمَكُمْ)^(٧) ، إذ قال الكيدري : « هذا من الاستعارات البليغة والمبالغة البديعة حيث أمر بإيقاظ النوم نفسه دون النائم ويناسبه بوجه ما قولهم : جَدَّ جَدُّهُ »^(٨) ، يريد أن إسناد الافعال الى هذه المصادر وإيقاعها عليها ليس محمولا على النيابة والتضمين بل هو من باب التشبيه بالأدميين الفاعلين او المفعولين وفي هذا نكتة بلاغية استدعاها السياق لا تستحصل من الخطاب المباشر الحقيقي . وكان أكثر الشراح^(٩) قد ضمنا (نومكم) معنى (نائمكم) لأنهم وجدوا النوم مأمورا بالايقاظ وهو مما لا تصح مخاطبته فعمدوا الى القول بالنيابة كي يستقيم المعنى لهم .

وقد صرح فريق من الشراح بان نيابة (فعل) عن (فاعل) وردت في أمثلة قليلة لا يقاس عليها وهي لا تتضح الا إذا كان (فعل) وصفا . من ذلك إنهم لما اوردوا قول الإمام (ع) في حمد الله تعالى : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي... لا يَنَالُهُ

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٤٤ ص: ٢٥٣

(٢) ينظر : الرواندي ٧٠/٢ والكيدري ٦٤٥/١ والمعتزلي ٨٦/٩ والبحراني ١٨٨/٣ والخوئي ١٧/٩ والتستري ٤٨/٣ والشيرازي ٢٣٢/٢ وأنصاريان ٥٠/٢ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٢ ص: ٣٦٢

(٤) ينظر : الرواندي ٢٣٨/٢ والكيدري ٣٤٤/٢ والمعتزلي ٢٣٩/١٣ والبحراني ٢٤٥/٤ والخوئي ٣٨٤/١١ ومغنية ١١٥/٣ والتستري ٣٦٦/١٤ .

(٥) ينظر : شرح المفصل ٨٢/٦ وشرح الكافية ٢٢٠/٢ وشرح الشافية ٧٤/٤ والبهجة المرضية ٢٥٦-٢٥٧ .

(٦) الخصائص ٢٥٩/٣-٢٦٠ . (٧) نهج البلاغة : خ ١٩١ ص: ٣٥٧ .

(٨) الكيدري ٣١٩/٢ .

(٩) ينظر : المعتزلي ٢٢٠/١١ والبحراني ٢١٣/٤ وعبد ٢٣٣/١ والخوئي ٢٢٠/١١ والشيرازي ١٦٧/٣ .

غَوْصُ الْفِطْنِ)^(١). جَوَزَ بعضهم ان يكون (غوص) مصدرا بمعنى الفاعل ، فقال : « يجوز أن يكون غوص ها هنا مصدر بمعنى الفاعل كقولهم : فلان عدل اي عادل ، وقوله تعالى : ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوَاً أَيْ : غائرا فيكون المعنى لا تتاله الفطن الغائصة اي التأمّل العميق﴾^(٢) . ورفض أكثرهم دلالة (غوص) على الفاعل لان (فعل) هنا مضاف وليس وصفا ، فضلا عن قلة امثلته ، قال المعتزلي : « المصدر الذي جاء بمعنى الفاعل الفاظ معدودة لا

يجوز القياس عليها ولو جاز ، لما كان المصدر ها هنا لمعنى الفاعل لآته مصدر مضاف والمصدر المضاف لا يكون بمعنى الفاعل»^(٣) .

٥- فَعْلُ اسْمِ جَمْعٍ :

أقر الشّراح دلالة (فعل) على الجمع في كثير من ألفاظ النهج ومنها (زور) في قوله (ي) يذكر الموتى : (يَا لَهُ فُؤَادًا مَا أَبَعَدَهُ وَزُورًا مَا أَهْلَهُ...)»^(٤) ، فقد ذهب فريق منهم إلى أنّ الزور بمعنى الزائر للمقابر^(٥) . وذهب فريق آخر إلى أنّ (زور) باقٍ في الدلالة على المصدر بدليل أفراد الضمير العائد عليه في : (ما أغفله) ولو أراد الجمع لقال : (ما أغفلهم) وهو مصدر يوصف به الواحد والجمع ، يقال : رَجُلٌ زُورٌ وَرِجَالٌ زُورٌ^(٦) . ومثله (سفر) في قوله (ي) من وصية لابنه الحسن (ي) : (إِنَّمَا مَثَلٌ مِنْ خَبَرِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفَرُوا ، نَبَّ بِهِمْ مَنْزِلُ جَدِيبٍ)^(٧) ، فالنقد لدى فريق من الشّراح بمعنى مسافرون^(٨) .

وأقر بعض الشّراح (فعل) جمعا شأدا ل(فاعلة) ، كلفظ (الشّول) في قوله (ي) : (فَكَأَنَّكُمْ بِالسَّاعَةِ تَحْتُوكُمْ حَدَوِ الرَّاجِرِ بِشَوْلِهِ)^(٩) ، إذ ((الشّول : اللّوق التي خفّ لها وارتفعَ ضرعها وتلّى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية ، الواحدة شائلة وهي جمع على غير قياس))^(١٠) .

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص : ١٧ .

(٢) الراوندي ٣٠/١

(٣) المعتزلي ٦٩/١ وينظر : الكيدري ١١٤/١ والبحراني ١٠٨/١ والسرخسي ٣٦/١ وعبد ٦/١ والخوئي ٢٩٤/١

ومغنية ١٦/١ والتستري ١٤٦/١ والشيرازي ١٢/١ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ٢٢١ ص : ٤٢٤

(٥) ينظر : الراوندي ٣٧٦/٢ والمعتزلي ٥١/١ والبحراني ٣٢٤/٤ والخوئي ١١٩/١٤ والتستري ٢٢١/١١ والشيرازي ٣٥١/٣ .

(٦) ينظر : الراوندي ٣٦٨/٢ والتستري

(٧) نهج البلاغة ر ٣١ ص : ٥٠٢ .

(٨) ينظر : الراوندي ٤٣٨/١ والمعتزلي ٨٣/١٦ والبحراني ٢٥/٥ .

(٩) نهج البلاغة : الخطبة ١٥٧ ص : ٢٧٦ .

(١٠) المعتزلي ٢١٢/٩ .

وكان الراوندي ميالا إلى بقاء (فعل) دالا على المصدرية ففسر معظم الأمثلة بأنها مصادر يستوي فيها المذكر والمؤنث ، إذ جوز أن يكون : ((الزور اسم للواحد والجمع كالخضم والضيّف))^(١) . وصرح بأنّ « الضيف مصدر يستوي فيه الواحد والجمع »^(٢) . لكنّ المعتزلي كان يستحسن دلالة (فعل) على الجمع لا المصدر . من ذلك تفسيره كلمة (ينع) في قوله (ي) محذرا من فتنة بني أمية (...فإذا لم يند زرعهم قوام على ينعه...)»^(٣) إذ قال المعتزلي : « الأحسن أن يكون

يَنعَاهُنَا جَمْعٌ يَنعَى كَصَحْبٍ وَصَاحِبٍ ، ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ كَيْسَانَ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ الْمَصْدَرَ أَي : وَقَامَ عَلَى صِنْعَةٍ وَحَالَةٍ هِيَ نَضْبٌ وَإِدْرَاكُهُ ^(٤) .

ويبدو أن دلالة (فعل) على الجمع تأتي من طبيعة التركيب وحركة الالفاظ المؤتلفة فيه بعضها مع بعض فإذا كان الموصوف جمعاً والوصف (فعل) ينصرف الذهن الى أنه جمع ، نحو : قوم سفر، أي : مسافرون . وإذا كان الموصوف مؤنثاً والوصف (فعل) أول بأنه مؤنث ، نحو : (خطبة فصل) أي : فاصلة . وكل هذه الامثلة هي مصادر بدليل عدم اجماع العلماء القدماء وشراح النهج على إنها جموع ، فقد اختلفوا في مدلولها مع ميل الى انها مصادر لدى اكثرهم . ثم ان المصدر ان وصف به لم يحتج الى مطابقته موصوفه في العدد والجنس . ومن هنا وقع اللبس فعمدوا الى التضمين والنيابة دفعه ^٥ ، فوقعوا في المحذور وهو تحريف الكلم عن مواضعه لان (الماء الغور) إذا فسر بالغائر يفهم منه أنه غائر بنفسه في مدة زمنية معينة وقد يندفق بعد حين وهو المفهوم من دلالة (فاعل) على التحول وعدم الثبات . ولكن المفهوم من الآية الكريمة هو غور الماء بفعل فاعل حكيم غورا دائما ولذا تحمل امثلة (فعل) المذكورة انفا على ظاهرها في الدلالة على المصدرية .

أما (فُعلة) مؤنث (فُعلى) فقد أقر له الشراح تبعا للصرفيين ^(٥) دلالاته على المصدر الذي قد يكون صريحا او دالا على المرة بلحاظ ختمه بالناء . فأما (فُعلة) مصدرا للثلاثي فامتثته في النهج (الحَيْطَةُ) في قول الامام (ع) : (لَا يَسْتَعْنِي الرَّجُلُ ، وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ ، عَنْ قَرْتِهِ وَدِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَأَسْنَتِهِمْ وَهُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ حَيْطَةً ^(٦)) فَالْحَيْطَةُ مُصَدَّرٌ (حَاطٌ يَحِيطُ) بِمَعْنَى الرَّعَايَةِ وَالْمَنْعَةِ ^(٧) . وكذا (الهِجْعَةُ) في قوله (ع) يصف الرسول (صلى الله عليه وآله) : (أُرْسِلَ عَلَيَّ حِينَ فُتِرَ مِنَ الرَّسْلِ ، وَطَوَّلَ هَجْعَةَ مِنَ الْأُمَمِ) ^(٨) بِمَعْنَى الْهَجُوعِ ^(٩) . و(الرَّوْرَةُ) في قوله (ع) يصف الميت : (تَحْمَلُهُ

(١) الراوندي ٣٧٦/٢ . نفسه ٣٢٩/٢ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٠١ ص: ١٨٤ .

(٤) المعتزلي ١٠١/٧ وينظر : الكتاب ٦٢٤/٣ .

(٥) ينظر : الكتاب ٤٥/٤ والمقتضب ٣٧٢/٣ والأصول ٤٠/٣ والتسهيل ٢٠٧ وشرح الشافية ١٨٠/١ وأبنية الصرف ٢٢٤ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ٢٣ ص: ٥٤ .

(٧) ينظر : المعتزلي ٣١٤/١ .

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ٨٩ ص: ١٤٥ .

(٩) ينظر : المعتزلي ٣٨٨/٦ وابو الفضل ١٨٠/١ .

حَفْدَةُ الْوَالِدَانِ وَحَشْدَةُ الْإِخْوَانِ إِلَى دَارِ غُرْبَتِهِ وَمُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ ^(١) ، بِمَعْنَى نَهَايَةِ الزِّيَارَةِ ^(٢) . وكذا (النَّجَاة) بِمَعْنَى الْمَنْجَاةِ وَكِلْتَاهُمَا مُصَدَّرٌ نَجَا إِذَا فَازَ ^(٣) ، وَالْأَنَاءُ بِمَعْنَى النَّائِي ^(٤) ، وَالْعُدْوَةُ بِمَعْنَى الْعُدْوَانِ ^(٥) ، وَالْجَوْلَةُ بِمَعْنَى الْجَلَّانِ ^(٦) وَالْكَفْرَةُ بِمَعْنَى الْكُفْرِ ^(٧) .

وأما (فُعلة) بمعنى المصدر الدال على المَرَّة فهي الدلالة المهيمنة لأمثلة هذا البناء لدى الشَّراح نحو: الكَرَّة والفَرَّة ، وهما المرة الواحدة من الكَرِّ والفَرِّ^(٨) ، و(الرَّجَّة) واحدة الرَّجِّ^(٩) ، والأثَنَّة الواحدة من الأَنِّ^(١٠) ، والخَوْضَة وهي المَرَّة الواحدة من الخَوْضِ^(١١) ، والسَّوْقَة المَرَّة من سياق الروح عند الموت^(١٢) .

وكان سببويه قد نبه على دلالة (فُعلة) على المَرَّة^(١٣) . وعدَّ ابن سيده أمثلة (فُعلة) مصادر مفردة جمعها (فُعَل) وهما كثيران في باب المصادر لأنَّهما بناءان خفيفان ، فقال : « مصادر الثلاثي الأصل فيها لُ يكون المصدر على فَعَل بل الأصل في الأفعال الثلاثية كلُّها أن تكون مصادرُها على فَعَل لأنَّه أخفُّ الأبنية ولأنَّنا نقول فيها إذا رُدنا المَرَّة الواحدة : فُعلة ، كقولنا : جلسَ جَلْسَة وقامَ قَوْمَة . وفعلهُو جمعُ فُعلة كما يُقال : تَمَرَة وتَمَر ، ويكون الضَّرْبُ من الضَّرْبَة كالنُّمْر من النُّمْرَة^(١٤) .

ويمكن القول : إنَّ ما ورد وزان (فُعلة) في متن العربيَّة يفيد حصول الفعلِ مرَّة واحدة مع بيان أثره في الموضع ، وأما ما ظاهره ليس كذلك من نحو طول مكث القيام بالفعل أو الاتِّصاف به على وجه الدوام كما يلحظ في دلالة المصادر نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(١٥) ، فإشارة إلى انتفاء الزمن والعدِّ معها لأنَّها من الله - عز وجل - فهي لازمة وثابتة لأنَّ المضاف يكتسب من المضاف إليه أموراً منها التذكير^(١٦) وهو حاصل

(٢) ينظر: المعتزلي ٢٧٢/٦ .

(٤) ينظر: مغنية ٤٩٩/١ .

(٦) ينظر: نفسه ٣٥/٢ .

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ ص: ١٣٤ .

(٣) ينظر: الراوندي ١٢١/٢ .

(٥) ينظر: عبده ٢٤٥/٢ .

(٧) ينظر: مغنية ٢٧٢/٣ .

(٨) ينظر: البحراني ٢٨٤/٤ .

(٩) ينظر: عبده ٧٩/١ .

(١٠) ينظر: المعتزلي ١٤١/٦ وينظر : عبده ١٥٠/١ .

(١١) ينظر: المعتزلي ٢٧٢/٦ .

(١٢) ينظر : البحراني ٣٣٩/٤ والسرخسي ١٠٤/١ .

(١٣) ينظر: الكتاب ٤٥/٤ .

(١٤) المخصص ١٣١/١٤ - ١٣٢ .

(١٥) الاعراف ٥٦ .

(١٦) ينظر: البهجة المرضية ٢١٤ .

مع (رحمة) بدليل الإخبار عنها بقريب ، وكذا اكتسبت رحمة الثبات وال لزوم من لفظ الجلالة (الله) لا الإتيان بالفعل مرَّة واحدة كما هو الأصل في أمثلة البناء ، وكذا الرُّورَة في قول الامام (ع) : (منقطع زورته) ، فيه اشارة الى ان عمر الانسان بمجمله كأنه زيارة خاطفة سريعة لمرة واحدة سواء أحسن الانسان التفاعل معها أم لم يحسن ، وفيه إشارة -

ايضا - الى ان الدنيا دار فناء ازاء الآخرة التي هي دار البقاء والقرار . أما ما قرره الصرفيون^(١) ووافقهم فيه الشراح من دلالة (فُعلة) على مصادر الثلاثي وحينئذ تكون المرّة منها بالوصف (واحدة) ، فيمكن حمله على انه من نوع مصدر المرة المؤكد بالوصف نحو : (زَجْرَة واحدة) و (صَيحة واحدة) و (نَفخة واحدة) و (دَكّة واحدة) ، فكل هذه الامثلة تدل على المرّة وهي مجردة عن الوصف ومع وصفها ب (واحدة) تفيد تأكيد المرة الواحدة لا اقرارها ابتداء لانها مدركة في الموصوف (فُعلة) في امثلته جميعها ، والوصف بواحدة في هذه الامثلة هو نفسه في قوله تعالى: ﴿ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾^(٢) و ﴿ نَجَّةً وَاحِدَةً ﴾^(٣) ، وهو نفسه المدلول المستحصل من الوصف (اثنين) في: ﴿ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾^(٤) و ﴿ إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾^(٥) ، وكل هذه الصفات للتوكيد ولا دخل لها في نقل دلالة الموصوف بها من عدد الى آخر . ومما ظهر فيه معنى المرة وفسره الشراح بالمصدر لا المرة ما ورد في قوله (ع) يصف المحتضر: (دَهَنُهُ فَجَعَاتُ الْمَنِيَّةِ ... وَالْمَوءُ فِي سَكْرَةٍ مُلَهْنَةٍ وَغَمْرَةٍ كَارِثَةٍ وَأَنَّهُ مُوجَعَةٌ وَجَذْبَةٌ مُكْرِبَةٌ وَسَوْقَةٌ مُعْبَةٌ)^(٦) ، فكل من السكرة والغمرة والأنة والجذبة والسوقة تفيد المرة الواحدة لاقترانها بالممات الذي يعرض للانسان مرة واحدة فكذلك تلك ، لكن فريقا من الشراح^(٧) عدّ هذه مصادر بمعنى السكر والغمر والأن والجذب والسوق وهو غير موجه .

(١) ينظر: شرح الشافية ١/١٨١ وتصريف الأسماء ٨٠.

(٢) البقرة ٢١٣ .

(٣) ص ٢٣

(٤) هود ٤٠ .

(٥) النحل ٥١.

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ ص ١٣٣.

(٧) ينظر : المعتزلي ٦/٢٧٢ وعبد ١/٧٩.

المطلب الثاني : معاني فعل - فُعلة.

كثرت أمثلة البناء (فعل) في متن النهج ففرّقها الشراح تبعا للصرفيين^(١) على عدة دلالات أهمها :

١ - فعل اسم مصدر بمعنى المفعول .

أقرَّ القدماء دلالة فُعلٍ على اسم المفعول كأبن سيده في قوله : « يَجِيءُ الفُعلُ في الأسمِ كثيراً ... تقولُ : طَحَّنتُ الدَّقِيقَ طَحًّا ، والطَّحْنُ : الدَّقِيقُ المطحون ... والقِسْمُ هو التَّصْيِبُ المقسوم ، والتَّقْضُ هو الجَمَلُ الذي قَضَهُ النَّقْرُ إذا هَزَلَهُ »^(٢). وبهذا فسَّروا الدَّبْحَ في قوله تعالى : ﴿ وَفِيْنَا بُنُوجٌ عَظِيمٌ ﴾^(٣).

وأمثلة (فعل) في متن النهج كثيرا ما دلت على أسماء المفاعيل بخلاف (فعل) المتحد معه في الاشتقاق اذ يدل على المصادر، وقد فرق الشَّراح بين أمثلة (فعل) و(فعل) المتحدة في الاشتقاق مراعين هذا الملحظ الدلالي بينها ، من ذلك أنهم لما وقفوا على قول الامام (ع) من كتاب له إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة (...أَنْتَهَلَيْ السُّدِّمَةَ مِنْ رَعِيهَا فَتَبْرِكُ؟ وَتَشْبَعُ الرَّبِيضَةُ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرِيضُ) ^(٤) ، فسَّروا : الرَّعِي بِأَنَّهُ العُشْبُ والتَّبْتُ والكَلَأُ الذي ترعاه البهائم^(٥) ، وفرق بعضهم بين (الرَّعِي) بفتح الراء و(الرَّعِي) بكسرهما بأن مكسور الراء هو الكَلَأُ وهو الاسم ، والمفتوح هو المصدر^(٦) . و« مثل هذا كثير في العربية في المواد الثلاثية . ومنه الشَّرْبُ للقدر المشروب من الماء ، والمصدر الشَّرْبُ بضم الراء ، ومنه المِسْخُ للممسوخ من ولد وغيره ، والمصدر المِسْخُ بفتح الميم . وكذلك التَّقْضُ بكسر النون وهو المنقوض والمهزول من السير ناقة كان أو جملا وما نكث من الأخبية والأكسية فُغِزِلَ ثانية ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿ كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا ﴾^(٧) . والتَّقْضُ بالفتح هو المصدر وهو ضد الإبرام^(٨) .

٢ - فُعلٌ بمعنى الفاعل .

أورد الشَّراح طائفة من أمثلة فُعلٍ دلالة على الفاعل . ومنها الحِصْنُ في قوله (ع) : (التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ)^(٩) وهو بمعنى اسم الفاعل لأنَّ التَّقْوَى تحصَّن صاحبها^(١٠) . و(الرِّي) في قوله (ع) يصف القرآن : (جَعَلَهُ اللهُ رِيًّا لِعَطَشِ العُلَمَاءِ)^(١١) إذ هو بمعنى الراوي^(١٢) .

(١) ينظر : الكتاب ٤٢/٤ وديوان الأدب ١٨٧/١ والمحتسب ٦٣/٢-٦٤ وشرح الشافية ١٢٥/١/٢ و١٦٢/٢

وارتشاف الضرب ١٩٥/٣ ومعاني الأبنية ٦٦ .

(٢) المخصص ١٥٦/١٤ وينظر : شرح الشافية ١٦٢/٣ .

(٣) الصافات ١٠٧ وينظر : الكشاف ٣٤٩/٣ والبحر المحيط ١١٨/٩ . (٤) نهج البلاغة ر ٤٥ ص : ٥٣٥ .

(٥) ينظر : الرواندي ١٤٤/٣ والمعتزلي ٢٥٩/١٦ والبحراني ١١٥/٥ والخوئي ١٢٤/٢٠ والتستري ٣٦٩/٦ وعبد ٧٧/٢ .

(٦) ينظر : التستري ٣٦٩/٦ . (٧) النحل ٩٢ . (٨) السامرائي ١٧٨ .

(٩) نهج البلاغة : الخطبة ١٥٧ ص : ٢٧٦ . (١٠) ينظر : المعتزلي ٢١٣/٩ والبحراني ٢٨٤/٢ وعبد ١٨٤/١ .

(١١) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٨ ص : ٣٩٨ .

(١٢) ينظر : المعتزلي ٢٠٠/١٠ والبحراني ٣٨٨/١ والخوئي ٣١٤/١٢ والرواندي ٣٠٤/٢ .

٣ - فُعلٌ مصدرًا .

شَاعَتْ أُمَّتُهُ (فِعْل) مَصَادِر فِي مَتْنِ الْعَرَبِيَّةِ وَمِنْهَا : الْكُذْبُ وَالسُّحْرُ وَالْفِسْقُ وَغَيْرَهَا مِنَ الْمَصَادِرِ الَّتِي سَمِعْتَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مِنْ أَبْوَابِ الْفِعْلِ جَمِيعِهَا^(١) . وَلِذَا نَبَّ الشَّرَاحُ عَلَى هَذِهِ الدَّلَالَةِ ، وَمِنْهَا مَا فِي قَوْلِهِ (ع) : (لَا يُبْرِكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ)^(٢) . وَفِيهِ الْجِدُّ بِمَعْنَى الْاجْتِهَادِ^(٣) .

٤ - فِعْلٌ بِمَعْنَى فِعِيلٍ .

وَمِنْ أُمَّتِهِ لَدَى الشَّرَاحِ مَا فِي قَوْلِهِ (ع) : (اللَّهُمَّ ... خُذْ قَلْبِي إِلَى مَوَاشِدِي فَإِنَّ لَيْسَ ذَلِكَ بِنُكْرٍ مِنْ هِدَايَاتِكَ وَلَا بَبْدَعٍ مِنْ كِفَايَاتِكَ)^(٤) ، وَفِيهِ (بَدَعٌ) بِمَعْنَى الْبَدِيعِ^(٥) ، وَكَذَا مَعْنَاهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بَدْعًا مِنَ الرِّسْلِ ﴾^(٦) ، أَيْ : بَدِيعًا^(٧) . وَمِنْهُ (الرَدْفُ) فِي قَوْلِهِ (ع) لِلرَّجُلِ رَأَى يُسْعَى عَلَى عَدُوِّهِ بِمَا فِيهِ إِضْرَارٌ بِنَفْسِهِ : إِنَّمَا أَنْتَ كَالطَّاعِنِ نَفْسَهُ لِيَقْتُلَ رِدْفَهُ^(٨) ، وَهُوَ بِمَعْنَى الرَّدِيفِ أَيْ الَّذِي يَرْكَبُ خَلْفَ الرَّكَّابِ^(٩) .

٥ - فِعْلٌ بِمَعْنَى ذِي الشَّيْءِ (النَّسْبِ) .

فَسَّرَ الشَّرَاحُ طَائِفَةً مِنْ أُمَّتِهِ النَّهْجِ الَّتِي عَلَى (فِعْلٍ) بِأَنَّهَا فِي الْأَصْلِ حُذِفَ الْمُضَافُ قَبْلَهَا وَهُوَ (ذُو) وَأَقِيمَتْ هِيَ مَقَامَهُ ، كَالشَّلُوِّ فِي قَوْلِهِ (ع) وَاصْفَا الدُّنْيَا : (... فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ وَلَحْمٍ مَجْزُورٍ وَشَلْوٍ مَذْبُوحٍ مَسْفُوحٍ...) ^(١٠) ، فَالشَّلُوُّ لَدَى الشَّرَاحِ وَاحِدُ الْأَشْلَاءِ وَهِيَ الْأَعْضَاءُ الْمَتَفَرِّقَةُ مِنَ الذَّبِيحَةِ ، وَمَعْنَى الشَّلُوِّ الْمَذْبُوحِ : ذُو الشَّلُوِّ الْمَذْبُوحِ مِنَ الْإِنْعَامِ^(١١) . وَهَذَا الْمَثَلُ تَقْهَمُ دَلَالَتُهُ عَلَى الْأَسْمِيَّةِ إِذَا مَا تَوَسَّعَ فِي مَعْنَى الذَّبْحِ فَهُوَ فِي أَسْلِ اللُّغَةِ مَطْلُوقُ الشَّقِّ^(١٢) فَيَكُونُ الْمَعْنَى : (شَلُوٌ مَقْطَعٌ) وَليْسَ عَلَى تَقْدِيرِ مُضَافٍ مَحْذُوفٍ تَتَصَرَّفُ اللَّفْظَةُ مَعَهُ إِلَى مَعْنَى النَّسْبِ بِغَيْرِ يَاءٍ .

(١) ينظر : المصادر والمشتقات في لسان العرب ٨٨ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ٢٢٧ ص : ٤٤٢ .

(٣) ينظر : البحراني ٥٦/٢ والمعتزلي ٢٣٠/٦ والراوندي ٨٥/١ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ٢٢٧ ص : ٤٤٢ .

(٥) ينظر : المعتزلي ٢٧٦/١١ والبحراني ٩٥/٤ والخوئي ٣٣٤/١٤ ومغنية ٣،٣٢٧ والتستري ٢٧/٧

وأبو الفضل ٢٢٢/١٢ والشيرازي ٣٩٣/٣ .

(٦) الاحقاف ٩

(٧) ينظر : الكشاف ٥١٧/٣ .

(٨) نهج البلاغة الحكمة ٢٩٦ ص : ٦٦٢ .

(٩) ينظر : مغنية : ٣٦٩ / ٦ .

(١٠) نهج البلاغة : الخطبة ١٩١ ص : ٣٥٨ .

(١١) ينظر : الراوندي ٢٢٥/١ والكيدري ٣٢١/٢ والمعتزلي ٢٤/١٣ والبحراني ٢١٠/٤ .

(١٢) ينظر : المقاييس ٣٩٢ والقاموس ٢١٢ .

ويبدو أن هذه الدلالات جميعها تدخل في باب الأسماء في جميع المواضع ، فالمصدر يدلُّ على حدث مطلق واسم المصدر يدلُّ على ذلك الحدث أو هو النتيجة الطبيعية المحسوسة أو المعقولة له ، والدليل على ذلك إن أمثلة (فعل) تتضح فيها الدلالات الفرعية كلها بتأويل ، وتظهر فيها الدلالة على الإسمية دون تأويل . فقد ذكر الشَّراح أن (لقرن) هم أهل كلِّ زمان^(١) . وهنا تدلُّ الكلمة على اسم الجمع كونها لا تصلح إلا لجماعة من النَّاس ، وتدلُّ على اسم المفعول كون النَّاس مقرونا بعضهم ببعض في هذه المدة . والقرن اسمٌ لهم . وكذا (الضَّغْت) في قوله تعالى : ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا ﴾^(٢) . فقد ذكر الشَّراح تبعاً للمفسِّرين^(٣) أنه حشيش مختلطٌ بفضه رطب وبعضه يابس ومعنى اللفظة الأصلي هو اسم جمع لهذه الحشائش مجتمعة ، وتصلح للدلالة على المفعولية باعتبار ضغطها في حزمة . وكذا (الصَّهر) في قوله (ع) في الخطبة الشَّقْشَقِيَّة : (فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ ضِغْنَهُ وَمَالَ الْآخِرِ صِهرِهِ)^(٤) ، إذ قيل : هم أهل بيت المرأة كالأبوين والأخوة^(٥) ، واللفظ ظاهر الدلالة على الجمع والواحد . وأما دلالة البناء على مصادر الثلاثي فمردودة بتعدُّد أبنية مصادر الثلاثي في الفعل الواحد وهذا التعدُّد يعضدُّ أن يكون ما ورد على بناء (فعل) منها ما هو إلا اسم ، فالكذب اسم والمصدر هو الكذب ، والفسق اسم والمصدر هو الفسوق وكذا في سائر الأمثلة . وأما فعلة مؤنث ففعل فبناء كثرت امثلته في متن النهج ففرقها الشَّراح على عدة دلالات هي :

فعلة هياة

وهي الدلالة البيئية الجليَّة التي جهر بها الشَّراح عدَّة مرَّات ، ومنها (المدحة) في قوله (ع) يحمده الله (موجود) : لا يُلْغُ مَنْحَهُ الْقَادِرُونَ^(٦) . وهي الهيئة والحالة التي ينبغي أن يكون عليها المادح في مدحه كالركبة هياة الركوب والجلسة هياة الجلوس^(٧) . ومنها (الميتة) في قول الامام (ع) : (وَإِنِّي لَنَفْسِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ لَأَلْفُ ضَرِيَّةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَيْتَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ)^(٨) . فهي هياة الميت كالجلسة والركبة والقعدة^(٩) . وقد فاق المعتزلي إقرانه في الجهر بهذه الدلالة وسماها الهيئة في كل الامثلة ، على حين سماها البحراني الحالة ، وتفاوت الاخرون في اختيار المصطلح مع ميل لدى أكثرهم نحو (الهيئة)^(١٠) .

(١) ينظر : انصاريان ٢٩٨/١ . (٢) ص ٤٤ وينظر : الكشاف ٣٧٧/٣ والبحر المحيط ١٦٣/٩ .

(٣) ينظر : انصاريان ١٦٦/٣ . (٤) نهج البلاغة الخطبة ٣ : ص ٣٠ .

(٥) ينظر : البحراني ٢٥٣/١ والخوئي ٧٢/٣ وأنصاريان ٧٤/١ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص : ١٧ .

(٧) ينظر : الكيدري ١١٣/١ والمعتزلي ٥٨/١ والبحراني ١٤٢/١ والخوئي ٢٩٦/١ ومغنية ٧١/١ وانصاريان ٣٠/١ .

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ١٢٣ ص : ٢٢٧ .

(٩) ينظر : المعتزلي ٣٠٠/٧ والخوئي ١٥٠/٨ وعبد ٤/٢ .

(١٠) ينظر : المعتزلي ٣٠٠/٧ والبحراني ١٤٢/١ .

وكان سببويه قد وصفها بضربٍ من الفعل ، فقال : ((هذا باب ما تجيء فيه الفعلة تريد بها ضرباً من الفعل ، وذلك قولك بحسن الطُّعْمَة ، وقتلته قتلته سوء ، وبئست المِيتَة ، وأما تريد الضرب الذي أصابه من القتل والضرب الذي هو عليه من الطعم ، ومثل هذا : الرُّكْبَة والجِلْسَة والقَعْدَة))^(١) .

٢ - فِعْلَة مصدرًا للثلاثي .

ثمة أمثلة كثيرة جاءت على (فِعْلَة) فسرها الشراح بالمصادر وقرنوها بمصادر الثلاثي التي شاعت فيه نحو (النَّبْتَة) في قوله (ع) يصف بني أمية: (يَخْضِمُونَ مَالَ اللَّهِ خَضْمَ الْإِبْلِ نَبْتَةَ الرَّيِّعِ)^(٢) . فهي بمعنى النبات^(٣) . و(الضَّلَّة) في قوله (ع) يصف بعض الملاحم : (قَائِدُهَا خَارِجٌ عَنِ الْمَلَّةِ قَائِمٌ عَلَى الضَّلَّةِ)^(٤) . ومعناها : الضَّلَالُ^(٥) . و(الجِنَّةُ) في قوله (ع) يَبْرَأُ مِنَ الظُّلْمِ : (أَمْخَبَطُ أَنْتَ أَمْ ذُو جِنَّةٍ أَمْ تَهْجُرُ؟)^(٦) . بمعنى الجنون^(٧) . وغير ذلك^(٨) .

٣ - فِعْلَة جمعا .

صَّرح فريق من الشراح بدلالة (فِعْلَة) على جماعة بشرية ك(العِتْرَة) ، يقال : ((قَرَّةُ الرَّجُلِ أَبْنَاؤُهُ وَأَسْرَتُهُ وَعَشِيرَتُهُ الْأَدْنُونَ))^(٩) . وكذا (الفِرْقَة) طائفة من النَّاسِ والفريق أكثر منهم ، و(الشَّيْعَة) أنصار الرجل^(١٠) وغير ذلك . وورد في النهج طائفة من جموع التكسير على (فِعْلَة) ، فبرز الشراح دلالتها على العدد القليل وفاقا للصرفيين^(١١) . كالجيرة في قوله (ع) يصف الموتى : (فَهَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا ... جَمِيعٌ وَهُمْ أَحَادٌ وَجِيرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ)^(١٢) ف ((جيرة : بعضهم جار لبعض))^(١٣) . ومنها - أيضا - (صَبِيَّةُ النَّارِ) وهم أبناء مروان بن الحكم ، و(فتية أهل البصرة) وهم أصحاب الثروة فيها^(١٤) وغير ذلك .

ويمكن القول : إن أمثلة (فِعْلَة) أينما وردت وكيفما جاءت تفيد الدلالة على الهيئة التي يكون عليها الفاعل القائم بالفعل أو المتَّصِفُ به ، فمثال هيئة القائم بالفعل : جِلْسَة وَقَعْدَة وَفِرْقَة لتفرُّقهم عن الأصل وغير ذلك ، ومثال هيئة المتَّصِفِ بالفعل مِيتَة وَعِبْرَة وَنِعْمَة . وقد يكون الفاعل المتَّصِفُ بالفعل أو القائم به جمعا لا مفردا مع (فِعْلَة) كالمِلَّةِ والشَّيْعَة والعِتْرَة . ومن هنا فسرت هذه الأمثلة بالجمع وهي ليست جمعا بدليل جواز جمعها على (فِعْل) ، ك(شَيْعَة شَيْع) و(مِلَّة مِلل) و(فِرْقَة فِرَق) ، وأما هي أحوال وهيآت وجد عليها الفاعلون .

-
- (١) الكتاب ٤/٤٤ وينظر المخصص ٥٨/١٤ .
(٢) نهج البلاغة : الخطبة ٣ ص: ٣٠ .
(٣) ينظر : البحراني ١/٤٣ وانصارين ٧٥/١ وعبد ٤١/١ .
(٤) ينظر : البحراني ٢٩/٣ ومغنية ٢٢٩/٣ .
(٥) ينظر : السامرائي ٣٤٨ .
(٦) ينظر : المعترلي ٣١٤/١ والبحراني ٣٤٥/١ .
(٧) ينظر : البيهقي ٢٤ والراوندي ٢١٤/٢ وعبد ١١/١ .
(٨) ينظر : الكتاب ٣/٦٠٥ .
(٩) الشيرازي ٢/٢٠٥ وينظر : المعترلي ٢٣٣/٧ والخوئي ٢٤/٨ .
(١٠) ينظر : الراوندي ٣/٧٧ والمعترلي ١٦/٢٠٦ والخوئي ٢٠/٨٩ والشيرازي ٤/٢٨ .

المطلب الثالث : معاني فعل - فُعلة .

كثرت أمثلة البناء فُعلى في متن النهج ففرقها الشراح على اربع دلالات :

١ - فُعَل جمعاً .

وتدل أمثلته على العيوب والحلي والألوان ،ويطرد في الوصف (أفعل) الذي مؤنثه (فعلاء) ، نحو: (أحور حوراء حور) و(أعور عوراء عور)^(١) . وقد غلب في متن النهج فُعَل جمعاً لمفرد على أفعل فعلاء وصفين دالين على قبح أو عيب . ثم برز الشراح هذه الدلالة في عدة أمثلة منها : الصَّم والشُعَث والغُير جموعاً لأصَم وأشَعَث وأغْبِر^(٢) . وعُمي وبُكْم جمعين لأعْمى وأبُكْم^(٣) . وجاء (فُعَل) جمعاً لمفرد على أفعل فعلاء الدالين على حسن أو حلية نحو: حور جمع حوراء . والصُّلد جمع أصلد^(٤) . وورد (فُعَل) جمعاً لفاعل نحو (البُور) في قوله (ي) يصف حال الأموات : (...أصبحتُ بيوتهم قبوراً ، وما جمَعوا بُورا)^(٥) ، فالبور جمع بائر وهو الهالك^(٦) .

وورد في العربية (فُعَل) جمعاً لاسم ثلاثي مذكّر ومؤنث أجوف . ومن أمثلته لدى الشراح : ناقة نُوق ، وساق سُوق ، ودار دُور ، ونار نُور^(٧) . وورد (فُعَل) اسم جمع يفرق بينه وبين واحده بالتاء نحو : الدُر جمع نُورة^(٨) .

٢ - فُعَل مصدرًا .

ومن امثلته في النهج ما في قوله (ي) : (فُجِّبَا لَكُمْ وَتَوَحَّأ)^(٩) . وقوله (ي) : (رَحِطَلْهُ أَمْرًا سَعِمَ حُكْمًا فَوَعَى)^(١٠) وقوله (ي) إلى معاوية: (وَحَيْثُ تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورُكَ قَدَّ أَجْرِيَتْ إِلَى غَايَةِ خُسْرِ وَمَحَلَّةِ كُفْرِ)^(١١) . فكل من (قُبِحَا ، حُكْمًا ، خُسْر ، كُفْر) مصادر للثلاثي^(١٢) . وقد جمع سيبويه أمثلة (فُعَل) من المصادر على معنى النقص والتمام أو القبح والحسن^(١٣) . وهذا ظاهر في هذه الأمثلة .

(٢) ينظر: الخوئي ٣/٣٦٣ .

(٤) ينظر: البحراني ٣/٣٩ ومغنية ٤/٢٧٥ .

(١) ينظر : التكملة ٤٤٧ .

(٣) ينظر: المعتزلي ١٣/١٥٦ .

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ١٣٢ ص: ٢٤٠ .

(٦) ينظر: المعتزلي ٨/٢٧٠ .

(٧) ينظر: نفسه ٢/١٩٠ .

(٨) ينظر: انصاريان ١/٢٦٨ .

(٩) نهج البلاغة : الخطبة ٢٧ ص: ٦٢ .

(١٠) نهج البلاغة : الخطبة ٧٦ ص: ١١٥ .

(١١) نهج البلاغة ر ٣٠ ص: ٤٩٥ .

(١٢) ينظر: المعتزلي ٢/٧٩ و ٦/١٧٢ والبحراني ٤/٣٩٦ والسرخسي ١/٢٩٣ وعبده ١/١٥٥ و ٣/٩١ وابو الفضل ١/٣٥٠ .

(١٣) ينظر : الكتاب ٤/٢٨ .

ولم يُسَلِّم الشّواح بأنّ المصادر التي على (فعل) ذات دلالة مطابقة لغيرها من المصادر التي سُمت مرادفة لها كالخسر والخسران، والكفر والكفران، والشكر والشكران، والحكم والحكمة. بل وردت لديهم التماعات دلالية فرقا فيها بين أمثلة (فعل) وغيرها من المصادر فـ ((السُخف في العقل خاصة، والسُخافة في كلّ شيء))^(١). و ((السدّ ما وجد مصنوعا وما لم يوجد مصنوعا فهو السدّ))^(٢). وقد سبقت الإشارة في الدلالة الصوتية إلى أنّ (فعل) بناء يدلّ على المشقّة والثقل على الآدميين لقوّة الفعل فيه وشدّته فهو أمضى من نظيرية (فعل وفعل). ويبدو أنّ مجيء المصادر على أوزان الجموع في أمثلة (فعل) يوحي إلى وجود تقارب في الداليتين، وهذا واضح من قول سيوييه في هذه المصادر: إنّها تفيّد الحسن والقبح، ومن شيوع أمثلة الجمع (فعل) في ما كان وصفا على (أفعل فعلاء) دالا على عيب أو حلية وأما الألوان فداخلة في العيوب والحلي. فالدلالة واحدة بين المصادر والجموع التي على (فعل).

٣- فُعل بمعنى فَعِيل

وردت طائفة من أمثلة (فعل) بمعنى فَعِيل صفة كما في قوله (م) في معرفة الله عز وجل: (لَا يَبْلُغُ بَعْدَ الْهَمِّ)^(٣)، إذ فسّر الراونديّ (بعد) بأنّه مصدر بمعنى الفاعل كقولهم: رجل عدل بمعنى عادل، والتقدير: لا يدركه العالم البعيد الهمة^(٤). وكذا ما جاء في قوله (م) - لما سُئِلَ عن قول الرسول (صلى الله عليه وآله): (عَيَّرُوا الشَّيْبَ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ)^(٥) - : (إِنَّ قَالِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ وَالَّذِينَ قُلُّ)^(٦)، فقد فسّر بعضهم قُلُّ بـ (قليل)^(٧).

٤- فُعل بمعنى مفعول .

ومن أمثلتها لديهم: العرف بمعنى المعروف^(٨) والنكر بمعنى المنكر^(٩).

(١) الخوئي ١٥٠/١٤.

(٢) الكيدري ٤٤٦/١.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٩٤ ص: ١٧٣.

(٤) ينظر: الراونديّ ٣٠/١ و المعتزليّ ٦٩/١.

(٥) مسند أحمد رقم: ١٣٤١، ٧٢٣٠، وسنن الترمذي ١٦٧٤، وسنن النسائي رقم ٤٩٨٦، ٤٩٩١.

(٦) نهج البلاغة ح ١٧ ص: ٦٠١.

(٧) ينظر: المعتزليّ ١٢٢/١٨.

(٨) ينظر: المعتزليّ ٥٣/١٧ والسرخسيّ ٢٦٧/١ والشيرازي ١٦٢/٤ وعبدّه ١٠١/٣.

(٩) ينظر: البحراني ٩/٢ و ٢٨٤/٥.

وأما فُعْلة مؤنث فُعْلى فهو بناء كثرت أمثلته في متن النهج فتلمس له الشراح عدّة لالات هي :

١ - فُعْلة مصدرًا .

هو مطرّ رد في (فعل) اللزم الدال على لون نحو : الحُمْرة والخُضرة والشُّهبة^(١) ، ومن أمثلته في النَّهْج ما جاء في قوله (م) يذكر عجيب خلق الطاووس: (وَإِذَا تَصَفَّحَتْ شَعْرَةً مِنْ شَعْرَاتِ قَاصِبِهِ لَوَّكَ حُمُورَةً وَرِدِيَّةً وَثَلَرَةً خُضْرَةً زَبْرَجِدِيَّةً وَأَحْيَانًا صُفْرَةً عَسَجِدِيَّةً)^(٢) . فالحُمْرة والخُضرة والصُّفرة مصادر للثلاثي الدال على لون^(٣) . وفسر بعضهم أمثلة (فُعْلة) دالة على المصدرية ، وإن لم تدل على لون كالعُرْجة في قوله (م): (لَقُوا الْعُرْجَةَ عَلَى الدُّنْيَا)^(٤) بمعنى التعرّيج والإقامة على المكان^(٥) . والقُرْبية في قوله (م) في وصيته : (وَإِنِّي إِذَا جَعَلْتُ الْقِيَامَ بِذَلِكَ إِلَى ابْنِي فَاطِمَةَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ، وَقُرْبِيَّةً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) وَتَكْرِيبًا لِحُرْمَتِهِ وَتَشْرِيفًا لِمُصْنَفِهِ)^(٦) ، فالحُمْرة بمعنى الإحرام ، والوُصلة بمعنى الوصول^(٧) . ومنها : « الثَّقْلة بمعنى الانتقال »^(٨) ، و « الفُرْجة بمعنى الانفراج »^(٩) ، و « الحُكْرة : الاحتكار »^(١٠) ، و « العُزْلة : الاعتزال »^(١١) ، و « القُرْبية : التقرب »^(١٢) . و « الهُجْنة على (فُعْلة) كالمُضْغَة واللُّقْمة ، والمراد بها الاستهجان من قولك : يُهَجِّن كَذَا أَي يُقَبِّحُهُ »^(١٣) .

٢ - فُعْلة اسم مفعول .

فَرَّ الصرْفيون دلالة فُعْلة على المفعول إذ : (جاء فُعْلة بسكون العين كثيرا بمعنى المفعول كالسُّبَّة والضُّحْكََة)^(١٤) وقد أكثر الشراح من توجيه دلالة (فُعْلة) على المفعول على نحو فاق دلالتها على المصدرية .

(١) ينظر : الكتاب ٢٥/٤ . (٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٦٥ ص: ٢٩٩ .

(٣) ينظر : المعتزلي ٢٦٩/٩ والبحراني ٣٠٨/٣ والسرخسي ١٥٧/١ والخوئي ٤٥/١٠ والتستري ٧٢/٧

والشيرازي ٨/٣ وأنصاريان ١٣٧/٢ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ٢٠٤ ص: ٤٠٤ . (٥) ينظر : البحراني ٨/٤ .

(٦) نهج البلاغة ر ٢٤ ص: ٤٨٠ .

(٧) ينظر : البحراني ٣٥٩/٤ .

(٨) الخوئي ٦٥ / ١٠ .

(٩) الراوندي ٣٨٨/١ .

(١٠) عبده ١١١/٣ .

(١١) المعتزلي ١٨٨/١٧ .

(١٢) الراوندي ٥٢/٣ .

(١٣) المعتزلي ١٤٩/١٣ .

(١٤) شرح الشافية ١٦٢/١ وينظر : معاني الأبنية ٦٧ ، ٧٢ .

وقد سبق الشريف الرضي جامع النهج إلى إقرار هذه الدلالة لما أورد قوله (هـ): (السُّبْقَةُ الْجَنَّةُ ، وَالغَايَةُ النَّارُ) (١)، إذ قال : «وقد جاء في رواية أخرى (والسُّبْقَةُ الْجَنَّةُ) بضم السين ، والسُّبْقَةُ عندهم اسم لما يجعل للسابق إذا سبق من مالٍ أو عرضٍ ، والمعنيان متقاربان لأن ذلك لا يكون جزاء على فعل الأمر المذموم ، وإنما يكون جزاء على فعل الأمر المحمود» (٢). وفهم فريق من الشراح من هذا أن السُّبْقَةَ جزاء السابقين فهي (فُعلة) بمعنى مفعول كأنها مسبوقة إليها (٣). ومن ذلك فُرُوعٌ (وَبُلْغَةٌ) في قوله (هـ) من وصية لابنه الحسن (هـ) : «وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ أَنَّكَ إِنَّمَا لِحُقُوتِكَ لِأَخْرَجَ لَكَ الدُّنْيَا وَلِلْفَنَاءِ لَا لِلْبَقَاءِ وَلِلْمَوْتِ لَا لِلْحَيَاةِ ، وَأَنَّكَ فِي مَنْزِلِ قَلْعَةٍ وَدَارٍ بَطَانَةٍ» (٤)، فالقُلْعَةُ هو المنزل الذي لا يصلح للاستيطان كأنه مقلوع ، والبُلْغَةُ ما يتبلغ به أي ما يكفي القوت (٥). وكذا (اللُّعْقَةُ) في قوله (هـ) : «وَصَارَ دِينَ أَحَدِكُمْ لِعَقَّةٍ عَلَى لِسَانِهِ» (٦) ، وهي لدى الشراح ما يلحق باللسان فهي فُعلة بمعنى المفعول ، أي الملعوق (٧) . و(الأُكْلَةُ) في قوله (هـ) : «فَإِنَّتُمْ غَرَضٌ لِ نَابِلٍ وَأُكْلَةٌ لِأَكْلٍ» (٨) ، معناها المأكول (٩) . وأكثر الشراح توسعا في إقرار هذه الدلالة هو السامرائي الذي رسخها في جملة مسائل منها الأُتْمَةُ واللُّمُظَةُ واللُّهْفَةُ والضُّحْكَةُ والكُؤُوهُ (١٠).

٣- فُعْلَةٌ مَكَانًا .

ثُمَّ دَلَالَةٌ أُخْرَى لِأَمْثَلَةِ (فُعْلَةٌ) أَقْرَاهَا بَعْضُ الشَّرَاحِ وَفَاقًا لِسَبِيوِيهِ ، وَهِيَ الدَّلَالَةُ عَلَى الْمَوْضِعِ إِذَا قِيلَ : الْقَطْعَةُ وَالْجُذْمَةُ وَالصُّلْعَةُ (١١) ، وَسَمَّاهَا الرُّضِيُّ «مَوْضِعَ الْفِعْلِ فِي الْأَعْضَاءِ» (١٢) . وَلَيْسَ الْأَمْرُ مَقْصُورًا عَلَى الْأَعْضَاءِ عَلَى وَفْقِ مَا تَلَمَّسَهُ شَرَاخُ النَّهْجِ مِنْ أَمْثَلَةِ نَحْوِ : «الْقُدْرَةُ بِالضَّمِّ بَيْتُ الصَّائِدِ الَّذِي يَسْتَتِرُ فِيهِ عِنْدَ تَصِيدِهِ وَالْجَمْعُ قَتْرٌ مِثْلُ غُرْفَةٍ غُرْفٌ» (١٣) . وَبِالْوَضْعِ الْمَوْضِعُ الَّذِي يَسْتَتِرُ بِهِ فَهُوَ كَالسَّتَارَةِ (١٤).

(١) نهج البلاغة خ ٢٨ ص: ٦٤

(٢) نفسه ٦٦

(٣) ينظر: البيهقي ١١٨/١ والمعتزلي ٩٣/٢ والبحراني ٤١/٢ والخوئي ٣/٤ والتستري ٨٣/١٢ .

(٤) نهج البلاغة ر ٣١ ص: ٥٠٦ .

(٥) ينظر: المعتزلي ١٥٢/٣ والبحراني ٣٧/٥ ومغنية ٥٠٧/١ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١١٣ ص: ٢١١

(٧) ينظر : البيهقي ٢٠٩ والكيدري ٥٤٤/١ والمعتزلي ٢٤٩/٧ والبحراني ١٣/٣ وعبد ٦٠/٢ والموسوي ٢٨١/٢ والسامرائي ٣١٨

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ١٤ ص: ٤٢ .

(٩) ينظر : الكيدري ١٩٧/١ والمعتزلي ٤/٧ والبحراني ٣٥٨/١ ومغنية ٢٨٩/١ والموسوي ١٥١/١ والسامرائي ٧٢ وانصاريان ٩٤/١ .

(١٠) ينظر : السامرائي ٧٢ و ٦٨ و ١٦٨ و ٣١٨ .

(١١) ينظر : الكتاب ٢٧/٤ . (١٢) شرح الشافية ١٦/١ .

(١٣) الخوئي ٣٧٣/٦ وينظر : الراوندي ٤٠٠/١ والكيدري ٤٦٢/١ والتستري ٥٤٩/١ .

(١٤) ينظر: الراوندي ٣٩٩/١ والخوئي ٣٧٢/٦ .

ويبدو أنّ امثلة (فُعلة) جميعها تفيد الدلالة على موضع الفعل في ما ظهر للحسّ والإدراك فخصّص أثره في مكان محدد . ومن هنا كثرت أمثلة (فُعلة) في المحسوسات لوضوح دلالتها على الموضع ، فالعزلة موضع الغل ، والفُرجة موضع الانفراج ، والقربة موضع التقرب ، والسبقة موضع التسابق . وهذه الدلالة التي اقراها سيبويه وغفل عنها اللاحقون حين شنتوها بين المصدرية والمفعولية تصلح لجمع ما تفرّق لدى المتأخرين ، ومنهم شراح النهج في تفسير كل امثلة (فُعلة) بالدلالة على الموضع . وقد يكون الموضع ضيقاً مدركاً بلا تأمل كالفرجة في الحائط ، وقد يكون واسعاً جداً فلا يدرك الا بالتأمل نحو القدرة في قوله (ع) يذكر عجيب خلق أصناف من الحيوانات : (وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُوَّةِ وَجَسِيمِ النُّعْمَةِ...) (١) إذ فسّر بعضهم القُدرة بالمقدور (٢) وهو تفسير ليس كافياً لإدراك معنى اللفظة ، وأفضل منه أن يقال : القُرة الموضع الذي تجلّى فيه اقتدار الباري .

(١) نهج البلاغة ١٨٥ ص:٣٣٩.

(٢) ينظر : البحراني ١٩٩/٤.

المطلب الرابع : معاني فعل - فعلة .

كثُرَت أمثلة البناء فَعَلِي في النهج ففرّقها الشّراح على عدة دلالات أهمّها:

١ - فَعَلٌ مصدرٌ

ويطرّد في (فَعَل) اللّازم الذي تدلّ أفعاله على الطبائع والسجايا^(١) ، فكانت أمثلة (فَعَل) في شروح النهج من المصادر طبائع وسجايا نحو : الشَّفَقُ : الإشفاق ، والكَرَمُ : الإكرام ، والنَّصَفُ : الإنصاف^(٢) . ويدخل في الطبائع والسجايا ما يعتري الانسان من عوارض كالْفَوْح والحِزن والمَرَض والخوف والعَطَش . ويبدو أنّ بناء (فَعَل) إمّا صلح لهذه العوارض الإنسانيّة لتوالي الحركات فيه ، فهذا التعاقب الحركي يوحى بالهيجان والاضطراب لدى الانسان . وقد شاعت أمثلة (فَعَل) من المصادر الدالّة على العوارض والأدواء نحو الكَلَب في قوله (م) : (وَأَبْسَهُمْ سَرَابِيلَ الْقَطِرَانِ ... في نارٍ لها كَلَبٌ وَلَجِبُولُهُ بَبَّ سَاطِعٌ)^(٣) ، فقد ذكر الشّراح أنّ الكَلَب في الأصل ما يعتري الكَلْب من الهيجان وهو يعض الرجل فيورثه الداء المعروف بالكَلَب . و(فَعَل) من مصادر العلل والأدواء نحو: الشَّلَل والعَوَج والمَرَض والوَلَه وغيرها^(٤) . ومنه العَشَا وهو «ضعف البصر في النور والظلام ، والفعل عَشِي مثل فرح والعَشَا من الأدوية كالعَمَى والعَوَج ، ويجيء على فَعَل . وهذا نظير الاعراض كالْفَوْح والعَطَش والشَّبَع»^(٥) . وثمة مصادر على (فَعَل) غلبت عليها الاسمية فسُرت بمعنى المفعول او الفاعل إذا كان الاسم الغالب مفردا ، وإذا كان الاسم جمعا فسُرت بأنّها جموع أو أسماء جموع ، وكلّ الدلالات الفرعية داخلة في المصادر وأسماء المصادر . من ذلك (النَّصَب) في الأصل مصدر نصبت الشيء إذا أقمته ثم قيل للوثن (نَصَب) لأنهم رفعوه للعبادة^(٦) وأنما خُصّص المصدر (الحدث المطلق) في أحد استعمالته بالدلالة على الاسمية من باب التغليب ، فقد يكون احد استعمالات المصدر مهيمنا على غيره وشائعا في الاستعمال فيستحوذ على لفظ المصدر ليكون اسما له نحو (الملا) ، فهو في الأصل الامتلاء . وأبين ما في هذا المعنى هو أن تمتلئ العين من رؤية الاشراف من أهل الحل والعقد فسموا بلفظ المصدر من باب التغليب ، فقيل الملاء الأشراف الذين يملأون العين ، وكذا الأمر في معظم أسماء المصادر التي ظفرت بلفظ المصدر لانها الاستعمال الشائع له فصارت اسما له .

(١) ينظر : الكتاب ١٩/٣ وشرح الشافية ١٥٦/١ .

(٢) ينظر : الراونديّ ٦٠/٢ ، ١٢٢/٢ والكيدريّ ٢٣٧/١ ، ٣٨٩/١ والمعتزليّ ٧٨/٢ ، ٤٢٢/٩ والبحراني ١٥٦/٣ وعده ٧١/١ والخوئي ٢٠٨/٣ ومغنية ١٦٢/٦ وابو الفضل ١٧٦/١ وانصاريان ١٣/١ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٩ ص : ٣٠٢ .

(٤) ينظر : البحراني ٧٥/٥ والسامرائي ٣٠١ .

(٥) السامرائي ١٠٤ وينظر : ١٧٥ وانصاريان ٢٣٢/١ والمعتزليّ ٣٣٤/٣ .

(٦) ينظر : الراونديّ ٢٦٨/٣ .

٢ فَعَلَ جَمْعاً أَوْ اسْمَ جَمْعٍ.

فسر الشّراح طائفة من ألفاظ النهج جاءت على (فَعَلَ) بأنّها جموع أو أسماء جموع ، من ذلك : « الرَّصْدُ جَمْعٌ راصِدٍ كَخَدَمٍ وَخَادِمٍ »^(١) و « الْعَبَالَتَحْرِيكُ جَمْعٌ كَثْرَةٌ لَعُمُودِ الْبَيْتِ وَكَذَا الْعُمْدُ بَضْمَتَيْنِ »^(٢) و « هَمَلًا : مُهْمَلِينَ »^(٣) . وقد تنبه الشّراح على ان دلالة (فَعَلَ) على الجمع او اسم الجمع طارئة لا أصلية لان (فَعَلَ) عندما يوصف به الجمع تلحظ فيه الجمعية فراموا المطابقة بين الوصف والموصوف مع إنه في الاصل مصدر يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث . فالرّصد هم القوم يرصدون ، وهو في الاصل مصدر كالكرم والفرح ولكنه لما صح الوصف به دل على الجمع ، ومثله الحرس والفقّر^(٤) . ومن هنا جوز الشّراح في كثير من المصادر التي على (فَعَلَ) انها جموع او مصادر ف « الْبَلَجُ جَمْعُ بَلْجَةٍ وَهُوَ أَوَّلُ الصَّبْحِ وَقَدْ يَكُونُ مَصْدَرًا »^(٥) ، و « قَزَمَ ، الذَّكْرُ وَالْإُنْثَى وَالوَاحِدُ وَالْجَمْعُ فِيهِ سَوَاءٌ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْمَصْدَرِ »^(٦) و « النَّبْعُ يَكُونُ وَاحِدًا وَجَمَاعَةً لِأَنَّهُ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرٌ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ﴾ »^(٧) ^(٨)

٣ - فَعَلَ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ

أقرّ علماء العربية

دلالة (فَعَلَ) على (مفعول) ، وذكروا من أمثلتها : النُقْضُ أَي: المنفوض ، والصَّمْدُ معناه المصمود إليه في الحوائج ، والفَلَقُ بِمَعْنَى الْمَفْلُوقِ^(٩) . وكذا (السَّلْبُ) بِمَعْنَى السِّلَاحِ الْمَسْلُوبِ مِنَ الْقَتِيلِ فِي الْحَرْبِ^(١٠) . و (الْجَبُّ) بِمَعْنَى الْمَالِ الْمَجْلُوبِ ، وكل ما يجلب من بلد الى آخر في التجارة فهو جَبُّ^(١١) . وجمع الدكتور ابراهيم السامرائي طائفة من هذه الأمثلة لما أورد قوله (ع) يذكر النبي (صلى الله عليه وآله) : (حَتَّى أُرَى قَبْسًا لِقَابِيسٍ ، وَأَنَارَ عِلْمًا لِحَابِيسٍ)^(١٢) . فالقبس)) بفتحتين نظير طائفة كبيرة من الاسماء في العربية على (فَعَلَ)

-
- (١) ينظر : انصاريان ٢٧٨/١ .
(٢) انصاريان ٣٨/١ وينظر : الخوئي ٣٧٠/١ .
(٣) الشيرازي ٤٠/١ .
(٤) البحراني ٢٣٨/٣ .
(٥) المعتزلي ٣١٠/١٣ .
(٦) ابراهيم ٢١ وينظر : الكشاف ٣٧٣/٢ والبحر ٤٢٤/٦ .
(٧) الراوندي ١٧٢/٢ .
(٨) ينظر : المخصص ٥٦/١٤ والكليات ١٢٤/٣ ومعاني الأنبياء ٦٦ .
(٩) ينظر : البحراني ١٩٥/٤ والسامرائي ١٧٥ ومغنية ٣٩٤/٢ .
(١٠) ينظر : الراوندي ١٣/٢ والمعتزلي ١١/١٣ والخوئي ٢٣/١٥ وعبده ٧١/١ ومغنية ٣٤١/١ .
(١١) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٦ ص : ١٩٣ .

بمعنى المفعول مثل : الطَّب والجَب وِلَّا نص والنَّفَص والرَّصَد وغيرها ، إذ هي بمعنى المحبوب والمجلوب والمقنوص والمنفوض والمرصود»^(١) . ودلالة (فَعَل) على المفعول مفهومة من أنه في الأصل مصدر ثم غلبت عليه الاسمية فقيَّد بالدلالة على أثر الفعل ، فدلالته على المفعول عارضة ، لأنهم وصفوا بأمتلته كثيرا فصارت كأنها الموصوف . ولما احتملت أمثلة (فَعَل) الدلالة على المصادر وأسماء المصادر والجموع وأسمائها والمفعولين والفاعلين بحسب السياق اضطرب الشَّواح في تفسير بعض أمثلتها نحو (الوَلَد) في قوله (م) : (وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءً)^(٢) ، فلراوندي جَوَّز فيه « أن يكون بمعنى المولود أو أن يكون اسم جمع يستوي فيه الواحد والجمع لأنه مصدر في الأصل»^(٣) ، فجمع له الدلالات الثلاث : المفعول واسم الجمع والمصدر . وأنكر المعتزلي أن يكون الوَلَد مصدرا «لأن الماضي فَعَل بالفتح ، والمفتوح لا يأتي مصدره بالفتح ولكن فعلا مصدر فَعَل بالكسر كقولك : ولِهُت عليه ولَهَا ووحِمَت المرأة وحمًا»^(٤) .

٥ - فَعَل صفة بمعنى فاعل .

وهي دلالة قُرَّها اللغويون في كلام العرب لأمتلته فَعَل فتكون صفاتٍ مشبهة تصاغ من الثلاثي (فَعَل) ، وهذه الصفات بمعنى الفاعل القائم بفعله أو المتَّصف به فالْحَسَن متصف بالحسن والبَطْل قائم بالبطولة^(٥) . ومن أمثلتها لدى الشَّواح (الْفَرَط) وهو الذي يتقدَّم الواردين وهو (فَعَل) بمعنى (فاعل) كتَّبِع بمعنى تابع^(٦) ، ومنها الجَلَم إذ هو مقصَّ يجز به الصوف وأوبار الابل فهو جالم^(٧) . وكذا الحَكَم معناه الحاكم^(٨) ، والحَدَث بمعنى الحادث^(٩) ، والشَّبه : المشابه^(١٠) . ويبدو أن (فَعلاً) إن دلَّ على من قام بالفعل فهو بمعنى فاعل على وفق ما سبق وإن اتَّصف بالفعل فهو

(١) السامرائي ٢٩٣ وينظر : ١٧٨ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص: ٢٢ .

(٣) الراوندي ٧٦/١ .

(٤) المعتزلي ١١٥/١ .

(٥) ينظر : شرح الشافية ١٤٨/١ .

(٦) ينظر : البيهقي ٤٢٥ والراوندي ١٦/٣ .

(٧) ينظر : انصاريان ١٤٣/١ وعبد ١٠١/١ .

(٨) ينظر : المعتزلي ٢٠٩/١٦ والبحراني ٤٣٢/١٣ .

(٩) ينظر : عبده ١٠٦/١ .

(١٠) ينظر : نفسه ٢١٥/٢ .

صفة مشبهة باسم الفاعل تدل على الثبوت . فد(الأحد) في قوله (هـ) : (الأحد لا بتأويل عدد)^(١) ، صفة على (فعل) من الوحدة ، وقد فرق الراوندي بين الأحد والواحد^(٢) بأن (أحد) وصف مأخوذ من الوحدة فهو كالواحد ، لكن (أحد) يطلق على ما لا يقبل الكثرة ولا يقبل العد بخلاف الواحد فإن له ثانيا ، فالأحد ((يستوعب جنسه بخلاف الواحد ألا ترى أنك لو قلت : فلان لا يقاومه واحد جاز أن يقاومه اثنان ، ولو قلت : لا يقاومه أحد لم يجز أن يقاومه اثنان ولا أكثر منهم فهو أبلغ))^(٣) . و فرق البيهقي بين (التثا) ، والتثاء بأن (التثا) في الخير والشر جميعا ، والتثاء في الخير خاصة^(٤) . و فرق المعتزلي بين (العج والعج) بأن ((العج بفتح العين في ما ينتصب كالنخلة والرَّمح ، والعج بكسرها في ما لا ينتصب كالأرض والرأي والدُّين))^(٥) . وهذه الأمثلة كلها في الأصل مصادر بدليل أن (التبع) الذي قيل : إنه بمعنى تابع ورد في القرآن مجموعا في قوله تعالى : ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾^(٦) أي تابعين^(٧) ، ويبدو أن التقدير : (انا كنا قوما تبعاء) فأقام الصفة مقام الموصوف للمبالغة والتأكيد على التبعية والملازمة . فصارت الصفة (تبع) كانها الموصوف (القوم) فغلب (تبع) اسما للجمع كموصوفه ، ثم إنه قام بالفعل ولم يقع الفعل عليه فصار بمعنى الفاعل فتعددت دلالاته .

أما البناء المختوم ببناء التأنيث (فَعْلَة) فذكر الشراح ثلاث دلالات لأمثله هي :

١ - فَعْلَة مصدرًا .

ك (الأمنة) في قوله (هـ) من وصية له كتبها بعد معركة صفين يوصي بها بما يعمل في أمواله : (هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَلِهِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ لِيُؤَلِّجَهُ الْجَنَّةَ وَيُعْطِيَهُ بِهِ الْأَمَّةَ)^(٨) إذ هي بمعنى الأمن^(٩) . و (الأثرة) في قوله (هـ) يصف قوما من عسكره في المدينة لحقوا بمعاوية : (لَمُومُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِّ أُسُوةٌ فَهَرُّوا إِلَى الْأَثَرَةِ)^(١٠) ، وهي بمعنى الاستئثار^(١١) . وكذا (الهلكة) بمعنى الهلاك ، والقُدَّة بمعنى الاشفاق^(١٢) .

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٥٢ ص ٢٦٦ .

(٢) الراوندي ١٨/٢ .

(٣) المعتزلي ١٩٣/١٠ .

(٤) ينظر : الكشاف

(٥) نهج البلاغة ر ٢٤ ص ٤٨٠ .

(٦) ينظر : البحراني ٣٥٩/٤ وانصاريان ٣٦١/١ .

(٧) نهج البلاغة ر ٧٠ ص ٥٩٠ .

(٨) ينظر : المعتزلي ٥٣/١٨ .

(٩) ينظر : المعتزلي ٤٨٦/١١ وعبد ٢٤٣/٢ .

٢ - فَعْلَة جمعا .

(٢) ينظر : تفسير الفخر ١

(٤) ينظر : البيهقي ٣٦٠ .

(٦) ابراهيم ٢١ وغافر ٤٧ .

اطَّردَ فَعْلَةٌ جَمْعًا مَكْسُورًا لِفَاعِلٍ صَحِيحِ اللَّامِ^(١) ، وَمِنْ أَمْثَلِهِ فِي نَهْجِ (الْحَشْدَةِ) وَ(الْحَفْدَةِ) فِي قَوْلِهِ (هُ) يَصِفُ الْمَيْتَ : (تَحْمَلُهُ حَفْدَةُ الْوَالِدَانِ وَحَشْدَةُ الْإِخْوَانِ إِلَى دَارِ غُرْبَتِهِ)^(٢) ، فَالْحَفْدَةُ جَمْعُ حَافِدٍ وَهُوَ الْحَفِيدُ ، وَالْحَشْدَةُ جَمْعُ حَاشِدٍ وَهُوَ الْمَتَأَهَّبُ الْمُسْتَعِدُّ^(٣) . وَكَذَا «السَّدَنَةُ جَمْعُ سَادِنٍ فَاعِلٍ ، وَمِثْلُهَا السَّاقَةُ جَمْعُ سَائِقٍ كَحَائِضٍ وَحَائِكٍ»^(٤) .

٣ - فَعْلَةٌ وَاحِدِ الْأَجْنَاسِ .

سَجَّلَ الشَّرَاحُ طَائِفَةً مِنْ أَمْثَلَةِ (فَعْلَةٌ) دَالَّةً عَلَى الْأَسْمَاءِ الْمَفْرُودَةِ وَهِيَ آحَادٌ لِأَجْنَاسٍ نَحْوِ : الِهَمْجَةِ وَاحِدَةُ الِهَمْجِ وَهُوَ الدُّبَابُ الصَّغِيرُ^(٥) . وَكَذَا الشَّجْرَةُ وَالنَّمْرَةُ وَغَيْرَ ذَلِكَ^(٦) .

(١) ينظر: المقتضب ٢٢١/٢ وشرح المفصل ٥٤/٥ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ ص: ١٣٤ .

(٣) ينظر : المعتزلي ٢٧٢/٦ .

(٤) المعتزلي ٩٢/١ .

(٥) ينظر : البحراني ٣٤٨/١ وأنصاريان ١٤٣/٢ .

(٦) ينظر : المعتزلي ١٨٢/٢ و ٢٦٢/٦ و ١٤٢/١٣ .

المطلب الخامس : معاني فُعل - فُعْلَةٌ .

فُعلٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ جَمْعُ مَطْرِدٍ لـ (فُوعْلَةٍ) أَسْمَاءٍ ، وَ(فُوعْلَى) صِفَةٌ ، نَحْوِ : (غُرْفَةٌ غُرْفٍ) وَ(كُبْرَى كُبْرٍ)^(١) . وَمِنْ أَمْثَلِهِ فِي

شروح النهج : الأُذْب جمع نُقْبَة وهي أول ما يبدو من الجرب ، والأُغْصَص جمع عُصَّة وهي الشجرا ، والنُزْرَى جمع نُزْرَة ، وقُحْم جمع قُحْمَة وهي المهالك ، ولُعَق جمع لُعْقَة ، وقُتْر جمع قُتْرَة وهي بيت الصائد ، وسُدَد جمع سُدَّة ، وكُفَف جمع كُفَّة^(٢) .

وأما فُطَّة فأكثر أمثلة وأوسع معنى من مذكره ، فقد أقر له الشراح تبعا للصرفيين الدلالات الآتية :
١- فُطَّة جمعا . إذ يحتفظ (فُطَّة) بالدلالة على الجمع - تبعا لمذكرة فُطِي - دلالة رئيسية مطردة في (فاعل) معتل اللام^(٣) . ومن أمثله لدى الشراح^(٤) : رَمَاة ، غُزَاة ، دُعَاة ، عُصَاة ، غُوَاة ، دُهَاة ، جُفَاة وغير ذلك .
٢- فُطَّة مبالغة . ومنها ما في قوله (هـ) : (كُلُّ غُرْفَةٍ حُرَّةٌ ، وكُلُّ فُجْرَةٍ كُفْرَةٌ)^(٥) ، فقد رواه فريق منهم : (كُلُّ غُرْفَةٍ فُجْرَةٌ وكُلُّ فُجْرَةٍ كُفْرَةٌ) ، وفسروا الغُرَّة بأنه المبالغ في الغدر . والفُجْرَة المبالغ في الفجور والكُفْرَة المبالغ في الكفر^(٦) . وكذا ما في قوله (هـ) في التزهيد في الدنيا : (... ذَلِكَ زَمَانٌ لَا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ نَوْمَةً)^(٧) ، وفيه ((النَّوْمَةُ الْكَثِيرُ النَّوْمِ مِثْلُ الْهَمْزَةِ وَاللُّمَزَةِ وَاللُّعْبِ وَالطُّلْعَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَبْنِيَةِ الدَّالَّةِ عَلَى الْمَبَالِغَةِ))^(٨) . وعضد الشراح دلالة هذا البناء على المبالغة بما جاء في قوله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾^(٩) . فالهمزة واللُّمَزَة صيغتا مبالغة تدلان على من كان كثير الهمز واللُّمَز^(١٠) .

٣- فُطَّة مصدر . ندر مجيء (فُطَّة) مصدرا ، ومن أمثله في النهج (فُطَاة) في قوله (هـ) : (وَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ)^(١١) ، بمعنى حق تقيته ، وأصله (فُطَاة) على (فُطَّة) فلما حركت الياء وسبقت بفتح قلبت الفاء^(١٢) .

(١) ينظر : التكملة ٤١٧ والمقرب ٤٦٧ وجموع التصحيح والتكسير ٤٤ .

(٢) ينظر : المعتزلي ٧٩/٢ ، ٢٦١/٦ ، ٤٠٤/٦ ، ٤٤٣/٦ ، ٢٩/٧ ، والخوئي ٣٧٣/٦ والسامرائي ٢٦٦ ، ٣١٨ .

(٣) ينظر : الكتاب ٣٥٩/٤ وادب الكاتب ٢٥٥ والتكملة ٤٦٤ وشرح المراح ١٢٥ والمزهر ٣٤٣/٢ .

(٤) ينظر : الخوئي ١٧٩/١٠ والتستري ٥٦٥/١٠ والموسوي ١٦٦/٣ .

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ٢٠٠ ص ٤٠١ .

(٦) ينظر : المعتزلي ٢١١/١٠ والبحراني ٤٣٩/٣ ومغنية ٣٢٧/٤ والسامرائي ٢٧٥ .

(٧) نهج البلاغة ص : خ ١٠٣ ص : ١٨٧ .

(٨) السامرائي ٣٤٦ وينظر : الراوندي ٤٤٨/١ والمعتزلي ١١٠/٧ والبحراني ٢٠/٣ وعبد ٢٤٨/١ ومغنية ٤٠٠/٢ .

(٩) الهمزة ١ . (١٠) ينظر : الكشف

(١١) نهج البلاغة : الخطبة ١١٤ ، ص ٢١٤ .

(١٢) ينظر : الكيدري ٥٥٠/١ والمعتزلي ٢٩١/٧ والبحراني ٩٩/٣ والخوئي ٥٤/٨ .

المطلب السادس : معاني فعل - فُطَّة .

تكد تجتمع أمثلة (فعل) على الدلالة على الوصف العارض ، نحو: فلان حذر فطن . ومنها ما في قوله (هـ) : (فإن الدنيا رنق مشربها ريغ مشوعها...) (١) ، إذ يقال : عيش رنق أي كدر ، ويقال : مشروع ريغ ذو طين ووحل (٢) . ومنها قوله (هـ) لأحدهم : (يا أخا نبي أسد إلك قلا ق الوضين) (٣) ، فقلق صفة مشبهة من قلق يقلق من الباب الرابع (٤) ومنها : (طلق ملق) (٥) ، و(غريقين) (٦) ، و(فكهين) (٧) .

وكان البصريون قد أولوا النعت بالمصدر على حذف المضاف نحو: (دم كذب) ، تقديره: دم ذو كذب ، أما الكوفيون فأولوا المصدر بالمشقق ، فقالوا: مكذوب فيه (٨) . وهذا البناء من أبنية الصفة المشبهة التي تقيد الدلالة على الصفات العارضة غير الثابتة (٩) التي تزول سريعا ، وتصاغ أمثلته من (فعل) اللزوم للدلالة على الادواء الباطنة ، نحو : وجع ، ودو ، وعم من عمي قلب ، والعيوب الباطنة نحو : نكس وشكس ، والهيجات والخفة ، نحو : أشر وبطر وفرح وقلق (١٠) .

أما (فعله) فبناء برزت أمثلته في متن النهج دالة على الأوصاف الثابتة كوصف الدنيا في قوله (هـ) : (أحتركم الدنيا فأبها حوة خصرة) (١١) ، أي: متصفة بالحلاوة والخصرة (١٢) . وجاء بعض أمثلته بمعنى المفعول ، ومنها (طلبية) في قوله (هـ) في شأن طلحة والزبير: (وإن كانوا ولوه نوني فداطلا بة إلا قلبهم) (١٣) . إذ هي بمعنى الشيء المطلوب (١٤) .

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ ص: ١٢٢ .

(٢) ينظر : المعتزلي ٢٤٦/٦-٢٤٧ . (٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٦٢ ص: ٢٨٨ .

(٤) ينظر : المعتزلي ٢٤١/٩ . (٥) ينظر : المعتزلي ٧٨/٢ و ٢١/١٦ .

(٦) ينظر : الرواندي ٢٦٣/٢ والمعتزلي ١٧٣/١٣ والبحراني ٤٦٢/١ والخوئي ٣٨٩/١١ .

(٧) ينظر : الرواندي ٢٠٢٦٥ والمعتزلي ١٧٣/١٣ والبحراني ٢٩٢/٤ .

(٨) ينظر : الكتاب ٩٧/٤ ومعاني الفراء ٣٨/٢ والمقتضب ١٦٣/٣ ومجمع البيان ٢١٥/٥ وانتلاف النصره ٧٤ .

(٩) ينظر : شرح الشافية ٧٢/١ ووضح المسالك ٣٤٣/٣ وشرح التصريح ٧٨/٢ .

(١٠) ينظر : الكتاب ١٧/٤ وادب الكاتب ٤٦٧ والصاحبي ٢٢٤ والمخصص ١٤١/١٤ .

(١١) نهج البلاغة : الخطبة ١١١ ص: ٢٠٥ .

(١٢) ينظر : الرواندي ٤٧٥/١ والكيدري ٥٣٩/١ والمعتزلي ١١٠/٧ والبحراني ٨٦/٣ والخوئي ١٧/٨ .

(١٣) نهج البلاغة خ ١٣٧ ص: ٢٤٥ .

(١٤) ينظر : المعتزلي ٣٣/٩ و ١٩٠/١٠ والبحراني ١٥٦/٣ وعبد ٨٨/٣ ومغنية ٢٢٧/٥ .

المطلب السابع : معاني فعل .

وهو بناء أفادت الفاعله عدة دلالات هي :

١- **فعل جمعا** : وهو مطرد في الوصف (فعل) بمعنى (فاعل) نحو : صبور صبر وقهور قهر . وفي اسم رباعي قبل آخره مد ، مذكرا كان ام مؤنثا؟ نحو : كتاب كتب وصحيفة صُحف^(١) . ولذا كثرت أمثله في متن النهج ، فدل الشراح على مفرداتها ، وكان الرضي أول من أقر دلالة (فعل) على الجمع لما أورد قوله (هـ) في مدح المتقين : (أولئك مصليح الهدى وأعلام السرى ، ليسوا بالمساييح لأوالملييح البذر)^(٢) ، إذ قال : « البذر جمع بذور وهو الذي يكثر سفهه ويلغو منطقه »^(٣) . وقد ورد (فعل) جمعا في شروح النهج لغير ما ذكر آنفا نحو (الرعث) و(القب) في قوله (هـ) من خطبة يصف أصحاب معاوية لما غزوا الأنبار : (ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة الملممة والأخرى المعاهدة فيتنزع حجلها ولبها وقلائدها ورعتها)^(٤) ، فقلب جمع قلب وهو السوار المصمت . والرعث جمع رعثة وهي القوط^(٥) . وذهب بعضهم إلى أن الرعث جمع مفردة (رعات) وهذا جمع مفردة (رعة) ، فقال : « رعثا شئونها جمع رعاث بكسر الراء ، ورعات جمع رعثة ، فالأول مثل حمار وحمر ، والثاني مثل جفنة وجفان »^(٦) . وكذا الأديم واحد والجمع أدم ، كما قالوا أفيق للجد الذي لم تتم دباغته وجمعه أفق^(٧) . ومنها الدل جمع دلول ، والسلس جمع سلس^(٨) . ويمكن القول : إن دلالة أمثلة (فعل) على الجمع مطردة في كل الأمثلة التي صرفها أكثرهم إلى معان أخرى منها المفعولية والفاعلية والمصدرية .

٢- **فعل بمعنى مفعول** : ومن أمثله (فتح) في قوله (هـ) في مناسك الحج : (لـ يجعل ذلك أبوابا فتحا لى فـ ضله وأسبابا دللا عفوه)^(٩) ، فالأبواب الفتح هي المفتوحة^(١٠) . وكذا (الجرف) هو ما تجرفه السيول وأكلته من الأرض ، فيكون بمعنى المفعول أي المجروف^(١١) . وهذه الدلالة تندرج تحت الوصف بالمصدر ، فيقال : باب فتح ، وأبواب فتح ، وقارورة فـ تح ، فيستوي فيه المفرد والجمع والمذكر والمؤنث .

(١) ينظر: التكملة ٤٤١ والمقرب ٤٧٥ - ٤٧٦ . (٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٣ ص : ١٨٧ .

(٣) نهج البلاغة ١٨٨ وينظر : المعتزلي ١١٠/٧ . (٤) نهج البلاغة خ ٢٧ ص : ٦٢ .

(٥) ينظر : الراوندي ٢١٥/١ والبحراني ٣٢/٢ والتستري ٥٠٥/١٠ وأنصارين ١٣١/١ .

(٦) المعتزلي ٧٨/٢ . (٧) المعتزلي ١٩٧/٣ .

(٨) ينظر : الراوندي ٢٣٨/١ والمعتزلي ١٤٨/١٣ . (٩) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٢ ، ص ٣٧٠ .

(١٠) ينظر : المعتزلي ١٦/١٣ والبحراني ٢٤٧/٤ والسرخسي ٢١٦/١ .

(١١) ينظر : عبده ٢٥٢/١ والموسوي ١٨٩/٢ .

وفرق بعض الشراح بين قارورة فتح وقارورة مفتوحة بأن الوصف بالمصدر يفيد الثبات والدوام والاستمرار على الفتح . اما الوصف باسم المفعول فنصرف إلى المضي ، أي عدم الاستمرار على حالة الفتح^(١) .

٣ - فُعل اسم فاعل .

ومثاله (قُدِّمًا) في قوله (ي) في وصف المؤمن المتقي : (..وَنَظَرَ قُدِّمًا أَمَامَهُ)^(٢) ، والمعنى: نظر ما بين يديه متقدِّمًا لم ينتن ولم يعرِّج^(٣)، واللفظُ - أيضا - في قوله (ي) : (مَضَوْا قُدِّمًا...)^(٤) ، أي مُقَدِّمِينَ^(٥) . ويبدو أنَّ هذه الدلالة مندرجة - أيضا - تحت الجمع وهي واضحة في (مضوا قدما) ومؤولة في (نظر قدما) بإرادة النظر المتعاقب لا النظرة الواحدة .

٤ - فعل مصدرًا .

ومن أمثله (نُزِلَ حميم) والمعنى (نُزِلَ الحميم) عند أكثرهم^(٦)، وكذا (الأنف) معناه الأنفة لدى فريق منهم^(٧) . وواضح أنَّ نزل الحميم تعني توالي النزول فكان (نُزِلَ) جمع نُزول وكذا الأنف كأنه جمع أنفة وليس مرادفا لها.

-
- (١) ينظر : الراوندي ٢٥٣/٢ .
 - (٢) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ ص: ١٣١
 - (٣) ينظر : المعتزلي ٢٦٧/٦ .
 - (٤) نهج البلاغة خ ١١٦ ص: ٢١٩
 - (٥) ينظر : انصاريان ٤٠٠/١ .
 - (٦) ينظر : البيهقي ١٦٣ .
 - (٧) ينظر : السرخسي ٢٧/١ وعبدہ ١٨١/١ ومغنية ١٧٧/٢ .

المطلب الثامن : معاني فُعي .

١ - فَعَلَ جَمْعًا . كَثُرَتْ أَمْثَلَةُ الْبِنَاءِ (فَعَلَ) لَدَى الشَّرَاحِ دَالَّةً عَلَى جَمْعِ الْكَثْرَةِ لِلْمَوْثِقَةِ (فِعْلَةٌ)^(١)، وَمِنْهَا: النَّعْمُ جَمْعُ نَعْمَةٍ ، وَالرَّفْدُ جَمْعُ رَفْدَةٍ وَهِيَ الْعَطِيَّةُ وَالصَّلَّةُ ، وَالْإِحْنُ جَمْعُ إِحْنَةٍ وَهِيَ الْحِقْدُ فِي الصَّدْرِ ، وَالْقَطْعُ جَمْعُ قِطْعَةٍ ، وَالرَّبِيقُ جَمْعُ رِبْقَةٍ وَهُوَ الْحَبْلُ يُرْبِقُ بِهِ الْبَهِيمُ^(٢) . وَمِنْ هَذِهِ الْأَمْثَلَةِ يَتَبَيَّنُ أَنَّ (فَعَلَ) جَمْعٌ مَخْتَصٌّ بِاسْمِ مَوْثِقَةٍ عَلَى (فِعْلَةٌ) . وَنَبَهُ الصَّرْفِيُّونَ عَلَى إِنَّهُ اسْمٌ تَامٌّ لَمْ يُحذفْ مِنْ حُرُوفِهِ شَيْءٌ .

٢ - فَعَلَ مَصْدَرًا . إِذْ وَرَدَتْ أَمْثَلَةُ (فَعَلَ) دَالَّةً عَلَى الْمَصَادِرِ كَثِيرًا ، مِنْهَا الصَّغْرُ وَالْعِظْمُ وَالْكَبْرُ وَالْقَدَمُ . وَهَذِهِ الْمَصَادِرُ تَفِيدُ الدَّلَالَهَ عَلَى اللُّزُومِ وَالثَّبَاتِ ؛ لِأَنَّهَا تَصَاغُ مِنَ الْبَابِ الْخَامِسِ ، يُقَالُ : «صَغُرَ الشَّيْءُ يَصْغُرُ مِنْ بَابِ شُرْفٍ صَغُرًا وَزَانَ عَنَبٌ فَهُوَ صَغِيرٌ ، ... وَعَظُمَ الشَّيْءُ بِالضَّمِّ لَيْضًا عِظْمًا كَعَنَبٌ فَهُوَ عَظِيمٌ»^(٣) . وَفَرَّقَ الْخَوَّيُّ بَيْنَ (الصَّغْرِ) وَ(الصُّغْرِ) ، بَانَ الصُّغْرُ لَمَّا كَانَ مِنَ الْبَابِ الْخَامِسِ (فُعِلَى) فَهُوَ مَلَاذِمٌ لِصَاحِبِهِ وَمَبَالِغٌ فِيهِ ، فَكَأَنَّ الْحَقَارَةَ وَالذَّلَّ لَا تَنْفَكُ عَنِ الْمَوْصُوفِ بِالصُّغْرِ ، وَأَمَّا (الصُّغْرُ) فَهُوَ مِنَ الْبَابِ الرَّابِعِ وَأَفْعَالُهُ عَارِضَةٌ فَهُوَ دُونَ الصَّغْرِ فِي الدَّلَالَهَ عَلَى الْحَقَارَةِ ، وَلِذَا أُطْلِقَ عَلَى مَقْتَبِلِ الْعَمْرِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَدُومُ عَلَى ذَلِكَ^(٤) . وَكَانَ الْمَعْتَزَلِيُّ قَدْ رَسَخَ إِفَادَةَ الْمَصَادِرِ الَّتِي عَلَى (فُعِلَى) مَعْنَى الثَّبَاتِ وَاللُّزُومِ لَمَّا وَقَفَ عَلَى قَوْلِهِ (ع) فِي حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى : (لَيْسَ بِذِي كِبَرٍ أَمْتَدَّتْ بِهِ النَّهَائِيَّاتُ فَكَبَّرَهُ تَجْسِيمَ الْأَوْبِذِيِّ عِظْمٍ تَنَاهَتْ بِهِ الْغَايَاتُ فَعَظَّمَهُ تَجْسِيدًا بَلْ كَبُرَ شَأْنًا وَعَظُمَ سُلْطَانًا)^(٥) ، إِذْ قَالَ : «مَعْنَاهُ إِنَّهُ تَعَالَى يُطْلَقُ عَلَيْهِ مِنْ أَسْمَائِهِ الْكَبِيرِ وَالْعَظِيمِ ، وَقَدْ وَرَدَ بِهِمَا الْقُرْآنُ الْعَزِيزُ وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهِمَا مَا يَسْتَعْمَلُهُ الْجُمْهُورُ مِنْ قَوْلِهِمْ : هَذَا الْجِسْمُ أَعْظَمُ مِنْ وَأَكْبَرُ مَقْدَارًا مِنْ هَذَا الْجِسْمِ ، بَلِ الْمُرَادُ عِظْمُ شَأْنِهِ وَجَلَالَةُ سُلْطَانِهِ»^(٦) . وَلِلتَدْلِيلِ عَلَى ثَبَاتِ الْمَعْنَى فِي أَمْثَلَةِ (فَعَلَ) فِي الْمَصَادِرِ أوردَ الشَّرَاحُ قَوْلَهُ (ع) فِي وَصْفِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : (الدَّالُّ عَلَى قَدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ)^(٧) ، وَفِيهِ الْقَدَمُ مَصْدَرٌ قَدُمَ يَقْدُمُ فَهُوَ قَدِيمٌ ، وَالْقَدِيمُ ثَابِتٌ أَزَلِيٌّ لَا مَحْوَلٌ عَنْ صَيْرُورَةٍ أَوْ تَغْيِيرٍ . ذَلِكَ إِنْ حَدُوثِ الْجِسَامِ قَدْ دَلَّ عَلَى إِنَّهُ لَا بَدَأَ مِنْ صَانِعٍ يَحْدِثُهَا وَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى بِالْقَدَمِ^(٨) .

أَمَّا (فِعْلَةٌ) فَأَشَارَ الشَّرَاحُ إِلَى مَجِيئِهِ جَمْعٌ تَكْسِيرٌ لِلثَّلَاثِيِّ مَكْسُورِ الْفَاءِ نَحْوُ : نَيْكٌ نَيْكَةٌ ، وَقُرْطٌ قُرْطَةٌ^(٩) .

(١) ينظر: التكملة ٤١٥ .

(٢) ينظر: البيهقي ١٨٢/١ والرواندي ٣٩٤/١ والمعتزلي ٤٢٨/٦ و ١٠٣/٧ والبحراني ٢٢٥/١ والخوئي ٣٧٢/٦ ومغنية ٢٢٢/٢ .

(٣) التكملة ٤١٦ وينظر: جموع التصحيح والتكسير ٤٥ .

(٤) ينظر: الخوئي ١٥٠/١٤ . (٥) نهج البلاغة : الخطبة ١٨٥ ، ص ٣٣٨ .

(٦) المعتزلي ٥٤/١٣ وينظر: البحراني ١٢٣/٤ . (٧) نهج البلاغة : الخطبة ١٨٥ ، ص ٣٣٨ .

(٨) ينظر : المعتزلي ٤٥/١٣ والبحراني ١٢٣/٤ والخوئي ٧/١١ والشيرازي ١١٨/٣ .

(٩) ينظر: المعتزلي ٢٦٩/٦ وأنصارين ١٣٧/٢ .

المبحث الثاني

دلالة أبنية الأسماء المزيدة بحرف واحد

المطلب الأول : معاني أفعال .

كثرت أمثلة (أفعال) في متن النهج ، فوزعها الشراح على خمسة معانٍ هي :

١ - أفعال للتفضيل .

تدلّ أمثلة أفعال التفضيل على أنّ شيئين قد اشتركا في صفة ما وزاد أحدهما على الآخر فيها^(١) . واشترط القدماء لصياغة اسم التفضيل من الفعل أن يكون ثلاثيا ومتصرفا وقابلا للتفاوت وأن لا يكون الوصف منه على أفعال فعلاء وأن يكون مثبتا وتامًا ومعلوما^(٢) . واقتصد المحدثون في هذه الشروط ، فجوز المجمع العلمي في القاهرة صياغة أفعال التفضيل من الفعل المنفي والناقص والمجهول ، فوقفوا في شروطه عند أربعة بعد أن كانت سبعة لا أكثر^(٣) .

ووردت أمثلة أفعال التفضيل كثيرا في نهج البلاغة منها ما في قوله الامام (ع) يصف الملائكة : (هُم أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ وَأَخْوَفُهُمْ لَكَ وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ)^(٤) ، فكلّ من : (أعلم ، أخوف ، أقرب) أسماء تفضيل^(٥) . وما في قوله (ع) في ذم بعضهم : (وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ وَاللَّهِ بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ)^(٦) ، فالأخيب معناه أشدّ خيبة وهي الحرمان^(٧) . وما في قوله (ع) لما بعث الأشر واليا على مصر : (... فَإِنَّهُ مِمَّنْ لَا يُخَافُ وَهُنَا ، وَلَا سَقَطَتْهُ ، وَلَا بَطُوهُ عَمَّا الْإِسْلَمِ إِيْلَيْهِ أَحْزَمٌ ، لَاوَ إِسْرَاعُهُ إِلَى مَا الْبُطْءُ عَنْهُ أُمْتَلُ)^(٨) ، فالعرب تقول : « هذا الرأي أحزم من هذا اي أدخل في باب الحزم والاحتياط وهذا أمثل من هذا أي أفضل »^(٩) . وما في قوله (ع) في الحثّ على القتال : (وَعَضُّوا عَلَى الْأَرْضِ فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلْسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ ، وَالتَّوَوَّأَ فِي أَطْرَافِ الرَّمْحِ فَإِنَّهُ أَمُورٌ لِأَسِنَّةٍ ، وَغَضُّوا الْأَبْصَارَ فَإِنَّهُ رُطْبٌ لِحَاشٍ وَأَسْكُنْ لِقَلْبُوبٍ ، وَأَمِينُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْوَدُ لِقَشَلٍ)^(١٠) ، فكلّ من: أنبى وأمور وأربط وأسكن وأطرد ، أسماء تفضيل^(١١) .

(١) ينظر : دقائق التصريف ٢٣٣ وشرح الكافية ٢١٢/٢ وشرح الشافية ٣٢٥/٢ .

(٢) ينظر : شرح المفصل ٩٢/٦ والايضاح في شرح المفصل ٦٥٣/١ وشرح الكافية ٢١٢/٢ .

(٣) ينظر : المنهج الصوتي للبنية العربية ١١٨-١١٩ . (٤) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٩ ص: ١٩٩ .

(٥) ينظر : المعتزلي ٢٠٠/٧ . (٦) نهج البلاغة : الخطبة ٢٩ ص: ٦٧ .

(٧) ينظر : البحراني ١٥١/٢ .

(٨) نهج البلاغة : الرسالة ١٣ ، ص: ٤٧١-٤٧٢ .

(٩) المعتزلي ١٠٣/١٥ .

(١٠) نهج البلاغة : الخطبة ١٢٤ ص: ٢٢٧ .

(١١) ينظر : الراوندي ٣٤/٢ .

٢ - أفعال صفة .

تكثر أمثلة أفعال صفة لازمة للمذكر من (فعل) اللازم وتكون فيما دلّ على لون نحو: أحمر وأزرق . أو حلية نحو: أغيد وأهيف أو عيب نحو: أعمى وأعور^(١). وأكثر ما جاء أفعال في النهج صفة دالة على عيب نحو: الأعمى والأصم والأبكم^(٢). ثم صفة دالة على لون نحو : (الموتُ الأحمر والجوعُ الأعبر)^(٣). إذ نعت الموت بالأحمر لكثرة ما فيه من دماء وقتل ، ونعت الجوع بالأعبر لأن الجائع يرى الآفاق كأن عليها غبرة وظلاما^(٤). وندر مجيء أفعال صفة دالة على حلية .

وقد عد سيبويه وخالفوه (أفعل) في الوصف نظيرا لـ(فعل) نحو : شعثٌ وأشعثٌ ، وحذبٌ وأحذبٌ ، وحمقٌ وأحمقٌ^(٥) . وفرّق الدكتور فاضل السامرائي بين البناءين فقال : « لا أذهب إلى ما ذكره سيبويه من نحو حمقٌ وأحمقٌ ، وجربٌ وأجربٌ أنهما بمعنى واحد وإن كان أصحاب المعجمات يذهبون إلى ذلك أيضا ، وإنما أرى أن لكل منهما معنى وقصدًا ، فبناء فعلٍ يختلف عن أفعالٍ في جملة أمور منها: إنه عرض غير ثابت وإن فيه هيجا ، وأنه فيما يكره من الأمور الباطنة غالبا ، وأما أفعالٌ فيكون ثابتا ، وأنه في العيوب الظاهرة »^(٦).

٣- أفعال بمعنى ذي الشيء .

وهو في قوله (ع) في سحر اليوم الذي ضرب فيه : (...فَأَبْدَلْنِي بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَأَبْدَلَهُمْ بِي شَرًّا مَنِّي)^(٧) ، إذ فهم الشراح أن (شراً) لا يدلّ هنا على أن فيه (ع) شراً ؛ لأنه ليس بمعنى التفضيل الذي يستدعي اشتراك اسمين في الفعل زاد أحدهما على الآخر في القيام به أو الاتصاف به ، وإنما المعنى : أبدلهم بي من هو ذو شرّ ، فيقع الشرّ من غيره لا منه (ع) ، وكذا (خير منهم) ، التقدير : أبدلني اللهم (ذا خير) لأئهم لا خير فيهم . وهذا الوجه رجحه المعتزلي^(٨) ، وعضده بقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَدَاكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ ﴾^(٩) ف(خير) لا يدلّ على أن في النار (خييرا) وإنما المعنى : هل النار ذات الخير أم جنة الخلد؟^(١٠) . وعضده آخرون^(١١) بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ يُحْسِنُ فِي آيَاتِنَا لَا

(١) ينظر : الكتاب ١٧/٤ و ٢٥ و ٢٦ والمخصص ١٤٠/١٤ وشرح الشافية ١٤٥/١ والمزهر ٨٢/٢ .

(٢) ينظر : المعتزلي ١٨٣/٧ والبحراني ٣٣٦/٣ . (٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٢ ص: ١٨٦ .

(٤) ينظر : الراوندي ٤٤٣/١ والمعتزلي ١٠٤/٧ والبحراني ١٥/٣ والخوئي ١٧٨/٧ وأنصاريان ٣٤١/١ .

(٥) ينظر : الكتاب ٤/٢٥-٢٦ .

(٦) معاني الابنية ٨١ .

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ٢٥ ص: ٥٨ .

(٨) ينظر : المعتزلي ١١٢/٦ .

(٩) الفرقان ١٥

(١٠) ينظر : البحر المحيط ٨٨/٨

(١١) ينظر : الخوئي ١٢٦/٥ وابو الفضل ٧١/١ .

يَخْفُونَ عَ لَيْئًا أَفْمَنَ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ ، ولا خير في من يلقى في النار ، ولئما المعنى : من يلقى في النار ذو الخير! أم من يأتي آمناً؟ (٢) . وهو أحد الوجهين لدى البحراني الذي رأى « أن صيغة التفضيل كما ترد لإثبات الأفضلية كذلك قد ترد لإثبات الفضلية » (٣) . أما وجهه الآخر فقد أقره الراوندي قبله ثم رجحه البحراني ومعظم الشراح ، وملخصه ان (شر) و (خير) على بابهما في التفضيل ، ومعنى الشر مفهوم من نسبته إلى المخاطب على وجه الاعتقاد أو الزعم ، وهو أن يكون الشر منه (م) محمولاً على عقائدهم الفاسدة أن فيه شراً عليهم . واعتقادهم الفاسد أنه ذو شر لا يوجب كونه كذلك (٤) . وهذا الوجه أولى بأن يؤخذ به لنأيه عن شبهة النيابة الصرفية والعدول عن ظاهر اللفظ .

٤ - أفعال بمعنى مفعول .

وهي دلالة صرح بها الشراح في أمثلة (أفعل) التي وقع عليها الفعل ، كما في قوله (م) يذم أصحابه لتقاعسهم عن الجهاد: (جَرَجَرْتُمْ جَرَجْرَةَ الْجَمَلِ الْأَسْرِ ، وَتَنَاقَلْتُمْ نَقْلَ النَّضْوِ الْأَدْبَرِ) (٥) ، فالأسر المصاب بالسرر ، وهو داء في حلق البعير يفسد كركرته ، والأدبر هو المصاب بالدبر ، وهو داء في ظهر الجمل ، وكلاهما بمعنى المفعول : أي الجمل المسرور ، والنضو المدبور (٦) . وقريبٌ منهما ما في قوله (م) : (فَلَا تَنْفَرُوا مِنَ الْحَقِّ نَفَارَ الصَّحِيحِ مِنَ الْأَجْرِبِ) (٧) ، بمعنى المجروب وهو الذي أصابه الجرب (٨) .

٥ - أفعال بمعنى فاعل .

ومثاله ما في قوله (م) من عهده إلى محمد بن أبي بكر (رض) حين قلّده على مصر: (... فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ .. فَإِنَّ يُعَدِّبُ فِ أَنْتُمْ أَظْلَمُ ، وَإِنْ يَعْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ) (٩) . إذ حمل الرواندي (أظلم) على معنى الفاعلية ، فهو بمعنى (ظالم) ولم يحمله على التفضيل لأنه يؤول إلى أن أدنى ظلم يأتي من الله تعالى ، إذ قال : « المراد بأظلم الظالم وإن كان على لفظ المبالغة لأن أفعال إنما يدخل على أشياء تتساوى ويفضل أحدها ... وقال : أظم على لفظ أفعال لزدواج أكرم والمراد الفاعل قال تعالى : ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ (١٠) ، أي : هين عليه ، إذ لا يصعب عليه تعالى شيء) (١١) .

(١) فصلت ٤٠

(٢) ينظر: البحر المحيط ٣٠٩/٩ . (٣) البحراني ٢٢/٢ .

(٤) ينظر: الراوندي ٣٠٠/١ والبحراني ٢٢/٢ والخوئي ١٢٦/٥ ومغنية ٣٤٦/١ والتستري ١٠/١١ والشيرازي ٢٧٤/١ .

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ٣٩ ص: ٨٢

(٦) ينظر : البيهقي ١٢٩ والرواندي ٢٥١/١ والمعتزلي ٣٠١/٢ والبحراني ١٠٠/٢ والخوئي ١٧٤/٤-١٧٥

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ١٤٧ ص: ٢٥٧

(٨) ينظر: الراوندي ٧٥/٢ والمعتزلي ١٠٧/٩ والبحراني ٢٠٢/٣ والتستري ٨٨/٣ .

(٩) نهج البلاغة : الرسالة ٢٧ ، ص ٤٨٥ .

(١٠) الروم ٢٧ وينظر: الكشاف ٢٢٠/٣ والبحر المحيط ٣٨٦/٨ .

وشايح فريق من الشّراح الراوندي ففسّروا (أظلم) ب(ظالم) . وإنما لم يُصرّح بلفظ (ظالم) مراعاةً للازدواج ب(أكرم)^(١) . على حين جوز البحراني بقاء (أظلم) دالا على المفاضلة بين شيئين فقال مستدركا على الراوندي : « يحتمل أن يكون قد سمى ما يجازيهم به من العدل ظلماً مجازاً لمشابهة الظالم في الكمية والصورة كما سُمي القصاص اعتداءً في قوله تعالى : ﴿ فَمِنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾^(٢) . ثم نسب إليه فعلهم . فصدق - اذن - فعل التفضيل باعتبار كونهم بدؤوا بالمعصية ، وكذلك الإعلام بأنه تعالى مظنة الكرم بالعفو عنهم^(٣) . ومن هنا يمكن القول : إن أمثلة (أفعل) جميعاً باقية على دلالتها الرئيسية التي هي المفاضلة في الفعل بين اثنين ، إذ قد تكون المفاضلة ظاهرة إذا تساوى الطرفان ، وقد تكون خفية لا تترك إلا بالتأمل والتأويل إذا اتسع البون كثيراً بين المتفاضلين ، والتسليم بتحريف بعض الأمثلة نحو : (أهون عليه) و (شراً مني) يفقد التركيب إعجازه وبلاغته . ف (شر) و(خير) في قوله (ي) المذكور آنفاً باقيا على حالهما في التفضيل مع وجود أدنى خير فيهم ، وأدنى شر فيه (ي) على وجه الاعتقاد من كلا الفريقين . إذ هم أصحابه وجنوده فلا يعقل خلوهم من الخير ، وهو (ي) أميرهم وقد دعاهم إلى القتال وهو كره لهم ، ومن هذا الباب زعموا أن فيه شراً عليهم . وقد ألمح الشّراح إلى أن (خيراً منهم) و(شراً مني) حذف منه الصفات ، والتقدير : خيراً منهم صالحون ثابتون في القتال لا مُدبرين ، وشراً مني وإيا قاعدا متقاعسا عن حكم الله^(٤) . وكذا حذف المفضل منه في : (أنتم أظلم) و(فهو أكرم) ، والتقدير : « إنه تعالى إن يعاقب فأنكم أظلم من كل عبد عصى سيده وإن يعفُ فهو أكرم من كل سلطان يعفو عن رعيته^(٥) . فهذا وجه آخر أفضل من تضمين (أظلم) معنى (الظالم) ، وحمل (خير وشر) على معنى (نو الخير ونو الشر) .

(١) ينظر: الكيدري ٤٣٢/١ والمعتزلي ١٥/١٦٥ والخوئي ١٩/٦١ والشيرازي ٤/١٨ وابو الفضل ٢/١٦٧ وانصاريان ٣/٧١ .

(٢) البقرة ١٩٤ .

(٣) البحراني ٤/٣٧١ .

(٤) ينظر : عبده ١/١١٣ والسامرائي ١٠٩ .

(٥) التستري ٩/١٦٦ .

المطلب الثاني : معاني فعيل - فعيلة

فعل: بناء احتدمت أمثلته في متن النهج ، فتمس الشّراح لها أربع دلالات هي :

١ - فعل صفة .

أقرّ ذوو الصنعة دلالة (فعل) على الوصف الثابت اللازم في باب الصفة المشبهة باسم الفاعل ، فاشتقّ أمثلته من أفعال الباب الخامس التي تدلّ على الطباع والخصال الملازمة صاحبها كالحسن والقبح ، نحو: قبيح ، وسيم ، جميل ، رحيم^(١) . ونبه المبرد على قوة الوشيجة بين (فعل) و(فعل) في الدلالة على الوصف اللازم فقال : « فعل مضارعه الفعيل »^(٢) . وأكد الرضوي رأي المبرد هذا بقوله : « يجيء فعيل فيما حقه فعل كسقيم ومريض »^(٣) . وقد نالت أمثلة (فعل) الدالة على الوصف الثابت نصيبا وافيا من الفاظ النهج التي على هذا البناء فقسمها الشّراح تبعا للسابقين على ضربين :

أ - فعل بمعنى فاعل .

وهي دلالة جلية واضحة في امثلة (فعل) لدى الشّراح جميعا مع جهد واضح بالتصريح والتمثيل والاستدلال لدى المعتزلي^(٤) والبحراني^(٥) اللذين فاقا أقرانهما في إقرارها . ثم قعد لها الدكتور ابراهيم السامرائي^(٦) في أكثر من موضع ، ومن أمثلتها لديهم قول المعتزلي : « شهيدك أي: شاهدك ، قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾^(٧) »^(٨) . وقول البحراني : « البديع : الصانع ، وهو فعيل بمعنى فاعل ، كقوله تعالى ﴿ بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٩) »^(١٠) .

ومجيء فعيل بمعنى اسم الفاعل في متن النهج يعم امثلة اسم الفاعل جميعها سواء منها المجرّد (فاعل) كالشّهد والبديع المذكورين انفا، او المزيد الذي على (مفعل) كالشّفيق بمعنى المشفق ، والنذير بمعنى المنذر^(١١) . أو على

(١) ينظر: الكتاب ٤/٤٨ وينظر : الصاحبى ١٩١-١٩٢ والمخصص ١٤٧/١٤-١٤٨ .

(٢) المقتضب ١١٦/٢ .

(٣) شرح الشافية ١٤٧/١ .

(٤) ينظر : المعتزلي ١٤٢/٦ و ٢٥٨/٩ و ٢٦٠/١٠ و ١٨٠/١١ و ٣٨٥/١٨ .

(٥) ينظر : البحراني ٢١٠/٢ و ٢٨١/٣ و ٣/٥ و ١١٢ .

(٦) ينظر : السامرائي ١٢١ و ١٣٠ .

(٧) النساء ٤١ وينظر: الكشاف ٥٢٧/١ والبحر المحيط ٥٨٢/١ .

(٨) المعتزلي ٤٢/٦ وينظر : عبده ١٥١/١ وانصاريان ٢٠٣/١ .

(٩) البقرة ١١٧ وينظر: الكشاف ٣٠٧/١ والبحر المحيط ٥٨٢/١ .

(١٠) البحراني ١٥٧/٤ وينظر : الخوي ١٥٣/٢ وانصاريان ٧٥/٢ .

(١١) ينظر : الراوندي ٢٧٢/١ و ١٢٢/٢ والكيدري ٢٧٢/١ والشيرازي ١٨٩/١ والموسوي ٢٨٢/١ .

﴿مُفَاعِل﴾ كَالْحَجِّجِ بِمَعْنَى الْمُحَاجِّجِ وَالْخَصِيمِ بِمَعْنَى الْمُخَاصِمِ وَالنَّجِيِّ بِمَعْنَى الْمُنَاجِي وَالْحَسِيبِ بِمَعْنَى الْمُحَاسِبِ وَالْحَيِّفِ بِمَعْنَى الْمُحَالِفِ وَالْقَرِينِ بِمَعْنَى الْمُقَارِنِ^(١) ، وَغَيْرِ هَذَا كَثِيرٌ . أَوْ عَلَى ﴿مُتَفَعِّل﴾ كَالدَّفِيقِ بِمَعْنَى الْمُتَدَفِّقِ وَالْمَكِينِ بِمَعْنَى الْمَتَمَكِّنِ^(٢) . أَوْ عَلَى ﴿مُفْتَعِّل﴾ كَالسَّوِيِّ بِمَعْنَى الْمُسْتَوِيِّ وَالْبِدِيِّ بِمَعْنَى الْمُبْتَدِئِ^(٣) . أَوْ عَلَى ﴿مُسْتَفَعِّل﴾ كَالدَّيْنِ الْقَوِيمِ بِمَعْنَى الْمُسْتَقِيمِ^(٤) .

وَكَانَ عُلَمَاءُ الْعَرَبِيَّةِ قَدْ فَسَّرُوا جُمْلَةً مِنْ أَمْثَلَةِ ﴿فَعِيل﴾ بِالذَّلَالَةِ عَلَى ﴿فَاعِل﴾ وَهِيَ ذَلَالَةٌ مَطْرُدَةٌ فِي كُلِّ ﴿فَعِيل﴾ قَائِمٌ بِالْفِعْلِ أَوْ مُتَصِفٌ بِهِ ، نَحْوُ: ﴿كَرِيمٌ وَعَظِيمٌ﴾ ، وَ﴿فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ يَذْكَرُ وَيؤْنِثُ سِوَاءَ أَجْرِيٍّ عَلَى مَوْصُوفِهِ أَمْ لَا ، نَحْوُ : رَجُلٌ ظَرِيفٌ وَامْرَأَةٌ ظَرِيفَةٌ﴾^(٥) . وَيُمْكِنُ الْقَوْلُ فِي هَذِهِ الْأَمْثَلَةِ : إِنَّهَا أُنْمَا فَسَّرَتْ بِالْفَاعِلِ مِنْ بَابِ التَّوْضِيحِ وَالْبَيَانِ وَلَيْسَ الْمُرَادُ تَمَامَ الْمَطَابَقَةِ فِي الذَّلَالَةِ بَيْنَ أَمْثَلَةِ الْبِنَاءَيْنِ : ﴿فَعِيلٌ﴾ وَ﴿فَاعِلٌ﴾ ؛ ذَلِكَ إِنَّ قَائِمٌ بِالْفِعْلِ عَلَى وَجْهِ التَّجَدُّدِ وَعَدَمِ اللَّزُومِ ، وَيَدُلُّ ﴿فَعِيلٌ﴾ عَلَى الثَّبَاتِ وَاللَّزُومِ فِي الْإِتْيَانِ بِالْفِعْلِ ، وَبِهَذَا يَظْهَرُ الْفَرْقُ بَيْنَ ﴿كَرِيمٌ وَمَكْرَمٌ﴾ وَ﴿خَصِيمٌ وَمَخَاصِمٌ﴾ وَ﴿شَهِيدٌ وَشَاهِدٌ﴾ ، بَلْ إِنَّ ﴿مَخَاصِمٌ﴾ وَبَابَهُ يَسْتَدْعِي طَرَفًا وَشَرِيكًا وَهُوَ الْمَفْهُومُ مِنْ مَدْلُولِ الْمَشَارَكَةِ فِي ﴿خَاصِمٌ﴾ عَلَى حِينٍ لَا يَسْتَدْعِي ﴿فَعِيلٌ﴾ نَدَا أَوْ شَرِيكًا لِأَقْرَارِ مَفْهُومِهِ وَتَبْيَانِ ذَلَالَتِهِ ، فَالْخَصِيمُ هُوَ مَنْ يَرْفُضُ كُلَّ مَا يَعْضُضُ لَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ نَدٌّ يَبَادِلُهُ الْخَصُومَةَ ، أَمَّا الْمَخَاصِمُ فَلَا يَتَحَقَّقُ مَعْنَاهُ إِلَّا بِوُجُودِ شَرِيكِهِ .

وَيَبْدُو أَنَّ الشَّرَاحَ لَمْ يَلْتَزِمُوا بِمَسْأَلَةِ (تَنَاقُوبِ الصِّيغِ) الَّتِي أَقْرَأَهَا الْمُحَدِّثُونَ اعْتِمَادًا عَلَى تِلْكَ الْإِشَارَاتِ الَّتِي تَقُوهَا مِنَ الْقَدَمَاءِ ، بِدَلِيلِ أَنَّهُمْ فَسَّرُوا أَمْثَلَةَ ﴿فَعِيلٌ﴾ بِالذَّلَالَةِ عَلَى وَصْفِ الْفَاعِلِ الْقَائِمِ بِفِعْلِهِ بِأَنَّهَا تَعْنِي (ذُو الشَّيْءِ) ، وَلَمْ يَشِيرُوا إِلَى تَضَمُّنِ ﴿فَعِيلٌ﴾ مَعْنَى ﴿فَاعِلٌ﴾ نَحْوُ: الْحَجِّجِ وَالْخَصِيمِ : ((ذُو الْحَاجَةِ وَالْخَصُومَةَ))^(٦) وَ ((الْأَمِيرُ ذُو الْأَمْرِ))^(٧) ، وَ ((النَّجِيدُ ذُو النَّجْدَةِ))^(٨) ، وَالْمَرْعَى الْوَيْيِّ بِمَعْنَى : ((ذُو الْوَبَاءِ))^(٩) .

وَسَيَأْتِي عَمَّا قَرِيبٍ تَفْسِيرَ فَرِيقٍ مِنَ الشَّرَاحِ هَذِهِ الْأَمْثَلَةَ وَغَيْرَهَا بِالذَّلَالَةِ عَلَى الْمَبَالِغَةِ لَا عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ . وَمِنْ هَذَا يَفْهَمُ أَنَّ مَسْأَلَةَ النِّيَابَةِ الصَّرْفِيَّةِ غَيْرَ مُسَلِّمٍ بِهَا فِي تَفْسِيرِ أُنْبِيَاءِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَإِنَّمَا يَلْجَأُ إِلَيْهَا أحيانًا بَغِيَّةَ الْإِيضَاحِ وَالْبَيَانِ وَتَفْسِيرِ الْغَامِضِ بِالْوَاضِحِ .

(١) يَنْظُرُ: الرَّوَنْدِيَّ ٤٠٤/٢ وَالْكَيْدَرِيَّ ٢٣٦/٢ وَالْمَعْتَزَلِيَّ ٢٦٠/١٠ ، وَالْبَحْرَانِيَّ ١٨٠/١١ ، وَالسَّرَخْسِيَّ ٣/٥ ، وَالسَّرَخْسِيَّ ٨١/١ وَعَبْدَهُ ١١٥/٢ وَالْخَوَيْيَّ ٢٤٧/١٤ وَمَغْنِيَةَ ٤٥٣/٤ وَالتَّسْتَرِيَّ ٢٦٢/٤ وَالسَّامِرَائِيَّ ١٢١ وَأَبُو الْفَضْلِ ١٦٢/١ ، ٤٤/٢ .

(٢) يَنْظُرُ: الْخَوَيْيَّ ٣٧٠/١ أَنْصَارِيَّانَ ١٢٧/٢ .

(٣) يَنْظُرُ: الْبَحْرَانِيَّ ٢٨١/٣ وَالْخَوَيْيَّ ٣٣٩/٢٠ وَأَبُو الْفَضْلِ ٣٨٧/١ .

(٤) يَنْظُرُ: الْمَعْتَزَلِيَّ ١٢٢/٩ .

(٥) الْكَلِيَّاتُ ١٨٩/٢ . (٦) الْمَعْتَزَلِيَّ ١٦٩/٦ .

(٧) الْبَيْهَقِيُّ ١٥ . (٨) الْبَحْرَانِيَّ ٢٦٧/٤ .

(٩) الْمَعْتَزَلِيَّ ١١/١٠ وَالْبَحْرَانِيَّ ٢٧٤/٣ وَأَنْصَارِيَّانَ ١٦٨/٢ وَالْخَوَيْيَّ ١٧٨/١٠ .

ب - فعيل بمعنى مفعول .

أقر الصرفيون دلالة فعيل على مفعول ، كجريح بمعنى مجروح ، وقتيل بمعنى مقتول ، وقاس بعضهم هذه الدلالة في كل (فعيل) وقع عليه الفعل^(١) .

وقد كثرت أمثلة (فعيل) الواقع عليه الفعل في متن النهج فنلقّ فيها الشّواح بإقرار دلالتها على المفعول مصرحين باستواء المذكر والمؤنث فيها ، كالجريح في قوله (ج) : (لَا تُجْهِزُوا عَلَيَّ جَرِيحًا)^(٢) ، إذ « الجريح فعيل بمعنى مفعول أي : المجروح ، وهو المصاب بجرحه ، جمعه جرحى كقتيل وقتلى ، يستوي فيه المذكر والمؤنث »^(٣) . ومنها الرقيم في قوله (ج) في صفة السماء : (... وَسَقَفِ سَلْدِرٍ وَرَقِيمٍ هَدِيرٍ)^(٤) ، إذ « الرقيم في الأصل الكتاب المرقوم فعيل بمعنى مفعول... »^(٥) . ومنها الحصيد في قوله (ج) : (... حصيد المرجان ...) ^(٦) ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾^(٧) أي حبّ النبات المحصود^(٨) . ومنها الدفيق والفنيق في قوله (ج) يصف خلق السموات والارض : (ثُمَّ أَنْشَأَ . سُبْحَانَهُ . نَفَقَ الْأَجْوَاءِ ... الْهَوَاءِ مِنْ تَحْتِهَا فَنَيْقٌ ، وَالْمَاءِ مِنْ فَوْقِهَا نَفَيْقٌ)^(٩) . إذ هما بمعنى الهواء المفتوق والماء المدفوق لدى أكثرهم^(١٠) ، ولدى فريق منهم بمعنى فاعل أي : هواء منفثق وماء متدفق^(١١) .

ويفهم من تشتت أقوال الشّواح في دلالة هذين المثالين أن القول بتناوب الصيغ مسألة فيها نظر وتقوم على ذائقة العالم وفهمه الخاص ، وليس عليها إجماع الصرفيين ، بل إن حدّاقهم يفرقون بين أمثلة (فعيل) و(مفعول) ، إذ صرح ابن هشام بأنّ فعيل أبلغ من المفعول ولذا استعمل القرآن البناء الأغلب في قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبِ الْأَسْمِ ﴾^(١٢) إذ : « أقيم فعيل مقام مفعول لانه أبلغ منه ولهذا لا يقال لمن جرحت أنملته (جريح)

(١) ينظر: الكتاب ٢١٣/٢ واصلاح المنطق ٣٧٨ وأدب الكاتب ٢٢٨ والمخصص ١٥٦/١٦ والكلبيات ١٨٨

وشرح شذور الذهب ١٠٢ وشرح ابن عقيل ١٣٨/٣ .

(٢) نهج البلاغة ر ١٤ ص: ٤٧٢ . (٣) الخوئي ١٢٨/١٨ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص: ٢٠ . (٥) انصاريان ٤٠/١ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ٩١ ص: ١٤٩-١٥٠ .

(٧) ق ٩ وينظر:الكشاف ٤/٤ والبحر المحيط ٥٣١/٩ .

(٨) ينظر: البيهقي ١٨ ، ١٧٢ والراوندي ٣٨١/١ والمعتزلي ١٦٨/١ ، ٤٠٢/٦ ، ١٦٨/١٣ والبحراني ٣٢٧/٢ ، ٢٨٤/٤

وعبده ٢٠٠/١ والخوئي ٣٦٠/٥ ، ٢٨٦/٦ ومغنية ٤٨٦/٢ وابو الفضل ٢٤٤/١ وانصاريان ٢٣٣/١ ، ٢٦٨/١ .

(٩) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص: ١٨-١٩ .

(١٠) ينظر :الراوندي ١٥٩/١ والكيدري ١٢٩/١ والمعتزلي ٨٨/١ والسرخسي ١٣٩/١ وعبده ٢٣/١

وابو الفضل ١٧/١ والشيرازي ٢١/١ .

(١١) ينظر : البحراني ١٧٢/١ والخوئي ٣٧٤/١ ومغنية ١٠٠/١ .

(١٢) يونس ٢٤ .

ويقال له : مجروح»^(١) . وخلص الدكتور فاضل السامرائي الى ان الوصف بـ (فعليل) يفيد الثبات واللزوم ، واما بـ(مفعول) فيفيد التجدد والحدوث ، فالحميد يكون الحمد له ثابتا لازما ، والمحمود لا يثبت حمده بل يتجدد ، وكذا الفرق بين قولنا : كفّ خضيب وكفّ مخضوب^(٢) . فلا معنى – إذن - للقول بنبابة (فعليل عن مفعول) في هذه الامثلة إلا من باب التوضيح والبيان ، وتفسير اللفظ بنظيره كما هو دأب المعجميين .

٢ - فَعِيلٍ مَصْدَرًا .

تأتي مصادر الثلاثي على (فعليل) من (فعل) اللزوم كثيرا ، والمتعدّي قليلا إذا دلا على صوت ، قال سيبويه: « جاء فعيل في الصوت كما جاء فعُال وذلك نحو الهدير والضجيج والصريخ والصهيل والنهيق والشحيج»^(٣) . وقد كثرت أمثلة فعيل من المصادر الدالة على الصوت في متن النهج ، فجهر الشّراح جميعا بهذه الدلالة ، ومن أقوالهم : « الرجيج الصوت العالي مستعار من رَجَه يَرْجُه إذا حركه»^(٤) . و « الهديل صوت الحمام»^(٥) و « النجّي مصدر كالصهيل يقع على الواحد والجمع»^(٦) و «الوجيب اضطراب القلب»^(٧) . ورأى الدكتور فاضل السامرائي ان (فعليل) دون (فُعَال) في الدلالة على الصوت ؛ لان الضمة والالف في (فعال) أقوى من الفتحة والياء في (فعليل) ، فالصريخ لديه دون (الصراخ) في القوة ، وهذا الفرق بين امثلة المصدرين مفهوم لديه من غلبة (فُعَال) في الصفات على (فعليل) ك (طُول وطَوِيل) على وفق ما أكده ابن جنّي من قبل^(٨) .

وشاع في العربية مجيء مصادر الثلاثي على (فعليل) من (فعل) اللزوم إذا دلّ على سير ، وقد صرح معظم الشّراح بهذه الدلالة لا سيما البحراني الذي فاق أقرانه في كثرة الأمثلة والاستدلال عليها وتلمس المداليل الدقيقة لأمتلتها كقوله: « الوجيف: ضرب من السير فيه سرعة»^(٩) ، وقوله : « الدبيب: المشي الخفيف»^(١٠) ، والدفيق: «طيران الطائر فوق الارض»^(١١) .

(١) شرح شذور الذهب ١٠٢

(٢) ينظر : معاني الابنية ٦٢ .

(٣) الكتاب ١٤/٤ وينظر : الاصول ١٨٩/٣ وادب الكاتب ٤٧٠ والمخصص ١٣٥/١٤ وشرح الأشموني ٣٠٤/٢ .

(٤) الراوندي ٣٩٨/١ وينظر : البيهقي ١٨٣ والكيدري ٤٥٩/١ والمعتزلي ٤٢٧/٦ والبحراني ٣٥٤/٢ والخوئي ٣٧٢/٦ .

(٥) المعتزلي ٧٤/١ .

(٦) الكيدري ٣٩٨/١ .

(٧) البحراني ٢٨٤/٤ .

(٨) ينظر : الخصائص ٢٧٠/٣ ومعاني الابنية ١١٦ .

(٩) البحراني ٣١٤/٤ .

(١٠) البحراني ٣٤٥/١ .

(١١) انصاريان ١٣٥/٢ .

ويبدو أن دلالة فعيل على السير منشعبة من دلالاته على الصوت فالذفيف طيران يسمع معه خفق الاجنحة والديبيب سير يسمع معه وقع الاقدام . وعلى هذا النحو يمكن توحيد الباب في مصادر الثلاثي التي على وزن (فعيل) لتدل أمثلته كلها على الصوت ، وهو صوت تتعدد مصادره ومنها ما يكون عن سير معين . والدليل على ذلك قلة امثلة فعيل في السير إذا ما قورنت بما دل على الأصوات منها .

٣ - فعيل مبالغة .

ان الوصف إذا اريد به الدلالة على الكثرة والمبالغة تحول من (فاعل) إلى صيغ أخرى منها (فعيل) ، والفرق بين أمثلة (فعيل) في المبالغة وأمثلة (فعيل) في الوصف أن ما كان للمبالغة منها يصاغ من المتعدي نحو : (السميع و البصير) وما كان للوصف يصاغ من اللازم نحو : (كريم وعظيم) . فضلا عن ان المبالغة دون الصفة المشبهة في اللزوم والثبات ، وكأن (فعيل) في المبالغة منزلة بين منزلتين ، الأولى : اسم الفاعل الذي يفيد التجدد والحدوث ، والأخرى : الصفة المشبهة التي تفيد الزوم ، فالمبالغة تعني كثرة القيام بالفعل او الاتصاف به ليس على وجه اللزوم والثبات^(١) . وقد انماز المعتزلي بتريديد التصريح بدلالة امثلة (فعيل) على المبالغة بخلاف سائر الشراح الذين فسروا أمثلة (فعيل) بتضمُّنها معنى (فاعل) على وفق ما سبق عما قريب . ف(الثري) معناه لدى المعتزلي كثير الثروة ، والعديد : العدو الكثير العدة والعدد ، والحجيج : المبالغ بإظهار الحجة ، والتقدير مبالغة في القادر ، والمرعى الوبي : كثير الوباء ، والغبي : كثير الغباوة قليل الفطنة^(٢) . ويرى الدكتور فاضل السامرائي أن دلالة فعيل على المبالغة منقولة من فعيل الدال على الصفة المشبهة الذي يدل على الثبوت فيما هو خلقة او بمنزلتها كطويل وقصير ، ووجه النقل ان (فعيل) في المبالغة يدل على معاناة الأمر وتكراره حتى يصبح كأنه خلقة في صاحبه وطبيعة فيه ، كعليم الذي كثر منه النظر في العلم والتبحر فيه فأصبح العلم سجية ثابتة كالتبيعة فيه^(٣) . ويدخل على هذا التفسير أنه يوجّه النقل من الصفة المشبهة الى المبالغة بكثرة القيام بالفعل وما يصحبها من التكرار والمعاناة ، وهي معان تصدق على اللفظة إذا وصف بها إنسان ولا تصدق عليها اذا كان الموصوف هو الباري - عز وجل - فلا يليق به تعالى أن يسند اليه التكرار والمعاناة . ومن هنا يمكن توحيد الباب في كل الأمثلة التي على (فعيل) بأنّها وصف دائم أو شبه دائم لكثرتة مع الموصوف . وعلى العموم يمكن القول : إن كل ما ورد على (فعيل) من الكلم العربي يفيد الدلالة على الاستمرار في الزمان والتفشي في المكان بلحاظ الياء المدية التي يمتد بها الصوت امتدادا يومئ بالاستحواذ على درجة معينة من الزمان والمكان .

(١) ينظر :معاني الأبنية ٩٤-٩٥ ، ١١٧-١١٨ .

(٢) ينظر : المعتزلي ٢٥٨/١ ، ١٦٥/٥ ، ٢٣٢/٧ ، ١١/١٠ ، ١٣/١٦ وانصارين ٢٠٦/١ ، ٣٠٥/١ .

(٣) ينظر : معاني الابنية ١١٧ .

وما قاله القدماء في تنوع الدلالة في امثلة هذا البناء يمثل المداليل الثانوية وليس الدلالة الرئيسية لها التي تفيد استمرار الفعل وتفشييه . وعلى الرغم من كثرة ما أُثر عن القدماء بشأن دلالة (فعل) يبقى ما قالوه قاصرا عن تفسير كل الامثلة كوصف الجماعة بـ (فعل) مفردا كما في قوله تعالى : ﴿ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾^(١) وقوله تعالى : ﴿ وَهَنَ أَوْلَادُكَ رَفِيقًا ﴾^(٢) . إذ جوز فريق من الشراح أن يكون (النَجِي) و(الرَفِيق) وصفا بمعنى المفعول أو مصدرا كالصهيل . ولذا خالف موصوفه المجموع (خلصوا) و(اولئك) ؛ لان فعيل بمعنى مفعول يستوي فيه التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع . وأما المصدر فيلازم حالة واحدة إذا وقع وصفا إذ يجوز فيه أن يخالف موصوفه فيقال : رجل عدل وامرأة عدل ورجال عدل ونساء عدل^(٣) .

ولاشك في أن استمرار الفعل وتفشييه يفيد معنى الكثرة فيصلح اللفظ لوصفها او بيان حالها او تمييزها . واما المبالغة فمعنى مدرك من تكثير الفعل ايضا . اما نيابة فعيل عن صيغ اخرى ففي غاية البعد ؛ لان القول بها يلغي مدلولها على الاستمرار والتفشي وهو معنى لا يدرك في فاعل ولا في (مفعول) .

أما البناء (فعلية) فأمثله كثيرة في متن النهج ، ومثلما فرق العلماء ثم الشراح مداليل (فعل) بين المصدرية والمبالغة والصفة المشبهة فرقا كذلك مداليل مؤنثه (فعلية) على المداليل نفسها ، فالفعيلة مصدر في قوله (ع) ينهى عن الحيلة : (يَنْتَهزُ فُرْصَةً مَنْ لَا حَرِيْجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ)^(٤) ، إذ « الحَرِيْجَةُ بمعنى : التَحْرُج »^(٥) وكذا البصيرة معناها الاستبصار^(٦) في قوله (ع) يصف ايمانه : (... لَعَلَى بَصِيْرَةٍ مِنْ نَفْسِي)^(٧) .

وكثيرا ما دلّت أمثلة النهج من (الفعيلة) على معنى (المفعولة) ، كالرمية بمعنى المرمية ، والرهيئة بمعنى المرهونة والكسيرة بمعنى المكسورة^(٨) . وأقل من هذا دلالة (فعلية) على معنى (فاعلة) ، نحو : الخصيصة بمعنى خاصة الإنسان وهي ما يختص به من كمالٍ وغيره^(٩) .

ويبدو أن نيابة فعيلة عن المفعولة والفاعلة مسألة تخضع لنوق الشارح وفهمه الخاص ؛ لأن الشراح جوزوا أن تدلّ الأمثلة التي على (فعلية) على المفعولة والفاعلة معا بالاعتماد على التأويل والتقدير ، نحو : الرهيئة مفرد الرهائن

(١) يوسف ٨٠ وينظر : الكشاف ٣٣٦/٢ والبحر المحيط ٣١٠/٦ .

(٢) النساء ٦٩ وينظر : الكشاف ٥٤٠/١ والبحر المحيط ٧٠١/٣ .

(٣) ينظر : الراوندي ٣٥٨/١ و٣٧٥/٢ والكبير ٣٩٨/١ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ٤١ ص ٨٤ .

(٥) البحراني ١٠٥/٢ وينظر : السرخسي ١٧٠/١ وعبد ١١٥/١ وانصاريان ١٦٠/١ .

(٦) ينظر : السرخسي ٨٧/١ .

(٧) نهج البلاغة : ر ٦٢ ص ٥٧٨ .

(٨) ينظر : البيهقي ٣٧٣ والمعتزلي ٢٦/١٠ ، ٥٤/٩١٦ والبحراني ٣٦٣/١ ، ٣/٥ وعبد ٣٨/٣ والخوي ١٩/١٠٣ .

(٩) ينظر : البحراني ١٢٤/١ .

في قوله (ي) في ذم الدنيا : (...أَيْنَ الْقُرُونُ الدِّينَ غَرَّبَتْهُمْ بِمَدَاعِبِكَ؟ أَيْنَ الأُمَمُ الدِّينَ فَتَتْهُمْ بِرِخَارِفِكَ؟ فَهَأُهمَ رَهَائِنُ الْقُبُورِ...) (١) قال البحراني : « استعارَ لفظَ الرَّهَائِنِ لهم باعتبار كونهم موثقين في القبور بأعمالهم كالرهن ، ويحتمل أن يكون حقيقة ويكون رهينة بمعنى راهنة وهي الأشخاص المقيمة بقبورها » (٢) ، وقريب منه قول الخوئي : « الحقيقة ... في الاصل فعيلة من حق الشيء يحق إذا ثبت أو حققت الشيء إذا أثبتته فعلى الاول الفعيل بمعنى الفاعل كالعليم والرحيم ، وعلى الثاني فبمعنى المفعول كالجريح والقتيل » (٣).

واكثر ما شغل الشراح في هذه المسألة هو دلالة التاء في (فعيلة) إذ اطبقت على انها ليست للتأنيث وانما لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية؛ لان (فعيل) ان كان بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث فلا تفيد التاء تأنيثاً لأنه موجود بالصيغة ، وأما فائدة التاء تخصيص اللفظ بالأسماء وهو ما يعرف بالنقل إذ «يقال : للصيد يرمى : هذه الرميّة ، وهي فعيلة بمعنى مفعولة والأصل في مثلها ألا تلحقها الهاء نحو : كفّ خضيب وعين كحيل إلا إنهم أجروها مجرى الأسماء لا النعوت كالقصيدة والقطيعة » (٤) . وفسر بعض الشراح معنى « كونها للنقل أن اللفظ إذا صار بنفسه اسماً لغلبة الاستعمال بعدما كان وصفا كانت اسميته فرعاً لوصفيته فيشبه المؤنث لكونه فرعاً للمذكر فتجعل التاء علامة لفرعية كما كانت علامة لها في رجل علامة لكثرة العلم بناء على ان كثرة الشيء فرع » (٥).

ومجمل أقوال السابقين بشأن هذه التاء انها لا تختلف عما ذكره الشراح إلا في الاصطلاح ، فالشائع أن هذه التاء للنقل كما قرره الشراح . وذكروا أنها للتخصيص والإعداد والاتخاذ ، فالذبيحة ليست كالمذبح بل هي مختصة بما يصلح للذبح ويعد له من النعم أو ما يتخذ للذبح ذكرًا كان أم أنثى ، ويجوز أن يقال لها ذبيحة ، وكذا الرميّة والضحية وغير ذلك (٦) . وقد جمع الدكتور فاضل السامرائي أقوال السابقين كلها في التفريق بين البناءين في امرين : الاول : إن فعيلة تدل على الاسم بخلاف (فعيل) الذي يدل على الوصف ، والاخر : ان (فعيلة) مختصة بما اتخذ للفعل و(الفعيل) يدل على ما وقع عليه الفعل او اتصف به (٧) .

(١) نهج البلاغة ر ٤٥ ص : ٥٣٤ .

(٢) البحراني ١٠٨/٥ .

(٣) الخوئي ٢٣/١ وينظر : ٤٧/١ والراوندي ٢/٥١ والمعتزلي ١/٤٢ والبحراني ١/٤٢ وانصاربان ١/٢٤ و ٤٢١ والخوئي ١١/٣٣٢ .

(٤) المعتزلي ١١/١٩٤ .

(٥) الخوئي ٢٣/١ وينظر : الراوندي ٢/٧٥ والكيدري ٣/١٧٣ والمعتزلي ١٥/١٩٤ والبحراني ٤/٣٨٣ والخوئي ١٩/١٠٣ .

(٦) ينظر : الكتاب ٢/٢١٣ وشرح الشافية ٢/١٤٢ والمخصص ١٦/١٥٥ .

(٧) ينظر : معاني الابنية ٦٥ .

المطلب الثالث : معاني فاعل - فاعلة

زخر متن النهج بأمتثلة فاعل ومؤنثه فاعلة فتلمّس الشّراح لهما عدة معان أهمّها :

١ - فاعل بمعنى المفعول .

أقر المفسرون دلالة فاعل على المفعول .وبهذا فسّروا قوله تعالى : ﴿حُقِّقَ مِنْ مَاءٍ نَافِقٍ﴾^(١) أي :مدفوق^(٢) . وقوله تعالى : ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٣) أي : لا معصوم^(٤) ، وقوله تعالى : ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾^(٥) أي : مرضيّة^(٦) . والآية الأخيرة هي أم الباب في الاستدلال على هذه المسألة لدى علماء العربية ، وأما من الشعر فدليلهم المشترك هو قول الحطيئة^(٧) :

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرَحَّلْ لِبُغْيَتِهَا وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

وقد رسخ سيبويه^(٨) دلالة (فاعل) على (المفعول) بذكره أمثلة قليلة زاد عليها خالفوه^(٩) أمثلة غيرها . وكل ما ذكره لم يجاوز العدّ ، فقال ابن خالويه : « ليس في كلام العرب فاعل بمعنى مفعول الا قولهم ربح ساف وانما هو مسفي ومثله عيشة راضية هي مرضية وماء دافق وهو مدفوق وسر كاتم وليل نائم و...»^(١٠) وتابع شراح النهج علماء العربية فاقروا دلالة (فاعل) على (المفعول) في جملة من الفاظ النهج منها ما جاء في قوله الامام (ع) : (وَمَنْ لَجَّ وَتَمَادَى فَهُوَ الرَّاكِسُ)^(١١) . ف ((الراكس هنا بمعنى المركوس فهو مقلوب فاعل بمعنى مفعول ، كقوله تعالى : ﴿هُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾^(١٢) . و((ساحل البحر مقلوب في اللفظ لأن الماء سحله فهو مسحول ، كما قالوا : عيشة راضية في معنى مرضية^(١٣) ، و ((قولهم ليس فيه شائبة ... يجوز ان يكون مأخوذا من شوب اللبن فهو مشوب ومعناه ليس فيه شيء مختلط ... فتكون فاعلة بمعنى مفعولة^(١٤) .

(١) الطارق ٦

(٢) ينظر: الكشاف ٢٤١/٤ والبحر المحيط ٤٤٥/١٠ .

(٣) هود ٤٣

(٤) ينظر: الكشاف ٧٢٠/٢ والبحر المحيط ١٥٨ .

(٥) الحاقة ٢١

(٦) ينظر: الكشاف ٥٣/٤ والبحر المحيط ٢٦١/١٠ .

(٧) ديوانه : ٧٤

(٨) ينظر: الكتاب ٣٨١/٣ - ٣٨٢ .

(٩) ينظر: شرح الكافية ٢٢١/٢ وفقه اللغة للثعالبي ٤٩٢ ومعاني الأبنية ٥٨ .

(١٠) ليس في كلام العرب ٦٩ - ٧٠ . (١١) نهج البلاغة: ر ٥٨ ص: ٥٧٤ .

(١٢) المعتزلي ١١/١٧٦ . (١٣) التستري ١٢/١٠٩ .

(١٤) الخوئي ١١/٣٣١ وينظر: الراوندي ٢/٢٥١ والتستري ٢/٧٣ .

وَأَمَّا فِهُمُ الصَّرْفِيُّونَ مِنْ هَذِهِ الْأَمْثَلَةِ دَلَالَتُهَا عَلَى الْمَفْعُولِ لَا الْفَاعِلِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَلْحَظُوا فِيهَا الْقُدْرَةَ عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ بَلْ فَهَمُوا وَقَوَعُوا فِيهَا فَفَسَّرُوهَا بِالْمَفْعُولِ . وَوَجَّهَهَا بَعْضُهُمْ عَلَى النَّسْبِ فَتَكُونُ مِنْ بَابِ نَابِلٍ وَتَامَرَ وَنَاشَبَ بِمَعْنَى ذِي الشَّيْءِ ، وَلَيْسَتْ مِنْ بَابِ نِيَابَةِ فَاعِلٍ عَنِ الْمَفْعُولِ^(١) . وَهَذَا التَّوْجِيهُ يَبْقَى الْإِلْفَافُ دَالَّةً عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ وَمِنْ النَّوْعِ الَّذِي يَتَصَفُّ فِيهِ الْفَاعِلُ بِفَعْلِهِ لَا مِنَ النَّوْعِ الَّذِي يَقُومُ بِالْفَعْلِ عَلَى وَجْهِ الْحَقِيقَةِ . وَالْأَوْلَى أَنْ يَلْتَزِمَ بِظَاهِرِ الْبِنَاءِ (فَاعِلٌ) فَلَا يَقْلَبُ إِلَى (الْمَفْعُولِ) تَارَةً وَالْيَ (ذِي الشَّيْءِ) تَارَةً أُخْرَى ؛ لِأَنَّ «الِدَاقِقَ اسْمَ فَاعِلٍ يَأْتِي كَصِفَةٍ لِلْفَاعِلِ ، مِثْلُهُ مِثْلُ أَيِّ اسْمِ فَاعِلٍ يَعْمَلُ كَصِفَتِهِ مِثْلُ : رَجُلٍ تَاجِرٍ ، وَسَيْفٍ ضَارِبٍ ، وَزُرُوقٍ غَارِقٍ»^(٢) ، وَالْمَاءُ فِي الطَّبِيعَةِ مُتَدَفِّقٌ بِنَفْسِهِ وَقَدْ أَخْبَرَ الْقُرْآنُ أَنَّهُ (يَتَفَجَّرُ) وَ(يَخْرُجُ) ، أَمَّا مَاءُ الرَّجْلِ فَتَدَفَّقُهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ أَمْرٌ «مُطَابِقٌ لِحَالَةِ غِيَابِ الْإِرَادَةِ كَامِلَةً كَمَا فِي الْإِحْتِلَامِ أَوْ جَزْئِيًّا كَمَا فِي الْجَمَاعِ فَيَكُونُ التَّدَفِّقُ مِنْ فَعْلِ الْمَاءِ نَفْسَهُ»^(٣) . وَأَمَّا (عَيْشَةٌ رَاضِيَةٌ) فَلَفْظَةٌ (عَيْشَةٌ) «تَتَضَمَّنُ الْعَائِشَ لِأَنَّهَا مُرْتَبِطَةٌ بِهِ فَهِيَ لَيْسَتْ كَأَيِّ لَفْظٍ أُخَرَ مِثْلِ بَسْتَانٍ يَمُوتُ صَاحِبُهُ وَيَبْقَى الْبَسْتَانُ لِأَنَّ الْعَيْشَةَ تَنْتَهِي بِالْعَائِشِ فَهِيَ اسْمُ لِحْيَاةِ الْكَائِنِ الْحَيِّ الْعَاقِلِ ... وَحِينَئِذٍ تَقُولُ عَائِشَةُ الرَّجُلِ عَيْشَةٌ رَاضِيَةٌ صَارَتْ الْعَيْشَةُ تَنْتَهِي بِخُرُوجِهَا عَنْ الْإِهْتِمَامِ بِهَا خُرُوجًا كَامِلًا وَصَارَتْ هِيَ الْمَهْتَمَةُ بِهِ . وَلَا تَوْجِدُ فِي الْحَقِيقَةِ عَيْشَةً عَلَى هَذَا النَّحْوِ إِلَّا تِلْكَ الَّتِي يُعْطِيهَا الرَّبُّ الْعَظِيمُ لِعِبَادِهِ الَّذِينَ رَضِيَ عَنْهُمْ»^(٤) . وَأَمَّا الطَّاعِمُ الْكَاسِي فِي بَيْتِ الْحَطِيبَةِ فَالطَّاعِمُ «الْأَوْلَى أَنْ نَقُولَ : هُوَ اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ طَعَمٍ يَطْعَمُ مَسْلُوبًا مِنْهُ مَعْنَى الْحَدُوثِ»^(٥) . وَالكَاسِي «يَجُوزُ أَنْ يَقَالَ : الْمُرَادُ الْكَاسِي نَفْسَهُ»^(٦) . وَحِينَئِذٍ يَفْهَمُ ذَمُّ الْحَطِيبَةِ الزَّبْرَقَانَ بْنِ بَدْرِ مِنْ مَجْمَلِ أَيْبَاتِ الْقَصِيدَةِ الَّتِي تَصْدَحُ ذَمًّا مِنْ مَطْلَعِهَا حَتَّى خَتَمَهَا فَلَا يَنْفَعُ إِخْفَاءُ الذَّمِّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَهُوَ ظَاهِرٌ فِي هَذَا الْبَيْتِ مِنْ نَعْمَةِ الْإِسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ الْمَحْذُوفِ فِي جُمْلَةٍ (أَنْتَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي ؟) . أَوْ يَكُونُ الْبَيْتُ مُحَرَّفًا بِقَصْدِ الْإِسْتِشْهَادِ بِهِ وَأَصْلُهُ : **وَاقْعِدْ فَإِنَّكَ لَسْتَ الطَّاعِمَ الْكَاسِي .**

٢ - فاعل بمعنى ذي الشيء (النسب) .

حَشْرُ سَبِيْبِيَّةٍ فِي بَابِ النَّسْبِ بِلَا يَاءٍ مُشَدَّدَةٍ طَائِفَةٌ مِنَ الْأَمْثَلَةِ عَلَى وَزْنِ (فَاعِلٌ) ، وَرَأَى أَنَّهَا دَالَّةٌ عَلَى النَّسْبِ بِالصِّيْغَةِ لِأَنَّهَا بِمَعْنَى (ذُو شَيْءٍ) يَعْمَلُهُ لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الدَّوَامِ وَالْمَبَالِغَةِ «وَذَلِكَ قَوْلُكَ لَذِي الدَّرْعِ : دَارِعٌ ، وَلَذِي النَّبْلِ : نَابِلٌ ، وَلَذِي الشُّشَابِ : نَاشِبٌ ، وَلَذِي التَّمْرِ : تَامِرٌ ، وَلَذِي اللَّيْنِ : لَابِنٌ ، قَالَ الْحَطِيبِيُّ :

فَغَرَّرْتِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَابِنٌ فِي الصِّيفِ تَامِرٌ»^(٧)

وَرَدَّدَ مَعْظَمُ خَالْفِيِّ سَبِيْبِيَّةٍ هَذِهِ الْأَمْثَلَةَ وَلَمْ يَصْرَحْ أَكْثَرُهُمْ بِأَنَّهَا نَوْعٌ مِنَ النَّسْبِ بَلْ هِيَ عَلَى «فَاعِلٍ يَكُونُ لِصَاحِبِ الشَّيْءِ مِنْ غَيْرِ مَبَالِغَةٍ»^(٨) . وَصَرَحَ آخَرُونَ بِإِنَّ (فَاعِلٌ) إِذَا كَانَ بِمَعْنَى (ذُو صَنْعَةٍ) يَزَاوِلُهَا فَهُوَ مِنْ بَابِ النَّسْبِ بِلَا

(١) ينظر: شرح الشافعية ٢/٨٤-٨٥ .

(٢) النظام القرآني ١٧٠ .

(٣) نفسه ١٢٤ .

(٤) نفسه ١٢٦ .

(٥) شرح الشافعية ٢/٨٣ .

(٦) نفسه ٢/٨٣-٨٤ .

(٧) الكتاب ٣/٣٨١-٣٨٢ .

(٨) شرح الشافعية ٢/٨٤-٨٥ والمخصص ١٥/٦٩ .

ياء مشددة ؛ لأن (فاعل) في هذه الامثلة ليس جاريا على فعل معلوم فيحمل على أصله في الدلالة على الفاعلية فلا يقال : درع يدرع ولا لبن يلبن^(١). وتوسع المبرد في أمثلة (فاعل) هذه فحمل عليه الفاظا كثيرة أشعرت خالفه أنه يقيس هذا^(٢) ، ومن أمثلته « كل مؤنث نعت بغير هاء نحو: طامث وحائض ومنتئم وطالق»^(٣) ، وكل ما « كان ذا شيء اي صاحب شيء بني على فاعل»^(٤). وفرق أكثرهم بين (فاعل) الدال على النسب وغيره وذلك ان (فاعل) ان دل على التجدد والحدوث فهو يدل على القيام بالفعل وان دل على الثبوت فهو بمعنى النسب^(٥).

وقد توسع شراح النهج في تفسير امثلة (فاعل) الدالة على النسب ، ومنها (الدارع) في قوله (ي) في تنظيم الجيش : (فَقَدُّمُوا الدَّابِحَ وَأَخْرُوا الحَاسِرَ)^(٦) ، وقوله (ي) في أهل البصرة : (فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِذَلِيلٍ وَأَكْلَةٌ لِأَكْلٍ)^(٧) ، وقوله (ي) في الاستسقاء : (يَلْلَأُ سُقْيَا مِنْكَ مُحْيِيَةً...ثَامِلًا فَرِهَعًا)^(٨) ، فالدارع هو ذو الدرع ، اي: لايس الدرع^(٩) ، والنايل بمعنى: ذي النبل^(١٠) ، والتامر هو: ذو الثمر، والعائل بمعنى: ذي العيلة ، أي : الفقر^(١١). وقلّ لدى الشراح امثلة (فاعلة) بمعنى ذي الشيء ، ومنها الواغرة في قوله (ي) واصفا النبي (صلى الله عليه وآله) : (وَلَأُفَ بِهِ الشَّمْلَ بَيْنَ ذَوِي الأَرْحَامِ بَعْدَ العَدَاوَةِ الوَاغِرَةِ فِي الصُّدُورِ)^(١٢) ، فالواغرة بمعنى: ذات الوغر، وهو شدة توقد الحر^(١٣). ولا شك في أن أمثلة (فاعل) الدالة على النسب لا يمكن ان تفسر بالدلالة على الثبوت فالدارع والنايل واللابن والتامر كلّها تدل على الفاعل المتصف بفعله لا الملازم له. فاصطحاب الدارع درعه لا يتصور في السلم وكذا النايل ، وأما اللابن والتامر فيكفي أن المثال الذي ذكروه لهما وهو قول الحطيئة^(١٤):

فَعْرَ تَنِي وَزَعَمْتَ أَلَّكَ لَابِنٌ فِي الصِّيفِ تَأْمِرٌ

فيه (في الصيف) قرينة لفظية تفيد التجدد لا اللزوم . وهنا بان الفرق بين إخراج هذه الامثلة على النسب وبقائها على الدلالة على الفاعل المتصف بالفعل اتصافا متجددا لا دائما . وبين النسب وهذه الألفاظ عدّة فروق ، منها إن

(١) ينظر: شرح المفصل ١٠٠/٥ . (٢) ينظر: شرح الأشموني ٤٠٠/٤ وحاشية الصبان ٢٩٥/٢ .

(٣) المقتضب ١٦١/٣-١٦٢ . (٤) نفسه ١٦١/٣-١٦٢ .

(٥) ينظر: التسهيل ٢٥٤ وحاشية الصبان ٢٩٥/٢ . (٦) نهج البلاغة : الخطبة ١٢٤ ص: ٢٢٧ .

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ١٤ ، ص ٤٢ .

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ١١٥ ، ص ٢١٦ .

(٩) ينظر: المعتزلي ٣/٨ وعنده ٢٥٥/١ والخوئي ١٥٨/٨ والشيرازي ٢٥٤/٢ .

(١٠) ينظر: الرواندي ١٦٣/١ والمعتزلي ١٤/١ والبحراني ٢٩٤/١ والتستري ٥٢٠/٥ وأبو الفضل ٥٠/١ .

(١١) ينظر: الرواندي ١٦/٢ والمعتزلي ٢٦٦/٧ والشيرازي ٢٦/٢ وأنصاريان ٨٥/١ .

(١٢) نهج البلاغة : الخطبة ٢٣٢ ص: ٤٤٨ .

(١٣) ينظر: الرواندي ٤١٢/٢ والمعتزلي ٩/١٣ والخوئي ١٠/١٥ .

(١٤) ديوانه ١٧

النسب يقرب المنسوب نحو الاسمية ويفيد التلازم وعدم الانفكاك ، فلا يتصور انفكاك المنسوب عن قومه ووطنه ومذهبه ومدينته وحرفته وقبيلته ، ولو قيل : فلان تامر أو تمار فتلك حرفة يمكن الانفكاك عنها إلى غيرها ولكن صاحبها يقوم بها على الاتصاف بها أو المبالغة في الدوام عليها .

٣- فاعل مصدرا.

جوز الصرفيون نيابة اسم الفاعل عن المصدر، نحو قم قائما ، أي: قياما ، كما ينوب المصدر مقام اسم الفاعل نحو: رجل عدل وصوم ، أي: عادل وصائم . وبهذا فسروا طائفة من ألفاظ القرآن الكريم جاءت على فاعلة نحو قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَوْعَهَا كَانِبَةٌ ﴾^(١) ، أي : كذب . وقوله تعالى : ﴿ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴾^(٢) ، أي : بقاء . ثم كذرت أمثلتهم من كلام العرب كقولهم : عافاه الله عافية ، أي: معافاة ، وقائلة بمعنى: القبلولة^(٣) . وقرار الصرفيين دلالة (فاعلة) على المصدر في مثل هذه الأمثلة لم يأت لديهم على وجه الوجوب واللزوم ، وإنما هو جائز أن يقال به وجائز أن يعدل عنه إلى وجوه أخرى ذكروها في تلمس دلالة مثل هذه الألفاظ وهي^(٤):

١ - إن هذه الألفاظ محمولة على حذف موصوف مؤنث والهاء فيها للتأنيث فتكون هي من نوع اسم الفاعل المتصف بالفعل لا القائم به ، إذ جوز الزمخشري في قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَوْعَهَا كَانِبَةٌ ﴾ أن يكون التقدير: نفس كاذبة ، وكذا : ﴿ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴾ بمعنى: نفس باقية^(٥) .

٢ - إنها محمولة على حذف موصوف مذكر والهاء فيها للاسمية لا للتأنيث والتقدير: شيء باقية وشيء كاذبة . ووقف الشراح على جملة من الألفاظ التي وردت في متن النهج وهي على (فاعلة) فتفاوتت اقوالهم فيها بين قائل بدلالاتها على المصدرية ومجوز بقاءها على اسم الفاعل الذي حذف موصوفه المؤنث قبله . وقد تمسك معظم الشراح بهذين الوجهين في توجيه قوله (٦) في ذكر الملاحم: (وَعَظُمَتِ الطَّاعِيَةُ وَوَلَّتِ الدَّاعِيَةُ)^(٦) ، إذ قال المعتزلي : « عظمت الطاغية اي الطغيان فاعلة بمعنى المصدر ويجوز ان تكون الطاغية ها هنا صفة (فاعل) محذوف ، اي : عظمت الفئة الطاغية ، وقلت الداعية مثله ، اي : الفرقة الداعية »^(٧) . وأيد فريق من الشراح المعتزلي في قوله هذا فنقلوا لفظه^(٨) او معناه^(٩) . ولم يرض بعضهم أن يكون (الطاغية والداعية) بمعنى المصدر فوجه اللفظين على حذف

(١) الواقعة ٢ وينظر: الكشاف ٥١/٤ والبحر المحيط ٧٦/١٠ .

(٢) الحاقه ٨ وينظر: الكشاف ١٥٠/٤ وتبيين العكبري ٢٠٢/٢ والبحر المحيط ٢٥٥/١٠ .

(٣) ينظر: دقائق التصريف ٥٨ وشرح الأشموني ٣٥١/٢ وحاشية الصبان ٣٠٩/٢ - ٣١٠ والمفصل ١١٣

وليس في كلام العرب ٤٢ وشرح المفصل ٥٠/٦ وشرح الشافية ١٧٥/١ وشرح المراح ٣٧ .

(٤) ينظر : شرح الكافية ١٧٥/١ - ١٧٦ . (٥) ينظر: الكشاف ٥١/٤ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٨ ص: ١٩٨ (٧) المعتزلي ١٩٢/٧ .

(٨) ينظر : الخوئي ٣٠٢/٧ وابو الفضل ٢٤٥/١ وانصاريان ٣٧٧/١ والموسوي ٢١٣/٢ .

(٩) ينظر : الشيرازي ١٧٢/٢ والتستري ١٧١/٦ .

موصوف مؤنث تقديره : (فرقة) أو (فئة) ، فمعنى « عظمت الطاغية ، أي: الفئة الطاغية التي تجاوزت الحد والمقدار . وقلت الراعية ، أي: رعاة الدين وأهله الذين يحمون حوزته اي: الفرقة الراعية »^(١) . ولما كان الموصوف المحذوف مؤنثا يدل ضمنا على الجمع فسّر فريق منهم^(٢) لطاغية بالطُّغاة والداعية بالدُّعاة . ومعنى الجمع مفهوم من تقدير الموصوف المحذوف : (فئة ، فرقة) إذ يدل هذا ضمنا على جماعة بشرية .

وقد كثرت توجيهات الشراح لطائفة من الفاظ النهج على هذا النحو مع تفاوت بينهم في حشد كل الوجوه المحتملة او الاكتفاء منها بوجه واحد . ويلحظ ميلهم في هذه الامثلة الى تفسير (فاعلة) بالدلالة على اسم الفاعل متى ما وجدوا الى ذلك سبيلا ، من ذلك انهم لما اوردوا قوله (٤) : « لَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِي الدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا إِذْ لَجَّ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ »^(٣) ف (خاصته) عند بعضهم (اسم فاعل) في معنى المصدر، أي : مع (خصوصيته) وفضله عند ربه^(٤) ، وعند آخر^(٥) على تقدير محذوف مؤنث هو: (منزلته الخاصة) ، وحمل فريق منهم^(٦) اللفظ على أصله في الدلالة على اسم الفاعل ، فيكون (خاصة الرجل) أهله المقربين منه . ورسخ الشراح المتأخرون دلالة (فاعلة) على المصدر على نحو جلي يظهر فيه التعميد والتمثيل معا كقول الخوئي : « عافاه الله : محا عنه الاسقام ، والعافية اسم منه وهي مصدر جاءت على (فاعلة) ، ومثله ناشئة الليل بمعنى نشوء الليل ، والخاتمة بمعنى الختم ، والعاقبة بمعنى العقب ، وليس لوقعتها كاذبة اي : كذب »^(٧) . وكذا قول الدكتور ابراهيم السامرائي : « القادحة على اسم الفاعل الذي ينصرف في استعماله الى المصدر كالعافية والعاقبة ونحو ذلك »^(٨) .

٣- فاعل وصفا لمؤنث .

ثمة صفات على (فاعل) خاصة بالإناث وردت في متن النهج بلا علامة تأنيث منها في قوله (٤) في ذم الخواج : « إِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ حَمَلْتُمْ لَمَّا أَنْتُمْ أُلْمِصْتُمْ... »^(٩) ، إذ « حذف تاء التأنيث في الحامل والحائض لعدم الاشتراك في هذين الوصفين بين الرجل والمرأة فلا احتياج للتاء الفارقة »^(١٠) . ويقال : « حضن الطائر ببيضه حضنا وحضانا بكسرهما ضمه تحت جناحه فهي حاضن لانه وصف مختص ، وحكي حاضنة على الأصل »^(١١) . و تلحق التاء فارقة بين معنيين مختصين بالاناث فيقال : (امراة طاهر) من الحيض ، وامراة طاهرة ، أي : نقيه من العيوب و(امراة حامل) من الحبل ، و حاملة على ظهرها^(١٢) .

(١) البحراني ١٠٥/٣ . (٢) ينظر : البيهقي ٥٢١ والروندي ٤٦٠/١ والكيدري

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٦٠ ص : ٢٨٤ . (٤) ينظر : عبده ٨٢/٢ .

(٥) ينظر : مغنية ٤٣٤/٢ . (٦) ينظر : البحراني ٢٨٧/٣ والشيرازي ٤٣٦/٣ والموسوي ١٦٥/٣ .

(٧) الخوئي ٣٤٤/٩ . (٨) السامرائي ٦٧ .

(٩) نهج البلاغة : الخطبة ١٧ ص : ١٠٩ . (١٠) البحراني ١٩٣/٢ .

(١١) الخوئي ٧٥/١٠ . (١٢) ينظر : الخوئي ١٩/٢ ، ٧٥/١٠ .

٤ - فاعلة وصفا لمذكر .

شاع في متن العربية زيادة التاء في بناء (فاعل) في غير معنى التأنيث كقولهم : فلان راوية وعارفة ، والاصل (الراوي والعارف) . وقد أشار القدماء^(١) إلى أن هذه التاء تفيد المبالغة في الإتيان بالفعل فكأن (فاعلة) بمعنى (فعال) أو (مفعال) وغيرهما من صيغ المبالغة . إذ «تأتي التاء للمبالغة في الوصف كراوية لكثير الرواية ، وأما أثوا المذكر لأنهم أرادوا أنه غاية في ذلك الوصف والغاية مؤنثة»^(٢) . وقد رسّخ شراح النهج إفادة التاء المقترنة باسم الفاعل معنى المبالغة في الوصف مع بقائه دالا على المذكر ، من ذلك ما جاء في رسالته (٤) إلى الأشر : (لَاوْتَحَقَّرْنَ لُطْفًا تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ ، فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَدْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ)^(٣) . إذ قال الراوندي : «إِنَّمَا قَالَ دَاعِيَةً بِالْهَاءِ لِلتَّأْكِيدِ كَمَا يُقَالُ : رَجُلٌ رَاوِيَةٌ لِلشَّعْرِ ، وَالصَّحِيحُ إِنَّهُ مِنْ قَوْلِهِمْ : دَاعِيَةُ اللَّبَنِ لَمَّا يَبْرُكُ فِي الضَّرْعِ لِيَدْعُوَ مَا بَعْدَهُ . وَفِي الْحَدِيثِ (دَعَّ دَاعِيِ اللَّبَنِ)^(٤)»^(٥) . أي إنه صحح حذف مضاف مؤنث هو (الناقاة الداعية) أو (الشاة الداعية) . ولما وقف الشيرازي على قوله (٤) في الملاحم : (وَعَظُمْتُ لَطِّ اِغِيَةٍ قَوْلَتِ الدَّاعِيَةِ)^(٦) ، قال شارحا الداعية : «التأنيث باعتبار النفس أو التاء للمبالغة»^(٧) أي أنه جوز أن يكون المضاف المؤنث محذوفا أو أن يكون اللفظ صفة لمذكر والتاء للمبالغة . ولما أورد البحراني قوله (٤) : (لَاوْكَرَاهِيَةَ الْغَيْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدَهَى النَّاسِ)^(٨) ، قال : «الدهاء ، يسمى صاحبه داهيا وداهية للمبالغة»^(٩) . ولما أورد البيهقي قوله (٤) يذم عمرو بن العاص : (عَجَبًا لِأَبْنِ النَّابِغَةِ يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً)^(١٠) ، قال : «النابغة في أسامي الرجال والهاء للمبالغة ، وفي أسامي النساء علامة التأنيث»^(١١) . وشايعة فريق من الشراح فجوز أن يكون المراد بآبِنِ النَّابِغَةِ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ ، وَرَجَحُوا كَوْنَهَا أُمَّهُ فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ : ابْنُ الْمَرْأَةِ النَّابِغَةِ فَحَذَفَ الْمَوْصُوفُ . وَالنَّبِغُ هُوَ الظُّهُورُ بَعْدَ الْخَفَاءِ وَالْمَرْأَةُ نَابِغَةٌ لَتَظَاهَرَهَا بِالْفَجْرِ وَاشْتَهَرَهَا بِهِ ، وَالرَّجُلُ نَابِغَةٌ إِذَا جَاءَ بِالشَّعْرِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ إِرْثٌ فِيهِ^(١٢) . ومنع آخرون أن يكون في الجملة حذف وحملوا التأنيث على المبالغة^(١٣) ، ومع تعدد هذه الوجوه يحسن القول : إن دلالة فاعل على القيام بالفعل مدركة في أمثلته كلها مذكرة كانت أم مؤنثة؟ ، وهذا لا يلغي إيماء قسم منها على دلالات فرعية تظهر من سياق الكلام .

(١) ينظر: الكامل ١٦٤/١ والفروق اللغوية ٦٩ وشرح المفصل ٩٨/٥ وشرح التصريح ٢٨٨/٢ .

(٢) شرح التصريح ٢٨٨/٢ وينظر: معاني الأبنية ١٢٠-١٢١ .

(٣) نهج البلاغة ر ٥٣ ص: ٥٥٢ .

(٤) مسند أحمد : رقم ١٦١٠٣ ، ١٦١٠٥ وسنن الدارمي : رقم ١٩١٣ .

(٥) الراوندي ١٨١/٣ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٨ ، ص ١٩٨ .

(٧) الشيرازي ١٧٢/٢ .

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ٢٠٠ ص: ٤٠١ .

(٩) البحراني ١٩١/٣ .

(١٠) نهج البلاغة : الخطبة ٨٤ ص: ١٣٦ .

(١١) البيهقي ١٦٤ .

(١٢) ينظر: الراوندي ٣٥٢/١ والكبيدي ٨١/١ والمعتزلي ٢٨١/٦ والبحراني ٢٧٠/٢ والخوئي ٧٣/٦ وأنصارين ٢٣٥/١

المطلب الرابع : معاني فُعل

توالت أمثلة فُعل في متن النهج فوزعها الشراح على دالتين هما :

١ - فُعل مصدرًا .

جوز فريق من علماء العربية مجيء المصادر على (فُعل) شرط أن تكون من فعل ثلاثي عينه صحيحة مفتوحة كدُخِلَ نُخولًا وخرَجَ خُروجًا . أو مكسورة كجهَشَ جُهوشًا وجزِعَ جزوعًا^(١) . وذهب فريق من الصرفيين الى أن (فُعل) مصدر يدل على العلاج^(٢) . ومن أمثله لدى الشراح ما في قوله (هـ) قبل موته : (إِنَّمَا كُنْتُ جَارًا جَاوِرُكُمْ بَدَنِي أَيَّامًا وَسَتَعْقُبُونَ مِنِّي جُنَّةً خَلَاءَ سَاكِنَةٍ بَعْدَ حِرَاكٍ وَصَامِتَةٍ بَعْدَ طُوقٍ لِيَعِظْكُمْ هُدًى وَخُفُوتٍ إِطْرَاقِي وَسُكُونٍ أَطْرَاقِي...)^(٣) . ويبدو أن المراد من العلاج هو الانتقال من حال إلى غيره ، إذ تكاد تجتمع أمثلة (فُعل) في المصادر على هذه الدلالة وهي جلية في قوله (هـ) المذكور آنفاً ، فالهدوء والخُفوت والسُكون لا تكون إلا بعد الحراك ، والنُطوق يكون بعد الصمت . ومن هنا يمكن التفريق بين (الفُعل) وغيره من المصادر ، فالفسق غير الفسوق ، والصد غير الصدود ، والجحد غير الجحود ؛ لأن الفُعل يستلزم الانتقال من حال إلى أخرى ، والمجرد ثابت لا منتقل ، وهذا واضح في قوله تعالى : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمَسْئِلَةِ وَأَلْتَمَأْ سَمْعَكَ بِالنَّاصِينَ ﴾^(٤) ، فورد (الصد) عن سبيل الله لأنه ثابت معلن من اليهود ، ولتأكيد الثبات وصفه بـ (كثيراً) على حين قال تعالى بشأن المنافقين : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَجْعَلُونَ صُدُورَهُمْ حُجُورًا لِّمَن يَخْتَرُونَ ﴾^(٥) ، فورد (الصدود) لأن المنافقين تتغير أحوالهم وتضطرب نفوسهم عند سماعهم ذكر الله . وقد رأى المنافقون عزم الصحابة على الإقبال على الإسلام عزمًا لا ينفع معه كيدهم وصددهم في غالب الأحيان ولذا ليس أمامهم إلا الصدود ، وهو تحنُّ الفرص والترقب ببعض المسلمين أملاً بردعهم عن دينهم ، ودأب المنافقين هذا متغير منهم طارئ على فعالهم فهم يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر . ولا يكتفى بما ذكره الدكتور فاضل السامرائي^(٦) من أن الفرق بين (الصد) و(الصدود) يفهم من تعدي الفعل ولزومه فجعل الصد مصدرًا للمتعدي والصدود مصدرًا لل لازم ، إذ ورد مصدر المتعدي على (فعل) ومصدر الل لازم على (فُعل) لأن الفُعل مصدر مطرد في الفعل الل لازم والمتعدي معاً ، فالمتعدي نحو : رَكِبْتُ رُكوبًا ، والل لازم نحو : هَدَأْتُ هُدوءًا .

(١) ينظر : الكتاب ٤/١ و٩ والتكملة ٥١٣ وشرح ابن عقيل ٦٨/٢ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٤٩ ص: ٢٦٠ وينظر: الراوندي ٧٧/٢ والكيدري ٦٤٨/١ والمعتزلي ١٢٣/٩ والبحراني ٢١٢/٣ والخوئي ١١٣/٩ والشيرازي ٣٥٧/٢

(٤) النساء ١٦٠ .

(٥) النساء ٦١ وينظر: الكشاف ٥٣٦/١ والبحر المحيط ٦٨٩/٣ .

(٦) ينظر: معاني الانبياء ٢٢ .

٢ - فُعل جمعًا .

يطرد (فُعول) جمعا في اسم ثلاثي نحو: (مَلِكٌ مُلُوكٌ) و (فَرَسٌ فُرُوسٌ) ، وفي (فَاعِلٌ) وصفا نحو: (سَاجِدٌ سُجُودٌ) و(هَاجِعٌ هُجُوعٌ)^(١) . وقد وردت عدة أمثلة منه في متن النهج ، كقوله (ي) في وصف جهنم : (... حَامِيَةٌ قُدُورُهَا فَطِيْعَةٌ أُمُورُهَا)^(٢) ، فُجِعَ القَدْرُ على قُدُورٍ والأمر على أُمُورٍ^(٣) . ومثل هذا : (الخُلُوف) جمع خالف بمعنى المتخالفين ، و(الصُّمُوت) جمع صامت ، والقُلُوبُ والرُّؤُوسُ والجُنُودُ وغير هذا كثير جدا^(٤) .

ونبه الدكتور فاضل السامرائي على أن اتفاق المصدر والجمع في البناء (فُعول) يفاد منه أن (فُعول) الجمع يدل على المعنى الحقيقي لا المجازي للفعل على حين لا تفيد الجموع الأخرى الدلالة على الفعل على نحو الحقيقة والواقع ، وبهذا فرق بين (القُعُود) و(القَاعِدِينَ) في القرآن الكريم وبين (السُّجُود) و (السُّجُد) ، وهما في القرآن أيضا^(٥) .

ومن هنا جوز بعض شراح النهج الأمرين في تفسير طائفة من الألفاظ جاءت على بناء (فُعول) ، نحو قوله (ي) يحمد الله تعالى : (لَا يُجِئُهُ البَطُونُ عَنِ الظُّهُورِ)^(٦) . قال المعتزلي : « هذه كلها مصادر يقال : بَطَنَ بَطُونًا أي خفى وظهر ظُهُورًا أي تجلَّى »^(٧) ، واستدرك التستري عليه قائلا : « يُحتمل أن يكون جمع الظهر والبطن ويكون المراد ان الخلائق اذا وردوا في بطون الأشياء تكون ظهورها عنهم مستورة »^(٨) .

(١) ينظر : الكتاب ٣/٥٧٣-٥٧٦ .

(٢) نهج البلاغة خ ١٩٠ ص:٣٥٤ .

(٣) ينظر: البيهقي ٣٥٣ والخوئي ٢٠٥/١١ ومغنية ٩٦/٣ والموسوي ٢٦٤/٣ .

(٤) ينظر: البحراني ١٤٦/٥ والسرخسي ٨٧/١ .

(٥) ينظر: معاني الابنية ١٥٣-١٥٤ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٥ ص:٣٨٩ .

(٧) المعتزلي ١٧٤/١٠ .

(٨) التستري ٤٢٩/١ .

المطلب الخامس : معاني فُعول

كثرت أمثلة فَعُول في متن النهج ففرّقها الشّراح على الدلالات الآتية :

١ - فَعُول اسم ذات لما يفعل به الشيء .

يجيء الفَعُول لما يفعل به الشيء ، كالْوَجور لما يُوجَر به وهو الدواء الذي يدخل في الفم ، والنَّقوع لما يُعَقُّ ليلًا ليشرب نهارًا ، وكذا الوَضوء لما يُتَوَضَّأُ به وهو الماء ، والسَّحور لما يُتَسَحَّرُ به ، والظُّور لما يفطر عليه ، وغير هذا كثير^(١) . ونّبه فريق من شراح النهج على ما ورد فيه من أمثلة على (فَعُول) دالّة على أسماء ذوات تُفَعَلُ بها الأشياء ، فهي كالألآت نحو : (الدّنوب) الذي ((هو الدلو المملآن ولا يقال لها وهي فارغة : ذنوب))^(٢) . والوقود الذي هو ما تُوقَدُ به النار وهو الحَطَب أو كلّ ما يُوقَدُ ويُحرق^(٣) .

٢ - فَعُول وصفا يفيد المبالغة .

أقر العلماء دلالة (فَعُول) على وصفٍ من دام منه الفعل^(٤) أو من كثُر منه الفعل^(٥) أو من كان قويا على الفعل^(٦) ، نحو : صَبور وشَكور ورؤوف وغفور وغير ذلك من الصّفات . وقد كثرت في متن النهج أمثلة (فَعُول) التي تفيد الدوام على الفعل سواء على جهة القيام به او على جهة وقوعه عليها . ومن ثمّ فسّر الشّراح تبعاً للصرفيين أمثلة (فَعُول) بالدلالة على الفاعل أو المفعول .

أ - فَعُول بمعنى فاعل: أطبق الصرفيون على أنّ أمثلة (فَعُول) تأتي بمعنى الفاعل ، كالصَّبور بمعنى الصابر والشَّكور بمعنى الشاكر وحينئذ يستوي فيها المذكر والمؤنث^(٧) ، وعلى الفراء خلّو (فَعُول) من تاء الإناث إذا كان وصفا لها بقوله : ((إِنَّمَا أُلْغِيَتْ مِنْ أَتْنَاهُ الْهَاءُ لِأَنَّهُ عُدِلَ مِنْ صَابِرٍ إِلَى صَبُورٍ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِعْلٌ يُبْنَى عَلَيْهِ فَتُرِكَ كَالْمَذْكَرِ))^(٨) .

(١) ينظر : شرح الشافية ١٦٢/١ والمخصص ١٢/٤ والكليات ١٦٣/٥ ومعاني الابنية ١١٤-١١٥ .

(٢) المعتزلي ٧٢/١٩ .

(٣) ينظر: التستري ١٥٥/٧ ومغنية ٣٢٣/٥ .

(٤) ينظر: ديوان الادب ٨٥/١ .

(٥) ينظر: الهمع ٩٧/٢ والكليات ١٦٢/٥ .

(٦) ينظر: الفروق اللغوية ١٥ .

(٧) ينظر : الكافية ١٦٦/٢ والهمع ٦٣/٦ .

(٨) المذكر والمؤنث ٦٣ .

ومن أمثلة ذلك في النهج (غرور) في قوله (ر) : (فإنّ الدُّنيا ... غُرورٌ حائلٌ)^(١) أي غائرة تغر الخلق بزخارفها ، أو ذات غُرور تفعل بهم ذلك^(٢) . وكذا قوله (ر) في وصف الدنيا : (ألا وهي المتصدّية العنُون والجامحة الحرون والمائنة

الْحَوُّونُ وَالْجَحُّودُ الْكُنُودُ وَالْعُنُودُ الصُّدُودُ وَالْحَيُودُ الْمَيُودُ^(٣) . ففيه جملة من صيغ المبالغة على فَعُول . فالعنون هي كثيرة العنن وهو الاعتراض ، والحرون هي شديدة الجراح التي يصعب ركوبها . والعنود الحيود: كثيرة الميل عن الجادة ، والصُّدود كثيرة الصّد والمنع ، والميود كثيرة الميد أي التمايل^(٤) ، وغير هذا كثير^(٥) .

ب- فَعُول بمعنى مفعول.

جَوَّز العلماء دلالة (فَعُول) على (المفعول)^(٦) ، وعلى هذا سار الشّراح ففسّروا العيش الغَفُول بأنه ((العيش الذي غفل عنه صاحبه))^(٧) ، والرَّبُور بمعنى المزبور^(٨) .

وجَوَّز فريق من الشّراح أن تدلّ أمثلة (فَعُول) على الفاعل أو المفعول معا بحسب التأويل كما في قوله (م) : **وَإِذَا مَدَّ عِبَادَ اللَّهِ أَنْ الْمُؤْمِنَ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمَسِّي إِلَّا وَنَفْسُهُ تُنُونٌ عِنْدَهُ**^(٩) ، إذ قال الراوندي : ((الظَّانَّ اسم فاعل والظَّانُّون بناء المبالغة فيه كالشُّكُور والشَّاكِر ويجوز أن يكون بمعنى المفعول ، أي : مظنونة عنده))^(١٠) . على حين اكتفى المعتزلي بوجه واحد هو المبالغة في الفاعل فقال : **(الظَّانُّون البئر التي لا يدرى أفيها ماء أم لا ؟ ، فالمؤمن لا يصبح ولا يمسي إلا وهو على حذر من نفسه معتقدا فيها التقصير في الطاعة غير قاطع على صلاحها وسلامة عاقبتها))**^(١١) فكأنه شبه النفس بالبئر فنعتها بالظنون من باب الاستعارة .

(١) نهج البلاغة خ ٨٣ ص: ١٢٢

(٢) ينظر : البحراني ٤٤٣/٢ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٩١ ص: ٣٥٧.

(٤) ينظر: الراوندي ٢٢٠/٢ والمعتزلي ١٢٢/٣ والبحراني ٢٣٣/٤ وعنده ٥٨/٢ والخوئي ٢١/١١ والتستري ١/٣٤٣ والسامرائي ٢٣٢ .

(٥) ينظر : الراوندي ١٦٤/٢ والكيدري ٨٢/٢ والمعتزلي ٨٢/١٨ والخوئي ٨٧/٧ ومغنية ١٩/٦ .

(٦) ينظر: شرح الشافية ١٦٢/١ ومعاني الأبنية ٦٩ .

(٧) المعتزلي ١٦٤/١١ .

(٨) ينظر : الراوندي ١٦٤/٢ والمعتزلي ٦٣/٩ ومغنية ٥٢٥/٢ .

(٩) نهج البلاغة : الخطبة ١٧٦ ص: ٣١٦.

(١٠) الراوندي ١٦٤/٢ والتستري ١٢٨/١٢ .

(١١) المعتزلي ١٤/١٠ .

ورأى الدكتور فاضل السامرائي أن (فَعُول) في المبالغة منقول من دلالاته على أسماء الذات ((فعندما نقول : هو صبور كان المعنى أنه صار كالمادة التي تستنفذ في الصبر وتُفنى فيه كالوقود الذي يستهلك في الانتقاد ويُفنى فيه ، وكالوضوء الذي يستنفذ في الوضوء ، وكذا حين نقول : (هو شكور) كأنه مادة معدة للشكر تستهلك فيه))^(١) .

ويمكن القول : إنَّ ما ذكره السامرائي صحيح من جانب واحد هو اتِّحاد دلالة البناء (فُعول) على المبالغة سواء كان دالا على أسماء الذات أم الادواء أم الصفات . ولكنَّه بعيد من جانب آخر حين ذهب إلى أنَّ الأصل دلالة البناء على أسماء الذات ثمَّ انتقل إلى الأدواء والصفّات . ولو قُلِّب الأمر فقال : إنَّ الأصل هو المبالغة في وصف الفاعل القائم بالفعل أو المتصّف به ، نحو: (صَبور) و (شَكور) و (رؤوف) و (غَفور) ثمَّ انتقل إلى أسماء الذات من غير العاقلين لكان أبين ؛ ذلك إنَّ (فُعول) إنَّ كَثُرَ من الأدميين كان مبالغة في القيام بالفعل وإنَّ كَثُرَ من غيرهم كان بمنزلة الاسم الذي يفعل به الشيء بلحاظ اختصاصه بالفعل فهو كالاسم من هذا الجانب ، فالوضوء لا يكون بغير الماء والوقود لا يكون بغير الحطب ، ومن هنا أُشربت هذه الصفات معنى الأسماء لما فيها من لزوم للفعل واختصاص به بفعل دلالتها الرئيسة على المبالغة .

(١) معاني الابنية ١١٥ .

المطلب السادس : معاني مَفْعَلٍ - مَفْعَلَةٌ

وقف الشراح على عدة من أمثلة (مَفْعَل) فأقروا لها الدلالات الآتية :

١ - مَفْعَلٌ مُصَدَّرًا مِيمِيًّا .

يصاغ المصدر الميمي ومعه اسما الزمان والمكان من الثلاثي بلحاظ حركة عينه في المضارع ، فاذا كانت عين (يفعل) مفتوحة او مضمومة فالمَفْعَلُ منه مفتوح العين ، واذا كانت عين (يفعل) مكسورة فانه مكسور العين^(١). وقد شاع في متن النهج مجيء الالفاظ على (مَفْعَلِ) ، (مَفْعَلَةٌ) بمعنى المصدر الميمي ، وصرح الشراح بهذه الكثرة فقال المعتزلي : « أمير المؤمنين عليه السلام كثير الاستعمال لمَفْعَلِ ومَفْعَلَةٌ بمعنى المصدر ، واذا تصفحت كلامه عرفت ذلك »^(٢) ، وقال البحراني : « أمير المؤمنين كثيرا ما يريد بمَفْعَلِ المصدر »^(٣) . وقد تبين أن أمثلة (مَفْعَلِ) زادت على مئة وعشرين لفظة في متن النهج على حين زادت أمثلة (مَفْعَلَةٌ) على تسعين لفظة ، ومعظم هذه الالفاظ وجهها الشراح بالدلالة على المصدر ، كالمَفْتَقِ واحد المفاتق في قوله (٤) يذكر النبي محمد (صلى الله عليه وآله) : (فَرَّقَ بِهِ الْمَفَاتِقَ)^(٤) ، إذ قال المعتزلي : « المفاتق جمع مفق وهو مصدر كالمضرب والمقتل »^(٥) ، والمَوْقِفِ في قوله (٤) يصف فرار معاوية من القتل في صفين : (فَمَا كَانَ إِلَّا كَمَوْقِفِ سَاعَةٍ حَتَّى نَجَا جَرِيضًا بَعْدَ مَا أُخِذَ بِغَدِّ بِالْمَخَنَّقِ)^(٦) ، إذ قال البحراني : « الموقف المصدر ، أي : فما كان ذلك القتال الا كوقوف ساعة »^(٧) ، وغير ذلك كثير^(٨) . ولم ينعث الشراح المتقدمون هذا الضرب من المصدر بـ(الميمي) على حين صرح الشراح المحذون بمصطلح (المصدر الميمي) ، نحو قول الشيرازي : « مجراها : مصدر ميمي ، بمعنى : إجرائها »^(٩) ، وقوله : (المشهُدُ والمغيب مصدران ميميَّان بمعنى الشهود والغيبة)^(١٠) .

٢ - مَفْعَلٌ لِلْمَكَانِ وَالزَّمَانِ .

لخص الخوئي قياسي صوغ (مَفْعَلِ) الدال على المكان والزمان وما شذَّ عن هذا القياس فقال : « يبنى اسما الزمان والمكان من الثلاثي الصحيح المجرد على وزن مَفْعَلِ بكسر العين إذا كانت عين مضارعه مكسورة ، وعلى مَفْعَلِ بفتح العين إذا كانت عين المضارع مضمومة أو مفتوحة إلا إحدى عشرة لفظة أنتت بكسر العين مع إن مضارعها

(١) ينظر : الكتاب ٤/٣٥ ، ٨٧ ، ٩٦ والمقتضب ١/٧٤ ، ٢/١٢٠ والأصول ٣/١٤١ والمفصل ١٣

وشرح الشافية ١/١٨١ وأبنية الصرف ٢٨٧ ومعاني الأبنية ٣٤ .

(٢) المعتزلي ١٣/١٥١ . (٣) البحراني ٤/٢٦٨-٢٦٩ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ٢١٣ ص:٤١٥ . (٥) المعتزلي ١٠/٦٤ .

(٦) نهج البلاغة ر ٣٦ ص:٥١٨ . (٧) البحراني ٥/٧٥ .

(٨) ينظر : المعتزلي ١٣/١٤٧ والبحراني ٥/١٤٦ وانصاريان ١/٢٦٩ .

(٩) الشيرازي ١/٢١١ . (١٠) نفسه ١/١٨٣ .

مضموم ... »^(١) . وقد تفاوتت الشراح في الاصطلاح للمكان ، فالغالب لديهم (الموضع)^(٢) ، وأقل منه (المكان)^(٣) ، والأقل (المحل)^(٤) . ومن أمثلة (مَفْعَلِ) الدال على المكان ما جاء في قوله (٤) يحمد الله عزوجل : (يَعْلَمُ مَسْقَطَ الْقَطْرَةِ

وَمَقَرَّهَا وَمَسَحَبَ النَّرَّةَ وَمَجَّرَهَا^(٥) ، فالمسقط والمقرّ والمسحب والمجرّ مكان السقوط والاستقرار والسحب والجر^(٦) . ومنها (الْمَجَّر) في قوله (ي) يذكر فضيلة الحجّ : (يَجْرُزُونَ الْأَرْيَاحَ فِي مَجَرِّ عِبَادَتِهِ)^(٧) ، فالْمَجَّر موضع التجارة^(٨) . وقد جوز الشّراح في ما يربو على ستين مثالا من أمثلة (مفعّل) أن تكون دالة على المصدر والمكان معا لأنّ السياق يبيح هذا التجوز ، من ذلك ما ورد في قوله (ي) يصف خلق الرياح : (ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحًا أَعْتَقَمَ مَهَبَهَا وَأَدَامَ مَرِيَهَا وَأَعْصَفَ مَجْرَاهَا وَأَبْعَدَ مَنْشَأَهَا)^(٩) ، فالمهَبُّ أمّا مصدر بمعنى الهبوب أو اسم مكان ، والمرَبُّ أمّا بمعنى الإرياب فهو مصدر أو الموضع الذي لزمته الريح وأقامت به فهو محل إريابها . وكذا المجرى والمنشأ يحتملان المصدر والمكان^(١٠) . وغير ذلك كثير^(١١) .

وهذا الذي جوزّه الشّراح في توجيه دلالة (مفعّل) بين المصدر والمكان يوميئ إلى أنهم غير مطمئنين إلى دلالة واحدة فيها ، فبادروا إلى ذكر الوجه الآخر زيادة في الاطمئنان ، وهذا الأمر مقبول في حال جمعهم الداليتين معا للفظّة الواحدة لا إيرادهما على سبيل الاحتمال ، ويكون أكثر قبولا لو جمعا مع دلالة أمثلة (مفعّل) على المصدر والمكان دلالتها على الزمان ، فقولهم المذكور أنفا تفيد ألفاظه الأربع : (مريها ومهبها ومنشأها ومجراها) الدلالة على الحدث المقرون بمكانه وزمانه ، وهذا هو الفرق بين المصدر الصريح والمصدر الميمي ، وهذا هو مفهوم أمثلة (مفعّل) كلّها في حال إطلاقها فإذا قيّدت في السياق بقرائن المكان وحده أو الزمان وحده انصرفت عن هذا الإطلاق نحو التخصص .

(١) الخوئي ٣١٠/١٨ .

(٢) ينظر : الراونديّ ٣٨٨/٢ والمعتزليّ ٢٩٨/٧ والبحراني ٨٩/٥ والسرخسي ٢١٥/١ والخوئي ٧١/٧ و السامرائي ٩٣ .

(٣) ينظر : المعتزليّ ٢٨/٧ ومغنية ١٦/٤ وانصاريان ٣٥/١ .

(٤) ينظر : البحراني ٢٨٢/٥ .

(٥) نهج البلاغة خ ١٨٢ ص: ٣٢٩

(٦) ينظر : مغنية ١٦/٤ .

(٧) نهج البلاغة خ ١ ص ٢٥ .

(٨) ينظر : السامرائي ٩٣ . (٩) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص: ١٩ .

(١٠) ينظر : الراونديّ ٣٨٨/٢ والمعتزليّ ٢٤٨/٦ ، ٢٨٨/١٦ ، ٢٨٥/١٩ والبحراني ١٨٠/١ والسرخسي ٢١٥/١ ، ١٥٩/٣ ،

والخوئي ٧١/٧ ومغنية ١٦٦/٤ وانصاريان ٣٥/١ .

(١١) ينظر : الراونديّ ٣٥٧/١ والكيدريّ ١٣/١ والمعتزليّ ١١٥/٧ والبحراني ٢٧٩/١ ، ٢٢٤/٤ والخوئي ٨٧/٧ ومغنية ١٧٦/٤

والتستريّ ١٧٦/١ وانصاريان ١٣، ١/٢ ، ٣٤٥/١٣ .

وجاء لدى البحراني بعض الالتماعات التي تُفصح عن حوز (مفعّل) على الدلالات الثلاث حيازة اجتماع لا حيازة احتمال ، من ذلك تفسيره : (أبعد منشأها) في الخطبة المذكورة سابقا بقوله : ((الْمَشَأُ مَحَلُّ الشُّؤْءِ وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي

أنشأها منه فلا يفهم منه الارتفاع ، اللهم إلا على تقدير استعماله لموضع الإنشاء استعمال المصدر ، اي : بلغ بإنشائها غاية بعيدة . والأقرب أنه يشير الى أنها نشأت من مبدأ بعيد ، ولا يمكن الوقوف على أدلة قدرة الحق سبحانه ووجوده «^(١) ، ففي هذا النص المح البحراني الى دلالة (منشأها) على المكان والزمان والمصدر كي يفهم معناها الدقيق . ولم أقف على مثال واحد لها لدى الشراح ورد فيه (مفعول) دالا على الزمان وحده .

وأما صياغة هذه الأسماء من غير الثلاثي فقد ألمح الشراح تبعا للقدماء^(٢) إلى أن أمثلة اسمي الزمان والمكان والمصدر الميمي تصاغ من غير الثلاثي كما يصاغ اسم المفعول . من ذلك تفسيرهم المعسكر بفتح الكاف بأنه موضع العسكر ولا يجوز كسر كافه إن أريد به الموضع^(٣) . وفرق الراوندي بين كسرعين (مفعول) وفتحها من المفعول الواحد ، « فالتنسك بكسر العين هو الموضع الذي تذبح فيه الذبائح ، وبالفتح مصدر بمعنى التنسك ، وقرئ بهما قوله تعالى : ﴿ **وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَنَّةٌ مِّنْكَ** ﴾^(٤) »^(٥) .

وكثيرا ما تزداد التاء في آخر (مفعول) ليؤول البناء إلى (مفعلة) بفتح الميم والعين^(٦) ، وقد تلمس الشراح لأمثلتها عدة مداليل ، أشهرها إن التاء تخلص الأمثلة للدلالة على المكان دون الزمان والمصدر . وقد صرح معظم الشراح بهذه الدلالة سواء كانت الالفاظ محسوسة ام معنوية كما في قوله (ي) : (مَجَالِسَةُ أَهْلِ الْهَوِّ مَنْسَاةٌ لِلْإِيمَانِ وَمَحْضَقٌ لِلشَّيْطَانِ)^(٧) ، إذ فسّر الشراح المنساة بالموضع الذي يُنسى فيه الإيمان ، والمحضرة بالموضع الذي يحضر فيه الشيطان^(٨) . وذكروا - أيضا - المسبعة : موضع للسباع ، والمفعاة : موضع الأفاعي ، والمهواة : موضع السقوط ، والمضلة : موضع الضلال ، والمزلة : مكان الزلل ، والمظلة : موضع الظن ، والمتاهة : محلّ التيه ، والمتابة : مكان يثوب الناس اليه اي يرجعون اليه ، والمرعاة : بقعة تُرعى ، والمأسدة : مكان الأسد ، والمحيية موضع الحياة^(٩) .

(١) البحراني ١٨١/١ .

(٢) ينظر : الكتاب ٣٥/٤ ، ٨٧ ، ٩٦ ، والمقتضب ٧٤/١ ، ١٢٠/٢ ، والأصول ١٤١/٣ والمفصل ١٣ وشرح الشافية ١٨١/١

(٣) ينظر : المعتزلي ٢٩٨/٧ والبحراني ٣٣١/٤ .

(٤) الحج ٣٤ وينظر : الكشاف ١٤٥/٣ والبحر المحيط ٥٠٨/٧ .

(٥) الراوندي ٣٨٨/٢ وينظر : المعتزلي ٢٤٢/١ والبحراني ١٤٤/٢ .

(٦) ينظر : الكتاب ٩٤/٤ والمفصل ٢٣٩ والمخصص ١٩٨/١٤ وشرح المفصل ١١٠/٦ وشرح الشافية ١٨٨/١ .

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ٨٦ ص : ١٤٠ .

(٨) ينظر : المعتزلي ٣٥٦/٦ والبحراني ٢٩٤/١ وابو الفضل ٧١/١ .

(٩) ينظر : المعتزلي ٣٦٥/٦ والسرخسي ٥٢/١ وعبد ١٩٠/١ ، ١٩٣/٢ ، ٧٦/٣ ومغنية ٤٩٢/٣ .

وجوز بعضهم دلالة (مفعلة) على المكان والمصدر معا ، كالمرضاة بمعنى الرضا أو محلّ الرضوان^(١) . والمنجاة بمعنى النجاة ، و محلّ النجاة^(٢) . وقلّما أخلص الشراح أمثلة (مفعلة) للمصدر ، كالمحبة إذ هي مصدر بمعنى المفعول

كالخلق والضرب^(٣). وفهم بعضهم من وجود التاء في آخر (مفعلة) إفادتها معنى الجمع فضلا عن المكان ، كالمسْلحة بمعنى القوم المسلّحون أو المكان الذي يربطون فيه^(٤) . وفَسَّر الخوئي طائفة من هذه الأمثلة بإفادتها معنى تكثير الشيء في المكان ، إذ قال في توجيه معنى (المنساة والمحضرة) : « محلّ النسيان والحضور والتاء فيهما للتكثير كما يقال : أرض مسبعة أي كثُرَتْ فيها السباع »^(٥) ، وهذه هي الدلالة الرئيسة التي خلص اليها الصرفيون في أمثلة (مفعلة)^(٦) . وثمة دلالة أخرى فهمت من بعض الأمثلة لاسيما من الالفاظ المعنوية كقول الرسول (صلّى الله عليه وآله) : (**إِنَّ الْوَلَدَ مَبْخَلَةٌ مَجَبَّةٌ مَحْزَنَةٌ**)^(٧) ، والمعنى هو سبب للجبين والبخل والحزن^(٨) ، وهذه الدلالة تنبّه عليها المعتزليّ في (منساة للإيمان) إذ هي بمعنى « دأعية إلى نسيان الإيمان وإهماله »^(٩) .

-
- (١) ينظر: البحراني ٢٧٩/١ وأنصارين ١٣/٢
 - (٢) ينظر المعتزليّ ١١٥/٧ والخوئي ٨٧/٧ والتستريّ ١٧٦/١ وأنصارين ٣٤٥/١ .
 - (٣) ينظر: الرواندي ٣٥٧/١ والكيدريّ ١٣/١
 - (٤) ينظر: البحراني ٢٢٤/٤ ومغنية ١٧٦/٤
 - (٥) الخوئي ١٢٥/٦ .
 - (٦) ينظر: حاشية الصبان ٣١٢/٢ ومعاني الأبنية ٣٩
 - (٧) مسند أحمد ١٦٩٠٤ وسنن ابن ماجه ٣٦٥٦ .
 - (٨) ينظر: شرح الشافية ١٦٢/١ ومعاني الابنية ٣٩ .
 - (٩) المعتزليّ ٣٥٦/٦ .

المطلب السابع : معاني فعّال - فعّالة .

توّلت امثلة البناء فعّال في متن النهج فوزعها الشّراح على دالتين :

١ - فَعَال اسم مصدر.

وهو كثير أراء التفعيل نحو : جهزَّ جهازا والمصدر التجهيز، و تزوجوا والمصدر التزويج ، وطلق طلاقا والمصدر التطلق ، وزكى زكاة والمصدر التزكية وغير هذا كثير^(١) . وفي النهج طائفة من هذه الأمثلة منها (البلاغ) اسم مصدر من بلغ الذي مصدره التبليغ^(٢) . وقد يأتي (الفعال) اسم مصدر من غير باب التفعيل نحو : (الكفاف) وهو ما يكفيك اي يمنعك عن سؤال غيرك ، وهو مقدار القوت والفعل (كف) مصدره المقيس كفاف بالكسر لأنه يدل على امتناع^(٣) . والقرار) اسم بمعنى الاستقرار^(٤) .

٢ - فَعَال اسم جمع .

وهو شائع في العربية على (فعال) الذي مؤنثه (فعالة) نحو : الحمام و اليمام والغمام وغير ذلك . ومن أمثلته في النهج (السحاب) إذ هو « بمعنى السُّحب وهو اسم جمع كقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا نَقَالًا سَقَّاهُ لِطَبَدٍ مِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ ﴾^(٥) »^(٦) .

وثمة دلالات أخرى لأمثلة فَعَال أوردها الشراح ، منها دلالة فَعَال على أسماء الأفعال أو أسماء المصادر أو أعلام الأجناس كما في قوله (م) : (تَقُولُونَ فِي الْمَجَلِّسِ : كَيْتَ وَكَيْتَ ، فَإِذَا جَاءَ الْقَالُ قُلْتُمْ : حَيْدِي حَيْدِي)^(٧) . فقد نقل الشراح عن الجوهرى^(٨) قول العرب : حَيْدِي حَيْدِي وَفِيحِي فَيَاحٍ وَهُمَا اسْمَانِ لِلْغَارَةِ ، وَاسْتَدْرَكَ الْبَحْرَانِي عَلَى الْجَوْهَرِيِّ أَنْ تَكُونَ حَيْدَا وَفِيَا حٍ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَفْعَالِ كَنْزَالٍ فَيَكُونُ قَدْ أَمَرَ بِالنَّتْحِي مَرَّتَيْنِ بِلَفْظَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ^(٩) .

(١) ينظر: الكتاب ٢٦/٤ وشرح الشافية ١٦٣/١ .

(٢) ينظر : الراوندي ٢٦٠/١ والكيدري ٢٩٣/١ والمعتزلي ١٩٩/١ والبحراني ١٢٧/١ .

(٣) ينظر : عبده ١٩/١ والسامرائي ٨٧ .

(٤) ينظر: المعتزلي ٤/١١ والبحراني ٤٧٤/٤ والسرخسي ٨٣/١ وعبده ١٥٢/١ وأنصاريان ١٨٦/١ .

(٥) الأعراف ٥٧ وينظر: الكشاف ٨٤/٢ والبحر المحيط ٧٧/٥ .

(٦) السامرائي ٨٢ .

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ٢٩ ، ص ٦٧ .

(٨) ينظر: الصحاح ٢٧٦ ، ٨٢٦ .

(٩) ينظر: البحراني ٥٠/٢-٥١ وأنصاريان ١٣٤/١ .

وأما البناء (فعالة) فورد له في متن النهج عدة أمثلة . تلمس لها الشراح أربع دلالات هي:

١ - فعالة مصدرا.

وهو في قوله (م) من كتاب لصاحبه الحارث الهمذاني : (أَحْذَرُ صَحَابَةَ مَنْ يَفِيلُ رَأْيَهُ)^(١) ، فالصَّحَابَةُ (مصدر صَحِبْتُ)^(٢) ، وكذا الكَهَانَةُ مصدر (كهن) بالضم أي صار كاهنا ، والبراءة مصدر كالتبرؤ ، والخصاصة مصدر (خصَّ الرجل)^(٣) . ويبدو أن بناء (فَعَالَة) سماعي في المصادر ، وعلى الرغم من ذلك حصر سيبويه بعض الأمثلة المقيسة على (فَعَالَة) لأنها تجتمع في الدلالة على الحسن والقبح نحو: الطَّافَةُ وَالْوَسَامَةُ وَالْوَسَاخَةُ وَالْبِشَاعَةُ ، وعدَّ ما كُسِرَتْ فاؤه كالولاية والإمارة أسماء لا مصادر ، فالولاية اسم لما توليته ، والإمارة اسم لما أمرت عليه^(٤) .

٢ - فَعَالَة اسما لما بقي من الشيء .

ومثاله ما في قوله (م) : (أَلَا حُرٌّ يَعْ هَذِهِ اللَّمَّازَةَ لِأَهْلِهَا)^(٥) ، فاللَّمَازَةُ بالفتح هي «ما تبقى في الفم من الطَّعام»^(٦) والأصل في ما بقي من الأشياء أن يأتي على (فَعَالَة) على وفق ما سيأتي .

٣ - فَعَالَة اسما للمكان .

نحو: (قَرَارَةُ النُّطْفَةِ) ، اي: مكان استقرارها ، و(غَيَابَةُ الجَبِّ) ، اي : قعر البئر ، وهو المكان الذي يَغِيَّبُ مَنْ فِيهِ^(٧) .

٤ - فَعَالَة جمعا .

وهي الدلالة التي جوزها المعتزلي في (صَحَابَة) المذكورة في دلالة فَعَالَة على المصادر ، فجوز أن يكون صَحَابَة جمع صاحب ، يقال: (صحابَة الرسول) ، أي : أصحابه^(٨) .

(١) نهج البلاغة ر ٦٩ ص: ٥٨٨ .

(٢) ينظر: المعتزلي ٤٨/١٨ والسرخسي ١٠٣/١ .

(٣) ينظر: البحراني ١٧٦/٤ وعبد ٧٧/١ والخوئي ٩٥/٨ وانصاريان ٢١٢/١ .

(٤) ينظر: الكتاب ٢٨/٤-٢٩ والأصول ٩٣/٣ وارتشاف الضرب ٢٢٢/١ .

(٥) نهج البلاغة ح ٤٥٦ ص: ٦٩٢ .

(٦) المعتزلي ١٧٣/٢٠ .

(٧) ينظر: المعتزلي ٢٦/٧ والبحراني ٤٠٠/٢ وعبد ٢٢٦/١ .

(٨) ينظر: المعتزلي ٤٨/١٨ .

المطلب الثامن : معاني فعال - فعالة .

كثرت أمثلة فعال في متن النهج ففرقها الشراح على عدة دلالات أهمها :

١ - فعال آلة .

ومن أمثلتها في النهج ما في قوله (هـ) : (الآن عباد الله والخناق مُهمل) ...^(١) ، فالخناق بالكسر حبل يُخنقُ به وهو من الأدوات^(٢) . ومنها أيضا : « القياد : وهو ما تُقاد به الدابة »^(٣) ، و « السقاء : وعاء اللبن والماء أيضا »^(٤) . وقد تمنى الدكتور ابراهيم السامرائي لو أنه ألف كتابا في أمثلة (فعال) لكثرة أمثلته الدالة على الآلة مع غفلة الآخرين عن هذه الدلالة ، قال : « وقد يصير لي أن أجمع من هذا طائفة تؤلف رسالة لطيفة ، ومن العجيب أن أهل المصطلح الحديث لم يفطنوا لهذا »^(٥) . وفي هذا إشارة الى إن القدماء وثقوا دلالة (فعال) على الاشتغال والإحاطة بالشئ فكأنه آلة لذلك نحو : الرباط والخمار والحزام والنطاق وغير ذلك^(٦) .

٢ - فعال جمعا .

ويطرّد في مفردات كثيرة الأوزان^(٧) ، وورد في النهج منه عدة أمثلة منها: (الحجال) جمع حجل^(٨) ، و(العجال) جمع عَجول^(٩) ، والبكار جمع بكر ، والفجاج جمع فجج^(١٠) ، والحشاش جمع حاشّ كيام جمع نائم^(١١) . وغير هذا كثير .

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ ص:١٣٥ .

(٢) ينظر: السامرائي ١٣٩ .

(٣) عبده ٦٠/٣ .

(٤) البحراني ١٧٢/١ .

(٥) السامرائي ١٣٩ وينظر : ١٩٦ .

(٦) ينظر: الفروق اللغوية ٧٣ .

(٧) ينظر : جموع التصحيح والتكسير ٥٢ .

(٨) ينظر: المعتزلي ٧٩/٢ .

(٩) ينظر: المعتزلي ٣٣٤/٣ .

(١٠) ينظر: نفسه ١٠٢/٦ و ٦٤/٧ .

(١١) ينظر: البحراني ١١٩/٣ .

٣ - فعال مصدرا .

شاع في العربية فعال مصدرا للثلاثي أو الرباعي المزيد بألف ثانية دالا على عدة معان هي :

أ - **أفعال مصدرا للثلاثي دالا على بعد وفراق** . « نحو الفرار والشرد والشَّماس والقَار والطَّاح ، هذا كلُّه مباحةٌ ... وقد قالوا : خلاء لأن هذا فرقٌ وتباعُدٌ »^(١) . وقد سَمِيَ المحدثون هذه الدلالة (امتناع) تارة ، و(إباء) تارة اخرى ، و(رفض) تارة ثالثة^(٢) ، واصطلاح سيويوه المذكور أنفاً أبين وأشمل .
ومن أمثلتها في النهج (الشَّماس) في قوله (ي) في الشَّقَشَقِيَّة : (فَمَنِي النَّاسُ بِخَبْطِ وَشَمَاسِ)^(٣) ، فالشَّماس هو الامتناع والنَّفَار^(٤) ، هو « مصدر شمس الفرس إذا منع ظهره »^(٥) .

ب - **أفعال مصدرا للثلاثي دالا على انتهاء زمن الفعل** . إذ « جاؤوا بالمصادر حين أرادوا انتهاء الزمان على مثال فِعال وذلك الصَّرَام والجِزَاز والجِدَاد والقِطَاع والحِصَاد... »^(٦) . ومن أمثلته في النهج (السِّيَاق) في قوله (ي) يصف الدنيا : (أَهْلُهَا عَلَى سَاقٍ وَسِيَّاقٍ وَلِحَاقٍ وَفِرَاقٍ)^(٧) ، فالسِّيَاق بمعنى نزع الروح وانتهاء الحياة ، يقال : « رأيت فلاناً يسوق ، أي : ينزع عند الموت »^(٨) . ويبدو أن هذه الدلالة تؤول إلى البعد والفراق فيكون الفِعال جامعا للفراق والبعد سواء في الجمادات أو الأحياء .

ج - **فعال مصدرا للرباعي (فاعل) دالا على المشاركة** . ومن أمثلته : الحِوَار والتَّقَاش والسَّبَاق والخِلاف والجِدَال والحِجَاج والشَّقَاق^(٩) . ويبدو أن معنى المشاركة في مثل هذه المصادر يفضي في النهاية إلى التباعد والبيئونة بينهما وذلك مستحصل من غلبة أحد الطرفين صاحبه في أمثلة الفِعال ، فيبين الغالب بينهما عن المغلوب .

د - **(فِعال) اسم مصدر** . وقد خُصَّ ذوو الصَّنعة إلى أن اسم المصدر هو « ما ساوى المصدر في الدلالة على معناه وخالفه بخلوه - لفظا او تقديرا - من بعض ما في فعله دون تعويض كعطاء فإنه مساوٍ لإعطاء معنى ومخالف له بخلوه من الهمزة الموجودة في فعله وهو خالٍ منها لفظا و تقديرا ولم يعوِّض عنها بشيء »^(١٠) ، ومن أمثلة اسم المصدر التي صرَّح بها الشَّراح (القوام) في قوله (ي) من رسالة الى الأشتري يذكر فيها القضاة والعَمال والكتَّاب : (لَاؤِ قَوَامٍ لَهُمْ جَمِيعًا إِلَّا بِالتَّجَارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ ...) ^(١١) ، فالقَوَام هو « ما يُقيم من الحاجات والوسائل وكأنه اسم

(١) الكتاب ١٢/٤-١٣ وينظر : الاصول ٩٠/٣ . (٢) ينظر : شذا العرف ٧٠ والمهذب ٢٣٧

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٣ ص: ٢٩-٣٠ . (٤) ينظر : الموسوي ٧٥/١ .

(٥) المعتزلي ٢٩/١٩ . (٦) الكتاب ٢/٤ وينظر : الاصول ٩٠/٣

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ١٩١ ص: ٣٥٨

(٨) المعتزلي ١٣/١٢٣-١٢٤ وينظر : البحراني ٣٣٤/٢ وأنصاريان ٢٥/١ وعبد ١٥٩/٢ .

(٩) ينظر : المعتزلي ٧٢/١٠ والبحراني ٣٧٨/٣ والخوئي ١٧٩/١٠ والتستري ٥٦٨/١٠ وأنصاريان ١٨٤/٢ .

(١٠) شرح ابن عقيل ٩٨/٢ وأوضح المسالك ١٦١/٣ وشرح التصريح ٦١/٢ .

(١١) نهج البلاغة : الرسالة ٥٣ ، ص ٥٥١ .

من (فعال) وقد يكون لنا أن نعته مصدرًا كالقيام أي أنهم لا يقومون إلا بالتَّجَار والاسم أولى كما نقول : إن الماء قوام الحياة^(١) . وإنما كان القوام اسم مصدر لأنه بمعنى المصدر: (الإقامة) ومخالف له في بعض الحروف ، وكذا (الوقار) اسم من التوقير^(٢) ، و(الفراء) اسم من الافتراء^(٣) ، وجماع المسلمين: إجماعهم^(٤) .

هـ - فَعَالٌ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ . ومن أمثلة الشواح لهذه الدلالة (الإله) بمعنى المألوه ، أي : المعبود لأنه مشتقٌّ من لَهَّ يَلْهُهُ إِلهٌ مَثَلُ عَبْدٍ يَعْبُدُ عِبَادَةً وَزَنَا وَمَعْنَى^(٥) . وكذا البناء بمعنى المبني^(٦) ، والكتاب بمعنى المكتوب والإمام بمعنى المأموم^(٧) . ويبدو أن دلالة فَعَالٍ على المفعول تدخل في باب الاشتمال والإحاطة الذي سبق ذكره في الآلات والأدوات وغيرها^(٨) .

وفرق فريق منهم بين (المهد) و(المهاد) في قوله تعالى: ﴿ أُمُّ نَجْفٍ الْأَرْضِ مِهَادًا ﴾^(٩) ، وقوله تعالى: ﴿ جَنِّي لَكُمْ الْأَرْضِ مَهًا ﴾^(١٠) ، تقريبًا مستنبطًا من شيوع دلالة (فعال) على الإحاطة والاشتمال فرأى أن الأرض مهاد لأنها يسهل على العباد أن يتصرفوا فيها بالقعود والقيام والزراعة وسائر جهات المنفعة . وسميت (مهدا) تشبيها بمهد الصبي في كونه محلَّ الراحة والنوم . وفي هذا معنى الاشتمال والإحاطة أيضا لكنه في (المهاد) أبين وأوسع لكثرة جهات التصرف^(١١) . وبالاعتماد على هذا الملمح الدلالي يمكن القول : إن أمثلة (فعال) أنى وردت تفيد الدلالة على الاشتمال والإحاطة أو الانتشار في الحيز المكاني خاصة . ومن هنا فرقوا أيضا بين أمثلة (فعال) وغيرها من الأمثلة التي انفقت معها في الاشتقاق وخالفتها في البناء ، كالريش والرياش فهما بمعنى اللباس الفاخر^(١٢) ، والفرق بينهما هو أن الريش للطائر ، والرياش للبشر من قبيل التشبيه بالطائر . وكذا الفرق بين اللبس واللباس ، فاللبس إحاطة بعض أجزاء الجسد بما يلبس ، على حين يكون اللباس أكثر إحاطة شمولًا منه فهو في القرآن الكريم مقرون بالتقوى والزوجة وغير ذلك .

(١) السامرائي ١٨٠ .

(٢) ينظر: البحراني ٦٦/٥ .

(٣) ينظر: نفسه ٢٤٢/٤ .

(٤) ينظر: نفسه ٩٥/٣ .

(٥) ينظر : الراوندي ٢٤/١ والمعتزلي ٦٣/١ والخوئي ٢٩٥/١ والتستري ١٤٦/١ .

(٦) ينظر: الراوندي ٣١٢/٢ .

(٧) ينظر: المعتزلي ٣٥٨/٧ والبحراني ٩٣/٢ وعبدالله ١٠١/٣ ومغنية ٤٦٤/٢ والسامرائي ٧٥ .

(٨) ينظر: ديوان الادب ٤٥٣/١-٤٥٤ .

(٩) النبأ ٦ وينظر: الكشاف ٤/٢٠٧ . (١٠) طه ٥٣ وينظر: الكشاف ٥٤٠/٢ .

(١١) ينظر: الراوندي ١٢٩/٢ والمعتزلي ٢٥٣/٩ والبحراني ٢٩٧/٣ .

(١٢) ينظر: الراوندي ٣٢٣/١ والمعتزلي ٤٤/٦ والبحراني ٢٣٣/٢ .

أما البناء المختوم ببناء التأنيث (فعالة) فذكر له الشواح الدلالات الآتية :

١ - فعالة مصدرًا .

فعالة عند القدماء اسم ، والمصدر هو (الفعالة) بفتح الفاء^(١)، ولم يصرحوا بأن (فعالة) مصدرًا ، وإنما «الوكالة والوصاية والجراية ونحوهن شبهن بالولاية لأن معانهاً القيام بالشيء»^(٢) ، وكذا «قالوا التّجارة والخياطة والقصابة ، وأنما أرادوا أن يُخبروا بالصنعة التي يليها»^(٣) . وإلى هذا ذهب الشّواح ، ف «الولاية اسم لما تولّيته وقمت به مثل الإمارة ، فإذا أرادوا المصدر فتحوا»^(٤) . و«الكهانة بالفتح مصدر كهن بالضم أي صار كاهنا ، ويقال كهن ن يكهن كهانة مثل كتب يكتب كتابه إذا تكهن والحرفة كهانة»^(٥) .

والفعالة عند المتأخرين مصدر يدلّ على حرفة ، ولكثرة أمثلته في اللغة المعاصرة أمر مجمع اللغة العربية في مصر أن «يجيء مصدر فعالة من الثلاثي للدلالة على الحرفة أو شبهها كالصناعة والحياكة والتجارة والإمارة والسفارة والنقابة ، وقد رأى مجمع اللغة العربية قياسية هذا المصدر معتمداً في ذلك على مذهب سيبويه والأخفش وابن مالك ومتابعهم ، فأصدر في دورته الأولى القرار التالي : يصاغ للدلالة على الحرفة أو شبهها من أي باب من أبواب الثلاثي مصدر على وزن فعالة بالكسر»^(٦) .

٢ - فعالة آلة .

ومثاله ما في قوله (م) حين بلغه ان جيش معاوية دخل اليمن وطرد عامله عليها : (فَلَوْ أَتَمَمْتُ أَحَدَكُمْ عَلَى قَعْبٍ لَخَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعِلَاقَتِهِ ...) ^(٧) ، فالعلاقة هي ما يعلّق منه القدح الضخم من ليف ونحوه^(٨) . و(الحباله) هي آلة الصائد وهي شبكة يتخذها للصيد^(٩) . وهذه «من أوزان الآلة والأداة نحو: العمامة والعصاة والوِسادة وغيرها»^(١٠) . وقد أحسن العسكري حين جمع دلالة (فعالة) سواء كانت مصدرًا دالًا على حرفة أم اسم آلة ؟ على دلالة واحدة هي الإحاطة والاشتمال ، فقال : «الفعالة للاشتمال مثل العصاة والعمامة والقلادة ولذلك جاء أكثر الصناعات على فعالة نحو: القِصارة والخياطة ، ومثل ذلك العبارة لاشتمالها على ما فيها»^(١١) .

(١) ينظر : الكتاب ١٦/٤ وادب الكاتب ٤٧ والاصول ٩٢/٣ .

(٢) الكتاب ١١/٤ . (٣) نفسه ١١/٤ .

(٤) الراوندي ٣٥٣/٢ . (٥) انصاريان ٢١٢/١٧ .

(٦) فقه اللغة (وافي) ٢١٨ .

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ٢٥ ص: ٥٨ .

(٨) ينظر : عبده ٨٣/١ ومغنية ٣٦٢/١ .

(٩) ينظر : عبده ١٥٥/٣ .

(١٠) السامرائي ٢٦٧ .

(١١) الفروق اللغوية ٨٤ .

المطلب التاسع : معاني فُعال - فُعالة .

كثرت أمثلة فُعال في متن النهج فتلمّس لها الشّواح الدلالات الآتية :

١ - فُعال مصدرا .

يُنْي فُعال مصدرا للثلاثي دالا على داء أو علّة كالعطاس والنُّعاس^(١). ومن أمثلته لدى الشّواح (الخناق) ويعني قطع النفس^(٢). وكذا (العشاء) ، وهو مرض في العين ، يُرى فيها نهارا ولا يُرى ليلا^(٣). ويأتي (فُعال) مصدرا دالا على صوت ، كالصُّراخ والبكاء^(٤) . ومن أمثلته في النهج التي صرحوا بدلالاتها هذه : (الجوّار) ، إذ هو «من المصادر الدالّة على الأصوات وتكثر في بناء فُعال كالصُّراخ والبكاء ونحو ذلك ، والجوّار صوت مرتفع»^(٥) . وقد تبين للدكتور فاضل السامرائي أن (فُعال) في الأصوات أقوى من (فُعيل) ، فالصُّراخ أقوى من الصرّيح بلحاظ ضمة (فُعال) وألفه أزاء فتحة (فُعيل) ويائه ، والمراد بقرّة الصوت امتداده وشدّته . ويبدو أن الفُعال هو صوت مشوب بالداء كالصُّراخ والعواء والبكاء ومن هنا قيل : إنّه أشدّ من الفُعيل وأقوى ، ولذا تكون دلالة (فُعال) على الأصوات تبعا لدلالته على الداء والمرض فيتوحد الباب .

٢ - فُعال مبالغة من فُعيل .

إذا أُريد المبالغة في الوصف الذي على (فُعيل) نُقل الى (فُعال) نحو: (طَوِيل - طُوال) و (كَبِير - كُبار)^(٦) . ومن أمثلتها في النهج (الجلال) ، إذ فسرها الشّواح بأنّها مبالغة في الجليل ونظروها بالطوال والطويل^(٧) . ومعنى المبالغة الذي أقره الشّواح تبعا للسابقين يومئ بالشّدة والغرابة في الموصوف فيكون داخلا في الباب أيضا.

(١) ينظر: الكتاب ١٠/٤ والاصول ٨٩/٣ .

(٢) ينظر: مغنية ٥٥/٢ .

(٣) ينظر: الموسوي ٤٧٩/١ .

(٤) ينظر: الكتاب ٩/٤-١٤ والاصول ٨٩/٣ .

(٥) السامرائي ١٠٣ وينظر : المعتزليّ ٤٢٩/٦ والبحراني ١٣٩/٢ والخوئي ٣٧٤/٦ ومغنية ٥٤٠/١ والسامرائي ١٠٣ .

(٦) ينظر: شرح الشافية ١٣٦/٢ والخصائص ٢٧٠/٣-٢٧١ .

(٧) ينظر: المعتزليّ ٢٦٣/٩ وابو الفضل ٣٨٩/١ .

٣ - (فُعال) جمعا .

يأتي (فُعال) جمعا عزيزا لطائفة من الألفاظ وهو مسموع فيها ولا وجه لقياسه^(١). وقد وردت بضع ألفاظ في متن النهج على (فُعال) دالة على الجمع ومنها (عراق) في قوله (ع) : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هَذِهِ أَعْيُنِي مِنْ عُرَاقٍ خَنْزِيرٍ فِي يَدِ مَجْنُونٍ)^(٢) ، فالعراق جمع عرق وهو العظم عليه شيء من اللحم وهو من الجموع النادرة نحو رخل ورخال ، وظئر وظؤار^(٣). ومجمل هذا القول مبالغة في هوان الدنيا وحقارتها في عين الامام (ع) ونفرته منها ؛ لان الواحد من العراق لا خير فيه ابتداء فلو كان متراكما مجموعا وكان من خنزير ثم في يد مجنوم بلغت النفرة منها الغاية لأن حقارته لا تقرن بشيء .

٤ - (فُعال) اسما دالا على التفرق والتفتت.

يأتي (فُعال) دالا على التفتت والتفرق فيكون بمعنى المفعول أو الفاعل لأنه لما وقع عليه الفعل فنته وفرقه أو ما انصف به الفعل الدال على التفرق^(٤). ومن أمثله في النهج (النُّراث) إذ هو بمعنى الموروث وهو لا يكون إلا عن تفرق وتفتت عن أصله^(٥). وكذا (الطَّام) بمعنى المطم وهو ما تكسر من الحشيش واليبس وغير ذلك^(٦). فكل من النُّراث والطَّام بمعنى المفعول ، وقد يأتي الفاعل بمعنى الفاعل نحو : (الرُّكام) بمعنى المتراكم بعضه فوق بعض^(٧). ويبدور الفُعال في الآدميين داء او شبهه على حين هو من غيرهم تفتت وتفرق على وفق ما سبق ذكره .

(١) ينظر : الكتاب ٦١٦/٣-٦١٧ والمخصص ١١٤/١٤ .

(٢) نهج البلاغة : الحكمة ٢٣٦ ، ص ٦٤٥ .

(٣) ينظر : المعتزلي ٦٧/١٩ والبحراني ٣٣٤/٥ .

(٤) ينظر : الاصول ٨٩/٣-٩٠ وارتشاف الضرب ٢٤٣/١ والمخصص ١٣٢/١٤ وشرح الشافية ١٥٥/١ .

(٥) ينظر : الراوندي ٣١٣/١ والكيدري ٣٦٦/١ المعتزلي ١٥٣/١ والتستري ٥٨/٨ وعبد ٣٧/١ .

(٦) ينظر : المعتزلي ٢٨٥/١٩ .

(٧) ينظر : البحراني ١٧٣/١ والسرخسي ٤٠/١ وانصاريان ٣٦/١ وعبد ١٠٠/٢ ومغنية ٩٢/١ .

أما البناء المختوم بباء التأنيث (فُعالة) فورد في النهج منه طائفة من الألفاظ جمعها الشراح على دلالة واحدة هي (ما يسقط من الشيء) ، وصرح فريق منهم بأن (فُعالة) بمعنى (مفعول) ، أي الشيء المطروح من شيء كبير ، وهذا ما خلصوا إليه في تفسيرهم ما جاء في قوله (ع) محذرا من فتنة بني أمية : (...فَلَا يَجِيءُ مِنْكُمْ إِلَّا تُفَالَةٌ كَتُفَالَةَ الْقَدْرِ

وَنَفَاضَةٌ كُنْفَاضَةِ الْعِصَمِ^(١) ، فَتَالَةَ الْقَدْرِ هِيَ مَا رَسَبَ فِيهِ مِنَ الطَّبَّخِ ، وَفَاضَةٌ الْعِصَمِ هِيَ مَا يَسْقُطُ مِنَ الْعَدْلِ الْمَنْفُوضِ^(٢) .

ومثل هذا تفسيرهم ما جاء في قوله (٤) في خطبة له عرض فيها للزهد في الدنيا : ﴿لَتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ حُتَالَةِ الْقَرْظِ وَفَاضَةَ الْجَلْمِ﴾^(٣) ، فَحُتَالَةُ الْقَرْظِ : مَا يَسْقُطُ مِنْ قَشْرِ الشَّعِيرِ وَالْأَرْزِ وَالْتَمَرِ ، وَالْقَاضَةُ مَا يَسْقُطُ عِنْدَ جَزِّ الصَّوْفِ أَوْ شَبِيهِهِ^(٤) .

وكان سيبويه قد ذهب الى ان (فُعالة) بناء يفيد «عنى الفُضالة وذلك نحو القلّامة والظُرة والقُراضة والنُفاية والحُسالة والجُرامة...»^(٥) ، وسمّى تابعو سيبويه (فُضالة) البقية من الشيء^(٦) . وأنس بعض شُراح النهج المحدثين بـ (بقايا الاشياء) مصطلحا لتفسير معنى هذا البناء ، إذ قال السامرائي : «قُتالة القدر ... من الكلمات التي تلي على فُعالة من بقايا الأشياء نحو الخُشارة والنُخالة والصُبابة ونحوها»^(٧) . ويبدو من أمثلة سيبويه للفُعالة أنّها مختصة بالرديء من الأشياء لأنها فُضالة لا فائدة منها ، وهذا ما كرره شُراح النهج في معظم الأمثلة ، لكن الشارح المعتزلي جوز أن تأتي أمثلة فعالة في الشيء الجيد النافع ، فلما وقف على قوله (٤) - من خطبة له تعرف بالأشباح : (وَلَوْ وَهَبَ مَا تَنَقَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ الْجِبَالِ وَضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ الْبِحَارِ مِنْ فِلَرِّ اللَّجِينِ وَالْعِقْيَانِ وَنُثَارَةِ الدَّرِّ وَحَصِيدِ الْمَرْجَانِ ...) ^(٨) - قال : «نُثارة الدّرّ ما تتأثر منه كالسُقّاطة والنُخالة وتلي فُعالة تارة للجيد المختار وتارة للساقط المتزوك ، فالأول نحو الخُلاصة والثاني نحو القلّامة»^(٩) . ويبدو أنّ دلالة فُعالة على الشيء الجيد أو الرديء مستحصلة ممّا تُضَاف إليه أمثلتها ، فالنُثارة جيّدة في قوله (٤) ؛ لأنها أُضيفت إلى نفيس وقد تكون قبيحة إذا أُضيفت إلى خسيس .

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٨ ، ص ١٩٧ .

(٢) ينظر : الراونديّ ٤٦٠/١ و ٥٠/٢ والمعتزليّ ١٨٩/٧ وعبدّه ٢٦١/١ وابو الفضل ٢٤٤/١ والسامرائي ٩٨ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٣٢ ، ص ٧٢ .

(٤) ينظر : مغنية ٤٢٤/١ والسامرائي ٢٩٧ .

(٥) الكتاب ١٣/٤ .

(٦) ينظر : المخصص ١٣٦/٤ والصاحبي ١٩١-١٩٢ .

(٧) السامرائي ٩٨ وينظر : ٢٩٧-٢٩٨ .

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ٩١ ، ص ١٤٩ .

(٩) المعتزليّ ٤٠٢/٦ .

المطلب العاشر : معاني فُفي .

تلمس الشُراح لأمثلة (فُعَل) في متن النهج دلالتين هما :

١ - فُفي جمعا^(١) .

وهو في قوله (م) يصف الأموات : (... غَيْبًا لَا يُنْتَظَرُونَ ، مَهْشُودًا لَا يَحْضُرُونَ) ^(٢) ف(غَيْب جمع غائب) ^(٣) . ومنه ما جاء في قوله (م) في صفة الملائكة : (وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ الْغَمَامِ الدُّلْحِ وَفِي عِظَمِ الْجِبَالِ الشَّمَخِ) ^(٤) ، فاللُّح جمع دلح وهو الثقيل بالماء ، والشَّمَخ جمع شامخ وهو المرتفع ^(٥) .

وقد وثق القدماء دلالة (فَعَل) على الجمع ^(٦) ، وفرَّق العاملون في الإعجاز القرآني بين (فَعَل) و (فَعُول) نحو: (سُجِّد و سُجِّد) ، فخلص الزركشي إلى أن (فَعَل) يدلُّ على الحركة الظاهرة التي لا تفيد معنى الخضوع ولا الانقياد لله - عزوجل - ومن هنا استعمل (سُجِّد) مع سجود السَّحرة لموسى وسجود إخوة يوسف ليوسف (م) ؛ لأن هذا النوع من السجود ليس خضوعاً وانقياداً ، وهو دون الحركة الفعلية . وأما (السُّجُود) فهم القائمون بحركة فعلية تدلُّ على السُّجُود الحقيقي بمعنى العبادة لله والخشوع له . وهو ظاهر في القرآن الله تعالى وحده . وأما قوله تعالى: ﴿ تَرِيَهُمْ رَكَعًا سُجَّدًا ﴾ ^(٧) ، فقال : (سُجِّد) ؛ لأنه ((من رؤية العين ورؤية العين لا تتعلق إلا بالظاهر فقصد بذلك إلى السجود المعنوي والصورى)) ^(٨)

٢ - فَعَل مبالغة .

ومثاله ما في قوله (م) : (قَدْ بَرَى الْحَوْلُ الْقَلْبَ وَبَجَّ الْحِيلَةَ وَدُونَهَا لَمَعٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهَى هِهَذَا يَدْعَاهَا رَأْيَ عَيْنٍ) ^(٩) ، فالْحَوْلُ الْقَلْبُ هُوَ الْبَصِيرُ بتحويل الأمور وتقليبها أو هو الَّذِي قَدْ تَحَوَّلَ وَقَلَّبَ كَثِيرًا فِي الْأُمُورِ وَجَرَّبَ . وتأتي الصفتان متلازمتين في كلام العرب ^(١٠) .

(١) ينظر: همع الهوامع ١٧٧/٢ والبهجة المرضية ١٩٨ وشرح الأشموني ١٣٣/٤ ومعاني الأبنية ١٥٢ - ١٥٥ .

(٢) نهج البلاغة خ ٢٢١ ص: ٤٢٦ .

(٣) المعتزلي ١٥٥/١١ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ٩١ ص : ١٥٧ .

(٥) ينظر: الخوئي ٣٧٣/٦ .

(٦) ينظر : الكتاب ٦٢٦/٣ .

(٧) الفتح ٢٩ وينظر: الكشاف ٥٥٠/٣ والبحر المحيط ٥٠١/٩ .

(٨) البرهان ٢٥٠/٣-٢٥١ وينظر : معاني الأبنية ١٥٢-١٥٣ .

(٩) نهج البلاغة : الخطبة ٤١ ص: ٨٣ .

(١٠) ينظر: المعتزلي ٣١٣/٢ و ١٥٥/١١ .

المبحث الثالث

دلالة أبنية الأسماء المزيدة بحرفين

المطلب الأول : معاني مفعول .

بناء (مفعول) يدلّ في الأصل على الحدث ومن وقع عليه الحدث ، وهو يشتقّ من الفعل المتعدّي المبني للمجهول على وزن (مفعول) من الثلاثي ، ومن مضارع غير الثلاثي بإبدال يائه ميماً مضمومة وفتح ما قبل الآخر^(١) . وقد يلتبس بناء الفاعل والمفعول في بابي الانفعال والافتعال إذا كان الفعل أجوف أو مضعفاً ، والفيصل هو السياق . وقد دلل بعض الشراح على هذه المسألة وأشار إلى أثر السياق في حسمها كما في لفظ (المعتم) في قوله (ي) : (أشهد أنّ محمداً عبده ورسوله المجتبي من خلائقه والمُعتم شرح حقائقه)^(٢) ف ((المعتم: المختار ... فإن قلت : لفظة (معتم) و(مختار) تصلح للفاعل والمفعول فماذا يفصل بينهما ؟ قلت : بما يقتزن باللفظ من الكلام قبله وبعده ، فإن قلت : فهل يختلفان في التقدير في صناعة النحو وان اتفقا في اللفظ ؟ قلت : نعم فإن عين الكلمة ياء مفتوح ما قبلها وإن أردت الفاعل فهي مكسورة ، وتقديره : (مُخْتَبِيِر) مثل (مُخْتَرَع) ، وإن كان مفعولاً فهي مفتوحة ، وتقديره : (مُخْتَبِر) مثل (مُخْتَرَع) وعلى كلا التقديرين لا بدّ من انقلاب الياء ألفاً واللفظ واحد ولكن يُقدّر على الألف كسرة للفاعل وفتحة للمفعول ، وكذلك القول في معتم ومضطرّ ونحوهما))^(٣)

وقد كثرت أمثلة المفعول في متن النهج فوقف الشراح عند طائفة منها بالتوضيح والشرح ، كما في قوله (ي) يصف بعثة الأنبياء إلى الخلق : (وَبُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْرَةِ مِنْ سَقْفٍ فَوَقَّهْمَ مَرْفُوعٍ وَمِهَادَحَتَهُمْ مَوْضِعٍ)^(٤) ، ((فالسقف المرفوع يعني السماء وهو في قوله تعالى : ﴿ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴾^(٥) ، والمهاد الموضوع هو الارض))^(٦) . ولما وقف فريق من الشرح على قوله (ي) يصف خلق آدم : (ثُمَّ جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ ... تَرْبِيَةً يَهْدِيهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ لَاطِحَتُهَا بِالْبِلَالَةِ حَتَّى لَزِيَتْ)^(٧) ، أشار إلى أن هذا مقتبس من معنى قوله تعالى : ﴿ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴾^(٨) ، ثم توسعوا في شرح المسنون كقول البحراني : ((المسنون الطين الرطب في قول ابن عباس وعن ابن السكيت عن ابي عمرو أنه المتغير ، وقول ابن عباس أنسب الى كلام علي (ي) ؛ لأن قوله : سنّها بالماء ، إلى ، حتى لزيت . أي أنه خلطها بالماء حتى صارت طينا رطبا يلتصق))^(٩) .

(١) ينظر : أوضح المسالك ١٦٦/٣ وشرح المراح ١٢٩ وشذا العرف ٧٥ والتطبيق الصرفي ٨١-٨٣ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٧٨ ص : ٣٢٢ . (٣) المعتزلي ١٠/٥٩-٦٠ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص : ٢٣ . (٥) الطور ٥-٦ وينظر : الكشاف ٤/٢٢ .

(٦) السامرائي ٢٠٦ . (٧) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص : ٢١ .

(٨) الحجر ٢٦ وينظر : الكشاف ٢/٣٩٠ والبحر المحيط ٤٧٦ .

(٩) البحراني ١/٢١٦ وينظر : البيهقي ١/٦٢ والراوندي ١/٧١ والكيدري ١/١٣٦ والمعتزلي ١/٩٧ والخوئي ٢/٣٩ .

وقد فسر الشراح تبعاً للسابقين كثيراً من أمثلة اسم المفعول بالدلالة على معانٍ أخرى غير المفعول وكما يأتي :

١- دلالة مفعول على فاعل .

أقر علماء العربية دلالة (مفعول) على (فاعل)^(١) ، وبهذا فسروا قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جِئْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الدِّينِ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾^(٢) ، أي : ساترا^(٣) ، وقوله تعالى : ﴿ وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴾^(٤) ، أي : آتيا^(٥) . وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ تَبَّكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴾^(٦) ، أي : وافرا^(٧) . ولذا فسّر فريق من الشراح طائفة من ألفاظ النهج التي جاءت على (مفعول) بأنها متضمنة معنى (فاعل) نحو : (السقف المحفوظ) في قوله (ي) في ابتداء خلق السماء : (جَعَلَ سَفْلَاهُنَّ مَوْجًا مَكْفُوفًا وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفًا مَحْفُوظًا)^(٨) . وأكثر الشراح على أن المراد بـ(سقفا محفوظا) هي السماء التي تحفظ العالم من الفساد بما أودع تعالى فيها من قوى الجاذبية ونحوها وتحفظ الأرض من الخلل فهي كالسقف الحافظ لها^(٩) . وجوز فريق منهم بقاء (محفوظ) دالا على المفعول وذلك أن ((وصول الشياطين ومن الفساد والاختلال))^(١٠) . فنسبوا الى الفلكيين المحدثين الذين تهيات لهم سبل العلم بأسرار الفضاء أن الغلاف الجوي محفوظ بطبقات أخرى فعلى هذا يكون السقف محفوظا حقيقة .

(١) ينظر : الصاحبى ٢٢١ والمخصص ١٧/١٥ والكلبيات ٣/٣١٩ و ٤/١٩٢ .

(٢) الاسراء ٤٥ .

(٣) ينظر: البحر المحيط ٥٦/٧ .

(٤) مريم ٦١ .

(٥) ينظر: البحر المحيط ٢٧٩/٧ .

(٦) الاسراء ٦٣ .

(٧) ينظر: الفخر الرازي ٦/٢١٧ .

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص: ١٩ .

(٩) ينظر: البيهقي ٥٨ والرواندي ٦٣/١ والكيري ١٣٠/١ والمعتزلي ٨٩/٨٨/١ والبحراني ١٣٧/١ وعده ١٩/١

والخوئي ٣٧٠/١ ومغنية ٣٧/١ والتستري ٤٦٤/١ وأبو الفضل ١٧/١ والشيرازي ٢٣/١ وأنصاريان ٣٣/١ والموسوي ٢٤/١ .

(١٠) الشيرازي ٢٣/١ وينظر: الرواندي ٦٣/١ والمعتزلي ٨٩/٨٨/١ والخوئي ٣٧٠/١ ومغنية ٣٧/١ .

ومن أمثلة هذه الدلالة ما في قوله (ي) يصف القرآن الكريم: (قَمَّ بِهِ الْبَيْعَ الْمَدْخُولَةَ وَبَيَّنَّ بِهِ الْأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ)^(١) ، فرأى معظم الشراح أن ((الأحكام المفصولة هي التي فصلها الله سبحانه وتعالى تفصيلا أو بمعنى الفاصلة بين الحق والباطل ، فإن اسم المفعول قد يأتي بمعنى الفاعل نحو : ﴿ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾ ، أي : ساترا))^(٢) . وفي كلا المثالين (محفوظ) و (مفصول) ذكر الشراح معنى الفاعلية على سبيل الاحتمال ، ثم عادوا وأثبتوا معنى المفعولية لهما وهو

الصواب « لأن القول بنبياة (مفعول) عن (فاعل) ما هو إلا ضرب من التحريف والزيغ . ففي (السقف المحفوظ) ، السقف وحده يحمي ما تحته وهو الأرض ، ونعته بالمحفوظ يفيد كونه منيعا شديدا مستحكما إذ لو اعتراه الفساد لفسد ما تحته فلا قيمة لبيت بوجود سقف فاسد »^(٣) . والمراد بالأحكام المفصولة التي بينها القرآن الكريم هي « الشرائع المقطوعة المتروكة من ملة ابراهيم (ع) »^(٤) . فهي مفصلة فعلا ، لكن الناس حرفوا فيها وحادوا عنها جبلا بعد جبل فجاء القرآن ليعيد العمل بتلك الأحكام التي فصلها الله تعالى للبشرية جمعا .

وأمثلة (مفعول) التي فسرها العلماء بالفاعل كلها باقية على بنائها اشعارا بقدرة الله - عز وجل - وعظمته اذ هو الفاعل الحقيقي لستر الحجاب وتوفير الجزاء وايثاء الوعد وتفصيل الأحكام وحفظ السقف وليس هذه الاشياء فواعل . فالحجاب المستور لا يمكن ان يكون بمعنى ساترا ؛ لأن الحجاب وحده يفيد الستر فإن وصف بالمعنى ذاته كان لغوا كما في التقدير: حجابا حاجبا او ساترا ساترا . وانما هو مستور عن حواسهم فلا يرونه لانه من صنع الله تعالى^(٥) . وكذا: ﴿ وَعَدُّهُ مَاتِيًّا ﴾ إذ لو كان بمعنى الفاعل لأتى بنفسه اليهم لكنهم هم الآتون الى حيث وعد الله ، إذ « الوجه أن الوعد هو الجنة وهم يأتونها »^(٦) .

وكذا الجزاء الموفور الذي أوعده الله تعالى به ابليس ومن تبعه إنما عبر عنه باسم المفعول للإشارة الى أن الله تعالى سؤ جهنم منذ أن خلق الخلق كله ، فمن ابتغى لها سبيلا لقي مبعثاه موفورا . ولو قيل انه بمعنى الفاعل لفهم منه أن هذا الجزاء وافر بنفسه وهو غير مفهوم .

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٦١ ص: ٢٨٦.

(٢) الشيرازي ٤٤١/٢ وينظر : الراوندي ١٢١/٢ والكيدري ١٦٠/٢ والمعتزلي ١٦٣/٩ والبحراني ٢٩١/٣ وعبدالله ٣١٦/١ والخوئي ٤٠٩/٩ ومغنية ٤٤١/٢ والتستري ٢٢٩/٢ والموسوي ٤٩/٣ وأبو الفضل ٣٧٩/١ وأنصارين ١١٩/٢ .

(٣) اسم المفعول في نهج البلاغة : ٩

(٤) الراوندي ١٢١/٢ .

(٥) ينظر: الكشاف ٤٥١/٢ والبحر المحيط ٥٦/٧ .

(٦) الكشاف ٥١٥/٢ .

٢ - دلالة مفعول على المصدر.

منع سببويه مجيء مصادر الثلاثي على وزن (مفعول) فتأول ما ورد على هذا البناء وفيه حدث يجري على فعله بأنه باق دالا على المفعول وذلك نحو: « دَعُ إِلَى مَيْسُورِهِ وَدَعَّ مَعْسُورَهُ ، فَإِنَّمَا يَجِيءُ هَذَا عَلَى الْمَفْعُولِ كَأَنَّهُ قَالَ: دَعُّهُ إِلَى أَمْرٍ يُوسَّرُ فِيهِ أَوْ يُعَسَّرُ فِيهِ ، وكذلك المرفوع والموضوع كأنه يقول : له ما يرفعه وله ما يضعه »^(١) . وكل هذه الأمثلة

التي على (مفعول) مؤولة ((تأويلا يساير اسم المفعول في المبني والمعنى دون التفات الى المصدر))^(٢) .
وأيد بعضهم سيبويه في منعه دلالة (مفعول) على المصدر^(٣) ، على حين جوز أكثرهم هذه الدلالة وبهذا فسروا قوله تعالى : ﴿ بِأَيْكُمُ الْمُفْتُونُ ﴾^(٤) ، أي : الفتنة ، وقوله تعالى : ﴿ فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيُورًا ﴾^(٥) ، أي : يسر . وكذا كل الأمثلة التي ذكرها سيبويه محمولة لديهم على المصدرية ، فالميسور بمعنى اليسر ، والمعسور بمعنى العسر . وذكروا أمثلة غيرها نحو : حلفت محلّوفا ، أي : حطّا ، ولا مجلود لفلان ولا معقول له ، أي : لا جلد له ولا عقل ، وعلى الرغم من ذلك صرح هؤلاء بقلة أمثلة المصادر على مفعول^(٦) .

وخالف الشراح سيبويه فوجهوا طائفة من ألفاظ النهج التي وردت على المفعول بأنها دالة على المصدرية ، وقد صرح فريق منهم بمخالفته سيبويه وذلك في توجيههم قوله (م) : (وَقَدَّرَ الْأُرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَقَلَّلَهَا وَقَسَّمَهَا عَلَى الضُّيُوقِ وَالسَّعَةِ عَفَا دَلَّ هُفْيَا لِيَبْتَدِيَ مَنْ رَأَدَ بِمَيْسُورِهَا وَمَعْسُورِهَا...)^(٧) ، ف((الميسور والمعسور ضدان وهما مصدران ، وقال سيبويه هما صفتان وعنده لا يجيء المصدر على المفعول البتة وتأول قولهم : دعوه الى ميسوره ومعسوره ، ويقول معناه إلى أمر يوسر فيه وإلى أمر يعسر فيه))^(٨) .

(١) الكتاب ٠٧/٤

(٢) النحو الوافي ١٩٨/٣ .

(٣) ينظر : نفسه ١٩٨/٣

(٤) القلم ٦ .

(٥) الإسراء ٢٨ .

(٦) ينظر : ليس في كلام العرب ٤٢ والاصول ٤٩/٣ ودقائق التصريف ٥٦ والمفصل ١١٣

وشرح الأشموني ٣٥١/٢ وحاشية الصبان ٣٠٩/٢ .

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ٩١ ص: ١٦٥ .

(٨) الراوندي ٤١٤/١ وينظر : المعتزلي ٢١/٧ وعبدو ١١٨/١ والخوئي ٣٣/٧ وانصاربان ١٦٥/١ .

٣- دلالة مفعول على ذي الشيء (النسب) .

أقر المفسرون طائفة من أمثلة (مفعول) دالة على النسب بمعنى (ذو شيء) ، وبهذا فسّر بعضهم قوله تعالى : ﴿ إِنَّ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا سَحُورًا ﴾^(١) ، بمعنى : ذو سُحر ، أي : رثة ، فهو بشر متلکم^(٢) ، وذكر أصحاب المعجمات : ثغر ملعوب : ذو لعاب ، ورجل منسوب : ذو نسب ، وجرح مندوب : ذو ندب^(٣) . وأخرج الشراح طائفة من ألفاظ النهج

على هذه الدلالة ومنها ما في قوله (ي) يحمد الله : (كَلَّا إِنَّ لَا عَنْ حَدِيثٍ مُّوجِبٍ لَا عَنْ عَدَمٍ)^(٤). فقد أطبق الشّراح على ان (موجود) إن حُمل على المفعول لا يصدق المعنى على ذاته المقدسة ولذا لا مناص من تفسير الموجود في هذا الموضع بذي الوجود او المنّصف بالوجود أو صاحب الوجود^(٥). وكذا (الموفور) في قوله (ي) يصف الدنيا وأصنافا من أصحابها : (مُهْلِكًا مَسْلُوبًا ، وَعَزِيْزًا مَغْلُوبًا ، وَمَوْفِرًا مَنكُوبًا ، وَجَارَهَا مَحْرُوبًا)^(٦) ، فالموفور هو ذو الوفر والثروة منها^(٧).

وهذه الأمثلة ظاهرة الدلالة على المفعول فالرجل المسحور فسرّه أكثرهم ب(سحر فُجِنَ)^(٨) من السّحر . وكذا يفهم كونه تعالى موجودا لوقوع الوجود عليه تعالى من لدن عباده العارفين حقّه ((فيكون الخلق هم المدركون وجود ربهم فطرة أو تبليغا وهذا التفسير يلائم كونه تعالى (موجود لا عن عدم) إذ ليس المقصود بالوجود أنه تعالى كان عدما ثم وجد ، بل المراد أن الخلاق اهتدت إلى معرفة وجوده الأزلي تعالى عما يقول الجاهلون علوا كبيرا^(٩)))

(١) الاسراء ٤٧

(٢) ينظر: الكشاف ٤٥٢/٢ ومجمع البيان ٢٥٧/١٥/٦ والبحر المحيط ٤٩/٧-٥٠ .

(٣) ينظر: المصادر والمشتقات في لسان العرب ٢٤٩ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص : ١٨ .

(٥) ينظر: البيهقي ٥١ والرواندي ٥٠/١ والكيدري ١٦/١ والمعتزلي ٧٩/١ والبحراني ١٢٧/١ والسرخسي ٣٧/١

وعبد ١٧/١ والخوئي ٣٤٤/١ ومغنية ٢٠/١ والتستري ١٦١/١ والشيرازي ١٦/١ والموسوي ٢٠/١ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١١١ ص : ٢٠٧- ٢٠٨ .

(٧) ينظر : المعتزلي ٢٣١/٧ وعبد ٢٨٧/١ والسامرائي ١٧٢ والشيرازي ٢٣١/٢ وانصاريان ٤٠٠/١ وابو الفضل ٢٥٩/١ .

(٨) الكشاف ٤٥٢/٢ ومجمع البيان ٢٥٧/١٥/٦ والبحر المحيط ٤٩/٧-٥٠ .

(٩) اسم المفعول في نهج البلاغة ٦ .

المطلب الثاني : معاني مفعول

كثرت أمثله مفعول في متن النهج ففرّقها الشّراح على الدلالات الآتية :

١- المبالغة .

يأتي مفعال دالا على المبالغة في القيام بالفعل أو الاتصاف به اتصافا شديدا ، أو لمن اعتاد الفعل فدام منه حتى صار كالآلة ، نحو المنحار والمهذار والمضحك وغير ذلك^(١) . ومن أمثلتها في النهج ما جاء في قوله (م) يصف أصحابه الخالص : (قَوْمَ اللَّهِ مَيَّامِينَ الرَّأْيِ مَوَاجِيحُ الْحِلْمِ مَقَاوِيلٌ بِالْحَقِّ مَتَارِيكُ لُبْغِي)^(٢) ، فقد صرح الشراح المتأخرون بأن المقاويل جمع مقوال وهو المحسن في القول المكثّر منه ، والمتاريك جمع تراك أي: كثير الترك^(٣) ، على حين أغفل الشراح المتقدمون الإشارة إلى معنى المبالغة في المفردين : مقوال ، متراك^(٤) .

ومن أمثلته ما جاء في قوله (م) يصف الزاهدين في الدنيا : (أَوْلَنكَ مَصَابِيحَ الْهُدَى وَأَعْلَامَ السُّرَى لَيْسُوا بِالْمَسَابِيحِ لَأَوِ الْمَذَابِيحِ)^(٥) ، فالمصابيح جمع مصباح وهو مبالغة في الإصباح بمعنى كثرة الثور الهادي ، والمسابيح جمع مسباح وهو الذي يكثر السبح بين الناس بالفساد ، والمذابيح جمع مذبايح وهو الذي إذا سمع لغيره بفاحشة بالغ في إذاعتها ونشرها^(٦) . وقد أنس الأمدى - متم شرح الخوئي - بما تؤدّيه زيادة المبنى من معان فقال مفرقا بين جملة من الالفاظ المتحدة في الاشتقاق المختلفة في الأبنية : ((المبطان الذي لا يزال عظيم البطن من كثرة الأكل ، فأما المبطن فالضامر البطن ، وأما البطين فالعظيم البطن خلقة ، وأما البطن فهو الذي لا يهّمه إلا بطنه ، وأما المبطون فالعليل البطن))^(٧) .

٢ - (مفعال) اسما للزمان أو المكان.

فسر الشراح جملة من ألفاظ النهج جاءت على المفعال بأنها أسماء للزمان أو المكان بحسب السياق أو التأويل ، من

(١) ينظر: ديوان الأدب ٨٣/١ وأدب الكاتب ٢٥٥ وفتح اللغة للثعالبي ٥٥٥ والفروق اللغوية ١٢- ١٣.

(٢) نهج البلاغة ١١٦ ص: ٢١٩.

(٣) ينظر: عبده ٢٤٧/١ والخوئي ٩١/٨ ومغنية ٢٠١/٢ والتستري ٢٢٨/٦ والموسوي ٣٠٨/٢ وأنصاريان ٤٠٠/١ .

(٤) ينظر: البيهقي ٢١٢ والرواندي ٢١٢/٢ والكيدري ٥٥٨/١ والمعتزلي ٢٧٨/٧ والبحراني ١٠٨/٣ والسرخسي ١١٧/١ .

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٣ ص: ١٨٧.

(٦) ينظر: الخوئي ١٨٩/٧ ومغنية ١٠٤/٢ والتستري ٢٠٠/٨ والشيرازي ٤١/٢ والموسوي ١٧٧/٢

والسامرائي ٨١ وأنصاريان ٣٩٥/١

(٧) الخوئي ١٨/٢٠ وينظر : المعتزلي ٢٨٧/١٦ والبحراني ٩٦/٥ ومغنية ٣١٤/٥ وأنصاريان ١٥٨/٣ .

ذلك (الميثاق) و(الميلاد) في قوله (م) يذكر محمدا (صلّى الله عليه وآله) : (بَعَثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ (صلّى الله عليه وآله) ... مَأْخُودًا عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقًا ، مَهْشُورَةً سِمَاتِهِ كَرِيمًا مِيلَادَهُ)^(١) ، إذ فسّر أكثرهم الميثاق بالوقت الذي تسود فيه الثقة بين الناس فهو كالعهد بينهم أو هو الموضع الذي يثق فيه الناس بعضهم ببعض . والميلاد هو وقت الولادة أو محلّها^(٢) . وكذا (المضمار) في قوله (م) : (أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ وَغَدَا السَّبَاقَ وَالسَّبَقَةَ الْجَنَّةَ وَالْغَيْةَ النَّارَ)^(٣) ، فقد

أقر فريق من الشّواح دلالة المضمار على الزّمان وحده كما في قول الراونديّ : « المضمّر سميّ بذلك لأنّه تضمّر فيه الخيل ، فتضمير الفرس أن تغلفه حتّى يسمّن ثم تردّه إلى القوت وذلك في أربعين يوماً وهذه المدّة تسمى المضمار »^(٤) ، وصرح أكثرهم بدلالة المضمار على الزمان والمكان معا ، فمن حيث كونه وقتا يكون بمعنى المدة التي يضمّر فيها الفرس وهي أربعين يوماً على وفق ما ذكر الراونديّ ، ومن حيث كونه مكانا يكون بمعنى الموضع الذي يضمّر فيه الفرس لأنّه يتخذ للاستباق في هذا الموضع فيضمّر^(٥) . ويبدو أنّ دلالة (مفعال) على المكان والزمان تدخل في دلالاته على المبالغة ، فالميثاق هو شدّة الثقة والمبالغة بالاطمئنان ، والميلاد يدل على اهمية الولادة وعظيم حظوة المولود بينهم . وكذا ما في قوله (٤) : (وإني لعلى بيّنة من ربّي ومنهاج من نبّيّ ولني لعلى الطّريق الواضح ألقطه لقطاً)^(٦) ، فقد فسروا المنهاج بالطريق الواضح^(٧) ، مع أنّ الطريق الواضح مذكور بعده في كلام الامام (٤) ، فلا يعقل أن يكون المنهاج والطريق الواضح بالمعنى نفسه ، والأولى ان يكون المنهاج مبالغة في النهج والمعنى : السبيل المنجي من المهالك لأنّه معروف صلاحه سلفا فيكون مقرونا بعاملي الزمان والمكان . وكذا ما في قوله (٤) : (ولأنّ لهم لالظّ الم فلن فيوت أخذهُ وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه)^(٨) ، فقد جوزوا أن يكون معنى المرصاد موضع الرصد والترقب ، أي هو الطريق الذي يرصد فيه^(٩) مع أنّ الطريق مذكور بعده في (مجاز طريقه) ، والأولى أن يحمل المرصاد على المبالغة والشدّة في رصد الظالم رسدا يومئ ضمنا إلى زمان ومكان معلومين .

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص: ٢٣ .

(٢) ينظر : البحراني ٢٥١/١ والخوئي ٦٢/٢ ومغنية ٦٢/١ والتستريّ ١٢٤/٢ والشيرازي ٤٠/١ وأنصاريان ٥٢/١ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٢٨ ص: ٦٤ . (٤) الراونديّ ٢١٨/١

(٥) ينظر : البيهقيّ ١٥٧ الكيدريّ ٣٨٨/١ والمعتزليّ ٢٠٢/٩ ، ٨٨/٢٠ والسرخسي ٨٤/١ وعبد ١٩٠/١

والخوئي ١٨٥/١٦ ، ٥١٤/٢١ ومغنية ٣٩٣/١ وأبو الفضل ٨٠/١ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ٩٧ ص: ١٧٨ .

(٧) ينظر : البحراني ٤٠٧/٢ ومغنية ٧٨/٢ والتستريّ ١١٥/٢ والشيرازي ١١٥/٢ وأنصاريان ٣٢٩/١ .

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ٩٧ ، ص ١٧٦ .

(٩) ينظر : ينظر : المعتزليّ ٧١/٧ والبحراني ٤٠٤/٢ ومغنية ٧٣/٢ والتستريّ ٥٩٥/١٠ وأبو الفضل ٢١٦/١

وأنصاريان ٣٢٧/١ والشيرازي ١١٠/٢ والموسوي ١٤٢/٢ .

٣- مفعال آلة .

ومن أمثلتها في الشروح : المرصاد : آلة الرصد ، والمزمار : آلة التزمير^(١) . وهذه الدلالة منشعبة من المبالغة إن لم تكن داخلة فيها ، فالمرصاد مثلا لا يستقيم تفسيره بالآلة في كثير من المواضع كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبالمرصاد﴾^(٢) ، وقوله (٤) المذكور عمّا قريب . والأولى تفسيره بكثرة الرصد او الترقب . وأما معنى الآلة فمنشعب من المبالغة ؛ لأنها تفيد كثرة معالجة الفعل والدوام عليه فهي مبالغة من هذا الجانب . وكذا يبعد توجيه دلالة المزمار في

قوله (ج): «لَوْ أَنَّ شَيْئًا تَلْتَمَسُ بِدَاوُدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاحِبِ الْمَوَامِيرِ»^(٣) ، على الآلة التي يُزمر فيها ابتداءً^(٤) ، والأولى أن يكون المزمار مبالغة في الزمر ، أي : الحشد والتجميع^(٥) ، وكذا كان داود (عليه السلام) تجتمع حوله الكائنات بعد أن يناديها .

٤- مفعال بمعنى ذي الشيء .

ومنه ما في قوله (ج) يصف الفتنة : (يَهْبُ هَذَا الْأَكْيَاسُ وَيُدْوُّهَا الْأَرْجَاسُ مِرْعَادٌ مِبْرَاقٌ)^(٦) ، وفيه : فهي «مِبْرَاقٌ مِرْعَادٌ ، أي : ذات رعد وبرق»^(٧) . وواضح أن هذه الدلالة إلى المبالغة أقرب ، فالفتنة يكثر فيها الرعد والبرق وهو كناية عن الخوف والفرع وقد انفرد الخوئي بالتصريح بهذا فقال : «مِبْرَاقٌ مِرْعَادٌ : كثيرة الرعد والبرق»^(٨) .

(١) ينظر : البحراني ٤٢١/٢ ومغنية ٣٠٦/٢ ، والتستري ٧٧/٢ والشيرازي ٢٣٠/٢ وأبو الفضل ٣٧٥/١ والموسوي ٤١/٣

(٢) الفجر ١٤ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٦٠ ص: ٢٨٣ .

(٤) ينظر : المعتزلي ٢٣١/٩ والبحراني ٢٨٥/٣ والخوئي ٣٦٠/٩ ومغنية ٤٣٢/٢ والتستري ٧٧/٢

والشيرازي ٢٣٠/٢ وأبو الفضل ٣٧٥/١ والموسوي ٤١/٣ .

(٥) ينظر : المقاييس ٤٦٠ والقاموس ٣٧٤ والمفردات ٣٨٣ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١٥١ ص: ٢٦٥ .

(٧) أنصاريان ٦٩/٢ وينظر : المعتزلي ١٤٥/٩ وعبد ٦٠/٢ ومغنية ٣٦٧/٢ وأبو الفضل ٣٤٧/١

والموسوي ٤٧٢/٢ والشيرازي ٣٧١/٢ .

(٨) الخوئي ١٦٧/٩ .

المطلب الثالث : معاني فُعلان .

أقر الشراح لأمثلة هذا البناء دلالتين هما :

١- فُعلان جمعا .

وهو في قوله (ج) يحمد الله عزوجل : (سَجَدَتْ لَهُ بِالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ الْأَشْجَارُ النَّاصِرَةُ وَقَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضَاهَا أَلْتُنُونُ الْمُضِيئَةُ)^(١) ، فالقُضبان جمع قضيب وهو الغُصن ، والمعنى أنه بقدرته تعالى أخرج من الشجر الأخضر نارا^(٢) . ومن أمثله أيضا : الوُحْدان جمع واحد ، والرُّكبان جمع راكب ، وشُبان جمع شاب ، والغُران جمع غدير^(٣) . وقد انفرد

التستريّ بالتصريح بأن فُعلان يأتي جمعا للجمع فقال : « الرُّكْب أصحاب الإبل من الفُقر دون الدوابّ وهم العشرة فما فوقها والجمع أركب ، والرَّكبة بالتحريك أقلّ من الرُّكْب ، والرُّكبان الجماعة منهم »^(٤) . ويبدو أنّ هذا هو المدلول الدقيق لما ورد مجموعا على فُعلان فهو يشير إلى الجمع المتناهي أو المتوالي بلحاظ ختمه بالألف والنون التي تصرف كل ما تلحق به ، سواء كان جمعا أم مصدرا أم صفة إلى الدلالة على الإحاطة والشمول .

٢ - فُعلان مصدرا .

وهو في قوله (ع) يصف جيشه إلى معاوية : (وَزَوْرًا لَا يَسْرُكُ لِقْيَانَهُ)^(٥) ، أي : لقاءهم^(٦) . ومنها الفرقان بمعنى الفرقة ، والبُنْيَان بمعنى البناء ، والشُّكرَان بمعنى الشكر ، والغُفرَان بمعنى المغفرة ، والعُدْوَان بمعنى العداوة ، والسُّلْطَان بمعنى السلطة وغير هذا كثير^(٧) . ويمكن جمع هاتين الداليتين في أمثلة (فُعلان) على معنى واحد هو أنّ الفُعلان يفيد الدلالة على الإحاطة والاشتمال على الحدث أو فاعله ، فإن كان المشتمل عليه حدثا (فعلا) كان الفُعلان مصدرا، وإن كان المشتمل عليه (فاعلا) قيل هو جمع ، لكن دلالة فُعلان على المصدرية والجمعية دلالة جانبية وهي فرع من الدلالة الأصلية التي هي جمع الجنس عموما ، وهذه الدلالة متأة من ختم البناء بالألف والنون وهو مقطع يومي بالاشتمال والإحاطة . وقد ورد في القرآن الكريم عدة مصادر على فُعلان منها : البُهْتَان والخُسْرَان والعُدْوَان والكُفْرَان وهي مصادر ثلاثية تدل على المبالغة والشدة ، وبهذا انمازت من غيرها من المصادر التي وردت للفعل نفسه كالأخسر والعدو والبهت والكُفر ، ومعنى المبالغة والشدة في الفُعلان يتضح في الفرق بين الخسر

(١) نهج البلاغة خ ١٣٣ ص: ٢٤١.

(٢) ينظر: المعتزليّ ٢٧٣/٨ والخوئي ٣٩٤/٨ والشيرازي ٢٩٧/٢ والموسوي ٣٩٢/٢.

(٣) ينظر: المعتزليّ ١٤٤/٩ والبحراني ٤١٥/٣ وعبد ٤٣٨/١ والخوئي ٢٩٩/١٢ ومغنية ٢٧٦/٣.

والشيرازي ٢٧٤/٣ والموسوي ٤٠١/٣.

(٤) التستريّ ٤١١/١١.

(٥) نهج البلاغة ر ٩ ص: ٤٦٧.

(٦) ينظر: المعتزليّ ٥١/١٤ والخوئي ٣٣٤/١٧ وأبو الفضل ١٣٩/٢ والشيرازي ٤٤٣/٣ والموسوي ١٤٧/٤.

(٧) ينظر: البحراني ٤٥٦/٣ والخوئي ٢٩١/١٢ والتستريّ ٣٨٤/١٢ ، ٥٤/١٣ وأنصارين ٣٨٢/٢ والموسوي ٤٠١/٣.

والخُسْرَان كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾^(١) وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَفِيفٍ فَاِذَا أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنِ أَصَابَتْهُ فَتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خُسْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾^(٢) ، فالخُسْر عام يقع على أمور الدنيا وإن كانت صغيرة لكن الخُسْرَان خاص بالعبادة ولذا فهو خُسْر متتابع ينتهي بصاحبه إلى فقدان كل شيء ، فكأن الخُسْرَان جمع خسر من هذا الجانب^(٣) .

(١) العصر ٢ .

(٢) الحج ١١ وينظر: الكشاف ٧/٣ والبحر المحيط ٤٨٩/٧ .

(٣) ينظر: المفردات ٢٨٢ والتفسير البياني ٨٤/٢ ومعاني الأبنية ٢٠ .

المطلب الرابع : معاني فُعلان .

يرد فُعلان في العربية وصفا للمذكر دالا على الخلو والامتلاء وحرارة الجوف^(١) . وقد صرح الشراح بهذه الدلالة في امثلته التي وقفوا عليها ، ومنها (الثكلان) في قوله (ي) واصفا زمانه بالجور فقسم الناس على خمسة اصناف : فلهم م بين شريد ناد ولخ ف مقم ع وسأكت م كعوم وداع مخلص و ثكلان موجع...^(٢) . فالثكلان وصف على فُعلان من الثكل بمعنى شدة الحزن على فقد الأحبة نحو العطشان وغيره^(٣) .

وقد ذهب القدماء الى أنّ (فَعَلان) يأتي بمعنى (فعل) و(أفعل) نحو : عَطِشان وَعَطِشَ وَجَرِبانَ وَأَجْرِبُ^(٤) ، وفرّق الدكتور فاضل السامرائي بين (فَعَلان) وغيره من الأوصاف بأنّ (فَعَلان) وصف عارض و(أفعل) وصف ثابت ، فالجَربان ليس كمعنى الأَجْرِب ؛ لأنّ (فَعَلان) وصف عارض أما أَجْرِب فهو دالٌّ على الثبوت ، وكذا (غَضبان) و(غَضِب) ، ففي (فَعَلان) من الامتلاء بالوصف وحرارة الباطن ما ليس في (فعل) الذي يلحظ فيه معنى الداء على نحو جلي بخلاف (فَعَلان)^(٥) .

ويمكن القول : إنّ (فَعَلان) في الصفات يفيد الدلالة على تتابع الصفة لدى الموصوف وتواليها لديه ، فكأنّه مشتمل عليها محيط بها مبالغ في القيام بها او الاتصاف بها . وأقرب أمر الفَعَلان ان يكون مبالغة ل (فاعل) ؛ فالتكّلان مبالغة ل (تاكل) اسم فاعل . وهذه المبالغة التي أقرها الصرفيون هي في الحقيقة نوع من انواع الجموع ، وانما يوصف المفرد بـ (فَعَلان) لأنه اجتمع لديه شيء ما ، فالتكّلان اجتمع لديه التكل فهو بمنزلة تاكل ثم تاكل ثم تاكل ، ومن هنا يفهم معنى الجمع في كل ما ختم بالف ونون في العربية .

وقد ذكرت المعجمات أمثلة نزرّة من المصادر جاءت على (فَعَلان) منها (ليان)^(٦) ، ولم يأت في متن النهج (فَعَلان) مصدرا .

(١) ينظر: الكتاب ٢١/٤ - ٢٥- والمخصص ٤١/١٤ وشرح الشافية ١٤٣/١-١٤٤ وشرح الأشموني ٣١٣/٢ وهمع الهوامع ١٦٩/٢ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ٣٢ ص:٧١ .

(٣) ينظر: البحراني ٤٥٦/٣ وعبده ٨٧/١ والخوئي ٥٦/٤ ومغنية ٢١٧/١ والتستري ١٥٧/٨ وأنصاريان ٣٨٣/٢ والسامرائي

(٤) ينظر: الكتاب ١٩/٤ وشرح الشافية ١٤٦/١

(٥) ينظر: معاني الأبنية ٩٤

(٦) ينظر: الصحاح ٩٦٠ .

المطلب الخامس : معاني فَعَلان .

فَعَلان بناء تدلّ أمثلته على الجمعية غالبا ، وهو مطّرد في الأجوف^(١) ومن أمثلته في النهج : الثَّيران جمع النار ، والثَّينان جمع الثَّون ، والغَيْطان جمع الغَيْط ، والقِيعان جمع قاع ، والجِيران جمع الجار^(٢) . وقد أشار سيبويه إلى أنّ ((ما كان فعلا ، فإنّه يكسّر على أفعال إذا أردت بناء أدنى العدد ... وإذا أردت بناء أكثر العدد كسّرته على فعَلان ،

وذلك نحو : جيران وقيعان وتيجان»^(٣) ، وقال أيضا : «وأما فعول ... فإذا أردت بناء أكثر العدد كسرتة على فعلان وذلك خرفان وقعدان»^(٤) . وواضح من قولي سيبويه هذين أن (الفعالن) من نوع الجمع المتناهي في الدلالة على العدد . وجاء الفعلان مصدرا قليلا في متن النهج ، نحو : العرفان في قوله (م) في ذكر الله : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ ... وَرَدَعَ خَطَايَا هَمَاهِمِ النَّفُوسِ عَنْ عِرْفَانٍ كُنْهٍ صَفْتِهِ)^(٥) ، ف « العرفان : المعرفة وكلاهما مصدر»^(٦) . ويلحظ من قوله (م) أن العرفان أقصى درجات المعرفة فكأنه من هذا الجانب معرفة متوالية متتابعة . ولا ينفع تفسير العرفان بالمعرفة وحدها .

(١) ينظر: التكملة ٤٠٣ .

(٢) ينظر: المعتزلي ٢٧/٧ و ٢٧٣/٨ و ١٧٢/١٠ و ١٩٩/١٠ و ١٥٣/١٣ والبحراني ٣٠٣/١ و ٤١٥/٣ و ٢٤٧/٤ .

(٣) الكتاب ٥٩٠/٣ .

(٤) الكتاب ٦٠٧/٣-٦٠٨ .

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٥ ص: ٣٨٧- ٣٨٨ .

(٦) الراوندي ٢٨٥/٢ وينظر: المعتزلي ١٧٢/١٠ والبحراني ٤٣٣/٣ والخوئي ١٨٧/١٢ والتستري ٢٤٩/١ والموسوي ٣٧٩/٣ والشيرازي ٢٥١/٣ .

المطلب السادس: معنى فعلان .

وهو بناء ذو امثلة كثيرة في متن النهج تجتمع لدى الشواح على معنى المصدر الدال على الحركة والاضطراب غالبا، من ذلك (الميدان) في قوله الامام: (م) يصف خلق الارض: (وَوَدَّ بِالصُّخُورِ مَيْدَانَ رُضِيهِ)^(١) إذ هو بمعنى حركة الارض بتمايل وتقلبها في عدة جهات^(٢) . والموجان في قوله (م) يصف خلق الأرض أيضا : (فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوْجَانِ مِيَاهِهَا)^(٣) . فالموجان مصدر دال على الاضطراب كالميدان والتزوان والخفقان^(٤) . وكان سيبويه قد اصطلح

على دلالة هذا البناء بزعة البدن واهتزازه في الارتفاع والتجيش والتثور والتقلب والتصرف^(٥). وعزا ابن جني إفادة (فعلان) معنى التقلب والاضطراب الى توالي الفتحات الثلاث في بنائه لانهم ((قابلوا بتوالي حركة المثال توالي حركة الأفعال))^(٦). وكان فريق من الشراح قد أنس بحشد مصادر الثلاثي الذي سمع منه (فعلان) ولم يفرقوا بين الفعلان وغيره نحو: ((الميّد كالميدان))^(٧) ، و ((الهياج كالهيجان))^(٨) و ((الشّت كالثنتان))^(٩) و ((الحياة كالحَيوان))^(١٠) لكن ثمة فرقا كبيرا بين الفعلان وغيره وهو ظاهر في قرنهم الفعلان بالحركة والاضطراب بخلاف غيره من المصادر فضلا عن أن زيادة الألف والنون في آخره صرفت دلالته إلى التتابع والاستمرار وبهذا يفرق بين الحياة والحَيوان فقد خصّ القرآن الكريم الحياة بالدنيا لأنها حياة فانية يعقبها سكون على حين سمي ما في الآخرة حَوَان لأنها حياة دائمة لا موت فيها .

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص ١٧ .

(٢) ينظر: الكيدري ١٢٠/١ والمعتزلي ٦٢/١، ٢٤٢/٦، ومغنية ٧٢/١ وأنصاريان ٢٤/١

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٢١١ ص: ١١٣ .

(٤) ينظر: المعتزلي ٥٩/١١ والسرخسي ١٣٩/١ والخوئي ٦٧/١٤-٦٨ وأنصاريان ٨٢/١ .

(٥) ينظر: الكتاب ١٤/٤-١٦ .

(٦) الخصائص ١٥٥/٢

(٧) المعتزلي ٦٢/١

(٨) نفسه ١٣٩/٦ .

(٩) نفسه ١٥٥/٥

(١٠) أنصاريان ١٣٤/٢

المطلب السابع : معاني تَعَال

فَرَّ سببويه وخالفوه دلالة أمثلة التَعَال على المبالغة في مصدر الثلاثي وتكثيره ، فالتَهْذَار مبالغة في الهذر ، والتَلْعَاب مبالغة في اللعب ، والتَجْوَال مبالغة في الجَوْلَان ، والترداد مبالغة في الرد^(١) . فالتفعال مبالغة من مصادر الثلاثي وليس مصدرا لـ(فعل) مرادفا للتفعيل مثل ما وهم بعض الشراح حين عدّ التفعال والتفعيل مصدرين للمزيد بالتضعيف أحدهما مسموع والآخر مقيس فقال : ((التركاض مصدر للفعل ركض بالتضعيف للمبالغة في الركض ، ومثله التَّجْوَال مصدر للفعل جَوَل ، ومثل هذا كثير نحو تَرَحَاب ، وتَحَلَّق ، وتَسْفَار ، وتَرَحَال ، وغير ذلك ولكنه مقيد بالسماع ، والقياس في

مصدر (فعل) تفعيل ، نحو: دَرَبَ ومصدره تدريب ((^(٢)). وقد ورد في النهج طائفة من أمثلة (تفعال) فسرها الشّراح بتكثير مصادر الثلاثي والمبالغة فيها ، من ذلك : التَّرْحَالُ: مبالغة في الرحلة ، والتَّرْكَاضُ : مبالغة في الركض ، والتَّهْمَامُ : مبالغة في الهَمَّ (^(٣)).

وقد تلحق التاء في آخر التفعال ، وحينها يدل البناء على منتهى المبالغة والتكثير فضلا عن وصف الأسماء بالحدث المبالغ به ، ومن أمثلة ذلك (لذَّلْعَابَةُ) في قوله (م): (عَجَبًا لِأَبْنِ النَّابِغَةِ ! يَزَعُّ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنْ فِي دُعَابَةٍ ، وَأَنِّي أَمْرُؤُ تَلْعَابَةٌ) (^(٤)) ، فقد أطبق الشّراح على أن التلعابة مبالغة في كثرة اللعب ، والكثرة مفهومة من وزن (التلعاب) ، أما التاء فليست للتأنيث ، بل لاستقصاء تلك الكثرة ولصرف الحدث إلى الأسماء (^(٥)). وهذا هو حاصل قول ابن جني في الهاء التي تلحق صفات الذكور عموما ، كالعلامة والرأوية والتلعابة فهي « لم تلحق لتأنيث الموصوف بما هي فيه ، وإنما لحقت لإعلام السامع أن هذا الموصوف بما هي فيه قد بلغ الغاية والنهاية ، فجعل تأنيث الصفة أمانة لما أريد من تأنيث الغاية والمبالغة ، وسواء كان ذلك الموصوف بتلك الصفة مذكرا أم مؤنثا ؟ » (^(٦)) ، وزاد العسكري أن هذا الوصف المختوم بالتاء « يقوم مقام جماعة علماء ، فدخلت الهاء فيه لتأنيث الجماعة التي في معناه ولهذا يقال : الله علام ولا يقال له علامة » (^(٧)).

(١) ينظر: الكتاب ٨٣/٤-٨٤ والأصول ١٣٦/٣ والتبصرة ٧٧٠/٢ ودقائق التصريف ١٨ والمفصل ١١٥ .
وشرح الشافية ١٦٧/١ وشرح المفصل ٥٥/٦ .

(٢) السامرائي ١٨٢

(٣) ينظر: المعتزلي ٨٠/٢ ، ١٠١/١٠ والبحراني ٧٥/٥ وعبده ٨٩/١ ، ٦٥/٣ والخوئي ٣٤٩/١٠ ومغنية ٢٧٢/٥ والتستري ٢٧/٣ ، ٤٥٢/١٣-٤٥٣ والسامرائي ٢١٦ وأنصاريان ١٩٧/٢

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ٨٤ ص: ١٣٦.

(٥) ينظر: الراوندي ٣٥٢/١ والمعتزلي ٢٨٠/٦ ، ٣٥٢/٦ والبحراني ٢٧٩/٢ والسرخسي ٨٧/١ وعبده ١٨٢/١ والخوئي ٧٤/٦ ، ٥٠/٧ وأنصاريان ٢٣٦/١ والموسوي ٥١٠/١ .

(٦) الخصائص ٢٠٣/٣.

(٧) الفروق اللغوية ٦٨.

المطلب الثامن : معاني فَعِيل

فَعِيلُ بناء يدل على المبالغة اتفاقا ، ويختلف عن غيره من أبنيتها في أن أمثلته تدل على من أولع بالفعل وداوم عليه فيكون الفعل له عادة ، قال ابن قتيبة : « فَعِيلٌ وهو لمن دام منه الفعل نحو: رجل سَكِرَ كثير السكر ، وَخَمِرَ كثير الشرب للخمر ... ولا يقال ذلك لمن فعل الشيء مرة واحدة أو مرتين حتى يكثر منه أو يكون له عادة » (^(١)). وقد ورد في متن النهج طائفة من أمثلة (فَعِيل) أقر الشّراح دلالتها على أعلى درجات المبالغة في القيام بالفعل او الاتصاف به ، منها (الضِّلِيلُ) في قوله (م) يصف بعض الملاحم : (لَكَأَنَّيَ أَظُرُّ إِلَى ضِلِيلٍ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ وَفَحَصَ بِرَالِيهِ فِي

صَوَاحِي كُؤَانٍ^(٢) ، فالضَّلِيلُ هو الكثير الضلال والإضلال كالشَّرِيبِ والفِسيقِ ، المبالغ فيهما ، أو هو الضالُّ جدًّا الذي يتَّبَع الضلالة كثيرا^(٣). ووصف الرضيِّ في متن النهج الجاحظ بالدَّلِيلِ الخَرِيْتِ^(٤) ، فالدَّلِيلُ معناه الحاذق في الاستدلال على الأشياء ، والخَرِيْتِ الرجل الماهر الخبير مشتق من الخَرْتِ وهو النَّقْبُ كأنه خبير بدقائق الأمور^(٥). وورد في شروح النهج مثال على هذا البناء فسره الشَّراح بالدلالة على العلمية بعد أن أوضحوا أنه في الأصل مبالغة في القيام بالفعل أو الاتصاف به ، ثم نقل الى الاعلام لكثرة الاستعمال ، وهو (صِفَيْن) ، إذ جوز المعتزلي وغيره دلالته على الأرض المعروفة لأنها تصفن فيها الخيل أو تصطف فيها الأقدام ، اذ يقال : صفن الفرس اذا قام على ثلاث وأقام الرابعة على طرف الحافر ، أو من صفن القوم إذا صَفُّوا أقدامهم لا يخرج بعضها من بعض فسميت صِفَيْن لكثرة ما فيها من صُفُون الخيل أو اصطفاف الأقدام وهو كناية عن التهيؤ للحرب^(٦).

ويبدو أن (فَعِيل) يفيد في آن واحد الدلالة على القيام بالفعل على نحو المبالغة والكثرة ثم الاتصاف به ، فالصَّدِّيق يلقب بذلك لأنه صادق ومُصدِّق في آن واحد ، فيكون الصدق في ذاته طبعا وعادة فوصف به من لدن الآخرين ، وكذا السَّكِّير يكون السكر له طبعا وعادة لكثرة ما عرف على تلك الهيئة . والمبالغة بـ (فَعِيل) هي الأعلى والأشد لما فيه من كسر فائه وتشديد عينه وامتداده بالياء التي قبل آخره .

(١) أدب الكاتب ٤٢٥ وينظر: حاشية الصبان ٣/٣ ومعاني الأبينة ١١٨ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٠١ ص ١٨٣ .

(٣) ينظر: الراوندي ٤١/١ والمعتزلي ٩٩/٧ ، ١٧٠/٢٠ ، وأبو الفضل ٢٢٦/١ والسامرائي ٢٤٢ ومغنية ٣٨٨/٢ والسرخسي ١٠٥/١ .

(٤) ينظر: نهج البلاغة ص ٧٢

(٥) ينظر: الخوئي ٥/٤ والتستري ١٦٣/٨ .

(٦) ينظر: المعتزلي ١٣١/١ والخوئي ٢٦٧/٢

المطلب التاسع : معاني فَعَال .

غلب الشَّراح تبعا للمصرفيين^(١) دلالة فَعَال على المبالغة والكثرة في القيام بالفعل نحو : (الْمَنَّان) بمعنى « كثير المنّ والإنعام على عباده »^(٢) و «الرَّخَّار: مبالغة في الزاخر »^(٣) ، أو هو « شديد الزخر، اي : الامتداد »^(٤) ، و « التَّيار أعظم الموج »^(٥) ، و « الخَبَّاط بناء المبالغة من الفعل خبط . وخبط الليل سار فيه على غير هدى »^(٦) . والمخ فريق منهم إلى دلالة بعض أمثلة (فَعَال) على النسب بمعنى ذي الشيء ؛ لأنها لا يستقيم تفسيرها على المبالغة نحو : الظلام في قوله تعالى: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾^(٧) ، والمعنى « صيغة نسبة ، أي : ذي ظلم »^(٨) . ولنا فُسْر الظَّلام بـ (ذي ظلم) لأن معنى المبالغة في ظلام لا ينفي كونه ظالماً تعالى عما يقول الجاهلون علوا كبيرا . وكان

العسكري قد فسّر دلالة (فعل) على الكثرة والمبالغة بأن أمثلته تفيد تكرار الشيء عدة مرات ، ف « إذا فعل الفعل وقتا بعد وقت قيل : ففعل مثل علام وصبار »^(٩) . ومن هنا يفهم شيوع أمثلة هذا البناء دالة على صاحب الحرفة كالفصّاب والنجّار والخياط وغير ذلك كثير لأنه يفعل ذلك وقتا بعد وقت .

المطلب العاشر : معنى فِعُول .

فِعُولُ بناء له في متن النهج فضلا عن العربية^(١٠) دلالة واحدة هي الصفة المشبهة بأسم الفاعل التي تفيد القيام بالفعل إلى درجة الاتصاف به في آن واحد ؛ لأنه يأتي به على وجه الثبوت واللزوم ، وأشهر أمثلة هذا البناء : (قِيَوْم) ، إذ هو في القرآن الكريم ونهج البلاغة ، قال تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾^(١١) ، وقال (ع) : (... نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ لَا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ)^(١٢) ، و « القِيَوْم هو القائم بذاته المقيم لغيره ، وكل قائم لذاته فهو موجود واجب الوجود »^(١٣) .

(١) ينظر: الكتاب ٣٨١/٣ والمقتضب ١٦١/٣ والمخصص ٦٩/١٥ وشرح الشافية ٨٤/٢-٨٥.

(٢) المعتزلي ٥٧/١٣ وينظر : أنصاريان ٢١٠/٢ .

(٤) البحراني ١٧٢/١ ،

(٥) أنصاريان ٢٩٢/١ ،

(٦) السامرائي ٢٦١ ،

(٧) فصلت ٤٦ .

(٨) الشيرازي ٧٩/٣ ،

(٩) الفروق اللغوية ١٢ ،

(١٠) ينظر: الفخر الرازي ٤/٧٣-٦ .

(١١) البقرة ٢٥٥ ،

(١٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٦٠ ، ص ٢٨٠ .

(١٣) البحراني ٢٦٠/٣ وينظر: ٥٠/٣ .

ومن أمثلته أيضا : الصِّيُورُ في قوله (ع) يصف الموتى : (يَمُضُونَ لِرُسُلًا إِلَى غَايَةِ الْاِتِّهَاءِ وَصَيُورِ الْفَنَاءِ)^(١) ، ف « صَيُورِ الْأَمْر: آخره وما يؤول إليه »^(٢) ، أو « ما يرجع إليه منه »^(٣) . وكذا الصيخود بمعنى الصخرة الصلبة^(٤) . ويبدو أن أمثلة (فيعول) لشدة دلالتها على لزوم الموصوف قامت مقامه فاقتربت من الاسماء نحو : الدَّيْجُور : شدة الظلام . والخَيْشُوم : اقصى الانف^(٥) .

حادي عشر: معنى فعالة

بناء بدلالة واحدة في متن النهج بل لم يرد له إلا مثالان في العربية هما في قوله (ع) في استنهاض أصحابه لقتال أهل الشام : (فَإِذَا أَمَرْتُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ لْتَمَّ : هَذِهِ حَمَارَةُ الْقَيْظِ ، أَمَهْلُنَا يُسْبِخُ عَنَّا الْحَرُّ ، وَإِذَا أَمَرْتُمْ بِالسَّيْرِ

إِلَيْهِمْ فِي الشّتَاءِ لْتُمْ : هَذِهِ صَبَارَةٌ الْقُرِّ ، أَمَهْلُنَا يَنْلِدُحُ عَنَّا الْبُرْدُ^(٦) ، وَأَطْبِقُ الشَّرَاحَ عَلَى أَنَّ حَمَارَةَ الْقَيْظِ بِمَعْنَى : شِدَّةَ
الْحَرِّ ، وَصَبَارَةَ الْبُرْدِ بِمَعْنَى شِدَّةِ الْبُرْدِ ، وَكُلٌّ مِنْ (حَمَارَةٌ) وَ (صَبَارَةٌ) مَبَالِغَةٌ فِي الْحَرِّ وَالْبُرْدِ^(٧) . وَاللَّفْظَانِ مِنْ غَرِيبِ
نَهْجِ الْبَلَاغَةِ فَضْلًا عَنِ الْعَرَبِيَّةِ^(٨) .

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ ، ص ١٢٣ .

(٢) المعتزلي ٢٤٩/٦

(٣) البحراني ٢٤٢/٢

(٤) ينظر: المعتزلي ٤٤١/٤

(٥) ينظر: المعتزلي ٤٤٢/٦

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ٢٧ ، ص ٦٣

(٧) ينظر: المعتزلي ٧٩/٢ والبحراني ٣٢/٢ وعبدہ ٨٨/١ والسامرائي ١٣٧ والشيرازي ٥٤/١

(٨) ينظر: الصحاح ٢٦١ ، ٥٦٨ .

المبحث الرابع

دلالة أبنية الأفعال

توطئة : مفهوم الفعل وزمنه لدى الشراح .

الفعل هو ما دلّ على حدثٍ مقترنٍ بزمنٍ . والزّمن عنصر رئيس في مدلول الفعل يميّزه من الاسم ، وقد قسّم علماء العربية الفعل العربيّ على ثلاثة أقسام بحسب دلالاته على الزمن ، قال سيبويه : «أما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وثبتت لما مضى وما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع»^(١) . والفعل لفظ يستدعي فاعله ويومئ

إليه وإن لم يُذكر معه في الجملة . ومن هنا عدّ بعض شراح النهج الفعل لفظاً مركباً ؛ لأنه « ممّا يدلّ جزؤه على جزء معناه دلالة مقصودة ... مثل : (قم) حال كونه أمراً فإن له جزءاً مقدّراً وهو أنت ... وسائر الأفعال المضارعة فإن جزء لفظ كل واحد منها يدلّ على جزء معناها إذ الألف تدل على التثنية والواو على الجمعية وحروف المضارعة على معنى في المضارع »^(٢) . وأما الفعل الماضي فإنه « بمادّته يدلّ على الحدث وبهيأته على حصول ذلك الحدث في الزمن الماضي والهيأة جزء اللفظ »^(٣) .

وأشار العلماء إلى أن زمن الفعل ليس ثابتاً على جهة واحدة معه فقد ينصرف الفعل من زمان إلى آخر بالقرائن والأدوات^(٤) . على حين أشار بعض شراح النهج إلى أن الفعل قد ينسلخ عن الزمان إذا كان الفاعل هو (الله) ؛ لأنّ صفات الذات الإلهية إذا صيغت في قالب الفعل انسلخ الفعل بالنسبة إليها عن الزمان فإذا قيل : **لَمَلِئَهُ** **وَعَلَا** وَقَدَّرَ وما أشبهه لا يراد بها أنّه تعالى صار إلى تلك الصفات بعد أن لم يكن ، بل المراد نسبة المصدر إلى الذات بمعنى إنه عالم قادر عالٍ وهكذا^(٥) . وهنا تكون الأفعال عموماً دالّة على الزمن ابتداءً وتحفظ بهذه الدلالة مع سائر الفاعلين ولكنها تتسلخ عن الزمن إن صدرت من الباري تعالى ؛ لأنّ أفعالها جلّ شأنه لا تقترن بزمن دون غيره كما لا يحيط بها مكان دون آخر . وقلب بعض الشّراح الأمر في مسألة اقتران الأفعال بالزمن فرأى أن الفعل لا وضع له للزمان (ابتداءً) وإنما ينصرف من ذلك انصرافاً حسب القرينة العامة والمعنى إن قدرته العامة هي الموجبة لكونه سبحانه عالياً رفيعاً^(٦) . وقد احتدمت الأفعال في متن النهج فبرع الشّراح في تتبّع دلالاتها بحسب أبنيتها ولتفصيل ذلك قُسم هذا المبحث على أربعة مطالب :

(١) الكتاب ٢/١ . (٢) الخوئي ١٣/١ . (٣) نفسه ١٤/١ .

(٤) ينظر: دلائل الإعجاز ١٣٣-١٣٤ ومعاني الأبنية ٩-١٧ والزمن في اللغة العربية ٤٣-٥٠ .

(٥) ينظر: البحراني ٢٩/١ والخوئي ١٧/١ .

(٦) ينظر: الشيرازي ٣١٠/١-٣١١ .

المطلب الأول : دلالة الفعل المجرد .

اتخذت دلالة الفعل المجرد لدى الشّراح سبيلين :

الأول : مجيء الفعل المجرد بمعنى المزيد .

أثر عن القدماء ركونهم إلى تساوي المعنى بين (فَعَلْتُ وَأَفَعَلْتُ) و (فَعَلْتُ وَفَعَلْتُ) و (فَعَلْتُ وَفَاعَلْتُ) وغير ذلك^(١) . ومن ثمّ أقرّ الشّراح دلالة الفعل المجرد على مدلول الفعل المزيد باختلاف أنواعه سواء منه المزيد بحرف واحد أم بحرفين أم بثلاثة وكما يأتي :

- ١- **الفعل المجرد بمعنى فَعَلَ** . ومن أقوالهم في هذه المسألة : « هَرَّرَ : رَدَّ صَوْتَهُ فِي حَنْجَرَتِهِ وَكَذَلِكَ هَرَّرَ بِالتَّشْدِيدِ »^(٢) ، و « فَعَلَ وَفَعَّلَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ نَحْوَ ذَمَّرَ وَذَمَّرَ »^(٣) ، و « غَرَدَ الطَّائِرُ كَفَرِحَ وَغَرَّدَ تَغْرِيدًا رَفَعَ صَوْتَهُ وَطَرَبَ بِهِ »^(٤) . ولا شك في أن فَعَلَ المشدّد يختلف عن المجرد لإفادته معنى المبالغة والكثرة على وفق ما سيأتي .
- ٢- **الفعل المجرد بمعنى أفعَلَ** . كما في أقوالهم : « أوتهم الحال بالمدّ أي ضمّتهم وأنزلتهم ، قال تعالى : ﴿ءَاوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾^(٥) ، أي : ضمّه إليه وأنزله ، ويجوز أَوْهُمْ بِغَيْرِ مَدٍّ ، أفعلت في هذا المعنى وفعلت واحد »^(٦) . و « جَهَّدْتُ دَابَّتِي بِالْفَتْحِ وَيَجُوزُ أَجْهَدْتُهَا إِذَا حَمَلْتَ عَلَيْهَا فِي السَّيْرِ فَوْقَ طَاقَتِهَا »^(٧) .
- ٣- **الفعل المجرد بمعنى فاعَلَ** . نحو : يَأْخُذُهُمْ بِمَعْنَى يُوَاخِذُهُمْ^(٨) .
- ٤- **الفعل المجرد بمعنى افتعل** . نحو : « وَحَسَمْتُ الرَّجُلَ وَاحْتَسَمْتَهُ بِمَعْنَى ، وَهُوَ أَنْ يَجْلِسَ إِلَيْكَ فَتَوَيَّخَهُ وَتَغْضِبَهُ »^(٩) ، و « جَاخَهُ مِنْ بَابِ قَالَ وَاجْتَاخَهُ بِمَعْنَى أَهْلَكَه وَاسْتَأْصَلَهُ »^(١٠) .
- ٥- **الفعل المجرد بمعنى انفعَلَ** . إذ « يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِعْلٌ بِمَعْنَى انْفَعَلَ كَقَوْلِهِ : جَبَّزُهُ مُكَانَ أَنْجَبَرٍ »^(١١) . و « زاح وانزاح تتحى »^(١٢) . و « تَرَسَتْ كَأَنْدَرَسَتْ أَيِ انْطَمَسَتْ »^(١٣) .
- ٦- **الفعل المجرد بمعنى تفعلّى** . نحو « عَطَفَ عَلَيْهِ وَتَعَطَّفَ إِذَا اشْفَقَ »^(١٤) . و « عَجِبْتُ مِنْ كَذَا وَتَعَجَّبْتُ بِمَعْنَى »^(١٥) و « حَارَ : تَحَيَّرَ »^(١٦) .

(١) ينظر: الكتاب ٦٢/٤ - ٦٥ وأدب الكاتب ٣٣٠ - ٣٤٧ وشرح الشافية ٩١/١ - ٩٩ والمزهر ٨٢/٤ - ٨٤.

(٢) المعتزلي ١٩٢/٧ . (٣) البحراني ٤٠٣/١ . (٤) أنصاريان ٣٠٢/١ .

(٥) يوسف ٦٩ وينظر: الكشف ٣٣٣/٢ . (٦) المعتزلي ١٣١٧٤ . (٧) المعتزلي ١٠٣/٧ وينظر: أنصاريان ٣٠٠/١ .

(٨) ينظر: الراوندي ٢٤٥/٣ وأبو الفضل ٣١٩/١ . (٩) أنصاريان ٢٢٥/٣ .

(١٠) الخوئي ٣٣١/١٧ و للمزيد ينظر: الكيبري ٣٩٤/١ والمعتزلي ٢٨٤/١ ، ٢٦٦/٦ والبحراني ١٠٢/٣ وأنصاريان ١٦٧/٣ .

(١١) المعتزلي ٢٧٤/١ وينظر: الراوندي ١٧٠/١ والكيبري ٢٠١/١ .

(١٢) البحراني ٤٠٣/١ . (١٣) عبده ٣٣/١ .

(١٤) البحراني ٢٦٧/٤ وينظر: الراوندي ٢٦٦/١ (١٥) أنصاريان ٣١٩/٢ (١٦) الخوئي ٣٨٢/٧ .

٧- **الفعل المجرد بمعنى استفعل** . ك « حَقَّرَ بِالتَّخْفِيفِ بِمَعْنَى اسْتَحَقَّرَ »^(١) ، و « عُدْتُ بِفُلَانٍ وَاسْتَعَدْتُ بِهِ ، أَي :

التَّجَأْتُ إِلَيْهِ »^(٢) . و « ذَكَتِ النَّارُ وَاسْتَذَكَتْ : اشْتَدَّ لَهْبُهَا »^(٣) ، و « قَرَّتْ ، أَي : اسْتَقَرَّتْ »^(٤) .

وفي عدة أمثلة غير ما ذكر آنفا جمع فريق من الشّواح افعالا - تشابهت في الاشتقاق واختلفت في البنى - على دلالة واحدة كقول المعتزلي : « هاج الماء واهتاج وتهيج كله بمعنى أثار »^(٥) ، و « أغامت الآفاق غطاها الغيم ، وغامت وأغيمت وتغيّمت كلّه بمعنى »^(٦) . وقول الخوئي : « نَبَأٌ وَنَبَأٌ وَأَنْبَأٌ كُلُّهَا بِمَعْنَى »^(٧) .

ومن الاسراف في القول حمل عدة افعال ذات بنى مختلفة على معنى واحد دون النظر الى ما تحدّثه الزيادة في المبنى من تغيير في المعنى ، وكذا من الإسراف تفسير فعل معين بأخر شاركه في أصل الاشتقاق واختلف عنه في

البنية على وفق ما سبق ذكره . ولذا لم يلتزم الشّواح بدلالة الأبنية الفعلية المختلفة على معنى واحدة في معظم المواضع ، بل تلحظ العناية لديهم بالفروق الدلالية بين أمثلة الأفعال التي اشتركت في أصل الاشتقاق واختلفت في البنى من حيث التجرد والزيادة ، وأكثر ما يلحظ ذلك لدى الشّواح المتقدمين كالروانديّ والمعتزليّ والبحراني ، من ذلك قول الروانديّ : «يهلّون ويرفعون أصواتهم بالتلبية ونحوها ... ويهلّون أي يقولون : لا إله إلا الله»^(٨) ، وقوله أيضا « صنع فلان كذا أي فعله ، واصطنعه أي فعله لخاصة أمره »^(٩) . وقوله أيضا : « بعثه وابتعثه بمعنى أرسله ، وفي الابتعاث تأكيد ليس في البعث »^(١٠) . ومنه « كبّه لوجهه صرعه فهو كابّ ، ولا يقال أكبّه . فكبّ متعد وأكبّ لازم وهو على خلاف القياس يقال كببته فأكبّ هو على وجهه »^(١١) ، وقوله أيضا : « يقال : كفأت الإناء ، أي : كببته ، وكفأت الإناء : أمليته »^(١٢) . وكذا قوله : « أويت المكان نزلت به ، وأويته أنزلته به »^(١٣) . ومن أقوال المعتزليّ : « شرقت الشمس طلعت ، وأشرقت بالهمزة إذا أضاعت وصفت »^(١٤) . ومن أقوال البحراني : « تقول : قضت البيضة كسرتها ، وانقاضت تصدعت من غير كسر ، وتقبيضت انكسرت فلما »^(١٥) . والأمر نفسه يلحظ لدى الشّواح الآخرين الذين فرقوا بين : (هم واهتم) بأن (هم) بمعنى أذاب من هَمَمْتُ الشّحم أي أذبتُهُ ، وأهمّ بمعنى أحزن . وصدّيت الرجل نارا اذا أعددتها له ، ويقال : أصليتُهُ نارا إذا أدخلته فيها كأنك تريد الإحراق^(١٦) .

(١) الروانديّ ١١٦/٢ .	(٢) المعتزليّ ٢٧٣/٦	(٣) أنصاريان ٣٦٣/١
(٤) المعتزليّ ١٦٨/١ .	(٥) نفسه ٤٣٩/٦	(٦) نفسه ٣٣/٧ .
(٧) الخويّ ١٥٣/٢	(٨) الروانديّ ٢٥٢/٢ .	(٩) نفسه ٢٠١/٢
(١٠) نفسه ١٢٠/٢	(١١) نفسه ٤٤/٢	
(١٢) نفسه ٣٥٨/٢ وينظر: المعتزليّ ١١٠/٧ والبحراني ٤٥/٤		
(١٣) الروانديّ ٢٦٣/٢		
(١٤) المعتزليّ ٢٩/٧ وينظر: أنصاريان ٣٠٣/١		
(١٥) البحراني ٢٩٢/٣ .		
(١٦) ينظر: عبده ٢٨٧/١ والخويّ ٩١/٨ والسامرائي ٢٣٤ وأنصاريان ٤٠٠/١ .		

الثاني : معاني الفعل المجرد بحسب حركة عينه .

يقسم الفعل المجرد بحسب حركة عينه على ثلاثة أقسام :

- ١- مفتوح العين (فعل) .
- ٢- مكسور العين (فعل) .
- ٣- مضموم العين (فعل) .

ويعد مفتوح العين من أخف أبنية الأفعال وأكثرها ورودا في متن العربية ومن ثمّ كثر التصرف فيه والتعبير به ، ذلك « إنّ فعل مفتوح يقع على معان كثيرة لا تكاد تنحصر توسعا فيه لخصّة البناء واللفظ . واللفظ إذا خفّ كثر استعماله

واتسع التصرف فيه»^(١). وقد أورد ابن مالك في التسهيل عدة معان له جمعها في قوله : « الجمع ، والتفريق ، والاعطاء ، والمنع ، والامتناع ، والايذاء ، والغلبة ، والتحويل ، والاستقرار والسير ، والتجريد ، والرمي ، والاصلاح ، والتصويت»^(٢). وأما القسمان الآخران فقد ذكر سيبويه أن (فعل) مكسور العين يفيد الدلالة على الألوان والأمراض والصحة والذعر والخوف والهيج والاضطراب والأشياء المتعدرة المكروهة والجوع والعطش والشبع والرّي^(٣). و(فعل) مضموم العين يدلّ على الطبائع والغرائز الثابتة من الصّغر والكبر والشّدة والجُراة والرّفعة والضّعة^(٤). وحصرتها ابن السراج فيما كان خَلقة أو خُلقا أو صناعة وخصلة تكون في الشيء^(٥).

ويبدو أن معاني الفعل المجرد بأقسامه الثلاثة مسألة لا تخضع لضابط محدّد وإنما تتبثق وفقا لفهم العالم الخاص واستنتاجه الذاتي ، وهي معان كثيرة ككثرة الأفعال الثلاثية نفسها ، فكأنهم ذكروا معاني الأفعال لا معاني أبنيتها . وعلى الرغم من ذلك يمكن وصف ما ذكره الشّراح منها بما يأتي :

- **الدلالة على الصيرورة** . نحو : شدّ : صار شديدا ، ووبل المطر: صار وابلا ، وهو المطر الشديد ، وذلل فلان : صار ذليلا ، وخذّص التراب طينا : صار طينة خالصة^(٦).
- **الدلالة على الآلة التي حصل بها الفعل** . نحو : قَمَّه : ضربه بالمقمة . وَعَصَاهُ : ضربه بالعصا ، وَسَهْمَهُ : ضربه بالسهم^(٧).

(١) شرح المفصل ٧ / ١٥٦-١٥٧ وينظر: شرح الشافية ٧٠/١ ودروس التصريف ٦١ - ٧٠ وأوزان الفعل ٢٧١ - ٢٨٩ .

(٢) التسهيل ١٩٦-١٩٧ ، وينظر: الهمع ٢٠/٦-٢١ .

(٣) ينظر: الكتاب ٤/١٧ والمفصل ٢٧٧ والأفعال للسرقسطي ٦٠/١-٦١ وارتشاف الضرب ٧٦/١-٨١ .

(٤) ينظر : الكتاب ٤/١٧-٢٥ .

(٥) ينظر : الأصول ٣/٨٩-٩٩ .

(٦) ينظر: البيهقي ٦٢ والراوندي ٧١/١ والكيدري ١٣٦/١ والمعتزلي ٩٨/١ والبحراني ١٧٠/١ والسرخسي ٤١/١

وعبده ٢٣/١ والخوئي ٣٩/٢ ومغنية ٤١/١ والتستري ٥٧٨/١ والشيرازي ٢٨/١ والموسوي ٣٦/١ وأنصاريان ٤٤/١ .

(٧) ينظر: البيهقي ٢٢ والراوندي ٢٣٢/١ والكيدري ٢٥٦/١ والمعتزلي ١٧٧/١٠ والبحراني ٦٤/٢ ، ٣٦٥/٤ وأنصاريان ١٤٢/١ .

- **الدلالة على ضرب عضو من الجسد** . نحو : جَبَّهه : ضرب جَبَّهته . وَجَلَّده : أَصَابَ جِلْدَه^(١)

- **الدلالة على الإصابة بشيء شديد** . نحو : يَبَّأسُ : يُصِيبُه البُؤس وهو الشَّقَاء ، وَقَطَّأوا : أَصَابَهُم القَطُّ^(٢) .

- **الدلالة على الجعل** . نحو : مَحَكَّ الخُصوم : جَعَلَهُ مَاحِكَا أَي لَجُوجًا ، وَعَصَبَهُ بكم : جعله كالعصاة التي يُشَدُّ

بها الرأس، وعدل بالله : جعل له عديلا ، ودَعَم الشيء : جعل له دَعامة^(٣) .

- **الدلالة على الدخول في الشيء** . نحو: جَحر الصَّبُّ ، أَي : دخل جُحره ، ويطنَّت الوادي : دخلت باطنه^(٤) .

وقد سبقت الإشارة في الفصل الثاني إلى أن فعل مفتوح العين مقترن بالمعاني العامة الشائعة ثم تبدأ المعاني بالتخصص في حال كسر العين لتدلّ على الصفات العارضة كالفرح والحزن ثم تخصص أكثر في حال ضم العين

لتدل على الطبائع والسجايا الثابتة كالشرف والضعفة . وقد كثرت إشارات الشّواح إلى هذه الدلالات الدقيقة ومنها فضلا عما ذكر سابقاً : سفّه فلان ، اي : صار سفيهاً ، وسفّه بالضم : صار ذلك طبعاً له^(٥) ، وهجّ جنياً كذا بالفتح ، اي : سرنى ، وهجّ النبات ، أي : حسن^(٦) ، وعقّص الثور قرنه بالفتح معناه : التوى قرناه على أذنيه ، وعقّص الرجل بالكسر : إذا شحّ وساء خلقه^(٧) .

-
- (١) ينظر: الراونديّ ٣٨٣/١ والكبيريّ ٤٤٨/١ والمعتزليّ ٤٠٩/٦ والبحراني ٣٣٧/٢ وعبدّه ١٧٧/١ والخويّ ٣٠٥/٦ والتستريّ ٢٢٠/١ وأبو الفضل ١٨٧/١ والشيرازي ٢٧١/١ وأنصارين ٢٧٢/١ .
- (٢) ينظر: الراوندي ٤٧٧/١ والمعتزليّ ٢٢٣/٧ والبحراني ٢٦٧/١ ، وعبدّه ٤٢١/٢ ، وعبدّه ٢٣٨/١ ، ٩٧/٢ والشيرازي ٢٠٤/٢ .
- (٣) ينظر: المعتزليّ ٥٩/١٧ والسرخسي ٤٠/١ وعبدّه ١٢٠/٢ وأنصارين ١٢٠/١ .
- (٤) ينظر: المعتزليّ ١٠٣/٦ والبحراني ١٢٧/٢ ، ١٨٨/٢ والسرخسي ٧٣/١ والتستريّ ١٦٧/١ وأنصارين ١٧٢/١ .
- (٥) ينظر: المعتزليّ ٢٧٦/١
- (٦) ينظر: المعتزليّ ٤٤٤/٩
- (٧) ينظر: المعتزليّ ١٦٢/٢

المطلب الثاني : دلالة الفعل المزيد بحرف واحد

أولاً : معاني أفعال :

تزداد همزة (أفعال) للدلالة على عدّة معان ذكرها ذوّ الصنعة^(١) . وقد كرّر شراح النهج معظم تلك المعاني وزادوا عليها غيرها وكما يأتي :

١- **التعدية** : وهو المعنى الأشهر لأمثلة (أفعال)^(٢) ، وهو الشائع في شروح النهج شيوعاً يفوق الحصر . ومعنى التعدية أنّ الفعل يُنقل بالهمزة من اللازم الى المتعدي ، ومن المتعدي لواحد الى المتعدي لاثنتين ، أو من المتعدي لاثنتين الى المتعدي الى ثلاثة . فمثال المتعدي الى واحد بالهمزة : « وَرِي الزُّنْدُ : إِذَا خَرَجْتَ نَارَهُ ، وَوُرِيْتُ الزُّنْدُ مَتَعِدٍ

بالهمزة ((^(٣)) ، و« شَخَصَ : خرج من منزله الى منزل آخر ، وأشخصه غيره » ((^(٤)) ، و« كَدَّتِ الأَرْضُ تُكَدُّ فِيهَا كَادِيَةٌ : إذا أَبْطَأَ نَبَاتُهَا وَقَلَّ حَيْزُهَا ، فهذا لازم فإذا عَدِيَتْهُ أَتَيْتُ بِالْهَمْزَةِ فَقُلْتُ : أَكْدَيْتُ الأَرْضَ ، أَي : جَعَلْتُهَا كَادِيَةً » ((^(٥)) .
وفضا المكان يفضو مثل نصر بمعنى : اتسع ، وأفضاه فلان بمعنى : أفشاه وأشاعه وجعله واسعاً ((^(٦)) . و« ساغ الشَّرَابُ : سَهَّلُ مَدْخَلَهُ فِي الحَلْقِ ، وَأَسْغَتُهُ أَنَا مَتَعِدٌّ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَدَّجِرُهُ وَلَا يَكَادِي سَيْغُهُ ﴾ ((^(٧)) ((^(٨)) .
ومثال المتعدي الى اثنين بالهمزة : « قَبَسْتُ مِنْهُ نُورًا ، وَأَقْبَنْدِي نُورًا » ((^(٩)) . ولم يرد لديهم مثال من التعدية بالهمزة إلى المفعول الثالث . وتبين للدكتور ابراهيم السامرائي أن التعدية بالهمزة اوسع من التعدية بالتضعيف ، فلما وقف على قوله ((^(١٠)) : « وَيَنْدُمُ مَنْ أَمَكَنَ الشَّيْطَانَ مِنْ قِيَادِهِ » ((^(١٠)) : قال : « والفعل أَمَكَنَ فِعْلٌ مَتَعِدٌّ ، أَي ... مَكَنَ الشَّيْطَانَ ... وهذا الفعل الأخير مزيد بالتضعيف ، وتضعيف الكاف فيه من أجل التعدية ، فهو مثل (أمكن) ؛ لأن الهمزة في هذا الأخير للتعدية ، غير أنني أميل الى أن التعدية بالهمزة في العربية القديمة أكثر وروداً من الأفعال التي عُدِّيَتْ بالتضعيف ، واستقراء هذه الظاهرة في لغة القرآن تثبت ما ذهب اليه » ((^(١١)) . وكثيراً ما ترتبط التعدية بالصيرورة أو الجعل كما في الأمثلة السابقة التي ورد التصريح في قسم منها بهذه الدلالة الجانبية .

- (١) ينظر : الكتاب ٦٠/٤-٦٣ وأدب الكاتب ٣٥٦-٣٥٧ وشرح الشافية ٨٣/١ ودروس التصريف ٦٨-٧٠ وأوزان الفعل ٢٩٤-٣١٢ وأبنية الفعل ١٦-٢٠ والزوائد في الصيغ ١١-١٤ .
(٢) ينظر : ديوان الأدب ٣٣٧/٢ والتكملة ٥١٧ وعمدة الصرف ٢٧ ودروس التصريف ٦٨ .
(٣) الراوندي ٢٤١/٢ .
(٤) البحراني ٦٥/٣ .
(٥) المعتزلي ٣٩٩/٦ .
(٦) السامرائي ٢٨٥ .
(٧) ابراهيم ١٧ وينظر : الكشف ٣٧١/٢ والبحر المحيط ٤١٨/٦ .
(٨) الراوندي ١٣٢/٢ .
(٩) المعتزلي ١٤١/٦ .
(١٠) نهج البلاغة ر ٤٨ ص : ٥٤٠ .
(١١) السامرائي ٣٢٨ وينظر : ١٣٧ .

٢- **الصيرورة** ((^(١)) : كثرت لدى الشراح دلالة أمثلة (أفعل) على معنى الصيرورة نحو : « أَمَرَ : صارَ مَرًا » ((^(٢)) ، و« أَطْرَدْتُ الأَيَّامَ : صَيَّرْتُهَا طَرِيدَةً » ((^(٣)) ، و« رُغِدَ القَوْمُ : أَخْصُوا وَصَارُوا فِي رَغَدِ العَيْشِ » ((^(٤)) ، و« أَحْدَقَتِ الرُّوضَةُ : صَارَتْ حَيْقَةً » ((^(٥)) ، و« أَمَعَ رَ الوَادِي : صارَ مُمْرِعًا » ((^(٦)) ، و« طَلَّكُم ، أَي : صارَ لَكُمْ ظِلًّا تَسْتَظِلُّونَ بِهِ » ((^(٧)) .
٣- **الجعل** ((^(٨)) : توالى لدى الشراح أمثلة (أفعل) الدلالة على الجعل نحو : « رُعِيَ المَكَانَ ، أَي : جَعَلَهُ مَرعى » ((^(٩)) و« أَعْضَضْتُهُ ، أَي : جَعَلْتُهُ مَعْضُوضًا ... وَأَكْثَرُ مَا يَأْتِي أَفْعَلُهُ أَنْ تَجْعَلُ فاعِلاً وَهِيَ هُنَا مِنَ المَقْلُوبِ » ((^(١٠)) ، و« أَجْمَدَهَا ، أَي : جَعَلَهَا جَامِدةً » ((^(١١)) ، و« أَحْمَى المَكَانَ : جَعَلَهُ حَمىً لَا يُقْرَبُ » ((^(١٢)) ، و« أَصْلَدَهَا : جَعَلَهَا صَلْدَةً مَلْسَاءً مَتِينَةً » ((^(١٣)) ، و« أَشْعَرَ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ ، أَي : أَجْعَلَهَا كَشِعَارٍ لَهُ ، وَهُوَ النَّوْبُ المَلْصِقُ للجَسَدِ » ((^(١٤)) ، و« أَحَلَّ

بنفسه الدَّل والخزي ، أي : جعلَ نفسه محلاً لهما^(١٥) ، و«رُجفها : جعلها راجفة ، أي : مُرتعدة متزلزله»^(١٦) ، و«أصلهم الحرب : اجعلهم صالحين لها»^(١٧) .

٤ - الدخول في المكان والزمان المشتق منهما الفعل^(١٨) : ولهذا المعنى عدة أمثلة لدى الشراح لكنه اتخذ عدة أسماء ، فضلا عن الدخول وهو الاصطلاح الشائع ذكروا البلوغ والتغطية واللقاء والاقامة والوقوع والبروز والخروج والظهور والانكشاف وغير ذلك من الاصطلاحات التي يفهم منها الدخول في المكان او الزمان المشتق منهما الفعل . ومنها : «أَصْحَرُ لِعُدُوكَ ، أي : أبرز له ولا تستتر عنه»^(١٩) . و«أضحى الرجل : إذا برز للشمس وقت الضحى»^(٢٠) ، و«أَلْجَمَ الْعَرَقُ : سال حتى بلغ الى موضع اللجام من الدابة»^(٢١) ، و«لُوعَتِ الْقَوْمُ : وقعوا في الوعث»^(٢٢) . و«يُرِيدُهُ : يُوقِعُهُ فِي الرَّدَى»^(٢٣) وغير ذلك^(٢٤) .

-
- (١) ينظر: دروس التصريف ٦٩ .
(٢) المعتزلي ٣/٣٣٣ .
(٣) البحراني ٣/١٩٥ .
(٤) المعتزلي ٤/٧ وينظر: أنصاريان ٤٥/١ .
(٥) الخوئي ١١/٣٣٣ .
(٦) الرواندي ١٩/١ .
(٧) السامرائي ٢٥٠ وينظر: المعتزلي ٥/١٤٦ .
(٨) ينظر: أوزان الفعل ٦٣-٦٤ .
(٩) السرخسي ١/١٤٦ .
(١٠) المعتزلي ١٨/١٩ .
(١١) نفسه ١١/٥٩ وأنصاريان ٤٥/١ .
(١٢) أنصاريان ٢/٧٥ وينظر: الرواندي ٢/٩١ .
(١٣) البحراني ١/٦١٦ وينظر: عبده ١/٢٤ .
(١٤) الراوندي ٢/٢٢٢ وينظر: المعتزلي ١٧/٣٣ .
(١٥) المعتزلي ١٥/١٦٢ .
(١٦) نفسه ٧/١١٠ .
(١٧) المعتزلي ٩/٩٦ .
(١٨) ينظر: دروس التصريف ٧٠ .
(١٩) الراوندي ١/٤٦٧ وينظر: الكيدري ١/٥٣٠ والمعتزلي ٧/١٠٨ ، ١٦/١٤٤ ، ١٧/٩٨ والبحراني ٣/٦١ ، ٥/٧١ والسرخسي ١/١٢١ والخوئي ٧/٣٠٧ ومغنية ٢/١٤٩ والتستري ١١/٣٧٧ وأبو الفضل ١/٢٥١ والموسوي ٢/٢٢٨ .
(٢٠) المعتزلي ٧/٢٥٦ .
(٢١) نفسه ٦/٢٥٠ وينظر: ٧/١٢٧ .
(٢٢) نفسه ١٦/٩٠ .
(٢٣) البحراني ٤/٢٩٦ .
(٢٤) ينظر: المعتزلي ٧/٢٦ .

واستقصى الدكتور ابراهيم السامرائي كثيرا من أمثلة هذه الدلالة في متن العربية لما وقف على قوله (م) : (فَأَصْحَرِ لِعَدُوكَ)^(١) . فقال : «والأصل في أصر أنها تعني دخل الصحراء كسائر الأفعال التي أخذت من كلمات دالة على الأمكنة والبلاد ، نحو : (أنجد) دخل نجدا ، وأعرق بمعنى : دخل العراق ، وكذلك تأمهم ، اي : دخل تهامة ، ومثل هذا أصد : ذهب صعودا ، وأغور ، اي : نزل الغور ، ومثل هذا شيء كثير»^(٢) . وقال ايضا : «أَصْحَرَّ : أي خرج الى الصحراء ، والفعل نظير الفعل أنجد وأعرق وايمن ونحو ذلك ، والمراد : الدخول في نجد والعراق واليمن ، وهذه الافعال أخذت من الأسماء ، وكثيرا من هذا على هذه الشاكلة ، ومن ذلك : أغار وأغور ، وأروض وأشتى وأصاف وأخرف وأربع ، وكلها تشير الى أصولها وهي أسماء .»^(٣) .

٥- وجود الشيء على صفة^(٤) : نحو : أحمده : بمعنى وجدته محمودا ، وأبخلته : وجدته بخيلا^(٥) .

٦- المبالغة^(٦) : نحو: ((الاتخان : مصدر اتخن في القتل ، اي : اكثر منه وبالع فيه حتى كثف شأنه وصار كالشيء الثخين))^(٧) .

٧- الحينونة والاستحقاق^(٨) : نحو: أحصد الزرع : إذا حان حصاده أو استحق أن يُحصد ، وأجز الحشيش : أن أن يُجز ، ومنه قيل للشيخ كاد أن يموت: قد أجز^(٩) .

٨- الاتخاذ^(١٠) : نحو أفحل الرجل : لقتد فحلا لإبيه ، وأمهذوا : اتخذوا مهادا^(١١) .

٩- السلب والازالة : وهو أن يزيل الفاعل عن المفعول معنى الفعل ، نحو: أشكيت : أزلت شكواه ، وأقذيت عينه ، أي : أزلت ما بها من قذى^(١٢) . ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾^(١٣) ، لأنهم يزيلون القسط . وقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا الْفَاسِقُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾^(١٤) لأنهم يأتون بالقسط ، أي : الجور .

(١) نهج البلاغة ر ٣٤ ص: ٥١٦ .

(٢) السامرائي ٢٣٠

(٣) نفسه ١٠٩ .

(٤) ينظر : دروس التصريف ٦٩

(٥) ينظر: الراوندي ٣٨١/١ والكيدري ٤٤٨/١ وابو الفضل ١٨٦/١ .

(٦) ينظر : المثل السائر ٢/٢٥٠ .

(٧) المعتزلي ١٣/١٤٢ .

(٨) ينظر: الكتاب ٢/٢٣٦ وادب الكاتب ٣/٣٤٥ واوزان الفعل ٦٥ .

(٩) ينظر: المعتزلي ٦/٢٥٥ .

(١٠) ينظر : ادب الكاتب ٣٤٧ واوزان الفعل ٦٨ .

(١١) ينظر: المعتزلي ١٣/١١٢ .

(١٢) ينظر : سر صناعة الإعراب ٤٢ - ٤٣ ودروس التصريف ٦٩ - ٧٢ واوزان الفعل ٦٠ .

(١٣) المائدة ٤٢ وينظر: الكشاف ١/٦١٤ والبحر المحيط ٤/٣٣٣ .

(١٤) الجن ١٥ وينظر: الكشاف ٤/١٦٩ والبحر المحيط ١٠/٢٩٩ .

ومن أمثله لدى الشراح : أعتبني فلان : الهمزة للسلب ، أي : أزال العتاب^(١) . ويقال في الاستحسان : أعجبني فلان وفي الذم والإنكار يقال : عجب^(٢) . وقال السامرائي معلقا بقوله (ع) : (وَأَبْسَلُهُمْ بِحَطِّ أَيُّهُمْ)^(٣) : ((وقوله أبسلهم بمعنى أهلكهم ، وبين بسل الثلاثي وأبسل طريق طويل يتحول فيه المعنى إلى ما يقرب من ضده))^(٤) . ولما وقف السامرائي على قوله (ع) يذكر محمدا (صلّى الله عليه وآله) : (بَعَثَ عَنْ رَبِّهِ مُعَنِّرًا ...))^(٥) . قال : ((معذرا ، أي : مبينا حجته التي تقوم مقام العذر في إنزال العقوبة بهم إن قصروا فيما يترك الاعذار اليهم ، والاعذار كما اسلفنا هو تجريدهم من العذر لاعمال الحجة التي خص بها الرسل))^(٦) ، وقد ذكر الشراح هذه الدلالة لما وقفوا على قوله (ع) في الشقشقية : (وَقَسَطَ آخِرُونَ)^(٧) ، فقسط بمعنى : جار وظلم ، وهم اصحاب صفين ، والفعل (اقسط) بالهمزة يعني العدل وهو نظير وعد

وأوعد ، وشفى وأشفى ، وعذر وأعذر ، وشكى وأشكى ، وعجب وأعجب ، وعتب وأعتب ، وكل ذلك الهمزة فيه للسلب^(٨) .

١٠- الإظهار^(٩) : وقد سمي الشّراح هذه الدلالة بالظهور ، والبروز ، والتبيين ، والايضاح وغير ذلك ، ومنها : حمس الوغى : اشتدّ وعظم فهو حميس ، وأحمس : أظهر الحماسة . وأورى أفعال من الورى وهو : إظهار النار^(١٠) وفسر الشّراح المعور في قوله (ع) : (لَاوَتَصَيَّبُوا مُعَرِّا)^(١١) بأنه من ظهرت عورته للعيان ، وهو كناية عن جرحه وعجزه عن القتال . فهو الذي أمكن من نفسه وعجز عن حمايتها ، فكأنه من هذا الجانب قد أبدى عورته^(١٢) .

ويمكن القول : إن (أفعل) يمكن ردّ مداليه كلّها إلى مدلول واحد رئيس هو التحوّل الذي يعني انتقال الفاعل من حال إلى آخر وهذا التحوّل يشمل كلّ المعاني التي ذُكرت سابقا بدليل جواز فهم الإظهار والسلب والانتقال والاصيرورة والتعدّي من هذا المعنى الرئيس . ولذا تشعبت أقوال الشّراح في تلمس المدلول الدقيق لجملة من الأفعال المزينة بالهمزة ك(أعذر) في قوله (ع) : (لَاوَتَسَوَّوْا عِنْدَ النَّعْمِ شُكْرَكُمْ فَقَدْ أَعَزَّلَهُ الْيَكْمُ بِحَجَجٍ مُسْفَوَةٍ ظَاهِرَةٍ)^(١٣) .

(١) ينظر: الخوئي ٥٨/١٣ . (٢) ينظر: نفسه ٣٧٤/٦ .

(٣) نهج البلاغة خ ١٢٤ ص: ٢٢٩ . (٤) السامرائي ٨٤ .

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٩ ، ص ٢٠٤ . (٦) السامرائي ٢٥٦ .

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ٣ ص : ٣٠ .

(٨) ينظر : المعتزليّ ٦٨/٧ والبحراني ٢٢٤/٣ وعبده ٢٥٣/١ والخوئي ٣٧٤/٦ والسامرائي ٣٠٠ والموسوي ٣٥٨/٢ .

(٩) ينظر: اوزان الفعل ٧٣ .

(١٠) ينظر : الراونديّ ٦٩/٢ ، ١٥٩ ، ٥٣/٣ والمعتزليّ ٧٦/٧ ، ٨٥/٩ ، ٣٥/١٠ ، ١٨/ ٦٨ و البحراني ٢٢٤/٤ ، ٣٧٦/٥ .

وعبده ١١٧/٣ والخوئي ٣٢٥/٥ . (١١) نهج البلاغة ر ١٤ ص: ٤٧٢ .

(١٢) ينظر :عبده ١٥/٣ والسامرائي ٢٧١ ومغنية ١٠٤/٤ وابو الفضل ١٤٨/٢ .

(١٣) نهج البلاغة : الخطبة ٨١ ص: ١١٩ .

إذ تفاوتت أقوال الشّراح في معنى (أعذر) فتارة تكون « همزة الفعل تفيد السلب من قولك : أعذرت الرجل ، أي لم أترك له عذرا يتوسّل به عند تقصيره في الطاعة ، ويقولون : أعذرت له ، أي : اتخذت لنفسي عذرا فيما أوقعت عليه من العقاب ، وكأنتي نبّهته وحذّرتة^(١) . وتارة أخرى يكون « الإعذار : إظهار العذر^(٢) ، وتارة ثالثة يكون معنى « أعذر في الأمر : صار ذا عذر فيه^(٣) . وفسر بعضهم (أعذرت) بمعنيين : « أما أن تكون همزته للسلب بمعنى : سلبت عذره ، أي : ما جعلت له عذرا يأتي به ، أو يكون بمعنى الإظهار ، أي : أقمت لنفسي عنده عذرا واضحا^(٤) . وكل هذا الخلط والاضطراب لا مسوغ له لو قيل : إنّ المدلول الرئيس لأمثلة (أفعل) هو أنّها تحوّل فاعلها من حال إلى آخر بغض النّظر عن التفاصيل الدقيقة التي تصف نوع ذلك التحوّل . وهذا التحوّل مستمدّ من طبيعة الهمزة ذاتها التي تتطرق بطريقة الانسداد الحنجري التّام ثم الانبثاق المفاجئ بالصوت . وهذا في ذاته تحوّل وانتقال مفاجئ من الضدّ إلى

ضدّة ، أي من الانسداد إلى الانفتاح ، فلا غرو من أن يكون من ضمن معاني (أفعل) الجانبية معنى الدلالة على النقيض في ما عرف لدى الصرفيين بالسلب والإزالة ، وهو اصطلاح قاصر عن تحديد ما جرى بدقّة ، إذ هو التحوّل العكسي أو إلى النقيض وليس سلبيًا أو إزالة ؛ لأن المفهوم من السلب والإزالة أن يبقى (أفعل) بلا معنى لأنّ معناه قد سلب وأزيل ، لا أن يؤوّل إلى النقيض مما كان عليه .

وفضلاً عمّا سبق ذكره من مداليل أفعل ذكر الشّراح أنّه يدلّ على معان فعلية تؤدّيها أفعال تردّ على أبنية أخرى غير (أفعل) وكما يأتي :

١- **أفعل بمعنى فَعَلَ المجرّد** : أقر القدماء اتّفاق فعل الثلاثي وأفعل في المعنى^(٥) . ومن أمثلة ذلك لدى الشّراح : « أشنق الناقة : إذا جذب رأسها بالزّمام فرفعه ، وشنقها مثله »^(٦) . و « أريححت الرجل إرباحا : أعطيته ربحا ... يقال : تجارة مريحة وربحة وأفعل وفعل في هذا سواء »^(٧) . و « شنّ الغارة وأشنّها : فرّقها من كلّ وجه »^(٨) . وعلى الرغم من ذهابهم إلى اتّفاق الدلالة بين أمثلة (أفعل) و (فعل) المجرّد في كثير من المواضع ، تلحظ بعض الالتماعات الدلالية لدى فريق من الشّراح تفرّق بين المزيد بالهمزة والمجرّد كقول المعتزليّ: « أطردت الرجل إذا أمرت بإخراجه وطرده ، وطردته إذا نفّيته وأخرجته ، فالإطراد أدلّ على القهر من الطّرد »^(٩) .

(١) المعتزليّ ١٦/١٠ وينظر : عبده ١٦١/١ .

(٢) الراونديّ ٢٥٨/٣ .

(٣) الخوئيّ ٢٧٦/٢٠ .

(٤) عبده ١٦١/١ .

(٥) ينظر : أدب الكاتب ٣٣٠- ٣٤٥ وشرح الشافية ٩٣/١- ٩٥ .

(٦) ينظر : الكيرديّ ١٦٨/١ والمعتزليّ ١٧١/١ وعبده ٣٨/١ .

(٧) انصاريان ٣٥١/٢ . (٨) البحرانيّ ٣٢/٢ . (٩) المعتزليّ ١١٧/٩ .

٢- **أفعل بمعنى فَعَلَ** . فآر الشّراح مجيء أفعل وفعل بمعنى واحد في طائفة من أفعال النهج ، من ذلك ما ورد في قوله (م) : (أُولَى النَّاسِ بِالكَرَمِ مَنْ عُوَّتْ فِيهِ الْكِرَامُ)^(١) ، قال المعتزليّ : « أعرقت وعرقت في هذا الموضع بمعنى واحد ، أي : ضربت عروقه في الكرم ، أي : له سلف وأباء كرام »^(٢) . ومنه ما في قوله (م) في إحدى حرابه : (أَلِهْ كُوا عَنِّي هَذَا الْغُلَامِ)^(٣) ، يريد الحسن (م) ، ف « أملكه الشيء وملّكه من بابي الإفعال والتفعيل بمعنى واحد »^(٤) . ومنه ما في قوله (م) : (إِيَّاكَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا ... قَدْ سَمِيَ تَارِكُمْ)^(٥) ، فقد فسّر المعتزليّ في أحد قوليه سَمِيَ بـ (أعلى مآثركم ، أي : رفع منازلكم إن أطعتم ويكون سَمِيَ بمعنى أسمى)^(٦) . و « أنسك بالتشديد ، وأنسك بالمدّ كلاهما بمعنى »^(٧) و « مكّنه الله من الشيء وأمكنه منه بمعنى »^(٨) و « ووتدّ وأوتدّ الوتد : تَبَّتْهُ »^(٩) .

-
- (١) نهج البلاغة : الحكمة ٤٣٦ ن ص ٦٨٩ .
(٢) المعتزلي ٨٣/٢٠ .
(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٢٠٧ ، ص ٤٠٧ .
(٤) الخوئي ٩٦/١٣ .
(٥) نهج البلاغة : الخطبة ٨٦ ، ص ١٣٩ .
(٦) المعتزلي ٣٥٢/٦ .
(٧) نفسه ٢٤٠/١١ .
(٨) انصاريان ١٤٥/٣ .
(٩) مغنية ٧٢/١ .

- ٣- **أفعل بمعنى (فاعل) :** نحو: «أدهن وداهن كله بمعنى صانع»^(١) .
٤- **أفعل بمعنى (انفعل) :** نحو: «أكمش : أسرع ومثله انكمش»^(٢) . و«أقلت وانفلت بمعنى»^(٣) .
٥- **أفعل بمعنى (افتعل) :** نحو: «أبلاه الله وابتلاه بمعنى اختبره»^(٤) .
٦- **أفعل بمعنى (تفعل) :** نحو: و«أخطأت وتخطأت بمعنى»^(٥) .
٧- **أفعل بمعنى (استفعل) :** نحو: «أفاد المال : استفاده»^(٦) ، و«أكثر كقولك : استكثر»^(٧) ، و«الإعداد : التهيئة كالاستعداد»^(٨) ، و«أعتبته واستعتبته ، أي : أرضيته»^(٩) .

واجتماع مثل هذه الافعال ذات البنى المختلفة على معنى واحد مسألة فيها نظر، إذ أوردھا الشّراح فرادى في بعض المواضع على عجل ودونما تدوّر ، بدليل عدم اطرادھا لديهم ، ثمّ تصرّيحهم بالفروق الجليّ بين هذه الأمثلة في كثير من المواضع كما في قوله (ع): (نَحْمِدُهُ عَلَى مَا أَخَذَ وَأَعْطَى وَعَلَى مَا أْبَلَى وَأَبْتَلَى)^(١٠) ، فقد انفرد البحرانيّ بأنّ أبلَى وابتلى متّفقان في الدلالة على الاختبار^(١١) ، وهذا مردود باجتماع الفعلين في سياق واحد . ومن هنا فرّق سائر الشّواح بينهما فخصّوا (أبلى) بالخير الحسن ، وخصّوا الابتلاء بالشرّ والعذاب ، إذ يقال : « أبلاه الله بلاء حسنا بكثرة المال والصحة والشباب ، وابتلاه الله بالمرض والفقر والمشيب »^(١٢) .

(١) الراونديّ ١٩٥/١ ، ٣٥٨/١ وينظر: الكيدريّ ٢٢٦/١ والبحراني ١٤/٢ والسرخسي ٦٢/١ .

(٢) المعتزليّ ٢٦٧/٦ .

(٣) السرخسي ٢٦٠/١ .

(٤) البحراني ٢٨٩/١ .

(٦) الراونديّ ٣٥٦/٢ . وينظر: البحراني ٣٢١/٣ .

(٧) عبده ٢٠٥/١ ، ١٧٨/٣ .

(٨) الكيدريّ ٣٨٨/٢ .

(٩) انصاريان ١٦٣/١ .

(١٠) الراونديّ ٤٢٨/١ .

(١١) نهج البلاغة : الخطبة ١٣٢ ص ٢٣٩

(١٢) ينظر: البحراني ٢٨٩/١ .

(١٣) الراونديّ ٥٢/٢ وينظر : المعتزليّ ٢٦٨/٨ وعبده ٢٦٨/١ والخوئي ٢٩٤/٨ ومغنية ٢٧٤/٢ والشيرازي ٢٩٢/٢

وأبو الفضل ٣٠٦/١ والموسوي ٣٨٦/٢ .

ثانيا : معاني فَعَل .

يأتي (فَعَل) مضعّف العين للدلالة على عدّة معان هي :

١- التّكثير . وهي الدلالة الشائعة لأمثلة (فَعَل) في العربية ، وهي التي أطبق الصرفيّون على الابتداء بها في تلمّس معاني هذا البناء التي تشيع أمثلته دالّة على تكثير الفعل ، نحو : طوّفت البلاد ، والمعنى كَثُرَت الطُّواف ، وتكثير المفعول نحو : فَتَحَت الأبواب ، أي : كَثُرَت فتحها لأنها كثيرة^(١) . وقد كَثُرَت أمثلة (فَعَل) لدى الشّواح بهذا المعنى فاتّخذت عدّة مسمّيات أشهرها : التّكثير والتّكرير والمبالغة . وهذه المعاني صرح الشّواح بها في ما يشنق من باب

التفعيل . ومن أقوالهم في هذه المسألة : « عمس عليهم الخبر ، يجوز التشديد ويجوز التخفيف ، والتشديد يعطي الكثرة ويفيدها ، ومعناه : أبهم عليهم الخبر »^(٢) . و«عبر : رأى العبر مرات كثيرة لأن فعل يفيد التكرار والتكرير»^(٣) . و«ذمر يروى بالتخفيف والتشديد ، وهو : الحث والحض ، والتشديد دليل التكثر والمبالغة لانهم يقولون : ان الزيادة في البناء لزيادة المعنى»^(٤) . و«المنصح : المبالغ في النصيحة»^(٥) . و«فعل مشدد للتكثر ، قتلت أكثر من قتلت»^(٦) . ويبدو أن إفادة أمثلة (فعل) معنى التكثر والمبالغة مسألة مطردة لدى معظم الشراح لكثرة تصريحهم بها^(٧) . ويمكن القول : إن أمثلة (فعل) دلالتها الرئيسية هي التكثر والتكرار ، وكلّ المداليل الأخرى التي تلمسها ذوو الصنعة تندرج تحت هذه الدلالة الرئيسة وتتبع منها وهذا مدرك جلي في المعاني الأخرى .

وفي قوله تعالى: ﴿ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِبَةٌ عَلَىٰ غَوْشِهَا وَيُرِي مَطَلَّةً وَقَصِيرٌ مَشِيدٌ ﴾^(٨) استعمل اسم المفعول من المجرّد شاد يشيد كباع يبيع مع الواحد ، على حين استعمل اسم المفعول من المزيد بالتضعيف (شيد) مع الجمع الكثير في قوله تعالى: ﴿ أَيَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ هَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكُونُونَ لِقَاءِ رَبِّهِمْ حِينًا ﴾^(٩) ليلائم المجرّد الدلالة على الواحد ويلائم المزيد بالتضعيف الدلالة على الكثرة^(١٠) .

(١) ينظر : الكتاب ٥٥/٤ - ٦٣ وادب الكاتب ٣٥٤ - ٣٥٥ واوزان الفعل ومعانيها ٧٤ - ٨٣ وابنية الفعل ٣٣ - ٣٤ والزوائد في الصيغ ٤٢ - ٤٤ .

(٢) المعتزلي ٢٤٤/٣ وينظر : الخوئي ٣٠٢/٤ .

(٣) الراوندي ٢٩/١ وينظر : المعتزلي ٢٥٦/٦ والخوئي ٣٨٢/٥ .

(٤) الخوئي ٣٠٨/٣ . (٥) البحراني ٣٨٣/٤ . (٦) المعتزلي ٢١٧/٧ .

(٧) ينظر : الراوندي ١٤١/٢ ، ١٣٩/٢ ، ٣٩٧/٢ ، والكيدري ٩٤/٢ والمعتزلي ٣٠٤/١ ، ١٦٩/٣ ، ٢٧٢/٦ ،

والخوئي ٢٦/١٨ وعنده ٤٨/٢ وأنصاريان ٣١٨/١ .

(٨) الحج ٤٥ وينظر : الكشاف ١٧/٣ والبحر المحيط ٥٢٠/٧ . (٩) النساء ٧٨ وينظر : الكشاف ٥٤٥/١ والبحر المحيط ٧١٦/٣ .

(١٠) ينظر : المعتزلي ٢٧٠/٨ ، ٢٥٨/١١ ، والخوئي ١١٨/١٧ والتستري ١٠٥/١١ .

٢ - **الدخول في المكان أو الزمان المشتق منهما الفعل** . يأتي (فعل) في العربية بمعنى قصد المكان المشتق منه الفعل والنزول فيه نحو : كوف ، أي : مشى إلى الكوفة ، وفوز وغور ، أي : مشى إلى المفازة والغور^(١) . ومما ورد منه لدى الشراح : « غور ، أي : نزل الغائرة وهي القائلة ونصف النهار »^(٢) .

٣ - **التعدية** . وهي دلالة صريحة مقرونة بالدلالة على التكثر والمبالغة لدى الشراح ومنها : لبس الأمر ولبسته على فلان ، وكذا صارت وصوبها ، وداث وديته ، وذلل وذالته وغير ذلك^(٣) .

٤ - **الاتخاذ** . وأمثلتها تلحظ لدى الشراح من أقوالهم في ما اشتق من باب التفعيل كقول بعضهم : « اتخاذ الفعل من الاسم نحو : خيم القوم ضربوا خياما »^(٤) ، و«موطنين اكناف دجلة ، اي : متخذين حوالي هذا النهر وطنا ، يقال :

اوطنت البقعة ووطنتها واستوطنتها ، اي : اتخذتها وطناً ^(٥) ، و« يوطن ، اي : يتخذ وطناً » ^(٦) ، و« عبده بالتشديد ، اي : اتخذه عبداً » ^(٧) ، و« جنب عنه : اخذ عنه جانبا » ^(٨) .

٥- العَدَّ . وهي دلالة لم اجد الصرفيين يذكرونها ولكنها صريحة لدى بعض الشراح لما وقف على قوله (ع) : (يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُقْرَبُ فِيهِ إِلَّا الْمَلْحُ ، وَلَا يُظْرَفُ فِيهِ إِلَّا الْفَاجِرُ ، وَلَا يُضَعَّفُ فِيهِ إِلَّا الْمُضِيفُ) ^(٩) . فمعنى « لَا يُظْرَفُ فِيهِ ، أي : لا يُعَدُّ ظَرِيفًا ، ومن هذا قوله : لَا يُضَعَّفُ ، أي : لَا يُعَدُّ دَضَعِيفًا » ^(٩) .

٦- نسبة المفعول إلى معنى الفعل . مثل الصرفيون لهذه الدلالة بـ كذبتة : اذا نسبته الى الكذب ، وكفرتة : إذا نسبته إلى الكفر ، وفسقتة : إذا نسبته إلى الفسق ^(١٠) . وأما في شروح النهج فلها عدة أمثلة ، منها ما في قوله (ع) يذكر الحرب : (فَلَمَّا ضَرَبْتَنَا وَأَيَّاهُمْ ...) ^(١١) ، فالمعنى لدى الشراح : عَضَّتْنَا بِأَضْرَاسِهَا ، وفيه نسبة المفعول (نا) الى (الضرس) ^(١٢) ، وكذا ما في قوله (ع) يصف الدنيا : (وَعَوَّهْمُ لِمَنَاخِرِ) ^(١٣) ، والمعنى أَلْصَقَتْ أُنُوفَهُمْ بِالْعَفْرِ وَهُوَ التُّرَابُ ، وفيه نسبة المفعول (هم) إلى العفر ^(١٤) . ولم يصرح معظم الشراح بهذه الدلالة ، وإنما هي مفهومة من أقوالهم ، بل إن فريقاً منهم حمل معنى (ضرس) ، و(عفر) على المبالغة ^(١٥) .

(١) ينظر : اوزان الفعل ٨٠ .

(٢) البحراني ٣٣٠/٤ وينظر : عبده ١٤/٣ .

(٣) ينظر: البيهقي ١٦/١ والراوندي ١٣٢/٢ والمعتزلي ٢٧/٢ والبحراني ٣١/٢ وأنصاريان ١١٨/٣ .

(٤) اوزان الفعل ٧٨ . (٥) الكيروي ٢٩٩/١ وعبده ١٢١/١ .

(٦) البحراني ٣٣/٥ . (٧) المعتزلي ٣٨٨/١٨ .

(٨) نفسه ٤٠/١١ . (٩) السامرائي ٣٢٤ . وينظر: المعتزلي ٢٦٠/١٨ .

(١٠) ينظر: دروس في التصريف ٧٣ . (١١) نهج البلاغة ر ٥٨ ص ٥٧٤ .

(١٢) ينظر : المعتزلي ١٤٢/١٧ ، ٣١/١٠ . (١٣) نهج البلاغة : الخطبة ١١١ ص: ٢٠٨ .

(١٤) ينظر : المعتزلي ٢٣٥/٧ ، ١٥١/١٣ والخوئي ٣٠٢/١١ .

(١٥) ينظر: المعتزلي ٣١/١٠ والسرخسي ٢٧٥/١ والخوئي ٣٠٢/١١ وأنصاريان ٢٨١/٣ .

٧- السلب . ومن أمثلته التي قرأها الصرفيون : قَرَدَتِ البعيرَ وجربته ، اي : أزلت عنه القَرَادَ والجرب . وقشرت الفاكهة : إذا أزلت قشرها ^(١) ، وهو في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقَالِ ﴾ ^(٢) ، أي : أزل عنهم الحرض وهو فساد البدن ^(٣) . وأما الشراح فقد وردت هذه الدلالة لديهم لما وقفوا على قوله (ع) في تهذيب الفقهاء : (وَإِخْشَوْهُ خِشْيَةً لَا يَسْتَبْعِدِيرُ) ^(٤) ، فالتعذير بمعنى إزالة العذر ، قال السامرائي : «عذر الرجل اي لم يكن له عذر ، والمراد اخشوه خشية ليست بمتأنيئة عن نذب يلزمه الاعتذار عنه ، وكأن التضعيف في عذر لإفادة السلب ، مثل : قشّر ، و فرّع ، ومرّض ونحو ذلك » ^(٥) ، وسمّى بعضهم هذه الدلالة بالخدمة إذا كان سلب الفعل من العقلاء ، قال عبده : « علل المريض خدمه في علته كمرضه خدمه في مرضه » ^(٦) ، وقد يومئ الشراح الى هذه الدلالة ايما ولا يصرحون

بها ، من ذلك قول المعتزلي: « المسهدّ : الممنوع النوم وهو السهاد »^(٧) ، وتفصيل هذا القول هو ان المسهدّ اسم مفعول من سهد بمعنى زال سهاده أي نومه .

٨- **الجعل** . من ذلك : « قلّده الامر : جعله في عنقه كالقلادة »^(٨) ، و « حرّرها : جعلها حرة »^(٩) . و « يقال : حكّم الله زيدا ، اي : جعله حاكما وقاضيا بين الناس »^(١٠) . و « حقّر الدنيا وصغّرها وهونها : جعلها حقيرة صغيرة هينة »^(١١) ، و « هينوا الطريق : جعلوه نهيبوسهّ لوه في زعمهم »^(١٢) وغير ذلك^(١٣) .

٩ - **اختصار حكاية الفعل** . يأتي الفعل المزيد عموما اختصارا لحكاية او جملة ، وهو كثير في (فعل) نحو : (كبر ، سيح ، لى) اذا قال : (الله أكبر) ، (سبحان الله) ، (لبيك اللهم لبيك)^(١٤) ، ومن أقوال الشّراح : « يهلّلون ، أي : يقولون : لا إله إلا الله »^(١٥) .

(١) ينظر: دروس التصريف ٧٣ - ٧٤ .

(٢) الأنفال ٦٥

(٣) ينظر: الكشاف ١٦٧/٢ والبحر المحيط ٣٤٩/٥ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ٢٣ ص: ٥٤ .

(٥) السامرائي ٢٥٦ .

(٦) عبده ١٨٥/٣ .

(٧) المعتزلي ٢٤٦/١١ .

(٨) الراوندي ١٨٦/٣ وينظر: الخوئي ٢٤٧/٢٠ والشيرازي ١٧١/٤ .

(٩) الكيدري ٤٢٦/٢ وينظر: المعتزلي ١٤٧/١٥ والبحراني ٤٩١/١ والخوئي ٣٦٩/١٨ ومغنية ٤٤٣/٣ .

(١٠) الرواندي ٤١/٢ وينظر: المعتزلي ١٠٤/٨ والبحراني ١٢٨/٣ .

(١١) البحراني ٢٨٦/٣ وينظر: الخوئي ٣٧٢/٩ .

(١٢) التستري ٤٤٣/٦ - ٤٤٤ . (١٣) ينظر: السرخسي ١٧٢/١ .

(١٤) ينظر : الواضح في علم الصرف ٩٤ . (١٥) البحراني ٣٦٢/٤ وينظر : عبده ٢٥/٣ .

١٠- **الطلب** : نحو : « قرره : طلب منه الاقرار »^(١) .

وورد في متن النهج اجتماع (فعل) و (أفعل) في سياق واحد هو قوله (م) : (حقّر الدنيا وصغّرها ، وأهونها وهونها)^(٢) ، وفسر الشّراح هذا الاقتران بين (فعل) و (أفعل) بأنه أعلى درجات المبالغة ، ونقل بعضهم قول ابن قتيبة : « تدخّل فعّلت على أفعلت إذا أردت تكثير العمل والمبالغة ، تقول : أجودت وجوّدت ، وأغلقت الأبواب وغلّقت ، وأقفلت وقفلت ... »^(٣) .

وقد سبقت الإشارة إلى تقريب الشّراح الدلالة بين أمثلة (أفعل وفعل) ، ولم يكتفوا بذلك بل يلحظ مثل هذا التقريب في دلالات الأفعال ذات الأبنية المختلفة بين فعل وغيره من أبنية المزيد بحرفين نحو : « الوسيلة ما يتقرب به ، ويقال :

وَسَلَّتْ إِلَيْهِ وَتَوَسَّلَتْ إِلَيْهِ بِمَعْنَى ^(٤) ، وَخَلَصَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنْ « فَعَلَ بِمَعْنَى تَفَعَّلَ وَاسْعَ ، يُقَالُ : وَجَّهَ بِمَعْنَى تَوَجَّهَ ، وَقَدَّمَ بِمَعْنَى تَقَدَّمَ ، وَنَبَّهَ بِمَعْنَى تَنَبَّهَ ، وَنَكَّبَ بِمَعْنَى تَنَكَّبَ » ^(٥) . وَفَسَّرَ بَعْضُهُمْ « عَبَّدَهُ وَاسْتَعْبَدَهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ » ^(٦) . وَ« شَبَّهَتْ : اشْتَبَهَتْ وَأَوْقَعَتْ الشَّبْهَةَ » ^(٧) . وَمَسْأَلَةٌ تَفْسِيرِ (فَعَلَ) بِغَيْرِهِ مِنْ أُنْبِيَةِ الْمَزِيدِ بَعِيدَةٌ وَمَرْدُودَةٌ بِأَنَّ كُلَّ زِيَادَةٍ فِي الْمَبْنِيِّ مُوجِبَةٌ لَزِيَادَةٍ فِي الْمَعْنَى ، فَضِلَّا عَنْ أَنَّ اخْتِلَافَ الْأُنْبِيَةِ مَنْبِيٌّ بِاخْتِلَافِ الْمَعَانِي ، وَهَذَا مَا أَقْرَهُ بَعْضُ الشَّرَاحِ فِي أَقْوَالِهِمْ ، نَحْوُ : «وَلَّتْ : أَدْبَرَتْ ، وَتَوَلَّتْ : أَعْرَضَتْ » ^(٨) .

(١) مغنية ١٦٩/٥ والبحراني ١٠/٥ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٩ ، ص ٢٠٣ .

(٣) التستري ٤٤٣/١ .

(٤) المعتزلي ٤٢٩/٦ .

(٥) الخوئي ١٧٣/١٨ .

(٦) المعتزلي ٣٨٨/١٨ .

(٧) البحراني ٤٥/٢ .

(٨) الكيدري ٢٥٩/١ .

ثالثاً : معاني فاعل .

فاعل بناء فعليّ تدلّ أفعاله على عدة معانٍ ^(١) ، أورد منها الشّراح المعاني الآتية :

١-المشاركة . وهو المعنى الغالب في أمثلة (فاعل) وفيه يقع الفعل من فاعلين في المعنى ، وفي النحو يكون الفاعل هو المرفوع والمفعول هو المنصوب ، قال المعتزليّ: « المفاعلة تدل على كون الفعل بين الاثنين كالمضاربة والمقاتلة » ^(٢) . وقد انماز البحراني بكثرة التصريح بدلالة أمثلة باب المفاعلة على المشاركة ، ومن أمثلتها الواردة في النهج ما في قوله (م) في ذم التكبر: (...فَأَيْهَا مَصِيدَةُ الْإِبِيسِ الْعُظْمَى وَمَكِيدَتُهُ الْكُورَى تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوِرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ) ^(٣) . ف « المساورة : المواثبة ، وإنما أتى بوزن المفاعلة باعتبار أن الفعل القبيح لا بد فيه من ممانع كواضع

الشرع والعرف فيتوهم فيه معنى الموائبة»^(٤). وكذا ما في قوله (هـ): (لا يُؤَيِّمُ أَمْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِلَّا مَنْ لَا يُصَعِّدُ لَأَوْ يُضَالِحُ لَأَوْ يَتَّبِعُ الْمَطْعَمَ)^(٥). ف «المُضَارَعَةُ: فُاعِلَةٌ مِنَ الضَّعِّ وَهُوَ الدَّلَّةُ كُلُّهَا مِنْهُمَا يُضْرَعُ لِلْآخِرِ، وَظَاهِرٌ أَنَّ مِصَانِعَةَ الْآخِرِ تَسْتَلْزِمُ طَلْبَ رِضَاهِ وَذَلِكَ يَمْنَعُ مِنْ إِقَامَةِ حُدُودِ اللَّهِ»^(٦). وكذا ما في خطبة الرضي في مقدمة النهج: «وعاقت عن إتمام بقية الكتاب محاجزات الأيام ومماطلات الزمان»^(٧)، وفيه: «المحاجزات جمع محاجزة وهي المانعة من الطرفين كأن الأيام ممانعة عن العمل وهو يمانعها منعها له، والمماطلات جمع مماطلة مفاعلة أيضا من الطرفين كأن الزمان لاغتراره بطوله يعده بإنجاز العمل فيخلف. وكأنه لطول أمله يعد الزمان بوقوع العمل فيه فيخلف»^(٨). ومنها: «المناسبة: المعادة والمقابلة في الحرب لأن كلاً قد نصب نفسه وشهه للآخر»^(٩). و «المزيلة: المفارقة وهي فاعلة من الطرفين»^(١٠). و «الموافقة مفاعلة من الطرفين»^(١١). وسمى بعضهم المشاركة ب (المقابلة) ، قال السامرائي في قوله (هـ): (إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللَّهِ فِي عَظَمَتِهِ)^(١٢): «أقول: والمساماة هي المقابلة في السمو، والفعل بناء (فاعل) من السمو والمصدر مفاعلة»^(١٣). وغير هذا كثير^(١٤).

(١) ينظر: الكتاب ٦٨/٤ وإصلاح المنطق ١٤٤ والمفصل ٢٨١ وأوزان الفعل ٣٢٤ ودروس التصريف ٧٢.

(٢) المعتزلي ٢٧٤/١٨ . (٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢، ص ٣٧٠-٣٧١ .

(٤) البحراني ٩٦/١ . (٥) نهج البلاغة: الحكمة ١١٠، ص ٦٢٠ .

(٦) البحراني ٢٧٧/٥ . (٧) نهج البلاغة ١٠ .

(٨) البحراني ١٢٤/١ . (٩) نفسه ٢٢٤/٤ .

(١٠) نفسه ١٤٣/١ .

(١١) نفسه ٣٨٨/١ .

(١٢) نهج البلاغة ر ٥٣ ص ٥٤٦ .

(١٣) السامرائي ٣٤٠ .

(١٤) ينظر: المعتزلي ٩٠/١٥ وأنصاريان ٢٣٢/١ وعبد ١٤٨/٢ و ١٩٨/١ والشيرازي ٣١٨/١ .

٢- الصيرورة . نحو: «ظاهر: إذا صار ظهرا، أي: بعيدا»^(١). و «جاهوكم العبر، أي: صارت شيئا جهيرا صريحا لكم»^(٢).

٣- الجعل . نحو: «لأعم بين مختلفاتها، أي: جعل المختلفات متماثلات»^(٣) و «أس بينهم: اجعلهم أسوة»^(٤).

٤- المبالغة . نحو: «خابط الغي: كأنه جعله والغي متخابطين، يخبط أحدهما في الآخر، وذلك أشد مبالغة من أن يقول: خبط في الغي»^(٥) فجاء «ذكر المخابطة هنا للمبالغة من كلا الجانبين»^(٦).

وقد ألمح بعض الشراح^(٧) الى أن أمثلة (فاعل) لا تتخلى عن المشاركة وإن بان غلبة أحد الفاعلين على صاحبه كأن يكون الفاعل هو (الله) مثلا كما في قوله (هـ): (قاتلكم الله)^(٨)، فهذا دعاء عليهم بالموت لأن خصمهم في القتال هو الله تعالى، وإنما جاء بباب المفاعلة؛ لأن الأصل في القتل ان يكون من الجانبين، فكل يريد قتل الآخر، أو إنه

شبه إرادة الله موتهم وإرادتهم عدم الموت بالمقاتلين الذين يريد أحدهما قتل صاحبه ويريد صاحب مثله ، وأصل القتال يكون من طرفين كل يريد قتل صاحبه وإن كان هذا المعنى مفقودا في هذا المثال ، وفي قوله تعالى : ﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾^(٩) . ويفهم من هذا أن المعنى الجامع لأمثلة باب المفاعلة هو المشاركة التي قد تكون ظاهرة إذا كانت بين متماثلين ، وقد تكون خفية إذا كان ثمة بون كبير بينهما كما في : (قاتلكم الله) الذي هو دعاء عليهم بأن يقابلوا ويقاتلوا أعظم قوة في الوجود .

(١) عبده ٣٤/٣ .

(٢) نفسه ٦٧/١ .

(٣) المعتزلي ٨١/١ .

(٤) نفسه ١٦٤/١٥ .

(٥) نفسه ٣٣١/١ .

(٦) انصاريان ١٢٠/١ وينظر : البحراني ١٤/٢ والسامرائي ١٤٦ .

(٧) ينظر : الشيرازي ١٥٥/١ و ٢٧٦/١ .

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ٢٧ ص : ٦٣ ، خ ٧١ ص : ١٠٩ .

(٩) التوبة ٣٠ وينظر : الكشاف ١٨٥/٢ والبحر المحيط ٤٠٢/٥ .

المطلب الثالث : دلالة الفعل المزيد بحرفين فأكثر.

أولا : معاني انفعال^(١)

١ - المطاوعة . أطبق الصرفيون على أن لهذا البناء معنى رئيسا هو المطاوعة ، نحو : صرفته فانصرف ، وقسمته فانقسم ، وكسرتة فانكسر ، وهدمته فانهدم ، ومعنى المطاوعة هو : إن أثر الفعل يظهر على مفعوله فكأنه استجاب له . ولاحظوا أن هذا البناء خاص بالافعال الثلاثية العلاجية التي تدل على عمل وحركة ، أما الافعال الباطنية من غير الثلاثي فلا تكون مطاوعتها بانفعال ، فلا يقال : أحكمته فانحكمت ، ولا علمته فانعلم . واشتروا في هذا البناء أن لا

تكون فاء الفعل لاما او راء او واوا او نونا او ميما^(٢) . وجاء في متن النهج (انفعل) فاؤه ميم ك(انمحي وانماث) وغير ذلك ، وهذا يردّ بعضا من شروط الصرفيين في اشتقاق هذا البناء الفعلي .

وقل لديهم مجيء (انفعل) لغير المطاوعة كما جاء في كتاب سيبويه في باب ما لا يجوز فيه فعلته من نحو : انطلق ، وانجرد ، وانكمش ، وانسل ، قال : « وهذا موضع قد يستعمل فيه انفعل وليس مما طواع فعلت »^(٣) . ولتحقيق معنى المطاوعة اشترط الصرفيون أن يكون الثلاثي منه متعديا، واسقط بعضهم هذا الشرط بقوله : « ماذا يقول هؤلاء في انكدرت النجوم ، وانزعج فلان ، وانداح البطن ، وانباع العرق ، وانشمر ، وانساح ، وعشرات غيرها »^(٤) . وخالف الدكتور مصطفى جواد جمهور الصرفيين في إقرارهم معنى المطاوعة لأمثلة انفعل بحجة أن العرب لم تسمع إعرابيا فصيحا استعمل في كلامه نحو : كسرت العود فانكسر^(٥) . واستقصى الدكتور هاشم طه شلاش هذه الظاهرة في الشعر العربي الفصيح فجمع منها عدة شواهد تدلّ على استعمال العرب هذه الظاهرة في كلامهم واستحسانهم إياها في تأكيد المعنى وإيضاحه^(٦) .

(١) ينظر : الكتاب ٧٦/٤ - ٧٧- والمنصف ٧٢/١ وشرح المفصل ١٥٩/٧ .

(٢) ينظر : شرح الشافية ١٠٩/١ ودروس التصريف ٧٦ واوزان الفعل ٨٧-٨٩ ، ١٥٧-١٥٩ والمغني في تصريف الافعال ١٤٤ .

(٣) الكتاب ٢٤٢/٢ .

(٤) اوزان الفعل ٨٧ .

(٥) ينظر: المباحث اللغوية في العراق ١٧

(٦) ينظر: أوزان الفعل ٨٨-٨٩ .

ومن أمثله لدى الشراح ما في قوله (ي) يذم الدنيا : فَرِدِ أَنْسَلْتُ مِنْ مَطْلٍ بِكَ^(١) . وقوله (ي) يذكر آل محمد (عليهم السلام) عليه وآله وسلم) : (بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ إِلَىٰ ذِصْبِهِ وَأَتْرَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ قَمَامِهِ وَأَنْقَطَ لِسَانُهُ عَنْ مَنبَتِهِ)^(٢) . وقوله (ي) في الاستسقاء : (هَلَلُمَّ قَدْ أَنْصَاحَتْ جِبَلُنَا)^(٣) . وقوله (ي) يصف بعضهم : (لَا يَنْزَجِرُ مِنَ اللَّهِ نَوَاجِرِ)^(٤) . فانسل مطاوع سللته ، وانقطع مطاوع قلّعته ، وانزاح مطاوع زحته ، وانصاح مطاوع صاح الذببت إذا جف وفيه دليل على جواز المطاوعة من اللازم^(٥) .

٢-الدخول في الزمان أو المكان . ومنه ما في قوله (ي) : (وَبِنَا أَنْفَجَرْتُمْ عَنِ السَّوَارِ)^(٦) ، والمعنى لدى الشراح جميعا هو : دخلتم في الفجر^(٧) . واستظهر بعضهم رواية (أفجرتم) بدلا من (انفجرتم) ؛ لأنّ (انفعل) الكثير فيه هو

المطاوعة ، والقليل فيه أن يفيد الدخول في الزمان . اما (أفعل) فيدلّ على معنى الدخول في الزمان كثيرا نحو : أضحى وأمسى وأصبح وغيرها^(٨) . ومن أمثله الدخول في المكان ما جاء في قوله (ف) : في ذم بعض أصحابه لعودهم عن قتال أهل الشام : (وَأَنْجَرَ أَنْجَارَ الضَّبِّ فِي جُحْرِهَا)^(٩) . فقوله : ((انجر أي دخل الجحر ، وهذا الفعل يندرج في الأفعال التي تعتمد في اشتقاقها على المكان والموضع))^(١٠) .

وورد لدى الشّراح مجيء (انفعل) بمعنى نظيره في الاشتقاق المزيد بحرفين أو ثلاثة ، من ذلك ((انغلق واستغلق إذا عسر فتحه))^(١١) . و ((انفعل واستفعل واحد ، نحو انكفى واستكفى))^(١٢) . و ((انجلى الشيء وتجلّى اي انكشف وظهر))^(١٣) . ولم يشيروا الى معنى المطاوعة في هذه الأفعال مع أنه ظاهر بين فيها .

-
- (١) نهج البلاغة ر ٤٥ ص : ٥٣٣ .
 - (٢) نهج البلاغة : الخطبة ٢٣٩ ص : ٤٥٤ .
 - (٣) نهج البلاغة : الخطبة ١١٥ ص : ٢١٥ .
 - (٤) نهج البلاغة ك الخطبة ١٠٩ ص ٢٠٠ .
 - (٥) ينظر : الكيدري ٥٥٣/١ والمعتزلي ٢٠٨/١ ، ٢٦٣/٧ والبحراني ١٠٥/٣ ، ٣١٢/١ وعبد ٤٤/١ والخوئي ١١٧/٣ ، ١٠ / ٥٨ ومغنية ١٩٥/٢ والموسوي ١٢٠/١ ، ٢٩٩/٢ والشيرازي ١٨٨/٢ ، وأنصاريان ٣٩٥/١ .
 - (٦) نهج البلاغة : الخطبة ٤ ص : ٣٤ .
 - (٧) ينظر : الرواندي ١٣٧/١ والكيدري ١٧٣/١ والمعتزلي ٢٠٨/١ - ٢٠٩ / البحراني ٢٧١/١ وعبد ٤٣/١ والخوئي ١١٧/٣ ومغنية ١٠٠/١ وأبو الفضل ٣٧/١ وأنصاريان ٨٢/١ والشيرازي ٧٧/١ والموسوي ١٢٠/١ .
 - (٨) ينظر : المعتزلي ٢٠٩ والخوئي ١١٧/٢ .
 - (٩) نهج البلاغة : الخطبة ٦٩ ص ١٠٧ .
 - (١٠) السامرائي ١٠٥ وينظر : البحراني ١٩١/٢ والشيرازي ٢٧١/١ ومغنية ٧٩ / ٢ .
 - (١١) انصاريان ٢٠٣/١ . (١٢) البحراني ٤٠٣/١ . (١٣) انصاريان ١٩٥/١ .

ثانيا : معاني افتعل^(١) .

١ - **الجعل** . وهو المعنى المبرز في أمثلة (افتعل) من النهج كما في أقوال الشّراح : ((أرتحلّ البعيرَ نَحْطًا عليه الرَّحْلَ فجعله كالراحلة))^(٢) . و ((ائتم فلانٌ بفلانٍ ، اي : جعله إماما))^(٣) . و ((احتبلهم ، اي : جعلهم مقبدين بالحبال))^(٤) . و ((ارتهن أنفسهم ، أي : جعل أنفسهم رهنا))^(٥) . و ((اعتقد : جعل لنفسه عُقدة كالذخيرة من المال))^(٦) . و ((مرتفق لخدّيه ، أي جاعل : مرفقيه تحت خدّيه كالنادم))^(٧) .

٢ - **الاشتراك** . وهو معنى ألمح إليه الشّراح في معظم المواضع وذلك بقرن أمثلة باب الافتعال بنظائرها من بابي التفاعل الذي يدل على الاشتراك ، والفرق بين الاشتراك والمشاركة التي هي الدلالة الرئيسة في باب المفاعلة هو أن

الاشتراك في باب الافتعال - وكذا التفاعل الآتي - بين جماعة كلهم فاعل لفظا ومعنى على حين تكون المشاركة في باب المفاعلة بين اثنين فاعلين في المعنى دون اللفظ^(٨). ويتضح الاشتراك في أقوال الشراح : « ارتمى القوم : اذا تراموا بالنبال »^(٩) . و« انتجى القوم وتناجوا ، اي : تساروا »^(١٠) . و« اقتسموا المال بينهم ، اي : تقاسموه »^(١١) . وصرح بعضهم بحمل الافتعال على التفاعل في مسألة الإعلال فقال : « أنما ظهرت الواو في اعتور لانه في معنى تعاور فُبنى عليه ... لأنّ التعاور يستدعي الضدين معا »^(١٢).

٣- الاتخاذ . ومن أمثله ما في قوله (ع) في خلق آدم : « جَوَّارِحَ يَخْتَمِمُهَا »^(١٣) ، وفيه « جوارح يختمها : أي يتخذها خوادم »^(١٤) ، و« الفعل أخذم كأنه يفيد أن الانسان يتخذ من جوارحه خدما له فهو يختمها »^(١٥) . ومن أقوالهم فيه - أيضا - : « الانتباز : التّحّي واتخاذ مكان بعيد »^(١٦) . و« المحتجبة بصيغة الفاعل ، اي : المتخذة لنفسها حجبا ، ففائدة الافتعال الاتخاذ »^(١٧) . و« اكتنز العلم ، اي : اتخذه كنزا »^(١٨) و« أدّرعه : لبسه كالدرع »^(١٩) كأنه اتخذه درعا له.

(١) ينظر: ديوان الأدب ٤٢٠/٢ والمبدع في التصريف ١١٥ وأوزان الفعل ٨٩ - ٩٤ .

(٢) انصاريان ٢٨٤/١ وينظر: عبده ٢١١/١ .

(٤) انصاريان ١٥٤/١ وينظر: عبده ١٠٩/١ .

(٦) المعتزلي ٣٠/١٤ . وينظر: عبده ١٧٢/٣ .

(٨) ينظر: دروس التصريف ٧٤ .

(١٠) المعتزلي ٢٤/٧ .

(١٢) المعتزلي ٨٢/١٠ وينظر: ٣١/٧ .

(١٤) السامرائي ١٤٧ .

(١٦) الخوئي ٣٠٦/٦ .

(١٨) نفسه ٢٨٤/١ .

(١٩) البحراني ٢١٤/٤ .

٤- الصيرورة . نحو : « اعترض الشكّ : صار عارضا ومانعا »^(١) . و« تكترش من أعلافاها : أي صارت منه ذات كرش »^(٢) .

٥- الاظهار . وهو معنى عبر عنه الشراح - أيضا - بألفاظ أخرى منها الإتيان والإصابة وغير ذلك ، نحو : « احتجّ : أتى بالحجة ، أي : أظهرها »^(٣) . و« يختال : يصيبه الخيلاء »^(٤) . و« اغترّ آدم عدوه الشيطان ، بمعنى : أظهر الغرور له »^(٥) .

٦-المطاوعة . كما في قول بعضهم : « التوى وتَوَّ بمعنى وكلاهما مطاوع لويت »^(١). وقول الآخر : « الزجر: النهي والمنع ، زجر ، اي : منع ، وازدجر مطاوع ازدجر ، اللفظ فيهما واحد ، تقول : ازدجرت زيدا عن كذا فازدجر هو ، وهذا غريب ، وإنما جاء مطاوع ازدجر في زجر لانهما كالشيء الواحد . »^(٧) .

٧- الطلب . كما في قول بعضهم : « احتسبت كذا عند الله ، اي : طلبت به الحسبة بكسر الحاء وهو الاجر »^(٨). وقول الآخر: « ارتأى في الأمر: اذا فكَر فيه طلبا للرأي الأصلاح . وهو افتعل من رأى ، والافتعال يستعمل في من يفعل شيئا لنفسه كالاكتساب والاكتمال وما شاكلهما »^(٩) . وكذا : « الاقتراب : طلب القرب »^(١٠) ، و « الارتياح طلب ما يرد »^(١١) وغير ذلك^(١٢) .

٨- المبالغة . كما في قول بعضهم : « احتصد ابلغ من حصد »^(١٣) ، وقول الآخر : « ارتسخت أسماؤهم مثل رسخت ، كأنها أقوى في الرسوخ بسبب الزيادة »^(١٤) وغير ذلك^(١٥) .

(١) الموسوي ٧٥/١

(٢) الرواندي ١٥١/٣ وينظر: المعتزلي ٢٨٨/١٦

(٣) الموسوي ٤٠٢/١

(٤)البحراني ٣٠٧/٣ .

(٥) مغنية ٥٢/١ وينظر:التستري ٥٩٠/١ .

(٦) الراوندي ٣٤/٢ .

(٧) المعتزلي ٢٥٦/٦ .

(٨) البحراني ٧٢/٥ .

(٩) انصاريان ٦٤/١ .

(١٠) انصاريان ٣٥٩/١ . (١١) عبده ١٦٩/١ .

(١٢) ينظر : المعتزلي ١٣٠/٩ والبحراني ٢٢٤/٣ ، ١٤٧/٤ والسرخسي ١٨٥/١ وانصاريان ١٠٨/١ .

(١٣) الراوندي ٧٤/٢ .

(١٤) السرخسي ١٨٧/١

(١٥) ينظر: الراوندي ٧٤/٢ والمعتزلي ٢٤٩/٦ ، ٤٤٠/٦ ، ٢٣/١٨ والبحراني ١٣٩/١ ، ٣٩٦/٤ وعبده ١٦/١ ، ١٦٦/١ ، ١٧/٢

ومغنية ١٤٣/٢ والشيرازي ٢٧٩/٢ والسامرائي ١٧٦ .

ثالثا : معاني تفاعل (١)

١- الاشتراك . ومن أمثلته : تذاكَّ النَّاسُ ، تزاخموا وكأَنَّ في ازدحامهم تدافعا بحيث يضرب أحدهم الآخر بجنبه^(٢) وتواكل القوم : اتكل بعضهم على بعض ، وتخاذلوا ، أي : خذل بعضهم بعضا^(٣) . وتواصَّفوا الشيء : وصفه بعضهم لبعض^(٤) . وتتواصَّف القوم : انصف بعضهم بعضا ، والتتواصَّف تفاعل يكون بين اثنين أو أكثر وهو أن أنصفك من

نفسى وتتصفنى من نفسك^(٥). والتصاؤل : أن يحمل كل واحد من القرنين على صاحبه^(٦). وتخاذ القوم إذا استغفل كل واحد منكم صاحبه وخذعه^(٧). والتحاؤ : تفاعل يستدعي وقوع الحؤ وهو الحث من الجهتين ، اي : يحث بعضهم بعضا^(٨) ، وغير ذلك .

٢- الإظهار . نحو : تبارك الله ، تفاعل من البركة وهو بمعنى الاتيان بها او إظهارها^(٩). وتعاى أهله بصفة دائمة ، أي : بدا منهم العى^(١٠). وتعاى : أظهر الغباء^(١١). والتعاير : إظهار الغيرة على المرأة^(١٢). والله تعالى لم يتناه في العقول ، أي : لم تظهر نهايته فيها لأنها أعجز من أن تقدره تعالى^(١٣). والمتناسون الذين يظهرون نسيان الشيء تكلفا كما يقال : تمارض وتموت^(١٤).

-
- (١) ينظر: ديوان الأدب ٤٧٣/٢ وشرح الشافية ١٠٠/١ والمغني في تصريف الأفعال ١٣٨- ١٣٩ ودروس التصريف ٧٦.
- (٢) ينظر: عبده ٥٩/٣ والسامرائي ١١١
- (٣) ينظر: انصاريان ١٣١/١ .
- (٤) ينظر: نفسه ٤٥٥/٢ .
- (٥) ينظر: السرخسي ١٨٣/١ ومغنية ٤٢٠/٤ .
- (٦) ينظر: المعتزلي ٣٣/٤ .
- (٧) ينظر: المعتزلي ١٦٨/٣ .
- (٨) ينظر: المعتزلي ٣/١٣ والسرخسي ١٩٢/٨ .
- (٩) ينظر: المعتزلي ١٩٣/٧ وانصاريان ٣٢٨/١ .
- (١٠) ينظر: الراوندي ٤٢٧/١ والمعتزلي ٦١/٧ .
- (١١) ينظر: المعتزلي ١٦٦/١١ .
- (١٢) ينظر: نفسه ٣/١٦ .
- (١٣) ينظر: عبده ٦٩/٣ ومغنية ٢٥٠/٥ .
- (١٤) ينظر: انصاريان ٢٧٤/١ .

٢- الصيرورة . كما في قول بعضهم : «تواخى الناس : صاروا إخوة ، والأصل تأخى الناس فأبدلت الهمزة واوا»^(١) .

٢- المبالغة . نحو : تمادى فلان : تفاعل من المدى وهو بلوغ الغاية فيه ، أي : لم يقف بل مضى قُدما^(٢) .

٥- التكلف . نحو : تحامل على نفسه : إذ تكلف حمل الشيء على مشقة^(٣) .

٦- المطاوعة : نحو : حثّ القشرة ، أي : فركها لتسقط ، وتحاتّ الورق مثل انحثّ كلاهما مطاوع حثّ^(٤) .

٨- بمعنى **تَفَعَّل** : نحو : تكأَدنا الأمر وتكأَدنا ، بمعنى : شقَّ علينا ، ومنه عَقَبَةٌ كَوُود . ومثله تعهدَّ الضيعة وتعاهدتها^(٥) . وفرَّق أكثرهم بين أمثلة التفاعل والتفعل بأن « التكاثر أقل من التكثر »^(٦) ، « والتعهد للضيعة أفصح والتعاهد إنما يكون بين اثنين »^(٧) .

-
- (١) المعتزلي ٩٢/٧ .
(٢) ينظر : نفسه ٨١/١٥ .
(٣) ينظر : الراوندي ١٦٧/٢ .
(٤) ينظر : السامرائي ١٢١ .
(٥) ينظر : البيهقي ٣٢١ والمعتزلي ١٦١/١١ ، ٩٢/١٣ والبحراني ٤٧/٣ .
(٦) الراوندي ٢٤٩/٢ .
(٧) الكيدري ١٦٥/٢ .

رابعاً : معاني تَفَعَّل^(١)

١- **التجنب** . وقد ذكر الشراح لهذا المعنى عدة أسماء أخرى منها : الإزالة والفرار والخوف والخشية والترك . ومن أقوالهم فيه : « لا يتأتم ، اي : لا يخاف الإثم . »^(٢) . و« التذمُّم : الفرار من الذم »^(٣) . و« التخرُّج : مجانية الحرج ،

- أي : الضيق ، يقال : تحرّج ، أي : فعل فعلا جانب به الحرج ، كما يقال : تحنّث إذا فعل ما يخرج به عن الحنث ، وللعرب أفعال تخالف معانيها ألفاظها ، قالوا : تحرّج وتحنّث وتأنّم وتهجّد إذا ترك الفعل»^(٤) .
- ٢- الأدياء . نحو : «تجرّمت على فلان : أدعيت عليه جرما وذنبا»^(٥) . و«التجنى : دعوى الجناية على من لم يفعلها»^(٦) .
- ٣- بمعنى فَعَلِي . نحو: «لم يتشعبهم ريب المنون ، اي : لم يفرّقهم الموت ، وتشعب بمعنى شعب»^(٧) . و«تولّت وولّت ، كلاهما بمعنى واحد ، أي : أدبرت هاربة»^(٨) . و«تجلى بمعنى جلّى ، نحو : حدّث وتحدّث»^(٩) .
- ٤- الاظهار . نحو: «يتعلّل : يظهر العلة أو يشغل نفسه بالباطيل»^(١٠) .
- ٥- التدرّج . نحو : «التمرّز : الامتصاص قليلا قليلا»^(١١) . و«التسقط في الخبر: إذا أخذه قليلا قليلا»^(١٢) وتوردت الخيل : من الورود ، أي : وردت شيئا بعد شيء^(١٣) . و«التقمّم : تتبّع القمامة وهي الكناسة»^(١٤) و «التصرّم : تقضي الأمر شيئا فشيئا»^(١٥) .

(١) ينظر: ديوان الأدب ٤٦٥/٢ - ٤٦٦- والمتع في التصريف ١٨٣/١ ودروس التصريف ٧٥ وأوزان الفعل ٩٤ - ١٠١ والمغني في تصريف الأفعال ١٤٠ - ١٤٤ .

(٢) البحراني ٢١/٤ وينظر: وعده ٢١٠/٢ والسامرائي ٦٦ .

(٣) السامرائي ١٦٨ وينظر: مغنية ٩٣/٦ .

(٤) الخوئي ٢٧/١٤ .

(٥) المعتزلي ١٨/١ وينظر: وعده ١٨٤/٣ .

(٦) الراوندي ١٨/٣ وينظر: البحراني ٣٢٠/٤ .

(٧) الراوندي

(٨) الخوئي ٦١/٤ .

(٩) الراوندي ٤٥٨/١ .

(١٠) مغنية ٤٥٢/٤ .

(١١) المعتزلي ٣٣٣/٣ وينظر: البحراني ١٣٩/٢ وعده ١٢٥/١ وابو الفضل ١١٦/١ والسامرائي ١٩٥ و ٣٢١ .

(١٢) وعده ١٢١/٣ .

(١٣) ينظر: البيهقي ٢٣٩ والبحراني ٣٣٢/٣ وعده ١١٥/٢ ومغنية ٥١٧/٣ .

(١٤) المعتزلي ٢٨٨/١٦ وينظر: البحراني ٩٦/٥ .

(١٥) البحراني ١٣٩/٢

٦- المبالغة . نحو: «التورّع مبالغة في الورع»^(١) . و«المنتصّح : المبالغ في النصيحة»^(٢) . و«تولّهت القلوب اليه : اشتدّ ولهها»^(٣) .

٧- **الطلب** . نحو : « تأوّلوا على الله فأكذبهم ، أي : طلبوا لأفعالهم تأويلا لا يرضي الله »^(٤) . و« تعرّفتها : طلبت معرفتها »^(٥) . و« التقصّي : الاستقصاء ، أي : طلب أقصى الأمر »^(٦) . و« تنجّزت الامر : سألت إنجازه »^(٧) . و« التحري : طلب الاولى والاولى »^(٨) . و« المتنّسّم : موضع التنّسّم وهو طلب النسيم واستنشاقه »^(٩) .

٨- **الصيرورة** . نحو : « تبهجّت : صارت ذات بهجة وحسن »^(١٠) . و« تبعلت المرأة : صارت ذات بعل »^(١١) . و« توكلّ لهم : صار وكيفا ، وتكفّل : صار كفيلا »^(١٢) . وتولّى الناس : صار واليا عليهم^(١٣) و « تشعبوا : صاروا شعوبا وقبائل »^(١٤) .

٩- **التكلاف** . نحو : « التجلّد : تكلف الجلادة ، وهي القوة والشدة »^(١٥) . و« التحلّم : تكلف اللحم »^(١٦) . و« تعفّف الرجل : أي تكلف العفة »^(١٧) .

-
- (١) انصاريان ١٢/٢ .
 - (٢) الراوندي ٨٢/٣ .
 - (٣) المعتزلي ٤٠٨/٦ .
 - (٤) الكيدري ٥١٠/٢ وينظر: السامرائي ٧٧ .
 - (٥) مغنية ٤٧١/٤ وينظر: عبده ٢٣٦/٢ .
 - (٦) السرخسي ١٥٥/١ .
 - (٧) البحراني ١٢٨/١ .
 - (٨) نفسه ٦٩/٤ .
 - (٩) انصاريان ٢٩٤/١ .
 - (١٠) مغنية ٧٢/٥ .
 - (١١) مغنية ٢٠٢/٦ .
 - (١٢) المعتزلي ٢٩٦/٨ .
 - (١٣) ينظر: المعتزلي ٤٢٩/٦ والبحراني ٣٧٥/٢ .
 - (١٤) المعتزلي ١٧١/١٣ .
 - (١٥) الخوي ٣/١٣ .
 - (١٦) المعتزلي ٢٧/١٩ .
 - (١٧) نفسه ٣٨٥/٦ .

١٠- **الإظهار** : نحو : « التوعّد : إظهار الوعيد »^(١) . و« التجمّل : التزيّن وتكلاّف الجميل وإظهاره »^(٢) .

١١- الإِتْخَاذُ : نحو: « تشَطَّرَا : اتَّخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُم شَطْرًا »^(٣) . و« يَتَّخِذُهَا وَطَنًا »^(٤) . و« تَوَلَّاهُ ، أَي : اتَّخَذَهُ وَلِيًّا »^(٥) . و« تَسَمَّتِ الْعِلْيَاءُ ، أَي : اتَّخَذَتْهَا سَنَامًا لَكُمْ »^(٦) . و« تَقَمَّصَهَا : اتَّخَذَهَا قَمِيصًا »^(٧) . و« الْمَتَّقِدُ : الَّذِي يَتَّخِذُ الظَّهْرَ قَعُودًا يَسْتَعْمَلُهُ لِلرُّكُوبِ فِي كُلِّ حَاجَاتِهِ »^(٨) .

١٢- الدَّخُولُ فِي الشَّيْءِ الَّذِي اشْتَقَّ مِنْهُ الْفِعْلُ : نحو: تَسْرَبُ ، إِذَا دَخَلَ فِي السَّرْبِ^(٩) . وَتَقَمَّمُ : أَي رَمَى نَفْسَهُ فِي مَهْلَكَةٍ مِنْ غَيْرِ رُوِيَّةٍ^(١٠) .

١٣- التَّشْبِيهِ : نحو : تَمَّرَ فُلَانٌ : إِذَا تَشَبَّهَ بِفِعْلِ النَّمْرِ ، وَالْمَعْنَى : تَغَيَّرَ خَلْقُهُ^(١١) .

خامسا : معاني افعال^(١٢)

وهو لدى الصرفيين دالٌّ على المبالغة في الألوان والعيوب وهو دون افعالٍ فيها ، ومن أمثلته في النهج (اغبرت أرضنا)^(١٣) ، إذ فسّوه الشّراح بكثرة غبرتها ، وهو لون الغبار وفيه كناية عن الجذب والبور^(١٤) . ومثله ما ورد في قوله (٤) يصف بعثة النبي (حلم الله عليه وآله): (رُسِلَهُ عَلَى نَفْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ... عَلَى حِينِ اصْفَوَارٍ مِنْ وَرْقِهَا وَإِيَّاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا وَاغْرِارٍ مِنْ مَائِهَا)^(١٥) ، وفيه الاصفرار مصدر اصفرّ على افعالٍ وهو مبالغة في صفرة الورق ، والاغورار مصدر اغور وهو مبالغة في غور الماء^(١٦) ، وفي (الاغورار) دليل على دلالة افعالٍ على غير الألوان والعيوب .

(١) عبده ٢٢٦/٣ .

(٢) انصاريان ٣٥٦/٢ .

(٣) الخوئي ٤٨/٣ وينظر: مغنية ١٩٧/١ .

(٤) مغنية ٤٧١/٤ .

(٥) انصاريان ٢٨٧/١ .

(٦) انصاريان ٨١/١ وينظر: عبده ٤٤/١ والموسوي ١١٩/١ .

(٧) عبده ٦٥/٣ .

(٨) انصاريان ٩٢/١ .

(٩) ينظر: عبده ٣٩/١ .

(١٠) ينظر: البحراني ٣٨٣/٢ وانصاريان ٢٩٤/١ .

(١١) ينظر: المعتزلي ١٢٦/١٥ والبحراني ٣٤٧/٤ والسامرائي ٣٤٤ .

(١٢) ينظر: الكتاب ٧٦/٤- ٧٧ و شرح الشافية ١١٢/١ وارتشاف الضرب ٨٦/١- ٨٧ والمغني في تصريف الأفعال ١٥٦- ١٥٧

وأوزان الفعل ومعانيها ١٠٣- ١٠٦ .

(١٣) نهج البلاغة : الخطبة ١١٥ ص: ٢١٥ .

(١٤) ينظر : الراوندي ١٧/٢ ومغنية ١٩٥/٢ والشيرازي ٢٢٣/٢ .

(١٥) نهج البلاغة : الخطبة ٨٩ ص: ١٤٥ .

(١٦) ينظر : الراوندي ٣٧٠/١ والكيدري ٤٢٥/١ والمعتزلي ٣٨٨/٦ والبحراني ٢١٣/١ والخوئي ٢٦٠/٦ .

سادسا : معاني استفعال^(١) .

١- **الطلب** : وهو المعنى الرئيس لاستفعل في العربية ، وكثيرا ما يسمّى بالمسألة ، نحو : استوهبته كذا ، اي : سأنته هبة لي ، واستعطيته : سأنته العطية ، واستعجلته : سأنته العجلة^(٢) . وتبين لبعض المحدثين أنّ معنى الطلب إنّما ثبت في هذا البناء لوجود الالف والسين والتاء في صدره ، وهذه الأحرف الثلاثة هي بقية فعل فقد في العربية وحُفظ في السريانية ، وأصله (سطا) بمعنى مال او طلب ، فعند قولهم : استقتل يكون المعنى الاصلى مال الى القتال او أحبه ، وهو قريب من معنى الطلب الذي قرره علماء العربية لأمثلة (استفعل)^(٣) . ويدخل على هذا الراي ان (سطا) السرياني لا يشبه اللاصق العربي (است) من حيث الترتيب ، فضلا عن ان هذا اللاصق يفيد عدة معان اخرى غير الطلب والميل نحو الشيء ، ومعنى الميل يمكن ان يفهم من (استفعل) الواقع من العقلاء ولكن يصعب تفسيره مع الفعل الواقع من غيرهم ، نحو : استحجر الطين ، او استنسر البغاث وغير ذلك من المعاني التي فسرها العلماء بالتحول والصيرورة . ومن أمثلة هذا المعنى في أقوال الشّراح : « استعينك : أطلب منك المعونة »^(٤) . و« يستزلّ : يطلب الزلل »^(٥) . و« استشفعها إليه : سألهما أن يشفعا له عنده »^(٦) . و« استهوتك : طلبت هواك إليها »^(٧) . و« استفلّهم ، اي : طلب منهم التفرق ... والفّلّ : التفريق »^(٨) . و« مستأديكم شكره : طالب منكم أداء ذلك والقيام به »^(٩) . و« الاستقالة : طلب الإقالة »^(١٠) . و« الاستمطار : طلب المطر »^(١١) . و« استحفظك : طلب منك حفظه »^(١٢) . و« استوصف الطبيب : طلب منه وصف الدواء بعد تشخيص »^(١٣) . و« استفتحوا الله ، اي : اسالوا الله النصر والفتح »^(١٤) وغير ذلك^(١٥) .

(١) ينظر: الكتاب ٧٠/٤-٧١ وأدب الكاتب ٣٦٠ والممتع في التصريف ١٩٥/١ وأوزان الفعل ومعانيها ١٠٧-١١٢ .

(٢) ينظر: اوزان الفعل ومعانيها ١٠٧ .

(٣) ينظر: الفلسفة اللغوية ٣٩ .

(٤) عبده ١٠٦/٢ .

(٥) الراونديّ ٢٢٨/١ .

(٦) عبده ١٥٢/١ .

(٧) البحراني نفسه ٣٥٤/٣ .

(٨) المعتزليّ ١٤٢/١١ وينظر: السرخسي ٤٢١/١ وانصاريان ٤٥/١ ومغنية ١١٩/١ .

(٩) انصاريان ٢٧/١ . (١٠) نفسه ٣٤٨/١ .

(١١) عبده ١١١/٣ . (١٢) نفسه ١٨٥/٣ .

(١٤) الراونديّ ٢٨٦/٢ .

(١٥) ينظر: المعتزليّ ٦١/٢ والبحراني ١٨١/١ ، ١٨١/٢ ، ٣٠٠/٢ والسرخسي ٢٤٧/١ وعبده ١٤٠/١

ومغنية ٦١/٢ ، ٤٦٥/٦ والتستريّ ٥٠٥/٧ وانصاريان ١٩٢/١ .

٢- **الجعل** . نحو: « استشعر الحزن : جعله كالشُّعار ، وهو ما يلي البدن من الثياب »^(١) . و « استلأم : لبس لأمة الحرب وهي الدرع »^(٢) . و « استهام بك الخبيث ، اي : جعلك هائماً ضالاً »^(٣) . و « استظهر به : جعله كالظهر »^(٤) . و « استحفظكم من كتابه : جعلكم حفظة له »^(٥) . و « استزلّتهم الكبرياء : جعلتهم ذوي زلل وخطأ ، واستخفّتهم الجاهلية : جعلتهم ذوي خفةٍ وطيش »^(٦) . و « استفرغتهم أشغال عبادته ، اي : جعلتهم فارغين عن غيرها »^(٧) .

٣- **الاتخاذ** . نحو: « استوطن البقعة : اتخذها وطناً »^(٨) . و « استظهرت بفلان : اتخذته ظهراً »^(٩) . و « استشعرت الشيء : اتخذته شعاراً . »^(١٠) . و « استدلّوا : اتخذوا دليلاً »^(١١) . و « المستصبح : المتخذ لنفسه مصباحاً »^(١٢) .

٤- **الصيرورة** . نحو : « استقل : صار فحلاً »^(١٣) . و « استشهد : صار شهيداً »^(١٤) .

٥- **بمعنى فعل**: كما في أقوالهم : « تستحيلُ الكلمة الواحدة ، أي : تحيلُهُ وتغيّره عن مقتضى طبعه .. واستفعل بمعنى فعل كثير ، كاستغظ العسل ، أي : غلظ »^(١٥) . و « استحرّ القتل وحرّ ، اي : اشتدّ »^(١٦) . و « جلب واستجلب بمعنى »^(١٧) و « استوصف : بمعنى وصف ، كقولك : استغنى زيد عن عمر ، أي : غني عنه ، واستعلى عليه ، أي علا : ومثله كثير »^(١٨) . و « استحقّت ، اي حقّت : استفعل بمعنى فعل ، كقولك : استقرّ على باطله ، أي : قرّ »^(١٩) .

(١) المعتزليّ ٦١/٢ وينظر: البحراني ١٨١/٢ وعبد ١٤٠/١ .

(٢) الراونديّ ٣٠٥/٢ وينظر: البحراني ٤١٦/٣ .

(٣) الراونديّ ٣٣٠/٢ وينظر: المعتزليّ ٣٣/١١ .

(٤) الراونديّ ١٥٥/٣ وينظر: المعتزليّ ٤/١٧ .

(٥) الراونديّ ٣٥٧/١ وينظر: ٣٢٥/٦ .

(٦) المعتزليّ ٦٦/٧ .

(٧) المعتزليّ ٤٢٩/٦ وينظر: الراونديّ ٤٠١/١ .

(٨) البحراني ١٢٦/٢ وينظر: أنصاريان ١٧٠/١ .

(٩) البحراني ٩/٤ ، ٨٩/٥ .

(١٠) نفسه ١٨١/٢ ، ٣٠٠ .

(١١) نفسه ٣٣١/٣ .

(١٢) الراونديّ ٦٩/٢ وينظر: مغنية ٤١٧/٢ .

(١٣) الراونديّ ٢٤٠/٢ وينظر: المعتزليّ ١٤٢/١٣ .

(١٤) الشيرازي ٢٧/٤ .

(١٥) المعتزليّ ٢٥٨/١٩ .

(١٦) أنصاريان ٢٠٩/٢ .

(١٦) البحراني ١٣١/٣ .

(١٩) نفسه ٢١٦/٩ .

(١٨) المعتزليّ ١٥١/٩ .

- ٦- **بمعنى أفعل** : نحو : « استنفذ وأنفذ بمعنى »^(١) . و« استفاض ، اي : أفاض »^(٢) . و« استزلهم الكبرياء ، اي : أزلهم الكبر »^(٣) . و« استعدوا : استفعل بمعنى أفعل ، اي : أعدوا ، كما يقال استجاب بمعنى أجاب »^(٤) . و« استودعهم الله ، اي : أودعهم »^(٥) . و« استوصى بمعنى : أوصى ، إلا أن أوصى يكون للغير واستوصى للنفس »^(٦) . و« استعدوا للموت : يمكن ان يكون بمعنى أعدوا ، فقد جاء استفعل بمعنى افعل كقولهم : استجاب له ، أي : أجابه ، ويمكن ان يكون بمعنى الطلب كما تقول : استطعم ، أي : طلب الطعام »^(٧) .
- ٧- **بمعنى تفاعل** : نحو : « استدركت ما فات وتداركني ما فات بمعنى »^(٨) . و« استمسكت ، اي : تماسكت »^(٩) .
- ٨- **العد** : نحو : « استبطأه ، اي : عدّه بطيئاً »^(١٠) . و« استوهنه ، أي : عدّه وهنا ضعيفا »^(١١) ، و« استطال الايام : عدّها طويلة »^(١٢) . و« استغشوها ، اي : عدّوها غشاوة »^(١٣) . و« الاستكثار : عدّ الشيء كثيرا »^(١٤) . و« الاستضعاف : عدّ الشيء ضعيفا »^(١٥) .
- ٩- **وجود الشيء على صفة** : نحو : « استراح : وجد الراحة »^(١٦) . و« المستضعف : الذي يوجد ضعيفا ، وان كان في نفسه قويا »^(١٧) . و« استحلاه : وجده حلوا »^(١٨) . و« استولوا من عواقب الغدر ، اي : وجدوا عواقب غدرهم وبيلة عليهم »^(١٩) . و« استخلوهم ، اي : وجدوهم خالين »^(٢٠) .
- ١٠- **اختصار حكاية** : نحو : استرجع : قال : إنا لله وإنا اليه راجعون^(٢١) .

-
- (١) الرواندي ٢٨٦/٢ . (٢) نفسه ٤٣٠/٢ وينظر: البحراني ١٥٩/٤ . (٣) الرواندي ٢٢٨/١ . (٤) نفسه ٢٨٥/١ . (٥) الشيرازي ١٠٢/٢ . (٦) الرواندي ١٩٣/٣ . (٧) المعتزلي ١٤٦/٥ . (٨) المعتزلي ٣٥٤/٦ وينظر: أنصاريان ٢٠٩/٢ . (٩) الرواندي ٣٣٨/٢ . (١٠) أنصاريان ١٧٦/١ . (١١) نفسه ٣١٩/١ . (١٢) أنصاريان ٣٥٥/٢ . (١٣) نفسه ٢٥٢/٢ . (١٤) نفسه ١٣٥/١ . (١٥) نفسه ١٣٥/١ . (١٦) نفسه ١٣٥/١ . (١٧) الرواندي ٢٢٩/٢ . (١٨) الكيدري ٢١٢/٢ . (١٩) المعتزلي ١٨/١٧ وينظر: السامرائي ٣٥٦ . (٢٠) عبده ١٢٦/٢ . (٢١) ينظر: الرواندي ٢١٥/١ والكيدري ٢٣٩/١ والمعتزلي ٧٨/٢ والبحراني ٣٢/٢ والخوئي ٣٩١/٣ ومغنية ٣٨٠/١ والسامرائي ١٧٣ وأنصاريان ١٣١/١ .

سابعا : معاني افعول^(١).

١-المبالغة .

وهو المعنى الرئيس لأمثلة هذا البناء ، إذ نبه الشّراح على أنّ (افعول) مبالغة قصوى لـ(فعل) وكأنّهم يشيرون إلى أنّ المبالغة الدنيا تكون بـ(فعل) ثم يكون التدرج بالمبالغة كلما كثرت الزوائد وهي مع افعول بلغت الغاية . ومن أقوال الشّراح التي تفصح عن هذه الدلالة : اعذوب واحلولى ، أي : صار الى غاية العذوبة والحلاوة^(٢) . واغدق المطر ، واغدودق كثر كثرة بالغة^(٣).

٢-الصيرورة .

أمثلة افعول تدلّ على الصيرورة دلالة جانبية ، وقد ألمح الشّراح إلى معنى المبالغة بعد تصريحهم بمعنى الصيرورة فيها كما في قوله (٤) : (خَيَّ إِذَا أَخْلَوَقَ الْأَجْلُ) ^(٤) فـ(اخلولق ، اي : صار خليقا ، وهو كناية عن بلوغهم غاية مدتهم المكتوبة) ^(٥) . و(احلولت : صارت حلوة جدا) ^(٦)

ومما يدل على أنّ معنى الصيرورة فرع من معنى المبالغة القصوى أنّ الفعل (اخلولق) يأتي تاما يفيد المبالغة كما في قوله (٤) : (اخلولق الأجل) ، أي : قرب قريبا كثيرا ، ويأتي ناقصا بمعنى : صار خليقا ، ومجيؤه ناقصا فرع من تمامه .

(١) ينظر: الكتاب ٧٥/١ - ٧٦ وشرح الشافية ١١٢/١ وارتشاف الضرب ٨٦/١ وأوزان الفعل ومعانيها ١٥٦.

(٢) ينظر: الرواندي ٤٤٩/١ المعتزلي ١٩٠/١٠ والخوئي ٢١٦/٧ وأبو الفضل ٢٥٨/١ والسامرائي ٣٥٥.

(٣) ينظر: أبو الفضل ٢٣٤/١ ومغنية ٤٨٦/٢ وأنصاريان ٣٩٢/١.

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ١٥٠ ص: ٢٦٢.

(٥) البحراني ٢٠٣/٣ .

(٦) الخوئي ٢١٦/٧.

الفصلُ الرَّبِيعُ الدَّلالَةُ النَّحْوِيَّةُ فِي شُرُوحِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ.

- توطئة: الدلالة النحوية مفهومها وأنماطها.
- المبحث الأول : الدلالة الإعرابية في شروح النهج .
- المبحث الثاني : الدلالة التركيبية في شروح النهج .
- المبحث الثالث : دلالة الأدوات الأحادية في شروح النهج .
- المبحث الرابع : دلالة الأدوات الأخرى في شروح النهج .

توطئة : الدلالة النحوية ، مفهومها وأنماطها

واكب الاهتمام بدلالة الجملة نشأة النحو العربي على وفق ما نجده من أخبار منها ما روي عن أبي الأسود الدؤلي وابنته التي لحنّت بحضرته فجاءت بجملة الاستفهام في موضع التعجب من جمال السماء فصحح لها أبوها قولها لاختلاف المعنى بين الجملتين : ما أجمل السماء؟ وما أجمل السماء^(١). وكذا ما روي عن اللحن في القرآن الكريم الذي يخلّ بالمعنى بسبب تغيير الإعراب كما في قوله تعالى : ﴿ أَنْ اللَّهَ بِرِيٍّ عَمِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾^(٢) ، وفيه لحن بعضهم فجرّ الرسول^(٣) فأخل بالمعنى خلا كبيرا. ونقل عن الصحابة تقويمهم هذا اللحن لأنه يقود إلى تشويه المعنى القرآني وصرفه عن مراده^(٤).

ثمّ عني علماء العربية بنوع من الدلالة مستنبط من قواعد النحو العربي وما تشير إليه العلاقة بين المفردات في التركيب الواحد فالنحو لديهم هو « علم باحث عن أحوال المركبات الموضوعية وضعا نوعيا لنوع من المعاني التركيبية النسبية من حيث دلالتها عليها ، وغرضه تحصيل ملكة يقتدر بها على إيراد تركيب وضع وضعا نوعيا لما أراده المتكلم من المعنى وعلى فهم معنى أي مركب كان بحسب الوضع المذكور . وغايته الاحتراز عن الخطأ في تطبيق التراكيب العربية على المعاني الأصلية »^(٥) . واللفظ المفرد لا يفهم معناه بعيدا عن سياقه ، « فلا ترى كلاما ما قد وصف بصحة نظم أو فساده أو وصف بمزية وفضل فيه إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك الميزة وذلك الفضل إلى معاني النحو »^(٦).

ثم أضحى موضوع الدلالة النحوية لدى المحدثين علما قائما بذاته فأطلقوا عليه عدة تسميات لكن الشائع هو الدلالة النحوية وهي الدلالة المفهومة « من استخدام الألفاظ أو الصور الكلامية في الجملة المكتوبة أو المنطوقة على المستوى التحليلي أو التركيبي »^(٧) .

والدلالة النحوية في اللغة العربية على قسمين : الأول : دلالة نحوية عامة وهي المعاني العامة المستقاة من الجمل والأساليب. والآخر : دلالة نحوية خاصة وهي المفهومة من معاني الأبواب النحوية كالفاعل والمفعول به والمبتدأ والخبر وغير ذلك^(٨). وقد قسم البحث الدلالة النحوية تقسيما آخر قائما على الطريقة التي استنبط بها الشراح المعنى ، فإذا استنبط المعنى من حركات الإعراب سُمي ذلك بالدلالة الإعرابية. وإذا استنبط المعنى من العلاقة بين وحدات التركيب سُمي ذلك بالدلالة التركيبية. وإذا استنبط من أداة دون غيرها سُمي ذلك بدلالة الأدوات النحوية .

(١) ينظر : المدارس النحوية ١٤ - ١٥ والتحليل اللغوي ١١٩ - ١٢٠ .

(٣) ينظر : المدارس النحوية ١٤ - ١٥ .

(٥) مفتاح السعادة ١٣٢/١ وينظر : مفتاح العلوم ٣٣

(٧) علم الدلالة (فريد عوض) ٤٣ وينظر : أقسام الكلام العربي ٢٠٩

(٨) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها ١٧٨ .

(٢) التوبة ٣

(٤) ينظر : نشأة النحو ٩ - ١٢

(٦) دلائل الإعجاز ٨١ - ٨٢

المبحث الأول

الدلالة الإعرابية في شروح النهج .

نَبه الشّراح في عدة مواضع على ما يحدثه الإعراب من مداليل مختلفة بحسب اختلافه ، فاسم الفعل (ايه) ينطق بكسر الهاء (إيه) ، وبالتنوين (إيه) ، وقد فرق بعض الشّراح بين الإعرابين ، فاذا قلت: إيه بغير تنوين فكأن مخاطبك كان في حديث ثم امسك ، فأمرته بالشروع في الحديث الذي كان فيه ، اي هات الحديث . فاذا قلت: إيه بالتنوين ، فكأنك أمرته ابتداء بأن يُحدِّث حديثاً ، أي: هات حديثاً^(١). وقد كثُرت لدى الشّراح أنماط الدلالة الإعرابية ، فمنها ما استشف من الحركة الإعرابية الواحدة ، ومنها ما يتلّس من تعاقب الحركات الإعرابية على اللفظة الواحدة بسبب تعدد رواياتها بحركات إعرابية متعددة ، ومنها ما أقر من مراعاة المحل الإعرابي لا سيما في الجمل والأسماء المبنية ، ولذا جاء هذا المبحث في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : دلالة الحركة الإعرابية الواحدة في شروح النهج.

أولاً : دلالة الفتحة^(٢).

١- جاء في النهج (وَمِنْ دُعَاءٍ كَانَ يَدْعُو بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَثِيرًا ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُصْبِحْ بِـي مَيِّمًا لَأَوْسَقِيمًا)^(٣). وقد تعددت اقوال الشّراح في إعراب (كثيراً) في قول الرضّي المذكور انفا تبعا لتفاوتهم في فهم معنى التركيب . فالمعتزلي ذهب الى أنّ «كثيراً منصوب بانه صفة مصدر محذوف ، اي دعاء كثير»^(٤). وجوز الخوئي ان يكون «كثيراً ... صفة اما لظرف محذوف او لمصدر محذوف ، اي حيناً كثيراً ، او دعاء كثيراً ، والاول اظهر»^(٥). واستظهر التستريّ إعراب (كثيراً) صفة لوقت محذوف لا غير ، لأنّ «هذا الدعاء دعاء واحد لا كثير ، وانما كان عليه السلام يقرأه في أوقات كثيرة ، فهو مفعول فيه معيّناً ، ولا مجال لاحتمال كونه مفعولاً مطلقاً كما احتمله الخوئي ايضاً»^(٦). ثم تعددت اقوال الشّراح في نصب (ميثاً) وما عطف عليه . فذهب الراونديّ الى جواز نصبه حالاً من الياء ، فيكون (اصبح) تاماً . او ان يكون (ميثاً) خبراً لأصبح الناقصة^(٧). ولم يجز المعتزليّ إعراب اصبح ناقصة فيكون

(١) ينظر : البيهقيّ ٢١٢ والكيدريّ ٥٥٩/١ والسرخسي ١١٧/١ .

(٢) ينظر: إحياء النحو ٦٨ - ٦٩ وفي النحو العربي نقد وتوجيه ٨١-٨٣

(٣) نهج البلاغة ، الخطبة ٢١٥ ، ص: ٤١٧

(٤) المعتزليّ ٨٥/١١

(٥) الخوئي ١١٣/١٤

(٦) التستريّ ٧/٧

(٧) ينظر: الراونديّ ٣٤٧/٢

(ميتا) خبرها ، كما احتمل الراوندي « لان خبر كان واخواتها يجب ان يكون هو الاسم ، الا ترى انها مبتدأ وخبر في الاصل ، واسم (يصبح) ضمير (الله) تعالى ، وميتا ليس هو الله سبحانه »^(١) . ولم يُجز المعتزلي إلا ان يكون (يصبح) تاما ، و(ميتا) حالا من ياء المتكلم . وصحّ الخوئي ما احتمله الراوندي لأن مراده « بكون ميتا خبر اصبح انه في الاصل خبرها ، والمخبر به ياء المتكلم، فان اصبح على كونها ناقصة بمعنى صار ، فلما عدت بالياء صارت بمعنى صير وتكون من افعال التصيير فيكون المعنى لم يصيرني ميتا ، كما يقال : صيرني الله فداك »^(٢) وهذا مما لا غبار عليه .

٢- قال الامام (ع) في وصف خلق آدم (ع) : (وَأَسْكَنَهُ جَنَّاهُ ، وَوَعَدَهُ فِيهَا آلاءَ اللَّهِ ... فَأَقْدَمَ طَى مَلَهَذَا عَنْهُ مُوَفَاةً لِسَابِقِ عِلْمِهِ)^(٣) . وفي إعراب (موفاة) خلاف بين الشراح أساسه تباينهم في فهم المعنى، فأعرب البيهقي (موفاة) بانه مفعول له (لأجله)، ومعنى (موفاة لسابق علمه): اثباتا لسابق علمه . والله تعالى عالم بما سيقع من آدم في وقت مخصوص ومكان مخصوص ، وهو تعالى عالم بكل معلوم في حال عدمه ، فيقع كل أمر موافقا لما يعلمه الله تعالى . وكل ما سيصدر من آدم هو معلوم لدى الباري قبل وقوعه منه . فكان إقدام آدم على الشجرة موافقا لعلمه السابق سبحانه وتعالى^(٤) . ومن ثم قال الامام (ع) : (فأقدم على ما نهاه عنه موفاة لسابق علمه) ، فكأن (الموفاة) عذر او علة لأقدام آدم على ما نهاه^(٥) . ومنع المعتزلي ان يعرب المصدر (موفاة) منصوبا على انه مفعول له ، لان المفعول له عذر وعلّة للفعل ، ولا يجوز ان يكون اقدام آدم على الشجرة لاجل الموافاة للعلم الإلهي الاسبق ، بل يجب ان ينصب (موفاة) على المصدرية كانه قال : فوافى بالمعصية موفاة وطابق بها سابق العلم مطابقة^(٦) . وشايح فريق من الشراح المعتزلي في قوله هذا^(٧) . واعرب مغنية (موفاة) صفة لمفعول مطلق محذوف اي: أقدم على المعصية اقداما موفاة لسابق علم الله بان هذا الاقدام سيكون من آدم^(٨) . وجوز التستري في (موفاة) ان يكون مفعولا مطلقا لمعنى الفعل (أقدم) ، والاصل : أقدم موفاة ، أو أن يكون مفعولا له من باب ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَرًّا ﴾^(٩) . فتكون عداوة موسى لآل فرعون بسبب التقاطهم إياه من البحر . وكذا تكون موفاة آدم للعلم الإلهي السابق واقعة بسبب إقدامه على ما نهاه الله تعالى^(١٠) . والمقابلة بين القرآن الكريم ومتن النهج في هذا الموضوع مقبولة في فهم المعنى . لكن التقاط موسى ليس هو السبب في العداوة بل هو مصداق لتحقق العداوة المسبقة، كما أن أقدام آدم على الشجرة ليس سببا للعلم الإلهي بل هو مصداق لتحقيقه ، فتكون (موفاة) حالا من الإقدام .

(٢) الخوئي ١١٣/١٤ .

(١) المعتزلي ٦٥/١١ .

(٤) ينظر: البيهقي ١٨٨ .

(٣) نهج البلاغة ، الخطبة ٩١ ص: ١٦٤ .

(٦) ينظر: المعتزلي ٥٠٤/٧ .

(٥) ينظر: الكيروي ٤٦٨/١ والبحراني ٣٩٦/٢ والتستري ٥٩٥/١ والشيرازي ٨١/٢ .

(٨) ينظر: مغنية ٢٩٤/٢ .

(٧) ينظر : عبده ٣٥٦/١ والخوئي ٣٣/٧ وابو الفضل ٢٠١/١ وانصاريان ٢٩٠/١ .

(٩) القصص ٨ .

(١٠) ينظر: التستري ٥٩٥/١ .

٣- قال الامام (ع) : (أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي ضَرَبَ الْأَمْثَالَ .. وَأَحْطَ بِكُمْ الْإِحْصَاءَ .. فَأَحْصَاكُمْ عَدَدًا ، وَظَفَّ لَكُمْ مُدَدًا)^(١) . وقد تعددت آراء الشراح في توجيه نصب (الاحصاء) ، وكما يأتي :

أ - الاحصاء مفعول به للفعل (احاط) المزيد بالهمزة الدالة على الصيرورة والجعل ، والمجرد (حاط) متعد ايضا ، وله معنيان ، فيجوز لدى الرواندي نصب (الاحصاء) به « على وجهين : احدهما ان يكون من حاط ثلاثيا ، تقول : حاط فلان كرمه ، اي جعل عليه حائطا ، وكأنه جعل الاحصاء والعد كالحائط المدار عليهم ، لأنهم لا يبعدون منه ولا يخرجون عنه . والثاني: ان يكون من حاط الحمار عانته يحوطها بالواو اي جمعها ، فأدخل الهمزة كأنه جعل الاحصاء يحوطهم ويجمعهم ، تقول : ضربت زيدا وأضربته ، اي جعلته ذا ضرب ، فلذلك كأنه جعل عليه السلام الاحصاء ذا تحويط عليهم بالاعتبار الاول ، او جعله ذا جمع لهم بالاعتبار الثاني »^(٢) . ومال الرواندي إلى هذا الوجه لان كلام الامام (ع) بعده يدل عليه ، وهو (وظف لكم مددا) اي : بين لكل واحد منكم مدة^(٣) . وشايح الرواندي فريق من الشراح^(٤) .

ب- الاحصاء منصوب على المصدرية ، فهو مفعول مطلق ل (احاط) من غير لفظه ، واما تعريفه بالالف واللام ، فلا يمنع من نصبه على المصدرية^(٥) ، اذ يقال كثيرا ، نحو : ضربته الضربة^(٦) . واستظهر الخوئي هذا الوجه مستدلا بالقرآن الكريم وسياق النهج وآراء ائمة اللغة ، فقال : « الاظهر هو الانتصاب بالمصدر ، ومثله قوله (ع) : (واحصاكم عددا) ، فإنه مصدر بغير لفظ الفعل على ما ذهب اليه الزجاج من تجويز كون العدد مصدرا مستدلا بقوله تعالى : ﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾^(٧) ، وعلى هذا يكون اصل كلامه احصاكم وعدكم عددا على حد قوله تعالى : ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾^(٨) . واختار مغنية هذا الوجه فقال : « الاحصاء مفعول مطلق مثل قعدت جلوسا ؛ لان الاحاطة تستدعي الاحصاء ، و (عددا) مفعول مطلق لأحصاكم »^(٩) .

ج- الاحصاء منصوب على انه مفعول له ، وفي الكلام حذف ، تقديره : وأحاط بكم حفظته وملائكته للاحصاء ، ودخول الالف واللام على المفعول له وارد في كلام العرب نحو : (لأقعدن الجبن) أي لأجله^(١١) ، وما صحب الألف واللام في هذا يكثر جره باللام ويقل نصبه ف « ضربت ابني للتأديب أكثر من ضربت ابني التأديب »^(١٢) وهذا وجه جوزه المعتزلي والخوئي^(١٣) .

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ ص ١٢١ . (٢) المعتزلي ٢٤٥/٦ وينظر : الخوئي ٣٥٠/٥ والشيرازي ٣٣٣/١ .

(٣) ينظر : الرواندي ٣٢٣/١ . (٤) ينظر : البيهقي ١٥٦ والكيدري ٣٨٦/١ والسرخسي ٨٣/١ .

(٥) ينظر : الكتاب ٢٣١/١ وشرح الجمل ٣٢٧/١ وارتشاف الضرب ٢٠٣/٢ والهمع ١٨٧/١ .

(٦) ينظر : المعتزلي ٢٤٥/٦ . (٧) الكهف ١١ (٨) مريم ٩٤ .

(٩) الخوئي ٣٥١/٥ وينظر : معاني الفراء ١٣٥/٢ ومعاني الزجاج ٢٢١/٣ وعراب النحاس ٣٩٦/٢ والكشاف ٤٧٣/٢ .

(١٠) مغنية ١٣٨/٢ . (١١) ينظر : ارتشاف الضرب ٢٢٣/٢ والبهجة ١٧٧ والهمع ١٩٤/١ .

(١٢) شرح ابن عقيل ٥٧٥/٢ . (١٣) ينظر : المعتزلي ٢٤٥/٦ والخوئي ٣٥٠/٥ .

د- الإحصاء منصوب على التمييز ، وهو وجه ذكره البحراني ، ولم يفصله ، وفهم مغنية منه ان الاحصاء تمييز محول عن مفعول ، والاصل : احصى عددكم ، وهو مثل : ﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُونا ^(١) ، اي : عيون الارض ^(٢) وضعف التستري هذا الوجه ؛ لأن «التمييز يصح لو كان نكرة كقوله تعالى: ﴿ وَقَدْ آتَيْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ^(٣) ﴾ ^(٤) . وسياق الخطبة يرجح كون الاحصاء مفعولا به ، فقد انتصبت الالفاظ قبله وبعده على المفعولية ، كما في قوله (هـ) : (أُوصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي ضَرَبَ الْأَمْثَالَ ، وَوَقَّتَ لَكُمْ الْأَجَالَ ، وَالْبَسَكُمُ الرِّيشَ ، وَأُفَعَّ لَكُمْ الْمَعَاشَ ، وَأَلْحَطَ بِكُمْ الْإِحْصَاءَ ، وَرُصِدَ لَكُمْ الْجَزَاءَ ...) ^(٥) .

ويبدو أن اصل التركيب : (أحاطكم بالأحصاء) ، فعدل عن هذا الأصل تقع حيطه الله تعالى على الإحصاء للتنبيه على أن الإحصاء ليس عونا له تعالى في حال جره بالباء في التركيب (أحاطكم بالإحصاء) فيكون المعنى أحاطكم مستعينا بالإحصاء أو بسببه أو بوساطته ، وإنما الإحصاء من ضمن مخلوقات الله تعالى وهو شيء ملازم للبشر فتكون الباء في (أحاط بكم الإحصاء) للإصاق ، والإحصاء مفعولا به ، والمعنى خلق الإحصاء وألصقه بكم .

٤- قال الامام (هـ) : (.. فَاتَّقَى عَبْدُ رَبِّهِ ... وَالشَّيْطَانَ مُوَكَّلًا بِهِ يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيُرْكَبَهَا ، وَيَمْنِيهِ التَّوْبَةَ لِئُسَوِّفَهَا ، إِذَا هَجَمَتْ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَهْدًا ^(٦)) . وفي إعراب (أغفل) خلاف بين الشراح . إذ قال البحراني : «(أغفل نصب على الحال) ^(٧) . وقال الخوئي : «(أغفل منصوب بنزع الخافض ، أي : في أغفل حاله) ^(٨) . ولم يرض التستري هذين الوجهين لان المعنى يصعب استحصاله بهما ، فخلص الى ان «(الصواب كونه مفعولا فيه فلا يحتاج الى تقدير في ، وقالوا في قولهم : انتظرته صلاة العصر : إن (صلاة) مفعول فيه ، اي : في وقت صلاة العصر . وفي قولهم : لا أكلمك هبيرة بن قيس : هبيرة مفعول فيه ، اي : مدة غيبة هبيرة . واما الحال فيجب ان تكون نكرة ، و(اغفل ما يكون عنها) في معنى : اغفل الناس لأنه معرف بإضافته إلى (ما) ^(٩) . ويبدو أن معنى الحالية هو الراجح إذ المراد : حتى تهجم عليه منيته وهو شديد الغفلة عنها . ولا يحول تعريف (أغفل) دون هذا الإعراب لأنه أضيف إلى اسم مبهم (ما) فاكتسب التخصيص لا التعريف ، وعلى الرغم من ذلك ورد الحال معرفا في قليل من كلام العرب ^(١٠) .

(١) القمر ١٢ . (٢) ينظر : البحراني ٢٤١/٢ ومغنية ١٣٨/٢ .

(٣) الكهف ٩١ . (٤) التستري ٤٢٩/٤ وينظر : الكشاف ٤٩٨/٢ والبهجة ١٩٨ .

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ ، ص ١٢١ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ٦٤ ص : ١٠٢ .

(٧) البحراني ١٦٨/٢ وينظر : الراوندي ٢٨٩/١ .

(٨) الخوئي ٣٩٦/٤ .

(٩) التستري ١٣٦/١١ وينظر : شرح عمدة الحافظ ٤١٧ وارتشاف الضرب ٣٣٧/٢ .

(١٠) ينظر : الكتاب ٣٧١/١ والإنصاف ٢٥٥/١ .

٥- قال الامام (ع) : (فَأَحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ عَدُوَّ اللَّهِ أَنْ يُعِيدَ كَمَا بَدَأَهُ... وَلَئِنْ بَجُنُودِهِ نَحَوَكُمْ... وَأَوْطُوؤُكُمْ إِثْخَانَ الْجِرَاحَةِ طَعْنَا فِي عِيُونِكُمْ ، وَحَزًّا فِي حُلُوقِكُمْ وَدَقًّا لِمَنَاخِرِكُمْ ، وَقَصْدًا قَلْبِكُمْ . وَسَوَقًا بِخَزَائِمِ الْقَهْرِ إِلَى النَّارِ الْمَعْدَةِ لَكُمْ ...) (١) . وقد اختلف الشّراح في توجيه نصب (اثخان) ، ثم اختلفوا في توجيه نصب المصادر الخمسة : (طعنا ، حزا ، دقا ، سوقا ، قصدا) . فاما الراوندي (٢) فذهب الى ان (اثخان) منصوب بنزع الخافض ، والاصل : (اوطوؤكم باثخان الجراحة) او (لاثخان الجراحة) . و اشار الى ان اللفظة رويت مجرورة باللام ايضا، وهذا يعضد كونها منصوبة بنزع الخافض . وانكر المعتزلي توجيه الراوندي هذا فرأى أنّ (اثخان) مفعول ثانٍ «ومعنى ايطاء الشيطان ببني ادم هو القاؤه اياهم فيه ، وتوريطهم ، وحمله لهم عليه» (٣) . وتبع البحراني المعتزلي (٤) . لكن الخوئي قلب الإعراب ، فجعل (الاثخان) مفعولا اولاً ، و (كم) مفعولا ثانياً ، لان المعنى لا يفهم إلا بهذا التقديم ، فقال : «إثخان الجراحة بالنصب مفعول أول لأوطوؤكم ، كما في قولك: اعطيت درهما زيدا ، اي : جعلوا اثخان الجراحة واطئا لهم ، لا انه جعلهم واطئين له على انه مفعول ثانٍ كما توهمه الشارح المعتزلي» (٥) . وانكر التستري على المعتزلي ذهابه إلى أنّ المعنى جعلوكم واطئين للاثخان ، إذ « لا معنى للكلام ، فإذا كانوا واطئين للاثخان، أي نقص في ذلك حتى يكون من قبيل فأقحموكم ولجات الذل ، وأحلّوكم ورطات القتل ؟ » (٦) .

وما خلاص اليه الخوئي في إعراب (اثخان) هو الملتزم كون الفعل (اوطا) ان ردّ الى المجرّد يتضح المعنى جيدا ، فيكون (اثخان) فاعلا، و(الناس) مفعولا به ، والتقدير : (وطئ إثخان الجراحة الناس) ، ومع زيادة الهمزة يكون التقدير : أوطأ الشيطان إثخان الجراحة الناس ، فيكون الاثخان مفعولا اول لا ثانيا .

واختلف الشّراح -أيضا- في توجيه نصب المصادر الخمسة : (طعنا ، جزا ، وقا ، قصدا ، سوقا) ، فذهب المعتزلي والبحراني الى ان هذه الخمسة منصوبة على المصدرية جميعا ، وفعالها محذوفة يدلّ عليها السياق ، اي : فعلوا بكم هذه الافعال ، فطعنوكم في عيونكم طعنا ، وحزوا حلوؤكم حزا ، وكذا في الجميع (٧) . وفصل الخوئي فاعرب «طعنا ، وحزا ، ودقا كلّها منصوبة على الأبدال من اثخان ، وقصدا وسوقا منصوبان على المصدر ، والعامل محذوف» (٨) ، ثم جمع فقال : «يجوز انتصاب المنصوبات الخمسة جميعا على المصدر» (٩) . والتفريق بين الخمسة غلط ؛ لان الكل على سياق واحد ، واما ان تكون (طعنا ، ودقا ، وجزا) مبدلات من (اثخان الجراحة) فعلى

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٢ ص: ٣٦١-٣٦٢ .

(٢) ينظر : الراوندي ٢/٢٤٥ .

(٣) المعتزلي ١٣/١٤٣ .

(٤) الخوئي ١١/٢٨٤ .

(٥) التستري ١٤/٣٦٨ .

(٦) ينظر : المعتزلي ١٣/١٤٣ والبحراني ٤/٢٣٣ .

(٧) الخوئي ١١/٢٨٤ .

(٨) ينظر : البحراني ٤/٢٣٣ .

(٩) نفسه ١١/٢٨٤ .

الرغم من قرب المعنى بينها يبقى المانع من ذلك هو تعريف (اثخان) بالإضافة وتنكير هذه الخمسة . وأغرب التستري فجوز إعراب هذه الخمسة احوالا مؤولة باسم الفاعل ، او ان تعرب مفاعيل لأجلها ، عواملها : او طؤوكم ، واحلوكم ، واقحموكم . او أن تعرب تمييزات. ولم يفصل ما جوزه لما فيه من بعد في التأويل^(١).

٦- قال الامام (ع) في خطبة له تسمى القاصعة ، ورد فيها ذم ابليس : (فَاِنَّ اللَّهَ فِي كَبْرِ الْحَمِيَّةِ ، وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّهُ مُلَاقِحُ الشَّيْطَانِ وَمَنَافِحُ الشَّيْطَانِ ، الَّتِي خَعَّ بِهَا الْأُمَمَ الْمَاضِيَةَ ، وَالْقُرُونَ الظَّالِمَةَ ، حَتَّى أَعْقَبُوا فِي حَنَادِسِ جَهَلَّتْ بِهِ ، هَمَّ أَوْيِ ضَلَالَتِهِ ، لَمَّا عَنِ سِيَاقِهِ ، سُلِّسَ عَنْ قِيَادِهِ . أَمَّا تَشَابَهَاتُ الْقُلُوبِ فِيهِ)^(٢). وقد تعددت أقوال الشراح في توجيه نصب (أمرأ) ، فنلمس الراوندي ثلاثة أوجه^(٣) ، تابعه الشراح اللاحقون في المفاضلة بينها واستظهار أحدها ، او إنكارها كلها ، ثم نلمس وجوه غيرها . فاما الوجه الاول : فهو ان (أمرأ) مفعول به ، عامله المصدر المذكور قبله ، وهو (سياقه) ، والتقدير : ساق الشيطان أمرأ تشابهت . اما الوجه الثاني : فهو إن (أمرأ) وما عطف عليه منصوب بالمصدر (قياده) المضاف الى فاعله ايضا ، فيكون التقدير : قاد الشيطان أمرأ . وأنكر المعتزلي أن يكون (أمرأ) مفعولا به عامله المصدران : (سياقه) و(قياده) ؛ ((لأن مفعول هذين المصدرين محذوف ، تقديره : عن سياقه اياهم ، وقياده اياهم ، وهذا هو معنى الكلام ، ولو فرضنا مفعول أحد هذين المصدرين (أمرأ) لفسد معنى الكلام))^(٤) . وأما الوجه الاخير : فهو ان (أمرأ) حال . وكذا انكر المعتزلي هذا الوجه ؛ ((لان الحال وصف هيئة الفاعل او المفعول ، و(أمرأ) ليس كذلك))^(٥)

ولما انكر المعتزلي اوجه الراوندي الثلاثة ، ذهب الى أن ((أمرأ منصوب بتقدير فعل ، اي : اعتمدوا أمرأ))^(٦) ، وتبعه البحراني الذي لم يلتفت الى اوجه الراوندي ، فقال : ((أمرأ منصوب بفعل مضمّر تقديره فاعتمدوا أمرأ تشابهت قلوبهم فيه ، وتتابعت القرون الماضية منهم على اعتماده ، وهو الفخر ، ونفخ الشيطان ، والاعناق في جهالته وضلالاته))^(٧) . وساق الخوي اوجه الراوندي سقفا حثيثا ، وذكر اعتراض المعتزلي عليها وذهابه الى وجه جديد ، ثم اعرض عن هذا كله لان معنى الكلام على وفق اوجه الراوندي فصل بعضه عن بعض ، فضلا عن تكلف تقدير فعل محذوف كما في رأي المعتزلي والبحراني ، ولذا استظهر الخوي ((أن يجعل أمرأ منصوبا بنزع الخافض متعلقا بقوله (اعنفوا) أي : اسرعوا الى امر ، وعلى هذا التأم معنى الكلام دون حاجة الى التكلف وحذف الفعل))^(٨).

(١) ينظر: التستري ٣٧٠/١٤ . (٢) نهج البلاغة الخطبة خ ١٩٢ ص: ٣٦٤ .

(٣) ينظر: الراوندي ٢٤٤/٢ . (٤) المعتزلي ١٤٨/١٣-١٤٩ .

(٥) المعتزلي ١٤٩/١٣ وينظر : الخوي ٣٠٢/١١ . (٦) المعتزلي ١٤٨/١٣ .

(٧) البحراني ٢٤٠/٤ .

(٨) الخوي ٣٠٢/١١ .

وتبين للتستري ان قوله (ع) المذكور انفا الاصل فيه قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَدْعُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَنْزِلُنَا آيَةً كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾^(١) ، ثم بين خطأ قول المعتزلي

والبحراني في نصب (امرا) بفعل محذوف ، وخطا مذهب الخوئي في نصبه على نزع الخافض ، واعرض عن ذكر اوجه الراونديّ كلّها ، وخلص الى ان كل ما ذكر قبله « بلا معنى فانهم لم يعتمدوا ، ولم يسرعوا الى امر بذلك الوصف ، وانما عملوا عملا كان بذلك الوصف ، ونزع الخافض يحتاج الى قرينة وليست موجودة ، والصواب كونه خيرا لكان محذوف ، وحذف كان مع اسمها وابقاء خبرها كثير ، كقوله تعالى : ﴿ تَنْزِيلَ الْوَيْزِ الرَّحِيمِ ﴾ (٢) ((٣) . وما ذهب اليه التستريّ فيه تكلف ايضا ، فقد زعم حذف شيئين ، هما (كان واسمها) مع أنّ المعتزليّ والبحراني فعلا الشيء نفسه ، فحذفا اثنين (الفعل والفاعل) ، وحذف الخوئي شيئا واحدا هو حرف الجر . فاذا ما سلمنا بجواز الحذف في العربية يكون قول الخوئي هو الاقرب ، ومع ذلك هو بعيد . والراجح أن يكون (امرا) منصوبا على الاغراء والتحذير ، اي : احذركم امرا تشابهت ، ولا يحتاج اصلا الى تقدير محذوف إلا من باب الايضاح لا الإعراب ، وهو منصوب كما نصب (الله الله) في بدء الكلام ، و(امرا) في حكم المقدم بعد « الله الله أمرا تشابهت ... » ، والمعنى أحذركم عذاب الله من امر تشابهت القلوب فيه .

٧- قال الامام (ع) يصف المنافقين : (يمشون الخفاء ، ويدبون الضواء)^(٤) ، وقد تعددت اقوال الشّراح في توجيه نصب (الخفاء ، والضراء) تبعا لتوسع الراونديّ^(٥) فيها ، اذ تلمس خمسة اوجه تفاوت الشّراح اللاحقون في الاختيار بينها ، فاما الوجه الاول : فهو ان يكون (الخفاء ، والضراء) منصوبين على الحالية ، من باب (ارسلها العراك)^(٦) ، اذ يقلّ في العربية مجيء الحال مصدرا معرفة ، وان وردت بعض امثله هكذا ، فيؤول بنكرة مشتقة^(٧) . فيكون التقدير : يمشون مستخفين ، ويدبون ضارين . والمح الكيديّ^(٨) الى اختياره هذا الوجه . وأما الوجه الثاني : فهو ان ينصب الاسمان على نزع الخافض (في) ، فيكون الاصل : يمشون في الخفاء ، ويدبون في الضراء ، وبعد حذف (في) نصبا . واختار المعتزليّ هذا الوجه وحده ولم يلتفت الى الوجوه الاخرى^(٩) . والتزم به معظم الشّراح

(١) البقرة ١١٨ . (٢) يس ٥ .

(٣) التستريّ ٣٨٠/١ وينظر : معاني الفراء ٢٧٢/٢ ومعاني الزجاج ٢٠٩/٤ إعراب النحاس ٢٩٧/٣ والكشاف ٢١٤/٣ والهمع ١٢١/١ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٤ ص : ٣٨٦ . (٥) ينظر : الراونديّ ٢٨٣/٢ .

(٦) جزء من بيت قاله لبيد بن ربيعة يصف ورود الحمر الوحشية الماء وهو في ديوانه ٨٦ وتمامه : فأرسلها العراك ولم يندها ولم يشفق على نغص الدخال

(٧) ينظر : الكتاب ٣٧٢/١ ، ٣٧٥ وشرح ابن عقيل ٦٣٠/١ والبهجة المرضية ١٨٩ .

(٨) ينظر : الكيديّ ١٣٩/٢ . (٩) ينظر : المعتزليّ ١٠١٦٦/١٠ .

المتأخرين^(١) . وأما الوجه الثالث : فهو ان ينصب الاسمان على المصدرية فيكونا مفعولين مطلقين من معنى الفعل لا لفظه . واستظهر التستريّ^(٢) هذا الوجه ، وقرنه بباب (رجعت القهقري)^(٣) . وهذا الوجه غير مرضي لدي الكيديّ^(٤) على هذا التاويل لعدم ظهور المناسبة المعنوية بين المشي والخفاء من جهة ، والدبيب والإضرار من جهة أخرى ،

فصّوبه بتأويل آخر وهو ان يكون الاسمان منصوبين على المصدر الذي بمعنى الفاعل ، وهو في الاصل صفة لمفعول مطلق محذوف ، والتقدير: يمشون المشي الخافي، ويدبّون الدبيب المضرّ، فيكونا نائبين عن المفعول المطلق . والوجه الرابع : هو ان يكون الاسمان منصوبين على الظرفية. وفصل الكيديري^(٥) دلالة الخفاء والضراء على الظرفية بأنهم يمشون بالشر في الاماكن التي لا يُطَّلَع عليها فهي خافية عن الناس. واما الضراء فهو المكان القفر الذي يوازي الشجر، و(يدبّون الضراء) كناية عن يسعى بالفساد ، ويدبّ بالشر والنميمة، ويختل صاحبه لانه في تهيج الشر خائف يمشي تحت الاشجار بحيث لا يرى. واختار البحراني هذا الوجه ، ولم يفصله ، ولكنه فهم من (يمشون الخفاء ، ويدبّون الضراء) انهما كناية عن حركاتهم القولية والفعلية فيما يريدونه في اخفاء افهام الناس ، والدبيب اليهم في الضرر^(٦) .

والوجه الخامس - وهو الاخير - ان يكون الاسمان منصوبين على المفعولية ، وهو وجه غير مرضي لدى الكيديري لأن الفعلين (يمشون ويدبّون) لازمان^(٧). وأقرب هذه الوجوه ان يكون الاسمان منصوبين على الحال ، واما تعريفهما بالالف واللام ، وشذوذهما عن نظائرها في هذا الباب^(٨) فلإشارة الى المبالغة في وصف مشي المنافقين ودبيبهم على حالة واحدة هي الخفاء والضراء ، والحال المعرفة بالالف واللام تدل على المبالغة المفهومة من تعيين الحال وتعريفه باللام وكأنه أمر معهود للجميع .

- (١) ينظر : عبده ١/٤٢٦ والخوئي ١٢/١٧٧ ومغنية ٤/٢٦٧ وابو الفضل ١/٤٥٠ والشيرازي ٣/٢٤٧ والموسوي ٣/٣٧١ .
(٢) ينظر : التستري ٢/٥٧٨ .
(٣) ينظر: شرح بن عقيل ١/٥٦١
(٤) ينظر : الكيديري ٢/٢٤٠ .
(٥) ينظر : الكيديري ٢/١٤٠ .
(٦) ينظر : البحراني ٣/٤٠٠ والخوئي ١٢/١٧٧ .
(٧) ينظر: الكيديري ٢/١٤٠ .
(٨) ينظر: شرح عمدة الحافظ ٤١٩-٤٢٠ وارتشاف الضرب ٢/٣٣٧ والبهجة ١٨٩ .

٨- قال الامام (ع) يصف فرار نجاة معاوية من القتل في صفين : (... فَمَا كَانَ إِلَّا كَمَوْقِفِ سَاعَةٍ حَتَّى نَجَا جَرِيضًا بَعْدَمَا أُخِذَ مِنْهُ بِالْمَخَنَقِ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ الرَّمَقِ ، فَلَأَيُّ بِلَائِي مَا نَجَا)^(١) . وقد اختلف الشراح في فهم المراد من قول الامام: (فَلَأَيُّ بِلَائِي مَا نَجَا)، ثم اختلفوا في إعرابه . فذهب البيهقي^(٢) الى ان معنى التركيب هو: (بعد شدة وابطاء نجا)

، فتكون (ما) زائدة تقيد الابهام ، و(لأيا) منصوبا على الظرفية بمعنى (بعد ذلك) ، يقال : لأى لأيا بمعنى أبطا ، و(لأيا) مصدرنا منصوبا على الحال، و(ما) زائدة ، والتقدير: «نجا في حال كونه صاحب جهد ومشقة ملبسة بمثها، أي : نجا في حال تضاعف الشدائد وترادفها عليه»^(٤) . وقريب من هذا قول المعتزلي : « ما زائدة او مصدرية ، وانتصب لأيا على المصدر القائم مقام الحال ، اي نجا مبطنًا ، والعامل في المصدر محذوف ، أي : أبطا إبطاء ، والفائدة في تكرير اللفظة المبالغة في وصف البطء الذي نجا موصوفه به ، اي لأيا مقرونا بلأى»^(٥) . ويفهم من كون (ما) مصدرية ان التقدير : نجاته في حال كونه بطيئا . ومع هذا الراي سار الآملي^(٦) . وجزم البحراني بمصدرية (ما) ، والمصدر المنسبك من (ما نجا) في موضع الفاعل للفعل المحذوف ، و(لأيا) منصوب على المصدرية عامله محذوف ، والتقدير: فلأى نجاؤه لأيا بلأى ، أي: عسرت نجاته عسرا بعسر^(٧) . ووافق فريق من تابعيه^(٨) . والسياق يرجح كون (لأيا) منصوبا على الظرفية فقد ذكر قبله (بعدهما أخذ منه بالمخنق) فتكون الفاء عاطفة و(لأيا بلاي ما نجى) جملة اسمية مستأنفة تفسيرية ، وأصلها (فنجاته لأيا بلأى) . ومعنى نجا جريضا : نجا وهو يبلع ريقه ويسترد ريقه الأخير من شدة الخنق^(٩) .

(١) نهج البلاغة رسالة ٣٦ ص: ٥١٨ .

(٢) ينظر: البيهقي ٣٨٠ .

(٣) ينظر: الراوندي ١٠٥/٣ .

(٤) الكيدري ٤٨٠/٢ - ٤٨١ .

(٥) المعتزلي ١٥٠/١٦ .

(٦) ينظر: الخوئي ٥٩/٢٠ .

(٧) ينظر: البحراني ٧٥/٥ .

(٨) ينظر: مغنية ٥٤٥/٣ والتستري ٢٥٣/١ والشيرازي ٢٩١/٤ .

(٩) ينظر: المقاييس ٩٥٤ والقاموس المحيط ١٢٢١ .

ثانيا : دلالة الضمة^(١)

١ - قال الامام (ع) يلوم بعض أصحابه : (لله أنتم ، أما دين يجم عكم ! لاوحمية تشحككم !)^(٢) . وفي رفع (دين) و(حمية) اكثر من وجه لشرح النهج بحسب فهمهم لمعنى الكلام . فالمعتزلي^(٣) فهم من الكلام انه يقع في سياق العرض

الذي يستدعي فعلا ، فذهب الى ان (دين) يجوز ان يرفع على انه فاعل لفعل مقدر ، أي : «اما يجمعكم دين يجمعكم ، واللفظ الثاني مفسر للاول كما قَرَّب بعد (اذا) في قوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾^(٤) . والمح المعتزلي الى وجه اخر وهو ان يكون (دين ، حمية) مبتدأين خبرهما محذوف مقدم عليهما والتقدير : «اما لكم دين ... ولا لكم حمية»^(٥) . وصحح الخوئي هذا الوجه بان يكون الخبر الجملة الفعلية : (يجمعكم ، تشحذكم) ؛ لأن الاصل عنده عدم الحذف مع وجود الجملة الصالحة للخبرية^(٦) . ثم ان الخوئي لم يركن الى الوجهين اللذين ذكرهما المعتزلي ، فاستحسن وجهها آخر وهو ان تكون «الهزمة للاستفهام على سبيل الانتكار التوبيخي ، او على سبيل التقرير ، وما حرف نفي فلا حاجة الى تقدير الفعل لان (ما) على ذلك حجازية بمعنى ليس ، و دين اسمها ، ويجمعكم خبرها»^(٧) .

والراجح رفع الاسمين على الابتداء مع كونهما نكرتين لاعتمادهما على استفهام ونفي في سياق التحضيض^(٨) . وتكبير الدين والحمية مع إنهما في حكم المعلوم إذ المراد : (الدين الإسلامي والحمية العربية) بغية التعظيم والتأكيد على أهميتهما في إقامة الدين ولحقاق الحق .

٢ - قال الامام (م) في احدي حكمه : (المنية ولا الدنية)^(٩) . وقد تفاوتت اقوال الشراح في توجيه رفع الاسمين ، فالراوندي^(١٠) قدر الاسمين مرفوعين على انهما نائب فاعل ، وأصل التركيب لديه : احتملُ المنيّة ، ولا احتملُ الدنيّة . ومع حذف الفاعل يكون التقدير : تحتملُ المنيّة ، ولا تحتملُ الدنيّة ، ثم حذف الفعل المبني للمجهول ، فبقي الاسمان مرفوعين به . والى هذا ذهب البحراني في أحد قوليه^(١١) . اما قوله الاخر : «فالمنية مبتدأ دلّ على خبره

(١) ينظر: إحياء النحو ٥٣ وفي النحو العربي نقد وتوجيه ٧٠ ومعاني النحو ٢٦/١

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٨٠ ص: ٣٢٥

(٣) ينظر : المعتزلي ٧٠/١٠

(٤) الانشقاق ١ وينظر: الإنصاف ٦٢٠/٢

(٥) المعتزلي ٧٠/١٠

(٦) ينظر: الخوئي ٢٧٨/١٠ .

(٧) نفسه ٢٧٨/١٠ .

(٨) ينظر: ارتشاف الضرب ٨٠/٢

(٩) نهج البلاغة : الخطبة ٣٩٦ ، ص: ٦٨٢

(١٠) ينظر: الراوندي ٤٢٠/٣ .

(١١) ينظر: البحراني ٤٠٨/٥

بقوله : ولا الدنية ، أي : أسهل من الدنية»^(١) . وضعف الكمري في تنمة شرح الخوئي هذا الوجه ؛ لأن عطف (ولا الدنية) لا يستقيم على ما قدر البحراني : «المنية اسهل من الدنية» ، ورأى أن فيه سماجة لا تخفى . ثم جاء بوجه جديد وهو «ان يقال : ان المنية اسم لكان التامة المقدره بقريئة المقام ، اي كانت المنية ولا الدنية»^(٢) ، ويبدو من رأي البحراني الذي ضعفه الكمري انه لم يقدر الجملة ب «المنية اسهل من الدنية ، ولا الدنية» كي يكون العطف سماجا .

وانما قدر البحراني الخبر (اسهل من) في الموضعين ، أي : المنية اسهل من الدنيا ، ولا الدنيا أسهل من المنية . وعلى العموم كل ما ذكر سابقا لا يمكن الركون اليه لانه مبني على تقدير حذف. والاولى ان يقال : ان (المنية) مبتدا مكتف عن الخبر لردفه بمبتدا ثان : (ولا الدنيا) ، فقام كل واحد منهما مقام الخبر عن الثاني ، فتم الكلام بهما دون الحاجة الى الاغراق في التاويل .

٣- قال الامام (ع) : (عباد الله ، الله الله في أعزّ الأنفس عليكم ، وأحبها إليكم ؛ فإن الله قد أوضح لكم سبيل الحق ، وأنار طرقه . فشقوة لازمة ، أو سعادة دائمة!)^(٣) . ووجه المعتزلي رفع (شقوة) بأنها خبر لمبتدأ محذوف ، تقديره : فغايبتكم ، أو جزأؤكم ، أو فشأنكم^(٤) . وفي إعراب المعتزلي هذا جاءت الجملة اسمية دالة على ثبات الشقوة او السعادة بتركيبها الذي يفيد الدلالة على الثبات ، فضلا عن نعتها بـ(لازمة) ، و (دائمة) ، ففهم من التقدير والإعراب انه يدل على مذهب المعتزلة ((في الوعيد ؛ لانه قسم الجزاء على قسمين ، اما العذاب ابدًا ، او النعيم ابدًا ، وفي هذا بطلان لقول المرجئة ان ناسا يخرجون من النار فيدخلون الجنة ، لان هذا لو صح لكان قسما ثالثا))^(٥) وتابع البحراني المعتزلي في قوله هذا ، ورأى ان فيه تنبيهها على غايتها سبيل الحق ، وسبيل الباطل^(٦) . واكثر الشراح المتأخرين على هذا الوجه^(٧) . وجوز الخوئي أن (شقوة ، وسعادة) ((مبتدان محذوف الخبر ، ولا يضر نكارتها لكونها نكرة موصوفة ، والتقدير : فشقوة لازمة لمن نكب عنها ، او سعادة دائمة لمن سلكها))^(٨) . ثم جوز ((ان يكونا فاعلين لفعل محذوف))^(٩) . وقرن التستري^(١٠) إعراب (شقوة لازمة) بإعراب قوله تعالى : ﴿ فَصَبِّرْ جَبِيلًا ﴾^(١١) . فكلاهما يحتمل الرفع على أنه مبتدأ فيقدر له خبر ، او خبر يقدر له مبتدأ^(١٢) . ثم انكر على الخوئي

(١) البحراني ٤٠٨/٥ .

(٢) الخوئي ٤٨٢/٢١ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ، ١٥٧، ص: ٢٧٦ ينظر : المعتزلي ٢١٤/٩ .

(٤) نفسه ٢١٤/٩ .

(٥) ينظر : عبده ٣٦/١ ومغنية ٤١٢/٢ وابو الفضل ١٥٨/١ والشيرازي ٤١١/٢ .

(٦) الخوئي ٣١٥/٩ .

(٧) ينظر : التستري ١٧٢/٢ .

(٨) يوسف ١٨ .

(٩) ينظر : معاني الفراء ٣٩/٢ ومعاني الزجاج ٧٨/٣ وإعراب النحاس ٢٨٦٢:٣٠٨/٢ والتبيان للعكبري ٧/٢ .

تجويزه رفع (شقوة) على انه فاعل لفعل محذوف ، لان الفعل لا يقدر الا بعد (ان) و(اذا) الشرطيتين ، وليس في كل موضع^(١) . وخلص الى ان معنى الكلام : ((بعد ايضاح السبيل ، وابانة الطريق ، من سلك السبيل يكون له السعادة الدائمة ، ومن تنكب عن الطريق يكون له الشقوة اللازمة ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾^(٢)))^(٣) .

٤- قال الامام (ع) في وصية للاشتر النخعي: (وَأَجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أُعْطِيَتْ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اجْتِمَاعًا مَعَ قَرَقِ أَهْوَائِهِمْ ، وَتَشَبُّتِ رَأْيِهِمْ ، مِنْ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ)^(٤). وفي إعراب : (الناس أشد) خلاف بين الشراح ينبثق من تفاوتهم في فهم المعنى ، فذهب الراوندي الى أن (الناس) مبتدأ أول ، و (أشد) مبتدأ ثان ، و(من تعظيم الوفاء) خبر المبتدأ الثاني ، والمبتدأ الثاني مع خبره خبر للمبتدأ الاول ، ومحل الجملة نصب لأنه خبر ليس ، ومحل ليس مع اسمها وخبرها رفع لانه خبر (أن) ، و(شيء) اسم ليس ، و(من فرائض الله) لو كان متاخرا لكان صفة^(٥) .

ووصف الكيدري إعراب الراوندي بالخطا الفاحش جدا ، ورأى ان : (الناس اشد عليه) مبتدا وخبر ، والجملة خبر ليس^(٦) . وصحَّ المعتزلي كون (شيء) « اسم ليس ، وجاز ذلك وان كان نكرة لاعتماده على النفي ، ولان الجار والمجرور قبله في موضع الحال كالصفة ، فتخصص بذلك ، وقرب من المعرفة »^(٧) . ثم خالف الراوندي فاعرب «الناس مبتدا ، واشد خبره ، وهذه الجملة المركبة من مبتدا وخبر في موضع رفع لانها صفة (شيء) ، واما خبر المبتدأ الذي هو (شيء) فمحذوف وتقديره : (في الوجود) كما حذف الخبر في قولنا : لا اله الا الله ، اي : في الوجود»^(٨) . وخطأ الراوندي في إعرابه : (اشد) مبتدا ثانيا ، و (من تعظيم الوفاء) خبره ؛ « لان حرف الجر اذا

(١) ينظر: الإنصاف ٦١٥/٢-٦٢٠.

(٢) هود ١٠٥ .

(٣) التستري ١٧٢/٢ .

(٤) نهج البلاغة : الرسالة ٥٤ ، ص: ٥٦٦.

(٥) ينظر: الراوندي ٢٠٠/٣ .

(٦) ينظر: الكيدري ٥٤٦/٢-٥٤٧ .

(٧) المعتزلي ١٠٧/١٧ .

(٨) نفسه ١٠٧/١٧-١٠٨ وينظر: شرح عمدة الحافظ ٢٥٨-٢٥٩ وأوضح المسالك ٢٩١/١ .

كان خبرا لمبتدأ تعلق بمحذوف ، وها هنا هو متعلق بأشد نفسه ، فكيف يكون خبرا عنه^(١) ، وخطأه - ايضا - في إعرابه جملة (اشد من تعظيم الوفاء) خبرا عن الناس ؛ « لان ذلك كلام غير مفيد ، الا ترى انك اذا اردت ان تخبر بهذا الكلام عن المبتدأ الذي هو الناس لم يبق من ذلك صورة محصلة تفيدك شيئا ، بل يكون كلاما مضطربا »^(٢) . ولما وجد المعتزلي جواز استحصال المعنى مع تعدد وجوه الإعراب جوز ايضا « ان يكون من فرائض الله في موضع رفع

لأنه خبر المبتدأ ، وقد قدم عليه ، ويكون موضع (الناس) ما بعده رفعا لأنه خبر المبتدأ الذي هو (شيء) (٣) . وكذا لم يمنع المعتزلي من « ان يكون (من فرائض) منصوب الموضع لأنه حال ، ويكون موضع (الناس اشد) رفعا لأنه خبر المبتدأ الذي هو شيء » (٤) .

ونعت الاملي - متم شرح الخوئي - ما ذكره الراوندي والمعتزلي من وجوه الإعراب بالتكلف المستغنى عنه ، فخلص بعد ايراده قوليهما الى ان « الوجه الصحيح في إعراب هذه الجملة أن : من فرائض الله ، ظرف مستقر خبر ليس ، و (شيء) اسمه ، وكون الخبر ظرفا ومقدما من مصححات الابتداء بالنكرة ، و(الناس) مبتدأ ، و (اشد عليه اجتماعا) خبره ، و(من تعظيم الوفاء) مكمل قوله (اشد) فان افعال التفضيل يكمل بالاضافة ، او لفظة من . والجملة في محل حال او صفة لقوله (شيء) » (٥) .

(١) المعتزلي ١٠٨/١٧ .

(٢) نفسه .

(٣) نفسه .

(٤) نفسه .

(٥) الخوئي ٣٠٠/٢٠ .

المطلب الثاني: دلالة حركات الإعراب المتعاقبة

١ - قال الامام (ع) في صفة السماء : (وَتَظَمَّ بِبِلَا تَعْلِيْقٍ رَهَوَاتٍ فُوجِهَا ، وَلاَحَمَّ صُجْعٌ وَانْفَاجِهَا ... وَنَادَاهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ ، فَالتَحَمَّتْ عُرَى أَشْرَاجِهَا) (١) ، ونقل الشراح (٢) ان : (بعد) روي بفتح الدال وبضمها ، فأما النصب فعلى اضافة (بعد) الى الظرف (اذ) ، واما الرفع فعلى القطع عن الاضافة . واستحسن المعتزلي رواية النصب وهي عنده : «

احسن واصوب ؛ لانها على الضم تكون دخانا بعد نظمه رهوات فرجها وملاحمة صدوعه ، والحال تقتضي ان دخانها قبل ذلك لا بعده»^(٣) . واستدل البحراني^(٤) بالقران الكريم على عضد رواية فتح الدال التي تفصح عن ان نداء السماء يتلو كونها دخانا ، فقد قال تعالى : ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾^(٥) .

٢- قال الامام (ع) قبل موته : (أَمَّا وَصِيَّتِي : فَإِنَّهُ لَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَمُحَمَّدًا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ)^(٦) ونقل معظم الشراح^(٧) ان (الله) و(محمد) روي بالنصب والرفع ، وأن نصبهما أشهر من رفعهما في نسخ النهج ، ثم رجحوا رواية النصب تبعا لشهرتها في النسخ ، فضلا عن قوة وجهها وهو ان الاسمين منصوبان بفعل مضمّر يفسره الفعل المذكور ، والتقدير : وحدوا الله واتبعوا محمدا . وبين المعتزلي ان سبب رجحان النصب هو ان الوصية تستدعي الفعل بعدها^(٨) . على حين استحسّن الراونديّ الرفع على النصب ، ولم يدلل على ما استحسّنه^(٩) ، وربما يكون مرامه ان رفع (الله) و (محمد) على الابتداء يلزم منه ان يكون التركيب جملة اسمية تدل على الثبات واللزوم^(١٠) . اي ثبات عدم الاشرار بالله - عز وجل - وثبات الالتزام بسنة محمد (صلى الله عليه وآله) . لكن الخوئي^(١١) ضعف الرفع ؛ لانه يلزم منه مجيء الجملة الطلبية خبرا ، وقد منع النحويون ذلك^(١٢) .

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١ ، ص: ١٥٤

(٢) ينظر: الراونديّ ٣٨٨/١ والكيدريّ ٤٥٣/١ والمعتزليّ ٤٢٠/٦ والبحراني ٣٥٩/٢ .

(٣) المعتزليّ ٤٢٠ /٦ وينظر : ٣٤٧/٦

(٤) ينظر: البحراني ٣٦١/٢ .

(٥) الصافات ١١ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١٤٩ ص ٢٥٩ .

(٧) ينظر: البيهقيّ ٢٣٨/١ والراونديّ ٧٦/٢ والكيدريّ ٤٦٧/١ والمعتزليّ ١١٧/٩ والبحراني ١٩٥/٣ والخوئي ٣٥٤/٩ .

(٨) ينظر: المعتزليّ ١١٧/٩ .

(٩) ينظر: الراونديّ ٧٦/٢ .

(١٠) ينظر: حاشية الصبان ٢١٠/١ ومعاني النحو ١٦/١

(١١) ينظر: الخوئي ١١٤/٩ .

(١٢) ينظر: الهمع ٩٦/١

٣ - قال الامام (ع) في بعض أيام صفين ، وقد رأى الحسن ابنه (ع) يتسرع الى الحرب : (اَلْمَكُوَا عَنِّي هَذَا الْغَلَامُ لَا يَهْدُنِي ، فَإِنَّنِي أَنفُسُ بَهْدِينَ . يعني الحسن والحسين عليهما السلام . على الموت ، لَأَنَّهُ لَا يَنْقُطُ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)^(١) . وقد روي الفعل (يهدي) منصوبا ومرفوعا ، فاما نصبه فللشراح ثلاثة اوجه له : الاول : أقره البيهقيّ وهو ان الفعل المضارع مجزوم في الاصل لانه واقع في جواب الطلب : (املكوا) ولكونه مضغفا فتح اخره تخفيفا^(٢) . وتبعه على هذا الراونديّ والكيدريّ^(٣) . وأما الوجه الاخر : فأقره الشارح المعتزليّ الذي أغفل الاشارة الى وجه

الراوندي المذكور آنفا ثم تبعه في هذا الاغفال الشّراح اللاحقون جميعهم . ووجه المعتزليّ هو : « ان يهدني منصوب بان مضمره ، والتقدير : لئلا يهدني ، فحذف كما حذف طرفه في قوله^(٤) :

ألا أيُّ هذا الرَّاجري أحضَر الوغَى

اي : ان احضر^(٥) . وشايح معظم الشّراح اللاحقون^(٦) المعتزليّ في رأيه هذا إلا الخوئي الذي نقل عن علماء اللغة قولهم : « انتصاب المضارع في هذا الشعر شاذّ لعدم وقوعه في جواب احد الاثنياء الستة^(٧) » ، ولذا جوّز الخوئي وجها اخر هو الثالث ، فقال : « يحتمل ان يكون انتصاب يهدني بلفظة كي مضمره إن جوّزنا اضمارها كما نصبت مظهرة في قوله تعالى : ﴿ لِمَ لِي لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرْجٌ ﴾^(٨) »^(٩) .

واما رواية رفع (يهدني) ، فاحتمل الراونديّ فيها الوجوه الاتية^(١٠) :

- ضم الدال اتباعا لضمّ الهاء قبلها .
- تقديم : (لا يهدني) وتأخير : (املكوا عني هذا الغلام) .
- حمل (لا) على (ليس) في الإعراب .
- تقدير فاء محذوفة في : (فلا يهدني) ، فيكون الكلام مستأنفا .

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٢٠٧ ص: ٤٠٧

(٢) ينظر : البيهقي ٣١٤ .

(٣) ينظر : الراونديّ ٣٢٨/٢ والكيدريّ ١٨٤/٢ .

(٤) لطرفه في معلقته ، وتمامه : (وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي) ، ينظر : شرح السبع ١٩٢ وشرح التسع ٢٦٤-٢٦٥ .

(٥) المعتزليّ ٢٦/١١ ، وينظر : الكتاب ٩٩/١-١٠٠ والإنصاف ٥٦٠/٢ .

(٦) ينظر : البحراني ١٤/٤ وعبدّه ٤٤٧/١ ومغنية ٣٣٤/٣ والتستريّ ٢١٠/٣ وابو الفضل ٨/٢ وانصاريان ٣٩٦/٢ والشيرازي ٣١٥/٣ .

(٧) الخوئي ٩٧/١٣ .

(٨) الأحزاب ٣٧ .

(٩) الخوئي ٩٧/١٣ .

(١٠) ينظر : الراونديّ ٣٢٨/٢ .

واستدلّ بقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً ﴾^(١) . وفيه : (لا يضرُّكم) مرفوع ، ويحتمل رفعه على التقديم والتأخير ، وتقدير فاء محذوفة ، اي : (فهو لا يضرُّكم) ، أو أن تكون (لا) كـ(ليس) الداخلة على الجملة الفعلية ، او يكون ضمّ الرء اتباعا لضمّ الضاد^(٢) . واختار الكيدريّ من هذه الثلاثة الاتباع وحده^(٣) . ووجه الخوئي رفع يهدني بأنّه « على إلغاء ان المضمره عن العمل كما في قولهم : تسمعُ بالمعيديّ خيرٌ من أن تراه ، على رواية الرفع^(٤) » . وتتصلّ فريق من الشّراح عن رواية الرفع^(٥) .

٤- قال الامام (ع) يصف المتقين : لِفُؤْمِ وَالْجَنَّةِ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا ، فَهَمُّ فِيهَا مُنْعَمُونَ ، وَهُمُ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا ، فَهَمُّ فِيهَا مُعَذَّبُونَ^(٦) . وقد ذكر الشراح^(٧) ان : (الجنة والنار) رُويَا بالرفع والنصب ، فاما الرفع فعلى انهما معطوفان على (هم) ، واما النصب فوجهه ان الواو للمعية و (الجنة والنار) منصوبان على انهما مفعول معه ، وخبر المبتدأ شبه الجملة : (كمن قد رآها) . واستحسن الراوندي رفع الاسمين فتكون الجملة الاسمية دالة على الثبات والاستقرار ويكون المعنى : ((ان رجاءهم لثواب الجنة لاستقراره وثباته بدرجة ثواب من دخل الجنة ورآها وتنعم فيها وخوفهم من عذاب الله بمنزلة خوف من رأى جهنم وعذب فيها))^(٨) ، فكأنهم ((حصل لهم من العلوم اليقينية ما يجري مجرى الضرورية))^(٩) . واستحسن المعتزلي نصب الاسمين ولم يأت بالسبب^(١٠) . ورأى البحراني أن في الرفع ((اشارة الى ان العارف وان كان في الدنيا بجسده فهو في مشاهدته بعين بصيرة لأحوال الجنة وسعادتها وأحوال النار وشقاوتها كالذين شاهدوا الجنة بعين حُبهم ، وتنعموا فيها ، وكالذين شاهدوا النار وعذبوا فيها ، وهي مرتبة عين اليقين . فحسب هذه المرتبة كانت شدة شوقهم الى الجنة ، وشدة خوفهم من النار))^(١١) . والانسان إذا طال فكره في شيء ارتسم ذلك الشيء في نفسه حتى كأنه حسّه بإحدى حواسه^(١٢) .

(١) آل عمران ١٢٠

(٢) ينظر: معاني الفراء ٢٣٢/١ و اعراب النحاس ١٨٢/١ وتبيان العكبري ٢٣٥/١ .

(٣) ينظر: الكيدري ١٨٤/٢ .

(٤) الخوئي ٩٧/١٣ . وينظر: الزاهر ٢٤٧/٢ وجمهرة الأمثال ٢٥٥/١ ، ٢٦٦ ، ومجمع الأمثال ١٢٩/١ ، ١٣١ ، ٤٢٠ ،

والمستقصى ٣٧١/١ وفصل المقال ١٣٥/١ .

(٥) ينظر : البيهقي ٣١٤ والمعتزلي ٢٥/١١ - ٢٦ والبحراني ١٥/٤ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٣ ، ص : ٣٨١ .

(٧) ينظر: الراوندي ٢٧٧/٢ والكيدري ١٣٣/٢ والمعتزلي ١٤١/١٠ والبحراني ٣٨٦/٣ .

(٨) الراوندي ١٣٣/٢ .

(٩) الكيدري ١٣٣/٢ .

(١٠) ينظر: المعتزلي ١٤٢/١٠ .

(١١) ينظر: الشيرازي ٢٤٦/٣ .

(١٢) البحراني ٣٨٧/٣ .

٥- وقال (ع) - أيضا - يصف المتقين : (صَبَرُوا أَيَّامًا قَصِيرَةً أَعْتَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً . تَجَرَّرَ مُرْبِحَةً يَسْرَهْلُهُمْ هَبُّهُمْ)^(١) . وفي : (تجارة مربحة) روايتان تفاوت الشراح في اختيارهما ، فالراوندي اختار النصب ، وجوز فيه اربعة وجوه : ((اما البديل من الراحة ، واما النصب على المدح ، واما على الحال ، واما على تقدير اتّجروا ، ونصب المصدر مع حذف فعله كثير في الكلام))^(٢) . ووجه المعتزلي نصب تجارة على أنها مصدر محذوف الفعل ثم اختار رفع (تجارة مربحة) على الابتداء ، والتقدير : تجارتهم تجارة مربحة ، فحذف المبتدأ^(٣) . ووافق الخوئي^(٤) . وجوز الكيدري ما احتمله الراوندي الا تجويزه إعراب (تجارة) بدلا من (راحة) فهذا الوجه ((ليس بالقوي لان التجارة المربحة ليست بنفس الراحة

وانما صبرهم المستعقب لتلك الراحة هي التجارة»^(٥) . وزاد على ما ذكر الراوندي ان تكون تجارة منصوبة بفعل مضمر يفسوه ما بعده اي : يسر لهم ربهم تجارة . وجاء البحراني بالرفع وحده ، فلم يذكر رواية النصب ، ورأى أنها تدل على الثبات والاستقرار على العمل الصالح اذ «استعار لفظ التجارة لاعمالهم الصالحة وامثال أوامر الله ، ووجه المشابهة كونهم متعوضين بمتاع الدنيا وبحركاتهم في العبادة متاع الآخرة ، وشرح بلفظ الربح لافضلية متاع الآخرة وزيادته في النفاسة على ما تركوه»^(٦) والراجح رفع (تجارة) لما في الجملة الاسمية من دلالة على اللزوم والثبات والاستقرار على العمل الصالح . فيكون عمل الانسان في الدنيا في حكم التجارة اذ يعمل هنا وبأخذ هناك . اما النصب ففي جميع وجوهه يدل على زوال العمل الصالح ، وعدم استقرارهم عليه بلحاظ الفعل المقرّر مع نصب تجارة سواء كان مقمّاً أم مؤخراً .

٦- وقال (هـ) - أيضا - يصف المتقين: (أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُونَ أَقْدَامَهُمْ ، وَأَمَّا اللَّيْلُ أَرَفُكُمْ أَعْلَمَاءُ أَوْرَارٌ تَأْقِيَاءُ)^(٧) . واجمع الشّواح على ان (الليل والنهار) روي بالرفع والنصب^(٨) ، فأما النصب فعند أكثرهم^(٩) على الظرفية ، وعامل النصب هو ((أما) لتضمنها معنى الفعل او الخبر في نحو قولك : اما اليوم فأنا ذاهب)^(١٠) . وجوز بعضهم النصب بنزع الخافض (في) ، والتقدير : واما حالهم في الليل ... واما حالهم في النهار...^(١١) . واما الرفع فعلى الابتداء ، وهو

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٣ ، ص: ٣٨١ .

(٢) الراوندي ٢/ ٢٧٧ وينظر : الهمع ١/ ١٨٨ .

(٣) ينظر : المعتزلي ١٠/ ١٤٢ وأنصاريان ٢/ ٣٥١ .

(٤) ينظر : الخوئي ١٢/ ١١٣ .

(٥) الكيدري ٢/ ١٣٣ .

(٦) البحراني ٣/ ٣٨٨ وينظر : الشيرازي ٣/ ٢٤٦ .

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٣ ، ص: ٣٨٢ .

(٨) ينظر : الراوندي ٢/ ٢٧٨ والكيدري ٢/ ١٣٦ والمعتزلي ١٠/ ١٤١ والبحراني ٣/ ٤١٠ والخوئي ١٢/ ١١٢ وأنصاريان ٢/ ٣٥٢ .

(٩) ينظر : الراوندي ٢/ ٢٧٨ والكيدري ٢/ ١٣٦ والبحراني ٣/ ٤١٠ والخوئي ١٢/ ١١٢ .

(١٠) الخوئي ١٢/ ١١٣ . (١١) ينظر : المعتزلي ١٠/ ١٤٢ .

مجاز ، وتقديره : ((ليل هؤلاء صافون ونهارهم حكماء))^(١) . وقدّر الكيدري مبتدأ آخر محذوفا بعد (النهار والليل) ، والاصل عنده : ((اما الليل فهم صافون فيه ، واما النهار فهم حكماء فيه ، فيكون (الليل والنهار) مبتدأ ، والجملة بعده خبره ، وفيها ضمير مقدر يعود عليهما))^(٢) .

٧- قال الامام (هـ) يصف خلق الكواكب : (جَعَلَ نُجُومَهَا أَعْلَامًا يَسْتَدِلُّ بِهَا الْحَيْرَانَ فِي مُخْتَفٍ فِجَاجِ الْأَقْطَارِ . لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءَ نَوْرِهَا ادْلِهَامُ سُجْفِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، وَلَا اسْتَطَاعَتْ جَلَابِيْبُ سَوَادِ الْحِنَادِسِ أَنْ تَرْتُمْمَا شَاعَ فِي السَّمَاوَاتِ مِنْ تَلَالُؤِ نَوْرِ الْقَمَرِ)^(٣) . واطبق الشّواح على ان الرواية المشهورة هي برفع (ادلهمام) على الفاعلية ، ونصب (ضوء نورها)

على المفعولية^(٤) . واستحسن الراونديّ ((ان يكون ادلهمام مرفوعا ليكون فاعل لم يمنع ، وضوء نورها مفعول ، ليكون المعنى مزدوجا لما بعده))^(٥) . وفهم المعتزليّ من هذا ان رفع (ادلهمام) يلزم منه ان يكون لازما لليل : (ادلهمام السجف) و(جلايبب السواد) هما الفاعل في الحالتين. والمعنى : لم يمنع ادلهمام سجف الليل ضوء نور النجوم، ولا استطاعت جلايبب سواد الحنادس منع تلالؤ نور القمر^(٦) . ونقل البيهقيّ عن الوبري قوله : ((انما لم يصحّ من الظلمة ان تمنع نور الكواكب لان الله تعالى قادر على ان يزيد في قدر انوارها على قدر اجزاء الظلمة ، وانما يكون الشيء مانعا لغيره لكثرة اجزائه ، ففي اي جانب حصلت الكثرة صار الاخر مغلوبا))^(٧) . وذكر فريق من الشّراح رواية اخرى وذلك بعكس الإعراب بين اللفظين ، فيكون (ادلهمام) منصوبا على المفعولية ، و(ضوء نورها) مرفوعا على الفاعلية . وقد صرح البحراني بان هذا الإعراب يلزم منه مقابلة بين الضياء والظلام ، ((فنور القمر والنجوم لا يمنع من الوجود والتحقق ظلمة الليل بل يتعاقبان بحسب تعاقب اسبابهما المنتهية الى قدرة الصانع الحكيم))^(٨) ، وسمى المعتزليّ المقابلة (ازدواج) ، ورأى ان هذه الرواية ((احسن في صناعة الكتابة لمكان الازدواج ، اي : لا القمر ولا الكواكب تمنع الليل من الظلمة ، ولا الليل يمنع الكواكب والقمر من الاضاء))^(٩) .

(١) الراونديّ ٢٧٨/٢ وينظر: المعتزليّ ١٤٢/١٠ .

(٢) الكيديّ ١٣٦/٢ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٨٢ ص: ٣٢٨

(٤) ينظر : البيهقيّ ٣٠٢ والراونديّ ١٨٨/٢ والكيديّ ١٠٨/٢ والمعتزليّ ٨٥/١٠ والبحراني ٣٥٥/٣ وعنده ٣٥٨/١

والخوئي ٣٠٩/١٠ والتستريّ ٣٥٨/١ وابو الفضل ٤٢٩/١ وانصاريان ١٨٧/٢ والشيرازي ٨٩/٣ .

(٥) الراونديّ ١٨٨/٢ .

(٦) ينظر: المعتزليّ ٨٦/١٠ .

(٧) البيهقيّ ٣٠٢ وينظر: الكيديّ ١٠٩/٢ .

(٨) البحراني ٣٥٩/٣ .

(٩) المعتزليّ ٨٦/١٠ وينظر : الخوئي ٣٠٩/١٠ .

٨- قال الامام (ع) في توحيد الباري وحدوث الاجسام كلها : (لا يُشْمَلُ بِحَدٍّ ، ولا يُحَسَبُ بِعَدٍّ ، وانّما تُحَدُّ الأدوات أنفُسُها ، وتُشِيرُ الآلاتُ إلى ظَائرِها ، مَنَعَهَا مُنَدُّ القَدَمَةِ ، وَحَقَّهَا قَدُّ الأَزْلِيَّةِ ، وَجَدَّهَا (لَوْلَا) التَّكْمِلَةُ)^(١) .

ولما وقف الشّراح على هذا الموضوع نقلوا اختلاف الرواة في إعراب : (القدمة والازلية والتكملة) ، فمنهم من نصبها ومنهم من رفعها . فاما رواية نصب هذه الثلاثة فهي السماع من المشايخ المعتمدين لدى الراونديّ^(٢) ، وهي الرواية الاولى لدى البحراني لانها بخط الرضي^(٣) . ومن هنا طول الراونديّ في توجيهها وتلمس المعنى العام في حال نصب هذه الثلاثة ، اذ تكون الادوات : (منذ ، وقد ، ولولا) فواعل ، وتعرب الاسماء المنصوبة : (القدمة والازلية والتكملة)

مفعولاً ثانياً ، والمفعول الأول الضمائر المتصلة بالافعال : (منعتها ، وحمتها ، وجنبتها) . فيكون المعنى ان كلمة (منذ) منعت الالات والادوات من أن يصفها العقلاء بالقدم لعلمهم بابتدائها جميعاً ، والقديم ما لا اول لوجوده ، على حين تقتضي (منذ) الابتداء فينافي مدلولها القدم ، فيقال : منذ كان كذا ، والمعنى من الوقت المعين فيكون اطلاق كلمة منذ على الالات والادوات مانعاً عن كونها قديمة . وكذا منعت كلمة (قد) الالات والادوات من ان توصف بالازلية ؛ لان (قد) تفيد تقريب الماضي من الحال ، فيقال : قد قام وهذا يدل على ان قيامه قريب من الحال التي أخبرت فيها بقيامه ، او التردد في الحاضر ، فيقال : زيد قد يعطي وقد يمنع ، وهذه المعاني تنافي الازلية ؛ لان الازلي لا يصح منه ذلك لانه قديم لا بداية له ، وهم يقولون : ان الالات والادوات وجدت بعد عدمها وان لفظة (قد) منعت الاجسام ان تكون ازلية . وكذا منعت كلمة (لولا) الالات والادوات ان توصف بالكمال ، فلقائل ان يقول : ما اكمل هذه الدار وما فيها لولا انها فانية ، فدل هذا على نقصان الدار لان (لولا) مدلولها ينافي الكمال ، فهي تدل على كون الشيء معلقاً بغيره ، اذ وضعت لامتناع الشيء لوجود غيره^(٤) . وشايح الراوندي فريقي من الشراح في قوله هذا دون تصريح بنقلهم عنه^(٥) .

اما رواية رفع الاسماء الثلاثة : (القدمة والازلية والتكملة) ففيها تعرب هذه الاسماء المرفوعة فواعل لمنعت وحميت وجنبت ، فيكون محل (منذ وقد ولولا) نصباً على انها مفعول ثان ، وتكون الضمائر المتصلة بالافعال في محل نصب مفعول اول . وقد سبق الراوندي اقرانه الى تلمس المعنى العام للتركيب على وفق هذا الإعراب ، وهو ان قدمته تعالى منعت تلك الاجسام المحدثه ان تستعمل في الله تعالى لفظة (منذ) لانها تفيد الحدوث والابتداء^(٦) ، فيقال : كان منذ زمان كذا . وهذا ينافي القدم . وكذا حمت ازليته تعالى ان تستعمل لفظة (قد) في الله تعالى لانها تفيد تقريب الماضي من

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٨٦ ص : ٣٤٣ . (٢) ينظر : الراوندي ٤٣١/٢ .

(٣) ينظر : البحراني ١٣١/٤ . (٤) ينظر : الراوندي ٤٣١/٢ - ٤٣٢ .

(٥) ينظر : البيهقي ٣٤٥ والكيدري ٢٨٤/٢ والمعتزلي ٧٧/١٣ والبحراني ١٤٣/٤ والسرخسي ٢٠١/١ وعبد ٣٧٨/١ والخوئي ٦٠/١١ ومغنية ٦٦/٣ وأبو الفضل ٧٠/٢ والموسوي ٢٣٥/٣ .

(٦) ينظر : الكتاب ٢٨٧، ٢٢٦، ٤/٣ والجمل في النحو ١٣٩ وشرح المفصل ٤٦/٨ وشرح الكافية للرضي ١٣٢/٢ .

الحال^(١) وهذا ينافي الازلية . وكذا جنبت غاية كماله ان يقال في الله تعالى (لولا) لان هذه اللفظة لا تطلق الا على ناقص لأنها تفيد امتناع الشيء لوجود غيره^(٢) . وخلص البحراني الى نعت هذه الرواية بهذا المعنى بانها هي التي ((تقضي بقدمه ونفي الحدوث عنه))^(٣) . على حين شايح المعتزلي الراوندي ، فقال في ختمه توجيهها : ((المقصد والمنحى بهذا الكلام على هذه الرواية بيان قدم الباري تعالى وكماله ، وانه لا يصح ان يطلق عليه الفاظ تدل على الحدوث والنقصان))^(٤) . وتبين للتستري ان الافعال الثلاثة (منع وحمى وجنب) ليس لها الا مفعول واحد ، وتتعدى الى الثاني بالواسطة (من) و(عن) ، وليست هذه التعدية في المعجمات ، ولذا اعرب (منذ) و (قد) و (لولا) بدلاً من

الضمائر في (منعتها وحمتها وجنبتها) ، واستدلّ على ذلك بان الأدوات والالات المذكورة سابقا هي نفسها (منذ وقد ولولا) وغير ذلك ، فيصح القول بابدال هذه الأدوات من الضمائر المتصلة بالافعال ؛ لان الأدوات والالات عبارة عن منذ وقد ولولا^(٥) . وألمح التستريّ الى رجحان رواية من نصب الاسماء الظاهرة ، وإعراب الأدوات فواعل بإيراده تنمة خطبة الامام من كتاب تحف العقول ، وفيها : (لَأَوْتَعِيْبُهُ مُذْ لَأَوْتَدْنِيْهِ . د لَأَوْتَحْجِبُهُ لَعَلَّ لَأَوْتَوْتُوْهُ قَـ . لَى لَأَوْتَشْمَلُهُ حِيْنَ لَأَوْتَفَارِقُهُمْ)^(٦) .

٩- قال الامام (ع) : (أما بعد ، فإنّ الدنيا أدبرت ، وأذنت بوداع ، وإنّ الآخرة قد أقبلت ، وأشرفت بلطلاح ، ألا وإنّ اليوم المضمار وغدا السباق)^(٧) . ولما وقف الشّراح على هذه الخطبة جوزوا رفع (المضمار والسباق) ثم تفاوتوا في الاختيار تبعا لاختلافهم في فهم معنى كلام الامام (ع) . فذهب الراونديّ الى ان «الاحسن ان يجعل اليوم اسما صريحا ، ويكون اسم ان . ويرفع المضمار على انه خبر ان ، وعلى هذا إعراب وغدا السباق»^(٨) .

واختار المعتزليّ نصب المضمار والسباق على انها اسما ان ، فيكون الظرفان خبرين وموضعهما الرفع ؛ لان ((ظرف الزمان يجوز ان يكون خبرا عن الحدث))^(٩) . وفصل البحراني في تجويز الإعرابين دونما اختيار ، وأشار الى اختلاف المعنى بين رفع (المضمار و السباق) ونصبهما . ففهم من رأي الراونديّ الذي اختار رفعهما انه يجعل (اليوم) و(غدا) اسمين صريحين ، فالיום كناية عن ايام الانسان الباقية من عمره ، وهو خارج عن الظرفية كانه

(١) ينظر: الكتاب ١١٥/٣ .

(٢) ينظر: الكتاب ٢٢٢/٤ والجمل ٣١١

(٣) البحراني ٤٣٣/٢ .

(٤) المعتزليّ ٧٧/١٣ .

(٥) ينظر: التستريّ ٣٠٩ /١ .

(٦) التستريّ ٣١٠/١ وينظر: تحف العقول ٦١ .

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ٢٨ ، ص : ٦٤

(٨) الراونديّ ٢١٨/١ وينظر : البيهقيّ ١١٨ والكيدريّ ٢٤٣/١ وعبد ٧٩/١ ومغنية ٢٨/١ وأبو الفضل ٨٠/١ والشيرازي ١٥٧ .

(٩) المعتزليّ ٩٣/٢ وينظر: التستريّ ٩٠/١٢ - ٩١ .

معرفة وليس ظرفا مبهما . وكذا (غدا) كناية عما بعد الموت ، وهو يوم الحساب ، وكانه معرفة - ايضا - لايمان الناس المخاطبين به ، فصلح مجيء الظرفين في موضع الابتداء^(١) .

. واما نصب الاسمين على وفق ما اختاره المعتزليّ ، فرأى البحراني أن فيه اشكالا في : (ان اليوم المضمار) ، إذ كل من المبتدأ والخبر زمان ، فالمضمار اسم يطلق على المدة التي يعد فيها الفرس للسباق ومق دارها اربعون يوما يُسَنّ فيها ثم يُردّ الى القوت . واستعير هذا الى الانسان في مدة عمره لما بينهما من المشابهة ، فالانسان يستعد بالتقوى والاعمال الصالحة ليكون من السابقين الى لقاء الله - عز وجل - كما يستعد الفرس للسبق بالتضمير وهو التسمين ثم

القوت^(٢). واما اليوم فزمان معلوم . فلا يصحّ بعد هذا الإخبار بوقوع الزمان في الزمان ؛ لانه يلزم منه ان الزمان سيكون محتاجا الى زمان اخر ، وهذا محال^(٣). ثم يجيب البحراني عن هذا الاشكال بان المضمار ليس اسما لمجرد الزمان بل هو زمان مشتمل على حدث هو التضمير، ونحوه : ان مصطبح القوم اليوم ، فصح الاخبار هنا من باب « ان بعض اجزاء الزمان قد يخبر عنها بالزمان بمعنى انها اجزأؤه ، لا بمعنى انها حاصلة في زمان آخر »^(٤) . والمضمار لما كان عبارة عن الزمان الذي تضمّر فيه الخيل ، وهو زمان مخصوص لتقيده بوصف مخصوص صح الاخبار عنه باليوم^(٥) .

وأما : (وغدا السباق) ، فجوز البحراني فيه نصب (السباق) على انه اسم ان، و(غدا) في موضع الخبر، ومنع رفع (السباق)؛ لأنه لو كان خبرا لكان (غدا) اسمة ، فيكون هو المبتدأ في الاصل والسباق خبره ، وهذا لا يجوز ؛ لان السباق ليس محمولا على (غدا) ، اذ لو كان محمولا عليه لكان الحمل بمعنى (هو) ، نحو : الانسان الضحاك ، اي : هو الضحاك، او الحمل بمعنى (ذو) نحو : الجسم ابيض ، اي ذو بياض ، ولا واحد من المعنيين بحاصل في (غد السباق) فمنع ان يكون السباق خبر ان . ويستدرك البحراني على ذلك مجوزا رفع السباق بتقدير محذوف هو المضاف، واقامة المضاف اليه مقامه والتقدير : (وان غدا وقت السباق)^(٦) .

١٠- قال الامام (ع) في فضل الاسلام على الامة : (وَإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَىٰ غَيْرِهِ حَارِبَكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ ، ثُمَّ لَا جِبْرَائِيلَ وَلَا ميكائيلَ وَلَا مهاجرونَ وَلَا أنصارَ ينصرونكم إلا المقارعة بالسيف)^(٧) . ثم رأى اكثر الشّراح ان الرواية المشهورة هي نصب (جبرائيل ، وميكائيل ، والمهاجرين ، والانصار)^(٨) . ووجه النصب ان هذه الاسماء ، وان كانت مفردة

(١) ينظر: البحراني ٤٣/٢ .

(٢) ينظر: نفسه ٤١/٢ .

(٣) ينظر: الكتاب ٤١٨/١ والهمع ٩٩/١ .

(٤) البحراني ٤٣/٢ .

(٥) ينظر: الخوئي ٤/٤

(٦) ينظر : البحراني ٤٢/٢-٤٣

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٢ ص : ٣٧٦ .

(٨) ينظر: البيهقي ٣٦٤ والراوندي ٢٦٦/٢ والكيري ٣٥٨/٢ والمعتزلي ١٨٢/٣ والبحراني ٢٨٠/٤ والخوئي ٤/١٢ والتستري ٣٠٨/٤ .

عوملت معاملة الجنس بعد (لا) النافية للجنس « وهو جائز على التشبيه بالنكرة كقولهم : معضلة ولا ابا حسن لها ، قال الراجز^(١) : لا هيثم الليلة للمطي »^(٢) .

وعلل البحراني نصب (جبرائيل وميكائيل) مع تعريفهما بانهما لوحظ « فيهما التنكير ولذلك أتى عقبيهما بعد لا بالنكرتين »^(٣) . وعضد الخوئي رواية النصب في هذه الاسماء بعد (لا) النافية للجنس بما استقر عند النحويين^(٤) من ان العلم المشهور في باب لا النافية للجنس قد يؤول بنكرة فينصب وينزع منه لام التعريف « ولتأويله بالنكرة وجهان: إما أن يقدر مضاف هو: (مثل) ، فلا يتعرف بالإضافة لتوغله في الإبهام ، وأما أن يجعل العلم لاشتهاره بتلك الخلّة كأنه

اسم جنس موضوع لإفادة ذلك المعنى ؛ لأن قضية ولا أبا حسن لها : لا فيصل لها ..فصار اسمه كالجنس المفيد لمعنى الفصل والقطع كلفظ الفيصل .»^(٥). ومن هنا رأى الخوئي أنّ تاويل النصب في : (لا جبريل ولا ميكائيل) انه لا ناصر لكم ولا معاون^(٦) . فخرجه على العموم والسعة لا التخصيص والتعريف . واستدل التستريّ بسياق المعاطيف في عضد رواية النصب ؛ لان «قوله عليه السلام : ولا مهاجرين ولا انصار بلا لام دون ان يقول : ولا المهاجرين ولا الانصار دليل على ارادة العموم بجبرائيل وميكائيل ، كقولهم : ولا ابا حسن ، دون ان يقول : ولا ابا الحسن»^(٧). ومعنى العموم ظاهر مع نصب هذه الاسماء لانها بمنزلة الاجناس لا الافراد .

اما رفع هذه الاربعة فرجحه البحراني^(٨) ، ووجه الرفع عنده على الابتداء ، وتكون فيها (لا) ملغاة عن العمل ، والمعنى ان «عدم نصره الملائكة والمهاجرين والانصار لهم ، اما لان النصره كانت مخصوصة بوجود الرسول والاجتماع على طاعته ، وقد زالت بفقده ، او لانها مشروطة بالاجتماع على الدين والالفة فيه ، والذب عنه ، واذا التجؤوا الى غيره وحاربهم الكفار لم يكن لهم ناصر من الملائكة لعدم اجتماعهم على الدين ولا من المهاجرين والانصار لفقدهم»^(٩). ونبه الخوئي الى ان الغاء (لا) عن العمل في رواية رفع هذه المعاطيف الاربعة ((هو احد الوجوه الخمسة التي ذكرها علماء الادب في نحو : لا حول ولا قوة الا بالله ، وعلى اي تقدير فالخير محذوف ، وجملة : ينصرونكم وصف احوال))^(١٠). وتقدير الخبر بالمعرفة او النكرة هو الذي يحدد إعراب جملة (ينصرونكم)

(١) من شواهد الكتاب ٢٩٦/٢ من دون عزو .

(٢) المعتزليّ ١٨٢/٣ .

(٣) البحراني ٢٨٠/٤ .

(٤) ينظر: الكتاب ٢٩٦/٢-٢٩٧ وشرح عمدة الحافظ ٢٥٧-٢٨٥ والتسهيل ٦٧ وشرح الكافية للرضي ١٨٦/١ وشرح ابن عقيل ٣٩٩/١ .

(٥) الخوئي ٤/١٢ وينظر : شرح الكافية للرضي ١٨٥/١-١٨٦ .

(٦) ينظر: الخوئي ٤/١٢ .

(٧) التستريّ ٣٠٨/١٢ وينظر: التسهيل ٦٧ وشرح ابن عقيل ٣٩٤/١ .

(٨) ينظر: البحراني ٢٦٦/٤ . (٩) نفسه ٢٧٩/٤-٢٨٠ .

(١٠) الخوئي ٤/١٢ وينظر : شرح عمدة الحافظ ٢٥٧ وشرح ابن عقيل ٣٩٥/١ .

بين الحال او الوصف ، فلو قدر الخبر بلفظ (المعروفون) تعرب الجملة حالا ، ولو قدر بلفظ (موجودون) تعرب الجملة نعتا . والمعنى يستدعي ان يكون التقدير : فلا جبرائيل ، ولا ميكائيل ، ولا المهاجرين ، ولا الانصار موجودون ينصرونكم ؛ لان تقدير الخبر بلفظ (المعروفون) يلزم منه جواز الاخبار عن انصار ومهاجرين غير معروفين ينصرونهم ، ففي النصره عن هؤلاء المعروفين لا يلغي وجود النصره من غير المعروفين منهم . اما تقدير الخبر بلفظ النكرة (موجودون) فلا يعارضه الاخبار عن الملائكة والمهاجرين والانصار بغير موجودين ؛ لانهم غير موجودين فعلا

في الكوفة آنذ ، ومع فساد تقدير الخبر معرفة يرجح كون الجملة (ينصرونكم) حالا . ويبقى رفع الاسماء الاربعة دليلا على تخصيص مدلولها بالملكين المعروفين والفريقين المعروفين .

ثم اطبق الشراح^(١) على ان (المقارعة) في : (الا المقارعة بالسيف) يروى بالنصب والرفع . اما النصب فاختلّفوا في توجيهه ، فذهب الراونديّ الى ان « المقارعة تكون بالنصب على انه استثناء منقطع »^(٢) ، وتبعه البحراني^(٣) . ورأى المعتزليّ أنّ « المقارعة منصوبة على المصدر »^(٤) . وذهب الخوئي الى ان (المقارعة) استثناء متصل بما قبله ، وليس منقطعا كما ذهب الراونديّ والبحراني ، وذلك بعد افادة الاسماء الاربعة قبلها معنى العموم المستحصل من تنكيرها في حال روايتها بالنصب ، والمقارعة جزء من هذا العموم « فان الكلام بعد التاويل المذكور بمنزلة لا اعوان ولا ناصرين ينصرونكم الا المقارعة »^(٥) . وكأنّ المقارعة احد المناصرين فهي استثناء متّصل من هذا الجانب . وجوز الخوئي وجها اخر لاتصال المقارعة بما قبلها ، وهو « جعل المستثنى منه ضمير الجمع في ينصرون العائد الى الاسماء المذكورة »^(٦) ، والمعنى : لا شيء ينصركم الا المقارعة . وربما ادرك الخوئي نفسه تعسف توجيه نصب (المقارعة) على الاستثناء المتصل او المنقطع ، فخلص الى ان « الذي يقتضيه النظر الدقيق هو ان جعل انتصاب المقارعة على رواية النصب بالمصدر ، كما قال الشارح المعتزليّ اولى لافادة الدوام والثبوت ، بيان ذلك انهم قد قالوا ان المصدر اذا وقع مثبتا بعد نفي داخل على اسم لا يكون خبرا عنه الا مجازا ؛ لكون صاحب هذا المصدر يحذف عامله قياسا نحو : ما زيد الا سيرا ، وما الدهر الا تقلبا ، وما كان زيد الا سيرا . فان سيرا لا يجوز جعله خبرا عن زيد ؛ لان زيدا صاحب السير ، لا نفس السير ، وهكذا لا يصح جعل (تقلبا) خبرا عن دهر فلا بد من ان يكون العامل محذوفا ، اي : ما زيد الا يسير سيرا ، وما الدهر الا يتقلب تقلبا ، وفيما نحن فيه : لا انصار ينصرونكم الا تقارعوا المقارعة بالسيف »^(٧) . ثم يأنس

(١) ينظر: البيهقيّ ٣٦٤ والراونديّ ٢٦٦/٢ والكيدريّ ٣٥٨/٢ والمعتزليّ ١٨٢/٣ والبحراني ٢٨٠/٤ والخوئي ٤/١٢ والتستريّ ٣٠٨/٤ .

(٢) الراونديّ ٢٦٦/٢ (٣) ينظر: البحراني ٢٨٠/٤

(٤) المعتزليّ ١٨٢/٣ (٥) الخوئي ٥/١٢

(٦) نفسه ٥/١٢ (٧) نفسه ٦/١٢ .

الخوئي بأن حذف الفعل في مثل هذا الموضع يفيد الدلالة على ان المقصود من هذا الحصر وصف الشيء بدوام حصول الفعل منه ولزومه له « فلما كان المراد التنصيص على الدوام واللزوم لم يستعمل العامل اصلا لكونه اما فعلا ، وهو موضوع على التجدد ، او اسم فاعل وهو مع العمل كالفعل لمشابهته ، فصار العامل لازم الحذف ، فان ارادوا زيادة المبالغة جعلوا المصدر نفسه خبرا ، نحو : ما زيد الا سيرا... فينمحي عن الكلام معنى الحدوث اصلا لعدم صريح الفعل ، وعدم المفعول المطلق الدال عليه »^(١) .

اما رفع المقارعة، فتأويله لدى الراونديّ يحتمل وجهين تبعا لإعراب الاسماء الاربعة قبلها ، فيجوز ان يكون «ابتداءً وقال : ولا انصار ينصرونكم ، والمعنى وليس لكم انصار ينصرونكم الا المقارعة ، اي : ذوو المقارعة ، فحذف المضاف ، ويجوز ان يكون المعنى : لا ينجيكم الا المقارعة ، فلا يحتاج الى اضمار مضاف»^(٢). فاما الابتداء في (ولا انصار ينصرونكم الا المقارعة) ، ففيه (لا) بمعنى (ليس) و (المقارعة) خبر (ليس) والاستثناء مفرغ ، وأما كون (المقارعة) فاعلا في التقدير : لا ينصركم الا المقارعة ، فمحمول على نصب الاسماء الاربعة قبلها. ووجه الخوئي رفع (المقارعة) باحد وجهين: الاول : انها بدل من الاسماء المذكورة قبلها في حال روايتها بالرفع. والآخر : انها بدل من ضمير (ينصرونهم) في حال رواية الاسماء الاربعة بالنصب ، واختار الخوئي رفع (المقارعة) تبعا لما رجحه العلماء « في مثل ﴿لَا فَتُوهُ إِلَّا قَدِيلٌ﴾^(٣) والا قليلا ، اي فيما اذا وقع المستثنى بالا في كلام غير موجب وذكر المستثنى منه انه يجوز النصب ويختار البذل»^(٤).

١١- قال الامام (ع) يصف احكام القرآن: (بَيْنَ مَاخُذٍ مِيثَاقٍ عِلْمِهِ ، وَمُوسَعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ ... وَبَيْنَ وَاجِبٍ بَوَاقِهِ ، وَزَائِلٍ فِي مَسْتَقْبَلِهِ . وَمَبَايِنٍ بَيْنَ مَحَارِمِهِ مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ ، أَوْ صَغِيرٍ أُرْصَدَ لَهُ غَفْرَانَهُ...)^(٥). وفسر الشّراح (مباين بين محارمه ...) بان معنى المباينة بين محارم القران هو ان محارمه تنقسم الى كبيرة وصغيرة ، فالكبيرة أوعد الله - عزّ وجل - عليها بالعقاب ، والصغيرة مغفورة^(٦). ثم قاد المعتزليّ فريقا من الشّراح ، فاعربوا (مباين) بالرفع ، على انه خبر لمبتدا محذوف ، والتقدير: هو مباين ، ورأى المعتزليّ أنّ « الواجب أن يكون مباين بالرفع لا بالجر ، فانه ليس معطوفا على ما قبله ، الا ترى ان جميع ما قبله يستدعي الشيء وضده ، او الشيء ونقيضه ، وقوله : (مباين بين محارمه) لا نقيض ولا ضد له ؛ لانه ليس القران العزيز على قسمين: احدهما

(١) الخوئي ٦/١٢ وينظر: الكتاب ٣٣٧/١ والمقتضب ١٩٩/٢ والجمال ٥٥٠/١ ودلائل الإعجاز ١٣٣-١٣٤ والألمالي الشجرية ٧١/١.

(٢) الراونديّ ٢٦٦/٢ وينظر : ٣٥٩/٢ .

(٣) النساء ٦٦ وينظر: إعراب النحاس ٢٣٠/١ والكشاف ٥٣٩/١ وتبيان العكبري ٢٩٧/١

(٤) الخوئي ٥/١٢ وينظر: الجمال ٢٣٠ وشرح الجمل ٢٥٦/٢ وشرح شذور الذهب ٢٥٦ .

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ١ص: ٢٤ .

(٦) ينظر : البيهقيّ ٧٤ والكيدريّ ١٤٢/١ والمعتزليّ ١٢٢/١ والبحراني ٢٧٧/١ وعبدّه ٣٠/١ ومغنية ١٤٢/١ والتستريّ ١٨/١٣ .

مباين بين محارمه ، والاخر غير مباين ، فان ذلك لا يجوز ، فوجب رفع مباين ليكون خبر مبتدأ محذوف»^(١) . واعرب البحراني (مباين) معطوفا على المجرورات السابقة ، ورأى ان فيه نكتة لطيفة هي ان «المحارم لما كانت هي محال الحكم المسمى بالحرمة صار المعنى: بين حكم مباين وبين محالّه وهو الحرمة»^(٢) . فقدّر متضايّفين محذوفين قبل (مباين) لتأويل جره ، وأقرّ التعدد في معنى (مباين) وهو تعدد على سبيل الضد او النقيض ، كما اشترط المعتزليّ؛ فمنع تبعا لهذا الشرط ان تعرب اللفظة بالجر عطا على المتضادات والمتناقضات قبلها. ونعت التستريّ قول البحراني

هذا بانه ((فيه تكلف لا تطف ... وما قاله لا يناسب كلامه عليه السلام فيتعين رفعه))^(٣) . يريد ان لا داعي لتقدير عامل الجر لـ (مباين) مع وجود إعراب آخر غيره لا تقدير فيه والمعنى ظاهر معه ؛ ((لان المباين ليس ايضا شيئا واحدا شخصيا ، بل هو مثل المحارم، والحرمة المباينة بين المحارم تابعة للمحارم في تعدد الافراد))^(٤) ، وانكر الخوئي على المعتزلي استدلاله بان القران ليس على قسمين احدهما مباين ، والاخر غير مباين فمنع جر (مباين) عطا على الاضداد قبله ، ورأى ان القران ((ليس منحصر في المباين بل بعضه جدل ، وبعضه قصص ، وبعضه نذل ، وبعضه احكام ، وبعضه ترغيب ، وبعضه ترهيب ، كما ان بعضه مباين بين محارمه الى غير ذلك مما اشتمل عليه))^(٥) . وشايخ الخوئي^(٦) البحراني فاعرب مباين بالجر عطا على سابقه ، أي : بين مباين وبين محارمه . فقدر (بين) محذوفة وحدها . ووصف رأي المعتزلي وصحبه في وجوب رفع (مباين) بالوهم ، ولم يلتفت الى احتجاجة بان ما قبل (مباين) يستدعي الشيء وضده ، وهذا لا ضد له . وتوسع في تبيان مدلول كلمة (بين)^(٧) التي لا تستدعي الاضافة الى اثنين فصاعدا متضادين او متناقضين ، كما فهم المعتزلي ، بل تضاف ايضا الى شيء يقوم مقام شيئين ، كما في قوله تعالى: ﴿ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾^(٨) ، وقول امرئ القيس : بين الدخول فحومل^(٩) ، وهنا صلح تقديرها محذوفة قبل (مباين) لانه شيء يقوم مقام شيئين فاكثر .

(١) المعتزلي ١٢٢/١ . (٢) البحراني ٢٧٧/١ وينظر: الشيرازي ٥١/١ .

(٣) التستري ١٨/١٣ . (٤) الخوئي ١٧٧/٢ .

(٥) نفسه ١٧٧/٢ .

(٦) ينظر: نفسه ١٧٦/٢ .

(٧) ينظر: القاموس المحيط ١٠٨٩ .

(٨) البقرة ٦٨ وينظر: المفردات ١٥٦

(٩) جزء من مطلع معلقته ، وفيه أضاف (بين) ألى متعاطفين بالفاء والأصل أن يقال: زيد بين خالد وسعيد بالواو لا بالفاء .

ينظر: شرح السبع ١٦-١٧ وشرح التسع ٩٩ .

١٢- قال الامام (ع) يصف من يتصدى للحكم بين الامة ، وليس اهلا لذلك : (... قَدْ سَمَاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِمًا ، وليس به ، بكر فاستكثر من جمع ، ما قلّ منه خير مما كثر ...)^(١) . وقد اطبق الشراح على ان الرواية المشهورة هي : (من جمع ، ما قلّ ...) بتنوين (جمع) ، ووجهها ان (ما) موصولة في محل رفع مبتدا ، و (خير) خبرها ، و (قل) صلتها ، وفاعل (قل) ضمير مستتر عائد على الاستكثار المفهوم من استكثر ، والضمير في (منه) عائد على الموصول ، والجملة الاسمية في محل جر صفة لـ (جمع) المجرور ، كما ذهب اكثرهم^(٢) ، او بدل كما ذهب الخوئي^(٣)

وأشار فريق من الشّواح الى رواية اخرى هي : (من جمع ما قل) بغير تتوين ، واختلفوا في توجيهها، فذهب الراوندي الى ان (جمع) مضاف الى (ما) الموصولة بعده ، وفي التركيب حذف ، وهو (ان) المصدرية ، وموضعها قبل الفعل (قل) لتتسبك معه في محل رفع مبتدا ، والتقدير : (من جمع ما قلته خير من كثرته...)(٤).

وقد اورد البحراني والخنوي (٥) هذا الرأي دون عزوه الى صاحبه ، وفهما من تقدير (ان) المصدرية محذوفة فيه انه يجري مجرى قولهم : (تسمع بالمعيدي خير من ان تراه)(٦) ، والتقدير : (أن تسمع) ، وتأويله : (سماك بالمعيدي). وذهب المعتزلي الى ان (ما) مصدرية ، والمصدر المنسبك من (ما قل) في محل جر صفة لموصوف محذوف ، والتقدير : « من جمع شيء قلُّهُ خَيْرٌ مِنْ كَثْرَتِهِ »(٧) . وذهب البحراني الى تقدير (ما) اخرى محذوفة قبل المذكورة « حتى تكون (ما) الاولى هي المضاف ، والثانية هي المبتدأ ، والتقدير: من جمع ما الذي قلّ منه خير مما كثر ، لكنه لما كان اظهار ما الثانية يشبه التكرار ويوجب هجنه في الكلام ، وكانت ما الواحدة تعطي المعنى عن المقدرة كان حذفها اولي»(٨) . وذهب الخنوي الى ان المضاف اليه محذوف ، وهو (شيء) ، و(ما) بعده موصولة ، والتقدير : « من جمع شيء الذي قل منه خير من الذي كثر»(٩).

١٣- قال الامام (ع) في عهد له الى بعض عماله ، وقد بعثه على الصدقة : (وَأَنَا مُؤَدُّكَ حَقَّكَ ، فَوَفِّهِمْ حَقَّهُمْ ، وَلَا تَفْعَلْ فَإِنَّكَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ حُصُومًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَبُؤْسِي لِمَنْ خَصَّمَهُ عِنْدَ اللَّهِ الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ ...) (١٠) . ثم اختلف الشّراح المتقدمون في إعراب (بؤسا) اختلافا افضى الى اختلاف المعنى ، فذهب الراوندي (١١) الى ان اللفظة منونة ، والبؤس مصدر بمعنى الشدة ، وقد نُكِّرَ وَصَبَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ عَلَى الْمَصْدَرِيَّةِ .

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٧ ، ص: ٤٧ .

(٢) ينظر : الراوندي ١٧٧/١ والمعتزلي ٢٨٧/١ والبحراني ٣٨٣/١ وابو الفضل ٥٥/١ .

(٣) ينظر: الخنوي ٢٥٠/٣ . (٤) الراوندي ١٧٧/١ .

(٥) ينظر : البحراني ٣٨٣/١ والخنوي ٢٥٠/٣ (٦) ينظر : جمهرة الأمثال ١٢٩/١

(٧) المعتزلي ٢٨٧/١ . (٨) البحراني ٣٨٣/١ .

(٩) الخنوي ٢٥٠/٣ .

(١٠) نهج البلاغة : رسالة ٢٦ ، ص ٤٨٥ . (١١) ينظر : الراوندي ٦١/٣ والبحراني ٣٦٧/٤ .

وذهب المعتزلي (١) الى ان اللفظة ممنوعة من الصرف ، وانكر على الراوندي تتوينها لانها لفظة مؤنثة ، وهي (بؤسى) بوزن فعلى ، مثل : فضلى ، ونعمى ، وطوبى ، يقال : بؤسى لفلان ، كما في قول الشاعر (٢) :

أرى الحلم بؤسى للفتى في حياته ولا عيش الا ما حباك به الجهل

وانتصر الشّراح اللاحقون (٣) للراوندي مستدلين بما خطه الرضي بيده من كتابة اللفظة بالالف لا بالياء ، كما في نسخة البحراني (بؤسا) ومطابقة رايه للعربية ، اذ تنصب (بؤسا) على المصدر ، كما يقال : سحقا لك ، وبعدا ، فضلا عن ظهور المعنى في قول الراوندي ، اذ يقال : بنس الرجل يبأس بؤسا ، اي اشتدت حاجته فهو بائس ، فكأن (بؤسا)

بمعنى (فقرًا) و (سوءًا) . وضعف بعضهم^(٤) الاستدلال بالشعر الذي ساقه المعتزليّ ، إذ يجوز ان يكون اصله (بؤسا) بالتثوين ، ثم صرف الى (بؤسى) إذ يستقيم الوزن بهما معا ، ثم ان الشعر لم يعرف قائله ولعله لبعض المتأخرين ، فيكون الاستشهاد به غلطا ، ورواية الشعر بلفظ (بؤسا) اعم من الحصر بلفظ (بؤسى) ذلك إن اخراج اللفظة على النصب على المصدر اعم واوسع من اخراجها على انها اسم مؤنث ممنوع من الصرف ، ثم ان الكثير في (بؤسى) ان تعرف كما في معجمات اللغة ، ولم يُعلم استعمالها نكرة^(٥) .

(١) ينظر : المعتزليّ ١٥/١٦٠ .

(٢) لم أقف على قائله

(٣) ينظر : البحراني ٤/٣٦٧ والخوئي ١٩/٣٨ والتستريّ ٦/٥٨٦ والشيرازي ٤/٢١ وانصارين ٣/٦٦-٦٧ .

(٤) ينظر : التستريّ ٦/٥٨٦ .

(٥) ينظر: العين ١/١٢٨ والصاح ٧١ والقاموس ٤٩٢ .

المطلب الثالث : دلالة المحل الإعرابي في شروح النهج .

١- قال الامام (ع) في ذكر الملاحم الخاصة بظهور الامام المهدي (ع) : (..حتّى إذا اخلوq الأجل ، واستراح قوم إلى الفتن ، وأشالوا عن لqاح حربهم ، لم يُمنّوا على الله بالصبر ...)^(١) . وفي محل جملة : (لم يمنوا) خلاف بين الشراح نشأ بسبب تفاوتهم في فهم المعنى ، إذ قاد البيهقيّ فريقاً^(٢) رأى أن (الواو) في (لم يمنوا) عائد على (القوم) ، والجملة في محل رفع نعت لهم ؛ لان الجمل بعد النكرات صفات^(٣) ، والمعنى ان القوم استراحوا الى الفتن فلم يعدوا

اصطبارهم على البلاء منة على الله ، ولم يجزعوا وان قتلوا في سبيل الله . وذهب المعتزلي الى ان جملة : (لم يمنوا) جواب الشرط في (حتى اذا اخلوق الاجل) ، والضمير في لم يمنوا راجع الى العارفين الذين تقدم ذكرهم في مبتدا الخطبة ، والقوم المذكورون في (استراح قوم الى الفتنة) مذمومون لعودهم عن قتال اعدائهم واستراحتهم الى الفتنة . وجملة (لم يمنوا) وما بعدها في سياق مدح العارفين الذين انهضهم الله تعالى في وقت القى فيه كثير من الناس اسلحتهم ، وعجزوا عن قتال الطغاة والظلمة ، واستراحوا من قتالهم بدخولهم في ضلالتهم وفتنتهم . اما العارفون الذين انهضهم الله لقتال الظلم والجور ، فلم يمنوا على الله تعالى بصبرهم ، ولم يستعظمو ان يبذلوا في الحق نفوسهم حتى اذن الله لهم بالنهوض بقضاء الله وقدره ، بعد انقضاء مدة الفتنة الداخلة في ضلال الظالمين والطغاة . والمعنى : حتى اذا قرب العهد امام العارفين لم يمنوا على الله بصبرهم على طول المدة في انتظارهم نصرة الحق^(٤) . وجوز البحراني في أحد قوليه اختيار البيهقي ، وهو ان يكون المراد بالضمير في (يمنوا) وما بعده القوم الذين استراحوا الى الفتنة ، وذلك أنهم لم يفعلوا ذلك الا لانهم لم يؤذن لهم في القيام حين استراحتهم واستكانتهم لهذه الفتنة الباغية ، ولم يتمكنوا من مقاومتهم لعدم قيام القائم بالامر ، فكانوا حين مسالمتهم صابرين على مضض من الم المنكر الذي يشاهدونه غير مستعظمين لبذل انفسهم في نصرة الحق لو ظهر لهم من يكون لهم ظهرا يلجؤون اليه ، حتى اذا ورد القضاء الالهي بانقطاع مدة بلاء هذه الفتنة ، وظهور من يقوم بنصر الحق ودعا اليه ، حمل هؤلاء بصائرهم على أسيافهم ، وقاموا لربهم بأمر من يقوم فيهم واعطا وداعيا . وذكر أن هذا الوجه يرجحه عود الضمير على الاقرب وهو القوم^(٥) . وجوز البحراني في قوله الآخر اختيار المعتزلي ، ولم ينسبه الى صاحبه ، وانما قال : ((الضمير في لم يمنوا ، قال بعض الشارحين :إنه عائد الى العارفين الذين تقدم ذكرهم في الفصل السابق))^(٦) . والمعنى حتى اذا القى هؤلاء السلام الى الفتنة الضالة وعجزوا عن قتالهم تقية منهم ، انهض الله اولئك

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٥٠ ، ص: ٢٦٢ .

(٢) ينظر : البيهقي ٢٣٩ والروندي ٨٢/٢ والكيدري ٦٥٢/١ .

(٣) ينظر: معاني النحو ١٨٦/٣

(٤) ينظر : المعتزلي ١٣٠/٩-١٣١ .

(٥) ينظر : البحراني ٢٠٤/٣ .

(٦) البحراني ٢٠٤/٣ .

الذين خصهم بحكمته ، واطلعمهم على اسرار العلوم ، فنهضوا ، ولم يمنوا على الله تعالى بالصبر في طاعته^(١) . وانكر الخوئي ان تكون جملة (لم يمنوا) جوابا للشرط في (حتى اذا اخلوق الاجل) ، ورأى ان الجواب محذوف يدل عليه جواب (اذا) المذكورة لاحقا في قوله (هـ): (حتى اذا وافق وارد القضاء انقطع مدة البلاء ، حطوا بصائرهم على أسيافهم)^(٢) ، ولذا أعرب (لم يمنوا) في موضع الحال من فاعل (أشالوا)^(٣) . وأد التستري رأي الخوئي ؛ لأن عدم منتهم على الله بصبرهم ، وعدم عددهم بذل أنفسهم في الحق عظيما كانا من الابتداء ، لا بعد اخليلاق الاجل ، انما الجواب

(حملوا) الاتي ، لكن التستريّ يختلف مع الخوئي في صاحب الحال ، فقد رأى الخوئي انه الواو في (أشالوا) ، ورأى التستريّ ان الجملة حالّ من (استراح قوم)^(٤). وخلص مغنية الى ان معنى (لم يمنوا على الله بالصبر) لا يستقيم الا بتقدير جملة محذوفة ، ويكون السياق : «بعد ان سكت قوم عن الذين افسدوا نهض جماعة من المؤمنين لجهاد المفسدين ، وصبروا على جهادهم ، ولم يمن المؤمنون المجاهدون على الله بالصبر والجهاد ولم يستعظموا بذل انفسهم في الحق ، بل رأوه واجبا عليهم ، وامانة في عنقهم»^(٥). وهذا حاصل مذهب المعتزليّ .

٢- قال الامام (ع) في احدى خطبه : (فاحذروا . عباد الله . عدوّ الله أن يُعديكم بدائه...) ^(٦) ، وفي إعراب المصدر المؤول (أن يعديكم) عدة اوجه : فجوز الراونديّ فيه وجهين : الاول : انه بدل من (عدوّ الله) فهو في محل نصب ، والآخر : انه مفعول ثانٍ لـ (احذروا) ^(٧) . وانكر المعتزليّ الوجه الثاني ؛ لان (حذر) المجرد لا يتعدى الى مفعولين ^(٨) . ولذا صحح وجهها واحدا في إعراب (ان يعديكم) وهو النصب على البدلية ، وعلى هذا معظم الشراح ، والتقدير هو : « احذروا عدو الله عدواه لكم بدائه» ^(٩) . وصحح التستريّ ^(١٠) وجه الراونديّ الثاني ؛ لانه يمكن ان يكون (ان يعديكم) مفعولا ثانيا لـ (احذروا) وذلك بنزع الخافض ، والاصل : (من ان يعديكم بدائه) ، وحذف الجار مع (أن) كثير في العربية ^(١١) .

(١) ينظر : البحراني ٢٠٤/٣ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٥٠ ، ص : ٢٦٢ .

(٣) ينظر : الخوئي ١٣٣/٩ .

(٤) ينظر : التستريّ ٢٢٣/٧ .

(٥) مغنية ٢٥٥/٣-٢٥٦ .

(٦) نهج البلاغة الخطبة ١٩٢ ، ص ٣٦١ .

(٧) ينظر : الراونديّ ٢٣٧/٢ .

(٨) ينظر : المعتزليّ ١٣٨/١٣ .

(٩) ينظر : البيهقيّ ٣٥٧ والكيدريّ ٣٤٢/٢ والبحراني ٢٢٩/٤ والخوئي ٨٤/١١ والموسوي ٢٩١/٣ .

(١٠) ينظر : التستريّ ٣٦١/١٤ . (١١) ينظر : الكتاب ١٣٧/٣ .

وإعراب (ان يعديكم) على انه بدل اقرب امره انه بدل بعض من كل ، فالتقدير : احذروا ابليس عدواه لكم ، يفهم منه ان الحذر مقصور على عدوى ابليس وليس شيئا اخر ، فيجوز مع هذا الإعراب ان يأتي الخير من ابليس ، ولذا يمكن القول ان (ان يعديكم) في موضع المفعول لاجله ، فيكون الحذر واقعا على (عدو الله) ، ويكون (ان يعديكم) سببا للحذر وليس اسما يقع الحذر عليه ، وفي هذا الإعراب تكون (ان) مشوبة بالنفي بمعنى (لا) ^(١) فيكون التقدير : احذروا عدو الله منجاة لكم .

٣- قال الامام (ع) بعد ان غلب بسر بن أرطأة صاحب معاوية على اليمن: (ما هي الا الكوفة أقبضها وأبسطها، إن لم تكوني إلا أنت تهـُ بـ أعاصيرك ، فقبحك الله !)^(٢). وفي إعراب الجملة الفعلية : (اقبضها) ، جوز البحراني وتبعه الخوئي ثلاثة اوجه هي^(٣):

١- إنها وما عطف عليها في محل رفع خبر ثان للمبتدأ (هي) ، والخبر الاول (الكوفة) .

٢- إنها وما عطف عليها في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف ، والتقدير (انا اقبضها) .

٣- إنها وما عطف عليها في محل رفع خبر، والمبتدأ هو (الكوفة) ، فيكون الضمير (هي) للقصة او الشأن .

وأشار البحراني إلى أن نظير هذا الإعراب في الاحتمالات قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَأَطَى تَرَاعَةً لِّلشَّوَى ﴾^(٤) ، وفيه يحتمل إعراب (نزاعة) خبرا ثانيا ، او خبرا لمبتدأ محذوف تقديره (هي) ، او خبرا اول ، والهاء ضمير القصة او الشأن^(٥) . ولم يلتفت البحراني والخوئي الى المعنى في سردهما هذه الالوجه الإعرابية التي اطبقت على ان (اقبضها وابسطها) خبر ثان ؛ لان هذا الإعراب يلزم منه ان يكون المراد من كلام الامام (ع) قد تم في (ما هي الا الكوفة) ، وليس هذا مراده ؛ لانه (ع) اخبر في عمدة كلامه عن قبضه الكوفة وبسطه إياها وهو كناية عن ان استيلائه التام منحصر فيها ، وهي عاصمة دولته التي تمتد من العراق الى الحجاز فاليمن ، ولم يجرؤ معاوية قط على الاغارة عليها لتصرف الامام (ع) فيها تصرفا تاما دون غيرها من امصار دولته التي يقل تصرفه فيها نوعا ما عن الكوفة . فكيف يكون مقصده (ما هي الا الكوفة) ، بل المراد (ما هو الا قبض الكوفة) ، ومن هنا رجح التستري^(٦) ان تكون جملة (اقبضها وابسطها) بدل اشتمال من (الكوفة) لاشتمالها على القبض والبسط كما في قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قَدْ آلٍ فِيهِ قُلْ قَدْ آلٍ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾^(٧) ، فجاء (قتال) بدلا من الشهر الحرام لاشتمال الشهر على القتال العظيم^(٨) .

(١) ينظر: مغني اللبيب ٣٦/١ والهمع ١٩/٢ ومعاني النحو ٣٢٩/٣ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ٢٥ ، ص: ٥٧ . (٣) ينظر: البحراني ١٩/٢ والخوئي ٣٤٩/٣ .

(٤) المعارج ١٥-١٦ . (٥) ينظر: الكشاف ١٥٨/٤ ومجمع البيان ٢٩ / ١٢٢ .

(٦) ينظر: التستري ٤٧١/٤ .

(٧) البقرة ٢١٧ .

(٨) ينظر: معاني الفراء ١٤١/١ وإعراب النحاس ١١٢/١ ومعاني الزجاج ٢٤٨ /١

٤- قال الامام (ع) في حمد الله تعالى: (لَّذِي لَبَعَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ هَالٍ أَمْتَنَّهُ ، لِأَوْمِقْدَارٍ أَخَذَى عَلَيْهِ مِنْ هَلِاقٍ مَعْبُودٍ كَانَ قَبْلَهُ)^(١) . وقد اعرب فريق من الشراح (من خالق) في موضع صفة لـ(مقدار) ، فيكون المعنى ان المراد بنفي امتثال المثال انه - تعالى - لم يمثل لنفسه مثالا قبل شروعه في خلق العالم ليخلق العالم على هيأته ، ويكون المراد بنفي احتذاء المقدار انه - تعالى - لم يقتد بخالق كان قبله ، فيكون الجار والمجرور صفة للمقدار فقط ، وليس صفة للمثال الذي لا يحتاج الى خالق اخر^(٢) . وفي هذا الوجه يكون معنى « امتنله : مثله كما تقول : صنعت واصطنعت بمعنى ، فيكون التقدير انه لم يمثل لنفسه مثالا قبل شروعه في خلق العالم ؛ ثم احتذى ذلك المثال وركب العالم على

حسب ترتيبه كالصانع الذي يصوغ حلقة من رصاص مثالا ثم يصوغ حلقة من ذهب عليها ، او كالبناء يقدر ويفرض رسوما وتقديرات في الارض وخطوطا ثم يبني بحسبها»^(٣) .

وجوزوا ان يكون (من خالق) صفة للمقدار والمثال معا ، فيكون نفي احتذاء المقدار تأكيدا لنفي امتثال المثال ، وحينئذ يجوز نعتها معا بـ(من خالق) ، ويكون نعت نفي المثال بمعنى نفي الاقتداء باخر في التصوير ، ويكون نعت نفي المقدار بمعنى نفي الاقتداء باخر في التقدير^(٤) .

وفي هذا الوجه يكون المراد (بامتثله) احتذاه ، وتقبله ، واتبعه ، والاصل فيه امتثال الامر في القول ، فنقل الى احتذاء الترتيب العقلي ، فيكون التقدير : « انه لم يمثل له فاعل اخر قبله مثالا اتبعه واحتذاه وفعل نظيره كما يفعل التلميذ في الصباغة والنجارة شيئا قد مثل له استاذة صورته وهياته»^(٥) .

وظاهر كلام الامام (ع) يرجح ان يكون (من خالق) نعت لـ(مقدار) ؛ لان معنى كلامه (ع) انه ابتدع الخلق على غير مثال قدمه هو لنفسه ، ولا غير مقدار قدمه خالق اخر له ليحتذي عليه ، ولو كان (من خالق) صفة للمثال والمقدار معا لكان نفي احتذاء المقدار بمعنى نفي امتثال المثال فيكون الثاني لغوا لا فائدة فيه ، وهذا لا يصدق على كلام الامام (ع) .

٥- قال الامام (عليه السلام) في صفة المتقين : (نَزَلَتْ اَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَالَّذِي نَزَلَتْ فِي الرَّخَاءِ)^(١) . وقد اختلف الشراح في إعراب (كالذي) ، فاختلف معنى العبارة تبعا لاختلاف الإعراب ، فاما الراوندي فجوز في احد قوليه تقدير اسم مفرد يكون هو المجرور بالكاف في (كالذي) لان تشبيه الواحد بالجمع لا يصح ، فيكون التقدير : « كل واحد منهم اذا نزلت نفسه في البلاء يكون كالرجل الذي نزلت نفسه في الرخاء»^(٧) .

(١) نهج البلاغة الخطبة ٩١ ص: ١٥١ . (٢) ينظر : الخوئي ٣٠٦/٦ وانصاريان ٢٧٢/١ .

(٣) المعتزلي ٤١١/٦ .

(٤) ينظر : انصاريان ٢٧٢/١ .

(٥) المعتزلي ٤١١/٦ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٣ ، ص ٣٨١ . .

(٧) الراوندي ٢٧١/٢ .

ويكون المعنى على هذا الوجه « نزلت انفسهم في البلاء من قبلهم اختيارا ، وبطيون به قلبا مثل طيب قلب الذي نزلت نفسه في الرجاء»^(١) . وجوز - ايضا - ان يكون (الذي) بمعنى ما المصدرية ، كقوله تعالى : ﴿ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا ﴾^(٢) ، والتقدير : وخضتم كخوضهم^(٣) . فيكون المعنى في قوله (ع) : ونزلت انفسهم منهم في البلاء كنزولها في الرخاء^(٤) .

ولم يلتفت المعتزلي الى رأي الراوندي هذين ، فذهب الى ان موضع (كالذي) نصب على انه صفة لمصدر منصوب (مفعول مطلق) محذوف ، والتقدير : نزلت انفسهم منهم في حال البلاء نزولا كالنزول الذي نزلت منهم في حال الرخاء

. وقد حذف العائد على الاسم الموصول وهو الهاء في (نزلته) ، ومثله : ضربت الذي ضربت ، اي: الذي ضربته ، والمعنى على وفق هذا الإعراب : انهم طابوا نفسا في البلاء والشدة كطبيب انفسهم باحوالهم في الرخاء والنعمة ، وذلك لقلّة مبالاتهم بشدائد الدنيا^(٥).

واختار البحراني - في احد قوليه - مذهب المعتزليّ هذا من دون التصريح باسمه^(٦) ، اما الوجه الاخر لدى البحراني فهو ان يكون المراد بـ (الذي) الجمع ، اي (الذين) فحذف نون الجمع ، فيكون المعنى تشبيههم حال نزول انفسهم منهم في البلاء بالذين نزلت انفسهم منهم في الرخاء^(٧).

ووصف الخوئي اراء المعتزليّ والبحراني والكيدريّ بالتكلفات التي يابى عنها الذوق السليم ، لُبعد المعنى فيها جميعا ، فضلا عن بعد الوجه الاول الذي ذكره الراونديّ لان المفهوم من ظاهر كلامه تشبيه احدى حالتي المتقين بحالتهم الاخرى ، لا تشبيههم بغيرهم من اهل الرخاء^(٨). ولما وجد الخوئي ان الإعراب في الاوجه التي ذكروها يفضي الى تشبيه المتقين بغيرهم ، والامام يشبه حال المتقين بحال اخرى لهم خطأ هذه الاوجه ، وصحح الوجه الثاني الذي ذكره الراونديّ ، ولم يعزه اليه ، ولكنه نسب الى ائمة اللغة ذهابهم الى مجيء (الذي) بمعنى (ما) المصدرية ، فقال : « الاقرب عندي ان يجعل الذي مصدريا بان يكون حكمه حكم ما المصدرية ، كما ذهب اليه يونس والابخش في قوله تعالى : ﴿ نَذِكَ الَّذِي يُشْرُ اللّٰهُ عِبَادَهُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا ﴾^(٩) أي : ذلك تبشير الله . وكذلك قالوا في قوله تعالى : ﴿ وَخُضْتُمْ كَالَّذِيْ خَاضُوْا ﴾ ، وعلى هذا فيكون المعنى : نزلت انفسهم منهم في البلاء مثل نزولها في الرخاء ، وهذا لا تكلف فيه اصلا^(١٠).

(١) الراونديّ ٢٧١/٢ وينظر : الكيدريّ ١٣٣/٢ .

(٢) التوبة ٦٩

(٣) ينظر :معاني الفراء ٤٤٦/١ والكشاف ٢٠١/٢ والتبيان للعكبري ٤٩٩/١ .

(٤) ينظر :الراونديّ ٢٧١/٢ . (٥) ينظر : المعتزليّ ١٠٤٢/١٠ .

(٦) ينظر : البحراني ٣٨٦/٣ . (٧) ينظر : المصدر نفسه ٣٨٦/٣ .

(٨) ينظر : الخوئي ١١٢/١٢ . (٩) الشورى ٢٣

(١٠) الخوئي ١١٢/١٢-١١٣ وينظر : الكشاف ٤٦٦/٣ والتبيان للعكبري ٢٣٨/٢ .

وعلى الرغم من رده الاوجه الاخرى كلها حاول الخوئي تقويم وجه الراونديّ الاول الذي اقر فيه تقدير مفرد محذوف يكون موصوفا بـ(الذي) ، فذهب الى جواز ان يكون الموصوف المحذوف مفردا لفظا وجمعا ، نحو : (رهُط) ، و(جمع) ، و(فريق) ، فيكون المعنى : نزلت انفسهم منهم في البلاء كالجمع الذي نزلت انفسهم منهم في الرخاء ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾^(١) ، تقديره (كمثل الجمع الذي استوقد نارا) ، وهذا الوجه عنده اقرب من تمحل تاويل الجمع بالمفرد كما في تقدير (رجل) محذوفا مع ان المذكور قبله جمع^(٢) .

٦- قال الامام (ع) من رسالة له الى بعض عماله : (... فَمَا لِحُقُوتِهِ يَشْغَلُنِي أَكُلُّ لَطِّ يَبَاتِ كَالْبَهِيمَةِ الْمُرْبُوطَةِ ، هَهُمَا عَظْفًا ...)^(٣) . وفيه أعرب الراوندي «الكاف في كالبهيمة ، محله النصب لانه صفة مصدر محذوف ، اي لم اخلق خلقة مثل خلق البهيمة»^(٤) ، فقدّر الجار والمجرور (كالبهيمة) في محل نصب صفة للمفعول المطلق المحذوف ، والمجرور بالكاف محذوف ايضا ، فيكون التقدير : ما خلقت خلقا كخلق البهيمة. واعرب شراح اخرون : (كالبهيمة) في موضع الحال من الضمير المنصوب في (يشغلني) ، والتقدير : ((ما خلقت ليشغلني ذلك مشابها للبهيمة ، اي لو شغلني ذلك لشابهت البهيمة))^(٥) ، لانه (ع) «أخذ في تمثيل نفسه بالسائمة والريضة على تقدير ان يرضى بمثل حالهما وغايتهما من الدنيا في معرض الانكار لذلك الرضا من نفسه ، والاصل في ذلك التمثيل البهيمة ، والفرع هو (ع) ، والمشترك الجامع هو: الرعي ، والشبع ، والبروك ، والنوم ، والراحة . ولما كان الاصل المقيس عليه في غاية الخسة بالقياس الى الانسان الكامل استلزم ذلك التشبيه به قوة النفرة كما يستلزم التشبيه من الصفات»^(٦) .

٧- قال الامام (ع) في خطبة له في بديع خلق الخفاش : (... هو الله الحق المبين ، أحقُّ وأبينُّ مما ترى العيون...)^(٧) . وجّه بعض الشّراح رفع (أحق وأبين) بانهما «بدلان من الحق المبين ، أو عطف بيان ، وعلى الاول ففائدتهما التقرير ، وعلى الثاني فالايضاح»^(٨) . وانما اعرب الشّراح (أحقّ) بدلا او عطف بيان ؛ لان البديل يكون كالمبدل منه في المعنى ، وكذا عطف البيان ، وقد قدم الامام (ع) (الحقّ المبين) ثم كرر المعنى بقوله : (أحقّ وأبين مما ترى العيون) ، وفي هذا التكرار فائدة هي ان «العلوم العقلية اذا كانت ضرورية ، او قريبة من الضرورية كانت اوثق من المحسوسات ؛ لان الحس يغلط دائما فيرى الكبير صغيرا كالبعيد ، والصغير كبيرا كالعنبه في الماء ترى

(١) البقرة ١٧ وينظر: معاني الفراء ١٥/١ ومعاني الزجاج ٩٢/١ وعراب النحاس ٣٤/١ والكشاف ١٩٥/١ .

(٢) ينظر : الخوئي ١١٢/١٢ .

(٣) نهج البلاغة : الرسالة ٤٥ ، ص : ٥٣٢ .

(٤) الراوندي ١٥١/٣ .

(٥) الكيدري ٥٠٢/٢ .

(٦) البحراني ١١٠/٥-١١١ وينظر : الخوئي ١١٨/٢٠ والشيرازي ١٥/٤ والتستري ٤٨٥/٧ مغنية ٣٢٤/٥ .

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ١٥٥ ، ص : ٢٧١ .

(٨) الخوئي ٢٥٨/٩ وينظر: المقتضب ٣٩٩/٤-٤٠٠ وشرح المفصل ٦٦/٣ والمقرب ٢٧٢ .

كالأجاصة ، ويرى الساكن متحركا كجرف الشط اذا رآه راكب السفينة متصاعدا ، ويرى المتحرك ساكنا كالظل . الى غير ذلك من الاغاليط والقضايا العقلية الموثوق بها لانها بديهية ، او تكاد ، فالغلط غير داخل عليها»^(١) . وتلمس البيهقي وجها لطيفا في اختيار (أحق ، وأبين) دون غيرها ، ثم مجيئهاا مرفوعين ، بان مع هذين اللفظين المرفوعين على البدلية يكون المبدل منه لا يدخله الاحتمال ؛ لان البدلية لا تخفيء ، بل هي كاشفة عن حقيقة المعلوم قطعا ويقينا ، وليس كذلك الرفع على الخبرية ، او النعت او ما سوى ذلك^(٢) . واحتقّى بعضهم بتوجيه البيهقي هذا^(٣) .

٨- قال الامام (ع) في ختم وصيته للاشتر: (وأنا أسأل الله بسعة رحمته... أن يوفّقني وإليك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه ، وإلى خلقه من حُسن الثناء في العباد ، وجميل الأثر في البلاد ، وتمام النعمة...)^(٣). فاعرب المعتزلي (تمام النعمة) عطفًا ((على ما ، من قوله (لما فيه) ، كانه قال : اسأل الله توفّيقِي لذا ولتمام النعمة))^(٤). واستحسن الامدي - متم شرح الخوئي - ان يعطف تمام النعمة ((على الإقامة في قوله : من الإقامة ؛ لان تمام النعمة وما بعده مما فيه رضاه))^(٥).

وما استوضحه الامدي هو الراجح ؛ لان رضا الله معنى مجمل تفصيله المجرورات بعده ب (من) وهي : الإقامة على العذر الواضح ، وحسن الثناء في العباد ، وجميل الأثر في البلاد ، وتمام النعمة ، وتضعيف الكرامة ، فيكون (تمام النعمة) معطوفاً على اول ما فصلّ الاجمال ، وهو لفظ (الإقامة على العذر الواضح) على وفق ما استوضحه الاملي.

(١) المعتزلي ١٨٢/٩ وينظر : البحراني ٢٣٩/٣ .

(٢) ينظر : البيهقي ٢٥٥

(٣) ينظر: الكيدري ٦٨١/١ والتستري ٣٤٠/١ والشيرازي ٣٩٤/٢ .

(٣) نهج البلاغة : رسالة ٥٣ ، ص ٥٦٩ .

(٤) المعتزلي ١١٨/١٧ وينظر : البحراني ١٨٧/٥ .

(٥) الخوئي ٣٢٠/٢٠ .

المبحث الثاني

الدلالة التركيبية في شروح نهج البلاغة

المراد بالدلالة التركيبية هي الدلالة الناشئة من العلاقة بين وحدات التركيب ، أو المستمدة من ترتيب وحداته على نحو يوافق القواعد^(١). وللنظام التركيبي أهمية في تعدد أوجه المعنى . ولذا عني الشراح بإيضاح المعاني المتعددة المفهومة من انتظام الكلمات في ترتيب معين كأن يكون هذا التركيب قائماً على تغيير الرتبة وهو ما يعرف بالتقديم والتأخير .

أوقائماً على عود الضمير على اسمه الظاهر المؤخر أو المحذوف. أو على العلاقة الدلالية بين المتضامنين. أو على العلاقة المفهومة من التعريف والتكثير والتكرار اللفظي وغير ذلك من السمات التركيبية .

المطلب الأول : التقديم والتأخير

تقسم اللغات من حيث ترتيب الالفاظ في جملها على لغات ذات ترتيب ثابت ، وموقع مقيد ، كاللغتين الفرنسية والانكليزية ، ولغات ذات ترتيب حر لا تنقيد عناصر الجملة فيها بترتيب ثابت ، كاللغة اللاتينية^(٢). اما العربية فتقع وسطا بين هذين النوعين ؛ لان ترتيب مفرداتها تارة يكون ثابتا لا يتغير ، نحو تقدم الموصوف على الصفة ، والمضاف على المضاف اليه ، وتارة يكون حرا تبعا لارادة المتكلم وقصده كما في تقدم الخبر على المبتدأ ، والمفعول على الفاعل أو على الفعل والفاعل معا^(٣).

ويعد التقديم والتأخير من موضوعات علم المعاني ، وقد عني به البلاغيون اكثر مما عني به النحويون^(٤). وعلى الرغم من ذلك كان سيبويه هو الرائد في دراسة هذا الموضوع ، وبيان خصائصه ومميزاته^(٥). وهو عند الجرجاني « باب كثير الفوائد جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفتر لك عن بديعه ، ويفضي بك الى لطيفه»^(٦). وجهر الشارح المعتزلي بان « التقديم والتأخير طريق لاجب ، وسبيل مهيع في لغة العرب ، قال سبحانه : ﴿ الْحَدِّ لِدِهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِجَابًا قِيَمًا ﴾^(٧) ، أي : انزل على عبده الكتاب قيما ، ولم يجعل له عوجا ، وهذا كثير»^(٨). وانما الخوئي من بين أقرانه في تتبع أنماط التقديم والتأخير في متن النهج ، ونبه على دلالاتها ، وقلما يغفل عن التنبيه على ذلك . وقد ورد في النهج كثير من أنماط التقديم والتأخير وفيما يأتي أهم أنماطه مقرونة بدلالاتها التي تلمسها الشراح :

(١) ينظر: فقه اللغة في الكتب العربية ١٥٩ وأثر الوقف على الدلالة التركيبية ٦٧-٦٨ والتحليل اللغوي ١٢٥.

(٢) ينظر : من اسرار اللغة ٢٨١-٢٨٢.

(٣) ينظر : التطور النحوي ١٣٤.

(٤) ينظر: البرهان للزركشي ٦٠٦-٦٠٨ والتقديم والتأخير في القرآن الكريم ٢٣-٢٧.

(٥) ينظر: الكتاب ٣١/١-٤٣ ، ١٢٧/٢-١٢٨. (٦) دلائل الاعجاز ١٠٦.

(٧) الكهف ١-٢. (٨) المعتزلي ١٥٥/١.

أولا : تقديم الخبر على المبتدأ

قدم الخبر على المبتدأ في عدة مواضع من النهج ، وقد أقر الشراح عدة دلالات لهذا التقديم أهمها :

١- الاهتمام بالخبر^(١) كما في قوله (ع) : (مُسْكِينُ ابْنِ آدَمَ : مَكْتُومُ الْأَجَلِ ...) ^(٢). وفيه : « مسكين خبر المبتدأ ، قدم عليه لان ذكره اهم ... »^(٣). وقد عد الشراح الاهتمام بالاسم المقدم دلالة رئيسة في باب المبتدأ والخبر سواء احتفظ المبتدأ برتبه أم أحر بعد الخبر ، ففي قوله (ع) يصف الموت والبعث : « فان الغاية امامكم ، وان وراءكم الساعة تحذوكم ، تخفوا تلحقوا ... »^(٤). حافظ المبتدأ (اسم إن) على رتبته فقدم على خبرها في : (فَإِنَّ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ) ، ثم

قدم خبرها على اسمها في: (وان وراكم الساعة) ، والنكتة في ذلك « ان كون الموت امام الانسان لما كان واضحا عند الكل اجرى الكلام فيه على الحقيقة بتقديم ما حقه التقديم ، وتأخير ما حقه التأخير ، حيث قال : فان الغاية امامكم »^(٥). واما كون الساعة في الورااء فلما كان امرها خفيا « فلذلك قدم الخبر على الاسم ، وقال : ان وراكم الساعة لمزيد من الاهتمام به ، وزيادة اشعاره بهذا المعنى »^(٦). وكذا ما في قوله (ي): (بِكثْرَةِ الصَّمْتِ تَكُونُ الهَيْبَةُ ، وباللَّصْفَةِ يَكْرُرُ الْمُواصِلُونَ ، وبالْإِفْضَالِ تَعْظُمُ الأَقْدَارُ ، وبالتَوَاضُعِ تَتِمُّ النِّعْمَةُ)^(٧) ، وفيه قدم الخبر وهو : الجار والمجرور على (كان واسمها) في كل المواضع « للاهتمام به ، وبيان انه هو المقصود بالافادة »^(٨).

٢- التشويق الى ذكر المبتدأ ، كما في قوله (ي) في بديع خلق الخفاش : (ومن لطائف صنعتِهِ ، وعجائب خلقِهِ ما أرانا من غوامض الحكمة)^(٩). وفيه قدم الخبر: (من لطائف صنعتِهِ) على المسند اليه : (ما ارانا) « للتشويق الى ذكر المسند اليه ، وهو من فنون البلاغة كما في قوله^(١٠) :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو اسحاق والقمر^(١١).

٣- حصر معنى الخبر المقدم بالمبتدأ ، كما في قوله (ي) : (الذليل والله من نصرتموه!...) ^(١٢). وفيه قدم الخبر وهو: (الذليل) لقصد الحصر، ومعناه ان تحصر الذلة بهذا الذي ينصره هؤلاء ؛ لان نصرتهم ذل^(١٣). ومنه ما جاء في قوله (ي) يصف حال المحتضرين مع الموت : (فغير موصوف ما نزل بهم)^(١٤). وفيه (غير) خبر مقيم على مبتدئه

(١) ينظر : معاني النحو ١٠٥/٣ . (٢) نهج البلاغة : الرسالة ٤١٩ ، ص: ٦٨٦ .

(٣) البحراني ٤٦/٥ وينظر: الراوندي ٤٣٧/٣ و المعتزلي ٦٢/٢٠ والتستري ٣٣٧/١١ والشيرازي ٤٦٢/٤ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ٢١ ، ص: ٥١ .

(٥) الخوي ٣٠٢/٣ وينظر: الراوندي ٤٣٧/٣ والمعتزلي ٦٢/٢٠ .

(٦) الخوي ٣٠٢/٣ وينظر : البحراني ٣٣٠/١ والتستري ٢١٧/١٢ . (٧) نهج البلاغة : الرسالة ٢٢٤ ، ص: ٦٤٢ .

(٨) الخوي ٢٩٣/٢١ وينظر : الراوندي ١٨٧/١ والبحراني ٣٣٠/١ . (٩) نهج البلاغة : الخطبة ١٥٥ ص: ٢٧١ .

(١٠) البيت في خزنة الأدب ٣٧١/٢ لمحمد بن وهيب يمدح المعتصم .

(١١) الخوي ٢٥٨/٩ وينظر : المعتزلي ١٨٣/٣ والبحراني ٣٥٧/٣ . (١٢) نهج البلاغة : الخطبة ٦٩ ص: ١٠٧ .

(١٣) ينظر: الخوي ١٢٢/٥ . (١٤) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٩ ص: ٢٠١ .

(ما) الموصولة لإفادة الحصر، والدلالة على أن ما ينزل بهم من الامور الأخرى التي تعتري حياتهم كله قابل للوصف الا الموت فانه غير قابل للوصف ، فهذا مثل قوله تعالى في وصف خمور الجنة: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾^(١) ، إذ فيه دلالة على خلو خمور الجنة من الغول بخلاف خمور الدنيا^(٢). وفي (غير موصوف ما نزل بهم) دلالة اخرى ، وهي مجيء المسند اليه بلفظ الموصول للدلالة على التفخيم والتهويل^(٣) ، كما في قوله تعالى: ﴿فَعَشِيَهُمْ مِّنَ الأَيْمِ مَا عَشِيَهِمْ﴾^(٤)

٤ - التوسع في مدلول الخبر، إذ يكثر هذا التوسع في حال مجيء الخبر مقدما وهو ظرف أو جار ومجرور، كما في قوله (ي) يصف الخارجين من القبور يوم البعث والنشور: (طَيِّبِهِمْ لِبُوسِ الْأَسْتِكَانَةِ)^(٥). فلبوس الاستكانة مرفوع على الابتداء قدم عليه خبره للتوسع^(٦). ومثله ما في قوله (ي) لما دفن الزهراء (ي): (... وَرَقَّ عَنْهَا تَجْدِي ، إِلَّا أَنَّ فِي النَّاسِي لِي بَعْظِيمٍ فَرُقْتِكَ ، وَفَادِحٍ مُصِيبَتِكَ ، مَوْضِعَ تَعَزُّرٍ)^(٧). فقَدَّم خبر ان (لي) ، واخر الاسم (موضع تعزُّر) للتوسع^(٨). وكذا قوله (ي) لبعض اصحابه ، وقد طلب مالا : (إِنْ شَرَكْتَهُمْ فِي حَرْبِهِمْ كَانَ لَكَ مِثْلُ ظَهْمٍ)^(٩). وفيه قَدَم خبر (كان) وهو الجار والمجرور (لك) ، وأخر الاسم : (مثل) توسعة للظرف^(١٠). وكذا ما في قوله (ي) يصف خصومه : (قَدَّ رُعدُوا وَأَوْطَأَ.. وَمَعَ هَذَيْنِ الْفَشْلُ)^(١١). وفيه « الفشل مرفوع على الابتداء قدم عليه خبره توسعا »^(١٢). وقال الامام (ي) ذاكرا الملاحم: (ألا وفي غدٍ . وسيأتي غدٍ بما لا تعرفون . يأخذُ الوالي من غيرها عمالها على مساوي أعمالها)^(١٣). وفيه : (في غد) متعلق بقوله (يأخذ) ، وقَدَّم للتوسع^(١٤).

٥ - مراعاة السجع ، كما في قوله (ي) : (وَمَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ)^(١٥). وفيه قَدَم الجار والمجرور: (من نفسه) على اسم كان : (واعظ) مراعاة للسجع بين (حافظ) و (واعظ)^(١٦). ومثله قوله (ي) وقد تبع جناية فسمع رجلا يضحك : (كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ ، وَكَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجِبَ)^(١٧). وفيه « على غيرنا ظرف متعلق بقوله: كتب ، قَدَم عليه لرعاية السجع »^(١٨).

(١) الصافات ٤٧ . (٢) ينظر: معاني الزجاج ٢٢٨/٤ و اعراب النحاس ١٢/٤ والكشاف ٣/٣٤٠.

(٣) ينظر: الخوئي ٣٢٨/٧-٣٢٩ . (٤) طه ٧٨ وينظر: معاني الزجاج ٣٠١/٣ ومعاني النحو ٤/٦٣٥.

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ ، ص: ١٢٤ . (٦) ينظر: الخوئي ٥/٣٦١ .

(٧) نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٢ ، ص: ٤٠٣ . (٨) ينظر: الخوئي ١٣/٤ .

(٩) نهج البلاغة : الخطبة ٢٣٢ ، ص: ٤٤٨ . (١٠) ينظر: الخوئي ١٥/٤ .

(١١) نهج البلاغة : الخطبة ٩ ، ص: ٣٨ .

(١٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٣٨ ، ص: ٢٤٦ .

(١٤) ينظر : الراوندي ٢/٦٢ والكيدري ١/٦١٦ والمعتزلي ٩٤٢ والخوئي ٨/٣٤١ والتستري ٦/١٩٠ .

(١٥) نهج البلاغة : الحكمة ٨٩ ، ص: ٦١٥ . (١٦) ينظر: الخوئي ٢٩/١٣٤ .

(١٧) نهج البلاغة : الحكمة ١٢٢ ، ص ٦٢٣ . (١٨) الخوئي ٢١/١٨٧ .

وقد نبه الشَّراح على اختلاف المعنى تبعا للتقديم والتأخير في الروايات ، كما في قوله (ي) في كتاب له الى عامله على مكة قثم بن العباس: (وَلَا يَكُنْ لَكَ إِلَى النَّاسِ سَفِيرٌ إِلَّا لِلسَّانِكِ ، وَلَا حَاجِبٌ لِوَجْهِكَ)^(١). وروي قوله (ي) هذا بلفظ اخر فيه تقديم وتأخير ، وهو: (وَلَا يَكُنْ إِلَّا لِسَانِكَ سَفِيرًا لَكَ إِلَى النَّاسِ ، وَلَا حَاجِبٌ لِوَجْهِكَ). ورجح معظم الشَّراح رواية : (لا يكن لك الى الناس سفير الا لسانك)^(٢). وفيها أعرب المعتزلي (سفير) اسم كان و (لك) خبرها ، فيكون (لسانك) منصوبا على الاستثناء جوازا^(٣). على حين اعرب البحراني (لسانك) خبرا لكان ، وهو محصور ب (الا)^(٤).

. وضفّ الاملي إعراب (لسانك) خبرا لكان ؛ لانه انما يستقيم على كون الاستثناء مفرغا، وهو هنا تام على الرواية المشهورة^(٥). ولذا رجح الاملي قول المعتزليّ، فأعرب ((الا لسانك: مستثنى في كلام تام منفي يجوز فيه النصب والاتباع للمستثنى منه ، وهو قوله : (سفير) فانه يفيد العموم لتقدم النفي عليه ، ويحتمل كون الاستثناء منقطعا بدعوى عدم دخول اللسان والوجه في مفهوم السفير والحاجب))^(٦)، وحينئذ يتعين نصب (لسانك) مع الاستثناء المنقطع المنفي^(٧).

ورجح الراونديّ الرواية الاخرى وهي بالتركيب : (لا يكن الا لسانك سفيرا لك الى الناس) ، ورأى ان الإعراب في هذا التركيب احسن^(٨) ، يريد ان الاستثناء مفرغ ، واسم كان هو (لسانك) مقدم على خبرها (سفيرا) وهو التركيب الاصلي . ونبه المعتزليّ على ان هذا الإعراب مثل قوله تعالى : ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾^(٩) ، اذ وقع اسم كان بعد (الا) في الموضوعين^(١٠).

وبين الراونديّ ان الرواية التي رجحها روي فيها (سفير) بالرفع ، ووجهه هو ((انه اسم كان ، والا لسانك صفة اي غير لسانك ، والخبر : الى الناس))^(١١). وعلق المعتزليّ على هذا الوجه بقوله: ((لا يصح ما قاله الراونديّ : ان خبرها (الى الناس) ؛ لان (الى) هاهنا متعلقة بنفس (سفير) فلا يجوز ان تكون الخبر عن سفير ، تقول : سفرت الى بني فلان في الصلح ، واذا تعلق حرف الجر بالكلمة صار كالثيء الواحد))^(١٢). وفي الرواية المشهورة جاء معنى

(١) نهج البلاغة : الرسالة ٦٧ ص: ٥٨٦.

(٢) ينظر : الكيبري ٢/٥٨٠ والمعتزليّ ٣٠/١٨ والبحراني ٢٠٣/٥ والخوئي ٣٨٤/٢٠

(٣) ينظر: المعتزليّ ٣١/١٨ . (٤) ينظر: البحراني ٢٠٤/٥ .

(٥) ينظر: الخوئي ٣٨٥/٢٠ . (٦) ينظر: نفسه ٣٨٥/٢٠

(٧) ينظر : شذور الذهب ٢٦٥ وشرح عمدة الحافظ ٣٧٩ .

(٨) ينظر: الراونديّ ٢٤٦/٣

(٩) النحل ٥٦ .

(١٠) ينظر: المعتزليّ ٣١/١٨ وينظر: الخوئي ٣٨٥/٢٠ .

(١١) الراونديّ ٢٤٦/٣ .

(١٢) المعتزليّ ٣١/١٨ .

التركيب اقوى وأكد على التبليغ والتوجيه ، اذ فيه تقديم الخبر (لك) وتاخير المبتدأ (سفير) ، وقد المح هذا التقديم الى وجوب الاتصال بين الراعي ورعيته اتصالا مباشرا لوقوع النفي قبل (لك) فلا يتخذ الوالي السفراء اليهم في كل حال ، ويجعل بينه وبينهم المبلّغين والرسل ، وفي تكثير (سفير) مع انه في موضع المبتدأ اشارة الى العموم والسعة^(١) . ثم بعد نفي هذا النوع من الاتصال المشعر بزهو الامراء وعزلتهم جاء الاستثناء ب (الا لسانك) ليؤكد تواضع الحاكم ودرايته المباشرة باحوال الناس ، وتبليغه لهم بلسانه . لكن الرواية غير المشهورة يظهر فيها زهو الحاكم ، وعزلته عن رعيته .

وقد عمد بعض الشّراح إلى القول بالتقديم والتأخير في توجيههم بعض أقوال الإمام (ع) لأنهم لم يفهموا المعنى إلا به ، كما في قوله (ع) في الخطبة الشفعية : (يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ ، لِأَوْبِقَى إِلَيَّ لِطَيْرٍ ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثُوبًا ، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا . وَطَفَقْتُ أُرْتِي بَيْنَ أَنْ أُصُولَ بِيَدٍ جَدَّاءَ ، أَوْ أُصْبِرَ عَلَى طَخِيَةِ عَمِيَاءَ ... فَرَأَيْتُ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحَجَى ، فَصَبْرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذَى ، وَفِي الْحَلْقِ شَجًا)^(٢) .

إذ رأى المعتزلي « ان في الكلام تقديمًا وتأخيرًا ، وتقديره : ولا يرقى الي الطير ، فطفقت ارتئي بين كذا وكذا ، فرأيت ان الصبر على هاتا احجى ، فسدلت دونها ثوبا ، وطويت عنها كشحا ، ثم : فصبرت وفي العين قذى ، الى اخر القصة ، لانه لا يجوز ان يسدل دونها ثوبا ويطوي عنها كشحا ، ثم يطفق يرتئي بين ان ينادهم او يصبر ، الا ترى انه اذا سدل دونها ثوبا ، وطوى عنها كشحا فقد تركها وحرّمها ، ومن يترك ويحرّم لا يرتئي في المنايذة »^(٣) . ووجه انصاريان التركيب بقوله : إن « سدل الثوب وطى الكشح لم يكن على وجه البت وتصميم العزم على الترك ، بل المراد ترك العجلة والمبادرة إلى الطلب من غير تدبر في عاقبة الأمر ، ولعل الفقرتين بهذا المعنى أنسب »^(٤) وخلص التستري إلى أنه لا تقديم ولا تأخير ، وأما الكلام من باب الاجمال والتفصيل ، فأجمل (ع) أولاً إعراضه بقوله : (سدلت دونها ثوبا ، وطويت عنها كشحا) ، وفصل ثانياً بقوله : (وطفقت ارتئي بين ان اصول بيد جداء ، او اصبر على طخية عمياء) ، فشرع يفكر فرأى امره دائرا بين معذورين : صولة غير منتجة ، وغمضة مؤلمة . والمحذور الثاني اقرب الى العقل ، فاختره ، ولولاه لما كان لاعراضه وجه^(٥) .

(١) ينظر: معاني النحو ٤٢/١

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ٣ ، ص: ٢٨ .

(٣) المعتزلي ١٥٥/١ .

(٤) انصاريان ٣٥/١ .

(٥) ينظر: التستري ٤٠-٣٩/٤ .

ثانيا : التقديم والتأخير بين المتعاطفين

أقر الشّراح عدة دلالات للتقديم والتأخير بين المعطوف والمعطوف عليه ، ومنها :

- ١- مراعاة الاهم : كما في قوله (ع) : (بادروا أمر العامة وخاصة احدكم وهو الموت)^(١) . قال الشارح محمد عبده : « في تقديم الامام امر العامة على امر الخاصة دليل على ان الاول اهم ، ولا يتم الثاني الا به ، وهذا ما تضافرت عليه الادلة الشرعية وان غفل عنه الناس في ازماننا هذه »^(٢) .

٢- مراعاة السياق: كما في قوله (ي) يحمد الله : (م يولد ولم يلد) سبحانه فيكون في العز مشاركا ولم يلد فيكون هروثا هلاكًا^(٣) . وفسر الراوندي التقديم والتأخير في (لم يولد ولم يلد) الذي جاء بخلاف النسق القرآني في سورة الاخلاص بانه ((انما قدم امير المؤمنين -عليه السلام- ههنا (لم يولد) ؛ لانه تعالى لو كان ممن يولد لدل ذلك على حدوثه ، وذلك من صفات الاجسام ، وقوله : (لم يلد) يدل على نفي حاجته ، ... فاستدل اولا على صفة الاثبات له تعالى ، وهو كونه غنيا ، وذلك نفي الحاجة عنه ، فحسن التقديم والتأخير لذلك))^(٤) .

٣- مراعاة تسلسل الاحداث : كما في قوله (ي): (اجعل شرائف صلواتك ، ونوامي بركاتك ، على محمد عبدك ورسولك)^(٥) . ف((تقديم العبد للاعتراف بكونه مملوكا له سبحانه زيادة في تمجيده سبحانه))^(٦) ، إي أنّ المخلوق يكون عبدا لربه اولا ، ثم يصطفي الله من عباده ما يشاء ، وخير المصطفين نبينا محمد (صلى الله عليه واله) .
وثمة أنماط أخرى من التقديم والتأخير جهر الشراح بدلالاتها ، كتقديم المفعول به على الفاعل ، وتقديم المفعول على الفعل والفاعل معا ، وتقديم المفعول الثاني على الأول ، وغير ذلك من الأنماط التي جمعها الشراح على دلالة رئيسة هي الاهتمام بالمقدم .

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٦٧ ص: ٣٠٤ .

(٢) عبده ١٠١/٢ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٨٢ ، ص ٣٢٨ .

(٤) الراوندي ١٨٥/٢ .

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ٧٢ ، ص ١١٠ .

(٦) الشيرازي ٢٧٩/١ وينظر : ١٢٥/٢ .

المطلب الثاني : دلالة الضمائر

اولا : الاضمار قبل الاظهار

ورد في النهج طائفة من امثلة الضمائر المقدمة على اسمائها الظاهرة ، فتلمس الشراح تبعا للنحويين^(١) عدة دلالات لهذا النوع من التراكيب ، وكما يأتي :

١- **الدلالة على التهويل** : كما في قوله (ع) في الاستعداد للموت : (فَهَلَا مَا حَسْرَةً عَلَى كُلِّ ذِي غَفْلَةٍ إِنْ يَكُونُ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً)^(١) ، فالهاء في (بالها) راجع الى (الحسرة) ، وانما قدم الضمير للتهويل ، فان « ذكر الصريح بعد التلويح اوقع في النفس لتعطيش القلب الى الاظهار بعد الاخفاء »^(٢) .

٢- **الدلالة على حضور الاسم في الذهن** : كما في قوله (ع) : (مَا هِيَ إِلَّا الْكُوفَةُ ، أَقْبِضُهَا وَأَبْطِهَا)^(٣) ، فقدم الامام (ع) الضمير (هي) وان لم يجر له ذكر سابق ، لأن « تضحّره من اهلها قبل ذلك وخوضه في تدبيرها مرارا ، وحضورها في ذهنه يجري مجرى الذكر السابق لها »^(٤) .

٣- **الدلالة على فهم المقصود** : كما جاء في قوله (ع) عند خروجه لقتال اهل البصرة : (إِنْ اللَّهُ سَبَحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - ... فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَطَّتَهُمْ ... أَمَا وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهِ حَتَّى تَوَلَّيْتُ بِحِذَافِيرِهَا ...)^(٥) ، فالضمير في ساقته لكتائب الحرب ، وان لم يجر لها ذكر صريح ، لكن المعنى واضح فاختصر الكلام . وكأنه قال : فساق الناس وهم يومئذ كتائب عليه ، فكنت في ساقته حتى تولت تلك الكتائب باسرها^(٦) .

٤- **الدلالة على تعظيم الشأن** : وهو معنى يفهم من ضمير الشأن ، ومن امثلته ما جاء في قوله (ع) : (فَإِنَّهُ . وَاللَّهِ . الْجِدُّ لَا اللَّعْبُ ، وَالْحَقُّ لَا الْكَذِبُ . وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ)^(٧) ، وفيه اضمير في (إنه) قيل الجد ، ثم اضمير في (هو) قيل ذكر الموت . وهذا الضمير لدى الشراح تبعا للنحويين^(٨) ضمير الشأن ، كما في قولنا : هو الامير مقبل ، اي : الشأن هذا^(٩) . وطول الخوئي في ذكر دلالة هذا الضمير وفائدته ، ورأى ان « القصد بهذا الابهام ثم التفسير تعظيم الامر ، وتقدير الشأن ، فعلى هذا لا بد ان يكون مضمون الجملة المفسرة شيئا عظيما يعتنى به ، فلا يقال : هو الذباب يطير »^(١٠) ، ثم ذكر معنيين آخرين لهذا الضمير وهو انهم انما ذكروا « اولا شيئا مبهما حتى يتشوق نفس السامع الى العثور على المراد به ، ثم يفسروه ، فيكون اوقع في النفس ، وايضا يكون ذلك المفسر مذكورا مرتين بالاجمال والتفصيل ثانيا فيكون اكد »^(١١) .

(١) ينظر: الجمل ١١٧-١٢٠ والبرهان ٤٧٩-٤٨٠ ومعاني النحو ٦٦/١-٦٧ . (٢) نهج البلاغة: الخطبة ٦٤ ، ص: ١٠٢ .

(٣) الشيرازي ٢٧٢/١ . (٤) نهج البلاغة: الخطبة ٢٥ ، ص: ٥٧ .

(٥) البحراني ١٩/٢ وينظر : ابو الفضل ٧٠/١ . (٦) نهج البلاغة : الخطبة ٣٣ ، ص: ٧٣ .

(٧) ينظر : المعتزلي ١١٦/٧ والبحراني ٧٤/٢ وعبد ١٠٣/١ . (٨) نهج البلاغة : الخطبة ١٣٢ ، ص: ٢٣٩ .

(٩) ينظر : شرح المفصل ٣:١١٤ وشرح الكافية ٧٥/٢-٧٦ . (١٠) ينظر: الخوئي ٢٩٥/٨ .

(١١) نفسه ٢٩٦/٧ . وينظر: شرح الكافية ٢٧/٢ .

ثانيا : دلالة التباين في العدد بين الضمير والاسم^(١) .

ورد في متن النهج تباين واختلاف في العدد والجنس بين الضمير والاسم ، كمجيء ضمير الجمع دالا على الواحد ، ومجيء ضمير الجمع دالا على الاثنين ، ومجيء ضمير المذكر دالا على الاسم المؤنث ، وغير ذلك من أمثلة التباين في الضمير واسمه التي تلمس لها الشراح الدلالات الآتية :

١ - **الدلالة على تعظيم شأن المتكلم** ، كما في قوله (ع) : (نَحْنُ الشَّعْرُ والأَصْحَابُ ، وَالخَزَنَةُ والأَبْوَابُ ، وَلَا تُؤْتَى البُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا)^(٢) ، وفيه جاء بضمير الجمع (نحن) مع أنه يشير الى نفسه ؛ لأن كلامه هذا في معرض الفخر فجاء بالجمع تعظيماً لشأنه إزاء قوم غفلوا عن عظيم منزلته^(٣) . وقد تبين للمعتزلي^(٤) أن الامام (ع) يطلق دائماً هذه الصيغ الجمعية ويعني نفسه بغية التعظيم إزاء مبغضيه . وفي القران كثير من ذلك ، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ، وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(٥) ، والقائل واحد^(٦) .

٢ - **الدلالة على تليين الموقف** ، كما في قوله (ع) : (لَا نَنْفَعُ بِمَا لَمْنَا)^(٧) ، وفيه تكلم الإمام بلفظ الجمع ، اذ من عادة البلغاء ان ينسبوا الى انفسهم القضايا العامة تلييناً للموقف وبياناً للعموم فأدخل نفسه مع الذين لم ينتفعوا بأعمالهم مع إنه ليس منهم^(٨) .

٣ - **الدلالة على انزال الجميع منزلة الواحد لرضاهم بفعله** ، ومثالها ما في قوله تعالى: ﴿فَنَأْوُوا صَاحِبِهِم فَتَعَاطَى فَعَرَّ﴾^(٩) ، بمعنى ان المباشر للعقر كان واحداً ، ثم نسب العقر الى الجميع في قوله تعالى: ﴿فَعَرَّوْهَا فَاصْبُجُوا نَابِئِينَ﴾^(١٠) لرضاهم بفعل الواحد^(١١) .

٤ - **الدلالة على جمع المتشابهات** ، ومثاله ما في قوله (ع) يصف الدنيا بانها : (غُرُورٌ حَائِلٌ .. قَمَّصَتْ بِلُرْجِهَا)^(١٢) ، فقال (ع) : بأرجلها ، وانما للدابة رجلان ؛ اما لان المثنى قد يطلق عليه صيغة الجمع ، كما في قولهم : امرأة ذات اوراك ، وهما وركان . واما لانه اجرى اليدين والرجلين مجرى واحداً ، فسامها كلها ارجلا لما بينهما من تشابه لدى الدواب الذي يمشي على أربع^(١٣) .

(١) ينظر: البرهان ٤٩٧-٥٠٠ ومعاني النحو ٦٧-٦٨ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٥٤ ، ص: ٢٧٠ .

(٣) ينظر : المعتزلي ١٦٥/٩ .

(٤) ينظر : المعتزلي ١٧٦/٩ .

(٥) ال عمران ١٧٣

(٦) ينظر : معاني الفراء ٢٤٧/١ والكشاف ١ / ٤٨٠ والبحر المحيط ٤٣٦/٣ .

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ٣٢ ، ص: ٦٩ .

(٨) ينظر: الراوندي ٢٣٠/١ والكيدري ٢٥٤/١ والمعتزلي ١٧٦/٢ والبحراني ٦٣/٢ والخوئي ٤٩/٤ والتستري ١٤٦/٨ .

(٩) القمر ٢٩ (١٠) الشعراء ١٥٧ وينظر: الكشاف ١٢٣/٣-١٢٤ .

(١١) ينظر: الشيرازي ١٦٩/١ (١٢) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ ، ص: ١٢٢

(١٣) ينظر : المعتزلي ٢٤٧/٦

٥ - **اطلاق الخطاب للدلالة على عموم المخاطبين** ، كما قال الامام (ع) في ذكر الملاحم ، يصف المهدي (ع) : (...فيريكم كيف عدل السيرة)^(١) ، وفي هذا وجه الامام (ع) الخطاب الى اصحابه بقوله: (فيريكم) ، ولا يعني هذا انهم يرون ما سيأتي في اخر الزمان ، لكن « خطاب الحاضرين من الامة كالعام لكل الامة ، وذلك كسائر خطابات القران

الكريم مع الموجودين في عصر الرسول (ص) فإنه يتناول الموجودين الى يوم القيامة ثم يخرج المخاطبون بدليل العادة ، اذ من عادتهم ان لا تمتد اعمارهم الى وقت ظهوره ، فبقي الموجودون في زمانه»^(٢) .

٦- **الدلالة على الاحاد التي ياتلف منها الجمع** ، وذلك في قوله (ع) يصف الغافلين عن الموت: (... وزورا ما أغفله)^(٣) ، وفيه اعاد الضمير المفرد وهو الهاء في (ما أغفله) على الجميع (زور) بمعنى زائرين ؛ لأنه اراد كل واحد منهم ، ونحوه قوله تعالى: ﴿والملائكة بعد ذلك ظهيرا﴾^(٤) ، اي كل واحد من الملائكة ظهير للرسول (صلی الله عليه واله)^(٥) .

ثالثا: الإضمار دون الإظهار^(٦) ، ثمة « ضرب من ضمائر العربية لا يعود الى سابق بعينه ، بل يعود الى مجهول يتناول في الكلام ، وقريب منه قول النحويين : ضمير الشأن »^(٧) ، وأما مدلول هذا النوع من الضمائر التي ذكرها الشراح فأهمها :

١- **الدلالة على العلم بالشيء المجهول** ، ومنه قوله (ع) في تعداد فضائله ازاء فضائل الصحابة: (...وكنت اخفضهم صوتا ،واعلاهم فوتا ، فطرت بعنانها واستبددت برهانها)^(٨) ، وفيه اضمر في (عنانها و برهانها) والضميران يعودان الى الفضيلة ، وان لم يجر لها ذكر لفظي سابق او لاحق ، وفي عدم تصريحه بذكر لفظ (الفضيلة) او (الشجاعة) دليل على انه في حكم المعلوم الذي شاعت معرفته فكانت الكناية معه انسب من التصريح به^(٩) . وكذا ما جاء في قوله (ع) يوصي اصحابه في بعض ايام صفين : **«وَعَضُّوا عَلَى الْأَرْضِ فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ»**^(١٠) والضمير في قوله : (فانه) يعود الى المصدر الذي دل عليه (عضوا) ، كقولك : (من احسن كان خيرا له)^(١١) . ومنه قوله (ع) : **«أَيُّهَا النَّاسُ ، خُذُوهَا عَنْ خَاتِمِ النَّبِيِّينَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - ، إِنَّهُ يُمَوْتُ مِنْ مَاتَ مِنْنَا وَليْسَ بِمَيِّتٍ ، وَيَبْلَى مِنْ بَلَى مِنْنَا وَليْسَ بِبَالٍ»**^(١٢) ، فان كلامه (ع) لما كان في معرض ذكر الفائدة ، فكانه قد تقدم ، فلذلك احسن ابراز الضمير في قوله : **«خذوها وان لم يسبق لها ذكر»**^(١٣) .

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٣٨ ص: ٢٤٦ . (٢) البحراني ١٦١/٣ . (٣) نهج البلاغة : الخطبة ٢٢١ ص: ٤٢٤ .

(٤) التحريم ٤ وينظر: معاني الفراء ١٦٧/٣ ومعاني الزجاج ١٥٠/٥ وإعراب النحاس ٨٢/٥ والكشاف ١٢٧/٤ .

(٥) ينظر: الشيرازي ٣٥/٣ .

(٦) ينظر: البرهان ٣٠/٤-٣١ والإتقان ١٨٧/١ ومعاني النحو ٦٨-٦٩ . (٧) السامرائي ١٣٦ .

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ٣٧ ، ص: ٨٠ . (٩) ينظر: المعتزلي ١٦٩/٥ والبحراني ١٨٢/٢ ، ١٤٩ .

(١٠) نهج البلاغة : الخطبة ١٢٤ ، ص: ٢٢٧ . (١١) البحراني ٣١٢/٢ .

(١٢) نهج البلاغة : الخطبة ٨٧ ، ص: ١٤٣ . (١٣) ينظر: البحراني ٢٠٨/٢ .

٢- **الدلالة على شهرة المكنى عنه** ، كما في قوله (ع) من كلام له لما عزم أكثر الستة على بيعة الخليفة الثالث : **«ظَدُّ لَمِمْتُمْ أَنِي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي ...»**^(٤) ، فالضمير يعود الى الاخلافة ، وأما حذفها لشهرتها، وكون الحديث فيها قرينة معينة لها ، كما قال قبل: **«لقد نقصها فلان»**^(٥) .

ومن ذلك -أيضا- قوله (ع) في تأبين الصحابي مالك الأشتر : (أصابَ حَوَّها ، وَسَبَقَ شَوْها) ^(٦) ، والضمير يعود على الخلافة « ولم يجر ذكرها لعادة العرب في امثال ذلك ، كقوله تعالى: ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ ^(٧) » ^(٨) .

رابعا - تعدد اوجه عود الضمير مراعاة للمعنى

جوز الشّراح على سبيل الاحتمال اكثر من وجه في مسالة عود الضمير على صاحبه لأن المعنى يجيز هذا التعدد ، كما في قوله (ع) من وصية له بما يعمل في امواله : (لِيَوْمَ بِذَلِكَ الْحَسَنُ بِنُ عَلِيٍّ ، يَأْكُلُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيُنْفِقُ مِنْهُ فِي الْمَعْرُوفِ ، فَإِنْ حَدَّثَ بِحَسَنِ حَدَّثَ وَحُسَيْنٍ حَيٍّ ، قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ وَأَصْدَرَهُ مَصْرُوهً) ^(٩) ، فالضمير في (بعده) للحسن ، وفي (اصدره) للامر الذي يقوم به . واما الضمير الذي في (مصدره) فيحتمل وجهين ^(١٠) : احدهما : عوده على الحسن ، وتقديره : واصدر الحسين الامر كاصدار الحسن له ، وقضى في المال كقضائه . والمصدر بمعنى الاصدار ، كقوله : ﴿وَاللّٰهُ اَنْبَتَكُمْ مِنَ الْاَرْضِ نَبَاتًا﴾ ^(١١) ، اي: انباتا ^(١٢) ، ويحتمل ان يكون المصدر محل الاصدار ، اي : واصدره في محل اصداره . والآخر : ان يعود الى الامر الذي وصى به (ع) . ويكون المعنى : ووضع كل شيء موضعه .

وكذا جاء في الخطبة الشقشقية : (أما والله لقد تقمصها فلان ... إذ هدها لآخر بعد وقت به ... فصوّها في حوزة خشناء ... فصاحبها كراكب الصعبة ...) ^(١٣) ، وفي عود الضمير في (فصاحبها) عدة اوجه ذكرها الشّراح ، وهي :
- ان يكون الضمير عائدا على الخلافة ، وان لم يجر لها ذكر ؛ لانها معروفة ، وصاحبها هو كل من تولى امرها ، اذا كان عادلا مراعيًا لحق الله ، ووجه الشبه براكب الصعبة ان المتولي امر الخلافة يضطر الى الكلفة الشاقة في مداراة احوال الناس ، فهو ان افرط في طلب الحق منهم كان عاتيا عليهم ، وكان كمن يشنق الناقة ، وان فرط في الحق كان صغيرا في اعينهم ، وكان كمن اسلس لناقته ، وحينئذ يلقيه تفريطه في موارد الهلكة ، والمعنى في هذا الوجه ظاهر ^(١٤) .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ٧٤ ، ص: ١١٣ .

(٥) ينظر : الراوندي ١١٠/١ والخوئي ١٦٥/٧ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ٢٢٨ ، ص: ٤٤٣

(٨) المعتزلي ٦/٢ وينظر : ٩٨/١٠

(٧) ص ٣٢ وينظر: معاني الزجاج ٢٤٨/٤ وعراب النحاس ٤٢/٤ .

(١٠) ينظر: البحراني ٣٥٩/٤ .

(٩) نهج البلاغة : الرسالة ٢٤ ، ص: ٤٨٠ .

(١٢) ينظر: إعراب النحاس ١١٦/٥ .

(١١) نوح ١٧ .

(١٤) ينظر : البحراني ٣٢١/١-٣٢٢ .

(١٣) نهج البلاغة : الخطبة ٣ ص: ٢٨ .

- ان يكون الضمير عائدا على الحوزة الخشناء ، والمراد على هذا الوجه ان صاحب الحوزة الخشناء بحاجة الى المداراة في صعوبة حاله ، كراكب الناقة الصعبة ، ووجه المشابهة ان راكب الناقة الصعبة كما يحتاج الى الكلفة والمشقة في مداراة احوالها ، فهو معها بين خطرين : ان والى الجذبات في وجهها بالزام خرم انفها ، وان اسلس لها في القيادة تقحمت به المهالك ، كذلك حال الناس مع صاحب الحوزة الخشناء ، ان اكثروا عليه انكار ما يتسرع اليه ادى ذلك الى

مشاقفته ، وفساد حالهم معه ، وان سكتوا عنه وتركوه وما يصنع ادى ذلك الى الاخلال بالواجب . وهذا الوجه اليق بسياق الكلام ونظامه ؛ لان الضمير يعود على قريب مذکور ، وهو حوزة خشناء^(١) .

- ان يكون عائداً على (نفسه) ، وإنما شبه نفسه براكب الصعبة ؛ لانه أيضا بين خطرين ، اما ان يبقى ساكنا على طلب الخلافة ، فيقوده سكوته الى موارد الذل ، والصغار ، واما ان يتشدد في طلبها ، فينشعب بذلك امر المسلمين ، وتتشق عصاهم ، فيكون بذلك كمن اشنق الناقة فخرم انفها ، وهذا وجه محتمل ، ولكنه مرجوح لحذف الاسم الظاهر - نفسه - لفظا ، فضلا عن الالتفات في : (طفقت ، ارتاي ، اصول ، اصبر ...) الى الغائب - صاحبها -^(٢) . وكذا ما جاء في قوله (ي) : (نحمده على ما وفق له من الطاعة ، وذاد عنه من المعصية)^(٣) . فالضمير في (له) اما عائد الى (ما) التي بمعنى (الذي) ، او عائد الى الله سبحانه ، كانه قال : نحمده على ما وفق من طاعته . وصدح المعتزلي الوجه الاول ؛ ((لان له في الفقرة الاولى بازاء عنه في الفقرة الثانية ، والهاء في (عنه) عائدة الى الله))^(٤) .

خامسا^(٥) : الالتفات من الغيبة الى الحضور للاهتمام بالمعنى ، كما في قوله (ي) في ذكر توحيد الله : (..وَمَنْ مَاتَ فإِلَيْهِ مُقَدَّبُهُ . لَمْ تَرَكَ الْعُيُونَ فَتُخْبِرُ عَنْكَ)^(٦) ، وفيه التفات من الغيبة الى الخطاب ، كقوله تعالى : ﴿ أَيَاكَ نَعْبُدُ ﴾^(٧))) وهذا الالتفات وعكسه يستلزم شدة عناية المتكلم بالمعنى المنتقل اليه ، وحسنه معلوم في علم البيان^(٨) . ونحوه قوله (ي) : (ما هي إلا الكوفة أقْبِضُهَا وَأَبْطِهَا ، إنْ لَمْ تَكُونِي إِلَّا أَنْتَهُ بُّ أَعاصِيرِكَ...)^(٩) ، وفيه عدل من الغيبة الى المخاطب الحاضر لبيان الاهتمام بها فكانها مما تصح مخاطبته^(١٠) .

(١) ينظر : البحراني ٣٢١/١ .

(٢) ينظر : نفسه ٣٢٢/١ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٤ ، ص : ٣٨٥ .

(٤) المعتزلي ١٠/١٦٤ .

(٥) ينظر : البرهان ٦٤٣-٦٤٥ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٩ ، ص : ١٩٩ .

(٧) الفاتحة ٤ وينظر : الكشاف ٦١/١ والتبيان للعكبري ١٧/١ .

(٨) البحراني ٥١/٣ وينظر : الخوئي ٣١٦/٧ والشيرازي ١٧٦/٢ .

(٩) نهج البلاغة : الخطبة ٢٥ ، ص : ٥٧ .

(١٠) ينظر : الخوئي ٣/٣٥٦ .

المطلب الثالث: دلالة الإضافة^(١)

أقر الشراح الدلالات الآتية في باب الإضافة:

١ - **تفخيم شأن المضاف والاهتمام به** : ويكون هذا المعنى في اضافة الصفة الى الموصوف . إذ جهر الشراح بأن هذه الإضافة تقيّد تفخيم الصفة ازاء الموصوف والاهتمام بها ، كما جاء في قوله (ي) : ﴿ وَتَدَّ بِالصُّخُورِ مِيدَانَ ﴾

رُضِيهِ^(٢) ، فالوُتد يكون في الارض لا في ميدانها ولكن ((لما كان الميدان علة حاملة على ايجاد الجبال ، وايتاد الارض بها ، كان الاهتمام به اشد فلذلك قدمه واضافه اضافة الصفة الى الموصوف ، وان كان التقدير : ووتد بالصخور ارضه المائدة))^(٣) . وعد الخوئي^(٤) الإضافة في (ميدان الارض) بمعنى اللام أي : (ميدان لأرضه) ، وليس من قبيل اضافة الصفة الى الموصوف ، أي : (ارضه المائدة). ومن أمثلة هذا النوع من الإضافة ما في قوله (م) : (أَفْضَلُ الرُّهْدِ إِخْفَاءُ الرُّهْدِ)^(٥) . إذ رأى بعض الشّراح أنّ (إخفاء الزهد) تقديره : (الزهد الخفي) ، فاضاف الصفة الى الموصوف وقدمها ؛ لانها اهم ، ولان الزهد يكاد لا ينفك عن رياء وسمعة ، فكان مفصولاً^(٦) . ونحوه ما في قوله (م) في وصف العدل : هو (على أربع شُعبٍ : على غائصِ الفهم ، وغورِ العِلْمِ ، وزُهرةِ الحُكْمِ ، ورساخَةِ الحِلْمِ)^(٧) . والتقدير : فهم غائصٌ وعلمٌ غائرٌ وحكمةٌ زاهرةٌ وحلمٌ راسخٌ^(٨) .

وكذا ما في قوله (م) : (لا يُدْرِكُهُ بَعْدُ الْهَمِّ ، ولا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ)^(٩) ، وفيه ((اضافة الغوص الى الفطن والبعد الى الهمم ، اضافة لمعنى الصفة بلفظ المصدر الى الموصوف ، والتقدير : لا تتاله الفطن الغائصة ، ولا تتركه الهمم البعيدة))^(١٠) . فهذا كقول العرب : (جود حاتم) ، وفيه اضافة الصفة بلفظ المصدر (جود) الى الموصوف (حاتم) ، والاصل : (حاتم الجواد)^(١١) . ومثالها التراكيب : (ثواقبٌ شُهْبُهُا)^(١٢) ، و(جوامع الأقدار)^(١٣) ، والتقدير : الشهب الثواقب ، والاقدار الجوامع ، ثم اضاف الصفة الى الموصوف للاهتمام بالصفات^(١٤) .

٢- ايضاح شأن المضاف وبيانه : وهو واضح في اضافة الخاص الى العام^(١٥) ، كما جاء في التركيب : (غُف الأكمام)^(١٦) ، وفيه اضاف الغُف جمع (غلاف) الى الاكمام جمع (كم) ؛ ((لأن كلَّ كمِّ غلافٌ ، ولا ينعكس ، فجاز

(١) ينظر : في النحو العربي نقد وتوجيه ١٧٣ ومعاني النحو ١١٣/٣-١١٨ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١ ، ص: ١٧ .

(٣) البحراني ١٥٥/١ .

(٤) نهج البلاغة : الرسالة ٢٨ ، ص ٦٠٣ .

(٥) ينظر: الخوئي ٣٠٨/١ .

(٦) نهج البلاغة : الرسالة ٣١ ص : ٦٠٤ .

(٦) ينظر: المعتزلي ١٣٩/١٨ والخوئي ٤٤/٢١ .

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص ١٧ .

(٨) ينظر: الراوندي ٢١٥/٣ والبحراني ٣٥٨/٥ وانصاريان ٢٨١/١ .

(٩) البحراني ١٥١/١ .

(١٢) نهج البلاغة : الخطبة ٩١ ، ص ١٥٤ .

(١١) ينظر: الراوندي ٦٢/٣ وارتشاف الضرب ٥٠٦/١-٥٠٧ .

(١٤) : البحراني ٣٩٩/٢ .

(١٣) نهج البلاغة : الرسالة ٥٥ ، ص ٥٧١ .

(١٦) نهج البلاغة : الخطبة ٩١ ، ص ١٦٦ .

(١٥) ينظر: شرح المفصل ٨/٣ وارتشاف الضرب ٥٠٦/١ .

تخصيص العام بالاضافة الى بعض اجزائه))^(١) . وكذا الإضافة في (رِيء الظلِّ)^(٢) ، فهي من قبيل إضافة الخاص الى العام ؛ لان الفيء لا يكون الى بعد الزوال ، اما الظل فعام في كل وقت^(٣) . وقد كثر في النهج أمثلة هذا النوع من الإضافة كما في التراكيب : (وجه سبيلِه) و(فوائد النعم) و(فضول الحطام) و(سولجُ النعم) و(ودائع أمرِه) و(عواقبِ العُدرِ) و(لباسُ الدُّلِّ) و(نِكالِ العقاب) . وكلّها تفيد الايضاح والبيان^(٤) ، وهي بمعنى (من) ، نحو : (خاتمِ فضة)^(٥) .

٣- **تخصيص المضاف** : ويكون ذلك في إضافة العام إلى الخاص كما جاء في قوله (م) : **وَمَضَتْ الدُّنْيَا حَالَ** **بِلَيْهَا**^(١) ، فالبال هو القلب ، والحال أعم منه ، ولذلك أضاف العام الى الخاص ، والمعنى : مضت الدنيا بحالها التي هي الانتقال^(٧) . وكذا ما في قوله تعالى : ﴿ **وَإخْفِضْ لَهَا جَنَاحَ النُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ** ﴾^(٨) ، فاضاف الجناح الى الذل تخصيصا له ، والمعنى : اخفض لهما جناحك الذليل^(٩) . ومثالها - ايضا - (خروج الجباه) ، و(توحيد الشفاه) ، فالإضافة للتخصيص لأن المضاف أعم من المضاف إليه^(١٠) . وقد يخصص مدلول المضاف من اضافة الموصوف الى الصفة ، نحو : (برق الخُب) ، و(مسجد الجامع) ، و(دار الآخرة) ، والاصل : (البرق الخُب) ، وهو الذي لا غيث معه ، و(المسجد الجامع) ، و(الدار الآخرة) ، فاضاف الموصوف إلى صفته على معنى التخصيص^(١١) .

وقد اشار الشارحان البيهقي والكيدري^(١٢) الى خلاف العلماء في هذا النوع من الإضافة ، فالبصريون يمنعون اضافة الموصوف الى الصفة ، ويقدرن محذوفًا مضافًا اليه في مثل هذه التركيب ، وهو (برق السحاب الخلب) ، و(مسجد اليوم الجامع) ، و(دار الساعة الآخرة) ، فيكون المعرف ب(أل) نعتًا . على حين جوز الكوفيون اضافة الموصوف الى الصفة كما في (مسجد الجامع) اصله (المسجد الجامع)^(١٣) .

٤- **المبالغة في معنى المضاف** : ومن امثلتها ما في قوله (م) يحمد الله : **(وَكَانَ مِنْ أقدَارِ جَبْرُوتِهِ...)**^(١٤) ، وفيه ((اضافة الاقتدار الى جبروت الله تعالى ، مع ان الاصل اضافة الاقتدار اليه تعالى ، كما في نسبة الاكرام الى مثوى يوسف (م) في قوله تعالى : ﴿ **أَكْرَمِي مَثْوَاهُ** ﴾^(١٥) ، مع ان الاصل النسبة اليه (م) للدلالة على المبالغة))^(١٦) .

(١) الخوئي ٣٨٩/٤ . (٢) نهج البلاغة : الخطبة ٦٣ ، ص : ١٠٠ . (٣) ينظر : عبده ١٣٤/١ .

(٤) ينظر : الكيدري ٣٨٨/١ وانصاريان ٨٢/١ و ١٢٩ و ٢٨٩/٢ والشيرازي ٣٢٢/١ ، ٣١٨/١ و ٣٢٢ و ٦/٢ و ٣٩ .

(٥) ينظر : المقرب ٢٣٠ و شرح الكافية ٢٩٨/١ - ٢٩٩ (٦) نهج البلاغة : الخطبة ١٩١ ، ص : ٣٥٩ .

(٧) ينظر : الراوندي ٢٢٩/٢ . (٨) الإسراء ٢٤ وينظر : معاني الزجاج ١٩٢/٣ .

(٩) ينظر : الراوندي ٦٢/٣ . (١٠) ينظر : نفسه ١٢٩/٢ .

(١١) ينظر : ينظر : المعتزلي ٧ / ٢٦٧ ، ١١٧/١٣ والبحراني ١٠٥/٣ ، ٣٤٤/٤ والخوئي ٢٢٠/١١ ، ١١٣/ ١٧ .

(١٢) ينظر : البيهقي ٢١١ والكيدري ٥٥٤/١ . (١٣) ينظر : ارتشاف الضرب ٥٠٧/١ .

(١٤) نهج البلاغة : الخطبة ٢١١ ، ص : ٤١١ . (١٥) يوسف ٢١ وينظر : الكشاف ٣١٠/٢ .

(١٦) التستري ٥٠٩/١ وينظر : الراوندي ٣٣٧/٢ والمعتزلي ٥٢/١١ والبحراني ٢٥/٤ والخوئي ٢٦٦/١٤ .

ومثله ما جاء في وصف الموت : **(وَوَصَلَ بِالمَوْتِ أسبابها ، وَجَعَلَهُ حُلًّا جَا لِأَشْطَانِهَا ، وَقَاطَعَهُ وَادِرِ أَقْهَانِهَا...)**^(١) . فالمرائر جمع مريرة ، وهي الحبل الشديد الفتل ، والاقرن هو الحبل تجمع به دابتان ، وكأن اضافة المرائر الى الاقران لبيان الشدة العظيمة في معنى المضاف ، والمبالغة في قوته واستحكامه ، ومع ذلك يقطعه الموت^(٢) .

٥- **اثبات المضاف ونفي المضاف اليه** : ويكون هذا المعنى في اضافة الشيء الى ضده ، كما في (سُفْهَاءِ الأَحْلَامِ)^(٣) ، فالسفه ضد الحلم ((والعرب تضيف الشيء الى ضده اثباتًا للمضاف ، ونفياً للمضاف اليه))^(٤) .

٦- **تشريف المضاف** : ومثالها اضافة الروح الى ضمير لفظ الجلالة ، في قوله تعالى : ﴿ وَفَخُتْ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾^(٥) ، اذ هي اضافة تشريف وايجاد لا اضافة اتحاد تعالى الله عن ذلك . كما يقال : بيت الله وناقته الله وعهد الله وخلق الله وذمة الله^(٦) . ومنه - أيضا - الإضافة في (أمة الرسول)^(٧) ، اذ هي تشريف للامة ، واذا ما جاء من هذا التركيب في معرض التوهين والضعف فيكون الكلام في مقام التعجب عن انحراف المضاف ، اذ كيف انحرفوا ؟ مع ان مؤهلات الاستقامة موجودة فيهم باضافتهم الى (الرسول)^(٨) .

٧- **تحقير المضاف** : اذ يكتسب المضاف معنى التحقير من المضاف إليه ، كما جاء في قوله (ع) : (لَأَهْرَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ لُزْدٌ عِنْدِي...) ^(٩) . وفيه اضاف الدنيا الى المخاطبين في (دنياكم) لتحقيرهم وتحقيرها ، وبراءة ساحته عن ان يكون ممن يضاف اليه الدنيا^(١٠) . وكذا ما جاء في قوله (ع) في ذم ابليس : (لَا تَدْفَعُونَ بَعْزِيْمَةً فِي حَوْمَةٍ ذُلًّا ، وَحَلَقَةَ ضَبِيْقٍ ، وَعَرَصَةَ مَوْتٍ ، وَجَوْلَةَ بَلَاءٍ)^(١١) ، فالإضافة في المواضع الأربعة تفيد التحقير وهي من باب إضافة الخاص إلى العام^(١٢) . و اللفظ الخاص ليس حقيرا في هذه التراكيب ولكنه يكتسب هذا المعنى من اللفظ العام بعده . ونظير هذا في القرآن ما في قوله تعالى : ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾^(١٣) ، فالعاقبة بمعنى العقاب لكنها اختصت هنا بالخاتمة السيئة من المضاف اليه ، وفي حال انقطاعها عن الإضافة واطلاقها تختص بالثواب كما في : ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾^(١٤) .

- (١) نهج البلاغة : الخطبة ٩١ ، ص : ١٥٣ .
(٢) ينظر : السامرائي ١٥٢ .
(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٣٦ ، ص : ٨٠ .
(٤) البيهقي ١٢٧ وينظر : التستري ٤٤٧/٥ .
(٥) الحجر ٢٩ وينظر : الكشاف ٨٩/٢ .
(٦) ينظر : البيهقي ١٢٧ والرواندي ١٠٦/١ ، ٢٣٠/٢ والكيدري ١٣٦/١ والتستري ٤٤٧/٦ والشيرازي ١٩٢/٤ و ١٧٧/٣ .
(٧) نهج البلاغة : الخطبة ١٢٧ ، ص : ٢٣٢ .
(٨) ينظر : الشيرازي ٢٧٤/١ .
(٩) نهج البلاغة : الخطبة ٣ ، ص : ٣٢ .
(١٠) ينظر : المعتزلي ٢٠٢/١ والخوئي ١١٠/٣ .
(١١) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٢ ، ص ٣٦٣ .
(١٢) ينظر : الرواندي ٢٣٧/٢ والكيدري ٣٤٢/٢ والمعتزلي ١٤٠/١٣ والبحراني ٢٤٤/٤ والخوئي ٢٨٣/١١ والتستري ٣٦٥/١٤ ومغنية ١١٤/٣ .
(١٣) يونس ٣٩ وينظر : الكشاف ٢٣٨/٢ .
(١٤) الاعراف ١٢٨ وينظر : الكشاف ١٠٥/٢ والبحراني ١٩٨/٤ .

٨- **تأكيد مفهوم المضاف** : ويستحصل هذا المعنى في كلام العرب من اضافة الشيء الى نفسه فيكون المتضايفان بمعنى واحد ، نحو : (كرى النوم)^(١) . وأما في النهج فنبه الشّراح على طائفة من أمثله ومنها : (مزلق الدحض) و(جداول الانهار) و(أسداف الظلمة) و(عسق دجنة) و(حب الحصيد) و(حق اليقين) و(ينابيع العيون) ، وهي اضافة للتأكيد^(٢) . وهذا النوع من الإضافة إنما أقره الشّراح لايمانهم بترادف الالفاظ للمعنى الواحد ، فراوا ان الفيء كالظل ، والحق كاليقين والحب كالحصيد وما سوى ذلك . فافقروا معنى التأكيد في هذا النوع من الإضافة .

وعلى الرغم من ذلك اورد بعض الشّراح ما يفصح عن عدم ايمانهم باضافة الشيء الى نفسه ؛ لانهم يرون ان بين المتضايين فرقا ، كما في قول المعتزليّ في (فيء الظل) : « يمكن ان يقال ان الظل اعم من الفيء ؛ لان الفيء لا يكون الا بعد الزوال ، وكلّ فيء ظلّ ، وليس كل ظلّ فيئا ، فلما كان فيهما تغاير معنوي بهذا الاعتبار صحت الاضافة »^(٣) . وقريب منه قول التستريّ في (ينابيع العيون) : « يفهم من اضافته (م) الينابيع الى العيون كون الينبوع غير العين ، وان الينبوع اصل العين ومحل خروج الماء ، والعين ماؤه المجتمع ، لا كما توهم من اتحادهما »^(٤) . وهذا النوع من الاضافة سماه الشّراح الاضافة اللفظية ، وذكروا انه يختلف عن الاضافة المعنوية التي يختلف فيها المعنى بين المتضايين ، ثم اختلفوا فيما بينهم في بعض التراكيب اهي اضافة لفظية ام معنوية ، كما في (مواقع المفارق) ، فذهب البحراني الى ان الاضافة ليست معنوية ؛ لاتفاق المعنى بين اللفظين ، وانما صحت لتغاير اللفظين فحسب^(٥) . على حين عد الأملي الاضافة معنوية تقيد التخصيص ؛ لان الفرق المعنوي بين المضاف والمضاف اليه جليّ^(٦) ؛ وذلك أن المفقر موضع لما انفرج بين شيئين خاصة كمفارق الظهر ، أما الموضع فيدل على كل مكان خُفض وانحطّ^(٧) . وكذا ﴿حَبِّ الحصيد﴾^(٨) و﴿حَقِّ اليقين﴾^(٩) ، فالحب لدى بعض الشّراح هو الحصيد ، والحق هو اليقين ، والاضافة لفظية تقيد التاكيد لأن المتضايين معناهما واحد^(١٠) . ورأى آخرون أن الحب خاص بالزرع ذي الحبّ ، على حين يكون الحصيد في كل ما قطع من الزرع وإن لم يكن له حبّ^(١١) ، ومعنى حَبِّ الحصيد : حب الزرع الذي يقتات به ، ومن شأنه ان يحصد ، وأما الحق فهو المطابقة والموافقة بين الشيء والواقع ، واليقين هو زوال الشك وثبات الحكم^(١٢) .

(١) في المسألة خلاف بين البصريين والكوفيين ، ينظر : الإنصاف ، المسألة ٦١ ، ٤٣٦/٢-٤٣٨ .

(٢) ينظر : الراونديّ ٤١/١ و ٣٣٨ و ٤١٠ والكيدريّ ٣٩٤/١ ، ٦١٥ ، ٥٠٣/٢ ، والمعزليّ ١٤٣/٥ ، ١٣٧/١٧ ، والسامرائي ٢٢٢ .

(٣) المعتزليّ ١٤٤/٥ . (٤) التستريّ ٤٩٤/٣ . (٥) ينظر : البحراني ٢١٧/٥ . (٦) ينظر : لخويّ ٣٨٥/٢٠ .

(٧) ينظر : المقاييس ٨٢٤ و ١٠٩٤ . (٨) ق ٩ ، وينظر : معاني الفراء ٧٦/٣ ومعاني الزجاج ٣٥/٥ .

(٩) الواقعة ٩٥ ، وينظر : معاني الزجاج ٩٤/٥ و اعراب النحاس ٢٩٤/٤ والكشاف ٦٠/٤ .

(١٠) ينظر : الكيدريّ ٥٠٣/٢ و ابو الفضل ١٢٧/١ .

(١١) ينظر : الرواندي ١٥١/٣ والمعزليّ ٢٨٨/١٦ والبحراني ١٠٢/٥ وعبده ٧٤/٢ والخويّ ١١٨/٢٠ ومغنية ١٩/٤ والتستريّ ٤٨٥/٧ .

(١٢) ينظر : المقاييس ١١١ ، ٢٤٤ ، ٢٤٨ والمفردات ٨٩ ، ٢١٤ ، ٢٤٦ .

٩- **تعميم معنى المضاف** : كما في (نعمة الله) ، فهي غير متناهية ، وبعيدة عن العد والحصر ، بدليل قوله تعالى : ﴿وَأَنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾^(١) ، اذ المفهوم من (نعمة الله) الجنس ، لا النعمة الواحدة ، كما يقول القائل : انا لا اجد احسانك اليّ وامتنانك عليّ ، ولا يقصد بذلك احسانا واحدا بل جنس الاحسان^(٢) . وفي هذا «دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق والعموم بالاضافة»^(٣) . ومثله ما في قوله (م) : (أَحْمَدُهُ أُسْتَمَامًا لِـ نِعْمَتِهِ)^(٤) ، وفيه اضافة النعمة الى ضمير الباري « اشارة الى ان نعمته سبحانه غير متناهية ، وفيوضاته تعالى غير منتهية من الكم والكيفية »^(٥) .

ومن امثلة التوسع في معنى المضاف ما يأتي من الاضافة الى المفعول ، ومثالها : (خيانة الآمة)^(٦) ، و(غشّ الآئمة)^(٧) ، وفيها اضاف المصدر الى المفعول به ، والفاعل محذوف ، اي : (خان الساعي الآمة) و(غش الرعية الآئمة)^(٨) ، واطهر معنى لهذه الاضافة لدى الشّراح هو التوسع في معنى الغش والخيانة بحذف فاعلهما الحقيقي . وقد يحصل التوسع في معنى المضاف من اضافته الى الفاعل كما في (ستر الله) ، فإله -عزوجل- هو الساتر ، والمفعول محذوف ، واطافة الستر الى الله تعالى تدخل في باب التوسع في معناه^(٩) .

وقد يحصل التعميم من اضافة المفرد الى الجمع كما في : (شرار النساء) ، و(خيارهن) ، اذ قال السامرائي : «الشرار اسم كالخيار ، فكما تقول خيار الشيء ، وخيره ، وخيرته ، تقول : شرار الشيء ، وشره ، وشرته ، غير ان الشرار والخيار اكتسبا صفة الجمع باضافتهما الى النساء فكان المراد بشرارهن وخيارهن ما كان منهن خيرا ، وما كان منهن شرا ، او ما كان منهن شريرة وخيرة»^(١٠) . وقد ذكر السامرائي في ختم قوله هذا المفردين (شريرة) ، و(خيرة) ، فعلى هذا يكون (شرار) ، و(خيار) جمعا مقيسا لهما ، كظريف ظراف ، وكريمة كرام ، فلا تفيد الاضافة تعميما بل تخصيصا ؛ لان التعميم حاصل في المضاف .

وثمة تراكيب في باب الاضافة جوز الشّراح فيها اكثر من معنى ، كما في وصف الرضيّ اهل البيت (عليهم السلام) بانهم (مثاقيل الفضل) ، «وهذه الاضافة اما بمعنى اللام ، اي مثاقيل للفضل ، أي : اذا اعتبر فضل غيرهم ونسب بعضه الى بعض كانوا مثاقيل راجحة لذلك الفضل بغير رجحان بعضه على بعض بالنسبة اليه ، او بمعنى (من)

(١) ابراهيم ٣٤ . (٢) ينظر: المعتزلي ٦٦/١ .

(٣) الخوئي ٢٩٩/١ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ٢ ، ص ٢٥ .

(٥) الخوئي ٢٦٨/٢ .

(٦) نهج البلاغة : الرسالة ٢٦ ، ص ٤٨٥ .

(٧) نفسه

(٨) ينظر: الراوندي ٦٢/٣ والمعتزلي ١٦٢/١٥ .

(٩) ينظر: انصاريان ١٤٢/١ .

(١٠) السامرائي ٢١٨ .

، اي مثاقيل من الفضل متبوعة ترجح على غيرها»^(١) . وذهب البحراني الى أنّ (مثاقيل الفضل) اضافة بمعنى (من)^(٢) . وصحّ الخوئي ان تكون الاضافة بمعنى اللام^(٣) . وكذا الاضافة في (سبحان الله) فقد جوز فيها بعض الشّراح ان تكون من نوع الاضافة الى المفعول لانه تعالى هو المسبّح من لدن الصالحين ، او ان تكون من نوع الاضافة الى الفاعل ، ويكون معنى (سبحان الله) : اسبح مثل ما سبح الله تعالى به نفسه^(٤) . وكذا الاضافة في (باقي الكتاب) ، اما من نوع اضافة الصفة الى الموصوف ، اي: الكتاب الباقي بين الآمة ، او بمعنى (من) ، وفي هذا اشارة الى وقوع

التحريف في القرآن والنقصان فيه^(٥) . وكذا (منهجه) ، ف«إضافة المنهج إلى ضمير الباري اما نظير الاضافة في (سعيد كرز) ، أي : إضافة الشيء إلى نفسه ، أو بمعنى اللام»^(٦) .

ويختلف نوع الاضافة ومدلولها مع تعدد الروايات لدى الشراح ، نحو التركيب : (حد شوكتهم) ، فهو بالحاء اضافة لامية ، وبالجميم اضافة بمعنى (في)^(٧) . وربما افضى التباين في فهم الاضافة الى خلاف فقهي ، كما نقل المعتزلي عن الشافعي تجويزه بيع دور مكة واجارتها لانها مما يصح التصرف بها ، بدليل قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾^(٨) ، فأضاف الديار اليهم . وامتنع أصحاب ابي حنيفة من بيع دور مكة ، واجارتها بناء على أن المسجد الحرام هو مكة كلها ، فلا يحق لأحد التصرف به من بيع واجار ، وهو ما نبه عليه الامام علي (ع) بقوله الى عامله على مكة قثم بن العباس : (وَمُرْ أَهْلَ مَكَّةَ أَلَّا يَأْخُذُوا مِنْ سَاكِنِ أَجَلٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : ﴿سَوَاءٌ أَعَابُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾^(٩)(١٠) . ووجهوا الاضافة في (ديارهم) «بأنها اضافة اختصاص ، لا اضافة تمليك ، كما تقول : جل الدابة»^(١١) ، والمعنى : اخرجوا من الديار المعروفة او المخصوصة .

(١) ينظر : نهج البلاغة : مقدمة الشريف الرضي ، ص ٩ .

(٢) ينظر:البحراني ١٣٤/١ .

(٣) ينظر:الخوئي ٢٥١/١ .

(٤) ينظر:نفسه١٦٥/٣ .

(٥) ينظر: نفسه ٢٣٣/٣ وينظر: شرح ابن عقيل ٤٩/٢ .

(٦) نفسه١٨٣/٩ .

(٧) ينظر: الخوئي ١٠١/١٠ .

(٨) الحج ٤٠ وينظر: الكشاف ٣٢/٣

(٩) الحج ٢٥ .

(١٠) نهج البلاغة : الرسالة ٦٧ ، ص:٥٨٦

(١١) المعتزلي٣٣/١٨ .

المطلب الرابع: دلالة التذكير والتأنيث

١ - تأنيث المذكر حملا على معنى المؤنث :

ومن أمثلته لدى الشراح ما في قوله (ع) : (فَأَيُّنَ تَذْهَبُونَ؟ وَأَنْتَى تَوَكُّونَ؟ وَالْأَعْلَامُ قَائِمَةٌ! وَالآيَاتُ وَاضِحَةٌ ، وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ)^(١) . فالمنار : علم الطريق ، اي المحل الذي يوضع عليه المصباح ليرى الانسان طريقه في الليل ، وانما قال (ع) منصوبة حملا للمنار على معنى البقعة التي هو فيها^(٢) . ومنها - ايضا - ما جاء في قوله (ع) : (اسْتَدْرِكُوا بِقِيَّةٍ

أَيَّامِكُمْ وَاصْبِرُوا لَهَا أَنْفُسُكُمْ فَإِنَّهَا لَقَلِيلٌ فِي كَثِيرِ الْأَيَّامِ^(٣) ، فأخبر عن المؤنث وهو الضمير في (إنها) بالمتذكر (قليل) ، بدلا من (قليلة) ؛ لأنه في معنى (شيء قليل) لدى المعتزلي^(٤) . وانكر التستري هذا التوجيه ؛ ((لان القليل يأتي للمؤنث كما يأتي للمتذكر ، كما أتى للجمع في قوله تعالى : ﴿ وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ ﴾^(٥)))^(٦) .

ومنها - أيضا - ما جاء في كتاب للامام (ع) الى بعض عماله وقد اشترى دارا : (هذا ما اشترى عَبْدٌ تَيْلٌ مِنْ مَيْتٍ قَدْ زُرِعَ لِلرَّحِيلِ ، اشترى مِنْهُ لَرًّا مِنْ دَارِ الْغُرُورِ)^(٧) . وفيه كان القياس ان يقال : هذه ما اشترى ؛ لأن ما ابتاعها كانت دارا ، وانما ذكر فقال : هذا ما اشترى ، حملا على معنى المنزل او البيت ونحوهما^(٨) . ومنها ما جاء في قوله (ع) يصف ما أخذ ظلما من مال المسلمين قبله : (وَاللَّهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تَزَوَّجَ بِهِ النِّسَاءَ ، وَمَلِكٌ بِهِ الْإِمَاءُ لَرَدَّدْتُهُ)^(٩) ، وفيه أسند الفعلين المبنيين للمجهول (تَزَوَّجَ ، وَمَلِكٌ) الى فاعلين مؤنثين هما : النساء والاماء ، وانما ذكر الفعلين والفاعل مؤنث إشارة الى ان المتزوج والمالك هو الرجل ، فهو الفاعل في المعنى لا النساء والاماء^(١٠) . ومثله تنكير السماء مع ان الكثير فيها ان تكون مؤنثة ، وذلك حملا على معنى السقف ؛ لأن كل ما علاك فهو سماء^(١١) . وتنكير الفعل مع الفاعل المؤنث وارد في القرآن الكريم ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ ﴾^(١٢) ،

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٨٧ ، ص ١٤٢-١٤٣ .

(٢) ينظر : الكيدري ٤٢٠/١ والشيرازي ٢٩/٢ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٨٦ ، ص ١٣٩ .

(٤) ينظر : المعتزلي ٣٥٤/٦ .

(٥) الأنفال ٢٦ .

(٦) التستري ٣٤٧/١١ .

(٧) نهج البلاغة : الرسالة ٣ ، ص ٤٦٠ .

(٨) ينظر : الخوئي ١٢٢/١٧ .

(٩) نهج البلاغة : الخطبة ١٥ ، ص ٤٣ .

(١٠) ينظر : الخوئي ٢١٣/٣ .

(١١) ينظر : الخوئي ٣/٩-٤ وينظر : الصحاح ٥١٠ .

(١٢) يوسف ٣٠ .

وانما ذكر الفعل حملا على المعنى ؛ لأن القائلين رجال ونساء ، ولكنه بين النساء أشهر وأبين فصرح بذكر المؤنث (نِسْوَةٌ) ، وألمح الى الرجال بـ(قال) ، ولم تكن اقوال المفسرين شافية في هذا الموضوع^(١) . وكذا التذكير في (الطريق الواضح) ، وانما ذكر الطريق فأخبر عنه بالواضح ؛ لانه بمعنى الصراط المستقيم^(٢) . وفي : (حرب شديد) ، إذ ذُكرت الحرب مرادا بها معنى القتال^(٣) .

٢ - تأنيث المذكر حملا على معنى المؤنث : ومن أمثلته ما في قوله (٤) : (لَيْتَأَسَّ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ ... لَاوَتَكُونُوا كَقَيْضِ بَيْضٍ فِي أَدَاخٍ يَكُونُ كَسُورِهَا وَزَرًّا)^(٤) ، والقَيْض هو قشر البيض العليا اليابسة ، والضمير في (كسرهما) راجع الى (القَيْض) وهو مذكر ؛ لانه اسم جنس جمعي ، وانما انثته يعود الضمير عليه مؤنثا ؛ لانه محمول على معنى (القشرة)^(٥) . واحتمل الخوئي^(٦) وجها آخر للتأنيث ، وهو ان المضاف (قَيْض) اكتسب التأنيث من المضاف اليه (بيض) ، ونظيره قول الشاعر^(٧) :

كَمَا شَرَقَتْ صَدْرُ اقْدَانَةَ مِنَ الدَّمِّ .

ويرد عليه ان المضاف اليه (بيض) اسم جنس ايضا ، وهو مذكر كالبقر في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهُ عَطِينَا ﴾^(٨) ، فيكون ما احتمله بعيدا . والاولى ان يقال : ان الضمير في (كسرهما) انما جاء مؤنثا لانه يعود على اسم جنس : (بيض) ، وهذا يكثر تأنيثه ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَذَاكُلُ الطَّيْرِ مِنْ رَأْسِهِ ﴾^(٩) اذا اراد به الجمع ، وهنا اراد الجمع في (قَيْض بَيْض) فأنت حملا على معنى الجمع لا على المذكر المتضمن معنى المؤنث . وقد نبه الشراح في بعض المواضع على ان اسم الجنس يعامل معاملة المؤنث ان دل على الجمع ، نحو ما جاء في قوله (٤) : ﴿ لَمَّا لَلَّتِ السَّحَابُ ﴾^(١٠) ، وحيث ان السحاب جنس ، جيء بالفعل مؤنثا ، وعلى العموم فاق الشيرازي اقرانه في التصريح بتأنيث الاسم الدال على الجنس^(١١) .

(١) ينظر : الكشاف ٣١٦/٢ ومجمع البيان ٣٩٥/١٢/٥ والبحر المحيط ٢٤٦/٦ وفي ظلال القرآن ١٩٨٣/١٢/٤ .

(٢) ينظر : عبده ٢٩١/١

(٣) ينظر : الراوندي ٣٤٣/١ والخوئي ١١٧/١٣ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ١٦٦ ، ص ٣٠٢ .

(٥) ينظر : الخوئي ٧٥/١٠ - ٧٦ .

(٦) ينظر : نفسه ٧٦/١٠ .

(٧) ديوان الأعشى ٩٤ وهو من شواهد الكتاب ٥٢/١ .

(٨) البقرة ٧٠ وينظر : إعراب النحاس ٦٠/١ والتبيان للعكبري ٧١/١

(٩) يوسف ٤١

(١٠) نهج البلاغة : الخطبة ٩١ ، ص ١٦٤ .

(١١) ينظر : الشيرازي ١٨٢/١ و ٨١/٢ و ٣٥٧ و ١٢٧/٣ .

المطلب الخامس : دلالة التعريف والتنكير .

١ - دلالة التنكير على التعميم ، والتعريف على التخصيص :

وهذه هي الدلالة الرئيسية التي جهر بها النحويون^(١) ، ومن ذلك ما جاء في قوله (٤) يصف خلق السماء : (ذُمَّ أَنْشَأُ سُبْحَانَهُ هُجَّ الْأَجْوَاء ... فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلَاظِمًا تَيَّلَّرُهُ ، حَمَلَهُ غَطَى مَدَنَ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ . الْهَاءُ مِنْ تَهْتًا فَتَيْقٌ ،

والماء مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ^(٢) ، وفيه نَكَرُ الماءِ أَوَّلًا فِي (ماءً مُتَلَظِمًا) ، فهو عام ، ثم عَرَّفَهُ فِي (الماءِ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ) فَخَصَّصَ بَعْدَ الْعُمُومِ^(٣) . وكذا ما جاء في قوله (ع) : (فَمَنْ نَأَاهُ اللَّهُ مَا لَأَفَلَيْصِلُ بِهِ الْقَوَابَةَ ، وَلِيُحْسِنَ مِنْهُ الضِّيَافَةَ ، ... فَإِنَّ فَوْزًا بِهَذِهِ الْخِصَالِ شَرَفٌ مَكَارِمِ الدُّنْيَا)^(٤) ، وفيه نَكَرُ (الفوز) ؛ لِأَنَّ تَنْكِيرَهُ يَفِيدُ الْعُمُومَ فَهُوَ قَدْ يَحْصُلُ بِأَيِّ شَخْصٍ كَانَ ذَا مَالٍ ، وَلَوْ عَرَّفَ (الفوز) لَكَانَ مَوْهَمًا بِأَنَّهُ شَخْصِيٌّ أَوْ مَخْصُوصٌ^(٥) . وَمِنْ دَلَالَةِ التَّنْكِيرِ عَلَى التَّعْمِيمِ أَنَّ أَحَدَهُمْ لَمَّا سَأَلَ الْإِمَامَ (ع) عَنِ حَدِيثِ الرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : (غَيَّرُوا الشَّيْبَ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ) أَجَابَ الْإِمَامَ (ع) : (إِنَّمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذَلِكَ وَالِدَيْنِ قُلٌّ ، فَأَمَّا الْآنَ وَقَدْ اتَّسَعَ ظَاقُهُ وَضُرِبَ بِجِرَانِهِ فَا مَرُوءٌ وَمَا اخْتَارَ)^(٦) ، وَفِيهِ « نَكَرَ أَمْرًا لِأَنَّهُ ارَادَ بِالنُّكْرَةِ الْعُمُومَ ، كَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَدًا نَهًا وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾^(٧) »^(٨) . وَمِنْهُ مَا فِي قَوْلِهِ (ع) : (وَإِنَّ لِلدَّكْرِ لِأَهْلًا أَخْنُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلًا فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تَجَارَةٌ وَلَا حَيْدٌ عَنْهُ ...)^(٩) ، وَفِيهِ نَكَرُ (تجارة) فَانَّهُ أَرَادَ أَنَّهُمْ لَا يَشْغَلُهُمْ نَوْعٌ مِنْ هَذِهِ التَّجَارَةِ ، ثُمَّ خَصَّ الْبَيْعَ لِأَنَّهُ فِي الْإِلْهَاءِ ادْخَلَ ؛ لِأَنَّ التَّاجِرَ إِذَا اتَّجَهَتْ لَهُ بَيْعَةٌ رَابِحَةٌ أَلْهَتْهُ^(١٢) . وَمِثْلُهُ مَا فِي قَوْلِ الْإِمَامِ (ع) : (الْحَمْدُ لِلَّهِ ... الَّذِي لَا تَبْرُحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ ، لِأَوْتَقُدُّ لَهُ نِعْمَةً)^(١٣) ، وَفِيهِ نَكَرُ (رحمة ونعمة) لِيُؤْذَنَ بِعُمُومِ افْرَادِهِمَا ، أَيَّ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي لَا يَزُولُ مِنْهُ فَرْدٌ مِنْ افْرَادِ الرَّحْمَةِ ، وَلَا يَفْقَدُ لَهُ فَرْدٌ مِنْ افْرَادِ النِّعْمَةِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ النُّكْرَةَ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ تَدُلُّ عَلَى الْعُمُومِ^(١٤) .

٢ - دلالة التعريف على التكنير ، والتكنير على التخصيص :

وهذا قلب للدلالة الاصلية التي تستدعي ان يفيد الاسم المنكر على العموم المجهول ، والاسم المعرف على شيء معلوم ، وهذه الدلالة التي هي نقيض الاصل انما تفهم من السياق والنظم ، كما في قوله (ع) في الشقشقية : (... أو اصْبِرْ عَلَى طَخِيَّةٍ عَمِيَاءَ ، يَهْرُمُ فِيهَا الْكَبِيرُ ، وَيَشْيِبُ فِيهَا الصَّغِيرُ ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَطَّيَّرَ رَيْبَهُ)^(١٥) ، وَفِيهِ « عَرَفَ الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ ، وَنَكَرَ مُؤْمِنًا ، لِإِرَادَةِ التَّنْكِيرِ فِي الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ ، وَالتَّقْلِيلِ فِي الْمُؤْمِنِ ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ انَّمَا

(١) ينظر : شرح الكافية ١٠٣/٢ والبرهان ٧٥٥-٧٥٨ والاتقان ١٩٠/١ . (٢) نهج البلاغة : الخطبة ١ ، ص ١٨ .

(٣) ينظر : الكيدري ١٣٠/١ . (٤) نهج البلاغة : الخطبة ١٤٢ ، ص ٢٥٠ .

(٥) ينظر : البحراني ١٧١/٣ والشيرازي ٣٢٥/٢ . (٦) نهج البلاغة : الحكمة ١٧ ، ص ٦٠١ .

(٧) البقرة ٢٠١ . (٨) البيهقي ٤٠٢ .

(٩) ينظر : الخطبة ٢٢٢ ، ص ٤٣٢ . (١٢) ينظر : الراوندي ٣٧٩/٢ .

(١٣) نهج البلاغة : الخطبة ٤٥ ، ص ٨٧ . (١٤) ينظر : الخوئي ٢٤٥/٤ .

(١٥) نهج البلاغة : الخطبة ٣ ، ص ٢٨ .

كان هو عليه السلام وأصحابه . والمستفاد من الاخبار ان اصحابه - عليه السلام - بعد النبي - صلى الله عليه وآله - انما كانوا ثلاثة : سلمان ، وأبو ذر ، والمقداد ، ثم صاروا الى حين وفاة الصديقة سبعة^(١) .

٣- دلالة التنكير على التعظيم والتهويل : ومنه ما جاء في قوله (٤) : (أيها الناس لئلا قد أصبحنا في دهر عنود وزمن كئود...) (٢) ، وفيه نكر (الدهر ، والزمن) للتعظيم والتهويل (٣) . وكذا ما جاء في قوله (٤) يتوعد بني أمية : (... وأيم الله لأفطرن لهم حوضاً أنا ماتحه) (٤) ، وفيه نكر (الحوض) لتعظيمه (٥) .

٤- دلالة التعريف والتنكير على التباين والاختلاف : كما في قوله (٤) يصف خلق الهواء والماء : (ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء ، فأجرى فيها ماءً متلاطماً تيلره ، متواكماً زخره ، حطه على من الرياح العاصفة ... فأموه برده ، وسلطها على شده ، وهذنا إلى حده الهواء من تحتها فتقيق ، والماء من فوقها دفيق ، ثم أنشأ سبحانه ريحاً اعتقم مهبها...) (٦) ، ولما وجد البحراني الرياح معرفة مرة ، ونكرة مرة أخرى قال : ((الريح الأولى غير الريح الثانية ؛ لان احدهما معرفة ، والاخرى نكرة ، وهذا مثل قوله : صم اليوم ، صم يوماً ؛ فانه يقتضي يومين)) (٧) . على حين رأى المعتزلي أن هذه المغايرة بين (الريح) ، و(ريحا) ليست «مستفادة من مجرد التعريف والتنكير ، لانه لو كان قال (٤) : وحمله على متن ربح عاصفة ، وزرع قاصفة ، لكانت الريحان الأولى والثانية منكرتين معا ، وانما علمنا تباينهما لأن احدهما تحت الماء ، والاخرى فوقه ، والجسم الواحد لا يكون في جهتين» (٨) .

٥- دلالة التنكير على التحقير : ومثاله قوله (٤) من كتاب له الى معاوية : (وعندي السيف الذي أعضضته بجذك ، وظلك ، وأخيك في قام واحد ... وقريب ما أشبهت من أعمام ، وأخوال ، حطهم الشقاوة ، وتمني الباطل على الجحود بمحمد (صلى الله عليه واله) (٩) ، وفيه ورد (اعمام) ، و(أخوال) جمعين منكرين «والجمع المنكر جاز ان يعبر به عن الواحد والاثنين للمبالغة مجازا في معرض الشناعة ، وذلك تحقيرا لاصله» (١٠) . وقد يعبر عن معنى التحقير باستعمال اسماء الاشارة التي هي معارف اتفاقا ، كما في قوله (٤) يذكر قول فرعون لموسى وهارون : (ألا تعجبوا من هذين يشيطان لِي تَؤام العرَّ وبقاء الملك ...) (١١) ، والاشارة لدى الشراح تفيد التحقير في هذا الموضع (١٢) ، وكذا قوله (٤) في الشقشقية : (ولألفيتم ننياكم هذه ...) (١٣) ، والاشارة للتحقير (١٤) .

(١) التستري ٥٢/٥ .

(٢) ينظر: التستري ١٤٧/٨ .

(٣) ينظر : الكيبري ٦١١/١ والبحراني ٢٩٦/١ وانصاريان ٣٦/٢ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ١ ، ص ١٨ .

(٥) المعتزلي ٩٠/١١-٩١ وينظر: عبده ١٩/١ وابو الفضل ١٧/١ .

(٦) البحراني ١٩٨/٥ .

(٧) ينظر : التستري ٦٤/٢ والشيرازي ١٩٢/٣ والموسوي ٣٠٠/٣ .

(٨) ينظر : انصاريان ٧٩/١ .

(٩) نهج البلاغة : الخطبة ٣٢ ، ص ٦٩ .

(١٠) نهج البلاغة : الخطبة ١٠ ، ص ٣٩ .

(١١) البحراني ١٣٣/١

(١٢) نهج البلاغة : الرسالة ٦٤ ، ص ٥٨٢ .

(١٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٢ ، ص ٣٦٧ .

(١٤) نهج البلاغة : الخطبة ٣ ، ص ٣٢ .

المطلب السادس : دلالة التكرار اللفظي والمعنوي .

١ - دلالة التكرار المعنوي على التفصيل بعد الاجمال : ومثاله ما ورد في قوله (ي) يصف حال المحتضرين مع الموت : (غَيْرَ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ ، اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ ، وَحَسْرَةُ الْفُوتِ) (١) . وفيه ذكر اولاً ان ما نزل بهم غير قابل للوصف ، فهو مبهم لدى الناظرين ، ثم استدرك يوضح بعضاً مما نزل بهم ، فاتى بـ (اجتمعت عليهم ...) وليس في هذا وصف للموت - ايضاً - ولكن فيه تفصيل لما لم يمكن وصفه او معرفة سببه ، وهو سكرة الموت ، وحسرة الفوت ، وقتور الاطراف ، وتغير الالوان وغير ذلك ، وانما وصل جملة (اجتمعت) بسابقتها لما بينهما من كمال الاتصال ، وكون الثانية اوفى بتمام المراد واقتضاء المقام والاعتناء بشانته لكونه فظيماً في نفسه ، ونظير هذا قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنَ﴾ (٢) ، والمراد بالجملتين التنبيه على نعم الله ، لكن الثانية اوفى بتأدية التنبيه على تلك النعم لدلالاتها عليها بالتفصيل لا بالاجمال (٣) .

٢ - دلالة التكرار المعنوي على تركيز المعنى في الذهن : ومنه ما جاء في قوله (ي) في وصف الموت : (فَيُوشِكُ أَنْ تَغْشَاكُمْ تَوَاجِي ظُلُمَةٍ ، وَاحْتِدَامٍ غَلِيهِ ، وَحَنَادِسُ غَمَوَاتِهِ ، وَغَوَاشِي سَكَرَاتِهِ ، طَائِمٌ إِرْهَاقِهِ ، وَدُجُؤٌ إِطْبَاقِهِ ، وَجَشُوبَةٌ مَذَاقِهِ ...) (٤) . وفيه كرر معنى شدة الموت في سبع جمل ، وتكرار هذه الجمل المتقاربة المعنى إنما جاء «لتركيز حال الموت في ذهن الانسان ، فان التكرار من افضل وسائل التركيز» (٥) . ومنه ما جاء في قوله (ي) يصف سجود الملائكة لادم : (وَاسْتَأْذَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةَ وَدَبِقَهُ لُدَيْهِمْ ، وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ فِي الْإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ وَالْخُذْ عِزَّهُ تَكْرِيماً) (٦) فذكر الخنوع بعد (الإذعان بالسجود) ، لأن الأول يفيد انهم امروا اولاً بالخضوع له في السجود ، والثاني يفيد ثباتهم على الخضوع له وفيه التركيز على تكريم ادم في اذهان الملائكة (٧) .

٣ - دلالة التكرار اللفظي على تأكيد المعنى : من ذلك ما جاء في قوله (ي) : (اللَّهُ اللَّهُ أَيُّهَا النَّاسُ ، فِيمَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ ...) (٨) ، و (اللَّهُ اللَّهُ فِي الْآيَاتِ ...) (٩) ، و (اللَّهُ اللَّهُ فِي الصَّلَاةِ ...) (١٠) ، و (الفرائض الفرائض ...) (١١) . وفيه جاءت الالفاظ المكررة المنصوبة على الاغراء والتحذير لتأكيد المعنى (١٢) .

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٩ ، ص ٢٠١ . (٢) الشعراء ١٣٢-١٣٣ .

(٣) ينظر: الخوئي ٣٢٨/٧-٣٢٩ . (٤) نهج البلاغة : الخطبة ٢٣٠ ، ص ٤٤٥-٤٤٦ .

(٥) الشيرازي ٤٢١/٣ وينظر : المعتزلي ٤/١٣ والبحراني ١٠١/٤ والخوئي ٤٠٧/٤ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١ ، ص ٢١ .

(٧) ينظر : الراوندي ٧٤/١ والمعتزلي ٩٩/١ والبحراني ١٧١/١ والخوئي ٥٥/٢ .

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ٨٦ ص ١٣٩ (٩) المصدر نفسه : الرسالة ٤٧ ، ص ٥٣٨ .

(١٠) نفسه : الرسالة ٤٧ ، ص ٥٣٨ . (١١) نفسه : الخطبة ١٦٧ ، ص ٣٠٤ .

(١٢) ينظر : البيهقي ٣٨٥ والخوئي ١٢٦/٦ والشيرازي ٢/٢ و ٤١٩ و ٢٦/٣ و ١٢٦/٤ .

والنصب على الاغراء يفيد معنى لزوم المفعول به ، والتعلق به ، نحو: (الله الله) ، و(اخاك اخاك) بمعنى الزم . اما
النصب على التحذير يفيد الخوف والخشية من المفعول به ، نحو : (الضيغم الضيغم) ، وقلما يجتمع هذان المعنيان
في غير اسماء الله الحسنى . فتقدير الاغراء: (الزموا الله الله)، وتقدير التحذير : (اتقوا الله)^(١) .
وكذا قوله (هـ) في حث الناس على العبادة : (فَصَمًّا صَمًّا حَتَّى يَتَجَلَّى لَكُمْ عُمُودُ الْحَقِّ ...) ^(٢) ، وفيه صمدا صمدا
منصوبان على المصدرية ، والعامل محذوف ، والتكرار للتأكيد ، والتحريض على الصبر في العبادة^(٣) .

٤ - دلالة التكرار الاشتقائي على المبالغة : والمراد بالتكرار الاشتقائي ترديد الالفاظ المشتقة من جذر واحد في التركيب
نفسه ، كالتريد بين الفعل والفاعل نحو : (ذكر ذاكر)^(٤) ، والفعل والمفعول به نحو: (خلق الخلق)^(٥) ، والصفة
والموصوف ، نحو : (ولا حدًّا محدودًا)^(٦) ، والمتضايفين نحو : (دعوة الداعي)^(٧) ، والفعل وما يتعلق به ، نحو: (لا
يَزْجِرُ بِرَاجِرٍ ... وَلَا يَنْعِظُ بِوَاعِظٍ)^(٨) ، وغير ذلك من انماط التكرار الاشتقائي ، وقد اقر الشراح دلالة رئيسة لهذا النوع
من التكرار هي المبالغة ، كما في قوله (هـ) يذكر ابتداء خلق السماء والارض : (...الَّذِي لَسِيَ لِيَصِفَتَهُ حَدًّا مَحْدُودًا
...) ^(٩) ، وفيه وصف الحد بكونه محدودا للمبالغة على طريقة قولهم : شعر شاعر^(١٠) . وكذا ما جاء في قوله (هـ) :
إِنَّ اللَّهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ - عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ - بِنَقْصِ النَّمَرَاتِ ، وَحَبْسِ الْبَرَكَاتِ ، وَإِعْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ ، لِتَيُوبَ لُدَّبَ
، وَيُغْفَرَ مَغْفِرًا ، وَيَذَكَّرَ تَذَكُّرًا ، وَيَزْدَجِرُ مُزْدَجِرًا ... ^(١١) . وانما جاء الفاعل من لفظ الفعل في هذه الخطبة في أربعة
مواضع منها للمبالغة في التوبة ، والافلاج ، والتذكر ، والازدجار^(١٢) . وكذا ما في قول الامام (هـ) يصف معاوية : (فَمَا
عَلَيْكَ غَلْبَةَ الْمُغْلُوبِ ، وَلَا ظَفْرَ الظَّافِرِ) ^(١٣) ، فجاء بالمتضايفين من أصل واحد تأكيدًا للاضافة ، وللبلوغ بها أقصى
درجات المبالغة في الغلبة والظفر^(١٤) .

(١) ينظر : الكتاب ٢٥٣/١ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ٦٦ ، ص ١٠٥ .

(٣) ينظر : الراوندي ٢٩٠/١ والمعتزلي ٦٩/٥ والبحراني ١٧٨/٢ وعبدالله ١٢٤/١ والخوئي ٣٤/٥ ومغنية ٣٥/١ وابو الفضل ١٣٢/١ .

(٤) نهج البلاغة : الرسالة ٢٨ ص ٤٨٩ .

(٥) نفسه : الخطبة ١٩٣ ، ص ٣٨١ .

(٦) نفسه : الخطبة ١ ، ص ١٧ .

(٧) نفسه : الخطبة ٨٣ ، ص ١٢٤ .

(٨) نفسه : الخطبة ١٠٩ ، ص ٢٠٠ .

(٩) ينظر : الكتاب ٣٨٥/٣ والكيدري ١١٣/١ والمعتزلي ٥٨/١ والبحراني ١٠٧/١ والسرخسي ٣٥/١ وعبدالله ١٦/١
والخوئي ٢٩٣/١ ومغنية ١٥/١ وابو الفضل ١٣/١ والشيرازي ١١/١ .

(١٠) نهج البلاغة : الخطبة ١٤٣ ، ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

(١١) ينظر : المعتزلي ٧٧/٩ والبحراني ١٨٤/٣ والخوئي ٣/٩ والتستري ١١٤/١٤ وابو الفضل ٣٢٢/١ ومغنية ٣١٢/٢ .

(١٢) نهج البلاغة : الكتاب ٢٨ ، ص ٤٨٩ .

(١٣) ينظر : المعتزلي ١٨٤/١٥ والبحراني ٤٣٥/٤ والخوئي ٩٦/١٩ والموسوي ٢٢٩/٤ .

المبحث الثالث

دلالة الأدوات الأحادية في شروح نهج البلاغة

توطئة :

الأدوات مصطلح كوفي يقابله لدى البصريين مصطلح حروف المعاني^(١) ، وهو القسم الثالث من أقسام الكلام بعد الاسم والفعل ، فلما كان الحرف في اللغة دالا على طرف الشيء وحدّه^(٢) ، استعمل الحرف في الاصطلاح النحوي « لأنه حد ما بين القسمين ورباط لهما ... فكأنه وصلة بين هذين ، كالحروف التي تلي ما هو متصل بها»^(٣) . الا ان مصطلح الاداة ادق في دلالاته من مصطلح الحروف ؛ لانه يخلص من الدلالة على حروف الهجاء التي تدرج تحت مصطلح الحرف ، فضلا عن شمول مصطلح الاداة للحروف والاسماء التي تؤدي وظيفة الربط والتعليق في الجملة ، فلا يقتصر على حروف العطف وحروف الجر الداخلة ضمن مفهوم حروف المعاني^(٤) .

ويلحظ في الدراسة الدلالية للحروف جانبان : الاول : دلالة الحرف على المعنى هل هي منبثقة من الحرف نفسه أم من انتظامه في الجملة ؟ ويبدو من حد سيبويه للحرف أن المعنى متأث من الحرف نفسه ، وليس مما يتعلق به الحرف ، إذ قال : « وأما ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل ، فنحو : ثُمَّ ، وسوف ، وواو القسم ، ولام الاضافة ، ونحوها»^(٥) ، فسبويه يرى ان الحرف يفيد معنى غير موجود في اسم ولا فعل ، ففي قولنا : هل قام زيد؟ افادت (هل) ما لم يكن في زيد ، ولا في قام ، فمعنى الاستفهام ليس مستقادا من الفعل الذي هو قام ، ولا الاسم الذي هو زيد ، وانما هو في (هل) نفسها^(٦) . لكن فريقا آخر من النحويين رأى أن الحرف هو : ما دل على معنى في غيره^(٧) ، وهذا يعني ان دلالة الحرف على معناه متوقفة على ما يتعلق به من الاسم والفعل ، فان لم يذكر متعلقه فلا دلالة له على شيء^(٨) . والظاهر ان للحرف معنى لا يتوقف على تعلقه بغيره ، فالحرف يظفر بمعنى مستقل بمعزل عن السياق ، فمعنى (الى) هو بلوغ الغاية ، ومعنى (على) هو الاستعلاء ، و(لن) تدل على النفي ، و(هل) على الاستفهام ، وهكذا ثم تأتلف هذه الادوات في السياق لترتبط اجزاء الجملة بعضها مع بعض بمعناها الخاص بها

(١) ينظر : مدرسة الكوفة ٣١٠-٣١١ والمصطلح النحوي ١٧٤ . (٢) ينظر:المقاييس ٢٥٥ .

(٣) الايضاح في علل النحو ٤٤ وينظر : سر الصناعة ١٥/١ واسرار العربية ١٢ والجنى الداني ٨٨ .

(٤) ينظر : مدرسة الكوفة ٢٤٠ وابو زكريا الفراء ٤٤ واقسام الكلام العربي ٩٢ والادوات النحوية وتعدد معانيها الوظيفية ١١ .

(٥) الكتاب ١٢/١ .

(٦) ينظر : الصاحبى ٨٦ والمرتجل ٢٣-٢٤ .

(٧) ينظر: شرح المفصل ٢/٨ وشرح الحدود النحوية ٥١

(٨) ينظر: الأصول في النحو ٤٢٧/١ وشرح الكافية ١٠/١ والجنى الداني ٢٠ واللغة العربية معناها ومبناها ١٢٤-١٢٧

وتتأوب حروف الجر في لغة القرآن ٧.

فالاداة (الى) في قولنا : ذهب محمد الى المدرسة ، عملت علاقة نحوية داخل الجملة بين الحدث (الذهاب) ، والذات (المدرسة) ، وهي علاقة (بلوغ الغاية) التي اقتصت بمعناها الاداة (الى) ، وهو معنى غير موجود في كلمتي : ذهب والمدرسة والا لصح القول : ذهب محمد المدرسة^(١) . وما يؤيد ان دلالة الحرف في نفسه لا في ما تعلق به أن الخلاف قائم بين البصريين والكوفيين بشأن دلالة الحروف أثابتة أم متعددة ؟. فقد ذهب الكوفيون الى ان الحرف الواحد وضع لاكثر من معنى ، وجوزوا نيابة الحروف بعضها عن بعض . ولم يجز البصريون تعدد معاني الحرف الواحد ، واكدوا على ضرورة ابقاء الحرف على معناه الاصلي ، وما خالف الاصل لديهم يؤول تاويلا يقبله اللفظ ، او على تضمين فعل معنى فعل اخر ، وليست من باب تناوب الحروف^(٢) .

ومسألة بقاء الاداة على المعنى الاصلي لها اولى من تكثير معاني الاداة الواحدة ، او تحويل الفعل عن مساره الدلالي بتضمينه معنى فعل اخر لا يمت له بصلة . وفتح الباب امام الحرف الواحد لياخذ معاني حروف اخر يخضع في اغلبه الى تصورات المفسر او الشارح للنص وفهمه الخاص ، ولا يراعي المعنى الذي يقصده المتكلم^(٣) .

ويمكن القول ان الاختلاف في معاني الحروف هو امر ظاهري مرده الى اختلاف مواقعها من التركيب ، شأنها في ذلك شان الالفاظ الاخرى ، فيختلف اذ ذلك الاداء الذي تقوم به ، دون ان يختلف معناها الذي اقتصت به . وقد ذكر البصريون هذه الحقيقة ، فذهبوا الى ان « الاصل في كل حرف ان لا يدل الا على ما وضع له ، ولا يدل على معنى حرف اخر ، فنحن تمسكنا بالاصل ، ومن تمسك بالاصل استغنى عن اقامة الدليل ، ومن عدل عن الاصل بقي مرتبنا باقامة الدليل »^(٤) .

وقد احتفى شراح النهج بدلالات الادوات الواردة في كلام الامام (ع) ، مازجين بين مذهب الكوفيين ومذهب البصريين في نظرتهم لدلالة الحرف ، فتارة يذكرون عدة معانٍ للاداة الواحدة ، وتارة يبقون الاداة على معناها الاصلي ويضمنون الافعال المتعلقة بها معاني اخرى . وهذا منهج عام طرقه الشّراح جميعا ، وان تفاوتوا فيه بين موضع واخر ، وعند متابعة هذه المواضيع والبحث في اخرج الاداة عن مسارها الدلالي ، واعطاء الحرف معنى حرف اخر يتبين أن الشّراح إنما خلطوا الأمرين بفعل فهمهم الخاص للنص لا بفعل تحري الدلالة الحقيقية لقوله (ع) المفهومة من ابقاء الاداة على معناها الأصلي الذي لاجله استعملت دون غيرها . وعلى الرغم من ذلك ثمة التفاتات مهمة لدى الشّراح الى الفروق الدلالية بين الحروف ذات المعاني المتقاربة للتمييز بين معانيها الدقيقة . وكثرة عناية الشّراح بالأدوات النحوية أثرت درسها في مبحثين : الأول ، الأدوات الأحادية . والآخر الأدوات الثنائية فأكثر . فأما المبحث الأول فيشتمل على المطالب الآتية :

(١) ينظر : دراسات نقدية في النحو العربي ٨ واللامات دراسة نحوية شاملة ٥٥ - ٥٩ .

(٢) ينظر : الانصاف المسألة ٦٧ ص ٤٨١/٢ والجنى الداني ٣١٤ ومغني اللبيب ٤١٩/١ ومعاني النحو ١٢/٣ - ١٤ .

(٣) ينظر : النظام القرآني ٥٠ . (٤) الانصاف ٤٨١/٢ .

المطلب الأول : دلالة الباء^(١)

تعددت دلالة حرف الجر (الباء) في شروح النهج ليصل بها الشّراح الى أربعة عشر معنى ، مستدلين عليها بشواهد قرآنية أو شعرية . ومن تتبّع معاني حرف الباء هذه وجدها معاني استحصلها الشّراح من سياق الكلام ، ومن دلالات الافعال التي تعلقت بها الباء ، لا من دلالة الباء نفسها . وهي معانٍ تعكس فهم الشّراح للنص العام ، ولا تعكس فهمهم لمعنى الاداة ووظيفتها الدلالية . وقد ظهر اتجاه حديث يردّ هذه المعاني المتعددة إلى دلالة واحدة ، وهي افادة الباء الواسطة بين شيئين ، انطلاقاً من دلالة الباء الصوتية التي «تصلح كواسطة بين حركتين لا تنشأ حركة ثالثة الا عند الجمع بينهما»^(٢) . وقد صرح بعض الشّراح بمعنى الباء الجامع لفروعها الذي هو «واسطة بين أمرين»^(٣) . وقد تبين أنّ الدلالات الفرعية التي ذكرها شراح النهج لحرف الباء كلّها يمكن ردها الى معناها الجامع المذكور آنفاً ، وكما يأتي :

١ - دلالة الباء على الاستعانة

ذكر الشّراح دلالة الباء على الاستعانة في عدة مواضع ، وربما سموها بالآلة^(٤) . وهو مصطلح يؤول إلى الاستعانة ؛ لأن الآلة يستعان بها لعمل شيء . من ذلك قوله (ع) في صفة الملائكة : «فَدَلَقُوا حَلَاوَةَ مَعْرِفَتِهِ ، وَشَرِبُوا بِالْكَأْسِ الرَّوِيَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ ، وَتَمَكَّنَتْ مِنْ سُؤْيِدَائِعِلُّوبِهِمْ وَشَيْجَةِ خَيْفِهِ»^(٥) . فدلالة الباء في (شربوا بالكأس) تنصرف الى الاستعانة بالكاس لغرض الشرب^(٦) . ولما كان الفعل شرب متعدياً الى المفعول ، توسّع الخوئي^(٧) في توجيه دلالة الباء في (شربوا بالكاس) ، فاجاز دلالة الباء على الاستعانة ، أو أن تكون للتبويض ، أو أن يكون الفعل (شرب) المتعدي بمعنى (تلذذ) اللزوم . ويمكن القول ان الباء في هذا النص واسطة بين الشاربين والمشروب ، فبوساطة الكاس يحصل الشرب .

ومن أمثلة هذه الدلالة ما في قوله (ع) : «وَلَكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرِ عَنْهُ ، وَبِالسَّامِعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِيِ الْمُرِيبِ»^(٨) ، فقد ذكر الشراح^(٩) أنّ الباء في **بالمقبل وبالسامع** للاستعانة ، وسماها الخوئي باء المصاحبة^(١٠) . ومعنى الاستعانة أو المصاحبة داخل في المعنى العام للباء ، وهو كونها واسطة للضرب ، فتكون الاستعانة بهذين الصنفين من رجاله (ع) ومصاحبتهم له مفهومة من اتخاذه لهم واسطة لتحقيق الغاية من ضرب المفسدين .

(١) ينظر: ارتشاف الضرب ٤٢٦/٢ ومغني اللبيب ١٣٧/١-١٥١ والجنى الداني ١٠٢-١١٧ .

(٢) اللغة الموحدة ٢٥٥ . (٣) أنصاريان ٢٠٣/١ .

(٤) ينظر : الخوئي ١٤١/٤ و ٤١٦/٤ والخوئي ٣٢٣/١٤ . (٥) نهج البلاغة الخطبة : الخطبة ٩١ ، ص : ١٥٨ .

(٦) ينظر : المعتزلي ٤٣١/٦ وأنصاريان ٢٨٦/١ . (٧) ينظر : الخوئي ٣٧٥/٦ .

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ٦ ، ص : ٣٧ .

(٩) ينظر : المعتزلي ٢٢٦/١ والبحراني ٢٨١/١ والشيرازي ٨٦/١ .

(١٠) ينظر : الخوئي ١٤٣/٣ .

وقد اشار الرضي - جامع النهج - الى اختصاص الباء بالاستعانة دون ان يفصل ، وذلك بعد ذكره لقوله (ب) في وصف الدنيا: (مَنْ قَعَدَ هَذَا وَاتَّهَى ، وَمَنْ أَبْصَرَ هَذَا بِصَوْتِهِ ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهِ مَا أَعْتَقَهُ)^(١)، إذ قال: «وإذا تأمل المتأمل قوله (ب) : وَمَنْ أَبْصَرَ هَذَا بِصَوْتِهِ ، وجد تحته من المعنى العجيب والغرض البعيد ما لا يبلغ غايته ، ولا يدرك ، لا سيما اذا قرن اليه قوله : ومن ابصر اليها اعتمه ، فانه يجد الفرق بين ابصر بها وابصر اليها واضحا نيرا وعجيبا باهرا»^(٢) . وفرق طائفة من الشراح بين الاستعمالين : (أبصر بها وأبصر إليها) تفرقا واضحا ، إذ فرق البيهقي بين الاستعمالين فعدّ ابصر بها دالا على العلم بحال الدنيا ، وابصر اليها بمعنى نظر اليها. وذلك أنه «يمكن ان يكون المعنى من ابصر بها اي جعلها آلة وواسطة لادراك السعادة الكبرى»^(٣) . والفعل (ابصر) من الافعال المتعدية بنفسها و«المسموع : ابصرت زيدا ، ولم يسمع ابصرت الى زيد»^(٤) . ولذا فسروا كلام الامام (ب) بتقدير محذوف تتعلق به الاداة (الى) وهو : توجه أو نظر ، ويكون المعنى : «ابصر متوجها اليها ، كقوله : ﴿ فِي تَسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِعْوَنَ وَقَوْمِهِ ﴾^(٥) ، ولم يقل مرسلا»^(٦) .

ويمكن القول: إن الفرق بين الاستعمالين (أبصر بها وأبصر إليها) ينبثق من المعنى الأصلي للأداتين الباء والى ، فالفعل (ابصر) ، إذا عدّي ب (الى) يكون المعنى أن الابصار غايته الدنيا الفانية فيكون مآله العمى. وإذا عدّي بالباء يكون المعنى أن الإبصار وسيلة لا غاية ، فالدنيا آلة وواسطة للابصار فتكون النتيجة التبصر، كما هو واضح من تنمة كل استعمال في قوله (ب) السابق .

٢ - دلالة الباء على الإصاق

ذكر البحراني دلالة الباء على الإصاق وهو يشرح قوله (ب) في الحث على الاقبال الى الآخرة ، وترك الحرص على الدنيا : (وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَلاَحِظَ الْمَذِيَّةِ نَحْوَكُمْ بِنَاطِيَةٍ ، وَكَأَنَّكُمْ بِمَظْهَبٍ أَوْ دَنَسْتُمْ فِيكُمْ ، وَوَدَّ دَهْمٌ كَهْفُهُ أَمْ مَفْطَعَاتُ الْأُمُورِ وَمَعْضَلَاتُ الْمُحَنُورِ ، فَهَظُّ عَوَا عَادِقِ الدُّنْيَا ، وَأَسْتَظْهَرُوا بِزَادِ التَّقْوَى)^(٧) . إذ بين ان (الباء في بمخالبها للإصاق) . وألمح إلى أن متعلق الباء هو الفعل (أمسك) الذي يحقق معنى الإصاق ، فيكون التقدير: (تمسكون بمخالبها)^(٨) . ثم قدره الخوئي بالفعل يبصرون ، والمعنى : «كانكم تبصرون بمخالبها»^(٩) ، وقدره مغنية بالفعل علق ، والمعنى : «كأن اظفاره قد علقت باجسامكم وقلوبكم»^(١٠) .

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٨٢ ، ص : ١١٩ .

(٢) نفسه ، ص ١١٩ - ١٢ .

(٣) البيهقي ١٥٥ . (٤) ينظر : المقاييس ١٣٥ والصحاح ٩٣ - ٩٤ .

(٥) النمل ١٢ وينظر : معاني الزجاج ٨٤/٤ وإعراب النحاس ١٦١/٣ والكشاف ١٣٨/٣ .

(٦) المعتزلي ٢٤٠/٦ . (٧) نهج البلاغة : الخطبة ٢٠٤ ، ص ٤٠٥ .

(٨) البحراني ٩/٤ وينظر : مغني اللبيب ١٣٧/١ .

(٩) الخوئي ٤٩/١٣ . (١٠) مغنية ٢٢٤/٣ .

ويمكن القول: إن دلالة الباء على الوسطة واضحة في هذا الموضع على الرغم من تعدد التأويل في كلام الشراح ، اذ إن المخالب هي واسطة ليبصروا ما يحدث لهم من مفضعات الامور ، وهي واسطة لتعلق الموت بالأجسام والقلوب ، وهي واسطة تمنع من الحركة عند الموت على تقدير الفعل (مسك) الذي يفيد التوقف عن الحركة . وانما ترك ذكر المتعلق في هذا الموضع لغرض دلالي لم يشر اليه الشراح ، وهو ترك المجال امام المتلقي لتقدير ما تعلق به حرف الباء ، وبذا تتعدد صور مجيء المنية الى الانسان وتمكنها منه على نحو يزيد الترهيب والتحذير منها .

٣ - دلالة الباء على المصاحبة .

وعليها قوله (٤) : (فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِلَيْسَ ، إِذْ أَهْبَطَ عَلَيْهِمُ اللَّطِّ وَيْلَ ، وَجَهَدَهُ الْجَهِيدَ ، وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللَّهَ سِنَةً آلَافَ سَنَةٍ ... عَنْ كَبِيرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَمَنْ ذَا بَعْدِ إِلَيْسَ يَسْلَمُ عَلَى اللَّهِ بِذَلِّ مَعْصِيَتِهِ ! كَلَّا مَا كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيَدْخُلَ الْجَنَّةَ بَشَرًا بِأَمْرِ أُخْرِجَ بِهِ هَذَا مَلَكًا)^(١) . فقد ذهب فريق من الشراح الى جعل الباء الداخلة على (امر) في قوله (٤) : (بأمر أخرج به) دالة على المصاحبة ، اي مصاحبة الامر ، والباء الداخلة على الضمير (الهاء) دالة على السببية^(٢) ، على حين ذهب فريق اخر الى توحيد دلالة الباءين في هذه العبارة وجعلهما دالتين على السببية ؛ « لان ما يكون سببا للخروج لا يكون سببا للدخال »^(٣) .

ورفض المعتزلي ان تكون الباء في (بامر) دالة على السببية « بل هي كالباء في قولهم : خرج زيد بثيابه ، ودخل زيد بسلاحه ، اي : خرج لابسا ، ودخل متسلحا ، اي : تصحبه الثياب ويصحبه السلاح ، فكذلك قوله (٤) : بامر اخرج به منها ملكا ، معناه ان الله تعالى لا يدخل الجنة بشرا يصحبه امر اخرج الله به ملكا منها »^(٤) . وانما اوجب المعتزلي دلالة الباء على المصاحبة في بامر دون السببية ليفسر دخول العاصين الى الجنة برحمة الله وعفوه . ولو كانت الباء للسببية لفهم منه انه تعالى لا يدخل الجنة بشرا بسبب امر اخرج به ابليس من قبل ، وبذا لم يدخل الجنة المتكبر . ولما استقر في ذهن المعتزلي دخول هذا النوع من البشر بعد غفران الله لهم ورحمته عليهم ، جعل الباء للمصاحبة ليصبح دخولهم الى الجنة ممكنا على الرغم من صحبتهم هذه المعصية وذلك بعد تحقق الاستغفار .

ويمكن القول ان دلالة الباء واحدة في الموضعين ، وهي ان امتناع دخول البشر الجنة يكون بواسطة امور كثيرة منها (الكبر) الذي خرج بسببه ابليس من الجنة . ولذا دخلت الباء ان على المعصية نفسها ، فالضمير في (به) يعود على (الامر) ، والمعصية هي واسطة لدخول النار .

٤ - دلالة الباء على المقابلة .

ومن امثلة الشراح على هذا المعنى ما في قوله (٤) في الدعاء : (فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ ، وَأَبْدِلْهُمْ بِي شَرًّا

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٢ ، ص ٣٦١ .

(٢) ينظر : المعتزلي ١٣٦/١٣ والبحراني ٢٤٨/٤ والخوئي ٢٧٨/١١ وانصاريان ٢٧٥/٢ والتستري ٣٦٠/١٤ .

(٣) السرخسي ٢٠٩/١ وينظر : الموسوي ٢٨٩/٣ . (٤) ينظر : المعتزلي ١٣٦/١٣

مَنِي^(١) ، اذ عدّوا الباعين في (بهم ، وبى) دالتين على المقابلة^(٢) ، وسماها بعضهم بباء العوض^(٣) . وأغرب البيهقيّ فعَدَّ الباء في هذين الموضوعين بمعنى (في) ليكون المعنى : « ابدلهم في من هو عندهم وعلى زعمهم ورايهم شرا مني... »^(٤) ، ولم يبين مراده بدلالة الباء على (في) ، أظرفية هي ام على تقدير محذوف؟ . ويبدو أن معنى المقابلة الذي ذكره معظم الشّراح مفهوم من دلالة الفعل (ابدل) على المقايضة ، ومقابلة المبدل بالمبدل منه ، وليست المقابلة مفهومة من وجود الباء . ويمكن القول : إن الباء في هذا الاستعمال هي واسطة لطلب الابدال ، اي : ابدلهم بواسطتي شخصا اخر ، فانا لا اليق بهم وهم عصاة ، وليست الباء عوضا لأن الامام (ع) لا شر فيه^(٥) .

٥ - دلالة الباء على القسم .

من ذلك ما في قوله تعالى : ﴿ قَدْ آلَ رَبِّ بَمَا أَغْوَيْتَنِي لِأُزِينَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾^(٦) الذي استشهد به الامام (ع) في خطبته المعروفة بالقاصعة^(٧) ، اذ ذهب معظم الشّراح الى أن الباء في (بما اغويتني) للقسم ، ثم أغرقوا في تأويل معنى الكلام مع إفادة الباء معنى القسم ، وهو أن يكون ابليس « اقسم باغواء الله اياه ليزين لهم في الدنيا المعاصي »^(٨) ، ووجه هذا أنه « لما كان تعالى خالق اسباب الغواية فيه كالقدرة والعلم وغيرها كانت له تعالى سببية في ايجاد الغواية وان كانت بعيدة ، فلذلك صح اسناد فعلها اليه تعالى »^(٩) . ثم ذكر بعضهم وجها اخر للباء هو الدلالة على السببية ، واختلفوا في تقدير الكلام ، فتارة عدّوا المعنى : « اجازيك باغوائك لي تزييني لهم القبيح »^(١٠) ، او « بسبب اغوائك اياي افعل بهم ذلك »^(١١) ، او « بما اضللنتي او بتكليفك اياي السجود »^(١٢) . وهذه الوجوه سبقهم الى القول بها مفسرو القرآن الكريم^(١٣) .

والقول بدلالة الباء على السببية يفرغ الكلام من معنى القسم فتبقى لام القسم لوحدها في التركيب من غير فعل القسم ، لذا اجاز بعضهم القول بان الباء افادت معنى السببية وان القسم محذوف ليكون تقدير الكلام : « بسبب اغوائك اقسم لافعلن »^(١٤) . ويبدو مما تقدم ان معنى السببية في الباء غير صحيح ؛ لان الله تعالى لا يتسبب في اغواء احد ، لا

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٢٥ ، ص ٥٨ ..

(٢) ينظر : الراونديّ ٢٠٢/١ والمعتزليّ ٣٤٨/١ والبحراني ١٩٢/٥ والشيرازي ١٤٢/١ .

(٣) ينظر : الشيرازي ١٤٢/١ . (٤) البيهقيّ ١١٣ .

(٥) ينظر : البيهقيّ ١١٣ والراونديّ ٢٠٢/١ والمعتزليّ ٣٤٨/١ والبحراني ١٩٢/٥ والشيرازي ١٤٢/١ .

(٦) الحجر ٣٩ . (٧) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٢ ، ص : ٣٦٢ .

(٨) الراونديّ ٢٣٨/٢ وينظر : المعتزليّ ١٣٩/١٣ والخوئي ٢٨٦/١١ والتستريّ ٣٦٤/١٤ والموسوي ٢٩٣/٣ .

(٩) البحراني ٢٢٩/٤ . (١٠) المعتزليّ ٢٣٨/٢ .

(١١) الراونديّ ٢٣٨/٢ . (١٢) الخوئي ٢٨٦/١١ وينظر : الموسوي ٢٩٣/٣ .

(١٣) ينظر : الكشاف ٣٩١/٢ ومجمع البيان ١١٧/١٤ .

(١٤) الراونديّ ٢٣٨/٢ وينظر : المعتزليّ ١٣٩/١٣ .

ابليس ولا غيره ، وما ذكره الشّراح من تخريجات لا تخلو من تكلف في توجيه المعنى ، وكذلك القول في جعل الباء للقسم ؛ لأنه سيكون المقسم به هو فعل الغواية الذي نسبوه الى الله تعالى بتكلفات بعيدة . ويمكن القول : إنّ الباء افادت معنى الواسطة ، اي : بواسطة الإغواء ، أما أسناد ابليس الإغواء إلى الباربي عز وجل (بما أغويتني) فمن باب المقابلة مع إغوائه الناس ، وهو صريح في (لأغوينهم) ، وهذا التقابل كثير في القرآن إذ نسب إلى الباربي المكر والكيد والرمي وغير ذلك . والباء تدل على الواسطة لا على القسم كما ذكر العلماء^(١) ، لان دلالة القسم متأنيّة من الفعل (اقسم) المفهوم من دخول اللام على المضارع المؤكد بنون التوكيد (لأغوينهم). ودلالة الفعل اقسام تعني البراءة من الموجودات والاعتماد على المقسم به في مجابهة الفناء ، فلا يجوز للمخلوق القسم الا بالخالق ، وهذا هو الفرق بين القسم والحلف^(٢) ، لأنّ الحلف يعني التحالف مع المحلوف به ولذا يجوز في حق الخالق والمخلوق ، اذ يمكن التحالف مع اي موجود . وتبقى الباء واسطة للتبرؤ والتخلي من كل شيء في الوجود والاعتماد على الله وحده ، ولذا نفى سبحانه ان يقسم باي من الموجودات في المواضع جميعها التي اسند فيها القسم الى ذاته سبحانه^(٣) . من ذلك قوله تعالى: ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾^(٤) و ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾^(٥) ، و (لا اقسام بالنفس اللوامة)^(٦) ، وغير ذلك ، لانه تعالى سيكون قد اعتمد في ابقاء ذاته على ما خلق ، وهذا محال^(٧) .

٦ - دلالة الباء على التعدي . وأمثلتها لدى الشّراح كثيرة ، كقوله (٤) : (نتيه بكم)^(٨) ، و (يذهب بكم)^(٩) ، و (استهام بك الخبيث)^(١٠) ، وغير ذلك . إذ بين الشّراح ان الفعل في هذه المواضع يصل الى مفعوله بحرف الجر الباء ، وهو معنى وارد في العربية^(١١) ، ويمكن القول ان «التعدي مطابقة لمعنى الباء كواسطة»^(١٢) ، فالباء واسطة لوصول الفعل الى المفعول ، والفعل اللازم لا يتعدى بالباء بل يبقى لازماً ويكتمل بواسطة الباء . فالتركيب : (ذهب به) ليس معناه اخذه ، وانما ذهب كعادته في الذهاب ولكن ذهابه لا يكتمل إلا به . والتهيه والذهاب والهيام في المواضع السابقة حصل كلّ منها بواسطة الضمائر المخاطبة ، لا ان هذه الافعال وقعت على الضمائر . ولم ينتبه على هذه

(١) ينظر : شرح المفصل ١٠٠/٩ ومغني اللبيب ١٣٨/١ والهمع ٣٨/٢ .

(٢) ينظر : الفروق اللغوية ٤٧ . (٣) ينظر : الحل القصدي ٢٢١ .

(٤) البلد ١ وينظر : إعراب النحاس ٢٣٨/٥ والكشاف ٢٥٥/٤ وتبيان العكبري ٤٦٣/٢ ..

(٥) الواقعة ٧٥ وينظر : الكشاف ٥٨/٤ .

(٦) القيامة ٢ وينظر : معاني الفراء ٢٠٧/٣ وإعراب النحاس ١٣٩/٥ والكشاف ١٨٩/٤ وتبيان العكبري ٤٣٧/٢ .

(٧) ينظر : اللغة الموحدة ٢٦٠ .

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٨ ، ص ١٩٧ . وينظر : المعتزلي ٩٠/٧ والخوئي ٢٩٨/٧ .

(٩) المصدر نفسه : الخطبة ١٠٨ ص ١٩٧ . وينظر : الخوئي ٢٩٨/٧ .

(١٠) نفسه : الخطبة ٢٠٩ ، ص ٤٠٨ وينظر : الراوندي ٣٣٠/٢ والخوئي ٣١٢/٨ .

(١١) ينظر : الخوئي ٣٨٥/٢٠ و انصاريان ٨٦/١ و ١٢٢ . (١٢) اللغة الموحدة ٢٦٠ .

الدلالة في الباء من شراح النهج غير الامدي في تنمة شرح الخوئي ، اذ لم يجعل دلالة الباء منصرفة الى التعدي وحدها ، وانما خلط معنى التعدي بمعنى المصاحبة في التركيب : ذهب به ، وكأنه يلمح الى ان الباء واسطة لوصول معنى الفعل الى المفعول بقوله : « وفي باء التعدي معنى المصاحبة ايضا ، وذلك اذا تعدى الفعل اللازم بباب الافعال يفيد معنى ، واذا تعدى بباء الجر يفيد معنى اخر يغاير الاول ، مثلا اذا قلت : اذهبت زيدا ، جعلت زيدا ذاهبا وما ذهبت معه ، واذا قلت : ذهبت بزيد جعلته ذاهبا وانت ايضا ذاهب معه »^(١) ، فالباء واسطة لذهاب الفاعل مع الاسم المجرور بالباء ، فلولا ذهاب الثاني لما ذهب الأول.

٧- دلالة الباء على التقدية . ومن أمثلتها لدى الشراح ما في قوله (٤) : (بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَدِدَ أَنْقَطَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النَّبِيِّ وَالْأَنْبِيَاءِ وَأَخْبَارِ السَّمَاءِ)^(٢) . إذ صرح معظم شراح النهج بأن تقدير الكلام هو : افديك بأبي وامي لانك اعزّ منهما عندي^(٣) ، ثم اصطلحوا على هذه الباء بباء للتقدية^(٤) ، وواضح انه لا دلالة للباء على التقدية وانما هي مفهومة من الفعل الذي قدره وهو (افدي) ، أي أن الباء باقية على معناها الأصلي وهو أنها واسطة لتمني المبادلة بين الرسول (صلى الله عليه وآله) والوالدين .

٨- دلالة الباء على السببية . ومن أمثلتها لدى الشراح^(٥) قوله (٤) : (سُبْحَانَكَ بِحُسْنِ لِدَائِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ . خَلَقْتَ لَرَأ...)^(٦) ، اذ اجمع شراح النهج على ان الباء في (بحسن) للسببية^(٧) ، الا انهم اختلفوا في المتعلق على قولين : الاول : أنها تتعلق ب (سبحانك)^(٨) ، والمعنى : إن التسبيح إنما هو بسبب حسن امتحان الله سبحانه ، إذ اختبر عباده اختبارا حسنا سهلا لا عسر فيه ولا صعوبة^(٩) ، والآخر : انها تتعلق بالفعل (خلقت)^(١٠) ، والمعنى « خلقت دارا بسبب حسن بلائك ، كما تقول : ضربت زيدا بسوء ادبه »^(١١) ، واستشهد بعضهم بقوله تعالى : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَانُوا حَرْمَنَا عَلَيْهِمْ طَبَائِطٍ أُحِطَّتْ لَهُمْ ﴾^(١٢) على مجيء الباء لمعنى السببية^(١٣) . والله تعالى لا تضره الذنوب ، وانما يعاقب على النوايا ، فالباء واسطة لوقوع العقاب الالهي وليست سببا له ، والظلم واسطة للتحريم على العباد .

(١) الخوئي ٢٤١/١٨

(٢) نهج البلاغة الخطبة : الخطبة ٢٣٥ ، ص ٤٥١ .

(٣) ينظر : الراوندي ٤١٥/٢ والمعتزلي ٢٤/١٣ والبحراني ١١٩/٤ وابو الفضل ٦٣ /٢ ومغنية ٣٥٢/٣ والموسوي ٩٦/٤ .

(٤) ينظر : الخوئي ١٤٣/١١ والشيرازي ٤١٠/٣ .

(٥) ينظر : المعتزلي ١٧٦/١٦ و٧٨/٢ والبحراني ٩٧/٤ و١١٣ والخوئي ٨٥/٢ وانصاريان ٤٥٨/٢ و٣٨١/٣ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٩ ص ٢٠٠ .

(٧) ينظر : المعتزلي ١٨٧ /٧ والبحراني ٦١/٣ وعبد ٢٢٨/١ والخوئي ٣٢٨/٧ والتستري ٣٦٧/١١ ومغنية ٤٦/٢ والشيرازي ١٨١/٢ .

(٨) ينظر : المعتزلي ١٨٧/٧ (٩) ينظر : الشيرازي ١٨١/٢ .

(١٠) ينظر : البحراني ٦١/٣ والتستري ٣٦٧/١١ . (١١) الخوئي ٣٢٨/٧ .

(١٢) النساء ١٦٠ . (١٣) ينظر : الخوئي ٨٥/٢ .

٩ - الباء بمعنى في

ومن أمثلتها لدى الشَّراح^(١) ما في قوله (هـ) في ابليس : (...ف) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ فَذُفَاءً بَغِيْبٍ بَعِيدٍ ، وَرَجْمًا بِظَنٍّ غَيْرٍ مُصِيبٍ ، صَدَقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ ، وَإِخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ ...^(٢) ، اذ ذهب فريق من شراح النهج الى ان الباء في (صدقه به) بمعنى (في) ، و «معناه : صدقه في ذلك الظن ابناء الحمية ، فاقام الباء مقام في»^(٣) ، وجوز بعضهم ان تكون الباء بمعنى اللام ، اي إن «تصديقهم له بذلك الظن هو ارتكابهم للذرائل والمعاصي اتباعا له»^(٤) . واخراج الباء الى معنى (في) او (اللام) هو عدول بها عن ظاهر استعمالها في كلام الامام (هـ) ، فقد وردت الباء دون الحرفين الاخرين ، ولو اريد معنى احدهما لاستعمله الامام (هـ) ، وانما جاء بالباء هنا لانها واسطة للتصديق ، فالظن الخاطيء هو واسطة ابليس للتصديق به .

١٠ - الباء بمعنى إلى

ومن أمثلتها لدى الشَّراح ما في قوله (هـ) في استنفار الناس الى اهل الشام : (مَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يَمَالُ بِكُمْ ، لَأُوزَوِّفَرُ عَرٌّ يَقْدَرُ إِلَيْكُمْ ...) ^(٥) ، اذ ذهب معظم شراح النهج الى القول بدلالة الباء في (يمال بكم) على معنى (الى) ، واكثرها من توجيه المعنى على هذا القول ، فمنهم من ذكر ان المراد : «لستم بركن يستند اليكم»^(٦) ، ومنهم من قدر المعنى : «ما انتم بركن تمالون الى الجهاد»^(٧) ، ومنهم من عدَّ المعنى : «ليسوا بثقات عنده يركن اليهم ابدا»^(٨) . وذهب بعضهم الى تضمين الفعل (مال) معنى وصل ليتضح كون الباء بمعنى (الى) ، «وانما جيء بـ(باء) الجر دون (الى) لإشراب الفعل معنى الوصول»^(٩) ، والتقدير : ما انتم بركن يميل الانسان اليكم لتحفظوه . واجاز الراوندي ان تكون الباء للسببية ، والمعنى : «ما انتم بركن للدين يمال بسبب سقوطه»^(١٠) . وأغرب الموسوي فعَدَّ الباء بمعنى (على) ، والمعنى أنه «نفي ان يكونوا قوة يعتمد عليها في انتزاع النصر»^(١١) . والفعل (مال) لازم يصح ان يصل الى مفعوله بالحرف (الى) ليبدل على جهة الوصول ، ويصل الى مفعوله بالحرف (على) ليبدل على الهيمنة والغلبة ، ومن هنا تكون الباء باقية على معناها فهي دالة على ان المخاطبين ليسوا واسطة للميل على العدو ، والجار والمجرور : (على العدو) مفهوم من الفعل (مال) لذلك استغنى الكلام عن ذكره اكتفاء بدلالة الميل . وفي ذكر الباء توبيخ للمخاطبين .

(١) ينظر : البحراني ١٨٣/٢ والخوئي ٣٥١/٥ و ٣٤٦/٨ و ٣٥٨ وانصاريان ١٩٣/١ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٢ ، ص ٣٦٢ .

(٣) المعتزلي ١٤٢/١٣ وينظر : البحراني ٢٥٢/٤ وعبد ٣٩٨/١ وابو الفضل ٩٢/٢ ومغنية ١١٥/٣ والشيرازي ١٨٢/٣ والتستري ٣٦٥/٤ .

(٤) البحراني ٢٥٢/٤ وينظر : انصاريان ٣٣٦/٢ . (٥) نهج البلاغة : الخطبة ٣٤ ، ص ٧٥ .

(٦) المعتزلي ١٩٠/٢ وينظر : السرخسي ٦٦/١ وانصاريان ١٥٠/١ وابو الفضل ٩٥/١ .

(٧) الراوندي ٢٣٨/١ . (٨) عبده ٩١/١ .

(٩) الشيرازي ١٨٠/١ . (١٠) الراوندي ٢٣٨/١ .

(١١) الموسوي ٢٦٩/١ وينظر : ١٨٠/١ .

١١ - الباء بمعنى عن

ومن أمثلتها لدى بعضهم ما في قوله (٤) : (اسْتَعْدُوا لِمَسِيرِ الْإِلَى قَوْمِ حَيْلَارَى عَنِ الْحَقِّ لَا يُبْصِرُونَهُ ، وَمَوْرَعِينَ بِالْجَوْرِ لَا يُعْدِلُونَ بِهِ ، جُفَاءً عَنِ الْكِتَابِ ، نُكِبَ عَنِ الطَّرِيقِ) (١) ، اذ انفرد الخوئي (٢) بتضمين الباء في (لا يعدلون به) معنى (عن) ، واستدل عليه بقوله تعالى : ﴿ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾ (٣) ، اما سائر شراح النهج فلم يضمنوا الباء معنى حرف اخر ، بل ضمنوا (يعدلون) معنى (يرضون) والمعنى : « لا يعدلون بالجور شيئاً اخر ، اي : لا يرضون الا بفعل الظلم » (٤) وضمن بعضهم (يعدلون) معنى يستبدلون ، اي : لا يستبدلونه بالعدل (٥) .

ويمكن القول ان الفعل (عدل) يتحدد معناه حسب الحرف الذي يتعلق به ، فاذا جاء مع الحرف (عن) : (عدل عن كذا) صار المعنى : تركه ، وقد نبه على هذا المعنى انصاريان بقوله : « لا يعدلون عنه ، اي : لا يتركونه الى غيره » (٦) ، واذا عدي بالحرف (الى) صار المعنى : تحول الى جهة كذا ، اما اذا تعدى بالباء (عدل بكذا) فهذا يعني انه جعل الشيء واسطة للعدول نحو شيء اخر او عن شيء . اما الآية التي استدل بها الخوئي على مجيء الباء بمعنى (عن) فلان (السؤال) كثر تعديده بـ(عن) فلما جاء بالباء ضمنها الشراح معنى (عن) ، ويبدو ان الباء هنا هي واسطة السائل لسؤال الخبير ، وقد ذكر الزمخشري الفرق بين الاستعمالين : (سأل به) الذي يعني : « اعتنى به ، واشتغل به ، وسأل عنه ، كقولك : بحث عنه وفتش عنه » (٧) وهذا يؤكد ان سأل به يعني أنه لشدة عنايته به جعله واسطة لمعرفة الخبير وسؤاله .

١٢ - الباء بمعنى مع

صرح الامدي بهذه الدلالة وهو يشرح قوله (٤) من كتاب له الى اهل الكوفة : (وَاعْلَمُوا أَنَّ دَارَ الْهَجْرَةِ نَقَلَتْ بِاللَّهِ لَأَنَّ قَوْلَهُمْ بِاللَّهِ) (٨) ، اذ بين ان « الباء في الموضوعين بمعنى مع ، فيكون أكد للمراد » (٩) ، والمعنى ان المدينة فارقت اهلها واخرجتهم ، وكذا قلعوا بها ، اي انهم فارقوها وخرجوا منها . اما سائر شراح النهج فذهبوا الى القول بتضمين الفعل (قلع) في الموضوعين معنى فعل اخر يتعدى بالباء بعد ان استقر لديهم ان الفعل (قلع) متعد بنفسه (١٠) ، فالبحراني ضمن قلع في الموضوع الاول معنى نبا ، اذ يقال : قلع المنزل إذا نبا بأهله فلم يصلح لاستيطانهم ، وفي الموضوع الثاني قلع بمعنى فارق والمعنى أنها كبت بهم ففارقوها (١١) . وعد آخرون (قلع) في الموضوع الاول بمعنى (رحل) ، وفي الموضوع

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٢٥ ، ص ٢٣٠ .

(٢) ينظر : الخوئي ١٧٢/٨ ، ١١٠/١٧ . (٣) الفرقان ٥٩ .

(٤) الراوندي ٤٢/٢ وينظر : الكيدري ٥٧٧/١ والمعتزلي ١٠٧/٨ والبحراني ٢٧/٣ وعبد ٢٥٩/١

والتستري ٣٠٦/١٠ وانصاريان ٤٢١/١ وابو الفضل ٢٩٢/١

(٥) ينظر : الموسوي ٣٥٠/٢ . (٦) انصاريان ٤٢١/١ .

(٧) الكشف ٩٨/٣ . (٨) ينظر : السرخسي ٢١٢/١ والخوئي ٣٠٣/١١ .

(٩) نهج البلاغة : الرسالة ١ ، ص ٤٥٩ . (١٠) الخوئي ٢٠١/١٦ .

(١١) ينظر : البحراني ٣٣٨/٤ .

الثاني بمعنى (ازعج) ، أي: رحلت بأهلها ، وأزعجوا بتلك الدار^(١) . على حين عدّ الشيرازي (قلع) في الموضع الاول بمعنى انتقل ، وفي الموضع الثاني بمعنى فارق^(٢) . وجمع فريق منهم معنى (قلع) في الموضعين ، فذهب الشارح عبده الى أنهما بمعنى (نبد)^(٣) ، وذهب ابو الفضل إلى إنهما بمعنى (فارق)^(٤) ، وذكر مغنية انهما بمعنى (اخرج)^(٥) . وخالف المعتزلي فلم يذهب الى تضمين الفعل (قلع) معنى فعل اخر ، وإنما عدّ الباء في الموضع الاول زائدة ، وفي الموضع الثاني بمعنى (من)^(٦) ، ولم يبين علة مجيء كل واحدة من الباعين بمعنى يغاير الاخرى مع انهما متعلقتان بالفعل نفسه . والقول في دلالة التركيب (قلع به) يستلزم البحث عن دلالة (قلع) ، فهو فعل متعد بنفسه ، يقال : قلع الشيء ، اذا انتزعه من اصله او حوله عن موضعه^(٧) ، ولو كان المعنى كما ذكر الشّراح من حصول الرحيل والافتراق والاخراج من دار الهجرة لانتفت الحاجة الى ذكر حرف الباء ، أولكانت الباء زائدة كما ذكر المعتزلي ، ولذا يمكن القول ان المعنى غير ما ذكره الشّراح ؛ لان الباء دخلت هنا لتبين ان دار الهجرة غير مستوطنة لعدم وجودهم فيها ، وكذلك هم بواسطتها قلعوا منها فلم تعد مقرّاً لهم .

١٣ - الباء بمعنى (على)

ذكر الراونديّ هذا المعنى وتابعه فيه الخوئي^(٨) ، وذلك في شرحهما قوله (ع) : (أما بعدُ فإنّ الأمرَ ينزلُ من السّماءِ إلى الأرضِ كقطراتِ المطرِ ، إلى كلّ نفسٍ بما قسمها ما من زيادةٍ أو نقصانٍ)^(٩) ، فالباء في (بما قسم لها) بمعنى (على) . والفعل (نزل) فعل لازم يتعدى الى المفعول بحروف عدة^(١٠) ، يقال : نزل عن ، بمعنى إشارة إلى مكان مستعل ، ونزل الى ، إشارة إلى مكان هابط ، ونزل في ، إشارة إلى ظرف معين ، ونزل من ، إشارة إلى بداية النزول ، ونزل على ، إشارة إلى استعلاء ، ونزل ب ، إشارة إلى واسطة النزول . ومراده (ع) ان الرزق ينزل بواسطة القسمة الالهية المعدة في اللوح المحفوظ ، دون تخصيص لمن ينزل عليهم الرزق او مقدار الرزق او جهته او صورته .

١٤ - الباء بمعنى (من)

أقر محمد عبده هذه الدلالة ، وهو يوضح قوله (ع) في صفة الملائكة : (وَلَمْ يَرَمِ الشُّكُوكُ بِنِوَاهِهِمْ عَزِيمَةَ إِيْمَانِهِمْ)^(١١) ، اذ ذكر ان الباء في بنوازعها بمعنى من التي تفيد التبعية ؛ لأن الباء دخلت على الجمع : (بنوازع) بمعنى الشهوات^(١٢) والمعنى ان الشكوك لم ترم من هذه النوازع عزيمة ايمانهم . وهو معنى متكلف وبعيد عن مراده (ع) ؛ لان التبعية غير مراد بحق الملائكة ، وانما المراد نفي الشكوك عن صدق ايمانهم بصورة مطلقة ، والمعنى : ان الشكوك

- | | |
|---|---|
| (١) ينظر : الراونديّ ١٥١/٣ والسرخسي ٢٢٦/١ . | (٢) ينظر : الشيرازي ٤٢٦/٣ . |
| (٣) ينظر : عبده ٣/٢ . | (٤) ينظر : ابو الفضل ١٢٨/٢ والموسوي ١٢٠/٤ . |
| (٥) ينظر : مغنية ٣٧٦/٣ . | (٦) ينظر : المعتزلي ٧/١٤ . |
| (٧) ينظر : المقاييس ٨٥٩ والقاموس المحيط ٦٩٦ . | (٨) ينظر : الراونديّ ١٩١/١ والخوئي ٣٢٠/٣ . |
| (٩) نهج البلاغة : الخطبة ٢٣ ، ص ٥٣ . | (١٠) ينظر : المقاييس ١٠٢٢ . |
| (١١) نهج البلاغة : الخطبة ٩١ ، ص ١٥٧ . | (١٢) ينظر : عبده ٢١١/١ . |

لم ترم ايمانهم بواسطة نوازعها ، وقد المح الراوندي الى هذه الدلالة بقوله: «عزيمة ايمانهم : مفعول لم ترم الذي يتعدى بنفسه ، والباء تدخل بالمفعول الذي يكون مرمياً لا في المرمي اليه ، أي : لايدخل شك ايمانهم المعزوم عليه ولا ترمي الشكوك ايمانهم الذي معه اليقين بفساد ولا اثر شهوة بوجه قبيح»^(١) .

١٥ - الباء الزائدة

كثرت مواضع زيادة الباء لدى الشراح^(٢) ، ومرادهم بزيادة الباء كونها فضلا ، لا دلالة لها على معنى معين فهي زائدة على التركيب الذي يستقيم بحذفها فلا حاجة اليها فيه^(٣) . ومن امثلة الشراح على زيادة الباء المفرغة من الدلالة قوله (هـ) : (الزُمُوا الْأَرْضَ ، وَاصْبِرُوا عَلَى الْبَلَاءِ ، لَا تَحْرُكُوا بِأَيْدِيكُمْ وَسُيُوفِكُمْ هَ عَوَّالْسِنَتِكُمْ ، لَا وَتَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يُعَجِّلْهُ اللَّهُ لَكُمْ)^(٤) ، اذ ذهب كثير منهم الى ان الباء في (بايديكم) زائدة ، ليجعلوا الايدي والسيوف مفعولين للفعل تحركوا ، والمعنى هو : لا تحركوا ايديكم وسيوفكم في هوى ألسنتكم^(٥) ، واجاز الراوندي وتبعه الخوئي وجها اخر ، وهو ان تكون الباء دالة على السببية ، ويكون مفعول تحركوا محذوفا تقديره : (شيء) او (الفتنة)^(٦) . ويمكن ان تكون الايدي والسيوف مفاعيل للحركة ودخلت الباء لتعطيها الدلالة على الواسطة والمفعولية في ان واحد ، فالايدي والالسن واسطة للحركة في هوى الالسن لذلك نهى (هـ) عن هذه الحركة.

ومن امثلتهم على زيادة الباء - ايضا - قوله (هـ) : (فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصْرِكَ لَبِكَ ...) ^(٧) ، اذ جعل فريق منهم الباء في (ببصر) زائدة (اي : ارم ببصرك)^(٨) ، وانما حكموا بزيادة الباء لان الفعل (رمى) متعد بنفسه فلا بد له من مفعول صريح لم يدخله حرف جر ، وقد كانت للشراح التسريّ النفاثة دلالية مهمّة وجه بها دخول الباء في هذا التركيب بقوله : «ان رمى وان كان متعديا بنفسه ، فتقول : رميت الصيد ، الا انه بالنسبة الى الاول ، واما الثاني فلا ، تقول : رميت الصيد بالسهم ، والبصر هنا المفعول الثاني .»^(٩) .

(١) الراوندي ٣٩٩/١ .

(٢) ينظر في زيادة الباء : المعتزلي ٢٦٧/٦ و١١٣/١٣ و٧٥/١٦ و١٣٣/١٩ و٣٣٥ و الخوئي ٥١/٤ و١٧/٨ وانصاريان ٢٢١/٢ وعبد ١٣٧/٣ ومغنية ٣٤٢/١ و٤٩٩/٦ .

(٣) ينظر : ارتشاف الضرب ٤٢٩/٢ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٠ ، ص ٣٥٥ .

(٥) ينظر : الراوندي ٤٥١/٢ والبحراني ١٩٢/٤ والخوئي ١٨٩/١١ .

(٦) ينظر : الراوندي ٤٥١/٢ والخوئي ١٨٩/١١ .

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ١٦٥ ، ص ٣٠٠ .

(٨) ينظر : الخوئي ١٦٤/١٠ ومغنية ٤٧٧/٢ والشيرازي ١٦/٣ .

(٩) التسريّ ١٠٧/٣ .

ومن ذلك - أيضا - شرحهم لقوله (ع) في الخطبة القاصعة : (... أَنَا وَضَعْتُ فِي الصَّغْرِ بِكَلِيبِ الْعَرَبِ ، وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ رُؤُونِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ ...)^(١) ، اذ ذهب معظم الشراح الى زيادة الباء في (بكلاكل) ، والمعنى هو : وضعت كلاكل العرب ، والمراد اذلالهم واهانتهم^(٢) ، واحتمل الشراح البحراني وجها اخر للباء ، وهو ان تدل على الالتصاق ، والمعنى : « فعلت بهم الوضع والاهانة »^(٣) ، على حين انكر التستري القول بزيادة الباء او كونها للالتصاق ، وجعلها دالة على التعدي ليكون الكلام « كناية عن اذلالها كعبير تسقطه على الصدر فلا يقدر على التحرك »^(٤) ، ويبدو ان تعدي الفعل (وضع) بنفسه الى مفعوله حمل الشراح على القول بزيادة الباء ، ولذا تلمس الشراح أوجها أخرى. ودلالة الفعل (وضع) تتصرف الى خفض الشيء وحطه^(٥) ، وهو فعل متعد بنفسه ، ولما تعلق الباء به دل على ان الوضع تم بواسطة كلاكل العرب وهم صدور العرب واعيانهم المبرزين ، فلا زيادة للباء ، فضلا عن ان الالتصاق لا معنى له هنا .

ولما كانت الزيادة عند الشراح تعني خلو الحرف من الدلالة ، أضفوا مسحة دلالية على الباء الزائدة في التراكيب القرآنية : ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾^(٦) و ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾^(٧) ، الى القول بان « الباء زائدة للتأكيد »^(٨) . والحق ان الباء ليست زائدة وانما تعلقت بالفعل المتعدي (كفى) لغرض دلالي محدد ، فالفعل كفى دال على الحسب الذي لا مستزاد فيه ، « يقال : كفاك الشيء يكفيك ، وقد كفى كفاية اذا قام بالامر »^(٩) ، والله تعالى قائم بامر العباد وكافيهم عن غيرهم بصورة مطلقة وفي نواحي حياتهم كلها ، فاذا دخلت الباء على هذا التركيب حددت جهة الكفاية لغرض يتطلبه مراد المتكلم في ذلك السياق ، فكفى بالله شهيدا ، تعني : كفى بواسطة الله تعالى الشهادة على افعال الظلمة ، وكذلك كفى بواسطة تعالى حساب الكفار .

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٢ ، ص ٣٧٨ .

(٢) ينظر : المعتزلي ١٩٧/١٣ والبحراني ٢٨٦/٤ والخوئي ٢١/١٢ .

(٣) البحراني ٢٨٦/٤ .

(٤) التستري ٤٩٦/١٤ .

(٥) ينظر : المقاييس ١٠٩٤ .

(٦) النساء : ٦ .

(٧) الفتح ٢٨ .

(٨) الخوئي ٢٠١/١٦ . وينظر : المعتزلي ١٤٤/١٩ و ٢٦٧/٦ والبحراني ٣٥٤/٣ والسامرائي ١٨١ .

(٩) المقاييس ٩٢٩ وينظر : القاموس المحيط ١٢٢ .

المطلب الثاني : دلالة الفاء

ثبت الشراح نقلا عن النحويين عدة دلالات للفاء أهمها:

١ - دلالة الفاء العاطفة على الترتيب والتعقيب

اشار شراح النهج في مواضع كثيرة^(١) الى افادة الفاء الترتيب والتعقيب بلا مهلة بين المعطوف والمعطوف عليه ، وهذه هي الدلالة الرئيسية لها^(٢) . وفيما يخص عطف الفاء للجمل ، انفرد الخوئي بتفصيل دلالتها في عطفها للجمل وهو يشرح قوله (٤) : (مَعَاشِرَ النَّاسِ إِنَّ النَّسَاءَ نَوَاقِصُ الْإِيمَانِ ، نَوَاقِصُ الْحُطُوطِ ، نَوَاقِصُ الْقَوْلِ : فَأَمَّا نَقْصَانُ إِيْمَانِهِنَّ فَمَعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ ...) (٣) ، اذ قال : « ان عطف الفاء جملة على جملة افادت كون مضمون الجملة التي بعدها عقيب مضمون التي قبلها بلا فصل ، نحو : قام زيد فقعد عمرو ، وقد تفيد فاء العطف في الجمل كون المذكور بعدها كلاما مرتبا في الذكر على ما قبلها ، لا ان مضمونه عقيب مضمون ما قبلها في الزمان ، كقوله تعالى: ﴿ فَانظُرُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَدَبِّسْ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (٤) ، وقوله : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ تَبَوُّاً مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (٥) ، فان ذكر ذم الشيء او مدحه يصح بعد جري ذكره ... ومن هذا الباب عطف تفصيل المجمل على المجمل كقوله : ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي ﴾ (٦) ، وتقول: اجبته ، فقلت : لبيك ... وكلام الامام (٤) من هذا القبيل ؛ لانه بعد الاشارة الى نقصان ايمانهن وعقولهن وحظوظهن اجمالا لانه على تفصيل جهة النقصان بقوله : فاما نقصان ايمانهن» (٧) ، وفي موضع اخر مثل للفاء في تفصيل المجمل بقوله تعالى: ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ (٨) . وما ذكره الخوئي هو تلخيص لاراء النحاة في هذه المسألة ، اذ ذهبوا الى ان المعطوف بالفاء اذا وقع زمانه بعد زمان المعطوف عليه كانت الفاء مفيدة للترتيب المعنوي^(٩) ، اما اذا وقع المعطوف بها بعد المعطوف عليه في الذكر دون الزمن فهي للترتيب الذكري^(١٠) . فالفاء في الترتيب الذكري لا تعد تعقيبية ، وانما تقتصر دلالتها على ترتيب المذكورات مفارقة بذلك دلالتها الاصلية ، وتصير لتفصيل الكلام بعد اجماله ، او تصير لذم الشيء او مدحه بعد ذكره ، وهذا امر فيه

(١) ينظر: المعتزلي ٥٠/٧ والبحراني ١٥٥/٤ ، ١٩٧ ، ٢١٠ ، ومغنية ٥٣٥/٤ والشيرازي ١٩٨/٢ .

(٢) ينظر : الكتاب ٣٠٤/٢ والمقتضب ١٠/١ والمخصص ٤/٤٠١/٤٠١ ورصف المباني ٣٧٦ والصاحبي ١٠٩

وشرح المفصل ٩٥/٨ وارثشاف الضرب ٦٣٦/٢ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٨٠ ، ص ١١٨ .

(٤) النحل ٢٩ . (٥) الزمر ٧٤ .

(٦) هود ٤٥ . (٧) الخوئي ٣٠٢/٥ .

(٨) الاعراف ٤ وينظر : الخوئي ٩٨/٧ .

(٩) ينظر : شرح ابن الناظم ٢٢٣ والجنى الداني ١٢٢ ومغني اللبيب ٢١٣/١ وشرح التصريح ١٣٨/٢ والهمع ٢٣٢/٥ .

(١٠) ينظر : شرح التصريح ١٣٨/٢ ومغني اللبيب ٢١٣ /١ والجنى الداني ١٢٢-١٢٣ والنحو الوافي ٤٦٣/٣ .

نظر ، فالدلالة الاصلية للفاء على الترتيب والتعقيب يمكن ملاحظتها في الامثلة المذكورة ، فما قاله الخوئي من الترتيب الذكري للفاء في ذم الشيء او مدحه وهو قوله تعالى: ﴿ فَانظُرُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَدَبِّسْ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (١)

انما هو للتعقيب الزمني ايضا - اذ ان نم الداخليين لجهنم لم يكن زمن النطق به قبل دخولهم جهنم ، بل بعد زمن دخولهم ، وكذلك القول في مدح المذكورين ، وليس المذكور بعد الفاء كلاما مرتبا على ما قبلها في الذكر دون اعتماد للزمن كما ذكر الخوئي متابعا للرضي^(٢) .

اما فيما يتعلق بالترتيب الذكري بالفاء الواردة للتفصيل بعد الاجمال ، فهو -ايضا- غير مجرد عن التعقيب الزمني ، فقله (٤) : (فأما نقصان إيمانهم) الذي ذهب الخوئي الى دلالة الفاء فيه على التفصيل بعد الاجمال وخلوها من الدلالة على التعقيب الزمني فهو يحتاج الى وقفة عند المعنى ، فان الامام (٤) ذكر ثلاث صفات للنساء على وجه العموم ، ثم بين علة كل صفة من صفات النقص الثلاث ، فكان دخول الفاء على جملة (فاما نقصان إيمانهم) لبدء التعليل للنقص الاول ، والشراح انفسهم لوحوا بانه (٤) جعل (نقصان الصلاة نقصانا في الايمان)^(٣) ، اي علة لنقصان الايمان، ثم علل النقصين الاخرين على الوتيرة نفسها ، فلما احتاج الكلام الى الربط بجملة (نقصان الايمان) جيء بالفاء التي من شأنها الدلالة على الترتيب والتعقيب في ذكر الاحداث المعللة. اما ما ذكره الخوئي من تجرد الفاء من الدلالة على التعقيب الزمني ، ولزومها التفصيل بعد الاجمال في قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا ﴾^(٤) ، فهو امر اختلفت فيه اقوال السابقين ، فمنهم من جرد الفاء من دلالتها على التعقيب وجعلها للترتيب المفصل للاجمال ، وهو ما صرح به الرضي^(٥) ، وذكر الفراء وجها آخر في قوله : « يقال : انما اتاها البأس من قبل الاهلاك ، فكيف تقدم الهلاك؟ قلت : لان الهلاك والبأس يقعان معا ، كما تقول : اعطيتني فأحسننت ، فلم يكن الاحسان بعد الاعطاء ولا قبله : انما وقعا معا ، فاستجيز ذلك . وان شئت كان المعنى : وكم من قرية اهلكناها فكان مجيء البأس قبل الاهلاك ، فاضمرت كان»^(٦) ويفهم من قول الفراء هذا وجهين : الاول يجرد الفاء من دلالتها على التعقيب الزمني ، ويجردها من الترتيب ، وهو ما أوضحه الفراء من ان الفعلين المتعاطفين في الاية من الاهلاك والبأس هما مما يقعان معا ، وبذا انصرفت دلالة الفاء الى العطف دون ملاحظة الترتيب والتعقيب ، وتابعه على ذلك ابن عصفور^(٧) .والآخر يبقي للفاء دلالتها على التعقيب والترتيب الا انه يحمل الكلام على الحذف ، من نحو : كان مجيء البأس قبل الاهلاك ، وهو تاويل الفراء السابق ، وتقديره : اردنا اهلاكها فجاءها بأسنا ، وهو تقدير يخرج الاهلاك عن كونه واقعا الى كونه ارادة مجردة^(٨) . وغير ذلك من التقديرات^(٩) .

(١) النحل ٢٩ . (٢) ينظر : شرح الكافية ٣٦٥/٢ .

(٣) ينظر : المعتزلي ٢١٤/٦ والبحراني ٢٢٣/٢ وعبد ١٤٠/١ والتستري ٣٢٠/١ وانصاربان ٢٢١/١ والشيرازي ٣٠٤/١ .

(٤) الاعراف ٤ . (٥) ينظر : شرح الكافية ٣٦٥/٢ .

(٦) معاني الفراء ٣٧١/١ . (٧) ينظر : شرح جمل الزجاجي ٢٢٨/١ .

(٨) ينظر : شرح التصريح ١٣٩/٢ . (٩) ينظر : مجمع البيان ٣٩٦/٤ والبرهان ٢٩٤/٤ - ٢٩٥ .

والافضل ترك الفاء على دلالتها على الترتيب والتعقيب بلا حمل للكلام على الحذف والتاويل . فان دلالة الكلام لا تحمل على مشيئة الشارح او المفسر او النحوي ، وانما تحمل على مراد المتكلم . ويمكن ان توجه الاية بالاعتماد على

توضيح دلالة الفعل (هلك) التي تفيد ان الاهلاك هو فعل بطيء الحركة لانه انهاك حتى الموت ، وقد استعمل في القرآن لهذا المعنى وحسب ، قال تعالى في شأن يعقوب (ع) وأبنائه: ﴿قَالُوا تَاللّٰهِ تَفَدًا تَذْكُرُ يَوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾^(١) ، تنبيها له الى ان الحزن على يوسف (ع) يؤدي الى الهلاك ، ومعلوم ان الحزن لا يفعل ذلك الا بعد مرور زمن طويل ، والفعل المتعدي (هلك) يفيد توفير الاسباب المؤدية للهلاك ، فقوله تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾^(٢) يعلم منه انه سبحانه شملهم بأنواع من العذاب قبل مجيء الهلاك منها: السنين ونقص الاموال والايات لاتمام الحجة عليهم .

وانما الشيرازي في هذا الشأن وهو يبين دلالة الفاء في قوله تعالى: ﴿مِثْلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾^(٣) . الذي تمثل به الامام (ع) وهو يذم الدنيا ويبين سرعة زوالها^(٤) ، اذ اكد الشارح على بقاء معنى الترتيب والتعقيب في دلالة الفاء في هذه الاية ، وان فصل بين نزول المطر وصيرورة النبات هشيمًا يابسًا بأفعال كثيرة شغل بعض الشراح انفسهم في ذكرها ، كقول الراوندي: «فالتقى بسبب الماء النبات ، وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا ، يعني نبت بذلك الماء نبات بعضه ببعض تروه حسنا فصار هشيمًا كسيرا متفتتا تنقله الريح من موضع الى موضع»^(٥) ، وعلا ذلك بقوله: «وفي هذا من البلاغة ما لا يخفى حتى كانه لم يكن فصل بين اختلاط الماء بالنبات وبين ان يصبح هشيمًا الا بمقدار الفاء»^(٦) ، ليكون «دليلا على سرعة الدنيا»^(٧) .

اي ان المراد من هذا المثل سرعة التحول ولفت الانتباه الى الحال الأخيرة ، وهي تحول النبات الى هشيم متناثر ، وهي حال لا ينظر معها سلسلة التحولات ، وانما يقف المعتبر على اول الحال وآخره ، كانه لا زمن بين الحالين ، فجاءت الفاء في مكانها في الاية لتزيح النظر عن هذه التحولات وتبقي الاعتبار بالحالين ، وبذا قدم الشارح الشيرازي تفسيراً دلالياً ابتعد فيه عن التاويل وحافظ على دلالة الفاء مبتعداً عن اضطراب النحاة بين قائل بان الفاء في هذه الاية ومثيلاتها^(٨) «قد يكون معها مهلة»^(٩) ، او «انها بمعنى ثم»^(١٠) ، او تقديرهم لمحدوف يصور المراحل المذكورة لهذا التحول^(١١) .

- | | |
|--|--|
| (١) يوسف ٨٥ . | (٢) الانعام ٦ وينظر : النظام القرآني ٢٠٤ . |
| (٣) الكهف ٤٥ . | (٤) ينظر : نهج البلاغة : الخطبة ١١١ ، ص ٢٠٦ . |
| (٥) الراوندي ١ / ٤٧٥ وينظر : المعتزلي ٧ / ٢٢٩ والبحراني ٣ / ٨٤ والتستري ١١ / ٤٥٣ . | (٦) الشيرازي ٢ / ١٩٨ . |
| (٧) نفسه ٢ / ١٩٨ . | (٨) كما في الحج ٦٣ والأعلى ٤ - ٥ . |
| (٩) تسهيل الفوائد ١٧٥ . | (١٠) ينظر : ارتشاف الضرب ٢ / ٦٣٧ والجنى الداني ١٢١ . |
| (١١) نفسه ١٧٥ . | |

هذا المعنى ذكره النحويون ضمن معاني الفاء العاطفة^(١) ، وعلل ابن جني صلاحية الفاء العاطفة للدلالة على السبب في مثل قولهم : الذي اكرمني فشكرته زيد ، بقوله : « اختيرت الفاء من بين حروف العطف لان الاكرام علة لوقوع الشكر ، فعطف بالفاء لان المعلول ينبغي ان يقع ثاني العلة بلا مهلة»^(٢) ، اي ان دلالة الفاء على الترتيب والتعقيب هو الذي سَعَمَجِيئُهَا للتعليل ، وقد صرح الخوئي بافادة الفاء معنى السببية لدلالاتها على الترتيب بين المتعاطفين بلا مهلة ، كما في قوله (٤) : (وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ ، مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْتُ السَّرَائِرِ وَسُوءُ الضَّمَائِرِ ، فَلَا تَوَازَرُونَ ، وَلَا تَتَّصِحُونَ ، وَلَا تَبَادُلُونَ ، وَلَا تَوَاتُونَ .)^(٣) ، اذ قال : « الفاء في قوله فلا تَوَازَرُونَ عاطفة مفيدة للسببية ، نحو : يقوم زيد فيغضب عمرو ، اي : صار قيامه سببا لغضب عمرو »^(٤) ، فقدم دلالة الفاء على العطف المرتب واشعاره لذلك بالسببية ، وهذا ما المح اليه الشارح البحراني في موضع اخر من النهج^(٥) .

واصطلح بعضهم على بعض أمثلة الفاء السببية بالفاء (التفريعية) ، لأنها تفريع للعلل الناتجة من معلول واحد ، من ذلك ما ذكره الخوئي من دلالة الفاء في قوله (٤) : (وَالنَّاسُ فِي فِتْنٍ أَنْجَدَمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ ، وَتَرَعَزَعَتْ سَوَارِي الْيَقِينِ ... فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَطْرُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ)^(٦) ، فالفاء السببية في هذا الموضع تفيد تفريع الجمع (هم) إلى أصناف متفرقة^(٧) . ومثلها الفاء في قوله (٤) : (...فَكَيْفَ وَإِنَّمَا صَدَرَتِ الْأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ ، الْمُنْتَهَى أَصْنَافَ الْأَشْيَاءِ ... فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ وَأَدْعَنَ لِطَاعَتِهِ ، وَأَجَابَ إِلَى دَعْوَتِهِ ، وَلَمْ يَعْتَرِضْ تَوْنَهُ رَيْبُ الْمُبْطِئِ ، لِأَوَانَةِ الْمُتَلَكِّيِ)^(٨) . فالفاء في (فتم) تفريع لتمام الخلق إلى أصناف متعددة^(٩) .

(١) ينظر : الجنى الداني ١٢٣ ومغني اللبيب ٢١٥/١ والبرهان ٢٩٨/٤ والاتقان ١٦٦/١ .

(٢) سر الصناعة ٢٥٣/١ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١١٣ ، ص ٢١١ .

(٤) الخوئي ٤٣/٨ وينظر : ١٦٩/٦ ، ٣٨١/٤ .

(٥) ينظر : البحراني ٣١٤/٢ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ٢ ، ص ٢٦ .

(٧) ينظر : الخوئي ٤٨/١٥ والشيرازي ٥٣/٢ .

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ٩١ ، ص ١٥٣ .

(٩) ينظر : الشيرازي ٥٣/٢ .

انفرد الخوئي بذكر هذه الدلالة في شرحه قوله (هـ) يصف الدنيا : (دَلَّهَا هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا فَطَطَّ حَلَالًا بِحَبْلِهِمْ أ ، وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا)^(١)، إذ قال : « الفاء في قوله : فخلط حلالها بحرامها فصيحة ، اي : اذا كانت مهانة على الله فخلط»^(٢) . وهذا النوع من الفاء لدى النحاة فرع من الفاء العاطفة التي يحذف معها المعطوف عليه ويكتفى بالمعطوف للدلالة عليه ، إذ « هي التي يحذف فيها المعطوف عليه مع كونه سببا للمعطوف من غير تقدير حرف الشرط»^(٣) ، ومن امثلتهم لهذه الفاء قوله تعالى : ﴿ أَنْ اضْرِبْ بِصَاكِ الْحَجَرَ فَاتَّبَعَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾^(٤) ، وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾^(٥) . وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾^(٦) . إذ قدروا التركيب في هذه الايات بأنه في الأصل : فضرب فانفجرت ، فاكل فلا اثم عليه ، فافطر فعدة من ايام اخر^(٧) ، وقدر الزمخشري المحذوف بانه فعل الشرط واداته ، وبقيت الفاء مقترنة بجواب الشرط ، عادا ذلك من الكلام البليغ ، والتقدير هو : فان ضرب فقد انفجرت^(٨) ، وكذا في سائر المواضع التي تكون الفاء فيها فصيحة . ورفض فريق من العلماء راي الزمخشري هذا ؛ لان فيه حذفاً لفعل الشرط والأداة معا^(٩) . وتابع الخوئي الزمخشري في تقدير المحذوفين مع الفاء الفصيحة وهما فعل الشرط وأداته ، فقدّر الجملة في قوله المذكور آنفاً بـ«(إذا كانت الدنيا مهانة على الله فخلط حلالها بحرامها)^(١٠)» . ووضح أن هذا التقدير غير موجه . والأظهر أن الفاء باقية على دلالتها على تعقيب الاحداث وربطها بعضها ببعض على الترتيب ، فان الامر بضرب الحجر صدر من رب العزة لموسى (هـ) ، فأذعن موسى لهذا الامر . وجاء اقتران الفاء بانفجار العيون دالا على الترتيب المتلاحق ، فلا حاجة لتقدير فعل الضرب ، او تقدير اداة للشرط وفعلها كما في : فاذا ضرب فانفجرت . إذ هو تقدير يصرف الدلالة الى عدم قبول موسى بالأمر الالهي قبولاً سريعاً فضلاً عن أنه مخير بين أن يضرب أو لا يضرب . وظاهر القرآن لا يوحي بذلك . والكلام نفسه يقال في (فلا اثم عليه) بعد (فمن اضطر) إذ ان فعل الاضطرار دال بمعناه على حصول الاكل ولا حاجة لتقدير : فاكل ، وكذلك كون الصائم في حالة المرض او السفر تدل على حصول الافطار منه ولا حاجة لتقدير : فافطر ، وانما يحتاج الكلام الى التعقيب بالحكم مباشرة ، لذلك ارتبط بالفاء ليكون الجواب : فعدة من ايام اخر .

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١١٣ ، ص ٢١٠ . (٢) الخوئي ٤٢/٨ وينظر : ٤٣٨ /٨ .

(٣) دراسات لأسلوب القرآن ٢٤٧/٢ . (٤) الأعراف ١٦٠ .

(٥) البقرة ١٧٣ . (٦) البقرة ١٨٤ .

(٧) ينظر : البيان في غريب إعراب القرآن ٨٥/١ وشرح التصريح ١٥٤/٢ .

(٨) ينظر : الكشاف ١٤٤/١ .

(٩) ينظر : البحر المحيط ٣٧٣/٤ والبرهان ١٨٢/٣ ودراسات لأسلوب القرآن ٢٤٦/٢ .

(١٠) ينظر : الخوئي ٤٢/٨ .

استنبط المعتزلي هذا النوع من الفاءات من قوله (م) : (فَتَرَوُّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْرُزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا . فَاتَّقَى عَبْدُ رَبِّهِ ، نَصَحَ نَفْسَهُ ، وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ ، وَغَضِبَ شَهْوَتَهُ ، فَإِنْ أَجَلَهُ مُسْتَوْرٍ عَنْهُ ، وَأَمَلَهُ خَائِعٌ لَهٗ)^(١) . اذ بين ان الفاء في قوله : فاتقى عبد ربه ((لبيان ماهية الامر الذي يحرز الانسان به نفسه ، ولتفصيل اقسامه وانواعه ، كما تقول : فعل اليوم فلان افعالا جميلة ، فاعطى فلانا ، وصفح عن فلان ، وفعل كذا))^(٢) ، وتابعه في هذا فريق من الشراح^(٣) . ومعنى البيان الذي ذكره المعتزلي للفاء يقرب من مجيئها للتعليل ، فانها اعقبت الامر بالتزود في الدنيا بما يحرز النفس ويحفظها باتقاء العبد ربه ، ونصحه لنفسه ، وتقديمه لتوبته ، وهو ما بينه فريق اخر من شراح النهج^(٤) .

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٦٤ ، ص ١٠١ - ١٠٢ .

(٢) المعتزلي ١٤٦/٥ .

(٣) ينظر : البحراني ١٦٥/٢ والخوئي ٤٠٤/٤ وعبد ١٢٠/١ والتستري ١٣١/١١ .

(٤) ينظر : الشيرازي ٢٥١/١ والموسوي ٣٨٩/١ .

المطلب الثالث : دلالة اللام

كثرت الدلالات التي تلمسها الشّراح لحرف اللام ، تبعا لكثرتها لدى علماء العربيّة الذين اوصلوها إلى ما يزيد على العشرين^(١). ويمكن توحيد هذه الدلالات المتعددة على معنى واحد ترجع اليه الانواع جميعها ، وهو ان اللام تفيد المأل والغاية^(٢). وهذا معنى فرعيّ للام ذكره شراح النهج^(٣) ومن سبقهم من اللغويين واصطلحوا عليه بـ (لام العاقبة) او (لام الصيرورة) او (لام المال)^(٤). ومعاني اللام التي ذكرها الشّراح هي :

١ - اللام بمعنى إلى.

تتشارك اللام مع (الى) في أنهما يفيدان انتهاء الغاية^(٥). والفرق بين الحرفين هو إن طرفي الغاية مع الحرف (الى) شيء واحد ، اي ان الغاية اذا ابتدأت زمانية فانها مع الحرف (الى) تنتهي زمانية ، وكذا اذا كانت مكانية. اما مع اللام فلا يشترط ذلك^(٦). من ذلك تفسير الشّراح لقوله تعالى : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾^(٧). اذ جعل الشارحان المعتزليّ والخواني اللام بمعنى (الى) : اي : فقير الى ما انزلت الي من خير^(٨). والمعنى مع اللام واضح لان ابتداء فقر موسى كان في ظرف مكاني ، على حين انتهى وآل فقره (م) الى غاية غير محددة ، وهي ما انزل اليه من خير.

٢ - لام التخصيص

ومثالها لدى الشّراح ما في قوله (م) : (أَحَالَ الْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتٍ . الْأَيَّامَ بَيْنَ مُخْتَلَفَاتِهَا)^(٩) فاللام في (لأوقاتها) تدلّ على التخصيص ، والمعنى : أنه تعالى أحال كل شيء يحدث في الكون لوقته الذي اختصّ به^(١٠). وكذا ما في قوله (م) : (صَلِّ الصَّلَاةَ وَهَيِّئِهَا الْمَوْجِبَاتِهَا . لَأَوْتَعَجَّلَ وَهَيِّئِهَا لِفِرَاقِهَا ، لَأَوْتَوَخَّرَهَا عَنْ وَهَيِّئِهَا لِأَشْتِغَالِهَا ، وَأَعْظَمِ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ قَبْلَ لِحَالَاتِكَ)^(١١) ، فاللام في (صل الصلاة لوقتها) ، تفيد تخصيص الصلاة بوقتها المعلوم وكذا دخول الوقت سبب للصلاة فتكون ((اللام للتخصيص والتعليل))^(١٢).

(١) ينظر : مغني اللبيب ٢٧٥/١ والجنى الداني ١٦٠ . (٢) ينظر : اللغة الموحدة ٣١٠ .

(٣) ينظر : الراوندي ٧٥/١ و ٢٩٤/٥ والمعتزلي ٢٩٤/٥ و ٣٢٨/١٨ ومغنية ١٤٢/٦ .

(٤) ينظر : الكتاب ٢١٧/٤ واللامات للنحاس ١٣ واللامات للزجاجي ١٢٥ والمقتضب ٣٣٧/٢ ومعاني الحروف ٥٦

والمخصص ٤ / ٥٠/١٤ والجنى الداني ١٦٠ ومغني اللبيب ٢٧٥/١ وتسهيل الفوائد ١٤٥٥ .

(٥) ينظر : مغني اللبيب ٢٨٠/١ .

(٦) ينظر : النظام القراني ٢٤٥ .

(٧) القصص ٢٤ .

(٨) ينظر : المعتزلي ٢٣١/٩ والخواني ٣٦٠/٩ .

(٩) نهج البلاغة الخطبة ١ ص ١٨ . (١٠) ينظر : الراوندي ٥٢/١ والكيدري ١٢٨/١ والشيرازي ١١٨/١ .

(١١) نهج البلاغة : الرسالة ٢٧ ، ص ٤٨٧ . (١٢) البحراني ٣٧٧/٤ وينظر : الراوندي ٦٤/٣ .

ويتضح معنى التخصيص بالنظر إلى تعدد اوقات الصلاة . فالوقت هو ((المعين لادائها فيه ، ولم يقل : في وقتها ، فاللام فيه تخصيص))^(١). ولو ترك الشّراح دلالة اللام على اصلها لصار معنى كلامه (م) : ان التهيؤ للصلاة يبدأ قبل

وقتها المؤقت لها ليكون مآله ومنتهاه الى ذلك الوقت ، فلا يقدمها على وقتها ولا يؤخرها ، وانما يصلها في وقتها بعد ان هيا نفسه لذلك . وكأن تهيئة النفس للصلاة ضابط للالتزام بوقتها المخصوص ، ولذا ناسب التعبير عن هذا التهيؤ باللام .

٣- لام الامهال

ذكر الشراح^(١) هذا المعنى في شرح قوله (م) : (فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحْيِرٌ فِي الظُّلُمَاتِ ، وَارْتَبَكَ فِي الهَلَكَاتِ ، وَمَدَّتْ لَهُ شَيْطَانِيَةٌ فِي طُغْيَانِهِ)^(٢) ، فاللام في (مدت له شياطينه) دالة على الإمهال . وروي أيضا : (مَدَّتْ بِهِ) و(مَدَّتْ فِيهِ) ، وحمل الشراح الباء و(في) على الإمهال أيضا . ويمكن القول ان معنى الامهال داخل ضمن معنى اللام الاصلي الذي هو المآل والعاقبة ، على حين لا يتساوى هذا المعنى مع دلالة الباء او (في) المتعلقة بالفعل نفسه ؛ اذ المعنى مع حرف الباء يراد به ان من شغل نفسه بغير نفسه اتخذ الشياطين واسطة لتمده في الطغيان . على حين يكون المعنى مع حرف الجر (في) ان من شغل نفسه بغير نفسه صار مكانا لغواية الشياطين . وهذان المعنيان يفرقان بالتاكيد عن استعمال اللام مع الفعل (مد) الذي يعني ان من شغل نفسه بغير نفسه صار مآلا أو غاية لطغيان شياطينه .

٤- لام للتعليل

واصطلح عليها بعضهم بلام الغرض^(٤) . ومن امثلتها^(٥) ما في قوله (م) في وصف المؤمن : (اوجف الذكر بلسانه ، وَقَدَّمَ الخوف لأمانه)^(٦) ، فاللام في: قَدَّمَ الخوف لأمانه تدل على التعليل^(٧) ، وتقدير الكلام: ((إن المؤمن قَدَّمَ خوفه ليأمن))^(٨) . اي ان الامان صار سببا لتقديم الخوف . ويمكن القول : إن اللام باقية على معناها ، فمآل تقديم المؤمن

(١) المعتزلي ١٥/٦٨ وينظر: الموسوي ٤/٢٢٤ .

(٢) ينظر: الراوندي ٢/١٠٨ والمعتزلي ٩/٢١٣ والبحراني ٣/٢٦٩ والخوئي ٣/٢٢٨ والشيرازي ٢/٤١١ والتستري ١٢/١٦٩ وابو الفضل ١/٣٦٧ ومغنية ٢/٤١٢ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٥٧ ، ص ٢٧٦ .

(٤) ينظر : الراوندي ٣/٥١ والبحراني ٤/٢١٢ و ٢٣٢ .

(٥) للمزيد ينظر : البحراني ١/١٧٥ والخوئي ٢/٤١ و ٨/١٦ والشيرازي ٤/٣٧٥ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ ، ص ١٣٠ .

(٧) ينظر : المعتزلي ٦/٢٦٦ وعبيده ١/١٥٤ وابو الفضل ١/١٥٩ .

(٨) المعتزلي ٦/٢٦٦ وينظر: البحراني ٢/٢٥٧ والخوئي ٦/٣ والتستري ١٢/٢٥٢ ومغنية ١/٣ والشيرازي ١/٣٣٠ .

خوفه هو حصوله على الامان . ولا يتوقف الامان على الاخرة واهوال القيامة كما فسر معظم الشراح^(١) . إذ إن ترك اللام على دلالتها على المآل والعاقبة يجعل صور الامان متعددة ، فخوفه ينتهي به الى الامان من اهوال الموت والقبر والبعث والحشر ، والصراط والحساب وغير ذلك مما لم يقده الامام (م) في كلامه . ومن ذلك -ايضا- ما في قوله (م) : (لا يستقيم قضاء الحوائج الا بثلاث : باستصغارها لتعظم ، وباستكثامها لتظهر ، وبتعجيلها لتنهأ)^(٢) ، فكثير من

الشّراح عدّ اللام في هذه المواضع للتعليل^(٣) ، اي ان استصغار الحوائج علة لعظمتها، وكتمتها علة لظهورها ، وتعجيلها علة لحصول الهناء . وهذا المعنى تابع لفهم الشّراح لا لمعنى اللام ، فدلالة اللام على المآل هي المرادة من النص ؛ لان استصغار الحوائج يؤول إلى تعظيمها ، واستكتانها يؤول إلى ظهورها ، وتعجيلها ينتهي إلى الهناء بها. ولم يقل بهذا التوجيه الا مغنية الذي ذكر ان اللام ((للعاقبة مثل قوله (ي) : ان الله ملكا ينادي في كل يوم : لدوا للموت))^(٤).

٥- لام التمليك . إذ اجمع الشراح على هذا المعنى^(٥) لما شرحوا قوله (ي) عند دفنه الزهراء (عليها السلام) : (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِّي وَعَنْ أَبَتِكَ ... إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، فَلَقَدْ اسْتَرْجَعَتِ الْوَدِيعَةَ ، وَأَخَذَتِ الرَّهْيِنَةَ)^(٦) . إذ بينوا ان معنى: (إنا لله) اي: ((عبيده، كما تقول: هذا الشيء لزيد، اي: يملكه))^(٧) . وواضح أن التملك مفهوم من الالفاظ المحيطة بالتركيب ، وهي : وديعة ورهينة . ومعنى المآل هو المقصود من اللام ؛ فكل ملك مآله ومنتهاه لمالكة ، والله عز وجل مالك الملك جميعا

٦- لام التعجب . وهذه الدلالة مفهومة من التراكيب : (الله ابوهم)^(٨) و(الله اباؤكم)^(٩) و(الله انتم)^(١٠) . إذ ذهب الشّراح الى ان اللام في هذه التراكيب تفيد التعجب^(١١) ، ولم يجز الشارح البحراني دلالتها على العاقبة ((اي: الى الله مصير اباؤكم ، لأنه بذلك يخرج الكلام عن معنى التعجب والاستعظام))^(١٢) ، فالمانع لدى البحراني من ابقاء

(١) ينظر : الشيرازي ٣٣٠/١ والتستري ٢٥٢/١٢ وعبد ١٥٤/١ ومغنية ٤٠٣/١ .

(٢) نهج البلاغة الحكمة ١٠١ ص ٦١٧ .

(٣) ينظر : البحراني ٢٩١/٥ وعبد ٦٤/٢ والخوئي ٣٢٨/٢ والشيرازي ٣٠٦/٤ والموسوي ١٠١/٥ .

(٤) مغنية ١٤٢/٦ . وينظر : نهج البلاغة الحكمة ١٣٢ ص ٦٢٧ .

(٥) ينظر : المعتزلي ٢٦٨/١٠ والبحراني ٣/٤ والخوئي ١٣/١٣ والتستري ٢٩١/٢ والشيرازي ٢٨٧/٣ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ٢٠٢ ، ص ٤٠٢ . (٧) المعتزلي ٢٦٨/١٠ وينظر : ٢٥٥/١٨ .

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ٢٧ ، ص ٦٣ . (٩) المصدر نفسه : الخطبة ٢٠٣ ، ص ٤٠٤ .

(١٠) نفسه : الخطبة ١٨٠ ، ص ٣٢٥ وينظر : الشيرازي ٨٤/٣ .

(١١) ينظر : البيهقي ١١٨ والكيدري ١٧٥/٢ والبحراني ٧/٤ و ٨٧ وعبد ٢٤٢/٢ والخوئي ٣٩٢/٣ و ٤٠/١٣ والشيرازي ١٥٦/١ و ٣٩٤/٣ .

(١٢) البحراني ٧/٤ .

اللام على العاقبة هو اصطدامها مع معنى التعجب المراد من ظاهر هذه التراكيب . وجوز البيهقي دلالتها على العاقبة، والاختصاص ((اي: اختص بالله اباؤكم))^(١) . وكذا جوز الخوئي دلالتها على التعجب والاختصاص^(٢) . والحقيقة ان معنى التعجب مفهوم من مناسبة القول ونغمة السياق ، لا من (اللام) . فأباء المخاطبين مآلهم الى الله تعالى حقيقة لا تحتاج إلى تأويل ، واستدعاء الامام (ي) لهذه الحقيقة إنما هو في مقام التعجب من نجاحهم أو فشلهم . وقد صرح الشّراح بأن هذه التراكيب يراد بها مدح المخاطب او ذمه ، بحسب اختلاف المقام ولم يشيروا إلى أثر النغمة في جلاء المعنى . فكل من : (الله ابوك ، والله درك ، والله انت) يراد بها مدح المخاطب وتفضيله باضافتها الى الله ، كما قيل :

بيت الله ، وناقاة الله^(٣) ، و ((العرب تقول : لله بلاد فلان ، والله در فلان ، والله نادي فلان ، والله نائح فلان ، والمراد بالاول : لله البلاد التي انشاته وانبتته ، وبالثاني : لله الثدي الذي ارضعه ، والثالث : لله المجلس الذي تربي فيه...))^(٤) ، وقد تسعمل في الذم «بمعنى ان الله يقدر ان يعالجهم وينتقم منهم»^(٥) ، ولما كان هذا التركيب يصح استعماله في المدح او الذم صح خروجه الى التعجب من صفة المدح او صفة الذم حسب المقام وسياق الكلام ، لا حسب دلالة اللام . فاللام دالة على المآل وهو جلي ظاهر .

٧- لام الاستغاثة

وهي مفهومة لدى شراح النهج من التراكيب : (فيا لها حسرة)^(٦) ، و(ويا له خطبا)^(٧) ، و(يا لها أمثالا صائبة)^(٨) . إذ ذهبوا إلى أن اللام في مثل هذه التراكيب دالة على الاستغاثة ، وعددها بعضهم للتعجب^(٩) . واللام باقية في هذه التراكيب دالة على المآل والانتفاء فيكون التعجب مفهوما من تمكن الحسرة والخطب وعدم الصواب من نفوس القوم إلى نهاية الأمر . والتعجب مستحصل بنغمة السياق عموما لا من اللام وحدها .

٨- اللام الزائدة

وهي التي تزداد على التركيب ولا تفيد معنى معيناً . كما في قوله (ي) يصف الخلافة : (فصيرها في حوزة خشناء ، يغلظ كلامها ويخشن مسها ويكثر العثار فيها والاعتذار منها ، فصاحبها كراكب الصعبة ، ان اشنق لها خرم وان اسلس لها تقحم)^(١٠) . إذ ذهب الشراح - متابعين الرضي - الى ان اللام في (اشنق لها) لا معنى لها ، وفائدتها لفظية

- (١) البيهقي ٣١٣ . (٢) ينظر : الخوئي ٢٧٦/١٠ .
(٣) ينظر : البيهقي ١١٨ والكيدري ٢٣٩/١ . (٤) عبده ٢٤٢/٢ .
(٥) الشيرازي ٨٤/٣ وينظر : ٢٩١/٣ . (٦) نهج البلاغة : الخطبة ٦٤ ، ص ١٠٢ .
(٧) نفسه : الخطبة ١٦٢ ، ص ٢٨٩ . (٨) نفسه : الخطبة ٨٣ ، ص ١٢٦ .
(٩) ينظر : الراوندي ١٢٥/٢ الكيدري ٣٣١/١ والمعتزلي ٤٧/٥ والبحراني ١٦٨/٢ والسرخسي ٤٨/١ ومغنية ٣٢٦/١ والتستري ١٣٧/١ والشيرازي ٢٥٢/١ و ٣٢١/١ و ٤١٥/٢ .
(١٠) نهج البلاغة : الخطبة ٣ ص ٢٩ .

فحسب ، إذ زيدت في (اشنق لها) لمقابلة اسلس لها^(١) ، أو للزدواج بينهما^(٢) ، أو للتحلية والتشاكل^(٣) ، أو لموازنة الكلام^(٤) . وإنما حكم الشراح بزيادة اللام في (اشنق لها) ؛ لأن الفعل اشنق متعد بنفسه ، يقال : اشنق الناقة اذا جذب رأسها بالزمام فرفعه^(٥) . ويمكن القول : ان اللام في هذا الموضع على معناها الأصلي وهو بلوغ شنق أنف الناقة المآل والمنتهى ، فتكون النتيجة خرم أنفها بجذب اللجام بدلا من إيقافها ، وهذا يعني ان راكب الناقة الصعبة بدأ شد اللجام شيئا فشيئا حتى انتهى إلى الغاية في جذبه وهي تنازعه فال الأمر إلى خرم أنفها . وكذا خلافة المسلمين آنذاك لا تتفع معها شدة مفرطة ولا لين دائم وإنما هو أمر بين أمرين . ولو لا وجود اللام لكان جذب اللجام في فم الناقة شنقا ابتداء ، إذ الشنق أعلى مراحل الجذب .

٩ - لام التوكيد

التوكيد باللام لدى الشّراح تبعاً للنحويين^(٦) معنى يستحصل من لام الابتداء واللام المزحلقة واللام المعترضة ولام التقوية وغير ذلك^(٧) ، كما في قوله (٤): (لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَطِيٍّ مِنْ مِيتَةِ عَطَى الْفَوَاشِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ)^(٨) وقوله (٤): (وَإِنَّا لَأُمْرَأُ الْكَلَامِ)^(٩) . وقوله (٤): (وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَعَبْدٌ وَكَأَنَّ اللَّهَ إِلَى نَفْسِهِ جَائِرٌ عَنِ قَصْدِ السَّبِيلِ)^(١٠) . ويمكن القول: إن التوكيد مفهوم من (إن). أما اللام فقد دلت في القول الأول على إن أقصى ما يبلغه الضرب بالسيف أهون على الإمام من ميتة الأشقياء ، وفي القول الثاني دلت على إن مآل اشارة الكلام إلى أهل البيت (٤) . وفي القول الثالث دلت على ان البغض يبلغ منتهاه مع هذا الصنف من الرجال . ومن أمثلة اللام التي تفيد التوكيد وتقوية المعنى لدى الشّراح . اللام التي في التراكيب: (لا ابا لكم)^(١١) ، و (لا ابا لغيركم)^(١٢) . إذ هي لام مزيدة مؤكدة^(١٣) . وهي - أيضا - ((لام مقحمة ، والمراد الاضافة))^(١٤) . وأصل

(١) ينظر : البيهقي ٨٣ والراوندي ١٢٠/١ والكيدري ١٦٢/١ والمعتزلي ١٦٣/١ والبحراني ٢٥٣/١ والخوئي ٤٨/٣

(٢) ينظر : انصاريان ٧٠/١ . والشيرازي ٦٤/١ وابو الفضل ٨٦/١ والموسوي ٧٤/١ .

(٣) ينظر : عبده ٣٩/١ . (٤) ينظر : السرخسي ٤٨/١ .

(٥) ينظر : المعتزلي ٢٤٠/١ والخوئي ١٦١/٣ وانصاريان ٨٨/١ . (٦) ينظر : مغني اللبيب ٢٨٤/١ - ٢٩٠ .

(٧) ينظر : الشيرازي ٢٩٠/١ والبحراني ١٨٢/٥ وعبده ١٥٤/١ . (٨) نهج البلاغة الخطبة ١٢٣ ص ٢٢٧ .

(٩) المصدر نفسه : الخطبة ٢٣٣ ، ص ٤٤٩ وينظر : الخوئي ٣٣/١٥ .

(١٠) نفسه : الخطبة ١٠٣ ، ص ١٨٧ . وينظر : مغنية ٤٠٠/٢ .

(١١) نفسه : الخطبة ٣٦ ، ص ٨٠ والخطبة ٣٩ ص: ٨١ .

(١٢) نفسه : الخطبة ١٨٠ ، ص ٣٢٥ والرسالة ٤١ ص: ٥٢٥ .

(١٣) ينظر : البيهقي ٢١٩ والمعتزلي ٦٨/١٠ والبحراني ٩٣/٢ والخوئي ٢٧٤/١٠ .

(١٤) المعتزلي ٣٣/١٧ ، وينظر : البيهقي ٢١٩ والكيدري ٢٧١/١

التركيب: لا اباك ، واقموا اللام للتاكيد^(١) . وذكر الشّراح ان هذه التركيب تستعمل في الدلالة على المدح او الذم معا ، فالمدح بمعنى انك في هذا الامر منفرد لا اب لك يكفيك ، ولا كافي لك الا الله ، والذم بمعنى انه لقيط لا يعرف له اب ، او على سبيل الدعاء ، اي: فقدت اباك^(٢) . ونبه الشيرازي على انه ((بالقرينة يعرف المراد))^(٣) من التركيب هل هو للمدح ام للذم ، وهذا إشارة إلى أثر النغمة في تمييز المعنى .

ومن هذه اللامات لام القسم ، إذ ذكر شراح النهج ان اللام المستعملة للقسم تفيد التوكيد^(٤) ، وبهذا فسروا اللام في (لَعَمْرُ اللَّهِ)^(٥) مقدرين خبرا محذوفا هو : قسمي . إذ هو قسم ببقاء الله . ويبدو أن اللام في مثل هذا التركيب دالة على المآل والغاية في حصول مفهوم الخبر الذي هو أعلى ما يمكن أن يقسم به المتكلم ليؤكد كلامه ، فالتوكيد مستحصل من هذا التركيب القسمي كله لا من اللام وحدها ، وفي ذكر اللام وما تعلق به كفاية عن تقدير كلام محذوف يعرب

خبرا ، والأولى أن يكون هذا التركيب وما يشبهه من نوع المبتدأ المستغني عن الخبر لوضوح مدلوله^(١) . وكذا اللام الواقعة في جواب لو ، إذ هي للتوكيد اتفاقا ، ومثالها ما في قوله (م) : (ولو أراد الله سبحانه لانبيائه حيث بعثهم ان يفتح لهم كنوز الذهبان... لفاعل... ولو فعل لسقط البلاء، وبطل الجزاء)^(٧) . فقد ذكر الشراح أن اللام واقعة في جواب لو للتوكيد^(٨) . ويمكن القول: إن اللام تفيد أن امتناع فتح الكنوز للأنبياء يجرى مآله وتنتهي غايته إلى مشيئة الله تعالى ، فإذا شاء الله تعالى ذلك فتحت تلك الكنوز . ثم إن عاقبة فتح الكنوز ستؤول إلى سقوط البلاء وانتهاء الجزاء فلا جنة ولا نار حينئذ . ومثل هذه اللام ما في قوله تعالى : ﴿ ولو نشاء لطمسنا على أعينهم ... ولو نشاء لمسخناهم على مكائهم ﴾^(٩) . وفيه اللام تفيد أن مآل بصرهم ينتهي إلى حيث حصول المشيئة الإلهية بطمسه ، وكذا عدم مسخهم ينتهي إلى حيث يشاء الله .

١٠ - اللام بمعنى الباء

ذكر الشراح هذا المعنى^(١٠) في شرحهم قوله (م) : (اللهم إنك أنس الأنسين لأوليائك)^(١١) ، وما قادهم الى تفسير اللام بمعنى الباء كون الفعل (أنس) المجرد يتعدى بالباء ، يقال: أنس الانسان بالشيء ، اذا لم

(١) ينظر: ارتشاف الضرب ٤٣٣/٢

(٢) ينظر : البيهقي ٢١٩ والكيدري ٥٨٣/١ و ٤٨٩/٢ والبحراني ٩٣/٢ والسرخسي ١٢٤/١ و ١٦٨

وانصاريان ١٣٨/٣ والشيرازي ١٩٦/١ ومغنية ٥٣٤/٢ و ٣٩٤/٥ والسامرائي ٧٩ . (٣) الشيرازي ١٩٦/١ .

(٤) ينظر : الخوئي ٣٤٤/٣ وانصاريان ٧١/١ و ١٥٠ والتستري ١٢٤/٨ .

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ٣ ص ٢٩ والخطبة ٣٤ ص ٧٦ والخطبة ١١٩ ص ٢٢١ والخطبة ١٩٢ ص ٣٦٣ .

(٦) ينظر: نحو القرآن ١٩ - ٢١ . (٧) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٢ ، ص ٣٦٧ .

(٨) ينظر : البحراني ٦٦/٤ والتستري ٦٦/٦ (٩) يس ٦٦-٦٧ .

(١٠) ينظر: الراوندي ٤٠١/٢ والمعتزلي ٢٦٧/١١ والبحراني ٩٤/٤ وعبد ٣٨٤/١ ومغنية ٣٢٧/٣ والشيرازي ٣٩٢/٣ وابو الفضل ٥٣/٢ .

(١١) نهج البلاغة : الخطبة ٢٢٧ ، ص ٤٤٢ .

يستوحش منه^(١) . وقدّر المعتزلي المعنى بقوله : « انت اكثرهم انسا باوليائك وعظفا وتحننا عليهم »^(٢) ثم استدرك قوله : « كان القياس ان يقول : انك أنس المؤمنيين لان الماضي أفعال ، وانما الانسون جمع أنس ، وهو الفاعل من أنست بكذا لا من أنست^(٣) . وندع عليه الخوئي ؛ لأن قياس المعتزلي « لا يكاد يفهم له معنى محصل »^(٤) . ثم جوز الخوئي أن تكون اللام بمعنى الباء ، وأنها « تفيد كون الاولياء مانوسا بهم ، وتسمى هذه اللام لام التبیین ؛ لتبينه المفعول من الفاعل »^(٥) . أو أن اللام باقية على معناها ويكون أنس متضمنا معنى أحب « وانما عدل عليه السلام عن الباء الى اللام مع كون الباء اصرح واقيس تضمينا للانس معنى الحب ، فان الانس بمعناه الحقيقي كالوحشة من صفات الاجسام ، لا يمكن اتصافه تعالى به ، فيراد ما يلزمه وهو الحب »^(٦) . وأنكر التستري ما ذهب إليه المعتزلي من قياس استدركه على متن النهج . وكذا ما ذهب إليه الخوئي من وجهين بعيدين في تأويل معنى الكلام . فذهب الى ان اللام

باقية على معناها دونما تضمين ، وفي لفظة (الآنسين) تحريف ، ف «الظاهر ان الآنسين محرف الانيسين ؛ لان اولياء الله تعالى مستانسون به تعالى وبذكرة ، لا انه تعالى مستانس بهم»^(٧). ويبدو بعد ما اقترحه التستري ؛ لأن (انس الانيسين) يكون تقديره : إنك ملهم الانيسين إنهم ، فلا يحتاج إلى تطويل التركيب (بأوليائك). ويمكن القول ان الالفاظ في هذا الموضع لا تضمين فيها ولا تحريف ، فاللام أفادت أن يكون أنس الأولياء غايته هو البارئ جل وعلا، وليست اللام واسطة للانس بين الذات الالهية والعباد كما هو ظاهر من استعمال الفعل انس مع الباء.

١١ - اللام بمعنى في

ومثالها ما في قوله (ع) : (... فَأَسْتَدْرِكُوا بَقِيَّةَ أَيَّامِكُمْ ، وَاصْبِرُوا لَهَا أَنْفُسَكُمْ ، فَإِذَا قَلِيلٌ فِي كَثِيرِ الْأَيَّامِ الَّتِي تُكُونُ مِنْكُمْ فِيهَا الْغَفْلَةُ ، وَالتَّشَاغُلُ عَنِ الْمَوْعِظَةِ .)^(٨) ، فاللام في (واصبروا لها انفسكم) لدى فريق من الشراح بمعنى (في) ، اي : واصبروا فيها^(٩) ، واستدلوا على هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾^(١٠) . وذهب فريق اخر الى أن اللام في هذا الموضع بمعنى (على)^(١١) لكثرة استعمال الفعل صبر متعديا ب (على) في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿فَمَا اصْبِرْهُمْ عَلَى النَّارِ﴾^(١٢). ويمكن القول: إن اللام باقية على معناها الأصلي وهو المال والعاقبة ، وليست بمعنى (في) ولا (على) . لانه (ع) امر بالصبر لهذه الايام، اي انه (ع) امرهم بان يصبروا

(١) ينظر : المقاييس ٩١ والقاموس المحيط ٤٩٢ .

(٢) المعتزلي ٢٦/١١ .

(٣) نفسه ٢٦٧/١١ .

(٤) الخوئي ٣٤٣/١٤ وينظر : التستري ٢٣/٧ .

(٥) نفسه ٣٤٣/١٤ وينظر : ٢٩١/١ .

(٦) نفسه ٣٤٤/١٤ .

(٧) التستري ٢٣/٧ .

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ٨٦ ، ص ١٣٩ .

(٩) ينظر : الشيرازي ٨/٢ ومغنية ٢٠٤/٢ .

(١٠) (١٠) الانبياء ٤٧ .

(١١) ينظر : المعتزلي ١٦٢/١ والبحراني ٢٥٧/١ والخوئي ١٢٦/٦ وعنده ١٦٣/١ والموسوي ٤/٢ .

(١٢) البقرة ١٧٥ .

انفسهم ويجعلوها مستعدة على تحمل بقية الايام التي ستأتيهم ، فاللام افادت الاستقبال والغاية ، وسياق كلامه (ع) يتحدث عن حوادث مستقبلية ، اذ استعمل حرف الاستقبال مع الفعل (استدركوا) ، وكذلك التركيب (بقية ايامكم) ، اذ البقية يأتي بعد مضي اكثر الشيء . وكذا القول في الاية الكريمة ؛ لأن وضع الله تعالى للموازن لا يكون في ذلك اليوم فقط ، واذن لقال : في يوم القيامة ، فجاء القرآن باللام ليفهم منه ان وضع الموازين قبل يوم القيامة ليؤول الوضع الى ذلك اليوم ويكتمل فيه ، و(وضع الموازين في يوم القيامة) يفهم منه انه تعالى يضع الموازين والقوم يحاسبون في ذلك اليوم ، على حين التركيب (وضع الموازين ليوم القيامة) يعني أن مآل وضع الموازين هو هذا اليوم الذي لم يأت بعد . واستعمال الحرف (على) يفيد معنى الاستعلاء والغلبة والقهر والهيمنة . ولم يرد في قوله (ع) مع الفعل (صبر) ؛

لان كلامه (هـ) في الصبر على الايام القادمة بما تحمله من مشقة وعذاب ولذة وامتحان وانواع الابتلاءات ، ولم يحدد الامام (هـ) نوع المصبور عليه ان كان في عذاب او متعة من متع الدنيا ولذا استعمل اللام.

١٢ - اللام بمعنى (على)

ذهب اغلب شراح النهج الى مجيء اللام بمعنى (على) في قوله (هـ) في الشقشقية : ((..حَتَّى مَضَى الْأَوَّلَ سَبِيلِهِ))^(١) واستدلوا على هذا المعنى بقول الشاعر^(٢):

فَخَرَّ صَرِيحًا لِيَدِينِ وَلِلْفَمِ

أي على اليدين وعلى الفم ، لأن الخر سقوط من علو . ومضى على سبيله معناه مات ، والسبيل يمضى عليها لا إليها لأنها لا تعقل^(٣) . واللام هنا افادت أن مضي الأول لسبيله كان بالتدرج شيئاً فشيئاً فكان المآل هو السبيل المعروف لكل نفس بشرية وهو الموت ، وربما لا يتوقف المآل عند هذا بل ثمة اشارة في لفظة السبيل الى ما بعد الموت من برزخ وبعث وحشر وحساب . ولا يستحصل مثل هذا التفصيل مع غير اللام .

١٣ - احتمال اللام لأكثر من معنى .

ثمة لامات في النهج اضطرب الشراح بشأنها على عدة أقوال لتفاوتهم في فهم معنى الكلام ، كقوله (هـ) : ((أَحَالَ الْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا ، وَلَاءَمَ بَيْنَ مُخَلَّفَاتِهَا))^(٤) ، إذ اختلف الشراح في لام (لأوقاتها) على أربعة أقوال: الأول: إنها بمعنى (إلى) أو (مع) ، والفعل (احال) بمعنى تحوّل وتغير وانقلب من حال الى اخر^(٥) . والتقدير: ((نقل كلا منها الى وقتها))^(٦) او ((كل يدور مع الوقت اللابق به))^(٧) .

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٣ ، ص ٣٠ .

(٢) من شواهد الأزهية ٢٩٩ ومغني اللبيب ٢٨٠/١ والجنى الداني ١٤٦ . وقد تبين لمحقّق الأزهية أن الشطر منسوب إلى عدة شعراء .

(٣) ينظر : المعتزلي ١٦٢/١ والبحراني ٢٥٧/١ والخوئي ٤٩/٣ وانصاريان ٦٦/١ والشيرازي ٦٢/١ وابو الفضل ٣١٠/١ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة اص ١٨ . (٥) ينظر : المقاييس ٢٩٠ .

(٦) انصاريان ٣١/١ وينظر : الخوئي ٣٥٣/١ وعبدالله ١٨/١ . (٧) السرخسي ٣٨/١ .

الثاني: انها بمعنى التعليل ، اي ان احالة الاشياء ((لاجل اوقاتها، اذ كل وقت يستحق بحسب قدرة الله وعلمه ان يكون فيه ما لا يكون في غيره))^(١) .

الثالث : اللام بمعنى (في) أو (على) والفعل (احال) بمعنى اقر الاشياء^(٢) ، من حال في متن فرسه، اي: وثب^(٣) . والمعنى انه تعالى ((لما اقر الاشياء في احيائها واوقاتها صار كمن احال غيره على فرسه))^(٤) . الرابع : اللام دالة على التخصيص أي أن كل شيء مخصص بوقت محدد^(٥) .

ويمكن ردّ هذه اللام إلى المعنى العام وهو المآل والعاقبة ، وقد اقترب من هذا المعنى الشراح مغنية حين بين ان قوله (هـ) : ((لأوقاتها يومئ الى ان العالم لم يخلق دفعة واحدة بل على التدرج))^(٦) . اي ان كل شيء في العالم أحاله تعالى الى وقت خاص به ، ومآل هذه الإحالة ومنتهاها هو انبثاق ذلك الشيء في عالم الوجود .

-
- (١) البحراني ١٣٢/١ .
(٢) ينظر : المقاييس ٢٩٠ .
(٣) ينظر : الخوئي ٣٥٣/١
(٤) المعتزلي ٨١/١ وينظر : عبده ١٨/١ وابو الفضل ١٦/١ والموسوي ٢٥/١ .
(٥) ينظر: الموسوي ٢٥/١ - ٢٦ .
(٦) مغنية ٢٧/١ .

المطلب الرابع : دلالة الواو

ذكر الشراح عدة معان للواو هي:

١ - دلالة الواو العاطفة على الجمع المطلق .

اقر شراح النهج دلالة (الواو) العاطفة على معناه الاصلي وهو الجمع المطلق^(١) ، في كثير من مواضع النهج^(٢) ، والمراد بالجمع المطلق ان (الواو) تجمع بين المتعاطفين وتشرك بينهما في المعنى والإعراب ، فهي تعطف الشيء على صاحبه وعلى سابقه وعلى لاحقه ، كقولنا : جاء زيد وعمرو . فالمجيء «يحتمل ان يكون حصل من كليهما في زمان واحد ، وان يكون حصل من زيد اولا ، وان يكون حصل من عمرو اولا ، فهذه احتمالات عقلية لا دليل في الواو على شيء منها»^(٣) . وقد اجمع النحويون على دلالة (الواو) هذه ، باستثناء بعض الاراء الذاهبة الى افادتها ترتيب

الحدث بين المعطوف عليه والمعطوف^(٤) ، وقد رُدَّ هذا الرأي بأن الواو ((لو كانت للترتيب موضوعة لم تكن الا مرتبة ، فظهور عدم الترتيب في بعض الكلام يشهد انها ليست موضوعة له ، لكن المتكلم يقدم في كلامه الذي هو به اعنى ، وبيانه اهم))^(٥) . ووضح الدكتور فاضل السامرائي الدلالة الدقيقة لهذا الحرف حين جعل الترتيب ممكنا ضمن دلالة الواو لكنه غير مقيس فيها بقوله : ((ليس معنى قولنا انها تفيد الترتيب انها لا تاتي للترتيب البتة ، بل قد تاتي للترتيب وتاتي لغيره ، فقد يصح ان يكون المعطوف بعد المعطوف عليه ، كما يصح ان يكون قبله او مصاحبا له))^(٦) .

ومن أمثلة الشراح^(٧) لمجيء الواو دالة على الجمع المطلق المرتب ما جاء في قوله (ي) في توحيد الله تعالى: (فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ قَرَنَهُ وَمَنْ قَرَنَهُ قَدْ تَنَاهَى وَمَنْ تَنَاهَى قَدْ جَزَّاهُ وَمَنْ جَزَّاهُ قَدْ جَهَلَهُ وَمَنْ جَهَلَهُ قَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ قَدْ حَدَّهَ وَمَنْ حَدَّهَ قَدْ عَدَّهَ ...) ^(٨) . ومن أمثلتهم للجمع غير المرتب ما جاء في قوله (ي) في صفة خلق آدم (ي): (تَجْمَعُ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزَنِ الْأَرْضِ وَسَهْلِهَا وَعَذِيبِهَا وَسَبْخِهَا تَرِيَةً...) ^(٩) .

(١) ينظر : الكتاب ٤٣٧/١ والمقتضب ٥٧/١ والاصول ٥٥/٢ واللمع ٩١ والتوابع في كتاب سيبويه ٦٨ .

(٢) ينظر : البحراني ٢٠٦/١ و ٤٠٧/٢ .

(٣) شرح الكافية ٣٦٤/٢ وينظر: الفوائد الضيائية ٣٥٥/٢

(٣) الاتقان ١٧٨/١ .

(٤) ينظر: الجمل ١٨٧ وشرح الكافية ٤٠٣/٢ ومغني اللبيب ٣٥٤/٣ .

(٥) رصف المباني ٤١١ . (٦) معاني النحو ٢١١/٣ .

(٧) ينظر: الراوندي ٧١/١-٧٢ والكيدري ١٣٦/١-١٣٧ والمعتزلي ٩٧/١-٩٩ والبحراني ١٧٠/١-١٧١

والخوئي ٣٩/٢-٤١ والتستري ٥٧٧/١-٥٧٩ .

(٨) نهج البلاغة الخطبة ١ ص ١٨ .

(٩) نهج البلاغة الخطبة ١ ص ٢١ .

٢ - الواو بمعنى او

أقر فريق من الشراح أن تكون الواو بمعنى أو في عدة مواضع من النهج ومنها ما في قوله (ي) : (وَإِنَّمَا الْإِثْمَةُ قُؤَامٌ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ ، وَعُرْفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ ، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَفَّوهُ ، لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ)^(١) ، إذ استشكل فريق من الشراح على الفئة التي تعرف الأئمة (ي) وترتكب المعاصي والكبائر، أين مصيرها من بين هذين الصنفين؟ ولما ثبت للجميع عدم دخولهم مع الصنف الأول : (عرفهم وعرفوه) أبقى الشراح الواو في هذا الموضع على معناها وهو الجمع بين المتعاطفين ، فلم يبق إلا الصنف الثاني : (أنكرهم وأنكروه) ، وعليه حمل الشراح هذه الفئة التي تعرف الأئمة وتأتي بالفواحش . ولكي يستقيم المعنى الذي يحفظ لهذه الفئة معرفتها بالأئمة (ي) عدَّ المعتزلي (الواو) بمعنى (او) ، ليكون المعنى :أنكر الأئمة هذه الفئة أو أنكرت هذه الفئة الأئمة . وحينئذ يتحقق لهذه الفئة معرفتها بالأئمة ولكنها معرفة لا تنفع لأن الأئمة ينكرونهم . يقول المعتزلي: ((لقاتل ان يقول : قد يدخل النار من لم ينكرهم مثل ان

يكون انسان يعتقد صحّة إمامة القوم الذين يذهب إلى انهم ائمة ... ثم يزني او يشرب الخمر من غير توبة ، فانه يدخل النار وليس بمنكر للائمة ... فالجواب ان الواو في قوله: **وَانكروه** بمعنى او ، كما في قوله تعالى: ﴿ فَانكحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْ مَانْتُمْ ﴾ (٢) « (٣) . على حين ذهب سائر شراح النهج الى ان (الواو) باقية على معناها (٤) . غير ان الشارحين البحراني والخوئي ادخلوا الفئة العارفة العاصية مرتكبة الكبائر ضمن من يدخل الجنة بتاويل تصنيفتهم من المعصية قبل موتهم بالابتلاءات والامتحانات الصعبة (٥) . ويمكن شرح عبارة الامام (ع) بعيدا عن تاويلات المعنى كما فعل البحراني والخوئي ، وبعيدا عن اخراج الواو عن مساره الدلالي ، بل تبقى الواو على معناها لتجمع بين انكار الظالمين للائمة وانكار الائمة لهم في قوله (ع) : (من انكرهم وانكروه) ، واما الاشكال في الفئة العارفة للائمة وترتكب الكبائر فهو اشكال لا موجب لطرحه ؛ لان العطف بالواو بين الانكارين قد حل المسألة ، فلا وجود لعارف بالائمة باللسان ، وانما كل من عرفهم فقد عرفهم بقلبه ، وانعكس ذلك على عمله ، وهذا هو مراد الامام (ع) ، فالمعرفة حقيقية، والانكار حقيقي، اما المعرفة باللسان فهي تدخل في باب النفاق لا المعرفة على معناها الحقيقي الذي أشار إليه الإمام (ع) . ولذلك جعل الامام (ع) المعرفة متبادلة بين الطرفين ، والانكار متبادل بينهما ، وخير من يعبر عن هذا التبادل جامعا للطرفين معا هو حرف الواو .

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٥٢ ص: ٢٦٧ .

(٢) النساء ٣ .

(٣) المعتزلي ١٥٥/٩ .

(٤) ينظر: البيهقي ٢٤٨ والرواندي ٩١/٢ والكيدري ٦٦٤/١ والسرخسي ١٤٥/١ ومغنية ٣٧٥/٢ وانصاريان ٧٥/٢

والشيرازي ٣٧٨/٢ وأبو الفضل ٣٥٠/١ .

(٥) ينظر : البحراني ٢٣٦/٣ والخوئي ٢٠٣/٩ .

اما تضمين الواو في الاية الكريمة معنى (او) متابعة من الشّراح لمعظم مفسري القرآن الكريم (١) ففي غاية التمثل والاعتساف ؛ ذلك ان (او) هي للاختيار في اصل وضعها (٢) ، فلو كان المراد انكحوا من النساء (مثنى او ثلاث او رباع) لفهم منه ان نكاح الواحدة باطل شرعا ؛ لانه ليس منكورا بين هذه الاختيارات ، ثم يكون الخوف من الاقدام على واحد من هذه الاحتمالات في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ (٣) نقيضا للامر بالتعدد ابتداء . فضلا عن ان الرجل مخير في واحد من هذه الاختيارات ، فاما ان ينكح اثنتين فلا يحق له التثليث ، او ينكح ثلاثة ، فلا يحق له نكاح الرابعة . وبعد هذا كله لا يتحقق مبدا النكاح اصلا مع وجود (او) ؛ لان (او) يستدعي ان يعقد الرجل على اثنتين او ثلاث او اربع في آن واحد ويبنى عليهن في ليلة واحدة ليتحقق له نكاح المثنى او الثلاث او الرباع ، وهذا متعذر عرفا وباطل شرعا ، فينبغي القول ببقاء (الواو) على معناها العام وهو الجمع ، ولكن ليس جمعا لرجل واحد كما فهم المفسرون وشراح النهج ؛ لان المذكور اولا جنس الرجال وهو الضمير في (انكحوا) ، فيكون المعنى : يجوز لجنس الرجال ان يقدموا على اربعة انواع من الزيجات ، وهي: الزواج بواحدة ، والزواج باثنتين ، والزواج بثلاث ،

والزواج بأربع . والعطف بالواو في هذا المقام اليق ومتعين ؛ إذ يفهم منه حرية الانتقال من نوع الى اخر صعودا او نزولا لانها لا تفيد الترتيب .

ومن أمثلتهم لمجىء الواو بمعنى (أو) ، ما في قوله (ي) : (فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقُوتُونِي ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ ، لَأَوْعَنَ فِتْنَةً تَهْدِي مِائَةً وَتَضِلُّ مِائَةً إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاهِقٍ أَوْ قَائِدٍ دَهَا وَسَائِقَهَا وَمَنَاخِ رِكَابِهَا ، وَمَطَّ رِجْلِهَا ، وَمَنْ يُقْتَلْ مِنْ أَهْلِهَا تَقْلًا ، وَمَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوًّا)^(٤) ، إذ عد بعضهم الواو في : (وتضل مئة) بمعنى (أو)^(٥) . على حين ثبت سائر شراح النهج دلالة الواو على الجمع بين الهداية والضلالة في صفات هذه الفئة ، إذ المعنى انه (ي) قال : ((لا تسألوني عن جماعة هادية لطائفة كثيرة ومضلة لطائفة كثيرة اخرى الا انباتكم بناعقها...))^(٦) ، اي انه (ي) : ((عالم بكل هاد وضال))^(٧) .

٣- الواو بمعنى مع

أقر الشراح تبعا للسابقين^(٨) تضمن الواو معنى (مع) ، منها ما في قوله (ي) وقد سئل عن حكم تغيير الشيب الذي أمر به الرسول (صلى الله عليه وآله) لئلا يتشبه المسلمون باليهود ، فقال : (إِمَّا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَا هَ ذَلِكَ

(١) ينظر : معاني الزجاج ٧/٢-٨ وإعراب النحاس ١/٢٠٥ والكشاف ١/٦٩ والتبيان للعكبري ١/٢٦٥ والبحر ١/٣٠٣/٥٠٣ .

(٢) ينظر : مغني اللبيب ١/٤٦٨ . (٣) النساء ٣ .

(٤) نهج البلاغة الخطبة ٩٣ ص: ١٧٠ .

(٥) ينظر : الشيرازي ٢/٩٥ .

(٦) الراوندي ١/٤٢٥ . وينظر: المعتزلي ٧/٥١ .

(٧) الخوئي ٧/٧٥-٧٦ .

(٨) ينظر: الكتاب ١/٢٩٨ وشرح الكافية ٢/٢٧٥ .

والدين قُلْ ، فَأَمَّا الْآنَ فَإِنِّي قَدْ سَلَّعَ ظِقَّاهُ ، وَصَرَبَ بِجَانِبِهِ فَأَمْرُو وَمَا اخْتَارَ^(١) ، وقد بين البيهقي أن ((الواو ها هنا بمعنى مع ، اي : دع امرأ مع ما يختار ، وهذا كقولهم : استوى الماء والخشبة اي : مع الخشبة))^(٢) ، وعلى هذا فريق من الشراح^(٣) الذين رأوا أن جملة (امرؤ وما صنع) مكتملة المعنى لانها مؤلفة من مبتدا هو لفظة (امرؤ) وخبره جملة (ما اختار) ، والواو بمعنى (مع) . على حين ذهب فريق آخر^(٤) الى ابقاء الواو على معناها في العطف ، لكنهم ذهبوا الى نقصان دلالة التركيب ، فالمعنى عندهم غير مكتمل لان الخبر محذوف ، فجملة (ما اختار) معطوفة على (امرئ) والخبر محذوف ، والتقدير : (فامرؤ وما اختار مقرونان) ، وهو كقول العرب : كلُّ امرئٍ وضيعته^(٤) .

والبحت في دلالة هذا التركيب ينبئ بان المعنى مكتمل ، ولا يحتاج الى تقدير خبر محذوف ، فالاباحة مفهومة من تكثير المتدا (امرؤ) الذي يدل على عموم المشمولين بهذا الحكم ، ومفهومة -ايضا- من فعل (الاختيار) الذي من شأنه المفاضلة بين امرين ممكنين وجائزين . فضلا عن عدم احتياج النص الى جعل الواو بمعنى (مع) لاعطاء معنى مصاحبة المرء لاختياره ، إذ الواو ادت معنى الجمع والتشريك بين الشخص واختياره عندما توسطت بالعطف بينهما .

وذهب بعض النحاة الى ان (الواو) - وان كانت بمعنى (مع) - تفيد ان ما بعدها شريك لما قبلها في المعنى فلا فرق بينها وبين العاطفة في التشريك ، وان معنى العطف لا ينفك منها^(٥).

ومن هذه الأمثلة ما في قوله (هـ) لآخيه عقيل : **فَدَعُ عَنْكَ قَرِيْشًا وَتَرَكَاضَهُمْ فِي الضَّلَالِ . فَاِيَهُمْ قَدَّ أَجْمَعُوا عَطَى حَرْبِي كَأَجْمَاعِهِمْ عَطَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - قَبِيْيَ**^(٦) ، إذ عدَّ البحراني الواو في : (وتركاضهم) بمعنى (مع) خلفًا لسائر الشراح^(٧) الذين فسروها بالدلالة على العطف . وتضمن الواو معنى (مع) في هذا الموضوع يعد تكلفًا واضحًا ، فقد ادت (الواو) وظيفتها الدلالية من عطف التركاض في الضلال على قريش ، وجمعهما تحت حكم الفعل (دع) ، اي : دع قريشا ودع تركاضهم في الباطل ؛ لانها عازمة على ايدائي . على حين يؤول كلام الامام (هـ) الى معنى مغاير في حال كون الواو بمعنى (مع) ، إذ يصبح المعنى : دع قريشا مصاحبين لتركاضهم في الضلال ، وهذا يناقض الدعوة الى هداية الضال ، لذا نجد الشراح نفسه يتردد في اثبات هذا المعنى الى (الواو) بقوله : « والواو في قوله : وتركاضهم ، يشبه ان يكون بمعنى مع ، ويحتمل ان تكون عاطفة »^(٨).

(١) نهج البلاغة : الحكمة ١٧ ، ص ٦٠١ . (٢) البيهقي ٤٠١ .

(٣) ينظر : المعتزلي ١٢٣/١٨ وعبد ١٤٦/٢ وابو الفضل ٣١٠/٢ .

(٤) ينظر : الراوندي ٢٦٩/٣ والكيدري ٢٠٦/٢ والبحراني ٢٤٧/٥ والخوئي ٣٣/٢١ والتستري ٤٨٣/٢ .

(٥) ينظر : شرح جمل الزجاجي ٤٥٤/١ والمقتصد ٦٦١/١ ومغني اللبيب ١/ ٤٦٤ .

(٦) نهج البلاغة : الكتاب ٣٦ ، ص ٥١٩ .

(٧) ينظر : الراوندي ١٢٥/٣ والمعتزلي ١٣٦/١٦ والخوئي ٦٠/٢٠ وانصاريان ١٢٢/٣ .

(٨) البحراني ٧٥/٥ .

٤ - مجيء الواو للحال

كثرت أمثلة الواو الحالية في متن النهج كثرة بالغة كما في قوله (هـ) : (فصمدا صمدا حتى ينجلي لكم عمود الحق ، وانتم الاعلون...) ^(١) . إذ جهر الشراح^(٢) بأن الواو الداخلة على الجملة الاسمية : (وانتم الاعلون) تفيد بيان حال المخاطبين الصامدين . والظاهر ان هذه الواو تأتي لربط ما بعدها بما قبلها ، فجملة : (وانتم الاعلون) لا تتحقق الا بالتزام المخاطبين بالصفات التي نبههم عليها الامام (هـ) ، وهي المذكورة قبل (الواو) ، وهنا لا تتحقق حال العلو الا باجتماعها مع الصفات قبلها ، ولذا يمكن القول ان (الواو) باقية على معناها من الجمع بين المتعاطفين . وقد اكد طائفة من النحاة على ان (الواو) لا تفارق معنى العطف في موضع الجمل الحالية ، إذ تؤدي مهمة الربط بين الجملتين المتغايرتين ، وتسميتها بواو الحال لا تخرجها من معنى العطف^(٣) . وقد أكد هذه الحقيقة المستشرق برجستراسر ، فعد تركيب جملة الحال مع جملة صاحب الحال من باب عطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية^(٤).

٥ - مجيء الواو زائدة

أقر فريق من الشّراح زيادة الواو في متن النهج كما في قول الإمام: (قَدْ كُنْتُ وَمَا أُهْدُدُ بِالْحَرْبِ لَأَوْزَهُبُ بِالضَّرْبِ ، وَأَنَا عَلَى مَا قَدَّ وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصْرِ)^(٥) ، فمعظم الشّراح على ان (كان) في قوله (ي) تامة ، وعدوا (الواو) بمعنى الحال^(٦) . وجوز المعتزلي أن تكون (كان) ناقصة في هذا الموضوع ، فتكون (الواو) زائدة مفرغة من الدلالة على اي معنى في الكلام^(٧) . وفي زيادة الواو في الكلام خلاف بين النحويين بين مؤيد للزيادة ومنكر لها^(٨) . ويمكن القول : ان (الواو) ليست زائدة ، وانما لها معنى مهم في هذا النص ، فقد أقرت للإمام صفة عدم التهديد بالحرب سابقا وحاضرا ولاحقا ، ولو حذفت هذه (الواو) من الكلام لكان المعنى مجرد اخبار من الامام (ي) بعدم تهديده في السابق ، الا ان وجودها صرف الدلالة الى لزوم هذه الصفة للامام (ي) ، وعدم فرعه من الحرب في كل حين ، ولا يمكن ان تكون (كان) هنا تامة ابدا ، وان اجمع الشّراح على ذلك ؛ لان جرأة الآخرين عليه أمر لازم الامام (ي) فيما مضى حقيقة ، أما الان فقد جاءت الوقائع بتهديده (ي) ، والاجتزاء عليه بعد وفاة ابن عمه (عليه السلام) وما كلامه في هذه الخطبة الا بيان منه (ي) لتغيير الحال عليه .

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٦٦ ، ص ١٠٥ .

(٢) ينظر : الراوندي ٢٩٢/١ والكيدري ٣٤٠/١ والمعتزلي ١٧٥/٥ والبحراني ٢٤/٢ والخوي ٢٩/٥ ومغنية ٣٣٥/١

والتستري ٥٤٣/١٣ وانصاريان ١٩٥/١ والموسوي ٤٠١/١ .

(٣) ينظر : دلائل الاعجاز ١٥١/١ والكشاف ٨٧/٣ وشرح ابن الناطم ١١٠ .

(٤) ينظر : التطور النحوي ١٩٣ . (٥) نهج البلاغة : الخطبة ١٧٤ ، ص ٣١٣ .

(٦) ينظر: البحراني ٣٢١/٣ والخوي ١٧٣/١٠ ومغنية ٥١٧/٢ وأبو الفضل ٤١٢/١ وأنصاريان ١٦٦/٢ والشيرازي ٥٠/٣

(٧) ينظر: المعتزلي ٤/١٠ .

(٨) ينظر: الإنصاف ٤٥٦/٢ وشرح المفصل ١٢٨/٨ ومغني اللبيب ٣٦٢/١ والبرهان ١٧٠/٣ .

٦- مجيء الواو للبيان

وهذا المعنى انفرد بذكره البحراني وهو يفسر قوله (ي) في صفات المؤمنين : (فَلَوْ مَثَلْتَهُمْ عَقَبَكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ الْمَحْمُودَةَ ، وَمَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةَ ، وَقَدْ نَشَرُوا نَوَاوِينَ أَعْلَاهُمْ ، وَفَرَعُوا لِمَحَاسِبِهِمْ أَنْفُسِهِمْ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أَمَرُوا بِهَا ، فَصَرُّوا عَنْهَا... يَعْجُونَ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَامٍ نَدِمَ وَأَقْرَأَ)^(١) ، اذ قال : «والواو في قوله : وفرغوا لمحاسبة انفسهم على كل صغيرة وكبيرة للبيان ، ليستدعي بيان معنى المحاسبة»^(٢) . و(الواو) في هذا الموضوع عطفت جملة : (فرغوا لمحاسبة) على جملة : (نشروا الدواوين) لتجمع صفات المؤمنين بعضها الى بعضها ، وهم في مقاماتهم المحموده^(٣) . وأظهر السياق معنى بيان هذه المحاسبة على كل صغيرة وكبيرة . فمعنى البيان متأت من التركيب السياقي لا من خروج (الواو) عن معناها الأصلي .

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٢٢٢ ، ص ٤٣٢ .

(٢) البحراني ٦٤/٤ .

(٣) ينظر : البيهقي ٣٢٥ والمعتزلي ٧٧/١١ والشيرازي ٣٧٠/٣ .

المبحث الرابع

دلالة الأدوات الثنائية فأكثر في شروح النهج .

يضطّم هذا المبحث على عدة مطالب هي:

المطلب الأول : دلالة او .

١ - التخيير .

وهي الدلالة الأصلية لهذا الحرف^(١) كما في قول الإمام (ع): (وَلَمْ يُخَلِّ الشُّبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيِّ مُرْسَلٍ أَوْ كِتَابٍ مُنَزَّلٍ ، أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ...) ^(٢) . إذ أطبق الشّراح على أن (أو) في هذه المواضع تفيد التخيير والمعنى أن الله أوجب على خلقه منذ آدم حتى قيام الساعة واحدا من هذه الأمور الأربعة يختاره تعالى لهم^(٣) . وأمثلة أو التخييرية في النهج كثيرة يطول المقام بذكرها كونها الدلالة الأصلية .

٢ - التفسير^(٤)

كما في قول الإمام (هـ) : (وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نَقْصَانٍ : زِيَادَةٌ فِي هُدًى ، أَوْ نَقْصَانٍ مِنْ عَمَى) (٥) وفيه فسر بعد إجمال (٦).

٣- أو بمعنى الواو

وهو معنى أقره الخوئي لما وقف على قوله (هـ) المذكور آنفاً ، اذ قال: « او في قوله : زيادة او نقصان بمعنى الواو .. ويؤيده قوله : زيادة في هدى ونقصان ، بالواو » (٧). فعطف في موضع التفسير بالواو.

ويمكن القول : إن (او) باقية على معناها الأصلي وهو التخيير ، فقاريء القرآن اما ان يزداد في هدى بقراءته للقران او ينقص من جهل ، والمعنى أنه إزاء خيارين نافعين ، وقد يجتمع الامران له ، ذلك أن « او تفيد اباحة الجمع ، والواو توجهه ، فلما تعاقب الحرفان (او) و(الواو) في معنى الاباحة حسن جواز استعمال (او) بمعنى الواو » (٨).

(١) ينظر : الكتاب ٢١٨/١ والمقتضب ٢٨/٢ واللمع ١٧٥ والخصائص ٤٥٧/٢ ومعاني الحروف ٧٧ والنكت ٧٢٠/١ والازهية ١١٥ والايضاح في شرح المفصل ٢٠٧/٢ ونتائج الفكر ٢٥٣ والجنى الداني ٢٤٨ ومغني اللبيب ٩٥/١ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١ ، ص ٢٣ .

(٣) ينظر : البيهقي ٦٩ والراوندي ٧٦/١ والكيدي ١٣٩/١ والمعتزلي ١١٤/١ والبحراني ٢٠٠/١ والسرخسي ٤٣/١ وعبد ٢٦/١ والخوئي ١٢٩/١ ومغنية ٥٦/١ وانصاريان ٥٠/١ والشيرازي ٣٥/١ والموسوي ٤١/١ .

(٤) ينظر : مغني اللبيب ٩٥/١ والجنى الداني ٢٤٨ .

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ١٧٦ ، ص ٣١٦ .

(٦) ينظر : البيهقي ٢٩١ والمعتزلي ٢٤/١٠ والبحراني ٣٥٦/٣ والشيرازي ٦٠/٣ والموسوي ١٤٣/٣ .

(٧) الخوئي ١٩٢/١٠ .

(٨) المقتصد ٩٣٩/٢ .

المطلب الثاني : دلالة من (١) :

١- ابتداء الغاية .

وهي الدلالة الرئيسية للحرف (من) في العربية وقد صرح الشراح تبعاً للنحويين بهذه الدلالة في بعض مواضع النهج التي اتضح فيها ابتداء الغاية المكانية أو الزمانية . كما في قوله (هـ) من كتاب له إلى مالك الأشتر : (وَأَمَّا يُؤْتَى خَرَابُ الْأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ اللَّهِهَا ، وَأَمَّا يَعُوزُ أَهْلُهَا لِإِشْرَافِ أَنْدُسِ الْأَوْعَى عَلَى الْجَمْعِ) (٢) ، ف(من) دالة على إن خراب الأرض يبدأ من عدم انتفاع أهلها منها. وكذا قوله (هـ) عند مسيره من الكوفة إلى البصرة في أيام الجمل : (فَأِنِّي خَرَجْتُ مِنْ حَيِّي هَذَا : إِمَّا ظَالِمًا وَإِمَّا مَظْلُومًا) (٣) وفيه (من) لا ابتداء الخروج من هذا المكان (٤).

٢- التبعض .

وهي دلالة شائعة ظاهرة (٥) في معظم الأمثلة ، ومنها ما في قوله (هـ) من كتاب له لمالك الأشتر (رض) لما ولاه مصر : (تَحْفَقُّ دُ أَعْمَالِهِمْ ، وَأُبْعِثُ الْعِيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ ... فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ...) (٦) ، إذ

أمره بأن يعين بعضاً من أهل الصدق عيوناً له ليتفقدوا أمر الرعية ، وبعضاً من الجنود المقربين له ليتولوا أمر الجباية^(٧) .

ويبدو أن الأداة (من) أينما وردت تفيد الدلالة على التبعض وابتداء الغاية معاً ، ويمكن بيان دلالة (من) بجمع هاتين الدالتين على معنى التعيين ، بمعنى : (أخذ العينة) فهذا يومئ إلى انبثاق بعض من جنسه ، وفيه يجتمع ابتداء الغاية والتبعض .

٣- من بمعنى عن .

ومن أمثلتها ما في قوله (ع) مخاطباً ابن عباس (رض) ، وقد أرسله إلى أصحاب الجمل يعيدهم إلى الطاعة : (لا تلقين طلحة ... ولكن الق الربير فإنه ألين عريكة ، قُلْ له : يقول لك ابن خالك : عرفتني بالحجاز وأكرتني بالعراق ، فما عدا مما بدا ؟)^(٨) إذ ذهب فريق من الشراح إلى أن (من) في قوله (ع) : (مما بدا) بمعنى (عن) ؛ لانهم ضمنوا الفعل (عدا) معنى صرف ، ليكون تقدير كلامه (ع) لدى الكيدري : « ما صرفك عما بدا لك مني »^(٩) .

(١) ينظر : الكتاب ٢٢٤/٤ والاصول ٤٩٨/١ والجنى الداني ٣١٤ - ٣١٦ ومغني اللبيب ٤١٩/١ - ٤٢٢ .

(٢) نهج البلاغة : الرسالة ٥٣ ، ص ٥٥٧ . (٣) نفسه : الرسالة ٥٧ ، ص ٥٧٢ .

(٤) ينظر : الراوندي ١٧٢/٣ والمعتزلي ١٣/١ والبحراني ٣٨١/١ ، ٣٠١/٤ والخوئي ٨/٢ وعبد ٩٦/٣ .

(٥) ينظر : مغني اللبيب ٤١٩/١ والجنى الداني ٣١٤ . (٦) نهج البلاغة : الرسالة ٥٣ ص ٥٥٦ - ٥٥٧ .

(٧) ينظر : الراوندي ١٨٤/٣ والمعتزلي ٦٩/١٧ والبحراني ١٥٧/٥ والخوئي ٢٤٤/٢٠ ومغنية ٧٩/٤ والتستري ٥٥٢/٨ .

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ٣١ ، ص ٦٨ .

(٩) الكيدري ٢٥٢/١ .

فانصرف الزبير عن الإمام (ع) بسبب ما بدا له من الامام (ع) فيما بعد . وخالفه فريق من الشراح في هذا التقدير فرأوا أن الزبير إنما انصرف عن الإمام (ع) لأمر بدا في نفسه هو ولم يظهر له اضطراب في سياسة الإمام (ع) يصرفه عنه ، فيكون التقدير : « فما صرفك عما بدا منك ، أي : ظهر ، والمعنى : ما الذي صدك عن طاعتي بعد إظهارك لها »^(١) . وعد البحراني (من) لبيان الجنس ، وضمن عدا معنى : جاوز ، والمعنى : « ما الذي جاوز بك عن بيعتي مما بدا لك بعدها من الامور التي ظهرت لك ، وحينئذ تبقى الالفاظ على اوضاعها الاصلية مع استقامة المعنى وحسنه »^(٢) . وهذا أبعد ما قيل في معنى التركيب ؛ لأنه شرح لألفاظ غريبة بعيدة عن المراد . ومعنى التجاوز يومئ إلى إن الزبير تحول عن الإمام (ع) ابتداء ، وليس تحوله بعد ما ظهر له لاحقاً من امور .

وعد الموسوي (من) للتعليل ، فيكون المعنى : « ما الذي ظهر لك من أموري حتى تنكرت لما ابتدأت به من بيعتي ومتابعتي »^(٣) . ويبدو ان الشارح تنبه على ان تفسير (من) بالسببية يؤول إلى ان الامام (ع) هو الذي بدا منه تغيير في

سياسته فكان ذلك سببا لانصراف الآخرين عنه ، فاستدرك قائلا: « ان الامام لم يغيّر ولم يبذل ، وأنما الزبير هو الذي بدل وغير »^(٤). وما قاله أوله لا يشبه آخره .

ولم يبق (من) على معناها الاصيلي الذي هو ابتداء الغاية في هذا التركيب من شراح النهج الاثلاثة : هم الراوندي والتستري والشيرازي . لكن الراوندي والتستري اتبعا منهج البصريين في تضمين الافعال معاني اخرى للحفاظ على معنى الاداة^(٥) ، فضمن الراوندي (عدا) معنى منع وعاق ، و(بدا) بمعنى البداء لا بمعنى الظهور ، أي : ما يظهر للزبير من نفسه او من غيره ، لا ما يظهر من الزبير للامام (ع) ، ومحصلة المعنى عنده : «ما منعك وشغلك مما كان بدا لك من نصرتي»^(٦) ، ف(من) على تفسير الراوندي باقية على دلالتها من ابتداء نصرة الزبير للامام (ع) ، وزاد الراوندي متكلفا في بيان معنى الابتداء بتقديره ل (كان) ولكنها بداية نصرة ظهرت للزبير لا منه .

اما التستري فضمن (بدا) معنى الابتداء لا الظهور ، والمعنى : «فما جاوز مما ابتدأت به»^(٧) ، وهو تفسير متكلف ؛ لان (من) الابتدائية اغنت عن تفسير الفعل (بدا) بمعنى الابتداء . وحافظ الشيرازي على خط الدلالة الظاهرة للادوات والافعال في هذه المسألة ، فلم يخرج الاداة (من) عن معناها ، ولم يأول الالفاظ خلافا للآخرين الذين نظروا الى كثرة مجيء الفعل (عدا) معدي بالاداة (عن)^(٨) ، فضمنوا (من) معنى (عن) . فالشيرازي نبه على

(١) المعتزلي ١٦٣/٢-١٦٤ وينظر : الخوئي ٤٣/٤ وعبد ٩٧/١ وابو الفضل ٨٦/١ .

(٢) البحراني ٦٢-٦١/٢ . (٣) الموسوي ٢٤٩/١ .

(٤) نفسه ٢٤٩/١ . (٥) ينظر : الإنصاف المسألة ٦٧ ٤٧٨/٢ - ٤٨٠ .

(٦) الراوندي ٢٢٧/١ .

(٧) التستري ٣٩/١٠ .

(٨) ينظر : المقاييس ٧٤٦ والقاموس ١٢٠٣ .

مجيء (عدا) متعديا بنفسه ، اذ «يقال : عداه الامر بمعنى صرفه»^(١). فتكون (من) باقية على معناها وهو ابتداء الغاية ، وليست متعلقة بالفعل (عدا) المتعدي والتقدير : « ما الذي صرفك مما ظهر منك في الحجاز من بيعتي »^(٢). اما استشهاد الخوئي^(٣) على مجيء (من) بمعنى (عن) بقوله تعالى : ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾^(٤) ، فهو تفسير لقول الله بلا دليل إلا فهم الشارح ، وهو فهم قائم على متابعة من سبقه من المفسرين^(٥) ، فما ادراه ألا تكون (من) باقية على معناها ليكون المعنى : ان من قسا قلبه فله ويل وعذاب من وقت ذكر الله تعالى امامه الى حين الحساب ، فهذا خلاف كون (من) بمعنى (عن) لان المعنى سيكون ان الويل لمن قسا قلبه عن سماع ذكر الله هو جزاء للقسوة في وقت الحساب لا من وقت القسوة الى الحساب .

وهو معنى أقره المعتزلي في شرحه قوله (هـ) : (وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْلُوعُ دَاعِيَهُ ، وَأَعْجَلَ حَادِيَهُ ، فَلَا يَغْرُنُّكَ سِوَادُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ ، فَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ وَمَجْمَعُ الْمَالِ ، وَحَذِرُ الْإِقْلَالِ ... كَيْفَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَلَزَعَجَهُ عَنْ وَطْنِهِ) (٦) . (من) في (لا يغرنك سواد الناس من نفسك) بمعنى الباء ، والتقدير : « لا يغرنك الناس بنفسك وصحتك وشبابك فتستبعد الموت اغترارا بذلك ، فتكون متعلقة بالظاهر » (٧) ، وإنما صرف المعتزلي دلالة (من) الى معنى (الباء) لأن الفعل (اغتر) متعد بالباء ، يقال : اغترَّ الرجل بالشيء إذا خُدع (٨) ، فعمد الشارح إلى تفسير : (من نفسك) بـ(بنفسك) .

وأنكر الخوئي على المعتزلي حمله (من) على الباء في المعنى ؛ لأن الباء لا تكون الا سببية ، وهذا لا يناسب المقام ، إذ سبب الاغترار هو كثرة الناس ، لا سببه نفس الانسان وصحته وشبابه (٩) . لكن الخوئي لم يأت بالصواب بل ضمن (من) في هذا الموضع معنى الظرف (عند) ليكون المعنى : (لا يغرنك سواد الناس مجتمعين عندك) (١٠) . وأبقى طائفة من الشراح (من) على معناها ، واختلفوا في تقدير التركيب . فضمن فريق منهم الفعل (اغتر) معنى (اذهل) . والمعنى : « لا يذهلك من نفسك سواد الناس » (١١) .

- (١) الشيرازي ١٦٨/١ . (٢) الشيرازي ١٦٨/١ .
(٣) ينظر : الخوئي ٤٣/٤ . (٤) الزمر ٢٢ .
(٥) ينظر : معاني الفراء ٤١٨/٢ ومعاني الزجاج ٢٤٦/٤ والكشاف ٣٩٤/٣ .
(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١٣٢ ، ص ٢٣٩ .
(٧) المعتزلي ٢٧٠/٨ وينظر : عبده ٢٦٨/١ ابو الفضل ٣٠٦/١ .
(٨) ينظر : المقاييس ٧٩٩ .
(٩) ينظر : الخوئي ٢٩٧/٨ . (١٠) نفسه ٢٩٧/٨ .
(١١) الكيدري ٥٩٨/١ وينظر : السرخسي ١٢٨/١ والتستري ٢٠٥/١١ .

وضمن آخرون الفعل (اغتر) معنى (احذر) ، والمعنى : حاذر من نفسك التي تخدعك وتمنيك بطول العمر (١) . وحمل البحراني التركيب على ظاهره دون تضمين ، والمعنى : « فلا يغرنك من نفسك الامارة بالسوء وسوستها واستغفالها لك عن ملاحظة الموت بروية سواد الناس » (٢) ، فليس كثرة الناس سببا لاغترار الانسان بالموت ، بل وسوسة النفس هي سبب الاغترار بكثرة الناس ومن ثم تناسي الموت .

واستعمال الفعل (اغتر) في القران الكريم يكشف عن انه يجيء متعديا الى مفعولين يصل الى أولهما بنفسه ، والى الثاني بحرف الجر (الباء) ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَغْرُنْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ (٣) ، و ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ (٤) . والاكثر مع هذا الفعل الا يذكر المفعول الثاني لوضوحه في الاذهان ، قال تعالى : ﴿ لَا يَغْرُنْكَ تَقَلُّبُ النَّيْنِ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴾ (٥) ، و ﴿ فَلَا تَغْرِبْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرُنْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ (٦) ، و ﴿ وَغَرَّتْكُمْ الْأَمَانِيُّ ﴾ (٧) ، وقد يعدى بـ(في) : كقوله تعالى : ﴿ وَغَرَّهُمْ فِي بَيْنِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (٨) ، ولذا يمكن القول : ان المفعول به الثاني في كلام الامام (هـ) متروك الذكر - ايضا - للعلم به ، وهو الموت ، اي : لا يغرنك سواد الناس بالموت فتتسى ذكره . وبذا تبقى (من)

على معناها لابتداء الغاية ، والمعنى : لا يغرنك كثرة الناس حولك بالموت ابتداء من نفسك التي تقر بوقوعه فتحاول نسيانه . وكأنَّ الحرف (من) أوحى باستقرار حقيقة الموت في نفس الانسان الذي يحاول التغافل عن هذه الحقيقة بما توحى له نفسه من بقاء الكثيرين حوله أحياء .

٥ - من بمعنى في

صرح فريق من الشراح بهذا المعنى في قوله (م) من كتاب له الى شريح القاضي^(٩) بعد ان علم بشرائه دارا باهضة الثمن : (هذا ما اشتري عبد ذليل ، من مبيت قد أزعج للرحيل ، اشتري منه داراً من دار الغرور ، من جانب الفانين ، وظنة الهالكين ...)^(١٠) ، فرأوا أن (من) في : (من دار الغرور) بمعنى (في) ، والمعنى : ((دار في دار الغرور ، نحو قوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَاللَّهُ نَكَّرَ اللَّاهُ﴾^(١١))).^(١٢)

(١) ينظر : الراوندي ٥٢/٢ و مغنية ٢٧٥/٢ .

(٢) لقمان ٣٣ .

(٣) لقمان ٣٣ .

(٤) لقمان ٣٣ .

(٥) ال عمران ١٩٦ .

(٦) ال عمران ٢٤ .

(٧) الحديد ١٤ .

(٨) ال عمران ٢٤ .

(٩) هوشريح بن الحارث ، يكنى أبا أمية ، استعمله عمر بن الخطاب (رض) على القضاء بالكوفة فلم يزل قاضيا فيها ستين سنة .

توفي سنة ٨٧ هـ . تنتظر ترجمته في المعتزلي ٢٨/١٤ - ٢٩ والبحراني ٣٤٤/٤ .

(١٠) نهج البلاغة : الرسالة ٣ ، ص ٤٦١ .

(١١) الجمعة ٩ ، وينظر : تبيان العكبري ٤١٢/٢ .

(١٢) الخوئي ١٧/١٢٢ ، وينظر : البيهقي ٣٦٨ والشيرازي ٣/٤٣٠ .

وجوز بعضهم أن تكون (من) على معناها من التبويض ، والمعنى : ((دار من دور الغرور))^(١) . وهذا ظاهر جلي . أما

تضمين (من) معنى (في) فغير محصل لا في الشاهد ولا في كلام الإمام ؛ فالشرع واضح في أن صلاة الجمعة بعض اليوم

لا كله ، وتضمين (من) معنى (في) يصرف المعنى إلى عموم اليوم ، ثم إن معنى ابتداء الغاية الزمانية مفهوم في : (من

يوم الجمعة) فلا مسوغ للعدول عن هذا الظاهر .

٦ - من للبيان .

أقر الشراح^(٢) في عدة مواضع هذه الدلالة ، من ذلك ما في قوله (م) يحمد الله تعالى : (عالم السر من ضمائر

المضميرين ، ونجوى المتخافتين)^(٣) ، اذ صرح معظم الشراح^(٤) بمجيء (من) ببيان في هذا الموضع ، وعلل الشراح

الخوئي كون (من) ببيان بأن الضمائر ، وهي جمع (الضمير) بمعنى السر ، فلما كان الاضمار من قبيل الاسرار ف

(من) هنا ببيان ، ومعنى الكلام : عالم السر وهو ضمائر المضميرين^(٥) .

و(من) في هذا الموضع وكل المواضع دالة على ابتداء الغاية المشوب بالتبويض ، والمعنى انه سبحانه عالم السر ابتداء من ضمائر المضميرين، الى ما هو ابعد من ذلك مما يعلمه سبحانه . وبذا يكون الامام (ع) قد نبه على علم الله تعالى بما هو ادق من المضمرات .

٧- من للتعليل .

ردد بعض من الشّراح هذا المعنى^(٦) كما في قوله (ع) لمعاوية : (واحدُرْ أَنْ يُصِيبَكَ اللهُ مِنْهُ بِعَاجِلٍ قَارِعَةٍ تَمَسُّ الْأَصْلَ وَتَقَطُّ الدَّابِرَ)^(٧) ، فذهب الراوندي الى ان (من) تعليلية ، ليكون معنى الكلام : « من البهتان الذي اتيته ، اي: من اجله »^(٨) ، وردّه معظم الشّراح لأن (من) على اصلها من ابتداء الغاية ولا مسوغ لصرفها إلى التعليل^(٩) .

٨- (من) زائدة

وهذا يعني ان (من) مفرغة من اي دلالة ، فدخولها في التركيب كخروجها منه ، وهو قول النحاة لاسيما الاخفش الذي اباح زيادتها بلا شرط خلافا لمعظم النحاة الذين أيدوا زيادة (من) زيادة مشروطة^(١٠) . وعلى هذا سار الشّراح

(١) الخوئي ٢٢/١٧ وينظر: ٢٣٣/٣ .

(٢) ينظر : المعتزلي ١٥٦/٩ والبحراني ٤٦/٥ وانصاريان ٣٠١/١ والخوئي ٤٨/١٥ والتستري ٦٨/٦ وعبد ١٩٧/١ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٩١ ، ص ١٦٥ .

(٤) ينظر : المعتزلي ٢٤/٧ والبحراني ٣٨٢/٢ والشيرازي ٨٣/٢ والتستري ٤٣٦/١ الخوئي ٥٠/٧ وانصاريان ٢٩٩/١ .

(٥) ينظر: الخوئي ٥٠/٧ .

(٦) ينظر: المعتزلي ١٧١/١ والخوئي ٤٩/٣ وعبد ٥٤/١ .

(٧) نهج البلاغة : الرسالة ٥٥ ، ص ٥٧١ . (٨) الراوندي ٢١٣/٣ .

(٩) ينظر : المعتزلي ١٣٦/١٧ والخوئي ٣٣١/٢٠ وانصاريان ٢٧٦/٣ والشيرازي ٢٠٥/٤ والموسوي ١١٤/٥ .

(١٠) ينظر : ارتشاف الضرب ٤٤٤/٢ .

فذكروا زيادة (من) في عدة مواضع^(١) ، من ذلك ما في قوله (ع) في النساء: (واكفّف عليهنّ من أبصارهنّ بحجابك أيّاهنّ ، فإنّ شدّة الحجاب أبقى عليهنّ)^(٢) ، اذ صرح طائفة من شراح النهج بزيادة (من) في قوله (ع) : من ابصارهن^(٣) . والقول بزيادة (من) في هذا الموضع غير موجه ، بل يصرف الكلام عن مراده ، إذ المعنى مع زيادة (من) هو : واكفّف عليهن ابصارهن بحجابك أيّاهن ، وكفّ البصر يعني العمى ، ومنه المكفوف الذي لا يرى^(٤) . ومن هنا جوز بعضهم أن تكون (من) للتبويض^(٥) . وهذا قريب من الأمر بغض البصر الذي ورد في القرآن مقرونا ب (من) للدلالة على تقليل النظر ، قال تعالى : ﴿ وَقُلْ لِمُؤْمِنَاتٍ يَغْضُنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾^(٦) ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لِمُؤْمِنِينَ يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾^(٧) ، او تقليل الصوت: ﴿ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ﴾^(٨) ، ولم يجرّد الفعل (غض) من (من) الا في مقام المنع التام عن الكلام بحضرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُونَ أَسْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ فَلِئِنَّهُمْ لَلنَّاقُونَ لَهُمْ مَغْرَةً وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾^(٩) .

وكل ما سبق ذكره من دلالات يمكن رده إلى الداليتين الأولى والثانية أي : الغاية والتبويض ، ثم يمكن جمع هاتين الداليتين اللتين فرقهما النحاة بدلالة واحدة جامعة لكل استعمالات (من) في العربية وهي أن هذا الحرف يفيد الدلالة أينما ورد على (تعيين الشيء) .

-
- (١) ينظر : الراوندي ١٨١/٣ والمعتزلي ٥٣/١٧ والبحراني ١٦١/٥ وانصاريان ٢٥٥/٣ والخوئي ٢٢٠/٢٠ والسرخسي ٢٦٧/١ والشيرازي ١٦٢/٤ وعبد ٩٤/٢ وابو الفضل ٢٤٩/٢ ومغنية ٧٠/٤ والموسوي ١٤٧/٥ .
(٢) نهج البلاغة : الرسالة ٣١ ، ص ٥١٣ .
(٣) ينظر : المعتزلي ١٢٤/١٦ والبحراني ٦٣/٢ والخوئي ٣٦/٢٠ والشيرازي ٨١/٤ وابو الفضل ٢٠٦/٢ ومغنية ٥٣١/٣ .
(٤) ينظر : المقاييس ٩١٨ .
(٥) ينظر : الموسوي ٤٠٧/٤ .
(٦) النور ٣١ .
(٧) النور ٣٠ .
(٨) لقمان ١٩ .
(٩) الحجرات ٣ .

المطلب الثالث : دلالة عن^(١) .

ذكر الشراح عدة دلالات للحرف عن منها :

١ - دلالة عن على المجاوزة

وهي الدلالة الاصلية التي اوردها شراح النهج في موارد كثيرة منها ما في قوله (ع) في بعض من غرتهم الدنيا فانصرفوا عنه ثم عادوا إليه : (ولو أشاء أن أقول لقلت : عفا الله عما سلف!)^(٢) وقوله (ع) من رسالة إلى سلمان الفارسي : (فإنما هُلُّ الدُّنْيَا مِثْلُ الْحَيَّةِ: لِيْنِ مَسُّهَا ، قَاتِلٌ سُمُّهَا ، فَأَعْرَضَ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا قَلْبَةً مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا)^(٣) ف(عن) في هذين الموضعين تفيد الدلالة على تجاوز ما سلف وتجاوز ملذات الدنيا^(٤) .

٢ - دلالة عن على التعليل .

ومن امتثلتهم^(٥) لهذا المعنى ما في قوله (هـ) : (وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، دعا إلى طاعته ، وقاهر أعداءه جهاداً عن دينه...^(٦)) ، إذ صرح الخوئي بمجيء ((عن هنا بمعنى التعليل كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ ﴾^(٧)...^(٨)) ، وتابعه من غير تصريح باسمه فريق من الشراح ، ففترروا المعنى بانه : قد جاهد أعداءه في سبيل الدين فحارب الاقربين والابعدين^(٩) .

ويمكن القول: إن عن باقية على أصلها دالة على المجاوزة ، أي : جهادا صادرا عن دينه كما نبه ابن هشام في تراكيب مشابهة^(١٠) ، ولذا نجد الخوئي يجوز ابقاء (عن) على معناها الاصلية غير انه يلجأ الى تضمين الجهاد ((معنى الذب والدفع والابعاد))^(١١) .

ومن امتثلتهم - ايضا - قوله (هـ) : (وليس لواضع المعروف في غير حقّه ، وعند غير أهله ، من الحظّ فيما أتى إلا

(١) ينظر : الكتاب ٢٢٦/٤ وحروف المعاني ٧٤ والمخصص ٥٤/١٤/٤ والجنى الداني ٢٦٠ ومغني اللبيب ١٩٦/١ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٧٨ ص ٣٢٣

(٣) نهج البلاغة : الرسالة ٦٧ ص ٥٨٧

(٤) ينظر : الراوندي ١٣٦/١ والكيدري ١٧٣/١ والمعتزلي ٢٠٨/١ ، ١٩٧/١٠ والبحراني ٢٧٠/١ ، ٣٧٢/٣ وعبد ٤٣/١ والخوئي ١١٦/٣ ،

١٠/١٧٧ والسرخسي ٥١/١ ومغنية ١٠٠/١ وانصاربان ٨٢/١ والشيرازي ١٦/١ وابو الفضل ٣٧/١ والموسوي ١١٩/١ .

(٥) للمزيد ينظر : المعتزلي ١٤٨/١٣ والبحراني ٢٦٠/٤ والخوئي ٢٦٥/١١ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٠ ، ص ٣٥٢ .

(٧) التوبة ١١٤ .

(٨) الخوئي ١٨٨/١١ .

(٩) ينظر : التستري ١٥٨/٣ والشيرازي ٢٣٩/١١ والموسوي ١٩٠/٣ .

(١٠) ينظر : مغني اللبيب ١٩٧/١

(١١) الخوئي ١٨٨/١١ .

محمدة اللّٰم ، وثشاء الأشرار ... وهو عن ذات الله بخيل...^(١) ، إذ عد فريق منهم (عن) دالا على التعليل ((يعني لا يعطي شيئا لاجل ذات الله ، وانما قال : عن ذات الله ؛ لان البخل في الحقيقة منع المال وصرفه عن السائل او المستحق ، فلهذا يصح ان يقال : بخل عنه ، اي : منع المال او صرفه عنه))^(٢) . وفسر بعضهم (عن) بمعنى (في) ، اي : ((بخيل في جنب الله))^(٣) ، او بمعنى الباء ، اي : ((هو بخيل بما يرجع الى ذات الله))^(٤) . وانما الخوئي منهم بحمله (عن) على دلالتها الأصلية ، والمعنى : ((يعني انه بخيل عما يرجع الى ذات الله سبحانه ويحصل رضاه كوجوه البر الواجبة والمندوبة من الصدقات وصلة الرحم والضيافة))^(٥) ، فكأنه يجاوز كل ذلك الخير .

كما في قوله (ع): (ألا فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم! الذين تكبروا عن حَسَبِهِمْ ، وترَفَعُوا فوقَ نَسَبِهِمْ)^(٦) اذ ذهب الشارح الخوئي^(٧) الى ان (عن) (بمعنى (من) في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ اَلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾^(٨) ، وعند آخرين (عن) على معناها في قوله (ع) ، وكذلك في الشاهد القرآني . اما في قوله (ع) فالتكبر قد يكون على الشيء استعلاء او بسببه او عنه ، فاذا كان التكبر عن الشيء دل على انه تكبر يتجاوز الشيء ، واما في قوله تعالى: ﴿ يَقْبَلُ اَلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ ، فلا مانع من ان يكون المعنى انه سبحانه يقبل التوبة الصادرة عن العباد^(٩) .

٤- عن بمعنى البدل .

انفرد الخوئي بذكر دلالة نادرة لـ (عن) هي البدل أو العوض ، وذلك في شرحه قوله (ع) وقد رأى الحسن (ع) يتسرع الى الحرب: اهل كوا عني هذا اللعم لا يهؤ دني ، فإنني لفس بهذين - يعني الحسن والحسين (عليهما السلام) - على الموت لئلا يقطع بهما نسل رسول الله (صلّى الله عليه وآله)^(١٠) . اذ بين الخوئي ان (عن) «بمعنى البدل او العوض كما في قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْرِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾^(١١)»^(١٢) . واضطربت أقوال الشراح

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٤٢ ، ص ٢٤٩ . (٢) السرخسي ١٣٣/١ وينظر : مغنية ٣١١/٢ .

(٣) البحراني ١٨١/٣

(٤) الشيرازي ٣٢٤/٢ .

(٥) الخوئي ٤٠٠/٨

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٢ ، ص ٣٦٥ .

(٧) ينظر : الخوئي ٣٠٢/١١ .

(٨) الشورى ٢٥

(٩) ينظر : المعتزلي ٧٤/٩ و التستري ٥٠٤/٦ والشيرازي ١٠٤/٤ .

(١٠) نهج البلاغة : الخطبة ٢٠٧ ، ص ٤٠٧ .

(١١) البقرة ٤٨

(١٢) الخوئي ٩٦/١٣ وينظر : ٤٠٠/٨ .

الآخرين في دلالة (عن) هنا ، فمنهم من ذهب الى انها بمعنى اللام التعليلية ، والمعنى «امسكوا لاجلي»^(١) ، ومنهم من ذهب الى انها بمعنى (على) ، أي : « احجروا عليه كما يحجر المالك على مملوكه»^(٢) ، وذهب أكثرهم الى ابقاء الحرف (عن) على دلالاته الرئيسية وهي المجاوزة ، وعلل المعتزلي حمله معنى (عن) هنا على المجاوزة بانه «لما كان في املكو معنى البعد اعقبه بعن ؛ ذلك لانهم لا يملكونه دون امير المؤمنين (ع) الا وقد ابعده عنه ، الا ترى انك اذا حجزت على زيد دون عمرو فقد باعدت زيدا عن عمرو ، فلذلك قال : املكو عني هذا الغلام»^(٣) اي أن الفعل ملك متضمن معنى باعد ، لذا ساغ بقاء (عن) على معناها^(٤) .

٥- عن بمعنى بعد . اجمع شراح النهج على مجيء (عن) مرادفة لـ(بعد) في التراكيب من نحو: (عما قليل) و (عن قليل) ، من ذلك شرحهم لقوله (ع) : (... فَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ ، وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الْآخِرَةِ عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزَلْ)^(٥) ، اذ بينوا المعنى بان ما هو كائن وموجود من الدنيا سيصير عن قليل - اي بعد زمان قصير - معدوما ، وان الذي هو كائن في الآخرة بعد قليل كانه لم يزل ، فكانه وهو في الدنيا من سكان الآخرة^(٦) . واستدل الخوئي^(٧) على هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْبِحَ نَائِمِينَ﴾^(٨) .

٦- عن زائدة . وامثلتها كثيرة لدى الشراح ، من ذلك ما في قوله (ع) : (جَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاءَ لَتَعِيَّ مَا غَفَا ، وَأَبْصَلًا لَتَجْلُوَ عَنْ عَشَاهَا ، وَأَشْلَاءَ جَامِعَةً لِأَعْضَائِهَا)^(٩) . اذ ذهب فريق من الشراح الى ان (عن) في : عن عشاها ، زائدة ، اي : « لتجلو الابصار ما يؤذيها من الظلمة »^(١٠) ، واجاز المعتزلي وجها اخر هو دلالة (عن) على معنى (بعد) ليكون « التقدير : لتجلو الاذى بعد عشاها ، والعشى مقصور : مصدر عشي بكسر الشين يعشى اذا ابصر نهارا ولم يبصر ليلا »^(١١) . ورفض طائفة من شراح النهج القول بزيادة (عن) في هذا الموضع او كونها دالة على معنى بعد ، فأبقوها على معنى المجاوزة ، اذ بين البحراني ان « الجلاء يستدعي مجلوا ومجلوا عنه ، فذكر عليه السلام المجلوا واقامه مقام المجلوا عنه ، فكانه قال : لتجلو عن قواها عشاها »^(١٢) .

(١) الراوندي ٣٢٧/٢ وينظر: الكيدري ١٨٤/٢ وعنده ٤٤٧/١ .

(٢) ابو الفضل ٨/٢ . (٣) المعتزلي ٢٥/١١ .

(٤) ينظر : البحراني ١٥/٤ ومغنية ٢٣٤/٣ وانصاريان ٣٩٦/٢ والشيرازي ٣٠٠/٣ .

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٣ ص ١٨٧ .

(٦) ينظر : الراوندي ٤٤٧/١ والمعتزلي ١٠٧/١ والبحراني ١٨/٣ وعنده ٢١٤/١ وابو الفضل ٢٢٩/١ .

وانصاريان ٦٨/٢ والشيرازي ١٩٧/٤ . (٧) ينظر : الخوئي ١٨١/٧ .

(٨) المؤمنون ٤٠ . (٩) نهج البلاغة الخطبة ٨٣ ص ١٢٧ .

(١٠) الراوندي ٣٣٢/١ وينظر : الكيدري ٣٩٠/١ والمعتزلي ٢٥٨/٦ .

(١١) المعتزلي ٢٥٨/٦ وينظر : ابو الفضل ١٥٦/١ .

(١٢) البحراني ٢٥٨/٢ وينظر : والبيهقي ١٥٧ والخوئي ٣٩٣/٥ ومغنية ٣٩٥/١ وانصاريان ٢٣٢/١ .

المطلب الرابع : دلالة في :

١- دلالة في على الظرفية .

وهي الدلالة الأصلية لهذا الحرف لدى الشراح^(١) تبعا للنحويين^(٢) كما في قوله (ع) : (لا تُسَافِرْ فِي يَوْمٍ جُمُعَةٍ حَتَّى تَشْهَدَ الصَّلَاةَ ...) ^(٣) .

٢- في بمعنى على^(٤)

صرح فريق من الشّراح بدلالة (في) على (على) في قوله (ع) لمن ادعى علم النجوم : (وتَبَنِّي في قولك للعامل بأمرِكَ أَنْ يُؤَدِّبَكَ الحمدَ دون رَبِّهِ ، لأنَّكَ . بِرِعْمِكَ . أَنْتَ هَدَيْتَهُ إِلَى السَّاعَةِ التي نَالَ فِيهَا النِّفْعَ وَأَمِنَ الضَّرَّ!!)^(٥) . وفيه تعلق (تبتغي) بالحرف (في) وقياسه أن يعدى بـ(على) ، فضمن الخوئي وأنصارين (في) معنى (على)^(٦) ، واستدل الخوئي على مجيء (في) بمعنى (على) بقوله تعالى : ﴿ وَلَا أَصْلَابَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ﴾^(٧) ، فتابع بذلك المفسرين اللذين جعلوا (في) بمعنى (على) في هذه الآية^(٨) ، ثم أجازا وجهين آخرين : الأول : أن تكون (في) سببية ، أي : بسبب قولك . والآخر : أن تكون (في) ظرفية .

وعلى الزجاج استعمال (في) مرادفة لـ (على) بقوله : «جاز ان تقع في ههنا لانه في الجذع على جهة الطول ، والجذع مشتمل عليه فقد صار فيه»^(٩) ، ويمكن الانطلاق من قول الزجاج لجعل (في) على معناها من الظرفية اكتفاء بشد وثاق المصلوب على جذع النخلة ، فكأنه جزء من الجذع من فرط الوثاق وبشاعة الصلب ، حتى يختلط لحمه ودمه بجذع النخلة وبهذا يستحصل معنى الظرفية ، ولو استعمل (على) لكان الصلب قتلا فحسب بلا مثله ولا عرض للناظرين . وكذا الأمر في قول الإمام (ع) ، ف (في) ظرفية ، وهي ليست متعلقة بـ(تبتغي) كي تضمن معنى (على) ، وانما التركيب : (في قولك) معترض بين : (تبتغي) ، وبين : (للعامل بأمرِكَ) ، وهو متعلق بالزعم المذكور لاحقا فيكون قوله ظرفا لزمه بلحاظ دلالة (في).

(١) ينظر : الرواندي ٢٤٧/٣ والكيدري ٥٨٣ /٢ والمعتزلي ٤٤/١٨ والبحراني ٢٢٢/٥ والخوئي ٣٩١/٢٠

والتستري ٣٣/٩ وأنصارين ٣٠٤/٣ . (٢) ينظر : مغني اللبيب ٢٢٣/١ والجنى الداني ٢٦٦ .

(٣) نهج البلاغة الرسالة ٦٩ ص ٥٨٩ .

(٤) ينظر : ارتشاف الضرب ٤٤٦/٢ ومغني اللبيب ٢٢٣/١ .

(٥) نهج البلاغة: الخطبة ٧٩ ص ١١٧ .

(٦) ينظر : الخوئي ٢٨٠/٧ وانصارين ٣٥٧/٢ .

(٧) طه ٧١ وينظر : الخوئي ٢٥٦/٥ .

(٨) ينظر : معاني الفراء ١٠٢/٢ ومجاز القرآن ٢٣/٢ ومعاني الاخفش ٤٨/٢ والخصائص ٣٠٩/٢ والكشاف ٢٥٤٦

ومجمع البيان ٢٠/٧ وارتشاف الضرب ٤٤٦/٢ وشرح اللوحة البدرية ٤٠/٢ ومغني اللبيب ٢٢٤/١ والهمع ١٩٣/٤ .

(٩) معاني الزجاج ٣٦٨/٣ .

٣ - في بمعنى مع

انفرد الخوئي بإيراد هذه الدلالة ، وذلك في شرحه قوله (ع) في الدنيا: (وقامتُ بطلِّها على ساقٍ ، وخشِنَ منها مهأدٌ ، وأرِفَ منها قيادٌ ، في انقطاعٍ من مدَّتِها ، واقترابٍ من أشرطِها)^(١) ، اذ ذهب الى ان (في) انقطاع من مدتها) ، بمعنى مع انقطاع منها . وتكلف الشارح في حمله دلالة (في) على المصاحبة لتكون بمعنى (مع) ، اذ الدلالة على الظرفية

الزمانية واضحة من ظاهر الاستعمال. وجوز الشارح نفسه هذا المعنى الا انه قدر الفعل (استقر) لبيان معنى الظرفية ، اي : في انقطاع مستقر من مدتها^(٢).

٤ - في للسببية

ومن امثلتها لدى الشراح ما في قوله (٤): (عَبَادٌ مَخْلُوقُونَ أَقْلَارًا ... وَمُمَيِّزُونَ حِسَابًا ، قَدْ أَمُهَلُوا فِي طَلَبِ الْمَخْرَجِ ، وَهُدُوا سَبِيلَ الْمَنْهَجِ)^(٣) . اذ جعل شراح النهج (في) الواردة في قوله (٤) : (أمهلوا في طلب المخرج) بمعنى السببية ، اي : امهلوا من اجل التوبة والرجوع الى الطاعة ، لان اخلاص التوبة هو المخرج الذي من سلكه خرج من رقة المعصية^(٤) . و(في) هنا باقية على معنى الظرفية ، فالامهال تم في زمان ومكان طُلبَ فيهما المخرج ، اما السبب في الامهال فمتروك ذكره لعمومه من طاعات وتوبة واعمال خير ، وقد مزج الشارح الخوئي المعنيين معا بقوله : « في للظرفية المجازية ، كما في قولهم : في نفس المؤمن مائة من الابل ، اي : في مثلها ، فالسبب الذي هو القتل متضمن للدية تضمن الظرف للمظروف ، وهذه هي التي يقال : انها للسببية »^(٥) .

٥ - في بمعنى الباء

من ذلك ما في قوله (٤) : (فَيَا عَجَبًا ! وَمَلَايَ لَا أَعْجَبُ مِنْ خَطَا هَذِهِ الْفِرْقِ ... لَا يَقْتَصُونَ لِأَرْفِيٍّ ، لَا وَيَقْدُونَ بِعَمَلٍ وَصِيٍّ ... لَا وَيَقْدُونَ عَنْ عَيْبٍ ، يَعْطُونَ فِي الشُّبُهَاتِ ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ)^(٦) ، اذ ذهب بعض الشراح الى ان (في) في: (يعملون في الشهوات) بمعنى الباء ، اي : للواسطة ، والمعنى : يعملون «بما ادى هواهم اليه»^(٧) ، وابقى شراح اخرون الحرف دالا على الظرفية ، والمعنى : «يعملون اعمالا داخلية في الشبهات متوسطة لها»^(٨)

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٨ ، ص ٣٦٩ .

(٢) ينظر : الخوئي ٢٩٩/١٢ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ ، ص ١٢٤ .

(٤) ينظر : المعتزلي ٢٥٣/٦ والبحراني ٢٤٥/٢ وعبدالله ١٤٨/١ وابو الفضل ١٥٤/١ والشيرازي ٣١٩/١

ومغنية ٣٩٠/١ والموسوي ٤٧١/١

(٥) الخوئي ٣٨٣/٥ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ٨٨ ، ص ١٤٤ .

(٧) البحراني ٣٠٨/٢ وينظر : الخوئي ٢٤٨/٦ والتستري ٥٥١/٢ وانصاريان ٢٣٦/١ .

(٨) المعتزلي ٣٨٦/٦ وينظر : مغنية ٤٤٥/١ والشيرازي ٢٦/٢ .

٦ - في بمعنى النسبة

وهو معنى اجمع شراح النهج عليه في قوله (٤) : (... وَمَا أَسْفَغَ نِعْمَكَ فِي الدُّنْيَا ، وَمَا أَصْغَرَهَا فِي نِعَمِ الْآخِرَةِ)^(١) . والمعنى انه (٤) «تعجب من سبوغ نعمه تعالى في الدنيا ، واستصغر ذلك بالنسبة لنعم الآخرة»^(٢) ، اي : «حقارة تلك النعم بالقياس الى النعمة التي اعد لها في الآخرة»^(٣) . ويمكن القول ان دلالة (في) باقية على بابها ، والدلالة

على النسبة مفهومة من التركيب الذي وازن بين نعم الله تعالى الدنيوية ونعمه تعالى الاخروية ، وكأن نعم الدنيا دخلت في نعم الاخرة فكانت صغيرة بالنسبة إليها .

٧- في زائدة

صرح فريق من الشّراح بزيادة (في) وذلك في قوله (ع): (اللهم قوّد بسطت لي فيما لا أمدح به غيرك لا أولئني به على أحد سواك)^(٤) ، والمعنى : بسطت لي ما لا أمدح به غيرك^(٥) . وأدرك أنصاريان معنى الظرفية في هذا الموضع للحرف (في) ، فخلص إلى إن (في) : « للظرفية المجازية ، والمفعول محذوف ، اي : بسطت لي القدرة او الكلام فيما لا امدح به غيرك »^(٦) . وربما لجا الشّراح الى تضمين فعل معنى فعل اخر يتعدى بـ(في) للنأي عن القول بزيادة في . او تقدير محذوف ، كما في قوله (ع) : (فلا نستحلّ في شيء من معصيتك)^(٧) ، فبدلا من القول بزيادة (في) ليكون المعنى : (فلا نستحلّ شيئا من معصيتك) ، ذهب بعضهم إلى ان الفعل تستحل « عدي بفي لتضمين معنى الدخول ، او المعنى : لا نستحلّ في شيء شيئا من معصيتك »^(٨) .

المطلب الخامس : دلالة ثم :

اقر شراح النهج تبعا للسابقين^(٩) دلالة رئيسة لحرف العطف ثم وهي الترتيب المترaxي في عطفها المفردات ، وقد كثر مجيؤها في متن النهج فجهر الشراح ، بها كما في قوله (ع) يصف خلق الكون : (أنشأ الخلق إنشأً وابتدأه ابتداءً ... ثم أنشأ سبحانه نفق الأجواء وشقّ الأرجاء وسكّاتلظّه واء ... ثم نفق ما بين السمواتلعلّ ملا فملاهن أطوارا من ملائكة ... ثم همّ سبحانه من حزن الأرض وسلهها وعذبها وسبخها تربة ... ثم نفخ فيها من روحه ... ثم أسكن

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٩ ، ص ١٩٩ .

(٢) المعتزلي ٢٠٠/٧ وينظر : التستري ٢٥٣/١ الشيرازي ١٧٨/٢ والموسوي ٢٣٣/٢ .

(٣) البحراني ٥٦/٣-٥٧ وينظر : الخوئي ٣٢١/٧ ومغنية ٤٤/٢ .

(٤) نهج البلاغة الخطبة ٩١ ، ص ١٦٨ .

(٥) المعتزلي ٣٢/٧ وينظر : البحراني ٣٨٤/٢ والخوئي ٥٦/٧ والشيرازي ٨٩/٢ وابو الفضل ٢٠٦/١ والموسوي ١١٥/٢ .

(٦) أنصاريان ٣٠٥/١ . (٧) نهج البلاغة الخطبة ٢٠٧ .

(٨) أنصاريان ٤٥٩/٢ وينظر : السامرائي ١١٦ .

(٩) ينظر : الكتاب ٢١٨/١ والمقتضب ٥٧/١ ومعاني الحروف ١٠٥ وحروف المعاني ١٦ وشرح المفصل ٩٦/٨

وارتشاف الضرب ٦٣٨/٢ وشرح جمل الزجاجي ٢٣١/١ .

سبحانه آدم داراً لرغد فيها عيشه ... ثم اختار سبحانه محمداً (عليه الله عليه وآله) ...^(١) . ففي هذه المواضع أفادت (ثم) ترتيب الأحداث ترتيباً مترaxيا كثيراً^(٢) . اما في عطف الجمل فقد اضطربت اقوالهم في دلالة (ثم) كاضطرابها عند النحاة واللغويين الذين انقسموا بين القول ببقاء (ثم) دلالة على الترتيب المترaxي في عطفها للجمل^(٣) ، وبين القول بتجردها من الدلالة على الترتيب المترaxي^(٤) ، حتى عدها بعضهم بمعنى الواو^(٥) ، ومنهم من توسط بين الطرفين

فذهب الى شطر دلالة (ثم) ، فهي عندهم تفيد نوعا واحدا من الترتيب وهو الترتيب الذكري لا الزمني ، اي : ترتيب ذكر الاحداث الواردة في الكلام دون ترتيب زمن الاحداث^(٦) ، ومنهم من احتفظ ل(ثم) بدلالاتها على الترتيب المترخي ، ولكن هذه المحافظة جاءت مشروطة بتأويل محذوف بعد (ثم)^(٧).

وسبب اضطراب الاقوال في عطف الجمل بـ (ثم) ورود بعض النصوص القرآنية مخالفة لما استقر من فهم سابق لدى العلماء^(٨) ، وقد انعكس هذا الاختلاف على شراح النهج . ومن كلام الامام (ع) الذي اختلف فيه شراح النهج قوله (ع) الذي يبين فيه وقائع خلق الارض والسماء : (أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنشَاءً ، وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً ، بِبَلَاءِ رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا ، لِأَوْتَجْرِيَةِ اسْتِفَادَهَا ... أَحَالَ الْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا . لِأَيَّامٍ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا ، وَغَرَزَ غَوَارِهَا ، وَالنَّهْمَ لِأَشْبَاحِهَا ، لِأَنَّ مَلَهَبَهَا قَبْلَ لِقْدَائِهَا ، مُحِيطًا بِحُدُودِهَا وَأَنْتِهَائِهَا ، عَاقِبًا بِقِرْلَانِهَا وَأَحْضَادِهَا . ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ نَفَقَ الْأَجْوَاءِ ، وَشَقَّ الْأَرْجَاءِ ، وَسَكَتَكَ الْهَوَاءِ ... فَسَوَّى مِنْهُ نَعْبَ سَمَوَاتٍ ، جَعَلَ سَفْلَاهُنَّ مَوْجًا مَكْفُوفًا ، وَعُلْيَاهُنَّ سَفْقًا مَحْفُوظًا ، وَسَمَّمَ مَرْفُوعًا ... ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ، وَضِيَاءِ التَّوَاقِبِ ، وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجًا مُسْتَطِيرًا ، وَقَمَرًا مُنِيرًا ، فِي فَلَكٍ دَائِرٍ ، وَسَقْفٍ سَائِرٍ ، وَرَقِيمٍ مَائِرٍ)^(٩) . فجاء ظاهر كلامه (ع) صريحا بأن خلق الارض سابق لخلق السماء ، والثابت لدى الشواح العكس ، فالترتيب الذي ذكره الامام (ع) عندهم ((يفيد ان خلق الاشياء قبل خلق السموات ، وهو خلاف المشهور

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص ١٨ - ٢٣ .

(٢) ينظر: البيهقي ٥٨/١ والراوندي ٥٧/١ والكيدري ١٢٨/١ والمعتزلي ٨٤/١ ، ٢٦/١٠ ، والبرقاني ١٣٣/١ ، ٣٣١/٣ والسرخسي ٣٨/١ وعبد ١٩/١ والخوئي ٣٧٢/١ ، ٤/٢ ، ومغنية ١٣/١ والتستري ٤٦٢/١ والموسوي ٢٣/١ وأنصاريان ٣٤ /١ ، ٢٨١/١ .

(٣) ينظر : شرح الكافية ٣٦٧/٢ وجواهر الادب ٢١٦ .

(٤) ينظر : الصحابي ١٤٨ والبيان في غريب إعراب القرآن ٥١٥/٢ والبرهان ٢٦٩/٤ .

(٥) ينظر : معاني الزجاج ٣٢١/٢ والصحابي ١٤٨ والاحكام في اصول الاحكام ٦٥/١ .

(٦) ينظر : معاني الفراء ٤١٥/٢ ومعاني الحروف ١٠٥ وتسهيل الفوائد ١٧٥ ومغني اللبيب ٧١٣ وخزانة الادب ٤١١/٤ .

(٧) ينظر : معاني الزجاج ٣٠٥-٣٠٦ .

(٨) من ذلك قوله تعالى : (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم) الاعراف ١١ ، وينظر : إعراب النحاس ٦٣ /٢

ومعاني الزجاج ٣٢١/٢ والتبيان للطوسي ٧/٩ .

(٩) نهج البلاغة الخطبة ١ ص ١٨ .

والماثور))^(١) لقوله تعالى في سورة النازعات: ﴿ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ نَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾^(٢) ، على حين ذهب بعض العلماء من غير شراح النهج^(٣) ، الى أن الأرض خلقت قبل السماء ، مستدلين بقوله تعالى في سورة فصلت: ﴿ قُلْ أَنْتُمْ لَدَتَّ كُفْرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَدَ عَلَيْهَا رُؤَسَىٰ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِمَنْ لَدَيْنَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ تُخَانَ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أَنْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا

قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرًا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِصَوْتٍ يُسْمَعُ وَيُبْصَرُ فَتَكَبَّ أَعْيُنُنَا وَمَنْعَ لُبُّنَا الْغَيْبُ فَتَنْهَىٰ عَنْهَا الْقُلُوبَ وَعَنْ أَسْمَانَهَا فَسَأَلْنَا مِمَّنْ وَبِمَا يَحْكُمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضَ وَنَسَىٰ حَتَّىٰ تُلَاقِيَنَّهُمْ خِطَابَتُهُمْ فَقَالُوا لَا نَسِيءُهَا وَلَا نَحْضُرُهَا قَالَ أُولَٰئِكَ خَلْقُكُمْ فَكُلُّكُمْ لِي أَرَأَيْتُمْ كَيْفَ تَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ . ولأجل الحفاظ على تقديم خلق السماء على خلق الارض ذهب الشراح الى توجيه دلالة (ثم) كل حسب فهمه لدلالاتها ، فمنهم من رأى ان (ثم) تفيد الترتيب الذكري لا الترتيب الحقيقي ، اي انها تفيد ((الترتيب والتراخي في قوله لا في الصنع الالهي))^(٥) ، فهي هنا لتفصيل المجمل^(٦) . ومنهم من أول الكلام عن ظاهره ، فذهب إلى أن ترتيب الاحداث في قول الإمام (ع) هو في عالم الامر ، اي ان الخلق تم في عالم الامر ((وهو عالم الملائكة الروحانية ، وهو اسبق من عالم الخلق الذي يعبر عن الجسمانية))^(٧) ، ولذا فـ(ثم) على دلالتها من الترتيب المتراخي حسب هذا التاويل الذي ارتضاه البحراني واورده في شرحه دون تعليق عليه ، الا ان هذا التاويل يجعل (ثم) عاطفة لعالم الخلق على عالم الذر ، وهو ادعاء لا دليل عليه ، بل يناقض العلم الالهي الذي نفى عن الخلق علمهم بامور خلقه ، قال تعالى: ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ ﴾^(٨) . وذهب فريق اخر من الشراح الى تقدير محذوف في الكلام لتبقى (ثم) على دلالتها الاصلية ، إذ قال الراوندي : ((لا ليق ان يحمل قوله : احوال الاشياء ، وما يليه على التقدير والعلم السابق وما بعده))^(٩) ، وقدر المعتزلي المحذوف بلفظة (اقول) ، ليكون معنى الكلام : ((ثم اقول الان بعد قول المتقدم انه تعالى انشا فتق الاجواء ...))^(١٠) ، وعارض الخوئي المعتزلي ورأى ان الاولى به ان يقول : ((ان ثم في كلامه لترتيب الاخبار لا لترتيب الحكم))^(١١) واستدل على ذلك بما ذكره الفراء من ان (ثم) للترتيب الذكري كما في قولهم : ((ما صنعت اليوم ثم ما صنعت امس))^(١٢) .

ثم ضمن الخوئي (ثم) في هذا الموضع معنى (الواو) ، ورأى أن ((الاصل في كلمة ثم العاطفة ان تكون مفيدة للتشريك والترتيب والمهلة ، ولا يمكن كون ثم في قوله (ع) : ثم انشا فتق الاجواء ، على وفق ذلك الاصل من حيث

(١) الكيدري ١٣٥/١ .

(٢) النازعات ٢٧-٣١ .

(٣) ينظر : النظام القراني ٣٧١ .

(٤) فصلت ٩-١٢ .

(٥) عبده ٢٠/١ وينظر : البحراني ١٧٨/١ والشيرازي ٢١/١ .

(٦) ينظر : انصاريان ٣٣/١ .

(٧) البحراني ١٨٣/١ وينظر : مغنية ٩٣/١ .

(٨) الكهف ٥١ .

(٩) الراوندي ٥١/١ وينظر : الكيدري ١٢٧/١ .

(١٠) المعزلي ٨٤/١ .

(١١) الخوئي ٣٧٢/١ .

(١٢) معاني الفراء ٤١٥/٢ .

استلزام خلق الفضاء بعد خلق كل شيء مع التراخي كما هو ظاهر ، فلا بد من جعلها بمعنى الواو))^(١) . ويمكن القول : إن (ثم) باقية على دلالتها من الترتيب المتراخي ، وهي تعطف الجمل الواردة في قوله (ع) ، والواردة قبل ذلك في الذكر الحكيم في سورة فصلت ، وليس هي بمعنى الواو ، وليست للترتيب الذكري ؛ لان هذين التوجيهين يعنيان خلّو (ثم) من الترتيب الحقيقي الزمني ، وهذا يجعل كلام الله تعالى ومن بعده كلام الامام (ع) اخبارا عما هو مخالف للقرآن والنهج في مواضع أخرى ، وابقاء الاداة على ظاهرها اولى من التاويل^(٢) . فالتدقيق في الاحداث الواردة في سورة فصلت ، وفي قوله (ع) يبين لنا ان العطف بعد (ثم) هو عطف للسماوات السبع على الارض ، وان الاحداث

الواقعة فيها هي : الاستواء الى السماء ، والايحاء بالامر في كل سماء ، وتزيين السماء الدنيا بمصابيح . اما في قوله (ج) فالاحداث بعد (ثم) متعلقة بفتق الاجواء ، وسكائك الهواء ، وتسويتها سبع سموات ، وانه سبحانه زين عليهاهن بزينة الكواكب ، واجرى فيها السراج المستطير والقمر المستنير وهو ترتيب موافق لما ورد في سورة فصلت ، على حين ان ترتيب الاحداث الواردة في سورة النازعات التي بنى الشّراح فهمهم على اساسها يظهر منها خلق الارض قبل السماء ، فان هذه السورة ذكرت بناء سماء واحدة لا سبع سموات ، وهي السماء القريبة من الارض لانه سبحانه رفع سمكها ، واغطش ليلها ، وترتيب الاحداث في هذه السماء يدل على انها سماء الارض التي : ﴿ بِغَيْرِ عَدِّ تَرَوْنَهَا ﴾^(٣) ، ثم ذكر بعد ذلك دحو الارض ، وهو فعل مغاير لفعل الخلق المذكور في فصلت ، والدحو لا يكون الا بعد الخلق^(٤) ، وفضلا عن ذلك فان خلق الارض والسماء لم ينته انما هو مستمر لقوله تعالى : ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَحْتَسِبُونَ ﴾^(٥) ، وقوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾^(٦) ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ هُوَ يَدِيُّ وَيُعِيدُ ﴾^(٧) .

المطلب السادس : دلالة على

أقر الشّراح للحرف (على) الدلالات الآتية :

الاستعلاء ، وهي الدلالة الأصلية التي نبه عليها شراح النهج تبعا للسابقين^(٨) كما في قوله (ج) يحمد الله تعالى (هو)

(١) الخوئي ٣٧١/١ .

(٢) ينظر : النظام القرآني ٥١ .

(٣) الرعد ٢ .

(٤) ينظر : النظام القرآني ٣٧١ .

(٥) النحل ٨ .

(٦) الذاريات ٤٧ .

(٧) البروج ١٣ .

(٨) ينظر : الكتاب ٢٣٠/٤ ومعاني الحروف ١٠٨ واللمع ٧٤ والازهية ٢٠٢ والمقرب ٢٢٠ وتسهيل الفوائد ١٤٢

ورصف المباني ٣٧١ ومغني اللبيب ١٩٠/١ .

الذي اشْتَدَّتْ نَفَقُهُ عَلَىٰ أَعْدَائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ ، وَاتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نَفَقَتِهِ^(١) ((ومعنى الكلام أنه مع كونه واسع الرحمة وأنه أرحم الراحمين فإنه شديد النعمة على أعدائه ومع كونه عظيم النعمة في نفس الأمر وكونه شديد العقاب فإنه واسع الرحمة لأوليائه))^(٢) .

وثمة عدة دلالات فرعية تلمسها الشّراح للحرف (على) في متن النهج ، صرح معظمهم بأنها تؤول إلى المعنى العام الذي هو الاستعلاء ، ف (على) لديهم يدل على : الاستعلاء والغلبة والقهر والمشقة والصعوبة والضرر والترفع^(٣) . وعولوا على هذه المعاني في توجيه الافعال التي وردت متعدياً في النهج بالحرف (على) مع إنها متعدياً بنفسها أصلاً . وقد برز السامرائي في تتبع الدلالات الدقيقة للحرف على المقترن بكثير من الافعال التي لا تحتاج الى واسطة للوصول

الى مفاعيلها. من ذلك الفعل (كتب) في قوله (ي) : (كَبَّ غَيِّكُمْ وَفَادَّه) ^(٤) ، اذ ذهب الى ان ((تجاوز الفعل كتب الى مدخوله بعلى يؤذن بان استعمال على يأتي في العسر والشدة والشر)) ^(٥) . وكذا الفعل (فرض) اذ بين ان ((استعمال الحرف على مع الفعل فرض يؤذن ان على تاتي في الصعب والمشقة كثيرا ، يقال : اشتد عليه مثلا ، ولما كان الفرض وهو الحج مما يشق كان (على) واجب الاستعمال ، ومنه : عدا عليه ، وتجاوز عليه ، وشنع عليه وبه ، وازرى عليه وبه)) ^(٦) . وأكد على ان (على) ياتي ((في الضرر ، كأن يقال : دعا له ، ودعا عليه)) ^(٧) . وعلى الرغم من تأكيد الشارح على هذا المعنى وتكراره له ، ذهب الى القول بالتضمنين للافعال المتعدية ب (على) دون ملاحظة المعاني التي ذكرها في دلالة (على) على الاستعلاء ، من ذلك ذهابه الى تضمين الفعل (وله) معنى (اعتاد) و (تعود) وهو يشرح قوله (ي) : (وَهَلَّ تَ عَلِيٍّ مَا نَفْسُهُ) ^(٨) ، اذ قال : ((اي ان نفسه تولّعت بالدنيا فاحبتها وهامت بذكرها ، وكأن استعمال حرف الجر على في هذا الفعل يومئ الى انه قد ضمن معنى الفعل اعتاد وتعود)) ^(٩) ، وكان على الشارح ان يلاحظ معنى الضرر في الولوه بالدنيا من تعلق الفعل وله بالحرف (على) لا من تضمنه معنى فعل آخر .

(١) نهج البلاغة الخطبة ٩٠ ص ١٤٦ .

(٢) المعتزلي ٣٩٦/٦ وينظر : الراوندي ٣٧٢/١ والكيدري ٤٢٩/١ والبحراني ٣١٥/٢ ، ١٣٩/٢ وعبد ١٧٣/١ والخوئي ٦/١٤ ، ٦٨/٢٧١ ، ٤٥٣/١ ومغنية ٤٥٣/١ والتستري ١٨٩/١ وأنصاريان ٢٤٨/١ والشيرازي ٣٤/٢ والموسوي ٤٩/٢ .

(٣) ينظر : الكيدري ١٨١/١ وانصاريان ١٣٠/١ والشيرازي ٢٣٣/٢ و ٢٣/٣ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ١ ، ص ٢٥ .

(٥) السامرائي ٣٠٦ .

(٦) نفسه : ٢٨٣ .

(٧) نفسه

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٩ ص ٢٠٠ .

(٩) السامرائي ٣٦٨ .

وقد نسبت هذه المعاني الاستعلائية للحرف (على) في بعض اقوال الشراح المتأخرين - ايضا - الى الافعال ، من ذلك تضمين الفعل (حمل) لمعنى (الارشاد) في قوله (ي) : (فَأَنَا حَامِلُكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَى سَبِيلِ الْجَنَّةِ) ^(١) ، فجعل الشارح الشيرازي ^(٢) تعدية حاملكم بالحرف (على) لتضمنه معنى الارشاد ، اي : ارشدكم على سبيل الجنة ، ولم يجعل الشارح دلالة الحرف (على) على الصعوبة والمشقة مسوغا لتعلقه بالفعل حمل ليفيد صعوبة انقياد المخاطبين .

وقد ذكر شراح النهج دلالات اخرى للحرف (على) هي :

٢ - **على بمعنى مع** ^(٣) : ومن امثلتهم على ذلك قوله (ي) يصف خلق الأرض : (وَأَرْزَاهَا فَيَا أَوْ آدَا فَسَكَنْتَ عَلَى حَرَكَةٍ أَوْ مِمَّنْ أَنْ تَمِيدَ بِأَيْدِيهِمْ) ^(٤) ، اذ ذهب طائفة من شراح النهج الى ان (على) في : (سكنت على حركتها) دالة على معنى (مع) ، اي : (مع حركتها متحركة - كما يقول العلم الحديث -) ^(٥) ، واستشهدوا على هذا بقوله تعالى : ﴿

وَيُطْعَمُونَ الطَّعْمَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٦﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٧) متابعة منهم لمن سبقهم من اللغويين والمفسرين ، على حين ذهب فريق آخر من شراح النهج الى عد (على) في هذا الموضع دالة على الحال ، والمعنى انها سكنت على ان من شأنها الحركة ، اي في حال كونها متحركة ، اذ كانت قبل خلق الجبال مضطربة (٨) . وانفرد الشارح الخوئي بتجويز تقدير محذوف بعد (على) ليكون المعنى : ((على أثر حركتها بتموج الماء)) (٩) .

ويمكن القول : إن (على) باقية على دلالة الاستعلاء لتوَمَّى الى الصعوبة والاضطراب في حركة الارض ، اما في الايتين الكريمتين ف(على) باقية على معناها - ايضا - من الاستعلاء لما فيه من لمح الصعوبة والمشقة مع قلة الطعام المتصدق به في الآية الأولى ، وملاحظة هيمنة المغفرة الربانية على الظلم في الآية الثانية ، ولو كانت (على) بمعنى (مع) لصار المعنى في الآية الأولى ان الصدقة جرت مع حب للمال ، وهذا ينافي صفات المتصدقين المطلقين للدنيا . والمعنى في الآية الثانية انه سبحانه يغفر للناس المصاحبين للظلم وان لم يتوبوا .

٣- على بمعنى باء المقابلة : صرح الأملی (١٠) بهذا المعنى وهو يوضح قوله (ع) : (قَدْرُ الرَّجُلِ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِهِ

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٥٦ ص: ٢٣٧.

(٢) ينظر : الشيرازي ٤٠٠/٢ وللمزيد ينظر : السرخسي ٩٩/١ وأنصاريان ٢٥/٣ .

(٣) للمزيد ينظر : انصاريان ٣٩٣/٣ والخوئي ٣٦٧/٣ و ٧٦/١٠ وعده ٥٩/١ ومغنية ٤١/٥ .

(٤) نهج البلاغة الخطبة ٢١١ ص: ٤١٣ .

(٥) الشيرازي ٣١٦/٣ وينظر : التستري ٤ / ٥١٥ و ابو الفضل ١٥/٢ .

(٦) الانسان ٨ .

(٧) الرد ٦ وينظر : الكشاف ١٩٦/٤ و مغني اللبيب ١٩٠/١ .

(٨) ينظر : المعتزلي ٥٩/١١ والبحراني ٢٦/٤ وعده ٤٥٤/١ وأنصاريان ٤١٠/٢ .

(٩) الخوئي ٧٠/١٤ . (١٠) نفسه ٨٦/٢١ .

وَصِدْقُهُ عَلَى قَدْرِ مَرُورَةٍ ، وَشَجَاعَتُهُ عَلَى قَفَرْتَلِّهِ وَعِفَّتُهُ عَلَى قَدْرِ غَيْرَتِهِ (١) ، فذهب الى ان (على) في هذه المواضع بمعنى باء المقابلة ، وهو معنى ذكره اللغويون لـ(على) (٢) . ومن امثلته في النهج ما في قوله (ع) : ((يَنْزِلُ الصَّبْرُ عَلَى قَدْرِ الْمَصِيبَةِ ، وَمَنْ ضَرَبَ يَدَهُ عَلَى فِخْذِهِ عِنْدَ مَصِيبَتِهِ حَبَطَ عَلَيْهِ)) (٣) ، فقد فسره بعضهم بأنه مهما كانت المصيبة عظيمة فهناك ما يقابلها من الصبر (٤) ، على حين ابقى سائر شراح النهج دلالة (على) على اصلها ، والمعنى انه ((اذا كانت المصيبة عظيمة نزل على الانسان من الله سبحانه صبر كبير)) (٥) ، فالإمام (ع) : ((إِنَّمَا ارَادَ أَنْ مَرَارَةَ الصَّبْرِ تَكُونَ عَلَى قَدْرِ الْمَصِيبَةِ)) (٦) .

ويبدو ان الصفات الحسنة الفاضلة في الرجل مما يحتاج اكتسابها الى جهد وتهذيب للنفس ، وكذلك نزول الصبر على المكاره والمصاعب يصحبه المشقة والمرارة ، لذا جاءت (على) مع هذه الافعال لاشتمالها على هذه المعاني .

٣- **على بمعنى (في)** : كما في قوله (ع) : (والله لأبئن لبي طالبا أنس بالموت من الطُّفْلِ فليدِّي أمه ، بل أندمجت على مكنون علم لو بحث به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطُّفْلِ عو البعيدة)^(٧) ، اذ ذهب الشارحان الكيدري والخوئي الى ان (على) في قوله (ع) : (اندمجت على مكنون علم) بمعنى (في) ، اي : اندمجت في مكنون علم^(٨) ، واستدلوا لهذه الدلالة بقوله تعالى : ﴿ وَخَلَّ الْعَيْنَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا ﴾^(٩) ، على حين خالفهما سائر شراح النهج فضمنوا الفعل (اندمجت) معنى (انطويت) على مكنون علم^(١٠) .

وهنا يمكن القول : إن (على) باقية على دلالتها من غير تضمين واخراج لدلالة الفعل اندمج ؛ وذلك لتحصيل معنى القهر والغلبة على الاسماع المفهوم من السياق : (لاضطربتم اضطراب الارشية..) ولذا صلحت تعديدا اندمج بـ(على) . اما في الاية الكريمة فمعنى الغلبة واضح لتعلق (على) بالفعل (دخل) ، فدخل موسى المدينة كان في ترقب منه وغفلة منهم ، حتى قيل : إن اهل المدينة اخافوا موسى (ع) لما سمعوا منه التكلم بالحق وتوعده فلا يدخل الا على تغفل^(١١) .

٤- **على بمعنى (من)** : ذهب فريق من شراح النهج الى عد الحرف (على) دالا على معنى (من) في قوله (ع) : (فمن ذا بعد ابليس يسلم على الله بمثل معصيته؟)^(١٢) ، واستدلوا على هذا الاستعمال بقوله تعالى : ﴿ الذَّيْنِ إِذَا

(١) نهج البلاغة : الحكمة ٤٧ ، ص ٦٠٩ . (٢) ينظر : مغني اللبيب ١/١٩٢ .

(٣) نهج البلاغة : الحكمة ١٤٤ ، ص ٦٢٨ . (٤) ينظر : الموسوي ٥/٣٢١ .

(٥) الشيرازي ٤/٣٣٢ وينظر : التستري ١/٣٩٨ والخوئي ٢١/٢١٣ (٦) مغنية ٤/٣٠٩ .

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ٥ ، ص ٣٦ ، والارشية : هي الحبال في البئر البعيدة القعر ، ينظر : المعتزلي ١/٢١٥ .

(٨) ينظر : الكيدري ١/١٨١ والخوئي ٣/١٣٦ . (٩) القصص ١٥ .

(١٠) ينظر : المعتزلي ١/٢١٥ والسرخسي ١/٥٤ وعبد ١/١٤٦ والموسوي ١/١٢٦ .

(١١) ينظر : الكشاف ٣/١٦٨ .

(١٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٢ ، ص ٣٦١ .

أَكْتَادُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾^(١) ، والمعنى : « من الذي يبقى بعد ابليس سالما من عذابه وسخطه سبحانه وقد جاء بمثل معصيته »^(٢) . على حين ضدّ فريق آخر من الشّراح الفعل (يسلم) معنى الفعل (رجع) أو (فات)^(٣) ، وقد نبه الشيرازي على معنى الضرر في إفادة الحرف (على) معنى الاستعلاء ، وبذا وجه كلام الامام (ع) محافظا على دلالة (على) ومبتعدا عن القول بالتضمين ، اذ قال : « والإتيان بعلى لانه يشبه الضرر في ان الله يريد شيئا ، ويريد العاصي شيئا اخر خلاف ارادته سبحانه »^(٤) . والفعل (اكتال) في الآية الكريمة وان كان يتعدى بـ(من)^(٥) ، الا ان تعديته بـ(على) تدلّ على ان الاكتيال جائر غير عادل ، وهذا المعنى مفهوم من الحرف (على) الدال على الاستعلاء ، وليس من مجيء (على) بمعنى (من)^(٦) ، او تضمين الفعل (اكتال) معنى استولى^(٧) .

٥ - **على بمعنى (عن)** : ذهب الى هذا المعنى الشارح الخوئي وتبعه الموسوي ، وذلك في شرحهما قوله (ع) : (لَا تَصَدُّعُوا عَلَى سُلْطَانِكُمْ فَذَمُّوا غِبًّا فَلَا كُمْ ...) ^(٨) ، اذ جعلوا المعنى هو النهي لهم عن التفرق عنه ^(٩) ، على حين احتفظت (على) بدلالاتها لدى سائر شراح النهج ، اي : لا تفرقوا ولا تختلفوا على امامكم ^(١٠) ، فالفعل (صدع) يدل على التفرق ، يقال : تصدع الامر : تفرق ، وتصدع القوم تفرقوا ^(١١) ، وهو فعل متعد صلح تعلق الحرف (على) به لبيان معنى الظلم والضرر في عصيان السلطان والخروج على صاحب الامر ، وانما لم يستعمل معه الحرف (عن) في هذا الموضوع لان معنى المجاوزة يمكن ان يكون مرادا لو كان خروجا وتفرقا للجماعة عن صاحبهم او رفيقهم ، اما هنا فاجتمع ضرر التفرق عن وحدة الجماعة الى التفرق عن طاعة ولي الامر المنهي عنها شرعا ، فزاد الضرر واحتاج الكلام الى الحرف (على) لتؤدي هذا المعنى .

(١) المطففين ٢ .

(٢) الخوئي ٢٧٨/١١ وينظر : عبده ٣٩٧/١ ومغنية ١٣٨/٤ .

(٣) ينظر : البحراني ٢٤٨/٤ وانصاريان ٢٧٦/٢ .

(٤) الشيرازي ١٨٠/٣ .

(٥) ينظر : المقاييس ٩١٤ .

(٦) ينظر : الكشاف ٢٣٠/٤ ومغني اللبيب ١٩١/١ .

(٧) ينظر : تفسير الرازي ٨١/١٣ وارشاد العقل السليم ٢٥/٣ .

(٨) نهج البلاغة الخطبة ١٨٧ ص : ٣٤٨ .

(٩) ينظر : الخوئي ١٤٣/١١ والموسوي ٢٤٩/٣ .

(١٠) ينظر : البيهقي ٣٥٠ والراوندي ٤٤١/٢ والكيدري ٣٠٣/٢ والمعتزلي ٩٨/١٣ والبحراني ١٨٣/٤ .

والسرخسي ٢٠٣/١ وعبده ٣٨٤/١ ومغنية ٨٢/٣ وانصاريان ٢٤٤/٢ والشيرازي ١٤٨/٣ وابو الفضل ٧٦٠/٢ .

(١١) ينظر : المقاييس ٥٨٨ .

٦ - **(على) بمعنى الحال** ^(١) : انفرد الشارح البحراني بذكر هذا المعنى للحرف (على) ، في شرحه قوله (ع) في المنذر بن الجارود العبدي ^(٢) وقد استعمله على بعض النواحي فخَانَ الأمانة : (وَمَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ لَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْرٌ ، أَوْ يُنْفَذَ بِهِ أَمْرٌ ، أَوْ يُعْلَى لَهُ قُدْرٌ ، أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ ، أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى جِبَايَةٍ) ^(٣) ، فقد ذكر الشارح ان المعنى في قوله (ع) : يؤمن على جباية « اي : حال خيانتك ؛ لان كلمة على تفيد الحال » ^(٤) ، واختلفت أقوال سائر شراح النهج في توجيه معنى (على) في هذا الموضوع ، فذهب الراوندي الى أنها بمعنى (من) ، اي : (يكون مأمونا من أن يخون) ^(٥) ، على حين ذهب التستري الى ان (على) بمعنى (مع) ، والمعنى : يؤمن مع خيانة ^(٦) ، وذهب فريق آخر الى تقدير محذوف ، ليكون المعنى : يؤمن على ازالة خيانة ^(٧) ، او يؤمن على دفع خيانة ^(٨) .

وربما كان توجيه التستري أفضل ما قيل هنا ؛ لأنه يدل على عدم استحقاقه الائتمان لمصاحبه فعل الخيانة ، ولكن تحري ظاهر الاستعمال اللغوي افضل في ادراك مراد المتكلم ، وانه (ع) خاطب هذا الخائن بعد علمه بحصول ذلك الفعل القبيح منه ، فلن (يؤمن على خيانة) ؛ لأنه ارتكب كبيرة خان بها نفسه وامامه والمسلمين ، لذلك استعملت الاداة (على) لتؤدي المعنى على اعلى وجه له من وجوه الظلم والقبح والعسر .

٧- (على) زائدة :

عدّ الخوئي (على) زائدة في قوله (ع) : (... وَلَكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمَقْبَلِ إِلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرِ عَنْهُ... وَبِالسَّمْعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِيِ الْمُرِيبِ أَبَدًا حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي ..) (٩) ، فعد (على) في : ياتي عليّ يومي ، زائدة ، والمعنى : حتى ياتيني يومي (١٠) . والحق ان استعمال الحرف (على) في هذا الموضع مراد ؛ لأنه لا يعبر عن اتيان اليوم بصورته الطبيعية المعتادة ، وانما المراد اتيان الموت (١١) اليه (ع) بما فيه من شدة و صعوبة ، لذلك استعمل الفعل (على) ، ولو حذف الحرف من التركيب لما فهم الشّراح ارادة يوم الموت ، فربما اراد بيومي يوم انتصافه من الظالمين ، او يوم انتصاره ، او اي يوم اخر .

(١) وللمزيد ينظر : البحراني ٤٢١/٣ و ٢٤/٤ . (٢) تنظر ترجمته في المعتزلي ٥٥/١٨ .

(٣) نهج البلاغة : الرسالة ٧١ ، ص ٥٩١ .

(٤) البحراني ٢١٣/٥ .

(٥) الراوندي ٢٥٥/٣ .

(٦) ينظر : التستري ١١٣/٨ .

(٧) ينظر : انصاريان ٣٠٩/٣ .

(٨) ينظر : الشيرازي ٢٤٦/٤ وعده ١٣٨/٢ ومغنية ١٨٩/٤ .

(٩) نهج البلاغة : الخطبة ٦ ، ص ٣٧ .

(١٠) ينظر : الخوئي ١٤٤/٣ .

(١١) ينظر : البيهقي ٨٩ والكيدري ١٨٤/١ والمعتزلي ٢٢٥/١ والبحراني ٢٨١/١ والشيرازي ٨٦/١ والموسوي ١٣٢/١ .

المطلب السابع : دلالة الي .

أقر الشّراح تبعا للسابقين (١) للحرف (إلى) الدلالات الآتية :

١- دلالة (إلى) على الدخول في الغاية مطلقا .

وهي دلالة يتيسر فهمها من السياق عموما ، الا ان تعلق (إلى) بالافعال المتعدية بنفسها او تعلقه بافعال تصل الى مفاعيلها بغيره ، اوقع شراح النهج في تباين واضح في توجيه مراد الامام (ع) ، تباينا ليس بين شارح وآخر ، بل بين اقوال الشارح الواحد . فقد ذكروا عدة توجيهات لاستعمال الحرف (إلى) ، تارة بالقول بالتضمين ، اي اخراج دلالة الافعال التي تعلق بها حرف الجر (إلى) الى دلالات افعال اخرى ، وتارة بتقدير فعل محذوف في التركيب يصلح لتعلق

الحرف (الى) به ، وتارة بإقرار دلالة أخرى للحرف (الى) على معنى حرف آخر . ومن اهم الاستعمالات لهذا الحرف وروده في كلام الامام (ع) متعلقا بالفعل (ابصر) ، واستعمال حرف الباء في الموضع نفسه متعلقا بالفعل نفسه ، مما يتيح للشراح عقد مقارنة دلالية دقيقة بين الاستعمالين في قوله (ع) في صفة الدنيا : (مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ لَهْلُؤًا عَنَاءً ! وَأُخْرَهَا فَنَاءً !... مِنْ أَسْتَعْنَى فِيهَا فِتْنٍ .. وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَوَّهُ ، وَمَنْ أَبْصَرَ لَهْلِيًّا أَعْقَهُ)^(١) ، وقد خاض الشّراح في التاويل ولم يحملوا الألفاظ على ظاهرها ، إذ استقر لديهم تعديّة الفعل ابصر بنفسه وعدم احتياجه الى حرف جر للوصول الى مفعوله ، فالمعتزليّ علق (الى) بمحذوف تارة ، وجوز زيادة (الى) في التركيب بقصد معنى الظرفية تارة أخرى ، فقال: «يجوز ان يكون قوله عليه السلام : من ابصر اليها ، اي : ومن ابصر متوجها اليها ، كقوله : ﴿ فِي سَعِ آيَاتِ إِلٰهِي فُوعُونَ ﴾^(٢) ولم يقل : مرسلا، ويجوز ان يكون اقام ذلك مقام قوله : نظر اليها ، لما كان مثله ، كما قالوا في دخلت البيت ودخلت الى البيت اجروه مجرى ولجت البيت لما كان نظيره)^(٤) . ويكاد يطبق سائر الشّراح على القول بتضمين (أبصر) أفعالا أخرى تعلقها بـ(الى) ظاهر جليّ وهي : (نظر) و(توجه) ، و(التفت)^(٥) . وأحسن الكيدريّ لما نأى عن التضمين والتاويل فحمل التركيبين : (أبصر بها) و(أبصر إليها) على ظاهرهما ، ففرق بينهما قائلا: « ابصر بها ، اي : جعلها آلة وواسطة لادراك السعادة الكبرى

(١) ينظر : الكتاب ٢٣١/٤ والمقتضب ١٣٩/٤ والاصول ٥٠١/١ ومغني اللبيب ١٠٤/١ والجنى الداني ٣٧٣ .

(٢) نهج البلاغة الخطبة ٨٢ ص: ١١٩ .

(٣) النمل ١٢ .

(٤) المعتزليّ ٢٤٠/٦ .

(٥) ينظر : الراونديّ ٣١٩/١ والكيدريّ ٣٧٧/١ والبحراني ١٩٠/١ والخوئيّ ٣٣٤/٥ . و ٤٠٦/٩ ومغنية ٣٧٨/١

والتستريّ ٤١٧/١١ وانصاريان ٢٥٠/٣ والموسوي ٤٥٥/١ .

بصرته ؛ لانها الوسطة ... ومن ابصر اليها ، اي : جعلها مقصودة مطلوبة)^(١) . وهذه الالتماعات الدلالية في بحث الشّراح الأدوات النحوية قليلة إذا ما قيس الأمر بنزعهم نحو التاويل والتضمين تبعا للسابقين . ومن هذه الالتماعات - أيضا - ما جهر به الخوئي من دقة استعمال للحرف (الى) في قوله (ع) : (فَوْتُ الْحَاجَةِ أَهْوَنُ مِنْ طَهْلَبٍ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ)^(٢) ، إذ قال : «وطلب منه اشهر من طلب اليه ، وكان العدول من لفظة (من) الى لفظة (الى) يشعر بانه جر الحاجة الى غير مظان حصولها)^(٣) ، لكنه سرعان ما يعدل عن هذا الالتفاتة ليعود الى القول بالتضمين الفعلي للاستعمال نفسه ، وذلك في شرح قوله (ع) في وصف المتقين : (يطلبون الى الله تعالى في فكاك رقابهم)^(٤) ، اذ بين الخوئي ان «تعديّة الطلب بحرف الجر اعني (الى) لتضمين معنى التضرع)^(٥) ، فجعل التضرع حاصلًا من الفعل (طلب) وليس من استعمال الاداة (الى) كما وجه به التركيب السابق . ورفض ان يقدر التضمين الفعلي لطلب بـ

: (سأل) كما فعل المعتزلي قبله^(٦) ، مع انه كان بإمكانه ان يوحد منهجه ويذهب الى ان استعمال الطلب متعديا بالحرف (الى) في هذا الموضع للدلالة على انه طلب مصحوب بـ تضعر ؛ لان الحرف (الى) وجه الطلب الى الباري -عز وجل- على حين كان الطلب مذموما في الحكمة السابقة ؛ لان الحرف (الى) اوصل الطلب الى غير اهله .

٢ - الى بمعنى (مع)

من امثلة هذا المعنى لدى الشراح ما في قوله (ي) : (أَحْمَدُهُ إِلَى نَفْسِهِ)^(٧) ، و (حَمَدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ)^(٨) ، و (أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللهُ)^(٩) ، إذ تعلق (الى) بالفعل (حمد) المتعدي ، فذكر الخوئي أن (الى) بمعنى (مع) في قوله (ي) : «فإني احمد اليك الله ، اي : احمده معك ، فأقام إلى مقام مع»^(١٠) ، وأكثرهم على أن (إلى) في هذا الموضع لم يتعلق بالحمد بل هو

(١) الكيدري ٣٧٨/١ وينظر : ٥٤٢/٢

(٢) نهج البلاغة : الحكمة ٦٦ ، ص ٦١١ .

(٣) الخوئي ١٠١/٢١ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٣ ، ص ٣٨٢ .

(٥) الخوئي ١١٣/١٢ .

(٦) ينظر : المعتزلي ٢٤٠/٦ .

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ١٨٣ ، ص ٣٣٤ .

(٨) المصدر نفسه : الخطبة ٢٢٢ ، ص ٤٣٢

(٩) نفسه : الخطبة ١٦٠ ، ص ٢٨٠ .

(١٠) الخوئي ٦٥/١٨ .

متعلق بمحذوف يظهر جليا اقترانه بهذا الحرف ، والتقدير : أحمدته متقربا اليك^(١) ، او منهيًا ذلك اليك^(٢) ، او مفضيا اليك^(٣) ؛ لان «طريقة العرب في الحذف في مثل هذا معلومة»^(٤) . ولا يحتمل الكلام مثل هذه التأويلات التي تتأى به عن مراد الإمام الذي يظهر منه أنه (ي) يحمد الله حمدا يعيه من حوله فتخشع له جوارحهم وترق له مسامعهم ، وبهذا تحتفظ الأداة (إلى) بمعناها العام الذي هو الدخول في الغاية .

٣ - الى بمعنى الباء

وذلك في قوله (ي) في الخوارج : (مَا أَنْتُمْ بِوَثْقِيَّةٍ يُعْتَقُ بِهَا - ا لَأَوْزَوَافِرَ عِرٌّ يُعْتَصَمُ بِهَا)^(٥) ، إذ ذهب فريق من الشراح^(٦) الى إن (الى) في: يعتصم اليها ، بمعنى الباء ((اي : بها ، فاناب الى مناب الباء ، كقول طرفة^(٧) :

وَأَنْ يَلْتَقِيَ الْحَيَّ الْجَمِيعُ تَلَاتِقِي
إِلَى نُرْوَةِ الْبَيْتِ الرَّفِيعِ الْمَصْمَدِ

وأقر بعضهم تضمين اعتصم معنى التجأ ، ف ((عدي الاعتصام بالي على معنى الالتجاء))^(٨) ، والمعنى : يلتجأ إليها عند براز الابطال^(٩) . ومعنى : (اعتصم إلى) يستدعي أن تكون العصمة متحققة من التوجه إلى زوافر العز والدخول فيها ، والالتجاء معنى مفهوم من دلالة (إلى) الرئيسة إذ هي الدخول في الغاية وليس العكس .

(١) ينظر : الراونديّ ١٩٨/٢

(٢) ينظر : الخوئي ٢٤٨/١٤

(٣) ينظر : الشيرازي ١٠٦/٣ .

(٤) ينظر : المعتزليّ ١٧٩/١١ .

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ١٢٥ ، ص ٢٣٠ .

(٦) ينظر : المعتزليّ ١٠٧/٧ والشيرازي ٢١٤/٢ وابو الفضل ٢٩٣/١ .

(٧) من المعلّقة في شرح السبع ١٨٧ وشرح التسع ٢٥٧ وشرح العشر ٧٧ .

(٨) السرخسي ١٢٣/١ .

(٩) ينظر : الراونديّ ٤٢/٢ والخوئي ١٨٠/٨ .

المطلب الثامن : دلالة حتىّ

أقرّ الشّراح تبعاً للسابقين^(١) عدة دلالات لحتىّ ، منها العطف والجّر والاستثناء وغير ذلك ، ويمكن إرجاع كل هذه الدلالات إلى معنى واحد هو الدلالة على انتهاء الغاية . وكما يأتي :

١ - دلالة (حتى) على انتهاء الغاية

ومعنى انتهاء الغاية أن ما بعد (حتى) منقطع عما قبلها ، وما قبلها ينتهي عند حدود ما بعدها . ودلالة (حتى) الرئيسة هذه متأتية من دلالة اصواتها^(٢) ، ف (حتىّ) مشتقة من الحتّ ، والحقوا بها ألفا في اللفظ ، وبياء في الخط ، لثلا تلتبس باسم او فعل^(٣) ، ولما كان الحتّ هو الاستئصال والازالة والخلوص الى نهاية ، كانت (حتى) بمعنى الوصول الى نهاية الامر^(٤) .

ولذا أقرّ شراح النهج دلالة (حتى) على انتهاء الغاية في عدة مواضع من النهج^(٥) على نحو هيمنت فيه هذه الدلالة على غيرها من الدلالات التي تشعبت وتفرعت أيما تفرّع . وعلى الرغم من ذلك اختلف الشّراح في دلالة أمثلة (حتى) الواردة في النهج كثيرا ، فلا يكادون يتفقون على دلالة مثال واحد منها .

من ذلك ما في قوله (هـ) لما بويع بالخلافة : (فوالله ما زلت مدفوعا عن حقي مستائرا علي منذ قبض رسول الله (ص) حتى يوم الناس هذا)^(٦) ، فمعظم الشّراح^(٧) على أنّ هذه الخطبة خطبها الإمام (هـ) لما بويع بالخلافة ، وفيها يفاد من (حتى) أنه (هـ) جاء بها لأنه اراد وقوع الظلم عليه حتى يومه الحاضر ، إذ بويع خليفة . ولو استعمل (إلى) لما كان فيه إشارة إلى رجوع الحق إليه (هـ) . ويؤيد ذلك انه (هـ) نفى ان يكون كالضبع تنتظر الصائد حتى يأتيها ثم يوقع بها ، فهو (هـ) لا ينتظر وقوع الحيف عليه ، بل يضرب بالحق على الباطل . وشرط توسط (حتى) العاطفة بين الجزء وكله يجعلها قريبة من دلالة ادوات اخرى ، فهي تشبه دلالة الحرف (إلى) في معنى الغاية ، الا ان الفرق الدلالي بينهما يتمثل في ان (إلى) امكن في الغاية من (حتى) واعم^(٨) ، فان (إلى) تستعمل في عموم الغايات ، سواء كانت اخر جزء من الشيء ام لا ، فالفرق بينهما ان « حتى غاية لما قبلها ، وهو منه ، وما بعد الى ليس مما قبلها ، بل عنده انتهى ما قبل الحرف ولذلك فارقتها في اكثر احكامها ولم تكن الى عاطفة لانقطاع ما بعدها عما قبلها بخلاف (حتى)^(٩) .

(١) ينظر : الكتاب ٤٩/١ والمقتضب ٩٥٦/٢ ومعاني القرآن ١٣٤/١ واسرارالعرب ٣٦٩ والجنى الداني ٥٠٣ ومغني اللبيب ١٦٦/١ .

(٢) ينظر : نتائج الفكر ٢٥٢ وبدائع الفوائد ١٢٧/١ . (٣) ينظر : بصائر ذوي التمييز ٤٢٩/٢ .

(٤) ينظر : معاني النحو ٣٤/٣ ونظرة مقارنة على بعض ادوات المعاني ١٣٤

(٥) ينظر : البيهقي ٨٩ والراوندي ١٢٩/٢ والبحراني ٣٢١/١ وعده ٣٢١/١ وانصاريان ٥٩/١ وابو الفضل ٣٤٠/١ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ٦ ، ص ٣٧ . (٧) ينظر : المعتزلي ٢٢٣/١ والبحراني ٢٨١/١ ومغنية ٢٦٦/١ .

(٨) ينظر : الكتاب ٣١٠/٢ ومعاني النحو ٣٥/٣ . (٩) نتائج الفكر ٢٥٢ .

ومن هنا تسمّح الخوئي في بعض المواضع^(١) فلم يفرق بين (حتى) و(إلى) ، فجوّز أن يكون ما بعد (حتى) داخلا في حكم ما قبلها في المعنى ، إذ فسر (حتى) ب(إلى)^(٢) في قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ يَجْعَلَٰ إِيَّانَا مَوْسَىٰ ﴾^(٣) . والمعنى الدقيق لفعل بني اسرائيل في هذه الاية حسب الدلالة الدقيقة للاداة (حتى) يقتضي انهم يعكفون على عبادة العجل حتى يروا موسى (هـ) راجعا اليهم فإذا دخل إلى مكانهم امتنعوا عن ذلك ، وهذا تلويح منهم بادراكهم لقبح ما فعلوه لانهم يتركون عبادة العجل حين رؤيتهم موسى (هـ) ، ولو استعملت الاداة (إلى) لكان المعنى انهم يعكفون على عبادتهم العجل بعد وصول موسى (هـ) إليهم ، وحينئذ ليس ثمة إشارة في كلامهم إلى إنهم مدركون لكفرهم ومعصيتهم لنبيهم . وثمة دلالات كثيرة لأمثلة (حتى) في النهج توسع الشّراح في إيرادها تارة ، وساقوها على سبيل الخلاف بينهم تارة أخرى ، وأشهر تلك الدلالات :

- حتى العاطفة

شرط العطف بحيثى ان يكون ما بعدها جزءا مما قبلها ، نحو : اكلت السمكة حتى رأسها ، ومات الناس حتى الانبياء^(٤) الا ان العطف بـ (حتى) يضيف على الجزء دلالة خاصة تتمثل في تعظيم ذلك الجزء او تحقيره او زيادته او نقصانه ، فلا يقال : قام القوم حتى زيد ، الا وزيد عظيم او حقير . فالزيادة تشمل القوة والتعظيم ، والنقص يشمل الضعف والتحقير . ومثال التعظيم : مات الناس حتى الانبياء ، فالانبياء غاية للناس في الشرف والفضل . ومثال الضعف : قدم الحجاج حتى المشاة ، فالمشاة غاية للحجاج في الضعف والعجز^(٥) . ولما كان معطوف (حتى) من جنس المعطوف منه ، او جزءا منه ذهب النحاة الى ان المعطوف بـ(حتى) لا يكون الا مفردا و «الجزئية لا تأتي الا في المفردات»^(٦) ، فهي لا تعطف الجمل^(٧) ، والفعل المعطوف بعدها على الاستئناف فهي حرف ابتداء^(٨) ، واشترطوا لعطفها الجمل ان تفيد السببية^(٩) ، نحو : ما تأتينا حتى تحدثنا ، وضربت زيدا حتى بكى ، فما بعدها شيء يؤديه الاول . ويقال - ايضا - : قام حتى أعياء ، وبكى حتى عمى ، ولو قيل : اكل حتى بكى ، وسار حتى طلعت الشمس لم يجز لعدم افادة السببية^(١٠) .

(١) ينظر : الخوئي ١٤٤/٣ و ١٥٩ و ١٨٢/٤ .

(٢) ينظر : الخوئي ١٤٤/٣

(٣) طه ٩١ .

(٤) ينظر : المقتضب ٨٤٢/٢ وجواهر الادب ٢٣٦ .

(٥) ينظر : معاني الحروف ١١٩ والازهية ٢٢٣ والمقتصد ٨٤١/٢ وشرح المفصل ٩٦/٨ وشرح جمل الزجاجي ٢٢٨/١

والتسهيل ١٧٥ وارتشاف الضرب ٦٤٧/٢ والهمع ٢٥٨/٥ .

(٦) الهمع ٢٥٨/٥ .

(٧) ينظر : مغني اللبيب ١٧٢/١ .

(٨) ينظر : الكتاب ٤١٣/١ وارتشاف الضرب ٦٣١/٢ ومغني اللبيب ١٧٣/١ وشرح التصريح ١٤١/٢ .

(٩) اي : تكون بمعنى اللام او كي التعليلية .

(١٠) ينظر : ارتشاف الضرب ٦٤٩/٢ والجنى الداني ٥٠٨ والهمع ٢٥٩/٥ .

- حتى الجرّ

اذا كان ما بعد (حتى) شيئا ينتهي عنده ما قبلها وليس جزءا مما قبلها فلا يجوز العطف بها ، وانما هي حتى الجرّ ، نحو قولنا : قمت الليلة حتى الصباح ، لان الصباح ليس جزءا من الليلة . والمعنى ان الليلة منتهية عند وجود اول جزء من الصباح^(١) ، و(حتى) الجرّ اعم من (حتى) العاطفة ؛ « لان كل موضع جاز فيه العطف يجوز فيه الجر ولا عكس ، لان الجر يكون في موضع لا يجوز فيه العطف »^(٢) .

- حتى الاستثنائية .

يفهم معنى الاستثناء في (حتى) من علاقة الجزئية بين ما قبلها وما بعدها ، فهذه العلاقة اشبهت (حتى) شرط الاستثناء المتصل ، الذي يقتضي ان يكون ما بعد الا ، وهو المستثنى ، جزءا مما قبلها وهو المستثنى منه . ولذا ذهب

النحويون الى ان (حتى) يعطف بها يختلط ما بعدها بما قبلها وينزل منزلة البعض منه ، يحسن إن حسن الاستثناء المتصل . فان لم يحسن الاستثناء المتصل لم يحسن العطف بـ (حتى) . إذ يحسن ان يقال في الاستثناء المتصل : اعجبني الرجل الا كلامه ، ويمتنع ان يقال : اعجبني الرجل الا ولده ؛ على ارادة الاتصال ؛ لان شرط الاستثناء المتصل ان يتناول ما قبل ادائه ما بعدها نصاً^(٣) ، وعليه يصح ان يقال : اعجبني الرجل حتى كلامه . مع ملاحظة ان الاستثناء يخرج الجزء من حكم الكل ، على حين يدخل العطف الجزء بحكم الكل .

ومن أمثلة (حتى) التي اضطرب الشّراح بشأنها أنّ رجلاً كان مع عليّ (ع) واسمه مصقلة بن هبيرة ، اشترى سبياً من عامل الإمام عليّ (ع) واعتقه ولكنه أخر ثمنه فلما طُلب بالمال هرب إلى معاوية ، فقال الإمام يذمه : (قَبَحَ اللهُ مَصْقَلَةَ فَعَلَّ فَعَلَّ السَّادَاتِ ، وَفَرَّ فَرَارَ الْعَبِيدِ ، فَمَا أُطِقَ مَادِحَهُ حَتَّى أَسْكَنَهُ ، لِأَوْصَدَّقَ وَاصِفَهُ حَتَّى بَغَاهُ)^(٤) . وفي مدلول (حتى) في الموضوعين خلاف بين الشّراح ، فذهب بعضهم إلى إنها عاطفة تفيد جمع الجهر بمدحه إلى السكوت عنه ، وجمع تصديق واصفه إلى تكذيبه ، فهو قد جمع بين غايتين متنافيتين : انطاقه لمادحه بفداء الاسرى ، واسكاته له بهربه قبل تمام انطاقه^(٥) . وهذا يعني انها بمعنى الواو . وأخرجها بعضهم على معنى العطف الدال على التعليل والبيان ، وهو متحقق بالفاء العاطفة « فان اسكات المادح لا يتصور قصده الا بعد انطاقه ، وهو لم يتم فعله الذي يطلب به انطاق مادحيه بالكرم والحمية ونحوهما ، فكانه قصد اسكات مادحه بهروبه فازوى عليه ذلك ، وقال انه لم ينطقه بمدحه فكيف يقصد اسكاته بهروبه ، وان كان العاقل لا يتصور منه اسكات مادحه عن مدحه الا انه لا اختياره الهروب المستلزم لاسكات المادح صار كالقاصد له فنسب اليه»^(٦) .

(١) ينظر : المقتضب ٨٤٢/٢ وجواهر الادب ٢٣٦ . (٢) الجنى الداني ٥٠٣ .

(٣) ينظر : شرح التصريح ١٤١/٢ وحاشية الدسوقي ١٣٨/١ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ٤٤ ، ص ٨٦ .

(٥) ينظر : البحراني ١١٨/١ والخوئي ٢٣٣/٤ والشيرازي ٢١٠/١ .

(٦) البحراني ١١٧/١ وينظر : انصاريان ١٦٥/١ .

وجوز بعضهم إن تكون (حتى) في الموضوعين بمعنى الاستثناء المفرغ ، لأنه لم ينطق مادحه إلا بقصد اسكاته بهربه ولم يصدق واصفه إلا بقصد تكذيبه^(١) .

وأخرج بعضهم (حتى) في هذين الموضوعين إلى معناها المعروف لاختلاف الفعلين ؛ لأن اختلاف الغايتين مقصود ومراد في هذا الموضوع ، فبه تحصل الدلالة على تباين افعال هذا الرجل وقبح نفسه ، فكانه لم يتحمل فعل الخير حتى يصرح بحبه للرديلة ، فجاءت (حتى) تعبر عن هذه الغاية وتترك للسامع تصور نفسية الرجل ، وتخيل المعنى ، وكأن القائل « ما قال : احسن مصقلة في عتق الاسرى حتى ارتفع صوت يقول : قبحه الله من لص محتال »^(٢) . وعضد الخوئي دلالة (حتى) على التعليل بقوله تعالى : ﴿ وَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا بِمَا نَقَلْتُم عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ . وحمل (حتى) على التعليل في الآية الكريمة يجعل المعنى ان الكفار يقاتلون المسلمين لغاية فكأنها بمعنى (كي)^(٤) . وحمل (حتى) على التعليل في الآية الكريمة يجعل المعنى ان الكفار يقاتلون المسلمين لغاية

واحدة معللة بالعودة بهم الى الكفر، وبقاء (حتى) دالة على انتهاء الغاية يبين أن قتالهم ممتد لغاية حصول الكفر ، وانما لم يجعل القتال علة للرجوع الى الكفر ؛ لانه ربما تكون هناك غايات وعلل اخرى من حرب الكفار للمسلمين ، من نحو ابقائهم على العادات التي نسخها الاسلام وحرمها .

وفي قوله (ع) : (وَدُرُّ عَدُوِّ ، وَأَيُّوَا ، وَمَعَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْفِشْلُ ، وَلَسْنَا نُرْعِدُ حَتَّى نَنْفِقَ لِأَوْلَادِنَا سَيْلُ حَتَّى نَمُطِرَ)^(٥) ، ذهب الشارح الخوئي^(٦) الى حمل (حتى) على معنى الاستثناء ، والمعنى : انا لا نُهدد الا ان نعلم انا سنوقع ، وبهذا يكون التهديد سابقا للايقاع ، على تاويل علم الامام (ع) المسبق بتحقق الايقاع بالعدو . واستدل الخوئي على عضد هذه الدلالة بقول الشاعر^(٧) :

لَيْسَ الْعَطَاءُ مِنَ الْفُضُولِ سَمَاحَةً حَتَّى تَجُودَ وَمَا لَدَيْكَ قِيْلٌ

وتابعه انصاريان في هذا التاويل من غير ان يصرح بمجيء (حتى) هنا بمعنى (الا) ، قائلا : «لعل المعنى : لسنا نهدد حتى نعلم انا سنوقع»^(٨) . وابقى شراح النهج الاخرون (حتى) على معناها من انتهاء الغاية ، ليكون كلامه (ع) انا «اذا اوقعنا بخصمنا ، اوعدنا حينئذ بالايقاع بغيره من خصومنا»^(٩) ، فالايقاع بأحد الخصوم سابق لتهديد آخرين ، وهو بمنزلة الإنذار والوعيد لهم^(١٠) . فتكون (حتى) دالة على إن غاية سكوتهم عن الرد ممتدة لحين

(١) ينظر: البحراني ١١٨/١ . (٢) مغنية ٢٦٧/١ .

(٣) البقرة ٢١٧ وينظر: الكشاف ٣٥٧/١ . (٤) ينظر : الخوئي ١٨٢/٤ .

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ٩ ، ص ٣٨ . (٦) ينظر : الخوئي ١٥٩/٣ .

(٧) من شواهد مغني اللبيب ١٦٩/١ والجنى الداني ٥٠٦ من دون عزو .

(٨) انصاريان ٨٧/١ .

(٩) المعتزلي ٢٣٧/١ وينظر : عبده ٤٨/١ وابو الفضل ٤٤/١ ومغنية ٢٧٤/١ .

(١٠) ينظر: السرخسي ٥٥/١ .

الظفر بأحد خصومهم فيكون ردهم مآثر يتناقلها الناس ، لا صخب كلام يرددونه بأفواههم كما يفعل خصومهم . وفي قوله (ع) : (إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَفْقَرُ كِتَابًا ، لِأَوْيَدَيْ نُبُوَّةٍ ، فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَلَدَتَّهُمْ ، وَبَهَّجَهُمْ مِنْجَاتَهُمْ ، فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ ، وَأَطْمَأْنَنْتْ صِفَاتُهُمْ ، أَمَا وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لِفِي سَاقَتِهَا ، حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَائِفِيرِهَا ، مَا عَجَزْتُ لِأَوْجِبْتُ ، وَإِنَّ مَسِيرِي هَذَا لَهَيْلًا ، فَلَأَقْبُنَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنِّبِهِ)^(١) أغرب السامرائي فعدّ : (ان كنت لفي ساقتها) سياقاً منفيًا لا مثبتاً مؤكداً ، و(ان) نافية وليست مخففة من الثقيلة ، و (حتى) دالة على تعليق النفي وابطاله فهي بمعنى (إلا) . و«حتى هذه يؤتى بها في حيز الجملة لتعلق النفي و تبطله ... وقد ذهب الامام محمد عبده الى ان (ان) هذه هي المخففة من الثقيلة ... وهذا لا يقره عليه النحاة ؛ وذلك لان (ان) المكسورة الهمزة اذا خفت جاز اعمالها واهمالها ، والارجح الاهمال»^(٢) ، والمعنى الذي راه السامرائي

هو ان الامام (ع) يريد ان يقول : ما كنت في الذين يسوقون الحرب طردا حتى تولت^(٣) . وسائر شراح النهج^(٤) يفسرون (حتى) بانتهاء الغاية ، والمعنى إنه « شبه (ع) امر الجاهلية اما بعجاجة ثائرة او بكتيبة مقبلة للحرب ، فقال : اني طردتها فولت بين يدي ، ولم ازل في ساققتها انا اطردها وهي تنطرد امامي ، حتى تولت باسرها ولم يبق منها شيء ... وان مسيري هذا لمثلها ، فلانقبن الباطل»^(٥) ، وفي هذا التوجيه تكون (ان) في : (وان كنت لفي ساققتها) مخففة من الثقيلة ، والسياق مؤكد ، و(حتى) أفادت أنه (ع) ثابت في ميدان الجهاد بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) (لحين كسر شوكة الكفر وأهله . وفي قوله (ع) يصف الدنيا : (فإنها عند ذوي العُقول كأي الظل ، بيادته راه سَابِغًا حَتَّى قَلَاصَ ، وَزَيْلًا حَتَّى قَاَصَ)^(٦) ، ذهب الخوئي إلى أن (حتى) « حرف ابتداء يعني انها حرف يستأنف بعدها الكلام ، سواء كانت الجملة اسمية او فعلية»^(٧) ، ولم ير سائر الشراح^(٨) استثناء في كلام الامام (ع) وانما هو متصل لبيان مصير الاشياء وغاياتها ، فكما ان غاية الفيء السابغ والزائد ان ينتهي الى التقص والنقصان ، كذلك الدنيا الى الزوال .

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٣٣ ، ص ٧٣-٧٤ .

(٢) السامرائي ٣٥ . وينظر : وعده ٩٠/١

(٣) ينظر : السامرائي ٣٥ و ٢١٢ .

(٤) ينظر : الراوندي ٣٧١/١ والكيدري ٢٥٩/١ والبحراني ٧٣/٢ والخوئي ٦١/٤ وانصاربان ١٤٥/١ والشيرازي ١٧٧/١

والسرخسي ٦٥ /١ وعده ٩٠/١ ومغنية ٢٢٠/١ .

(٥) المعتزلي ١٨٦/٢ . (٦) نهج البلاغة : الخطبة ٦٣ ، ص ١٠٠ .

(٧) الخوئي ٣٨٩/٤ .

(٨) ينظر : المعتزلي ١٤٤/٥ والبحراني ١٥٨/٢ والشيرازي ٢٤٨/١ وعده ١١٨/١ ومغنية ٣٢٢/١ والتستري ٦/١٢ وأبو الفضل ١٢٧/١

والموسوي ٣٨٢/١ .

الفصل الخامس

الدلالة المعجمية في شروح نهج البلاغة

- توطئة : الدلالة المعجمية / مفهومها وأنماطها .
- المبحث الأول : المشترك اللفظي في شروح النهج .
- المبحث الثاني : التضاد في شروح النهج .
- المبحث الثالث : الترافف والفروق اللغوية في شروح النهج .
- المبحث الرابع : التطور الدلالي في شروح النهج .

توطئة : الدلالة المعجمية / مفهومها وأنماطها

المراد بالدلالة المعجمية هو ذلك النوع من الدلالة الذي يهتم بالكلمات المتداولة لدى مجتمع إنساني معين؛ لأن « كل كلمة من كلمات اللغتها دلالة معجمية ، او اجتماعية تستقل عما يمكن ان توحيه أصوات هذه الكلمة او صيغتها من دلالات زائدة على تلك الدلالة الاساسية، التي يطلق عليها الدلالة الاجتماعية»^(١). إذ تكتسب الألفاظ في أي لغة دلالاتها لدى بنائها عبر التلقي والمشاهدة والتواصل فيما بينهم . ولذا سمي هذا النوع - أيضا - بالدلالة الاجتماعية وهي « الهدف الاساسي في كل كلام ، وليست العمليات العضوية التي نقوم بها في النطق بالأصوات إلا وسائل يرجو المتكلم أن يصل عن طريقها إلى ما يهدف من فهم أو إفهام»^(٢).

إنَّ مهمّة المعجم في أيّ لغة هي الكشف عن معنى الكلمة، إذ تعدّ دراسة المعنى المعجميّ أول خطوة في الحديث عن الكلمة ودلالاتها ، لأنّ الدلالات الصوتيّة والصرفيّة والنحويّة هي دلالات وظيفيّة^(٣). وقد سمّاها الدكتور تمام حسان بالمعنى الوظيفي. وكلّ من الصوت والصرف والنحو لا يدرس الكلمة ، وما يدرسها هو المعجم^(٤).

والألفاظ في المعجم العربيّ ذات معانٍ متعدّدة ، فقد يكون معناها عامّا ، بمعنى انها معزولة عن سياقها الذي يقيدّها بدلالة معينة . وقد يكون معنى اللفظة متعدّدًا في المعجم لأنها تصلح للدخول في سياقات كثيرة فيكسبها كلّ سياق معنى جديدًا ، وهو ما يعرف بالمشترك اللفظي ، أو التضادّ إذا كان المعنى الجديد نقيضًا للاصلي. وقد يكون المعنى غير ثابت في النصوص العربيّة القديمة والحديثة ؛ لأنّ دلالة الكلمة عرضة للتغيير فيعرض لها التعميم أو التخصيص أو الانتقال ، وقد تسمو دلالاتها ، وقد تنحطّ ، وهذا التغيير هو ما يعرف لدى علماء اللغة بالتطور الدلالي^(٥). فالمعجم يبحث معنى الكلمة بذكر معناها أو مرادفها أو مضادّها أو ما يفسّرها، ويقتمّ معلومات عنها كأصل الوضع ، وتطورها التاريخي ، ومشتقاتها، وقد يفسّر المعنى بنقيضه ، أو يبين علّة تسميته بهذا الاسم ، ويذكر بعض السياقات اللغوية التي توضح دلالاتها^(٦).

لقد اختار البحث اصطلاح (الدلالة المعجميّة) ، لأنّه أعمّ وأشمل من اصطلاح (دلالة الألفاظ) ، فالمعجم يضطّم على معاني المفردات، والتراكيب الاصطلاحية والسياقية ، والمصطلحات العلميّة والشرعيّة ، على حين يوحي مصطلح (دلالة الألفاظ) بدراسة الكلمة المفردة معزولة عن سياقها أو تركيبها مع غيرها . والمعنى المعجميّ يجمع بين المعنى الذي وضع للفظ في الأصل والمعاني السياقية التي قد تقع مترادفات ، أو أصدادا ، أو مشتركات، وغير ذلك من القوالب اللفظية التي تولّف وحدة معنويّة، مستدلًا على ذلك بالشواهد التي توضح المعنى السياقي . ويبحث

(١) دلالة الألفاظ ٤٨ . (٢) نفسه ٥١ .

(٣) ينظر : الكلمة ١٣٨ .

(٤) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها ١٢٢ .

(٥) ينظر : الكلمة ١٤١ - ١٤٣ ، وعلم الدلالة (عكاشة) ١٥٧ .

(٦) ينظر : التحليل اللغوي ١٥٧ والتطورات المعجميّة ١٨٠-١٨٥ والظاهرة الدلالية عند علماء العربية ٢١٨ .

أيضا المعنى الحقيقي والمعنى المجازي. وقد توسّع مجال الدراسات المعجميّة حديثًا فشمّل فروع المعرفة الانسانية كافة وأدخلت فيه تقنيّات العصر، واستعان بالصور والأشكال التي توضح مراد اللفظ وتكشف عن غموض دلالاته وتقرب مفهومه من الأذهان^(١). وقد ألمح الدكتور ابراهيم السامرائي الى صعوبة الكشف عن المعنى الاصلي في المعجم العربي كي يعرف بعد ذلك المعنى المتغير ؛ لأنّ « النظر في المعجم العربي القديم لا يبصر بهذه العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي الذي انتهت اليه المادة وخلصت له ، وعلى هذا فإنّ المعنى الحقيقي صار من قبيل المواد المهجورة لعدم الحاجة الى استعماله»^(٢). ولملّا دون المعجميون العرب المعاني الاولى لكلمات العربية عنوا كثيرا

بمعانيها الاصلية التي عرفها الناس حتى نهاية القرن الاول للهجرة ، وأغفلت معجماتنا المعاني المستحدثة للالفاظ بعد تلك الحقبة ، مما عدّ ثلثة وعييا كبيرا مازال ماثلا في المعجم العربي عموما^(٣) .
ومتن نهج البلاغة نصّ فصيح أنس الشّراح جميعا بتلّس دلالات ألفاظه ، ومن عدّة جوانب أهمها : المشترك اللفظي ، والتضادّ ، والتراؤف ، والتطور الدلالي ، ومن هنا جاء البحث في هذا الفصل في المباحث الآتية :

(١) ينظر: التحليل اللغوي ١٥٧ .

(٢) التطور اللغوي التاريخي ٣٧ .

(٣) ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية ٢١٠ - ٢١١ .

المبحث الأول

المشترك اللفظي في شروح نهج البلاغة

١ - مفهوم المشترك

لظاهرة المشترك اللفظي حضور واضح لدى شراح نهج البلاغة ، ومنهم من فُرد لها مبحثاً مستقلاً ، كالبحراني الذي قدّم لدراسة المشترك اللفظي تعريفاً عني فيه مفهومه ، وأخرج منه أنواعاً أخرى من الألفاظ ذات المفاهيم المغايرة للاشتراك ، اذ قال في حدّ المشترك : «اللفظ الواحد الموضوع لحقيقتين مختلفتين او اكثر وضعا اولاً من حيث هو

كذلك»^(١). والبحراني بهذا التعريف يتابع الاصوليين قبله كالغزالي (٥٥٥ هـ) الذي عرفه بأنه «اللفظ الواحد الذي يطلق على موجودات مختلفة بالحدّ والحقيقة اطلاقاً متساوياً»^(٢).

وبهذا التعريف احترز البحراني عن الالفاظ المفردة وهي : الالفاظ ذات الدلالة الواحدة غير المتعدّدة ، إذ اخرجها بقوله: «الموضوع لحقيقتين مختلفتين» واحترز - أيضاً - عن الألفاظ المجازية، وهي الالفاظ التي تعدّد فيها المعنى عن طريق المجاز على وجه المفاضلة بين المعنيين ، بان يكون اللفظ اضعف في دلالاته على معناه الأول وهو الحقيقي ، واقرى في دلالاته على المعنى الثاني المستحصل من الانتقال المجازي وهو المجاز ، فهذه اخرجها بقوله: (وضعا لآل) . وكذا احترز عن الالفاظ المتواطئة التي هي الالفاظ الدالّة على المعاني المتعدّدة غير المختلفة ، فأخرجها بقوله: «من حيث هو كذلك» . وقد بنى البحراني اللفظ المتواطئ بأنه الذي «يتناول الهيآت المختلفة لكن ، لا من حيث هي مختلفة بل من حيث إنّها مشتركة في معنى واحد»^(٣). والالفاظ المتواطئة قريبة الشبه بالمشترك من جهة اطلاق كلّ منهما على مسميات مختلفة ، غير ان المسميات في المتواطئ تشترك في معنى واحد مثل : الانسان يطلق على : زيد وعمرو^(٤) ، وفي المشترك تكون المعاني مختلفة ، فالعين: عين الماء، وعين المال ، وعين السحاب^(٥) . وبمقابلة هذا التعريف بما جاء لدى اللغويين في تعريفاتهم للمشارك بأنه «ان تكون اللفظة محتملة لمعنيين او اكثر»^(٦) ، وأنه «ما وضع لمعنى كثير»^(٧) وأنه «اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فاكثر دلالة على السواء عند اهل اللغة»^(٨) ، نجد أنه يفترق عن تعريفاتهم في نقطتين ، هما : في قول البحراني : «وضعا اولاً» ، وفي قوله : «من حيث هو كذلك» . وربما كان خلوّ تعريفات اللغويين من عبارة «من حيث هو كذلك» يعود الى أنهم استغنوا عنها بقولهم : «لمعنيين او اكثر» وقولهم : «معنيين مختلفين» ، فاختلف المعنيين في اللفظ

(١) البحراني ٣٤ / ١ .

(٢) المستصفى ٤٦ ، وينظر : ارشاد الفحول ١٩ والمحصل ٢٦١/١ ورسائل الشريف المرتضى ٢٨٥/٢ والذخيرة ٥٤/١ .

(٣) البحراني ٣٤/١ . (٤) ينظر : المستصفى ٣١/١ ، والطرز ١٥٩/٢ .

(٥) ينظر : الصاحبى ٩٦ . (٦) نفسه ٢٠٧ .

(٧) التعريفات ٢٢٩ - ٢٣٠ ، وينظر : كشاف اصطلاحات الفنون ٧٧٦/٣ (٨) المزهر ٣٦٩/١

المشارك يبتعد به عن ارادة المتواطئ الذي هو تعدّد المعنى للفظ الواحد لا اختلافه ، ومن ثمّ لا حاجة الى قيد الحيثية في عبارة : «(من حيث)» . وهذا الامر تمسك به الشارح الخوئي فنقد تعريفات الاصوليين قبله ، اذ رماهم بالتكلف في اجتلاب هذه العبارة واقحامها في تعريفاتهم ، فقال: «لا حاجة في اخراج المتواطئ الى قيد الحيثية لكفاية القيد الثاني مؤنثه ، اذ المتواطئ أما وضع لمعنى واحد كليّ متناول لافراد عديدة مندرجة تحته ، وليس له معان متعدّدة حتى يدخل في هذا القيد»^(١) ، ويريد بالقيد الثاني عبارة : «اللفظ الموضوع لحقيقتين مختلفتين ، او المتناول لعدة معان» . ولذا خلص الخوئي إلى حدّ جديد ، فقال: المشترك هو : «اللفظ الواحد الموضوع لمعان متعدّدة ، من غير ملاحظة

النسبة في الوضع الثاني مع الوضع الاول ، ولاشتهاره فيه مع هجر الأول^(٢) . وبهذا التعريف اخرج عدّة الفاظ ليست من المشترك ، فبالقيد الأول اخرج الالفاظ المتباينة ، وهو قوله: « اللفظ الواحد الموضوع لمعان » ، وبالقيد الثاني أخرج العلم والمتواطيء والمجاز ، وهو قوله : (متعددة) ، واخرج بالقيد الثالث : المنقول ، وذلك بقوله: « من غير ملاحظة الشبه في الوضع الثاني مع الأول » . واخرج بالقيد الرابع الالفاظ المرتجلة حين قال: « ولا اشتهاه فيه مع هجر الأول » . ويعني بالمنقول والمرتلج الالفاظ التي وضعت لمعنى ثم انتقلت الى آخر ، فما لم تكن بينهما مناسبة فهو **المرتلج** ، وما كانت بينهما مناسبة ، وكان المعنى الثاني اقوى في ذهن السامع من الأول فهو **المنقول**^(٣) . ولهذا نبه الشارح على انه « يمكن الاستغناء بالرابع عن الثالث ، لأن المعنى الأول فيه ايضا مهجور كما ان الثاني مشهور »^(٤) ، اي ان المرتلج و المنقول من الالفاظ التي يجمعها طريق الانتقال من المعنى الاصلي . أما النقطة الثانية التي يفترق بها تعريف الاصوليين - ومنهم الشارحان البحراني والحوثي - عما هو عند اللغويين فهي عبارة : « وضعا أولا » ، التي اخرجوا بها الالفاظ التي تدل على الشيء بالحقيقة ، وعلى غيره بالمجاز . وفهم بعض الباحثين من هذا القيد ان الاصوليين اشترطوا للتعدّد في دلالة المشترك ان يكون في اصل الوضع اللغوي ولا ياتي نتيجة للاستعمال اللغوي ، وأن الاصوليين رفضوا المجازات في معاني المشترك ، وبذلك ابطلوا وظيفة اللغة في الافهام وايصال المقصود^(٥) . وربما تكون الحقيقة خلاف هذا ، فقول الاصوليين بالوضع الاول في تعريفهم للمشارك لا يعني منع الوجوه المجازية للالفاظ المشتركة . وأما ارادوا التأكيد على تساوي المعنى المجازي للفظ المشترك مع المعنى الحقيقي الذي انتقل منه في ذهن السامع ، فلا يترجح المعنى الحقيقي على المجازي ، فيكون كلّ معنى من معاني المشترك اصلا قائما بذاته ، كقيام المعنى الحقيقي في أول الوضع « وبذلك تصدق نظرية الاصل الواحد على الالفاظ ذات الصلة بين معانيها ، وهي صلة متأتية من المجاز »^(٦)

(١) الخوئي ٥٢/١

(٢) نفسه ٥٣/١

(٤) نفسه ٥٣/١

(٣) ينظر:

(٥) ينظر: الدلالة القرآنية في جهود الشريف الرضي: ١٠٠ ، والظواهر الدلالية في تفسير أضواء البيان للشنقيطي: ١١٩

(٦) الوجوه والنظائر في القرآن ٧٢

والاصد ولّون بهذا يختلفون عن الصف الثاني من اللغويين ، وهم المضيّقون لمجال الاستعمال المجازي للالفاظ المشتركة ، اذ اشترط هؤلاء اللغويون انعدام الصلة المعنوية بين دلالات المشترك اللفظي كي يتحقق مفهوم الاشتراك ، ويصبح كلّ معنى من معاني المشترك مختلفا عن معناه الاخر . كلفظة (الخال) التي تطلق على (الشامة واخو الام)^(١) ، ولذا رجّحوا أن يكون المشترك متأتيا من اختلاف اللهجات ، يقول ابو علي الفارسي: ان اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين « لا يكون قصدا في الوضع ولا اصلا ، ولكن من لغات تداخلت »^(٢) .

لقد فصل الشّواح في بيان حصول المشترك من جانبين : الأول تنظيريّ ، وذلك في قول البحراني : «أما ان يكون قد وضع اللفظ أولاً لاحد المعنيين ، ثم نقل منه الى الآخر ، او وضع لهما معا ... فأما ان يتساوى بالنسبة اليهما عند الفهم ، او يكون في الأول اقوى . فان كان الأول كان ذلك لفظاً مشتركاً ، وان كان الثاني كان اللفظ بالنسبة الى الأول حقيقة والى الثاني مجازاً ، أما اذا كان اللفظ موضوعاً لهما معا ، فأما ان يتساوى دلالاته عليهما عند الفهم او ترجح في احدهما ، فان كان الأول سمي اللفظ بالنسبة اليهما مشتركاً وبالنسبة الى كلّ واحد منهما مجملاً ؛ لأنّ كون اللفظ موضوعاً لكلّ واحد منهما هو الاشتراك ، وكونهما بحيث لا يدري عين المراد منهما هو الاجمال»^(٣) . وفي هذا يبين البحراني الطريق الأول لحصول الاشتراك ، وهو الاستعمال المجازي للالفاظ ، بشرط التساوي بين معانيها في الفهم . ويبدو ان الطريق الثاني لحصول الاشتراك وهو «الوضع الاول للمعنيين» هو طريق افتراضيّ ، ذكره البحراني على طريقة المتكلمين في المناقشة العقلية ، فذكر أنّ الاشتراك ليس لشيء الا لحصول التساوي في الفهم ، والا فهي من باب المجلد الذي يتعّن بالقرائن . اما الجانب الثاني : فهو التطبيقيّ ، إذ لا تخلو معالجات شراح النهج للمشارك اللفظي من الاشارة الى المعاني المستحصلة له عن طريق المجاز . من ذلك قول البحراني في معنى (اليد) في قوله (٤) من دعاء له : (وَأَنْ صُبَّتْ عَلَيْهِمُ الْمَصَائِبُ لَجَأُوا إِلَى الْأَسْتِجْرَةِ بِكَ عِلْمًا بِأَنَّ أَرْمَةَ الْأُمُورِ بِيَدِكَ ، وَمَصَاوِرُهَا عَنْ قَضَائِكَ)^(٤) ، اذ قال : «ولفظ اليد مجاز في القدرة»^(٥) ، وهو بذلك يصرح بالمعنى المجازي للفظ في هذا الموضوع دون معناها الحقيقي او معانيها المجازية الاخرى^(٦) . ومن ذلك اشارات البحراني المتكررة الى الاصل اللغوي الذي انبثقت منه معاني المشترك ، كقوله في لفظة (اللمع) الواردة في قول الشريف الرضي وهو يعلّل عدم اتساق بعض الفصول التي جمعها من كلام الامام (٤) بقوله : «لأنّي أورد التّكّت واللمع»^(٧) ، فبيّن البحراني أنّ «اللمع : جمع لمعة، وهي البقعة من الكلا، وكذلك الجماعة من الناس ، واصله من اللمعان وهو الاضاءة والبريق ؛ لأنّ البقعة من الارض ذات الكلا كأنها تضيء لخضرتها ونضارتها دون سائر

(٢) البغديات ٥٣٤ وينظر: المخصص ٢٥٩/١٣

(١) ينظر: المزهر ٣٦٩/١

(٤) نهج البلاغة ، الخطبة ٢٢٧ ص ٤٢٢ .

(٣) البحراني ٢٨/١

(٦) ينظر: مجاز القرآن ١٧٠/١ وتلخيص البيان ١٣٣ .

(٥) البحراني ٨٦/٤

(٧) نهج البلاغة ، المقدمة ١٢

البقاع ، وعدي الى محاسن الكلام وبلغه لاستنارة الاذهان به ولتمييزه عن سائر الكلام ، فكأنه في نفسه ذو ضياء ونور»^(١) ، فاللمعة بمعنى البقعة ، او الجماعة من الناس منقولة عن أصل واضح هو الضياء . وكثيراً ما يشير البحراني الى تعدّد معاني المشترك المستحصلة بفعل الانتقال المجازي فاصبح مدلولها الثاني اشهر من الأول ، كلفظة (الخير) في قوله (٤) عندما سئل عنه : (لَيْسَ الْخَيْرُ أَنْ يَكُورَ مَلَاكُكَ وَوَلَدُكَ ، وَلَكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكُورَ عِلْمُكَ وَأَنْ يَعْظُمَ حِلْمُكَ ...)^(٢) ، إذ بيّن البحراني ان المراد من معناها في هذا الموضوع هو السعادة الاخروية قائلاً : « (الخير في العرف العامي

هو كثرة المال والقيّينات الدنيويّة ، وفي عرف السالكين الى الله هو السعادة الاخرويّة... وقد نفى (م) ان يكون الاول خيرا ؛ وذلك لفنائته ومفارقته لما عساه ان يلحق بسببه من الشرّ في الاخرة وفَسّر بالثاني ((^(٣) ، فالسياق في هذا الموضع قرينة لاختيار المعنى الثاني للخير . ومن هذا (الجدّ) في قوله (م) من وصية له في التحذير من الدنيا : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الْفَاشِي فِي الْخَلْقِ حَمْدُهُ ، وَالطَّيْبُ جُنْدُهُ ، وَالْمُتَعَلِّبُ يَجْدُهُ)^(٤) ، فقد بنى الخوئي الاصل الذي انبثقت منه المعاني المختلفة والمجازية للفظه ، وهو القطع . ثم فسّر كلّ دلالة من دلالات هذه اللفظة قائلاً: «الجدّ: العظمة ، وهو مصدر يقال منه: جدّ في عيون الناس من باب ضرب ، اي: عظم ، والجدّ ايضا: الحظّ ، يقال : وجدت بالشيء من باب (تعب) ، اي : حظّت به ، وقيل: الجدّ اصله القطع، ومنه الجدّ: العظمة ، لانقطاع كلّ عظمة عنها علوها عليه، ومنه (الجدّ) : ابو الاب لانقطاعه بعلوّ أبوتّه ، وكلّ من فوّقه لهذا الولد أجداد ، والجدّ: الحظ لانقطاعه بعلو شأنه ، والجدّ : خلاف الهزل لانقطاعه عن السخف»^(٥) . وفي هذا النحو سار شراح النهج لا يخرجون عمّا ذكرناه في تحري المعاني المجازية للالفاظ المشتركة ، وقرنها بما يوجبه كلامه (م) ويحتمله من معان .

٢ - المشترك اللفظي بين المؤيدين والمعارضين

يعدّ شراح النهج من المؤيدين لوقوع الاشتراك اللفظي في العربية إذ عنوا بذكر معاني الالفاظ المشتركة الواردة في النهج^(٦) ، مستشهدين على كلّ معنى بالآيات القرآنية، او الاحاديث النبوية، او الشعر، واقوال اللغويين . ولكلّ شارح طريقان في عرضه للمشترك : احدهما : بيان المعاني المشتركة للفظه دون المفاضلة في اختيار احدها؛ اما لوضوح المناسب منها في النصّ ، او لاحتمالها كلّها فيه^(٧) ، والآخر : عرض معاني المشترك مع بيان المناسب منها لسياق الكلام^(٨) .

(١) البحراني ١٢٦/١

(٢) نهج البلاغة الحكمة ٩٤ ص ٦١٦

(٣) نفسه ٢٦٨/٥ .

(٤) نهج البلاغة الخطبة ١٩١ ، ص ٣٥٥ .

(٥) الخوئي ٢٢٠ / ١١ .

(٦) ينظر : المعتزلي ٢٢٨/١٨

(٧) ينظر : نفسه ٢٧١/٦ والسرخسي ٢٢٩/١ ، ٢٥٦

(٨) ينظر : الخوئي ١٨ / ٦٩ والتستري ٢٠٧/١١

لقد شهد المشترك اللفظي خلافا حول وقوعه في اللغة بدعوى ان وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين يكون تعمية وتغطية على السامع^(١) ، فضلا عن كونه اطالة في الكلام عند وجود قرينة تعيّن احد معاني المشترك^(٢) وممّا سعى إنكار المشترك هو الافراط في الاستعمال المجازي الذي اكسب اللفظ عدّة معان ، كلفظة (العين) التي ذكر لها اللغويون ثلاثة عشر معنى^(٣) . وقد عرض البحراني والخوئي هذا الخلاف واوردا حجج السابقين من المؤيدين والمعارضين للمشترك ، ثم ايدا وقوع المشترك بحجج لا تخرج عمّا ذكره المؤيّدون قبلهما . فلم ير الشارحان تعمية في اطلاق اللفظ على معنيين ، لأنّ هذا تابع لغرض المتكلم ، فقد ((يكون للانسان غرض في تعريف غيره شيئا على

التفصيل ، وقد يكون غرضه تعريفه على سبيل الاجمال بحيث يكون ذكره بالتفصيل سببا للمفسدة^(٤) ، « فاقترضت الحكمة وضع المشترك طلبا لفائدة العلم الاجمالي ، كما اقتضت وضع المنفرد طلبا لفائدة العلم التفصيلي »^(٥) . وذكر القرينة المعينة لاحد معاني المشترك لا يعد تطويلا للكلام ، فالقرينة قد تكون « معلومة عند من يطلب المتكلم افهامه بالخطاب ، مجهولة عند غيره من السامعين الذين لا يريد افهامهم »^(٦) . ولهذا نقل عن اكثر علماء العربية تأييدهم وقوع المشترك في اللغة وتصنيفهم عدة كتب في هذه الظاهرة^(٧) لحاجة المجتمع المستمرة الى الاتساع في التعبير ، إذ تتخذ اللغة من المشترك اللفظي طريقة في تأصيل الكلمات للقيام بعدد من الوظائف المختلفة ، وهذه القدرة للكلمة على التعبير عن مدلولات متعددة هي من خواص الكلام الانساني ، لا يمكن انكارها^(٨) . ولم يمنع منكرو المشترك وقوعه في اللغة ، وانما كانت لديهم آراء حول سبيل حدوثه ، فبينما ارجعه مؤيدو الاشتراك الى سببين رئيسيين هما : اختلاف اللهجات^(٩) ، والاستعمالات مجازية^(١٠) ، قصره الفريق الثاني على « لغات تداخلت »^(١١) ، فأعادوا الوجوه المختلفة للفظ المشترك الى معنى واحد هو المعنى الحقيقي ، وما عداه من وجوه استعمالات مجازية لا مشتركا لفظيا ، قال ابن درستويه : « فاذا اتفق البناءان في الكلمة والحروف ثم جاءا لمعنيين مختلفين ، لم يكن بد من رجوعهما الى معنى واحد يشتركان فيه ، فيصيران متقفي اللفظ والمعنى »^(١٢) ، وعليه يكون مفهوم المشترك لديهم هو ما لم يكن بين معانيه صلة ، وهذا ما سماه المحدثون بالمشترك المطلق ، او الحقيقي^(١٣) .

(٢) ينظر : المزهري ٣٨٥/١

(٤) البحراني ٣٤/١

(٦) نفسه ٥٤/١

(١) ينظر : تصحيح الفصح ١٦٧/١ والمخصص ٣٨٥/١

(٣) ينظر : المفردات ٣٣٥ والصاح ٧٦٠ - ٧٦١

(٥) الخوئي ٥٣/١

(٧) ينظر : المزهري ٥٤/١ وفقه اللغة (وافي) ١٩٢ ودراسات في فقه اللغة ٣٠٣ .

(٨) ينظر : دور الكلمة في اللغة ١٢٩ ومنهج البحث اللغوي (زوين) ١٣٨

(٩) ينظر : المزهري ٥٦/١ والمشارك اللفظي نظرية وتطبيق ٥٤ وفصول في فقه العربية ٣٣٠ والبلاغة وقضايا المشترك ٩٩

(١٠) ينظر : الدلالات اللغوية عند العرب ١١٧ وفي اللهجات العربية ١٩٤ ودراسات في فقه اللغة ٣٠٣ .

(١٢) تصحيح الفصح ٢٤٠/١

(١١) البغداديات ٥٣٤

(١٣) ينظر : اللغة والمعنى والسياق ٤٦ واللغة (فندريس) ٢٢٨ وفقه اللغة العربية ٣٣٤ - ٣٣٥

وفي شروح النهج اشارات واضحة الى الاسباب المؤدية الى نشوء المشترك ، فضلا عن تصريحات البحراني والخوئي باسبابه ، بعد ان عدا اختلاف اللهجات السبب الاول وانه « يشبه ان يكون السبب الاكثر فيه ، وهو ان تضعه كل واحدة من قبيلتين لمعنى ثم يشيع الوضعان ولا يميزان »^(١) ، واشترطا للاستعمال المجازي الاتزان « لان القول بجواز سبك سبعين مجازا مما تشتمر منه الطباع »^(٢) ، فالمجاز غير المتكلف فيه هو الجائز لديهم دون سواه ، وهو الذي يحصل بـ « سبك المجاز عن المجاز ، واما سبك المجاز عن المجاز عن المجاز ، وهكذا ، فلم يدل عليه دليل »^(٣) .

والاستعمال المجازي حاضر في شروح النهج ، من خلال الإشارة الى الاصل اللغوي الذي انبثقت منه المعاني المختلفة للفظ المشترك بفعل المجاز ، وهي سمة اشترك فيها شراح النهج جميعا . من ذلك معالجتهم للفتنة (الفتنة)، اذ ذكروا لها معاني كثيرة هي^(٤) : الامتحان ، والابتلاء ، والعذاب ، والضلال ، والاحراق ، والاثم ، والخصومة ، والشبهة ، والجنون ، والفضيحة ، والمآل والاولاد ، والقتل ، واختلاف الآراء ، والكذب ، والكفر ، والشرك ، والحسد ، والباطل ، والمرض . وقد اهتم الشّواح ببيان الاصل اللغوي للفتنة ، فذكر البيهقي أنها يحتمل أن تكون مأخوذة من أحد ثلاثة أصول : الأول من قولهم : فتننت الذهب ، اذا ادخلته النار^(٥) ، وعلى هذا المعتزلي والبحراني وآخرون^(٦) ، والثاني: ان تصرف صاحبك من الحق الى الباطل ، واختاره الكيدري^(٧) ، اما الاصل الثالث فمن قولهم : فتننته المرأة اذا دلته ، واختاره الراوندي^(٨) . وحرص الشّواح على ذكر الاصل اللغوي للفظ يشير الى اهتمامهم بالحد من معاني المشترك المجازية ، فالاحراق والضلال ، والمرض ، والمآل ، والاولاد ، والقتل ، واختلاف الآراء ، والعذاب ، يمكن ارجاعها الى الاصل الأول وهو الامتحان والابتلاء كما ذكر الشارح المعتزلي^(٩) ، والى هذا الاصل يمكن ارجاع الحسد ، كما ذكر الشارح البحراني ؛ لأنه نوع من انواع الضلال التي يفتتن بها الناس^(١٠) ، ويمكن ارجاع الضلال ، والكفر ، والشرك الى الاصل الثاني ، على حين يرجع الجنون ، والفضيحة الى الاصل الثالث كما المح البيهقي^(١١) ، وهذه الاصول التي ذكرها شراح النهج بينها اللغويون قبلهم^(١٢) ، وقد وضّح الراغب الاصفهاني الصورة التي ترجع بها معاني الفتنة الى الاصل اللغوي الذي انبثقت منه قائلا :

(١) البحراني ٣٥/١-٣٦ وينظر: الخوئي ٥٤/١

(٢) الخوئي ٥٤/١-٥٥ (٣) نفسه ٥٥/١

(٤) ينظر: البيهقي ١٩٢، ٢٦١ والراوندي ١٠٢/٢ والكيدري ٩١/١ والمعتزلي ٢٠٦/٩ ، ٢٤٨/١٨ والبحراني ٥/٢ والخوئي ١٩١/٩ ومغنية ٤٠٧/٢ والتستري ٣٠٦/٤ وأبو الفضل ٣٦٤/١ والشيرازي ٤١٥/٢ والموسوي ٧/٣ .

(٥) ينظر: البيهقي ٢٦١-٢٦٢ (٦) ينظر: المعتزلي ٩:٢٠٦ والبحراني ٥/٢ والخوئي ١٩١/٩ .

(٧) ينظر: الكيدري ١٧٩/١ . (٨) ينظر: الراوندي ١٠٢/٢

(٩) ينظر: المعتزلي ٢٤٨/١٨ (١٠) ينظر: البحراني ٥/٢

(١١) ينظر: البيهقي ٩٢ (١٢) ينظر: المقاييس ٨٣٥ والصاح ٧٩٥ .

« أصل الفتنة : ادخال الذهب النار لتظهر جودته من ردايته ، واستعمل في ادخال الانسان النار ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾^(١) ، وتارة يسمون ما يحصل عنه العذاب ، فيستعمل فيه ﴿ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾^(٢) »^(٣) . واختار الشّواح من هذه المعاني المتعددة ما هو مناسب لكل سياق ترد فيه ، فقد فسروا الفتنة - الواردة في قوله (٤) لما سئل عنها : ﴿ لَمِمَّتْ أَنْ الْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَيْنَ أَظْهُرِنَا ﴾^(٤) - بالامتحان^(٥) ، وذكر بعض الشّواح انها في هذا السياق تحتمل الضلال ، والاموال ، والاعتقاد الفاسد ، واختلاط الناس^(٦) معللين ذلك « بأن الله سبحانه سيفتح

عليهم أبواب المال والسلطان»^(٧) ، وفسروا اللفظة نفسها - في الحكمة : (كُنْ فِي الْفَنَةِ كَابِنِ اللَّبُونِ ، لَا ظَهْرَ فِي يُرْكَبُ ، لَوْضُوعَ فَيُطَبُّ)^(٨) - بالخصومة في الباطل ، وفي الحكمة حث على ترك مساندة الظالمين المفتونين عند الخصومة بينهم واضطراب أرائهم ، ووجه الشبه أن ولد الناقة إذا استكمل السنة الثانية ودخل الثالثة ، فلا يستفاد منه في لبن ولا ركوب ، أي لا يظهر منك نفع للظالمين وقت خصومتهم^(٩) . وردّ الشارح الامدي هذا المعنى إلا أنه لم يخصص الفتنة بالخصومة بين ضالين لغاية سياسية من امرة او امامة ، وإنما جعلها مشتملة للخصومة في الامور الفكرية^(١٠) . وفسر مغنية الفتنة في هذا الموضوع بالباطل ، والمعنى : إذا رأيت باطلا فلا تدخل فيه . ثم رد على الشراح فقال : ((وخفي المعنى المراد من هذه الحكمة على كثير من الشارحين وخطبوا فيه ، وفهموا منه ان الامام امرنا ان نسكت ايام الفتنة ونعتزل إذا رأينا (ع) يتبعه قوم ويعارضه آخرون))^(١١) . ولكن المعنى واضح لدى الشراح السابقين الذين صرفوا الفتنة إلى معنى الخصومة بين ضالين مع إقرارهم بنصرة الحق عندما تكون الخصومة بين حق وباطل ، فهذا مبدأ قرآني واضح لا يغفل عنه مسلم فضلا عن عالم . وقد جلى الشراح سبيل حدوث الاستعمال المجازي للفظ المشترك ، كانصراف دلالة (السماء) على المطر في قوله (ع) من خطبة له في الاستسقاء : (وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا سَمَاءَ مُخْطَاةٍ مُرَارًا هَاطِلَةً)^(١٢) فهذا من باب تسمية الشيء «بأسم ما كان مجاورا له»^(١٣) .

(٢) التوبة ٤٩

(١) الذاريات ١٣

(٤)

(٣) المفردات ٦٢٣ - ٦٢٤

نهج البلاغة الخطبة الخطبة ١٥٦ ص ٢٧٥ .

(٥) ينظر : البيهقي ٢٦١ والراوندي ١٠٢/٢ والخوئي ١٩١/٩ والتستري ٣٠٦/٤ والشيرازي ٤١٥/٢ والموسوي ٧/٣

(٦) ينظر : الكيدري ٩١/١ المعتزلي ٢٠٦/٩ ومغنية ٤٠٧/٢ وأبو الفضل ٣٦٤/١

(٧) مغنية ٤٠٧/٢ وينظر : أبو الفضل ٣٦٤/١ (٨) نهج البلاغة : الحكمة ١ ص : ٥٩٩

(٩) ينظر : البيهقي ٣٩٧ والراوندي ٢٦٧/٣ والكيدري ٥٩٩/٢ والمعتزلي ٨٢/١٨ والبحراني ٢٣٨/٥ والخوئي ١٧/٢١ والشيرازي ٢٦١/٤

والموسوي ٢٠٥/٥ وأبو الفضل ٣٧/٢ وعبد ١٤٣/٢ (١٠)

(١١) مغنية ٢٠/٦

ينظر : الخوئي ١٨/٢١

(١٣) الكيدري ٥٥/١

(١٢) نهج البلاغة الخطبة ١١٥ ص : ٢١٧

ومن ذلك قول الشيرازي في تعليقه لدلالة اليد على النعمة بانها الة اعطائها غالبا^(١) . وذلك في قوله (ع) في خطاب اصحابه : (وَقَدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ لَكُمْ مَنْزِلَةً تُكْرَهُبًا . إِمَاؤُكُمْ .. وَيُطُّكُمْ مِنْ لَأَفْضَلُ لَكُمْ عَلَيْهِ ، لَاوَيْدَ لَكُمْ عِنْدَهُ)^(٢) . وقد يكون المجاز من تسمية الشيء بما (يلازمه او يستلزمه) ، وبذلك علل الامدي المعنى الثاني للفظ (الخرق) الواردة في قوله (ع) : (مَنْ الْخُرْقِ الْمُعَاجِلَةَ قَبْلَ الْإِمْكَانِ ، وَالْأَنَاةَ بَعْدَ الْفُرْصَةِ)^(٣) ، اذ قال : ((الخرق بالتحريك الدهش من الخوف او الحياء ، وقد يفسر بالحمق وقلة العقل ، وكانه يفسر بما يلزمه او يستلزمه))^(٤) .

ومن اشارات الشّراح الى طريقة حدوث الاشتراك اللفظي ، تمييزهم الاستعمالات الخاصة التي عن طريقها تكتسب اللفظة دلالة جديدة . من ذلك ذكرهم للفظ (الغوغاء)^(٥) دلالات هي : الجراد ، المختلط من الناس ، والسفلة من الناس . ثم ذكروا الدلالة الرابعة المستحصلة من عرف العامة وهي : الجلبة واللغظ^(٦) . وهذا الاختلاف في دلالة اللفظ المشترك جاء بسبب الابتعاد الزمني عن دلالاتها الاخرى . والى هذا يشير الشّراح في كلامهم على لفظ (الديماس)^(٧) اذ ذكروا انها تعني : (السرب ، والقبر) ، ثم صارت في لغة التابعين ومن تلتهم دالة على سجن كان للحجاج بن يوسف^(٨) . فهذه المدة الزمنية اكسبت اللفظة معنى اخر مختلفا ، والى هذا السبب يشير الدكتور رمضان عبد التواب بقوله : ((ولعل السبب في غموض العلاقة بين معاني المشترك اللفظي انها قد تكون مرتبطة بأشياء تاريخية ادت الى نشوء هذه المعاني البعيدة للكلمة ، كالأعوجاج في الميزان وما شابهه من معاني العين))^(٩) . ونبه الشّراح - ايضا - على الانتقال المجازي للمشارك الحاصل بفعل الاصطلاح الفقهي ، من ذلك ما ذكره المعتزلي للفظ (الصمد) الواردة في قوله (ع) : (لَأَوْصَمَدَهُ مِنْ أَشَارِ إِلَيْهِ)^(١٠) من معان ، وهي : (السيد ، وما لا جوف له) . ثم نبه على ان دلالاتها في الاصطلاح الفقهي تتصرف الى التنزيه^(١١) . ومن ذلك لفظ (الكون) ، فقد نبه الشّراح على أن المراد منها في قوله (ع) : (سَبَقَ الْأَوْقَاتَ كَوْنُهُ)^(١٢) معناها

(١) ينظر : الشيرازي ١٦٠/٢

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٠٦ ص: ١٩٤

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٣٦٣ ص: ٦٧٣

(٤) الخوئي ٤٤٤/٢١ .

(٥) وردت في الحكمة ٢٠٠ ص: ٦٣٩

(٦) ينظر :المعتزلي ١٨/١٩ والخوئي ٢٧٠/٢١ والخوئي ٢٧٠/٢١ والتستري ٢٤٩/٨ .

(٧) ورد في الرسالة ٦٥ ص: ٥٨٤

(٨) ينظر: البيهقي ٣٩٤ والكبيري ٥٧٤/٢ والمعتزلي ٢٦/١٨ والبحراني ٢١٣/٥ .

(٩) فصول في فقه اللغة ٣٢٨

(١٠) نهج البلاغة الخطبة ١٨٦ ص ٣٤٢ .

(١١) ينظر: المعتزلي ٧٠/١٣

(١٢) نهج البلاغة الخطبة ١٨٦ ص ٣٤٢

اللغوي الذي هو : الوقوع والوجود^(١) ، دون المعنى العرفي وهو العالم المحيط بالانسان . فيكون معنى كلام الامام (ع) انه سبق الاوقات وجوده^(٢) . ولا نعدم لشرح النهج اشارات الى السبب الثاني لحصول الاشتراك وهو اختلاف اللهجات ، من ذلك اشارتهم الى دلالة (الايهم) في قوله (ع) يصف الملائكة : (وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي ... قُدْرَةِ الظَّلامِ الْإِيْمِ)^(٣) ، فقد ذكروا ان (الايهمان) عند اهل البادية هما : السيل ، والجمال الهائج . اما عند اهل الامصار فالايهمان هما : السيل

والحريق^(٤) . ومن ذلك لفظة (الطاووس)^(٥) ، اذ ذكر البيهقي انها تدل على الطائر المعروف لحسنه ، وفي كلام اهل الشام تتصرف دلالتها الى الجميل من الرجال^(٦) .

وسار شراح النهج المتأخرون على خطى المتقدمين في اهتمامهم بالالفاظ المشتركة التي اشتمل عليها كلام الامام (ع) فاستقصوا دلالات هذه الالفاظ مما ذكرته كتب اللغة فضلا عما ذكره الشّراح المتقدمون ، ومن ذلك أقوالهم في لفظة (الشحشح) الواردة في حديثه (ع) : (هذا الخطيبُ الشحشحُ)^(٧) ، إذ أقرّ الشريف الرضيّ الإشتراك فيها حين قال : الشحشحُ ((الماهر بالخطبة الماضي فيها ، وكل ماض في كلام أو سير فهو شحشح ، والشحشح في غير هذا الموضع : البخيل الممسك))^(٨) . وزاد المعتزليّ معاني آخر فقال : ((جاء الشحشح بمعنى الغيور ، والشحشح بمعنى الشجاع ، والشحشح بمعنى المواظب على الشيء الملازم له ، والشحشح الحاوي))^(٩) . ثم بلغ الآمدي بها سبعة معان^(١٠) هي : البعير ، والفلاة الواسعة ، والرجل الشجاع ، والغيور ، والخطيب البليغ ، والقليل الخير ، والسيء الخلق^(١١) . على حين حمل الشارح الكيدريّ اللفظة على معنى واحد فرأى أنها في الأصل من الشحّ وهو : ((الامسك المفرط والتشدد الفاحش))^(١٢) ، ويبدو أنه استقى رأيه هذا من ابن فارس الذي جمع معاني (شحّ) المختلفة على أصل واحد هو المنع مع الحرص ، ولهذا يقال للغيور شحشح ؛ لانه اذا غار منع ، والشجاع هو المانع ما وراء ظهره ، والماضي في خطبته يقال له شحشح كأنه محمول على الشجاع فشبه به^(١٣) . واعتمد الشّراح المتأخرون على معجمات اللغة في الاستدراك على أقرانهم المتقدمين ، ففي قوله (ع) في صفة السماء : (وَنَادَاهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ ،

(١) ينظر: المقاييس ١٩٣ .

(٢) ينظر: البيهقيّ ٣٤٢ والمعتزليّ ٧٢/١٣ والبحراني ١٥٥/٤ والسرخسي ١٩٩/١ والخوئي ٦٦/١١ ومغنية ٦٨/٣ والتستريّ ٣٠٤/١ والشيرازي ١٣٠/٣ وأنصاريان ٢٣٢/٢ (٣) نهج البلاغة الخطبة ٩٠ ص: ١٥٧

(٤) ينظر : البيهقيّ ١٧٧ والكيدريّ ٤٦٠/١ والبحراني ١٠٣/٤

(٥) في الخطبة ١٢٤ ص: ١٩٤ (٦) ينظر: البيهقيّ ٢٧٥

(٧) في الحكمة ٢ ص: ٦٥١ (٨) نهج البلاغة ٤٥٧ وينظر: الراونديّ ٣٦٢/٣ والبحراني ٣٧١/٥

(٩) المعتزليّ ١٠٦/١٩ (١٠) ينظر : الخوئي ٢٣٢/٢١

(١١) ينظر: الموسويّ ٤٠٣/٥ وأنصاريان ٤٢٣/٣ والشيرازي ٣٨٣/٤

(١٢) الكيدريّ ٦٦٩/٢ . (١٣) ينظر: المجلد ٥٠٠/٢ والمقاييس ٥٢٢ .

فَالْتَحَمَتْ عُرَى أَشْرَاجِهَا)^(١) رأى المعتزليّ أن ((أشراجها جمع شرح وهو عرى العيبة ، وأشرجت العيبة أي أقلت أشراجها ، وتسمى مجرة السماء شرحا تشبيها بشرح العيبة))^(٢) ، واستدرك التستريّ على قول المعتزليّ هذا عدة معان للشرح نقلها من القاموس المحيط هي : العرى ، ومنفسح الوادي ، ومجرة السماء ، وفرج المرأة ، وانشقاق القوس^(٣) ، ثم جمع هذه المعاني الخمسة على اصل واحد هو (الانشقاق) ، ثم اضاف معنيين آخرين نقلهما من النهاية هما : النصف ، والطبقة^(٤) ، وارجعهما الى معنى الانشقاق أيضا ، وعاب على المعتزليّ اختياره معنى (عرى الغيبة) لشرح مراد الامام

(٤) في هذا الموضع ، معللا ذلك بخلو الكلام من المعنى اذ يصير المعنى : التحمت ((عرى عرى عيبتها))^(٥)

والشّراح في معنى (الشرح) على ثلاثة اقسام : الأول اختار معنى (عرى العيبة) سيرا على قول المعتزلي^(٦) ، والقسم الثاني ذهب الى ان المراد باشراجها : منفسحها^(٧) ، ليصير المعنى ان القطع المنفسحات منها اتصلت حتى صارت ملتحمة ، ولا تناقض في الاتيان بـ (عرى) ؛ « لان كل قطعة كالعروة في انها تمسك لقصد اتصالها بالقطعة الاخرى »^(٨) ، اما القسم الثالث فنبه على ان المراد باشراجها هو حروفها التي تخاط منها ، ليصور الالتحام بينها تمام خلقها^(٩) . وما ذكره التستري من معنى الانتشاق للفظه (الشرح) بعيد عن معاني اللفظة التي تدل على الاختلاط والمداخلة ، ولا يمكن ان تجمع معاني الشرح السابقة على هذا الاصل الا بتكلف^(١٠) ، ولكن يمكن ان يفسر كلامه (٤) على هذا المعنى بان يقال : لآحم عرى انشقاتها .

ولما وقف السامرائي على لفظه (الخواء) الواردة في قوله (٤) في وصف اهل بيت الرسول (عليه الله عليه وآله) : (ألا إنَّ مُدَلَّ آلِ مُحَمَّدٍ (طَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ) ، كَذَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ: إِذَا خَدَّوْنَ نَجْمَ طَعَّ . نَجْمٌ ...) ^(١١) ، ذكر أن دلالة الخواء على الغياب تعد دلالة عزيزة للفعل خوى^(١٢) ؛ لأنه فسر الخواء بالغياب ، وهو المعنى الذي اختاره الشّراح المتأخرون^(١٣) ، اما متقدمو الشّراح فذهبوا^(١٤) الى ان المعنى الاشهر للفظه هو السقوط ، وعليه قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾^(١٥) .

-
- | | |
|---|--------------------------|
| (١) نهج البلاغة: الخطبة ٩٠ ص ١٥٤ | (٢) المعتزلي ٤٢٠/٦ |
| (٣) ينظر: القاموس المحيط ١٩١ | (٤) ينظر: النهاية ٦٤/٥ |
| (٥) التستري: ٤٧٦/٢ | |
| (٦) ينظر: البحراني ٣٥٤/٢ وأبو الفضل ١٩١/١ والموسوي ٧٣/٢ ومغنية ١٥/٢ | |
| (٧) ينظر: الراوندي ٣٨٨ /١ والكيدري ٤٥٨/١ والشيرازي ٥٥/٢ | (٨) الشيرازي ٥٥/٢ |
| (٩) ينظر: البحراني ٣٤٥/٢ والخوئي ٣٤٦/٦ وأنصاريان ٢٧٨/١ | (١٠) ينظر: المقاييس ٥٥٨ |
| (١١) نهج البلاغة الخطبة ١٠٠ ص: ١٨٢ | (١٢) ينظر: السامرائي ١٥٦ |
| (١٣) ينظر: الشيرازي ١٢٨/٢ وعبد ٢١٠/١ ومغنية ٨٩/٢ | |
| (١٤) ينظر: الرواندي ٤٤٠/١ والمعتزلي ٩٥/٧ والبحراني ٦/٣ والسرخسي ١٠٤/١ . (١٥) البقرة ٢٥٩ | |

٣ - المشترك في القرآن الكريم

لما أنكر فريق من العلماء وقوع المشترك في اللغة عموما ، انكروا - أيضا - وقوعه في القرآن الكريم لعدم حصول الافهام ان قصد باللفظ دالتان مختلفتان في الوقت نفسه ، وان وجدت قرينة تعني احداها ، عد ذلك تطويلا « فوجب صيانة كلام الله منه »^(١) . وأيد معظم علماء العربية وقوع المشترك في القرآن الكريم ، لأنه نزل بلغة العرب فهو مشتمل

على ما تشتمل عليه لغتهم ، ورأوا ان الاشتراك في القران الكريم مظهر من مظاهر الاعجاز القراني حين « تتصرف الكلمة الواحدة الى عشرين وجها واكثر واقل ، ولا يوجد ذلك في كلام البشر»^(٢) ومن ثمّ ألفت كتب كثيرة درست موضوع الأشباه والنظائر فــــي القــــرآن^(٣).

ومما ورد في شروح النهج من المشترك القرآني لفظة (القضاء) ، فقد ذكر الشراح لها معنى الامر في مواضع متفرقة من النهج^(٤) ، مستدلين بقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُوا إِلَّاٰ إِيَّاهُ﴾^(٥) ، وذكروا لها في مواضع اخرى معنى (الصنع)^(٦) مستدلين بقوله تعالى: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾^(٧) ، اي : اصنع^(٨) ، وانماز الكيدري من سائر الشّراح باستقصائه معاني اللفظة وسياقاتها القرآنية في الموضوع الذي شرح فيه قوله (ق) ، - وهو يجيب عن سؤاله عن معنى القضاء-:(لعلك ظننت قضاء لازما)^(٩) ، إذ قال الكيدري: « والسائل انما وهم لاجل الاشتراك اللفظي ، وذلك ان القضاء في اللغة قد ورد بمعنى الخلق والتقدير والاتمام ، كقوله: ﴿وَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾^(١٠) ، وبمعنى الالزام والايجاب ، كقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُوا إِلَّاٰ إِيَّاهُ﴾ ، وبمعنى الاعلام والايخبار ، كقوله تعالى : ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكُتَابِ لَتَلْفَسْنَ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُنُقًا كَبِيرًا﴾^(١١) ، والسائل ظن انه اراد بالقضاء المعنى الاول ، اعني الخلق والتقدير ، وهو عليه السلام لم يرد ذلك ، وانما اراد ان ما فعله من جهاد العدو، والمسير نحوهم انما فعله بامر الله تعالى ، واخباره بذلك على لسان النبي (صلى الله عليه واله) حيث قال : انك ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بعدي»^(١٢).

(١) الإحكام ٢٨/١ (٢) البرهان ١٠٢/١ وينظر : معترك الأقران ٣٧/١ والإتقان ١٢٩/٢

(٣) منها :الأشباه والنظائر في القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ) والوجوه والنظائر في القرآن الكريم لهارون بن موسى

(ت ١٧٠هـ) والوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز للدامغاني (ت ٤٧٨ هـ) ونزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) وغير ذلك .

(٤) ينظر: الراوندي ٢٢٠/٢ والبحراني ١٩٧/٤ والخوئي ٢١/٢ والشيرازي ٨٣/٣

(٥) الأسراء ٢٣ (٦) ينظر: البيهقي ٢٩٣ والبحراني ١٩٧/٤

(٧) طه ٧٢ (٨) ينظر:الكشاف ٥٤٦/٢ والبحر المحيط ٣٥٩/٧.

(٩) نهج البلاغة الحكمة ٧٥ ص : ٤١٨ (١٠) فصلت ١٢

(١١) الإسراء ٤ (١٢) الكيدري ٦١٩/٢-٦٢٠

وقد فاق البيهقي غيره من شراح النهج في تتبع الفاظ المشترك والتمثيل لها بسياقات قرآنية ، وهي سمة تغلب على معالجاته لالفاظ المشترك ، من ذلك قوله في لفظة (الخلق) وهو يشرح قوله (ق) : (... والخالق لا بمعنى حركة ونصب)^(١) : «والخلق في القران بمعنى الدين في قوله : ﴿فَلْيَتُكَّنْ آذَانَ الْأَنْعَامِ﴾^(٢) ، و﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾^(٣) ، والخلق : التخليق في قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٤) ، والخلق التصوير في قوله : ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنْ

الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطُّبْرِ بِإِنِّي ﴿٥﴾ اي : يصور ، والخلق بمعنى الفعل في قوله: ﴿ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ ، والخلق : البعث والحشر في قوله : ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مِنْ خَلْقِنَا ﴾ (٧) ، يعني بعثا في الآخرة ، وفي قوله: ﴿ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا ﴾ (٨) (٩) . واختار للفظ (الخالق) في قوله (ي) معنى الذي يفعل من لا شيء شيئا ، مستدلا على هذا المعنى - ايضا - بسياق قرآني آخر ، وهو قوله تعالى : ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ ﴾ (١٠) . وذكر البيهقي للفتنة) بعد ان صرح باشتراكها سبعة معان مستدلا عليها باحد عشر سياقاً قرآنياً (١١) .

ومن مظاهر اهتمام الشراح بالمشترك القرآني معالجاتهم لالفاظ الصفات الالهية ذات المعاني المتعددة في اللغة ، اذ ذكروا معانيها المختلفة ، وبينوا المراد منها في حقه تعالى ، نحو لفظ (اللطيف) الواردة في قوله (ي) يحمد الله تعالى : (لَطِيفٌ لَا يُوصَفُ بِالْغَيِّ ، كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْجَبَالِ) (١٢) ، فقد ذكر الشراح انها تأتي دالة على : صغر الحجم ، والدقة ، والشفافية ، ورقة القوام ، وانعدام اللون ، والمحكم من الصنعة (١٣) ، ثم بينوا أن المراد من هذه المعاني في حقه تعالى أربعة أمور : الأول هو « إنه تعالى لا يرى لعدم صحة رؤية ذاته ، فلما شابه اللطيف من الاجسام في استحالة رؤيته اطلق عليه لفظ اللطيف » (١٤) . والثاني انه تعالى «لطيف بعباده ، اي : يفعل اللطاف المقربة لهم من الطاعة. او لطيف بهم بمعنى انه يرحمهم ويفرق بهم» (١٥) . والثالث إنه تعالى لطيف لـ « تصرفه في الذوات والصفات تصرفاً خفياً » (١٦) . والرابع إنه تعالى لطيف لـ « علمه بالاشياء اللطيفة ... مثل البعوضة واخفى من ذلك » (١٧) . والأمران الأول والثاني ذكرهما المفسرون في تفسيرهم قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ يَدْرِكُ الْبَصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (١٨) . وأكثرهم على الأمر الاول (١٩) . وربما يكون السبب هو أن اللغويين ذكروا

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٥٢ ص: ٢٦٦ (٢) النساء ١١٩ (٣) الروم ٣٠

(٤) الشعراء ١٣٧ (٥) المائدة ١١٠ (٦) الشعراء ١٦٦

(٧) الصافات ١١ (٨) النازعات ٢٧

(٩) البيهقي ٢٤٦ وينظر: ٢٦٧، ٢٦٣

(١١) ينظر: البيهقي ٢٦١-٢٦٢ (١٢) الخطبة ١٧٩ ص : ٣٢٤

(١٣) ينظر : المعتزلي ٦٥/١٠ والبحراني ٣٧٤/٣ وعبد ١٢٣/٢ والخوئي ٢٦١/١٠

(١٤) المعتزلي ٥٦/١٠ (١٥) نفسه ٥٦/١٠ .

(١٦) البحراني ٣٧٤/٣ (١٧) الخوئي ٢٦١/١٠ (١٨) الأنعام ١٠٣

(١٩) ينظر: الكشاف ٤١/٢ ومجمع البيان ١٢٧/٧ - ١٢٨ والجامع لأحكام القرآن ١٣/١٦ والبحر المحيط ٦٠٦/٤ .

أن اصل اللطف هو الدلالة على الرفق (١) . اما الاعتباران الثالث والرابع فلم يذكرهما غير شراح النهج معتمدين على روايات ائمة اهل البيت (ي) في ذلك (٢) .

ومن ذلك - ايضا - ما ذكره الشراح في لفظ (الاحد) الواردة في قوله (ي) : (الْأَحَدُ بِلَا تَأْوِيلٍ عَدَدٍ) (٣) ، اذ بينوا ان (الاحد) من الالفاظ المشتركة ، وانه يطلق على : الاعداد فيما يكون بعده اثنان وثلاث - من باب القلة - وعلى

الضعيف الذي لا ناصر له ، وعلى المتوحد المستوحش لفقد الجليس . ولما كان الله تعالى منزلها عن القلة والضعف ، والوحشة تلمس الشَّراح للفظ (الاحد) معنيين في حقه تعالى : الاول : التفرد في الكمال والربوبية ، اي لا شبيه له ولا مثل ولا ند^(٤) ، والثاني : عدم التجزؤ ، اي لا جزء له ذهنا ولا عقلا ولا خارجا^(٥) . وقد برز اللغويون دلالة الأصل (وحد) على الانفراد ولم يحفلوا بعدم التجزؤ^(٦) ، ومن ثم خطأ التستريّ ابن سينا^(٧) في تفسيره الواحد بالعدد ، ذكرا ان هذا احد اوهام ابن سينا في اصول الدين^(٨) .

ومن ذلك - ايضا - لفظة (الاستواء) في قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾^(٩) ، فقد ساق الشارحان البحراني والخنوي هذه الآية شاهدا على تفسير بعض مفردات النهج ، فذكرا أن الاستواء في عموم القرآن والنهج يدل على معان خمسة هي: الاستقرار والتمكين ، قصد الشيء والاقبال عليه ، الاستيلاء بالقدرة على الشيء ، الاعتدال ، المساواة في النسبة . ثم بين الشارحان امتناع المعنى الاول وهو الاستقرار والتمكين والجلوس في تفسير هذه الآية ، إذ لا يجوز في حقه تعالى ذلك ؛ لانه يؤول إلى القول بالجسمية والتشبيه ، ولذا ذهب البحراني الى القول بارادة معنى الاستيلاء بالقدرة من لفظة (الاستواء)^(١٠) متابعة منه لرأي المتكلمين واغلب المفسرين في ان المراد بالاستواء تصوير عظمة الله تعالى^(١١) . اما الشارح الخنوي فيختار للاستواء معنى المساواة في النسبة اي : استوى على كل شيء فليس شيء اقرب اليه من شيء ، وهو ما نقله عن اهل البيت (ع)^(١٢) . ومما يعضد هذا المعنى أن معجمات اللغة قرنت الأصل اللغوي للاستواء بالدلالة على الاعتدال بين شيئين والمساواة بينهما^(١٣) ، وهو يؤيد ما ذكره الخنوي .

(١) ينظر: المقاييس ٩٥٤ والمفردات ٧٤٠

(٢) ينظر: البحراني ٣٧٤/٣ والخنوي ٢٦١/١٠ ومغنية ١١/٣ والتستريّ ٢٨٤/١ والموسويّ ١٦٢/٣ والشيرازي ٨٢/٣

(٣) نهج البلاغة الخطبة ١٥٢ ص: ٢٦٦

(٤) ينظر: البيهقيّ ٢٤٥ والراونديّ ٩١/٢ والمعتزليّ ١٤٩/٩ والشيرازي ٣٧٥/٢

(٥) ينظر: البحراني ٢١٨/٣ والخنوي ١٧٧/٩ والموسويّ ٤٨١/٢ . (٦) ينظر: المقاييس ١٠٨٤

(٧) ينظر: التستريّ ٢٦١/١ (٨) ينظر: الشفاء ١٣

(٩) طه ٥ . (١٠) ينظر: البحراني ١٦٦/١

(١١) ينظر: الكشاف ٨٢/٢ ، ٥٣٠ ، وتفسيرالفخر الرازي ٢٩٣٦/١٤ ، والبحر المحيط ٦٥/٥ .

(١٢) ينظر : الخنوي ٣٣٨/١ - ٣٤٠ . (١٣) ينظر المقاييس ٤٩٦ والمفردات ٤٣٩ .

السياق واثره في المشترك اللفظي

شغلت مسألة قبول معاني اللفظ المشترك كلها في السياق الواحد عناية شراح النهج وكانت موضع اهتمامهم ، وقد انماز البحراني بتجويزه ذلك^(١) ، عن طريق حمل واحد من معاني المشترك على الحقيقة ، وحمل الاخر على المجاز ، مشترطا وجود قرينة في السياق تقيد ارادة معاني المشترك جميعها ، وهو مذهب جماعة من الاصوليين^(٢) ، ومحل

الخلاف لديهم هو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾^(٣) ، فقد بين الشارح البحراني^(٤) أن (الصلاة) في سياق الآية الكريمة يراد بها الرحمة والاستغفار معا ، لتكون من الله رحمة على الحقيقة ، ومن الملائكة استغفاراً على المجاز ، على رأي من يجعل الاصل في (الصلاة) من (الترحم)^(٥) ، او تكون من الله رحمة على المجاز ، ومن الملائكة استغفاراً على الحقيقة على مذهب من يجعل الاصل في الصلاة هو الدعاء^(٦) ، وما جوز الأمرين وجود القرينة اللفظية وهي ضمير الجمع في (يصلون) الذي يعود الى الملائكة المعطوفين على لفظ الجلالة ، وقد سمي البحراني هذه القرينة بـ(قوة المتعدد)^(٧) . اما الشارح الخوئي فذهب الى منع إرادة المعنيين ، وهو مذهب كثير من الاصوليين^(٨) ، واحتج لمذهبه بطريقة الاستدلال العقلي قائلاً: إن « الاستعمال انما هو تابع للوضع ، والواضع انما وضع اللفظ لمعنى ، ثم وضعه هو او غيره لمعنى اخر ، فاستعماله فيهما كليهما خلاف وضعه »^(٩) ، ولذا عم مدلول لفظة (الصلاة) فرأى أن المراد بها الاعتناء باظهار الشرف والتعظيم للرسول الكريم (صلى الله عليه واله) ، وهو ما سماه بـ (عموم الاشتراك) ، قائلاً : « إنا لا نسلم ان الصلاة هنا مستعملة في المعنيين ، بل المراد بها معنى عام شامل للمعنيين من باب عموم الاشتراك ، وهو الاعتناء باظهار الشرف والتعظيم .. فيكون معنى الآية ان الله وملائكته يعتنون باظهار شرف النبي (صلى الله عليه واله) وتعظيمه »^(١٠) . والظاهر من اقوال المفسرين واللغويين انهم متفقون على ان (الصلاة) لا يمكن ان تكون من الله بالمعنى نفسه من الملائكة ، فصلاة الله غير صلاة الملائكة ؛ لانها من الله رحمة ومن الملائكة استغفار ودعاء ، غير انهم مختلفون في توجيه لفظة (يصلون) الواردة في الآية بسبب تعدد الفاعل في سياقها ، فمنهم من ذهب الى القول بالحذف والتقدير ليكون

(١) ينظر : البحراني ٣٦/١

(٢) ينظر : دراسة المعنى عند الاصوليين ٢٢٨ .

(٣) الاحزاب ٥٦ .

(٤) ينظر : البحراني ٣٦/١ .

(٥) ينظر : إعراب النحاس ٣/ ٢٥٧ وتبيان الطوسي ٨/ ١٦٧ والكشاف ٣/ ٢٦٥ والجامع لأحكام القرآن ١٤ / ١٦٩

والبحر المحيط ٨/ ٤٨٦

(٦) ينظر: المقاييس ٥٧٢ - ٥٧٣ والمفردات ٤٩٠

(٧) ينظر : البحراني ٣٦/١ (٨) ينظر : دراسة المعنى عند الاصوليين ٢٢٨

(٩) الخوئي ٥٧/١ (١٠) نفسه ٦٠/١

الكلام : (ان الله يصلي وملائكته يصلون) ثم استغني عن المحذوف بدلالة الفعل الاول عليه واكتفي بفعل واحد^(١) ، فالبنية الاولى (العميقة) تحقق التغاير بين الفعلين بفعل العطف ، وبهذا يكون لفظ (الصلاة) الاول بمعنى الرحمة ، والثاني بمعنى الدعاء ، وهو مذهب البحراني السابق ، اذ ان قرينة (يصلون) وهي بقوة المتعدد اباحت اطلاق

(الصلاة) على معنيين مختلفين بنية إعادة الفعل . اما القسم الثاني فقد ذهب الى القول باشتراك الصلاتين في ارادة غرض واحد هو ايصال الخير ، فالله تعالى يريد برحمته ايصال الخير، وملائكته يريدون بالاستغفار ايصال الخير^(٢). وبذلك يدل اللفظ المشترك على معنى واحد داخل السياق وهو مذهب الخوئي الذي وسم رأي البحراني السابق بالفساد ، ثم منع تفسير الفاظ النهج المشتركة على اساسه ، ذاكرا ان البحراني بعد تجويزه لهذه المسألة « جرى في الشرح في غير مقام واحد على مقتضى ذلك الاصل الفاسد الذي اساسه ، وشرح كثيرا من كلام الامام (ع) على ما بنى عليه هناك »^(٣). ومثل هذا مخالفة البحراني لشرح النهج في شرحهم لقوله (ع) : (كُلُّ شَيْءٍ خَلِقَ لَهُ)^(٤) ، اذ ذهب البحراني الى ان الخشوع في هذا السياق مراد بحسب الاشتراك اللفظي، اذ الخشوع من الناس يعود الى خضوعهم لله ، ومن الملائكة دأبهم في عبادتهم . وعلل البحراني ارادة معنيي الخشوع والعبادة من لفظة (الخشوع) في السياق المذكور آنفا بوجود القرينة المجوزة للجمع بين المعنيين ، وهي اضافة الخشوع الى (كل شيء) فأفاد العموم من الإضافة^(٥). وانكر الخوئي على البحراني رأيه هذا مبينا ان الخشوع موضوع في الأصل لمطلق الخشوع في دلالاته على الذل والاستكانة ، فهو عام في أصل وضعه لا بفعل إضافته إلى لفظ عام^(٦) ، ونقل الخوئي عن اللغويين قولهم بعدم التفرقة بين الخشوع والخشوع الا في جعل الخشوع للبدن ، والبصر ، والقلب ، وجعل الخشوع للبدن فقط^(٧) ، فالخشوع اكثر ما يستعمل في الاعناق والابدان ، والخشوع في الصوت والبصر^(٨). ولهذا اختار الخوئي في تفسيره للفظ (الخشوع) الواردة آنفا ان يكون المراد بها الخشوع التكويني والافتقار الذاتي ، وحينئذ يكون معناها عاما ومشملا لكل الافراد المقصودين بلفظة (كل) في السياق السابق ، وهو اختيار خالفه من شرح النهج الذين لا يجوزون ارادة معنيين او اكثر للمشارك في سياق واحد^(٩).

(١) ينظر: تاويل مشكل القرآن القرن ٤٦٠ و اعراب القرآن للنحاس ٢٥٧/٣ والجامع لاحكام القرآن ١٦٩/١٤-١٧٠

(٢) مجمع البيان ١٦٧/٨-١٧٩ ينظر : الكشاف ٢٦٥/٣ ، والبحر المحيط ٤٨٦/٨ .

(٣) الخوئي ٦٥/١ . (٤) نهج البلاغة الخطبة ١٠٩ ص: ١٩٨

(٥) ينظر : البحراني ٢٥٨/١

(٦) ينظر : الخوئي ٣١٢/٧-٣١٤ .

(٧) ينظر : المقاييس ٣١٦ ، ٣١٩ و المفردات ٢٨٣ ، ٢٨٥ .

(٨) ينظر : المقاييس ٣١٦ ، ٣١٩ .

(٩) ينظر : مغنية ١٤٢/١ والتستري ٢٤٦/١ ، ٤٧٣/١ و ابو الفضل ٢٤٧/١ والموسوي ٢٢٧/٢ والشيرازي ١٧٥/٢ .

ولذا كان الشواح شديدي العناية باختيار ما يناسب مراد الامام (ع) من معاني اللفظ المشترك ، مستنديا في ذلك على سياق الكلام لتحديد المعنى المراد . ويبرز اعتمادهم على السياق في تحديد معنى المشترك بذكرهم لعبارات من مثل : (المراد هنا) ، او : (المراد في هذا الموضوع) . وربما ينبهون على المعنى الاخر للفظ المشترك بقرنه الى سياق اخر دال

عليه ، كالمعتزلي الذي أورد قول الرسول (صلى الله عليه وآله) وقد خرج على الناس وهم ينتظرونه قياما للصلاة : (مَلِي أَلِكُمْ سَامِدِينَ)^(١) ، اذ قال الشارح بعد ان اختار لها معنى (القائم) : « والسامد في غير هذا الموضع اللاهني اللاعب ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَنْتُمْ سَامُونَ ﴾^(٢) . وقيل السمود: الغناء بلغة حمير^(٣) . وقد سبقت الإشارة إلى أن جامع النهج لما وقف على قول الإمام : (هذا الخطيبُ الشحشُحُ)^(٤) ، فسّر الشحشح بالماضي . ثم قال : « والشحشح في غير هذا الموضع : البخيل الممسك »^(٥) . وقد استقصى الشّراح الدلالات الأخرى التي يفيدها لفظ (الشحشح) ، فالشحشح من الفلاة : الواسعة ، ومن الغريان : كثير الصوت ، ومن الارض : ما لا تسيل الا من مطر ، ومن القطاة : السريعة ، والشحشح : الغيور ، والشجاع^(٦) ، وذكر الكيدري ان الجامع لهذه المعاني الكثيرة هو دلالة الشح على الامساك المفرط والتشدد الفاحش^(٧) .

لقد ميز الشّراح بين معاني المشترك من خلال قرنه الى سياقات اخرى من النهج نفسه ، كتمييز الشارح ابي الفضل بين معاني لفظة (السادر) الواردة في قوله (ي) في صفة خلق الانسان : (حَتَّىٰ اِلَّا قَامَ اِعْتَلَاهُ وَاَسْتَوَّ مِثْلَهُ قَدَرٌ مُّسْتَكْوًا ، وَخَبَطَ سَاِرًا ... دَهَمَهُ فُجِعَاتُ الْمَنِيَةِ فِي غُبْرِ جِمَاحِهِ وَسَنَنِ مِرَاحِهِ ، فَظَلَّ سَاِرًا ، وَبَاتَ سَاهًا فِي غَمَاتِ الْآلَامِ وَخَوَارِقِ الْاَوْجَاعِ وَالْاَسْقَامِ)^(٨) ، اذ فرق بين معنى (السادر) في السياقين بأنه في: (خبط سادرا) يعني خبط لا هيا أو متحيرا، وفي السياق الآخر جاء « السادر ها هنا غير السادر الاول ؛ لانه هاهنا المغمي عليه كانه سكران ، واصله من سدر البعير من شدة الحر ، وكثرة الطلاء بالقطران فيكون كالنائم لا يحس ، ومراده (ي) هاهنا انه بدا به المرض »^(٩) . على حين فسّر الشّراح السابقون (السادر) في الموضعين باللاهني والمتحير^(١٠) .

(١) ينظر : غريب الحديث لابن سلام ٤٠١/٣ وغريب الحديث لابن قتيبة ٥٩٧/٢ وغريب الحديث للحري ٥٢٠/٢ والفائق ١٠٤/٢ .

(٢) النجم ٦١ . (٣) المعتزلي ١٢٣/١٩

(٤) نهج البلاغة ، الغريب ٢ ، ص: ٦٥١ . (٥) نفسه

(٦) ينظر : الراوندي ٣٦٤/٣ والكيدري ٦٦٩/٢ والمعتزلي ١٠٦/١٩ والبحراني ٣٧١/٥ وانصارين ٤٢٣/٣

والشيرازي ٣٨٣/٤ والموسوي ٤٠٣/٥ .

(٧) ينظر: الكيدري ٦٦٩/٢

(٨) نهج البلاغة الخطبة ٨٣ ص: ١٣٢- ١٣٣٠ .

(٩) ابو الفضل ٢٦١/١

(١٠) ينظر : البيهقي ١٦٣ والراوندي ٣٤٤/١ والكيدري ٣٩٦/١ والمعتزلي ٢٧١/٦ والبحراني ١٥٦/٢ والشيرازي ٣٣٤/١

والخوئي ٢٧/٦ والتستري ١٦٥/١ وعبدالله ١٥٦/١ ومغنية ٤٠٦/١ والموسوي ٤٩٤/١ .

ومن ذلك لفظة (البصر) في قوله (ي) لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل : (تَدِ فِي الْأَرْضِ قَدَمَكَ ، أَرِمِ بَبَصْرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ ، وَغُضَّ بَصْرَكَ ، وَأَعْظَمَ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ)^(١) ، اذ ذكر الراوندي ان البصر في السياق الاول معناه التبصر ، وفي السياق الثاني يعني الرؤية ، فقال : « ويمكن ان يقال : البصر هاهنا هو حاسة

الرؤية كما يفعله النظارة ، وفي الكلمة الاولى البصر بمعنى التبصر والتأمل ، ومعنى القرينتين اي : لا تكثر النظر الى جمعهم ... ولكن تأمل جميعهم ... فلا تناقض بين قوله : ارم ببصرك اقصى القوم ، وقوله : غض بصرك ؛ لانه يقال : رميت ببصري امرا عظيما وان لم يكن ثمَّ نظر^(٢) ، وتابعه في ذلك الكيدري^(٣) ، على حين جمع سائر الشّراح البصر في الموضوعين على معنى واحد هو الرؤية موجهين الكلام على انه (لم) امره في الاولى ان يفتح عينيه ويرفع طرفه الى اقاصي القوم ليعلم على ماذا يقدم ، وفي السياق الثاني امره ان يغض البصر عن بريق سيوفهم ولمعان دروعهم لتلا بريق بصره ويدهش ويستشعر خوفا اذا حمل عليهم^(٤) .

ولعل عناية الشّراح بذكر السياقات المختلفة للفظ المشترك هو اقرار منهم باهمية السياق في تحديد المعنى المراد من المشترك ، وهي حقيقة أكد عليها علم الدلالة الحديث ، فالالفاظ لا يمكن الوصول الى دلالاتها الا بعد وضعها في السياق ، إذ لا ينكشف المعنى « الا من خلال تسييق الوحدة اللغوية ، اي وضعها في سياقات مختلفة »^(٥) ، فالالفاظ المشتركة تتسم بـ « صعوبة تحديد معناها وهي خارج السياق ، غير انها تصبح متعينة الدلالة حين تتضمن الى السياق ، لا سيما اللغوي الذي يحدد معاني المفردات وبدونه لا يتم ذلك »^(٦) .

ولم يكتف الشّراح بوضع اللفظ المشترك في سياقات مختلفة لبيان معانيه ، بل جاوزوا ذلك الى وضع الكلمات المفردة مجاورة لكلمات اخرى لبيان المعاني المختلفة الناشئة من كل تجاور . وهي خصيصة مبرزة لدى معظم الشروح ، ومن ذلك : « انصاح الثوب : انشق ، وانصاح النبات : جف ويبس »^(٧) ، و « مرتع وبيل : وخيم ، وعذاب وبيل : شديد »^(٨) ، و « الظ الرجل : الح ، والظ المطر : دام »^(٩) ، و « دلى بحجته : احضرها ، ودلى بماله : دفعه ، ودلى بفلان : استشفع به »^(١٠) ، و « خفيف الروح : لطيف ، وخفيف الظهر : قليل العيال ، وخفيف القلب

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١١ ص: ٣٩-٤٠ . (٢) الراوندي ١٦٠/١ .

(٣) ينظر : الكيدري ١٩٢/١ .

(٤) ينظر : البيهقي ٩٢ والمعتزلي ٢٤١/١ والبحراني ٢٨٧/١ والسرخسي ١٥٦/١ والخوئي ١٦٦/٣ ومغنية ١٢١/١ والشيرازي ٩٢/١ والموسوي ١٤١/١ وانصاريان ٨٩/١ . (٥) علم الدلالة (عمر) ٦٨ .

(٦) اضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ١٤٣ .

(٧) البيهقي ٢١٠ وينظر : الراوندي ١٦٠/٢ والكيدري ٥٣/١ والمعتزلي ٢٦٣/٧ والبحراني ١٠٥/٣ والخوئي ٧٣/٨ والسامرائي ٢٣٧

(٨) المعتزلي ١١/١٠ وينظر : البحراني ٣٤٧/٣ والخوئي ١٧٧/١٠ والشيرازي ٥٤/٣ ومغنية ٥٢١/٢ .

(٩) المعتزلي ٤٠٣/٦

(١٠) الكيدري ١٦٠/١ وينظر : المعتزلي ١٦٣/١ والبحراني ٢٥٣/١ .

: ذكي ، وخفيف العقل : احمق^(١) ، و « ذات الشيء : نفسه ، وذات الصدور : بواطنها ، وذات الشمال : جهته »^(٢) . وفي الامثلة المتقدمة جوانب تطبيقية للنظرية السياقية عند المحدثين ، الذين ذهبوا الى « ان معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات اخرى ، وان معاني هذه الوحدات لا يمكن وضعها او تحديدها الا بملاحظة

الوحدات الاخرى التي تقع مجاورة لها»^(٣) ، فالكلمات لا معنى لها خارج التركيب بعيدا عن السياق ، وانما تتحدد دلالتها من السياق الذي تستعمل فيه^(٤) . ويتجلى اهتمام شراح النهج بالسياق الذي تقع فيه الالفاظ المشتركة في تتبّعهم للقرائن التي يشتمل عليها كلّ سياق ، واعتمادها في تحديد معنى واحد من بين معاني المشترك بما يوافق مراد الامام (ع) . والقرينة لا بد منها عندما يكون السياق الواحد محتملا لمعنيين او اكثر من معاني المشترك ، اذ « يجب على صاحب هذه الصناعة ان يراعي في كلامه مثل هذا الموضوع ، وهو من جملة الالفاظ المشتركة التي يحتاج في ايرادها الى قرينة تخصصها ضرورة»^(٥) ، فالكلمات المشتركة تكتسب قيمتها من مقابلتها لما يسبقها او يلحقها من كلمات^(٦) . وقد اعتمد الشّراح كثيرا على القرائن التي تتقدم المشترك او تتأخر عنه في التوصل الى المعنى المراد منه، كلفظة (البرزخ) الواردة في قوله (ع) يصف الموتى : (سَلَكُوا فِي بُطُونِ الْبَرْزَخِ سَبِيلًا سَلَطَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ...) ^(٧) ، اذ ذكروا انها تدل على (القبر، والوقت بين الموت والنشور) . ثم رجح المعتزلي ان يكون المراد بها القبر محتكما الى لفظة (البطون) المتقدمة في السياق^(٨) . وتبعه في ذلك طائفة من الشّراح المتأخرين^(٩) . وذهب أكثرهم إلى اختيار معنى الوقت بين الدنيا والاخرة^(١٠) . معتمدين على ما في معجمات اللغة من دلالة البرزخ على الحاجز بين شيئين^(١١) . ولم ير الخوئي في لفظة (البطون) دليلا يرجح دلالة البرزخ على القبر عند المعتزلي؛ لأن اللفظة ترجح معنى الحاجز بين الموت والحياة أيضا فقال : « اما تاييد ارادته - اي القبر - بلفظة البطون كما زعمه الشارح فلا ، بل دلالتها على المعنى الثاني اظهر ؛ اذ لولا ارادة الاول لكان الانسب ان يقال : في بطن البرزخ بصيغة المفرد ، وان كان يمكن تصحيحه بجعل اللام في البرزخ للجنس ، ولعل نظر الشارح

(٢) المعتزلي ٤٠٨/٦ وينظر : الخوئي ٣١٤/٦

(١) الخوئي ٢٩٤/٨ وينظر: المعتزلي ٥٧/١٣ .

(٣) علم الدلالة (عمر) ٦٨ .

(٤) ينظر: دور الكلمة ٥٥ .

(٥) المثل السائر ٢٠٤/١ .

(٦) ينظر : الدلالة السياقية عند اللغويين ٢٨٥ .

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ٢٢١ ص : ٤٢٦ .

(٨) ينظر: المعتزلي ١١٠/١١ .

(٩) ينظر عبده ٤٦٨/١ ومغنية ٢٨٩/٣ وابو الفضل ٣٦/٢ .

(١٠) ينظر : الراوندي ٣٧١/٢ والكيدري ٢٢٥/٢ والبحراني ٥٩/٤ والسرخسي ١٨٦/١ والتستري ٢٣٨/١١ والشيرازي ٣٥٥/٣ .

(١١) ينظر : المقاييس ١٦٦ والمفردات ١١٨ .

الى ان البرزخ بالمعنى الثاني ليس له بطن بخلاف القبر ، ويدفعه ان بطن كل شيء جوفه ، وما خفي منه . فيراد ببطون البرزخ على المعنى الثاني ما خفي علينا واحتجب عنا^(١) ، وقد رجح الخوئي ارادة القبر في هذا السياق لما روي عن اهل البيت (ع) ، ولتصريح بعض نسخ النهج بلفظ القبر^(٢) .

ومن ذلك اختلاف الشّراح في تعيين معاني لفظة (الحوبة) الواردة في قوله (ي) من خطبته الغراء : (الآن عباد الله والخناق مهمل ، والرُّوحُ مُرْسَلٌ ، فِي فَيْنَةِ الإِرْشَادِ ، وَرَاحَةِ الأَجْسَادِ ... وَأَنْظَارِ التَّوْبَةِ ، وَأَنْفَسَاحِ الحَوْبَةِ ، قَبْلَ الضَّنْكِ وَالْمُضِيْقِ) (٣) ، فذهب الراونديّ الى ان (الحوبة) في هذا السياق بمعنى (الحاجة) ليكون المعنى : سعة وقت الحاجة (٤) ، مستدلاً بقول الفرزدق (٥) :

فَهَبْ لِي حُنَيْسًا وَاتَّخِذْ فِيهِ مَنَةً
لِحَوْبَةِ أُمِّ مَا يَبُوعُ شَوَابَهَا

وتابعه في ذلك فريق من الشّراح (٦) ، لكن الشّارح التستريّ اختار لها معنى (الاثم) ، مستدلاً بالتوبة قرينة ترجح هذا ، اذ قال : « ان الحوبة وان كانت قد تاتي بمعنى الحاجة الا انها في كلامه (ي) بمعناها الاشهر ، وهو : الاثم ، بقرينة قرينتها التوبة ، والمراد بانفساح الحوبة : انفساح التخلّص عن الاثم وسعته» (٧) ، واختار بعض الشّراح معنى ثالثاً للحوبة في هذا السياق هو : (الحالة) ، وهذا المعنى استظهره الخوئي (٨) مبيناً ان المراد اتساع حالتكم ، وهو اختيار الشّارح الشيرازي ايضاً (٩) ، وجوز محمد عبده دلالة الحوبة على الحاجة او الحالة معا في هذا السياق (١٠) .

ومن أمثلة الاستدلال بالكلمة اللاحقة في ترجيح ألفاظ المشترك ما رجحه مغنية من معنى للسلام في قوله (ي) : (فَرَضَ اللَّهُ الإِيمَانَ تَطْهِيراً مِنَ الشُّرْكِ ، وَالصَّلَاةَ تَنْهِيّاً عَنِ الكِبْرِ ، وَالرِّكَاتَ تَسْبِيحاً لِرِزْقٍ ... وَالسَّلَامَ آمَاناً مِنَ المَخَافِ ، وَالْأَمَانَةَ ظَمَاماً لِلأُمَّةِ ...) (١١) ، إذ قال مغنية : «فسر الشارحون السلام هنا بالتحية وردّها ، وهذا التفسير بعيد عن دلالة اللفظ ؛ لان كلمة المخاوف توحى بالحرب على مستوى اوسع منها بين اثنين» (١٢) ، فرجح أن يكون السلام بمعنى الامان من الحروب وليس التحية (١٣) بدلالة لفظة المخاوف المتأخرة.

وقد يحشد الشّراح عدة قرائن لاختيار معنى معين للمشارك ، من ذلك ما ذكره الشّراح من القرائن اللفظية والعقلية

(١) الخوئي ٢٠٨/١٤ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه ٢١٧/١٤-٢١٨ .

(٣) نهج البلاغة الخطبة ٨٣ ص: ١٣٥ .

(٤) ديوانه ٩٤/١

(٥) ينظر : الراونديّ ٣٤٨/١ .

(٦) ينظر : الكيرويّ ٣٩٨/١ والمعتزليّ ٢٧٧/٦ والبحراني ٢٦٨/٢ وابو الفضل ١٦٤/١ ومغنية ٤١٢/١ والموسويّ ٤٩٧/١ .

(٧) التستريّ ١٩١/١ . وينظر : المقاييس ٢٨٦ والمجمل ٢٥٥ ومختار الصحاح ١٦٠ والمفردات ٢٦١ .

(٨)

(٩) ينظر : الشيرازي ٣٤١/١

ينظر : الخوئي ٦٦/٦ .

(١٠) ينظر : عبده ١٦٠/١ .

(١١) نهج البلاغة الحكمة ٢٥٢ ص: ٦٤٧

(١٢) ينظر : المعتزليّ ٨٩/١٩

(١٣) مغنية ٣١٥/٦ .

، لتحديد معنى (الحجة) في قوله (ي) : (لم يخل الله سبحانه خلقه من نبي مرسل ، او كتاب منزل ، او حجة لازمة) (١) ، فالحجة في اللغة (٢) تدل على عدة معان هي : (النبي ، الكتاب ، الامام ، العقل) . وجوز المعتزليّ (٣) ارادة احد المعنيين لها وهما : العقل او الامام المعصوم ، وهو رأي الشّارح مغنية ايضاً (٤) ، اما سائر الشّراح فاطبقوا على ارادة الامام المعصوم (٥) في هذا الموضوع ، إذ لا يجوز أن يكون المراد هو النبي ولا الكتاب ، لانه يكون تكراراً للكلام لا طائل منه ،

ونفى الخوئي ارادة معنى العقل ؛ « لان حجيتة منحصرة في المستقبلات العقلية لامجال له في غيرها ، فلا يعرف الحق من الباطل في الامور التي عجزت عن ادراكها عقول البشر بافكارها ، وانما يعرف الامام بنور الالهام ... وبذلك ظهر فساد ما توهمه الشارح المعتزلي من جعله الحجة في العبارة حجة العقل»^(٦).

ووظف الشّراح التقابلات الدلالية في ترجيح معاني المشتركات اللفظية ، كترجيحهم معنى النوافل للفظة (الفضائل) الواردة في قوله (٤) : (وخلف فيكم ما خلفت الانبياء في اممها ، اذ لم يتركوهم هملا ... كتاب ريكم مبينا حاله وحرامه ، وفرائضه وفضائله)^(٧) ، اذ فسّر المعتزليّ الفضائل بالنوافل مستدلا بما يقابلها في السياق ، وهي لفظة (الفرائض) الدالة على الواجب والمفروض ، قائلا : « الا تراه كيف جعل الفرائض في مقابلتها وقسيما لها ، فدل ذلك على انه اراد النوافل »^(٨) ، وهو اختيار سائر شراح النهج^(٩) ، عدا الراونديّ الذي اختار (الدرجة الرفيعة) لمعنى الفضائل^(١٠) . ومن ذلك اختيار معنى الناسك المتعبد للفظة (القاريء) الواردة في قوله (٤) :

واعلموا - رحمكم الله - انكم في زمان القائل فيه بالحق قليل ، واللسان عن الصدق قليل ، واللازم للحق ذليل ، اهله معتكفون على العصيان ... عالمهم منافق، وقارئهم مماذق^(١١) ، دون معنى قارئ القرآن وغيره ؛ لأنه في قبال العالم في قوله (٤) : (عالمهم منافق) وهو اختيار فريق منهم^(١٢) على حين ذهب فريق آخر إلى أن المراد هو قارئ القرآن لا غير^(١٣) .

واعتمد الشّراح على القرائن النحوية في اختيار معاني المشترك ، وهو ما اولاه الدرس الحديث اهتماما كبيرا ، إذ الدلالة التركيبية موضحة لمعاني الكلمة . والعلاقة الدلالية تذوب في العلاقة التركيبية من اجل تحقيق معنى الكلمة ، فمعنى الكلمة بحسب النظرية الوظيفية هو « مجموع السياقات التي تشكل الكلمة جزءا منها »^(١٤) .

- (١) نهج البلاغة الخطبة ١ .
(٢) ينظر : المقاييس ٢٥٠ والمفردات ٢١٩ .
(٣) ينظر : المعتزليّ ١٥٥/١
(٤) ينظر : مغنية ٦٠/١
(٥) ينظر : الراونديّ ٧٧/١ والكيدريّ ١٣٩/١ والشيرازي ٣٨/١ .
(٦) الخوئي ١٥٨/٢
(٧) نهج البلاغة الخطبة ١ ص: ٢٣
(٨) المعتزليّ ١٢٠/١
(٩) ينظر : عبده ٢٨/١ والخوئي ١٧٥/٢ ومغنية ٦٥/١ والتستريّ ٥/١٣ والشيرازي ٤٢/١ .
(١٠) ينظر : الراونديّ ٨٦/١ .
(١١) نهج البلاغة الخطبة ٢٣٣ ص: ٤٤٩
(١٢) ينظر : الخوئي ٣٢/١٥ والموسويّ ٨٨/٤ .
(١٣) ينظر : الشيرازي ٤٠٦/٣ ومغنية ٣٤٦ / ٣
(١٤) بنية اللغة الشعرية ١٠٦

ومن أمثلة اعتماد الشّراح على القرائن النحوية في اختيار معنى واحد من المعاني المشتركة للفظة ، شرحهم لفظة (الفلاح) في قوله (٤) : (أَلَحَ مِنْهُدَ ضَ بَجَنَاحِ)^(١) ، إذ فسرها الشّراح بالفوز لان الاسناد فيها حصل الى (من نهض) ، على حين ان معانيه الاخرى غير مرادة ، كالبقاء ، والسمو^(٢) ، لانها تاتي في سياقات اخرى لا إسناد فيها ... كقول

المؤذن : حي على الفلاح ، اي : سمو . واسناد الفلاح في قوله (ي) السابق الى (من نهض) يعد « قرينة حالية مشعرة بان المراد الفوز »^(٣) .

وقد يلجأ الشراح الى سياقات خارج الخطبة في اختيارهم واحدا من معاني المشترك ، من ذلك اعتمادهم على السياق القراني في تحديد معنى (الظن) في قوله (ي) : (... إِلَّا أَنْ يَدَّعِيَ مَدَّعٍ مَا لَا أُعْزِمُهُ ، وَلَا لَظُنُّنُ اللَّهَ يَعْزِمُهُ)^(٤) ، فقد ذهب الشراح الى ان « الظن هاهنا بمعنى العلم »^(٥) ، واستدلوا له بسياق الآية القرآنية : ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا صَرَفًا ﴾^(٦) ، على حين حمل الراوندي (الظن) في هذا السياق على معنى الشك ، واستدل له بسياق قراني اخر هو قوله تعالى : ﴿ وَوَلَدٌ نَبِؤُكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبَيَّنُوا أَنبَارَكُمْ ﴾^(٧) ، مبينا ان « الله يعلم كل شيء قبل وجوده ، وانما معناه : حتى نعلم جهادكم موجودا »^(٨) ، وقد رد المعتزلي هذا الاستدلال مدعيا ان « الراوندي يتكلم بكل ما يخطر له من غير ان يميز ما يقول »^(٩) ، ومبينا انه « ليس مراده (ي) سلب الظن الذي هو بمعنى العلم ، بل ظن السلب ، اي : علم السلب ، اي : (واظم أن الله سبحانه يعرف انتقاه وكل ما يعلم الله انتقاه فليس بثابت »^(١٠) .

(١) نهج البلاغة الخطبة ٥ ص: ٣٥ .

(٢) ينظر: المقاييس ٨٢٦

(٣) المعتزلي ٢١٤/١ وينظر: البحراني ٢٧٧/١ والخوئي ١٣٨/٣ والشيرازي ٨٢/١ .

(٤) نهج البلاغة الرسالة ٩ ص : ٤٦٧ .

(٥) ينظر : الكيدري ١١٤/٣ والمعتزلي ٥٠/١٤ والبحراني ٣٦٨/٤ والخوئي ٣٩٢/١٧ ومغنية ٤٠١/٣

والشيرازي ٤٤٢/٣ والموسوي ١٥٠/٤ وابو الفضل ١٣٨/٢ .

(٦) الكهف ٥٣ .

(٧) محمد ٣١

(٨) الراوندي ٣٠/٣ .

(٩) المعتزلي ٥١/١٤

(١٠) نفسه ٥٠/١٤ .

المبحث الثاني : التضاد

لم يفرد الشارحان البحراني والخوئي للتضاد مبحثا مستقلا بل درساه ضمن المشترك اللفظي^(١) ، كما في قول الخوئي : «
اختلف المجوزون للاشتراك في وقوعه، والحق هو الوقوع ، فقولنا: ان القرء موضوع للطهر والحيض ، والجون للابيض

والاسود معا على البديل من غير ترجيح^(٢)، فقد مثل الشارح بالالفاظ المتضادة لإثبات وقوع الاشتراك في اللغة ، ثم اعاد التمثيل بألفاظ التضاد لوقوع المشترك في القران الكريم، ومنها: (القرء)^(٣)، و(عسعس) الدالة على الاقبال والادبار^(٤).

ولا غرو في بحث الشّراح التضاد ضمن الاشتراك ، فقد عد القدماء التضادّ نوعا من المشترك^(٥)، معتمدين على علاقة العموم والخصوص بينهما ، فالمشترك اللفظي الذي يمثل الاختلاف في معاني اللفظة اعم من التضادّ الذي يمثل تتاقض معنيي اللفظة المتضادّة فضلا عن اختلافهما^(٦)، وفي ذلك يقول ابو الطيب اللغوي (٣٥١هـ): « الاضداد جمع ضدّ، وضد كل شيء ما نافاه ... وليس كل ما خالف الشيء ضدا له ، الا ترى ان القوة والجهل مختلفان ، وليسا ضديين ، وانما ضد القوة الضعف ، وضد الجهل العلم ، فالاختلاف اعم من التضادّ اذا كان كل متضادين مختلفين ، وليس كل مختلفين ضدين^(٧) . ويؤيد هذه العلاقة بين المشترك والتضادّ المادة اللغوية للفظ الضد وهي: مثل الشيء ونظيره وخلافه^(٨) ، ولذا عدّه القدماء داخلا ضمن المشترك ، ولكن باشتراط تضاد المعنيين المتخالفين في ظاهرة التضادّ ، اي دلالة اللفظ على النقيضين ، كالجون على البياض والسواد ، ودلالة (الجلل) على الكبير والصغير . واكد القدماء على فرعية الاضداد هذه ، كما هو واضح من قول قطرب (٢١٠هـ) : « ... والوجه الثالث ان يتفق اللفظ ويختلف المعنى ، فيكون اللفظ الواحد على معنيين فصاعدا ... ومن هذا اللفظ الواحد الذي يجيء على معنيين فصاعدا ما يكون متضادا في الشيء وضده^(٩) .

(١) ينظر: البحراني ٢٧/١ والخوئي ٥٤/١ .

(٢) الخوئي ٤٥/١ .

(٣) ينظر : المزهر ٣٨٧/١

(٤) ينظر : نفسه

(٥) ينظر: الاضداد (قطرب) ٢٤٤ وتاويل مشكل القران ٤٠١ والصاحبي ٦٦ والمخصص ٢٥٩٦٦/١٣ والمزهر ٣٨٧/١.

(٦) ينظر : فقه اللغة العربية ١٦٢ .

(٧) الاضداد ١/١ .

(٨) ينظر الصاح ٦١٦ والمفردات ٥٠٣ .

(٩) الاضداد (قطرب) ٢٤٤ وينظر : الصاحبي ٦٦ والمزهر ٣٨٧/١ .

فالضدّ «ضرب من الخلاف ، وان لم يكن كل خلاف ضدا^(١) . وبحث المبرد التضادّ ضمن المشترك اللفظي بعنوان يجمعهما هو « ما اتفق لفظه واختلف معناه^(٢) . وحسم بعضهم هذا التداخل بين المصطلحين لأنّ « المشترك يقع على شيئين ضديين ، وعلى مختلفين غير ضديين ، فما يقع على الضدين كالجون للابيض والاسود ، وجلل للعظيم والحقير ، وما يقع على مختلفين غير ضديين كالعين^(٣) . وذهب معظم المحدثين الى ان اكثر الفاظ التضادّ يمكن ردها الى ضرب من المشترك اللفظي^(٤) ، يقول الدكتور تمام حسان في التضادّ : إنه واقع « على معنيين ضديين ، وان المشترك

ما دل على معنيين غير ضدين ، فاذا اقتصرنا على التضاد من هذا النوع من المعنى وجدنا الاضداد في اللغة العربية قليلة العدد نسبياً^(٥) . ومن هنا ساغ للشارحين البحراني والخنوي معالجة التضاد ضمن المشترك اللفظي متابعة منهما للمتقدمين من اللغويين والاصوليين^(٦) .

والتضاد بمفهومه المعروف وهو « دلالة اللفظ الواحد على معنيين متضادين »^(٧) موضع اختلاف بين العلماء قدماء ومحدثين ، فقد ذهب معظم المتقدمين الى الاقرار بوقوعه وعدوه من سنن العرب المشهورة^(٨) . ثم ألف فريق منهم تحت عنوان الأضداد^(٩) . وأنكر فريق آخر هذه الظاهرة منهم : ثعلب ، وابن درستويه ، والجواليقي ، بدعوى انه يورث اللبس والتعمية ، ويوقع الابهام في الكلام ، وهذا يتنافى مع وظيفة اللغة في تحقيق التفاهم بين المتكلمين ، اذ ليس من الطبيعي ان يدل اللفظ على المعنى وضده في الوقت نفسه ، ويوضع واحد . وبالحجة ذاتها انكر فريق من المحدثين التضاد^(١٠) ، لكنهم لم يبطلوه مطلقاً^(١١) ، بل ضيقوا مجاله في أفاظ قليلة لم يكن تضادها في اصل الوضع بل حصل بطرق مختلفة منها^(١٢) : الاستعمال المجازي ، او تداخل اللهجات ، او عموم المعنى الاصلي للفظ ، او احتمال الصيغة الصرفية للمعاني المتضادة .

-
- (١) البغداديات ٥٣٥-٥٣٦ . (٢) المقتضب (٣) المزهر ١/٣٨٧ .
(٤) ينظر : دراسات في فقه اللغة ٣٠٩ وفي اللهجات العربية ٢٠٤ وفصول في فقه اللغة ٢٩٦ والمباحث اللغوية في العراق ٣٩-٤٠ . وفقه اللغة العربية (كاصد) ١٥٢ وفقه اللغة (وافي) ١٩٣ والتطور اللغوي التاريخي ٢٩٢ وفقه اللغة العربية وخصائصها ٢٨١ .
(٥) الاصول (تمام حسان) ٣٣٤ وينظر : في اللهجات العربية ٢٠٣ والاضداد (آل ياسين) ٢٤١ .
(٦) ينظر : الذريعة إلى أصول الشريعة ١٧/١ والمستصفى ٣٢/١ والمزهر ١/٣٨٧ .
(٧) التعريفات ٥٣ وينظر : تاريخ علوم اللغة ٣٩ وفقه اللغة (الضامن) ٧٢ .
(٨) ينظر : الكتاب ١/٢٤ والصاحبي ١١٧ وفقه اللغة وسر العربية ٢٨٩ وفقه اللغة (وافي) ١٩٣ .
(٩) مَن ألف في الأضداد قطرب والأصمعي والسجستاني وابن السكيت وابن الأنباري وأبو الطيب اللغوي وابن الدهان .
(١٠) ينظر : تصحيح الفصح ١/٦٧ والمخصص ١٣/٢٥٩ والمزهر ١/٣٦٩ والأضداد (آل ياسين) ٢٤٨ والتضاد في القرآن الكريم ٤٩ .
(١١) ينظر : دراسات في فقه اللغة ٣١٠-٣١٣ وفقه اللغة العربية ١٦٤ وعلم الدلالة (عمر) ١٩٩ .
(١٢) ينظر : المزهر ١/٣٨٥ وابحاث ونصوص في فقه اللغة ٢٥٢ والتضاد في القرآن الكريم ٣٥ وفصول في فقه اللغة ٣٤٩ وعلم الدلالة (الداية) ٧٩ وعلم الدلالة (عمر) ١٩٦-١٩٧ .

فالاستعمال المجازي يحصل بان « تكون كل لفظة تستعمل بمعنى ، ثم تستعار لشيء فتكثر وتغلب ، فتصير بمنزلة الاصل »^(١) ، وهذا التحول المجازي من المعنى الاول الى الثاني يكون لاسباب أهمها التناؤل^(٢) كاستعمال (السليم) للملذوغ ، و(الريان) للعطشان ، ثم تتوسى هذا التجوز . ومنها أيضا اجتناب التلفظ بما يكره ، كلفظة (المولى) للسيد والعبد^(٣) .

وجاء لدى شرح النهج اشارات الى بعض هذه العوامل المؤدية الى نشوء التضاد ، من ذلك تنبيههم على الاستعمال المجازي ، فقد ذكر الشراح المعنى المضاد للفظتي (السليم) ، و (المفازة) ، فبينوا ان (السليم) يراد به الملدوغ^(٤) ، او الملسوع^(٥) ، وبهذا فسروا قول ضرار بن ضمرة الضبابي^(٦) ، وهو يصف الامام (ع) : (قَدْ دَرَأِيَهُ فِي بَعْضِ مَوَاقِفِهِ وَقَدْ رُخِيَ اللَّيْلُ سُدُولُهُ وَهُوَ قَائِمٌ فِي مِحْرَابِهِ ، قَابِضٌ عَلَى لِحْيَتِهِ ، يَتَمَلَّمُ تَمَلُّمَ السَّلِيمِ ، وَيَبْكِي بُكَاءَ الْحَزِينِ)^(٧) ، وبينوا - ايضا - ان المفازة يراد بها الصحراء المهلكة ، وذلك عند شرحهم قوله (ع) وهو يذكر بيت الله الحرام في خطبته القاصعة : (تهوي اليه ثمار الافئدة ، من مفاوز قفار سحيقة ، ومهاوي فجاج عميقة)^(٨) ، وقد انفرد الشارح المعتزلي - من المتقدمين - بتعليل هذا التجوز في تسمية (المفازة) بارادة التقاؤل بالسلامة^(٩) ، بينما انفرد الشارح الشيرازي - من بين المتأخرين - بتعليل هذا التجوز في اللفظتين بقوله : « السليم : الملدوغ من حية ونحوها ، سمي بذلك تقاؤلا كما تسمى الصحراء بالمفازة »^(١٠) . وما ذكره الشارحان هو حاصل كلام اصحاب الاضداد^(١١) ، اذ تطلق لفظة (السليم) على اللديغ تقاؤلا بسلامته ، وتطلق (المفازة) وهي النجاة ، على الصحراء تقاؤلا بالفوز ، وجوز بعضهم اشتقاق المفازة من التقويز ، من قول العرب : قد فوز الرجل اذا مات ، وبذلك تخرج اللفظة من التضاد^(١٢) ، وقد فصل الشارح المعتزلي هذين الرأيين في الفصل الذي عقده لبحث الكنايات^(١٣) .

(١) المخصص ٢٥٩/١٣ .

(٢) ينظر : الاضداد (السجستاني) ١٠٣-١٠٤ والاضداد (ابن السكيت) ٢٠٤ وفصول في فقه اللغة ٣٣٨ وعلم اللغة (السعران) ٣٣١ والوجيز في فقه اللغة ٣٦٩ والاضداد (آل ياسين) ١٣٨ .

(٣) ينظر : دراسات في فقه اللغة ٣١٢ فصول في فقه اللغة ٣٣٨ وفي اللهجات العربية ٢٠٧ ومن قضايا اللغة والنحو ٤٥ .

(٤) ينظر : السرخسي ٢٩٤/١ والخوئي ١١١/٢١

(٥) ينظر : المعتزلي ٢٢٤/١٨ والبحراني ٢٧٦/٢

(٦) تنظر ترجمته في المعتزلي ٢٢٥/١٨ .

(٧) نهج البلاغة الحكمة ٧٧ ص: ٦١٢ . (٨) نهج البلاغة الخطبة ١٩٢ ص: ٣٦٩

(٩) ينظر : المعتزلي ١٥٩/١٣ (١٠) الشيرازي ٢٩١/٤

(١١) ينظر : اضداد (قطرب) ٢٤٨ واضداد (الاصمعي) ٣٨ واضداد (ابن الانباري) ١٠٥

واضداد (ابن السكيت) ١٩٢ واضداد (السجستاني) ١٤ واضداد (ابي الطيب) ٢٥١ .

(١٢) ينظر : اضداد (ابن الانباري) ١٠٥ واضداد (ابي الطيب) ٥٥٧/١-٥٥٨ .

(١٣) ينظر : المعتزلي ٥٢/٥ .

ونبه الشراح على أمثلة التضاد في متن النهج التي سببها عموم المعنى ، كلفظة (الرهوة) في قوله (ع) في صفة السماء : (وَعَظَمَ بِلَا تَلْبِيْقٍ رَهَوَاتٍ فُرْجِهِ أَلَا لَوْحَ صُوعٍ أَنْفِرْ لِحَا) ^(١) ، فقد اجمع الشراح على ان هذه اللفظة من الاضداد ، دالة في كلام الامام (ع) على المكان المرتفع ، وهي تجيء للمنخفض - ايضا - ^(٢) . ونبه الشارحان المعتزلي والخوئي

على أن سبب التضاد هو عموم المعنى للرهوة لأنها تدل على محل اجتماع المطر ، سواء كان هذا المحل مرتفعا ام منخفضا^(٣) .

ولم يقف الشراح عند ذكر التضاد في اللفظة ، وتعليل نشوئه ، وإنما قلبوا الوجوه المحتملة لدلالات هذه الالفاظ. وساق آخرون وجها اخر للرهوة يخرجها من الاضداد الى باب الاشتراك اللفظي، وهو دلالتها على المواضع المنفسحة^(٤) وهي دلالة مشتقة من قولهم : رها رجليه اي فتحها^(٥) ، فيكون المعنى انه سبحانه نظم شقوق السماء المنفسحة. ومن ذلك - ايضا - لفظة (الهجود) الواردة في قوله (٤): (فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّقَرُّقَ لَبَهُ ، وَأُنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ ، وَأَسَهَرَ التَّهَجُّدُ غَوَارَ نَوْمِهِ)^(٦) ، فقد أجمع الشراح^(٧) على التضاد في هذه اللفظة متابعة منهم لما ذكرته كتب الاضداد^(٨) ، معتمدين على السياق في تخصيص التهجد في قوله (٤) بقيام الليل للعبادة والصلاة . وأشار الكيدري الى دلالة اللفظة على النوم في اصل معناها^(٩) ، لكن المعتزلي ذهب الى ان الاصل فيها هو السهر ، ثم شايعه أبو الفضل والموسوي^(١٠) . والجذر اللغوي لمادة هجد « يدل على ركود في مكان ، يقال : هجد اذا نام »^(١١) . ويبدو ان التضاد في هذه اللفظة متأت من معنى البناء الصرفي لباب التفعّل ، فتهجد معناه سلب الهجود^(١٢) ، يقال: ((هجّده تهجّده : ازلت هجوده ، نحو : مرّضته ، ومعناه ايقظته فتيقظ))^(١٣) . والذي يصلي في الليل هو المتهجد ((وكانه بصلاته ترك الهجود عنه))^(١٤) .

(١) نهج البلاغة الخطبة ٩١ ص: ١٥٤ .

(٢) ينظر : البيهقي ١٧٨ والراوندي ٣٨٨/١ والكيدري ٤٥٣/١ والسرخسي ٩١/١ وعبد ٢٠٦/١ ومغنية ٢٦١/٢

وابو الفضل ١٩١/١ والسامرائي ١٨٥ .

(٣) ينظر : المعتزلي ٤١٩/٦ والخوئي ٣٤٦/٦

(٤) ينظر : الخوئي ٣٤٦/٦ وانصاريان ٢٧٦/١ .

(٥) ينظر : المقاييس ٤٢٥ والمفردات ٣٦٨ .

(٦) نهج البلاغة ، الخطبة ٨٣ ص: ١٣٠ .

(٧) ينظر : الراوندي ٣٨٨/١ والبحراني ٢٥٥/٢ وعبد ١٥٤/١ والخوئي ٣/٦ ومغنية ٤٠١/١ والتستري ٢٥١/١٢ والشيرازي ٣٢٩/١ .

(٨) ينظر : اضرار (ابن الاتباري) ٥٠ وضرار (ابي الطيب) ٦٧٨/٢-٦٨١ وضرار (ابن الدهان) ٢١ والمزهر ٣٩٠/١ .

(٩) ينظر : الكيدري ٣٩٤/١ . (١٠) ينظر : المعتزلي ٢٦٦/٦ وابو الفضل ١٥٨/١ والموسوي ٤٥٣/١ .

(١١) المقاييس ١٠٦٣ . (١٢) ينظر : الخصائص ٧٧/٣ .

(١٣) المفردات ٨٣٢-٨٣٣ . (١٤) المقاييس ١٠٦٤ .

وأشار الشراح إلى أثر اللهجات في نشوء التضاد وفاقا للغويين السابقين الذين عتوا اللهجات سببا قويا لنشوء التضاد فالكلمة إذا دلّت ((على معنيين متضادين فمحال ان يكون العربي اوقعه عليهما بمساواة منه بينهما ، ولكن احد المعنيين لحي من العرب ، والمعنى الاخر لحي غيره ، ثم سمع بعضهم لغة بعض فاخذ هؤلاء عن هؤلاء ، وهؤلاء عن

هؤلاء ، فقالوا : الجون : الابيض في لغة حي من العرب ، والجون الاسود في لغة حي اخر ، ثم اخذ احد الفريقين من الاخر»^(١) . ، وعدّ بعضهم اللهجات مقياسا لاقصاء الالفاظ ذات الدلالة على المعاني المتضادة ، وهم المضيقون للتضاد ، اذ اشترطوا في الالفاظ المتضادة ان تكون في لهجة واحدة^(٢) . وقد برز الشّراح أهمية اللهجات في إقرار التضاد لما وقفوا على لفظة (السدفة) الواردة في قوله (ي) من خطبته الغراء: (عَبَادَ مَخْلُوقُونَ أَقْدَارًا... قَدْ أُمِّهُوا فِي طَلَبِ الْمَخْرُجِ ، وَهُدُوا سَبِيلَ الْمَنْهَجِ ، وَعَمَّرُواهُمْ لَلْمُسْتَعْتَبِ ، وَكُشِفَتْ عَنْهُمْ سَدْفُ الرَّيْبِ...)^(٣) . إذ صرح معظم الشّراح بذكر اللهجات عاملا لنشوء التضاد في هذه اللفظة ، يقول الراوندي : « والسدفة عند اهل نجد الظلمة ، وعند غيرهم الضوء ، وهو من الاضداد»^(٤) . وقد ذكر ابن الانباري ان التضاد في هذه اللفظة يمكن ان يأتي من دلالتها العامة على معنى الستر « وكان النهار اذا اقبل ستر ضوءه ظلمة الليل ، وكان الليل اذا اقبل سترت ظلمته ضوء النهار»^(٥) .

وتعد الصيغة الصرفية من تمحلات العلماء في التوسع بالتضاد من وجهة نظر المضيقين له ، فقد انكر المضيقون ان يدخل في الاضداد ما كانت الصيغة الصرفية عاملا في اختلاف معناه^(٦) . وقد اورد شراح النهج امثلة كثيرة لهذا النوع من الالفاظ من غير ان يصرحوا بضمها الى الفاظ التضاد ، وانما اكتفوا في اغلبها ببيان التضاد في معانيها . من ذلك الفعل المزيد بالهمزة (افعل) اذ تتعدد دلالاته ما بين: الاظهار ، والتعدية ، والتدرج^(٧) ، ومن هنا تفاوتت اقوال الشّراح في توجيه دلالة طائفة من الافعال جاءت على مثال (افعل) ، فوقع التضاد تبعا لهذا التفاوت ، من ذلك لفظة (اعذر) في قوله (ي) : (.. قَدْ أَعَذَرَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ بِحَجَجٍ مُسْفُوفَةٍ ظَاهِرَةٍ)^(٨) ، وذهب فريق منهم الى ان (اعذر) بمعنى أظهر العذر « يريد انه قد اوضح لكم بالحجج النيرة المشرقة ما يجب اجتنابه ، وما يجب فعله ، فان خالفتم استوجبتم

(١) اضداد (ابن الانباري) ١١ وينظر: اضداد (ابي الطيب) ٣٤٦/١ والمخصص ٢٥٩/١٣ ودراسات في فقه اللغة (يعقوب بكر) ١٤٦

(٢) ينظر : الجمهرة ٢٩١-٢٩٢ والمزهر ٣٩٦/١ . (٣) نهج البلاغة الخطبة ٨٣ ص: ١٢٤ .

(٤) الراوندي ١٠٠/٢ وينظر : المعتزلي ٢٥٣/٦ والكيدري ٣٨٨/١ والبحراني ٢٤٤/٢ والسرخسي ٨٤/١ وعبد ١٤٩/١

ومغنية ٣٩٠/١ والتستري ٢٧٤/٧ وابو الفضل ٥٥/١ والموسوي ٤٧١/١ والشيرازي ٣٢٠/١ وانصاريان ٢٧٢/١ .

(٥) الأضداد (ابن الانباري) ٩ . وينظر : أضداد (الاصمعي) ٣٥ وأضداد (السجستاني) ٨٦ وأمالي القالي ١٢٥/٢ وأضداد (الصاغانبي) ٢٣٢ وأضداد (ابن الدهان) ١٢ والمزهر ٣٩٠/١ .

(٦) ينظر: أضداد (ابي الطيب) ١٢١/١ وعلم الدلالة (عمر) ١٩٧

(٧) ينظر: الخصائص ٧٧/٣ وسر صناعة الإعراب ٤٢/١ .

(٨) نهج البلاغة الخطبة ٨١ ص: ١١٩ .

العقوبة، فكان له في تعذيبكم العذر»^(١) ، وذهب فريق آخر^(٢) ، الى ان المراد بـ (اعذر) في قوله (ي) هو أزال العذر فـ « اعذرت فلانا سلبت عنده ، اي : ما جعلت له عذرا بيديه لو خالف ما نصحته به »^(٣) ، وانما الراوندي برأي اخر ،

هو ان يكون معنى اللفظة هو الجعل ، اي : «جعلته ذا عذر»^(٤) ، وبذلك نفى تضاد المعنيين من الصيغة (اعذر) . وجوز الموسويّ المعنيين المتضادين : اظهار العذر ، او ازالته^(٥) .

وجاء التضاد في امثلة (افعل) لسبب اخر ليس نوع الهمزة كما في المثال السابق ، وانما لاختلافهم في عدد المفاعيل التي يصل اليها (افعل) كما في قوله (ي) : (فَاتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةً مِّنْ سَعْمٍ فَخَشِدَ ، وَلَقَرَفَ فَاَعْتَرَفَ ... فَاسْعَ رَطْلًا بَا ، وَنَجَا هَارِبًا ، فَطَّأَدَ دَخِيْرَةً ، وَلَطَّابَ سَرِيْرَةً)^(٦) ، فالفعل (افاد) من الاضداد لدى فريق من الشراح^(٧) ؛ لانه يحتمل ان يكون بمعنى اخذ المال واعطائه ، يقال : « افدت المال زيذا : اعطيته اياه ، وافدت انا ، اي : استفدته واكتسبته»^(٨) . فعلى تقدير مفعول واحد يكون افاد بمعنى اخذ ، وعلى تقدير مفعولين يكون افاد بمعنى اعطى . وظاهر قوله (ي) يرجح ان يكون افاد بمعنى اخذ لوجود مفعول واحد ، فضلا عن دلالة السياق . ومن هنا اكتفى معظم الشراح بتفسير افاد بمعنى اخذ ، ولم يلمحوا الى انه من الاضداد^(٩) .

ومن امثلة التضاد بسبب تعدد معنى الصيغة الصرفية الواحدة الى درجة التفاوت والاختلاف ، ما ورد في قوله (ي) : (فَكُنْتُ رَجُلًا مِّنْ لَهُمْ اَجْرِيْنَ اَكْبَرَ اسْتِعْتَابَهُ ، وَاَقْلُ عِتَابَهُ)^(١٠) ، اذ فسر بعض شراح الاستعتاب بانه يجوز ان يكون اعطاء العتبي - اي الرضا - او طلب العتبي ، ومن هنا وقع التضاد^(١١) ؛ لان الاعطاء نقيض الطلب ، وقد ذكر الصرفيون عدة معان لباب الاستفعال منها الطلب والصيرورة^(١٢) . ومعظم شراح النهج لم يعدوا هذه اللفظة من الاضداد^(١٣) .

(١) المعتزليّ ٣٠/٦ وينظر : البحراني ٢٢٥/٢ وابو الفضل ١٤٩/١ .

(٢) ينظر : الخوئي ٣٢٥/٥ وعبد ١٤١/١ ومغنية ٣٧٧/١ .

(٣) الراونديّ ٣١٩/١ . (٤) نفسه ٣١٩/١ .

(٥) ينظر : الموسويّ ٤٥٣/١ . (٦) نهج البلاغة الخطبة ٨٠ ص: ١٢٦ .

(٧) ينظر : الراونديّ ٣٢٩/١ وعبد ١٧٠/١ والخوئي ٣٨٢/٥ .

(٨) المعتزليّ ٢٥٦/٦ .

(٩) ينظر : الكيدريّ ٣٨٨/١ والبحراني ٢٤٧/٢ والخوئي ٣٨١/٥ وابو الفضل ١٥٥/١ والموسويّ ٤٧٤/١ والشيرازي ٣٢٢/١ .

(١٠) نهج البلاغة رسالة ١ ص: ٤٥٩

(١١) ينظر : الخوئي ١٩٦/١٦ ، ٣٨١ /٥ .

(١٢) ينظر : الكتاب ٧٠/٤ - ٧١ والممتع ١٩٥/١ .

(١٣) ينظر : الراونديّ ٣٢٨/١ والكيدريّ ٣٨٨/١ والمعتزليّ ٢٥٣/٦ والبحراني ٢٤٤/٢ والسرخسي ٨٤/١ وعبد ١٤٩/١ ومغنية ٣٩٠/١

والتستريّ ٢٧٣/١٢ وابو الفضل ١٥٤/١ والموسويّ ٤٧٣/١ والشيرازي ٣١٩/١ .

وثمة امثلة من التضاد وردت لدى الشراح لم يصرحوا بسبب وقوع التضاد فيها ، من ذلك انهم لما وقفوا على قوله (ي) من خطبة له في ذكر المكايل والموازين : (عِبَادُ اللَّهِ ، اِنَّكُمْ وَمَدَتِ اَمْلُوْنَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا اَنْوِيَاءَ مَوْجُوْنَ ، وَمَدِيْنُوْنَ

مُقْتَضُونَ^(١) ، ذكر بعضهم أن « دنت الرجل : أقرضته ، فهو مدين ومديون ، ودنت ايضا اذا استقرضت ، وصار علي دين فاننا دائن »^(٢) ، ويبدو ان سبب وقوع التضاد في الفعل (دان) مرده الى اختلاف الفاعل مع الفعل دان المتعدي الى مفعولين ، اذ يقال : دنت الرجل مالا ، فهذا بمعنى الاعطاء ، ويقال : دانني الرجل مالا ، فهذا بمعنى الاخذ ، وعند بناء الفعل (دانني) للمجهول يحذف الفاعل (الرجل) وتتحول ياء المتكلم الى تاء فيصبح الفعل دانني: (دنت) وهو مجهول لا معلوم ، فوقع التضاد لالتباس صيغة الفعل بين المعلوم والمجهول ، ولم يذكر الشراح وقوع التضاد في الفعل الماضي المسند الى تاء الفاعل (دنت) ، واكتفوا بتوجيه اسم المفعول (مدين) بانه الذي وقع عليه الدين ، وليس في بناء المفعول تضاد لانه يعني الاقتراض^(٣) .

ولما اورد الشراح قوله (هـ) : (ألا وإن اليوم المضمّر ، وغداً السّباق)^(٤) ، صرح المعتزلي بأن المضمّر هو الموضوع الذي تضمّر فيه الخيل ، والمضمّر ايضا المدة التي تضمّر فيها الخيل، والتضمير ان تُعْرِفَ الفرس حتى يسمن ثم ترده الى قوته الأول ، وذلك في اربعين يوما ، وقد يطلق التضمير على نقيض ذلك ، وهو التجويع حتى يهزل ، ويجف لحمه ، وضمّر الفرس بالفتح يضمّر ضمورا ، وجاز ضمّر الفرس بالضم ، وأضمّرته أنا ، وضمّرتّه فاضطر هو .^(٥) ، ويبدو من نص المعتزلي على تضاد المعنى في (التضمير) ان معنى التسمين المفهوم من اللفظة هو مقدمة لمعنى التجويع ، وهذا ما وجهه به الشراح عبده من ان « تضمير الخيل ان تربط ويكثر علفها وماؤها حتى تسمن ، ثم يقلل علفها وماؤها ، وتجري في الميدان حتى تهزل ، وقد يطلق التضمير على العمل الاول ، او الثاني ، واطلاقه على الاول لانه مقدمة للثاني ، والا فحقيقة التضمير احداث الضمور ، وهو الهزال وخفة اللحم »^(٦) ، اي ان تسمين الفرس ، وتجويعها مقترنان في مدة واحدة هي اربعون يوما ، وهذا الاقتران اوحى بوجود التضاد في لفظة التضمير لاشتمالها على المعنيين اتساعا . ومن هنا اكتفى معظم الشراح بتفسير المضمّر بانه موضع ضمور الخيل ، او زمان التضمير ، ولم يسيروا الى وقوع التضاد في التضمير ؛ لانه لديهم يعني الهزال فحسب^(٧) ، على وفق ما ذكرته كتب اللغة^(٨) .

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٢٩ ، ص: ٢٣٥

(٢) المعتزلي ٢٤٥/٨ وينظر: الخوئي ٢٢٩/٨ .

(٣) ينظر : البيهقي ٢٢٠ والراوندي ٥٠/٢ والكيدري ٥٩٠/١ والبحراني ١٤٣/٣ والتستري ١٦٨/١

وابو الفضل ٣٠١/١ والموسوي ٣٧٠/٢ والشيرازي ٢٨٠/٢ وانصاريان ١٢/٢ . (٤) نهج البلاغة الخطبة ٢٨ ص: ٦٤

(٥) المعتزلي ٢٥٤/٦ وينظر: ٩٣/٢ وعبده ٩٠/١ .

(٦) ينظر: البيهقي ١١٨ والراوندي ٢١٨/١ والكيدري ٢٤٣/١ والبحراني ٤١/٢ والخوئي ٤/٤ ومغنية ١٩٥/١

وابو الفضل ٨٠/١ والموسوي ٢٣٥/١ والشيرازي ١٥٧/١ . (٨) ينظر: المقاييس ٦٠٢ والمفردات ٥١٢ .

اما الفاظ التضاد القرآنية ، فكان لها نصيب وافر من اهتمام شراح النهج ، واهتمامهم بها امتداد لاهتمام السابقين من مفسرين ولغويين^(١) . ومنها لفظة (وراء) الواردة في قوله (هـ) : (فإن الغاية أمامكم ، وإن وراءكم الساعة تحوكم . تحقوا وتحقوا ، فأما ينظر بأولكم آخركم)^(٢) . فقد نُسب الى الراوندي تفسيره (الوراء) بمعنى القدام^(٣) . اما سائر شراح النهج فقد

اجمعوا على ان مراد الامام (ع) في (وراءكم الساعة) هو إنها خلفكم، وتأولوا كون الساعة خلف الناس لا أمامهم ، فذهب المعتزلي الى ان الساعة ، وهي القيامة وما فيها من الجزاء بالثواب او العقاب ، او هي الموت ، انما تكون خلف البشر ؛ ((لانها اذا وجدت ساقطت الناس الى موقف الجزاء كما يسوق الراعي الابل ، فلما كانت سائقة لنا كانت كالشيء يحفز الانسان من خلفه ، ويحركه من ورائه الى جهة ما بين يديه))^(٤). وهنا استعان المعتزلي بالقرينة السياقية ، وهي لفظة (تحدوكم) ليعضد دلالة (الوراء) على الخلف . ولجعل الساعة خلفنا مع انها من الامور المستقبلية ، قيد المعتزلي كلامه بالاداة (اذا) في قوله السابق ؛ ((لانها اذا وجدت ساقطت الناس الى موقف الجزاء)) ، وهذا ما عابه عليه الشارح الخوئي ذاكرة ان هذا التقييد ((مجاز لا ينبغي ارادته الا بقرينة ظاهرة ، وهي في المقام مفقودة))^(٥) . اما الشارح البحراني فذهب الى أن دلالة (وراء) على الخلف إنما هي على التشبيه ، لأن الساعة - هي عنده القيامة الصغرى أي موت الانسان - تشبه الشيء الذي يهرب منه الانسان ((وكانت العادة في الهارب من الشيء ان يكون وراءه مهروب منه ، وكان الموت متأخرا عن وجود الانسان ، ولاحقا ، تاخرا ولحوقا عقليا ، اشبه المهروب منه المتأخر اللاحق هربا وتأخرا ولحوقا حسيا ، فلا جرم استعير لفظ الجهة المحسوسة وهي الوراء))^(٦) ، اي ان الموت جعل خلف الانسان وان كان وقت حصوله مستقبلا ، تشبيها له بالمهروب منه الذي يكون عادة خلف الهارب . وقد انتقد الخوئي هذا التاويل نقدا لاذعا مبينا انه ((لا يخفى ما فيه من السماجة))^(٧) ، ثم ارتضى الخوئي تاويلا ذهب فيه الى ان المراد بالساعة ساعات الليل والنهار ((وانما جعلها مع كونها منبسطة على مدى العمر ، وانقسامها الى الماضي والاستقبال ، باعتبار انها تحت الانسان وتسوقه سوفا حثيثا الى الغاية التي امامه ، اعني الموت))^(٨) . وبين انصارين احتمال اللفظة للمعنيين المتضادين : الخلف والوراء ، مرجحا دلالتها على الخلف بقوله : ((والوراء اما بمعنى الخلف كانه ظهر لحاجتهم ومحال لاعتمادهم ، او بمعنى القدام كما في قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ وِرَاعُهُمْ لَكَ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾^(٩) فكانه يسعى بين يدي حاجتهم لكفاية امورهم ، والاول أظهر))^(١٠)

(١) ينظر: علم الدلالة (عمر) ١٩٩-٢٠٠ والتطور اللغوي التاريخي ٩١ والأضداد (آل ياسين) ٥٥٦

(٢) نهج البلاغة الخطبة ٢١ ص: ٥١ . (٣) ينظر : المعتزلي ٣٠٢/١ والخوئي ٣٠٤ /٣ .

(٤) المعتزلي ٣٠٢/١ . (٥) الخوئي ٣٠٤/٣ . (٦) البحراني ٤١١/١ .

(٧) الخوئي ٣٠٣/٣ . (٨) الخوئي ٣٠١/٣ .

(٩) الكهف ٧٩ . (١٠) انصارين ٢٥٣/٣

وهذه اللفظة اختلفت فيها اقوال المفسرين واللغويين ، فاصحاب كتب الاضداد يذهبون الى انها من الفاظ التضاد^(١) ، مستدلين على دلالتها على الخلف بقوله تعالى : ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وِرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ ﴾^(٢) ، وعلى الأمام بقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ وِرَاعُهُمْ لَكَ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾^(٣) ، وقوله تعالى : ﴿ مِنْ وِرَائِهِمْ جَهَنَّمُ ﴾^(٤) . وقيد بعض اللغويين دلالتها على الامام ، فاشتراط ان تكون لفظة (الوراء) منساقاة في المواقيت والازمنة ، وعليه

قوله تعالى : ﴿ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ ﴾^(٥) ، و ﴿ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾^(٦) ، و ﴿ وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾^(٧) ، يقول الفراء : «ولا يجوز ان تقول لرجل وراءك هو بين يديك ، ولا لرجل بين يديك هو وراءك ، وانما يجوز ذلك في المواقيت من الايام ، والليالي ، والدهر ان تقول : وراءك برد شديد ، وبين يديك برد شديد ، لانك انت وراءه ، فجاز لانه شيء ياتي فكانه اذا لحقك صار من ورائك ، وكانك اذا بلغت صار بين يديك»^(٨) ، ولذا اخرج بعض المفسرين هذه اللفظة من باب التضاد ، قال الطبري : «وقد جعل بعض اهل المعرفة بكلام العرب (وراء) من حروف الاضداد ، وزعم انه يكون لما هو امامه ولما هو خلفه ... وقد اغفل وجه الصواب في ذلك ، وانما قيل لما بين يديه هو ورائي؛ لانك من ورائه، فانت ملاقيه كما هو ملاقيك، فصار اذ كان ملاقيك من ورائك وانت امامه»^(٩) وفسروا ارادة الخلف في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ ﴾ بانه خلفهم يتبعهم^(١٠) ، وهذا ما اكده الزجاج بقوله : «وراءهم: خلفهم ، وهذا اجود الوجهين»^(١١) . وصرف بعضهم دلالة (الوراء) الى المواراة اي الستر ، ليشمل بذلك الخلف والامام مادام فيه ما هو مستور ، فالوراء « اسم لما توارى عنك سواء كان امامك ام خلفك»^(١٢) . والظاهر ان اللفظ ليس من التضاد لعدة امور ، منها ان دلالة الوراء على الخلف تدخل في باب التراف^(١٣) لا حمل اللفظ على معنى واخر ضده ، فضلا عن ان دلالة اللفظة على الامام لا تستحصل الا بالتاويل ، كما هو واضح من كلام المفسرين وشراح النهج ، وليست حاصلة بصورة مستقلة عن السياق كما هو حال الفاظ التضاد الاخرى. اما ما نسب الى الراوندي من حمله للفظ (الوراء) على معنى القدام ، ولفظة (الامام) على الخلف ، فقد وصفه الخوئي بانه اردأ ما ذكر من اقوال الشراح^(١٤) ولم أفق عليه عند الراوندي ، بل انه فسر الوراء بالخلف ، والامام بالقدام^(١٥) ، وتابعه سائر الشراح^(١٦) .

- (١) ينظر : النوادر (ابو زيد) ٤٥-٤٦ والأضداد (السجستاني) ٨٢-٨٣ والأضداد (ابن الاثير) ٦٨
(٢) مريم ٥ (٣) الكهف ٧٩ (٤) الجاثية ١٠ . (٥) ابراهيم ١٦ (٦) ابراهيم ١٧ . (٧) المؤمنون ١٠٠ .
(٨) معاني الفراء ١٥٧/٢ وينظر : معاني الاخفش ٣٧٤/٢ وادب الكاتب ١٨١ ومعاني القران واعرابه ٣/٣٠٥ والمفردات ٥٧٥ والكشاف ٢/٤٩٥ ونزهة الاعين النواظر ٥٤١-٥٤٢ .
(٩) جامع البيان ٣٠٢/١٦
(١٠) ينظر : الكشاف ٣٧١/٢ ومجمع البيان ٦٧/٦ والتبيان ٣٢/٦ .
(١١) معاني القران واعرابه ٣/٣٠٥ .
(١٢) البحر المحيط ٤١٨/٦ وينظر : علم الدلالة (عمر) ٢٠٦ .
(١٣) ينظر : علم الدلالة (عمر) ٢٣١ .
(١٤) ينظر : الخوئي ٣/٣٠٤ .
(١٥) ينظر : الراوندي ١/١٨٧ .
(١٦) ينظر : عبده ١/٦٥ ومغنية ١/٥٨ و ابو الفضل ١/٦٢ والموسوي ١/١٨٥ والشيرازي ١/١٢٤ .

وانفرد الراوندي بالاشارة الى التضاد في لفظة (الاسرار) الواردة في قوله (ي) يصف الطلقاء : (...وَلَا فِي فَلَاقِ الْحَبَّةِ وَوَأُ النَّسْمَةِ ، مَا أَسْلَمُوا وَلَكِنْ اسْتَسْلَمُوا ، وَأَسْرُوا الْكُفْرَ ، فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْرَانًا عَلَيْهِ لَهْطُ رَوْه)^(١) ، اذ بين الشارح مجيء هذه اللفظة دالة على الكتمان والاطهار ، مستدلا بالسياق القراني ، اذ يقول : «(واسر الشيء من الاضداد ، يكون سرا واعلانا ، قال تعالى : ﴿وَاسِرُوا النَّدَامَةَ﴾^(٢) ، وفسرت على الوجهين»^(٣) ، والشارح بهذا يوافق السابقين في إقرارهم دلالة لفظة (الاسرار) في الآية الكريمة على الاظهار^(٤) ، وينبه في الوقت نفسه على زهاب فريق آخر الى حمل اللفظة

على المعنى الظاهر لها وهو الاخفاء لا غير^(٥). ولم ينبه الشراح الآخرون^(٦) على التضاد في هذه اللفظة ، وانما اكتفوا ببيان دلالتها على الاخفاء.

ومن ذلك - ايضا - لفظة (الغابر) الواردة في قوله (٤) : (لَمْ يُخَلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْفَةً مِنْ فَيْي مُرْسَلٍ ... مِنْ سَابِقِ سُمِّيَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَوْ غَابِرٍ عَوَّهَ مِنْ قَبْلِهِ)^(٧). والواردة - أيضا - في قوله (٤) يصف التقوى : (لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً شَهَاً عَلَى الْأُمَمِ الْمَاضِينَ مِنْكُمْ وَالْغَابِرِينَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غَنًّا)^(٨). فقد ذهب معظم الشراح الى ان هذه اللفظة من الاضداد إذ تدل على الماضي والباقي وهي في هذا الموضع بمعنى الباقي ؛ لذكر السابق والماضي قبلها^(٩). وفي القرآن^(١٠) ورد (الغابرين) نعنا للمتخلفين عن نوح ولوط (عليهما السلام) ، وقد فسرت اللفظة بالباقيين تارة والماضين تارة أخرى^(١١). وأفضل ما قيل في معناها : إن ((الغابر : الماكت بعد مضي ما هو معه))^(١٢) ، وهذا المعنى يبيح إطلاق الغابر على الماضي والباقي ((فإنما قيل للماضي غابر تصورا بمضي الغبار عن الأرض ، وقيل للباقي غابر تصورا بتخلف الغبار عن الذي يعدو فيخلفه))^(١٣).

ويعد السياق اللغوي ركيزة لاظهار المعاني المتضادة، وقد اتخذه ابن الانباري وسيلة للدفاع عن اللغة العربية، وهو يرد على الشعوبيين الذين رموا لغة العرب بخلوها من الدقة ، وافتقارها الى الحكمة حينما تدل الفاظها على معنى واخر مضاد له ، اذ قال : ((... فاجيبوا بضروب من الاجوبة : احدهن ان كلام العرب يصح بعضه بعضا ، ويرتبط اوله باخره ، ولا يعرف معنى الخطاب منه الا باستيفائه واستكمال جميع حروفه ، فجاز وقوع اللفظ على

(١) نهج البلاغة الرسالة ١٦ ص: ٤٧٤ (٢) سبا ٣٣ . (٣) الراوندي ٤٦/٣ .

(٤) ينظر : مجاز القرآن ٣٥/٢ وتفسير غريب القرآن ٣٥٧ واضداد (قطرب) ٨٩ واضداد (ابن السكيت) ٨٩ واضداد (ابن الانباري) ٤٥

(٥) ينظر: معاني الفراء ٣١٥/١ وجامع البيان ٩٨/٢٢ ومعاني القرآن وإعرابه ٢٥/٣ والتبيان ٣٩٨/٨ .

(٦) ينظر: المعتزلي ١١٤/١٥ والبحراني ٣٨٨/٤ والخوئي ٢٢٥/١٨ والموسوي ٧٧/٤ والشيرازي ٤٥٧/٣ .

(٧) نهج البلاغة الخطبة ١ ص: ٢٣ . (٨) نهج البلاغة الخطبة الخطبة ١٩١ ص: ٣٥٦

(٩) ينظر: البيهقي ٧٠ والراوندي ٧٧/١ والكيدري ١٣٩/١ والمعتزلي ١١٦/١ والبحراني ٢٠٠/١ وعبد ٢٧/١

والخوئي ١٥٤/٢ ومغنية ٥٦/١ والتستري ٤١/٢ وأبو الفضل ٢٢/١ والسامرائي ٢٧٣ والشيرازي ٦٩/٣

(١٠) ينظر: الأعراف ٨٣ والحجر ٦٠ والشعراء ١٧١ . (١١) ينظر: الكشاف ٩٣/٢ ، ٢٦/٣ والبحر المحيط ١٠٢/٥

(١٢) المفردات ٦٠١ (١٣) نفسه ٦٠١

المعنيين المتضادين، لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية احد المعنيين دون الاخر ، ولا يراد بها في حال التكلم الا معنى واحد^(١) ، وأولى المحدثون السياق عناية خاصة ، اذ اتخذوا من القرائن اللغوية داخل السياق وسيلة للكشف عن معاني اللفظ المتضاد^(٢) الا ان بعض المتقدمين من اللغويين ادخلوا في التضاد ما جاء نتيجة العلاقات السياقية ، من ذلك قول ابن الانباري : ((ومن الاضداد ايضا قولهم : اغار الى القوم اذا اغاثهم واعانهم وقاتل عنهم ، وقد اغار على القوم اذا قصدهم فقتلهم وسلبهم وانتهبهم))^(٣) ، والى مثل ذلك ذهب ابو الطيب بقوله : ((

راغ على وراغ عن ، فالاول بمعنى اقبل ، والثاني بمعنى ولى ، ومثله طلع على وطلع الى^(٤) . وعد المحدثون هذا التضاد من فعل السياق وحده ، وليس من قبيل الفاظ التضاد بمفهومها المستقل عن السياق ، ورأوا ان ادخال مثل هذه الأمثلة في باب التضاد انما هو من اخطاء اللغويين^(٥)؛ لان « التركيب في مثل هذه الالفاظ هو الذي ادى الى الضدية ، ولو اخرجت هذه وغيرها من حقل الاضداد لانحسر عدد الكلمات المتضادة الى حد كبير^(٦) . وحشر هذه الالفاظ في باب الاضداد ضرب من التكلف ، لاختلاف معنى الفعل باختلاف استعماله . ومثل هذه الالفاظ لا يحصل التضاد فيها لولا دخولها في علاقات نحوية تكسبها دلالات متضادة ، فلا يمكن عدها من الفاظ التضاد ، وقد اقر شراح النهج بهذا المفهوم ، اذ ذكروا مثل هذه الأمثلة في شرحهم لالفاظ النهج ، ولم يصطلحوا على انها من الفاظ التضاد ، وانما وازنوا بين معانيها المتضادة ببيان الصلات المتعاقبة عليها . وقد بين الشارح الامدي بشكل مفصل هذا الامر بقوله ، وهو يشرح لفظة (رغب) في قوله (م) من كتاب لبعض أصحابه وقد اشترى دارا بمبلغ كبير : (أَمَا إِنَّكَ لَو كُنْتَ أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِوَانِكَ مَا اشْتَرَيْتَ لَكْتُبْتُ لَكَ كِتَابًا عَلَى هَذِهِ النُّسخَةِ ، فَلَا مَ تَوْعَبُ فِي شِرَاءِ هَذِهِ الدَّارِ بِرِوَاهِمِ فَمَا فَوْقَ)^(٨) ، اذ بين الامدي حصول التضاد التركيبي بقوله : « الافعال كما تتغير معانيها بتغير الابواب ، سواء كانت الابواب مجردة او غير مجردة ، كذلك تتغير معانيها بتغير صلاتها ، وكذا الحكم في مصادرها ، فالرغبة ومشتقاتها اذا كانت صلتها كلمة (في) الجارة ، تفيد معنى الارادة والميل الى الشيء ونحوهما ، يقال : رغب في الشيء اذا اراده واحبه ومال اليه وطمع فيه وحرص عليه ، واذا كانت صلتها كلمة (عن) الجارة تفيد الاعراض والترك ، يقال : رغب عنه اذا زهد فيه ولم يرده واعرض عنه وتركه ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مَلَأَةٍ اِبْرَاهِيمَ اِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾^(٩) »^(١٠) . واكتفى سائر الشراح بالتنبيه على تضاد المعنى في هذه اللفظة بفعل التركيبين : رغب عن ، ورغب في ، من غير ان يعدوها من الفاظ التضاد اللغوي^(١١) وفاقا للغويين^(١٢) .

(١) اضداد (ابن الانباري) ٢ . (٢) ينظر : منهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة ١٦٨ والبلاغة وقضايا المشترك اللفظي ١٦٣

(٣) اضداد (ابن الانباري) ٣٦٨ . (٤) اضداد (ابي الطيب) ٤٢٨/١ .

(٥) ينظر : التضاد في ضوء اللغات السامية ١٤-١٦ . (٦) الاضداد (ال ياسين) ١٧ .

(٧) التضاد في ضوء اللغات السامية ١٤-١٦ . (٨) نهج البلاغة الكتاب ٣ ص : ٦٤١ .

(٩) البقرة ١٣٠ . (١٠) الخوئي ١٧ / ١١٣ .

(١١) ينظر : المعتزلي ٧٧/٢ والموسوي ٤٦/١ . (١٢) ينظر : المقاييس ٤١٢ والمفردات ٣٥٨ .

وقد تباين الشراح في التنبيه على المعاني المتضادة المستحصلة من اختلاف تعلقها بحروف الجرّ، ففي لفظة (عرجوا) الواردة في قوله (م) لما قبض رسول الله (صلى الله عليه واله) : (هَلَيْئَا النَّاسُ ، شُقُوا اَمْوَاَجَ الْفِتَنِ بِسُفْنِ النَّجَاةِ ، وَعَرَجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمَنَاوَةِ ، وَضَعُوا تِيْجَانَ الْفَاخِرَةِ ...) ^(١) ، اكتفى اغلب شراح النهج ببيان معنى اللفظة ، وهو الميل والبعد عن طريق المناورة^(٢) ، وهو مراد الامام (م) في هذا النص ، على حين أشار الراوندي والكيدري الى معنى اخر مضاد للميل والانحراف ، وهو معنى الاقامة على الشيء ، الذي يستحصل من تعدية الفعل بحرف الجر (على) ليكون

« التعرّيج على الشيء : الإقامة عليه ، يقال : عرج فلان على المنزل اذا حبس عليه نفسه ، والتقدير على هذا : عرجوا على الاستقامة منصرفين عن المنافرة وهي المحاكمة في النسب»^(٣) . ورجح المعتزلي معنى الميل والانحراف لمحا الى خطأ من احتمال معنى الإقامة ، بقوله : « ولقائل ان يقول : التعرّيج يعدى تارة بـ (عن) ، وتارة بـ (على) ، فاذا عديته بعن اردت التجنب والرفض ، واذا عديته بعلى اردت المقام والوقوف ، وكلامه (ع) معدى بعن ...»^(٤) ومن هنا أطبق معظمهم على اقصاء مثل هذه اللفظة عن باب التضاد ليحصرها في متعلقات التركيب سيرا على نهج اكثر اللغويين^(٥) .

وأكد المحدثون من شراح النهج على تضاد معاني التركيب لا اللفظة في مثل هذه الامثلة ، كما نجد في قول السامرائي في لفظه (الاشخاص) في قوله (ع) من كتابه الى الاشتهر : (فَلَا تُشَخِّصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ - اي الرعية - لَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ هَهُمْ) ^(٦) ، إذ بين أن مراد الامام (ع) هو « لا تبعد عنهم همك ، اي : اهتمامك بهم ، وقد احتمل (الاشخاص) هذا المعنى ، وهو الابعاد ، او الانحراف بسبب تعديته الى مفعوله بالحرف (عن) الذي يفيد التجاوز ، ولو ان قائلًا قال : اشخصت همي الى كذا وكذا ، لانصرفت الى الضد مما ورد في النص لان المعنى في هذه الحال ينصرف الى التوجه والميل»^(٧) ، وقد سكت شراح النهج^(٨) عن التماس المعنى المضاد للابعاد اكتفاء منهم بظاهر قول الامام (ع) . وثمة امثلة أخرى لديهم من التضاد القرآني بسبب تعاقب حروف الجرّ مع الفعل الواحد منها : (اختلف عن) و(اختلف في)^(٩) ، و(ابصر عنها) و(ابصر بها)^(١٠) ، و(صبر عن) و(صبر في)^(١١) ، وغير ذلك .

(١) نهج البلاغة الخطبة ٥ ص: ٣٥ .

(٢) ينظر: البيهقي ٨٦ والبحراني ١٠٠/١ والسرخسي ٥٣/١ والخوئي ١٣٥/٣ ومغنية ١٠٧/١ والشيرازي ٨١/١ .

(٣) الراوندي ١٤٤/١ وينظر: الكيدري ١٧٩/١ .

(٤) المعتزلي ٢١٨/١

(٥) ينظر: المقاييس والمفردات

(٦) نهج البلاغة الكتاب ٥٣ ص: ٥٦١

(٧) السامرائي ٢١٧ .

(٨) ينظر: الراوندي ١٩٥/٣ والكيدري ٥٤٦/٢ والمعتزلي ٨٧/١٧ والبحراني ١٥٨/٥ وعبيده ١٠٤/٢

والخوئي ٢٠٢٧/٢٠ والتستري ٥٨٨/٨ وابو الفضل ٢٥٧/٢ والشيرازي ٨١/٤ وانصاريان ٣/٣ .

(٩) ينظر: المعتزلي ٢٢٥/١٩ .

(١٠) ينظر: البحراني ٢٣٥/٢ .

(١١) ينظر : الخوئي ٩٩/٨ .

المبحث الثالث : الترافف والفروق اللغوية

درس الشارحان البحراني والخوئي في مقدمتيهما ظاهرة الترافف ، فقدم البحراني تعريفا لها بقوله: « اما الترافف فهو كون لفظين مفردين او ما زاد عليهما دالين لا لوضع على معنى واحد باعتبار واحد ، وبالأفراد احترزنا عن الاسم

الواحد ، وباعتبار واحد عن اللفظين اذا دلا على شيء واحد باعتبارين ، كالصارم ، والسيف ، وباعتبار الصفة وصفة الصفة كالناطق والفصيح ، فان تلك متباينة»^(١) . اما الشارح الخوئي فقد بحث الترفُّف ضمن معالجته تقسيمات اللفظ والمعنى ، قائلاً : « ان يتكرر اللفظ ويتحد المعنى فالالفاظ مترادفة سواء كانت من لغة واحدة كالليث والاسد ، او من لغتين»^(٢) .

وما قاله الشارحان لا يختلف عما قدمه اللغويون السابقون في تعريفاتهم لهذه الظاهرة ، وهو « ان يكون في اللغة لفظان بمعنى واحد»^(٣) و« ان يكون للمعنى الواحد عدة الفاظ تتصرف جميعها للدلالة عليه كالليث والاسد»^(٤) . وقد اصطلح سيوييه على الترفُّف بعبارة « اختلاف اللفظين والمعنى واحد»^(٥) ، وتعددت اصطلاحاته لدى الخالفين ، ومنها « الاسماء المختلفة للشيء الواحد»^(٦) ، و« ما اختلف لفظه واتفق معناه»^(٧) ، ثم صرح الرماني (هـ ٣٨٤ هـ) بالشائع لدينا في كتابه « الالفاظ المترادفة»^(٨) الذي ذكرته كتب التراجم. وعلى هذه التعاريف سار المحدثون في حدهم لظاهرة الترفُّف بانها : « الفاظ متحدة المعنى وقابلة للتبادل فيما بينها في اي سياق»^(٩) . والملاحظ في تعريف البحراني المذكور آنفا انه اثار مسألة مهمة في بحثه للتترادف ، وهي مسألة الصفات الدالة على المسمى الواحد ، التي اشار اليها بقوله : (باعتبار واحد) ، فقد ضيق الشارح مفهوم الترفُّف عندما اقصى الالفاظ الدالة على صفات المسمى من ان تكون مرادفة للاسم وعدها من المتباينات ، وهو مصطلح اصولي^(١٠) يطلق على « الالفاظ الموضوع كل واحد منها لمعنى كالانسان والفرس والطير ، ولو كانت للذات والصفة وصفة الصفة نحو : زيد متكلم فصيح»^(١١) . فالبحراني ينكر الترفُّف في مثل السيف ، والمهند ، والصارم ، والحسام ، لان هذه الالفاظ لديه دالة

(١) البحراني ٢٧/١ . (٢) الخوئي ١١/١ . (٣) الخصائص ١١٣/٢ .

(٤) التعريفات ١٦٠ وينظر : دلالة الالفاظ ٢١٦ وعلم الدلالة ، دراسة نظرية ١١٩-١٢٠ .

(٥) الكتاب ٢٤/١ وينظر : اعداد (قطرب) ٦٩-٧٠ .

(٦) غريب الحديث ١٠٩/٢ (ابن قتيبة) وينظر : تفسير غريب القرآن ٣٧٩ .

(٧) المزهر ٣٨٨/١ .

(٨) هدية العارفين ٦٨٣/١ وينظر : فصول في فقه العربية ٣١٠ .

(٩) فصول في فقه اللغة ٣٠٩ وينظر : المعجم الادبي ٦٣ .

(١٠) ينظر : المستصفي ٣١/١ وشرح تنقيح الفصول ٣٠ وتحرير القواعد المنطقية ٢٩ .

(١١) شرح تنقيح الفصول ٣٢ وينظر : الذخيرة ٥٥ .

على شيء باعتبارين ، لا اعتبار واحد ، هما الذاتية والوصفية ، غير انه لا ينكر الترفُّف في الالفاظ الدالة على شيء باعتبار واحد ، كالليث والاسد ، وهو بهذا يتابع ما جاء عند الاصوليين في تعريفاتهم للتترادف ، فقد عرف الرازي (هـ ٦٠٦ هـ) الالفاظ المترادفة بانها « الالفاظ المفردة الدالة على مسمى واحد باعتبار واحد»^(١) . وقد نبه الشارح الخوئي في موضع اخر من شرحه على ان الصارم والحسام ونحوهما ، هي صفات للسيف لا اسماء ، فهي ليست مرادفات للسيف

، إذ « يوصف السيف بالحسام ، وهو القاطع اخذا من الحسم وهو القطع ، وبالصارم وهو الذي لا ينبو عن الضريبة »^(٢) . وهذا ما يلحظ لدى شراح النهج الاخرين الذين باينوا بين الصفات والاسماء ، كما في (الرقيم) في قوله (م) وهو يصف ابتداء خلق السماء والارض : (..وَسَقَفِ سَائِرٍ ، وَرَقِيمٍ مَائِرٍ)^(٣) ، إذ أقرّوا دلالتها على السماء مبينين اشتقاقها من الرقم ، وهو الكتابة والنقش ، لان الكواكب تشبه الرقوم . وذكروا دلالة (السمك) على السماء ايضا ولكن ببيان صفة اخرى لهذه اللفظة ، وهي الارتفاع لان السمك هو الارتفاع ، وذكروا دلالة الفلك على السماء لكن بصفة اخرى ماخوذة من فلكة المغزل في الاستدارة^(٤) . وقد أخذت مسالة التمييز بين صفات الشيء واسمائه حيزا مهما في موضوع التراف ، إذ انقسم العلماء بشأنها على قسمين^(٥) : الاول يؤيد وقوع التراف ويوسع في مفهومه فيعد كل ما كان صفة للشيء مرادفا له ، ومن ذلك مارواه ابن فارس من ان الاصمعي كان يحفظ للحجر سبعين اسما^(٦) ، ونقل عن ابن خالويه انه جمع للاسد خمسمائة اسم ، وللحبة مائتين^(٧) ، وقد لاقت هذه المغالاة في التراف رفضا من لدن طائفة من العلماء « تعارض هذا الاتجاه وترفض ظاهرة التراف في العربية رفضا تاما »^(٨) ، منهم ابن الأعرابي (٣٢١هـ) ، وثعلب (٢٩١هـ) ، وابن درستويه (٣٤٧هـ) ، وابو علي الفارسي (٣٧٧هـ) الذي نقل السيوطي عنه موقفه من ابن خالويه عندما كانا في مجلس سيف الدولة ، فقال ابن خالويه مفتخرا انه يحفظ للسيف خمسين اسما ، فقال ابو علي انه لا يحفظ له الا اسما واحدا وهو السيف ، اما المهند ، والصارم ، وغيرها فهي صفات « وكأنّ الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة »^(٩) . فالتفريق بين الاسم والصفة هو الحد الفاصل لدى هؤلاء العلماء للحكم بين المترادفات ، فكل صفة تختلف عن غيرها لا تعد مرادفة للاسم ، يقول ابن فارس : « ويسمى الشيء الواحد بالاسماء المختلفة نحو : السيف ، والمهند ، والحسام ، والذي نقوله في هذا ان

(١) المحصول ٣٤٧/١/١ وينظر : المزهري ٤٠٢/١ والتراف (لعيبي) ومنهج البحث (زوين) ١٣٦ وفقه اللغة العربية ١٧ .

(٢) الخوئي ٢٠٤/١٨ .

(٤) ينظر : البحراني ١٧٣/١ وعبد ٢٢/١ وابو الفضل ١٨/١ .

(٥) ينظر : المزهري ٤٠٥/١ والتراف (لعيبي) ٧ وعلم الدلالة (عمر) ٢١٧ وابحاث ونصوص في فقه اللغة ٢٣٦ .

(٦) ينظر : الصحابي ٤٣ والمزهري ٤٠٥/١ ومعجم الادباء ٢٠٤/٩ وفصول في فقه العربية ٣١٠ .

(٧) ينظر : الصحابي ٤٤ والمزهري ٤٠٥/١ .

(٨) فصول في فقه اللغة ٣١١ .

(٩) المزهري ٤٠٥/١ وينظر : فقه اللغة العربية ١٧٠ .

الاسم واحد هو السيف ، وما بعده من الالقاب صفات ، ومذهبنا ان كل صفة منها فمعناها غير معنى الاخرى ، وقد خالف في ذلك قوم^(١) ، وقلل اصحاب هذا الفريق من المترادفات الكثيرة التي قال بها الموسعون للترادف . ووقف المحدثون امام هذه المسالة على اقوال ، فمنهم من عد صفات الاسم سببا في نشوء التراف ، يقول الدكتور رمضان عبد التواب : « من اسباب التراف كذلك ان يكون للشيء الواحد في الاصل اسم واحد ، ثم يوصف بصفات

مختلفة باختلاف خصائص ذلك الشيء ، وإذا بتلك الصفات تستخدم في يوم ما استخدام الشيء ، وينسى ما فيها من الوصف أو يتناساه المتحدث باللغة، وفي ضوء هذا السبب يمكن النظر الى السيف واسمائه^(٢) ولذا عدوا الصفات من ابرز اسباب نشوء التراف في جميع اللغات ((فمن ذلك تسمية الدار دارا ومنزلا ومسكنا وبيتا ، باعتبار كونها مستديرة في الاصل ، او كونها مكان النزول ... او موضعا للسكينة ... او كونها مكانا للبيتوتة ، وكل لفظ من هذه الالفاظ يدل على المقصود نفسه باحد هذه الاعتبارات التي قد يقصدها المتكلم او لا يقصدها ولا يلاحظها ، وهو الغالب في استعمال الناس^(٣) . وقد عد بعض المحدثين كثرة المترادفات بسبب الصفات المتعددة للمسمى عاملا مهما في اتساع متن المعجمات العربية^(٤) . وعلل بعض المحدثين هذا الاختلاف بانه اختلاف يعود الى تباين نظرة العلماء الى هذه المسألة ، فالذين فتحوا باب التراف امام الصفات نظروا الى المسألة نظرة وصفية من خلال الاستعمال فعدوها اسما باعتبار الدلالة الحالية لها ، على حين نظر الفريق الاخر إليها نظرة تاريخية ، اذ عدوها صفات بحسب الاستعمال القديم لها^(٥) . وأيد بعض المحدثين نظرة ابن خالويه وغيره ممن ادخلوا صفات الاسم ضمن الالفاظ المرادفة له ، ووصف هذا الاتجاه بانه اقرب للواقع اللغوي وقصد المتكلم ، فالصفات هي اسماء بحسب الواقع اللغوي لان المتكلم بها لا ينصرف ذهنه الى معاني هذه الالفاظ ((بحسب اشتقاقاتها وسبب تسميتها ، وانما الذي يعنيه من امرها ان هذه الالفاظ اسماء اعلام على مسمياتها^(٦)) ، وقد جعل ستيفن اولمن تطور الصفة وانتقالها الى فصيلة الاسماء من صور التطور الدلالي للفظ^(٧) .

لقد اشار الشارحان البحراني والخنوي الى مسألة اخرى وسعا بها مفهوم التراف ، وهي تجويزهما حصول التراف في لهجة واحدة ، يقول البحراني ((انه يجوز وقوع الالفاظ المترادفة من واضع واحد ، ويجوز وقوعها من واضعين^(٨)) ، وقد جوز الخنوي ذلك بقوله : ((سواء كانت من لغة واحدة ، كالليث والاسد ، او من لغتين^(٩)) .

(١) الصحابي ٩٦ وينظر : المزهر ٤٠٤/١ .

(٢) فصول في فقه اللغة ٣١٨-٣١٩ وينظر : التراف (لعيبي) ١٤٤ وفي اللهجات العربية ١٧٦ وكلام العرب ١٠٥ وظاهرة التراف

(٣) فقه اللغة وخصائص العربية ٢٠٠

في ضوء التفسير البياني ٥

(٤) ينظر : التراف (لعيبي) ١٤٦ .

(٥) ينظر : اللغات السامية ٨١ وفصول في فقه العربية ٣١٩ .

(٦) ينظر : دور الكلمة ١٨٥ .

(٧) المصدر نفسه : ١٤٢ .

(٨) الخنوي ١١/١ .

(٩) البحراني ٣٣/١ .

وهذه المسألة كانت موضع خلاف - ايضا - بين منكري التراف ومؤيديه^(١) ، فالذين انكروا التراف لم يجوزوا حصوله في لهجة واحدة، ففي ((لغة واحدة محال ان يختلف اللفظان والمعنى واحد))^(٢) . لأن في ذلك ((تكثيرا للغة بما لا فائدة فيه))^(٣) ، ولذا أقر أغلب العلماء بتعدد الفاظ المعنى الواحد اذا حصلت من لهجتين او اكثر^(٤) . ثم أقر المحدثون اللهجات المختلفة سببا رئيسا لتعدد أسماء الشيء الواحد ((فكل لهجة تطلق عليه اسما ، ثم ادى احتكاك اللهجات

بعضها ببعض ، ونشأة اللغة العربية المشتركة الى تمسك هذه اللغة المشتركة بعدد من تلك الالفاظ التي تدل على مسمى واحد في اللهجات المختلفة»^(٥) .

وبين البحراني مسوغات مجيء الترافف في لهجة واحدة بقوله : «يجوز وقوع الالفاظ المترادفة من واضع واحد ، ويجوز وقوعها من واضعين ، ويشبه ان يكون الاول اقل وجودا ، وله سببان : الاول : التسهيل والاقدار على الفصاحة ؛ لانه ربما يمتنع وزن البيت وقافيته مع بعض اسماء الشيء دون اسمه الاخر ، وربما حصلت رعاية السجع والمقلوب والجنس وسائر اصناف البديع مع بعض اسماء للشيء ولا يحصل مع الاخر ، الثاني : التمكن من تادية المقصود باحدى العبارتين عند الغفلة عن الاخرى ، واما الثاني ... فيجوز ان تصطاح احدى قبيلتين على اسم للشيء غير الاسم الذي اصطاحت عليه القبيلة الاخرى ثم يشتهر الوضعان بعد ذلك معا»^(٦) . وهذه المسوغات التي ذكرها البحراني وردت في أقوال سابقيه ولاحقيه^(٧) .

وقد بين المحدثون سببا اخر في نشوء الترافف^(٨) هو التطور في دلالة الالفاظ بسبب المجاز ، فالمجاز وان كان هو السبب في خلق العديد من المعاني للفظة الواحدة في اللغة العربية الا انه سريعا ما ينسى ويصبح المعنى الجديد لا يقل حقيقة عن المعنى الاول ، وهكذا يصبح امامنا في اخر الامر العديد من الاسماء المترادفة بسبب المجاز^(٩) ، وقد عد التطور الدلالي من جهة اخرى معيارا لبيان الفروقات بين الالفاظ ذات الدلالات المتقاربة ، وقد ذكر الدكتور ابراهيم السامرائي ان مؤيدي الترافف كانوا «لحرصهم على جميع الالفاظ المترادفة قد تجاهلوا تطور الدلالة فيها ، وخلطوا بين عصور اللغة ، ولذا جمعوا بين لفظ عرفت له دلالة جاهلية قديمة ، واخر اشتهر بدلالة اسلامية حديثة ، وجعلوا من اللفظين صنوين قرينين»^(١٠) .

(١) ينظر : فصول في فقه العربية ٣١٠ والترافف (لعبيبي) ٧ وفي اللهجات العربية ١٦٣ .

(٢) تصحيح الفصحى ١٦٥/١-١٦٦ وينظر: المزهري ٣٨٤/١ وفصول في فقه العربية ٣١٢ . (٣) فصول في فقه العربية ١٥ .

(٤) ينظر: الخصائص ٣٧٣/١-٣٧٤ وينظر : المزهري /١ ٤٠٥-٤٠٦ .

(٥) فصول في فقه العربية ٣١٦ وينظر : فقه اللغة (وافي) ١٦٦ والترافف (لعبيبي) ١٥٤ وفقه اللغة العربية ١٨١ .

(٦) البحراني ٣٣/١ .

(٧) ينظر: الخصائص ٣٧٢/١ والصناعتين ١٦٤ والبرهان للزركشي ٤٧٢/٢ .

(٨) ينظر: الترافف (لعبيبي) ٢٨١-٣٠٠ وفي اللهجات العربية ١٧٨-١٧٩ .

(٩) ينظر: الاصول (تمام حسان) ٣٣٢ و الدلالات اللغوية ١٠٦-١٠٩ . (١٠) ينظر: اللهجات العربية ١٨٣ .

وثمة إشارات لدى شراح النهج الى التطور الدلالي، لكنهم نظروا اليه على انه سبب في ترادف الالفاظ^(١) ، فضلا عن إنهم رأوا في تطور دلالة اللفظة معيارا لاقامة الفروقات بين الالفاظ^(٢) . ويمكن بيان هذين الاتجاهين عند الشراح في شرحهم للفظتي (الايمان) ، و(الاسلام) في اقوال متفرقة للامام (ع)^(٣) ، فقد بين الراوندي المعنى اللغوي للفظتين^(٤) بأن «الاسلام في موضع اللغة هو ان تنقاد لامر غيرك ، ويراد به التسليم»^(٥) ، وأن «الايمان في اللغة هو التصديق»^(٦) ،

وبذا نبه الشارح على افتراق اللفظين في دلالتهما الاصلية ، ثم بين اشتراك اللفظين في دلالتهما على معنى واحد بفعل ما استجد في زمن الاسلام من معانٍ شرعية جعلت لفظة (الايمان) (في عرف الشرع هو التصديق بالقلب لاركان الدين ، ويقال لمن يظهر الايمان من نفسه ولم يكن مصدقا بالحقيقة انه مؤمن مجازا ... وكل لفظ يستعمل في حقيقة يجوز المجاز فيه على الاطلاق) (٧) ، وكذلك انتقل (التسليم) في المعنى اللغوي للاسلام الى معنى اخر هو « في عرف الشرع التدين بدين الحق ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (٨) ، اي : الطاعة عند الله حب الاسلام ، والمراد بالاسلام التسليم لله تعالى ولاوليائه ، وهو كالتصديق (٩) ، وهكذا صار الاسلام دالا على التصديق ، فالتقى معنى الايمان ليكون « الاسلام هو التسليم ، والتسليم هو التصديق » (١٠) ، وبهذا تكون اللفظتان : الايمان والاسلام دالتين على معنى واحد هو التصديق ، بعد ان افتترقتا في الاصل اللغوي لهما ، وهذا ما بينه فريق من شراح النهج (١١) . على حين ذهب المعتزلي الى ان « الاسلام والايمان عبارتان عن معبر واحد ...اي ان الاسماء مترادفة » (١٢) ، ووافقه في هذا بعض الشراح (١٣) ، ففي صدر الاسلام كانت كلمتا المؤمن والمسلم مترادفتين او متقاربتين في المعنى ، وقد اطلق القران المؤمنين على المسلمين ، وخاطب الجميع ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (١٤) ، وفي هذا تنبيه على التطور الزمني لدلالة الالفاظ إذ هو سبب لترادف اللفظتين .

(١) ينظر : البحراني ٣٠/٣ .

(٢) ينظر : البيهقي ١٥ والبحراني ١٢٦/١ والشيرازي ٢٦/١ والخوئي ٢٣٩/١٨ ، ٣٣١ .

(٣) ينظر : نهج البلاغة الحكمة ٣١ ص: ٦٠٣ والحكمة ٨٨ ص: ٦١٤ والحكمة ١٢٠ ص: ٦٢٤

(٤) ينظر : الصحاح ٥٧ ، ٥٠٩ .

(٥) الراوندي ٣٠٠/٢ .

(٦) نفسه ١٨٤/٢ . (٧) نفسه ٤٤٣/٢ .

(٨) ال عمران ١٩ (٩) الراوندي ٣٠٠/٢

(١٠) نفسه ٣٠٠/٢ وينظر : ٤٧٢/١ ، ١٨٤/٢ ، ٤٤٣/٢ .

(١١) ينظر : المعتزلي ٣١٣/١٨ ومغنية ٦٤/٦ وأنصاريان ٩٢/٢ .

(١٢) المعتزلي ٣١٣/١٨ .

(١٣) مغنية ٦٤/٦ وينظر : ١٢٩/٦ .

(١٤) البقرة ٢٦٤ والتغابن ١٤ و....

التراّف بين المطابقة والمقاربة .

أثار الشارح البحراني مسألة مهمة هي تحديد مفهوم الألفاظ المترادفة بين التطابق التام والتقارب الذي يسمح بوجود فروق جزئية بينها، إذ قال: «هل يصح اقامة كل واحد من المترادفين مقام الاخر دائما ام لا ؟» (١) . وأردف قوله : «

والحق انه يصح اقامة احد المترادفين مقام الاخر بشرطين : احدهما ان يكونا من لغة واحدة ، والثاني ان يتساويا في فهم المعنى منهما حال التخاطب بهما ، او يقربا من التساوي»^(٢) ، فهو يرى ان المراد بالترأف هو الدلالة على تقارب الالفاظ المختلفة وذلك باشتراكها في المعنى العام الذي تدل عليه ، من غير اشتراط المطابقة التامة بينها . وهذا هو المعنى الذي كان سائدا في فهم العلماء الاوائل ، ففكرة الترفأف «لم تكن غريبة على الحس اللغوي العام ، وعلماء اللغة كانوا يسلمون بالترأف ولا يرونه محل نزاع في القرن الثاني الهجري»^(٣) حتى ظهر الخلاف بينهم في القرن الرابع الهجري^(٤) . فمن فهم من ا لترأف دلالاته على تقارب المعاني وسع باب الترفأف ليمثل المعنى الواحد في الفاظ قد تزيد على الخمسة لفظ ، ومن فهم من الترفأف دلالاته على المطابقة التامة بين الالفاظ في معناها انكر الترفأف ، واجتهد في بيان الفروقات بين الالفاظ المتقاربة في معناها ، فعدّ الوقوف عند الفروقات الدلالية تصريحا بنفي الترفأف^(٥) ، وامتد الخلاف ليشمل المحدثين من علماء اللغة^(٦) ، وهو خلاف قاد بعض المحدثين الى التشكك في النصوص اللغوية ، يقول الدكتور ابراهيم انيس : «وهكذا نرى ان القدماء في صراع مع دلالات الالفاظ ، طورا يوسعون دائرتها ، ويتجاهلون الفروق بينها بحيث تتسع لكثير من الكلمات المترادفة ... واخرى يحددون تلك الدلالات ، ويغالون في تحديدها مما قد يترتب عليه ان نتشكك من النصوص ، ونأبى المشهور الشائع من استعمالات كثيرة»^(٧) . والحقيقة ان الاحتكام الى المعنى اللغوي للترادف كقيل ببيان وجه الخلاف بين العلماء ، فالترأف في اللغة يعني ركوب احد خلف اخر ، يقال : ردف يردف ردفًا ، وهو اجتماع الراكبين على ردف الدابة الواحدة^(٨) ، ومن هنا كان الترادف يعني اجتماع اللفظين على معنى واحد تشبيها باجتماع الراكبين على ظهر الدابة. وتتفق دلالة البناء الصرفي لهذه اللفظة مع هذا المفهوم ، فالفاعل بناء دال على المشاركة بين اثنين^(٩) ، والذي يفسر اصطلاحا على انه اشتراك الالفاظ في المعنى العام الذي يجمعها فاستحقت بسببه أن

- (١) البحراني ٣٣/١ .
(٢) نفسه ٣٣/١ .
(٣) في اللهجات العربية ١٦٢ وينظر : دلالة الالفاظ ٢١٢ .
(٤) ينظر : المشترك اللغوي ٩٠ .
(٥) ينظر : جمالية المفردة القرآنية ٥٨-٥٩ .
(٦) ينظر : علم الدلالة (عمر) ٣١-٩٤ والترأف (لعبيبي) واللغة والمعنى والسياق ٥٤-٥٥ وفي اللهجات العربية ١٦٩ .
(٧) دلالة الالفاظ ٢٢٣ .
(٨) ينظر : العين ٢٢/٨-٢٣ والتهذيب ٩٦/١٤ واللسان ١٤/٩ والتاج ١٣٦٣/٤ . (٩) شرح الشافية ١٠٠/١ .

توصف بالمترادفة . وفي الوقت ذاته لا تعني المشاركة بين اللفظتين المطابقة بينهما ، كما انه لايعني ركوب شخصين على دابة واحدة المشابهة بينهما . فالمرادف لاحق للشيء الاصلي ، وليس هو الشيء نفسه^(١) . وعلى هذا يكون الترفأف تقاربا او اشتراكا في المعنى العام ، وقد بين الجرجاني هذا المفهوم بقوله : « ان الترفأف يطلق على معنيين

أحدهما : الاتحاد في الصدق ، والثاني : الاتحاد في المفهوم ، ومن نظر الى الأول فرق بينهما ، ومن نظر الى الثاني لم يفرق بينهما»^(٢) . فهو يشير الى عدم المطابقة التامة بين الالفاظ المترادفة لوجود المعاني الدقيقة التي تكون سببا للفروق الدلالية بين الألفاظ ، اما المفهوم وهو المعنى العام لهذه الالفاظ ، فهو واحد بينها جميعا . ولذا نجد منهج الجمع بين القول بالمترادفات من جهة ، والتفريق بينها من جهة اخرى هو الغالب لدى علماء اللغة^(٣) . فيمكن القول : إن اختلاف اللغويين في الترافف لم يكن الا اختلافا في نسبة التقارب بين الالفاظ المترادفة ، فهي كلها تشترك في المعنى العام ، وتتباين في المعاني الفرعية ، لاسيما المعنويات منها ، ولم يكن عمل منكري الترافف الا توضيحا وابدازا للجوانب المعنوية التي تفرق فيها الالفاظ المترادفة بعد اتفاقها على معنى واحد . ومنهج الجمع بين الظاهرتين هو منهج علمي موضوعي ؛ لانه ينظر الى الحقائق اللغوية . وهذا رأي أغلب المحدثين^(٤) الذين ذهبوا الى انكار الترافف التام والمطابقة الكلية بين معاني الالفاظ ، واذا وقع شيء من ذلك فالعادة ان يكون ذلك لمدة قصيرة محددة إذ سرعان ما تظهر بالتدرج فروق معنوية دقيقة بين الالفاظ المترادفة ، فيصبح كل لفظ منها مناسباً وملائماً للتعبير عن جانب واحد فقط من الجوانب المختلفة للمدلول الواحد ، وقد خلص المحدثين الى القول بمبدأ النسبية في الترافف ، فاللفظة اذا ترادفت مع غيرها في سياق ما لا تؤدي وظيفتها اللغوية والعقلية اداء تاما ، وانما بحسب ما هو معروف في ذهن الجماعة اللغوية التي تنطق بها ، ومن ثم قسم المحدثون الترادف الى جزئي ، وتام^(٥) ، مشترطين للترادف التام شروطا تجعل منه امرا نادرا، ولا يمكن تحقيقه الا في المحسوسات المشتركة بين الناس كالقمح والبر والحنطة ، والسكين والمدية . وأما ما يمكن أن تنبثق منه المعاني الفرعية فهي المعنويات والوجدانيات^(٦) . ومبدأ النسبية في الترافف قول سليم لانه يشير الى وجود الترافف اللغوي بمعنى التقارب في دلالات

(١) ينظر : الجمهرة ٢٠١/٢ والمقاييس ٥٠٣ واللسان ١١٦/٩ . (٢) التعريفات ٤٩ وينظر : المزهرة ٤٠٥/١ .

(٣) ينظر : ، والترافف (لعيبي) ٢٠٩-٢٢٢ وفقه اللغة العربية ١٦٩ وفصول في فقه اللغة ٣١٥ وابحاث ونصوص في فقه اللغة ٢٣١ .

(٤) ينظر : الترافف (لعيبي) ٥ ودلالة الالفاظ ٢١٣ والاعجاز البياني ١٩٦ ودور الكلمة ٩٨ وابن الأعرابي ١٤٠-١٤٢ .

(٥) ينظر : علم الدلالة (حجازي) ٩٧ وعلم اللغة (مذكور) ٢٢٧ وظلال المعنى ٧٣ وعلم الدلالة (عمر) ٣٥ واللغة والمعنى والسياق ٥٤ .

(٦) ينظر : فقه اللغة (وافي) ١٦٣ ودراسات في فقه اللغة ٢٩١ وفصول في فقه اللغة ٣٢٢ وفقه اللغة العربية ١٨٦

وابحاث ونصوص في فقه اللغة ٢٣٥ وفي اللهجات العربية ١٧٨ والتراث اللغوي ٥٠ .

الالفاظ دون المطابقة التامة - مع التسليم بوجود تطابق نادر في بعض الالفاظ^(١) - وفي الوقت نفسه يسمح باقامة الفروقات الدلالية التي «تفتح بابا للتحليل الدلالي ، وهي ينبغي ان تتور طبيعة الجهود الدلالية العربية القديمة»^(٢) ، فعناية علماء اللغة العربية بالفروق الدلالية هي محاولة لوضع اسس علمية للموازنة والقيام بعمل دلالي يؤكد ان اللغة العربية تتميز بالتخصيص والتفريق اكثر من غيرها من اللغات الاخرى^(٣) . ولذا يمكن ان نفسر ظاهرة الترافف في اللغة

في ظل نسبية الدلالة، إذ « يندر ان تكون هناك كلمات تتفق في معانيها الاضافية اتفاقا كاملا ، ومن الممكن ان تتقارب الدلالات لا اكثر ولا اقل ، فالالفاظ المترادفة هي بهذا المعنى ذات الدلالة المتقاربة »^(٤) ، فليس « الامر الا تراكبا للمعاني ، والتقاء جزئيا لمعنى الكلمتين ، ثم افتراقا بين الكلمتين عدا هذا الجزء من المعنى »^(٥) . ونجد شراح النهج قاطبة قد ساروا على هذين الاتجاهين: الاقرار بترادف كثير من الالفاظ الواردة في متن النهج ، والسير نحو التمييز ويجاد الفروقات الدلالية في الفاظ اخرى . اما في الجانب الاول من تعيين المترادفات ، فقد تنوعت اشارات الشراح الى الالفاظ المترادفة تارة بالتصريح بلفظ الترادف في كثير من الالفاظ وتارة بالاشارة الى التقارب الدلالي بينها بعبارات منها : (بمعنى واحد، نظائر، اخوان، كذلك ، كذا ، مثل ، ايضا ، هو ، نحو ، كلا ، لافرق ، نفسه ، وكاف التشبيه)^(٦) .

والقول بترادف الالفاظ امر نسبي لدى شراح النهج ، فلم يتفقوا على ترادف الفاظ معينة بصورة مطلقة ، إذ ترد الفاظ تتباين فيها اقوالهم بين قائل بترادفها ، ومنكر له . ويمكن بيان هذه السمة لدى الشراح في معالجتهم لفظتي (الحمد ، والمدح) الواردتين في قوله (٤) : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مَدْحَهُ الْقَاتِلُونَ)^(٧) . إذ ذهب فريق منهم الى القول بترادف لفظتي (الحمد) و(المدح) بلا فروق تذكر بينهما^(٨) ، وذهب الراوندي الى أن ثمة فرقا بينا بين اللفظتين لمجيئهما في سياق واحد ، فالمدح أعم من الحمد ؛ لأن المدح قد يقع للحي والميت وللعاقل وغيره لكن الحمد لا يقع إلا للحي العاقل^(٩) . وأنكر المعتزلي رأي الراوندي هذا فقال : ان هذا « كلام يقتضي ان المدح غير الحمد ، ونحن لانعرف فرقا بينهما »^(١٠) . فالمدح والحمد عند المعتزلي اخوان ، فجاز ان يقال : « حمدت زيدا على انعامه ومدحته

(١) ينظر : فقه اللغة العربية ١٩٩٤ وفصول في فقه اللغة ٣١٥ وفي اللهجات العربية ١٧٦ . (٢) علم الدلالة (الداية) ٢٦ .

(٣) ينظر : الفروق اللغوية ٢٩٢-٢٩٨ والترادف (لعبيبي) ٢٢٢ . (٤) المدخل الى علم اللغة (حجازي) ٧٩ .

(٥) الاصول (تمام حسان) ٣٣٣-٣٣٤ وينظر : علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة ٩٧ .

(٦) ينظر : الراوندي ٣ / ٩٥ والكيدري ١ / ٤٤٩ والمعتزلي ١ / ٥٨ ، ٦ / ٢٨١ و ١٩ / ٤٢ ، ١٨ ، ٣١٣ و ٢٠ / ٧ وعبد ١ / ١٨٠

والخوني ٢ / ١٢٩ و ٢٨٠ و ١٥ / ٩ ومغنية ١ / ١٩٥ و ٢ / ٥٤ و ٥ / ٤٣٦ ، ٥٩ وانصاريان ١ / ٩٨ وابو الفضل ١ / ١٥ .

(٧) نهج البلاغة الخطبة ١ ص : ١٧ .

(٨) ينظر : المعتزلي ١ / ٥٨ و ٦٣ والتستري ١ / ١٤٥ والموسوي ١ / ١٤٠ والبيهقي ٢١ .

(٩) ينظر : الراوندي ١ / ٢٤ . (١٠) المعتزلي ١ / ٦٣ .

على انعامه ، وحمدته على شجاعته ، ومدحته على شجاعته فهما سواء ، يدخلان فيما كان من فعل الانسان وفيما ليس من فعله^(١) ، يريد ان اللفظين يطلقان على الافعال الاختيارية للانسان وهي التي يفعلها بارادته، وعلى غير الارادية من شجاعة ، وطول قامة ، وحسن وغير ذلك. وشايح البحراني الراوندي فقال: الحمد «اخص من المدح لاختصاص اطلاقه في حق العقلاء دون غيرهم ، إذ يقال : مدحت الفرس ولا يقال حمدته»^(٢) . وهذا الوجه من التفريق الدلالي بين اللفظين اوردته الشارح الخوني الذي استقصى اقوال اللغويين واقوال شراح النهج ، واختار القول بوجود الفروق الدلالية بين اللفظين من ثلاثة اوجه : احدهما : ما ذكره الراوندي والبحراني وهو أن المدح أعم من الحمد ،

والوجه الثاني : هو أن الحمد ثناء جميل اختياري ، تقول : حمدته على كرمه ولا تقول على حسنه ، والمدح يعم الاختياري وغيره^(٣) ، اما الوجه الثالث فهو: « ان الحمد لا يكون الا بعد الاحسان ، والمدح قد يكون قبل الاحسان وقد يكون بعده »^(٤) . وأقوال السابقين تعضد مذهب من فرق بين المدح والحمد ، كالأصفهاني الذي ذهب الى ان الحمد « اخص من المدح ... فان المدح يقال فيما يكون من انسان باختياره ، ومما يقال منه وفيه بالتسخير ، فقد يمدح الانسان بطول قامته ، وصباحة وجهه ، كما يمدح ببذل ماله وسخائه وعلمه ، والحمد يكون في الثاني دون الاول »^(٥) . واختار معظم اللغويين مذهب التفريق بين اللفظين^(٦) ، وادخل فريق الشراح تبعا للمفسرين^(٧) لفظة (الشكر) الى جانب لفظي الحمد والمدح ، وان لم يذكرها الامام (ع) في عبارته ، لاكمال الموازنة الدلالية بصورة دقيقة بين الالفاظ ، فخلصوا إلى تقارب الالفاظ الثلاثة دون مطابقتها التامة ، ورأوا أن الحمد اعم من الشكر؛ لأن الحمد يفيد التعظيم المطلق الثابت^(٨) او ان حمد الله هو «الثناء عليه بصفاته الحسنى ، والشكر هو الثناء عليه باحسانه ونعمه ، وهذا هو الفرق بين الحمد والشكر»^(٩) . فالشكر « اخص من الحمد من وجه ، واعم منه من وجه اخر ، اما الاول : فلان الشكر لا يكون الا على النعمة الواصلة الى الشاكر ، والحمد يكون على النعمة وغيرها ، وعلى النعمة العائدة الى الحامد وغيرها ، واما الثاني فلان الحمد لا يكون الا باللسان ، والشكر يكون باللسان والجوارح»^(١٠) .

وقد كان لروايات النهج اثر واضح في دفع الشراح الى استقصاء الالفاظ المترادفة ، بعد ان نبهوا على تقارب المعنى بين الروايتين ، كلفظة (اعافس) التي وردت في قوله (ع) يصف عمرو بن العاص : (عَجَبًا لَابِنِ النَّابِغَةِ ! يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِي دُعَابَةٍ ، وَأَنِّي أَمْرٌ تَلْعَابَةٌ ، أُعَافِسُ وَأُمَارِسُ ...) ^(١١) ، فقد رويت هذه اللفظة - أيضا -

(١) المعتزلي ٥٨/١ .

(٢) البحراني ١٢٣/١ .

(٣) ينظر: الخوئي ٢٩٣/١ .

(٤) نفسه ٢٩٣/١ وينظر : مغنية ١٥/١ .

(٥) المفردات ١٣١ وينظر : الصحاح ٢٦٠ والكشاف ٥١-٥٢ وتفسير الفخر ١٩٧/١-٢٠٠ .

(٦) ينظر: الفروق اللغوية ٤١ وتفسير الفخر ٢٤/١

(٧) ينظر: تفسير الفخر ١٩٧/١

(٨) ينظر: الراوندي ٢٤/١ والبحراني ٥٦/١ .

(٩) البيهقي ٢١ وينظر: المعتزلي ٥٨/١ .

(١٠) الخوئي ٢٩٤/١ وينظر: الفروق اللغوية ٤١ والمفردات ٢٥٦

(١١) نهج البلاغة الخطبة ٨٤ ص: ١٣٦

(اعارس) ، مما دعا الشراح^(١) الى استقصاء الالفاظ المترادفة لهتين اللفظتين ، التي اطلق عليهما المحدثون تسمية اللامساس^(٢) ، بغية وضع القاريء امام مراد الامام (ع) بصورة دقيقة وشاملة. وهناك جملة من هذه الالفاظ في متن النهج تدخل في باب اللامساس لجأ الشراح^(٣) إلى ظاهرة الترانف لجلاء معناها الدقيق ، لأن معناها قد لا يكون ظاهرا ولكنه يظهر جليا في مرادفاتنا . وعلى العموم احتفى شراح النهج بذكر الفروقات الدلالية بين الالفاظ المترادفة التي يجمعها معنى عام يقرب بينها ، ويمكن اجمال الدواعي التي حدث بالشراح الى تلمس الفروقات الدلالية بما يأتي:

١ - وردت الالفاظ المترادفة معطوفة في كلامه عليه السلام ، مما دعا الشّراح الى ابراز الفروق بينها ؛ لان العطف يقتضي المغايرة بين المتعاطفين كما يقعد النحاة^(٤) ، وسيرا على قول ابي هلال العسكري في التفريق بين (الشرعة) و(المنهاج) في قوله تعالى: ﴿ لِكُلِّ جُنَّةٍ مِنْكُمْ شَرِيعَةٌ وَمِنْهَاجًا ﴾^(٥): ((ويعطف الشيء على الشيء وان كانا يرجعان الى شيء واحد اذا كان في احدهما خلاف للآخر ، فاما اذا اريد بالتثاني ما اريد بالاول فعطف احدهما على الاخر خطأ))^(٦) ، الا ان العسكري استثنى من هذه القاعدة العطف بين المترادفين اذا اريد به اظهار التقخير والتعظيم للمعطوف^(٧) ، كما في عطف جبرئيل وميكائيل على الملائكة في قوله تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾^(٨) . ونجد هذا واضحا لدى شراح النهج وهم يشرحون قوله (ج): (الذي ليس لصفته حد محدود ، ولا نعت موجود ، ولا وقت معدود ، ولا اجل ممدود)^(٩) ، فقد ذهب كثير من شراح النهج الى التفريق بين لفظتي (الصفة) ، و(النعته) من جهة ، ولفظتي (الوقت) ، و(الاجل) من جهة اخرى تطبيقا للقول بتغاير المعطوفات ، اذ بين الشارح الراوندي ان النعت يفترق عن الصفة في كون ((النعت وصفك الشيء بما فيه من حسن))^(١٠) ، والى ذلك ذهب الشارح الموسوي بقوله ان النعت هو ((الوصف باكمل الصفات واجملها))^(١١) ، متابعة منهما لكلام الخليل ومن تبعه من اللغويين^(١٢) ، اما الصفة فهي ((الامارة اللازمة للشيء))^(١٣) . على حين اضطرب

(١) ينظر: البيهقي ١٦٤ والراوندي ٣٥٣/١ والكيدري ٤٠٤/١ والشيرازي ٣٤٢/١ وانصاريان ٢٣٦/١ والسامرائي ٢٦٤ .

(٢) ينظر: علم الدلالة (عمر) ٢٣٩ - ٢٤٠ .

(٣) ينظر: البيهقي ٢٧٧ ، ٤٥٥ والراوندي ٥٢/٢ ، ١٣٨/٢ ، ١/٣٠٥ والكيدري ٣٧/٢ والمعتزلي ٢٦٩/٩

والسرخسي ١٥٧/١ ، ٤٩/١ ومغنية ٣٤٢٥ وأنصاريان ١٣/٢ والتستري ١٨٢/٢ .

(٤) ينظر: شرح عمدة الحافظ ٥٣٧ والبهجة المرضية ٢٥٧ . (٥) المائدة ٤٨

(٦) الفروق اللغوية ١٣ وينظر: شرح القصائد التسع ٤٦٢ وعلم الدلالة (الداية) ٨٧ .

(٧) ينظر: الفروق اللغوية ١٤ . (٨) البقرة ٩٨

(٩) نهج البلاغة الخطبة ١ ص: ١٧ . (١٠) الراوندي ٣٢/١ .

(١١) الموسوي ١٤/١ . (١٢) ينظر: العين ١٨١٠/٣ والمقاييس ١٠٣٦ والقاموس ١٦٢ .

(١٣) المقاييس: ١٠٩٣ .

الشارحان البيهقي والكيدري في توجيه الالفاظ ، فتارة فرقا بين (النعته) و (الصفة) بان النعت يراد به المنعوت ؛ ((لان النعت قولنا : هو موجود ، فلا بد من صرفه الى منعوت ، فمعناه : لامثل له فيما يختص به من القدم))^(١) ، وتارة أخرى فسرا النعت بمعنى السبب ليكون معنى قوله (ج) : ((ولا نعت موجود ، اي : ليس لوجوده سبب موجود وموجد))^(٢) ، واستدل الشارحان بقول الراعي^(٣) :

لِكُلِّ أُمُورٍ فِي الزَّمَانِ نَعُوتٌ

اي اسباب ، ويقول كلاب بن مرة يصف الكعبة^(٤) :

اي : مسبب الاسباب ، وقد جوز الشارحان - ايضا - ترادف اللفظين ليكون قوله (ع) : لا نعت موجود « يعني ليس للصفة اعتبار على الانفراد موجود »^(٥) ، على حين فرَّق الشَّراح المتأخرون^(٦) بين اللفظين بجعل النعت مختصاً « لما يتغير ... وصفاتنا لها نعوت ... اما صفاته تعالى فهي منزهة عن هذه النعوت »^(٧) . وظاهر كلام المعتزليّ ترادف النعت والصفة « ليكون المعنى : لا ينتهي الوصف الى حد الا هو قاصر عن النعت لجلالته وعظمته »^(٨) ، وهو ما عليه البحراني^(٩) . ورد الشارح مغنية من ذهب من الشَّراح الى التفريق بين اللفظين ، وابطل ادعاء العطف بينهما بقوله : « ومعنى النعت والوصف واحد بحسب المتبادر الى الالذهان ، ولا وجه للتفرقة بينهما في بعض الشروح والتعليقات فزارا من عطف التفسير مع العلم بانه لا اثر هنا لهذا العطف ؛ ذلك ان الامام (ع) بعد ان نفى عن الله سبحانه الوصف المحدود بغاية ونهاية نفى عنه ايضا الوصف الذي يعبر عنه تعبيرا كافيا وافيا »^(١٠) . وقد ذكر ابو هلال العسكري امكان المطابقة بين اللفظين بقوله : « ويجوز ان يقال : الصفة لغة ، والنعت لغة اخرى ، ولا فرق بينهما في المعنى ، والدليل على ذلك ان اهل البصرة من النحاة يقولون الصفة ، واهل الكوفة يقولون النعت ولا يفرقون بينهما »^(١١) .

(١) البيهقي ٤٢ وينظر : الكيروي ١١٧/١ والسرخسي ٣٥/١ .

(٢) البيهقي ٤٢ .

(٣) ديوانه ٥٧ .

(٤) جمهرة أشعار العرب ٢٥٦ .

(٥) البيهقي ٤٢ .

(٦) ينظر : الشيرازي ١٢/١ وعبد ١٦/١ .

(٧) عبده ١٦/١ . وينظر : الفروق اللغوية ٢١ .

(٨) المعتزليّ : ٧١/١ وينظر : انصاريان ٢٤/١ .

(٩) ينظر : البحراني ١٥١/١-١٥٢ .

(١٠) مغنية ٧٥/١ .

(١١) الفروق اللغوية ٢٢ .

اما (الوقت) ، و (الاجل) فقد اجمع الشَّراح على كون « الفرق بينهما باعتبار الابتداء والانتهاء ، اي : ليس له وقت معدود من جهة الازل ، ولا اجل ممدود من جهة الابد »^(١) ، ولم يقل بترادفهما سوى الراونديّ الذي عدّ الجملتين من باب البديل^(٢) ، ورد عليه المعتزليّ بقوله : « ولا اعلم من اين خطر هذا للراوندي ! وظنه ان هذه الجمل من باب البديل غلط ؛ لانها صفات »^(٣) ، وفرَّق بينهما بان « الاجل ليس لمطلق الوقت ، الا تراهم يقولون : جئتكَ وقت العصر ، ولا يقولون : اجل العصر ، والاجل عندهم هو الوقت الذي يعلم الله تعالى ان حياة الحيوان تبطل فيه »^(٤) ، وهذا كلام اللغويين في التفريق بين اللفظين^(٥) .

وقد لا يتقيد الشّراح بالعطف الواقع بين الالفاظ المترادفة ، فيبقون على القول بترادفها ، مسوّغين لذلك بارادة الدلالة على التاكيد من هذا العطف ، او تجويز العطف لتغاير الالفاظ دون معانيها^(٦) ، كما نجد في قول الشارح المعتزلي معللا العطف بين لفظتي (الضعف والوهن) في قوله (ع) يصف الدنيا : (جَدُّ الرَّجَالِ بِفِيَا لِي الضَّعْفِ وَالْوَهْنِ)^(٧) ، اذ قال : « والوهن : الضعف نفسه ، وانما عطف للتاكيد ، كقوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ جُنَّةٍ مِنْكُمْ شِرْعَةٌ وَمِنْهَا جُنَّةٌ ﴾^(٨) ، وقوله ﴿ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا دُغُوبٌ ﴾^(٩) »^(١٠) . ومنه قول المعتزلي شارحا (يَخُونُ الْعَهْدَ ، وَيَفْطَحُ الْإِلَّ)^(١١) : « والال : العهد ، ولما اختلف اللفظان حسن التقسيم بهما ، وان كان المعنى واحدا »^(١٢) .

ومثل هذا ما جاء في قوله (ع) يصف الملائكة : (لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ ، لَأَوْسَهُو الْقَوْلِ ، وَلَا قُوَّةُ الْأُبْدَانِ ، وَلَا غَفْلَةُ النَّسِيَانِ)^(١٣) ، فقد ذهب بعض شراح النهج الى القول بترادف الالفاظ : السهو والغفلة والنسيان ، بلا فارق يذكره^(١٤) ، على حين ذهب اخرون الى تلمس الفروق بين هذه الالفاظ متخذين من قول النحاة في شروط اضافة الاسمين من اقتضاء وجود علاقة الجزئية بين المضاف والمضاف اليه^(١٥) دافعا لاقامة هذه الفروق^(١٦) ، حتى طغى على بعض اقوال الشّراح طابع الفلسفة والاجتهاد الشخصي وهم يستنبطون هذه الفروق ، كما هو واضح من قول الشارح البحراني : « فاعلم ان الغفلة عبارة عن عدم التفتن للشيء ، وعدم تعقله بالفعل ، وهي اعم من السهو والنسيان كالجنس لهما ، بيان ذلك ان السهو هو الغفلة عن الشيء مع بقاء صورته او معناه في الخيال او الذكر

(١) انصاريان ٢٣/١ وينظر : الشيرازي ١٠٦/٣ . (٢) ينظر : الراوندي ٣٣/١ و ٢٧٩/٢ .

(٣) المعتزلي ٧٠/١ . (٤) نفسه ٧٠/١ .

(٥) ينظر : الفروق اللغوية ٢٦٤-٢٦٦ . (٦) ينظر : علم الدلالة (الداية) ٨٦ .

(٧) نهج البلاغة الخطبة ١٠٣ ص ١٨٦ . (٨) المائدة ٤٨ .

(٩) فاطر ٣٥ . (١٠) المعتزلي ١٠٦/٧ .

(١١) نهج البلاغة الخطبة ٨٤ ص ١٣٧ .

(١٢) المعتزلي ١٠٦/٧ . وللمزيد ينظر : المعتزلي ٨٢/١٠ والبحراني ٢٥٩/٤ .

(١٣) نهج البلاغة الخطبة ١ ص ٢٠ . (١٤) ينظر : الراوندي ٤٤٢/٢ .

(١٥) ينظر : شرح عمدة الحافظ ٤٩٠ . (١٦) ينظر : الكيدري ١٣٦/١ والمعتزلي ٩٣/١ والبحراني ١٥٤/١ .

بسبب اشتغال النفس والتفاتها الى بعض مهماتها . واما النسيان فهو الغفلة عنه مع انحاء صورته او معناه عن احدى الخزانيتين بالكلية ، ولذلك يحتاج الناس للشيء الى تجشم كسب جديد وكلفة في تحصيله ... وبهذا يظهر الفرق بين الغفلة ، والسهو ، والنسيان^(١) . وكان يمكن للشارح تبني كلام ابي هلال العسكري في التفريق بين هذه الالفاظ المتقاربة ، الذي يلحظ فيه اعتماد عامل الزمن معيارا للتفريق بينها قائلا : « الفرق بين النسيان ، والسهو ان النسيان انما يكون عما كان ، والسهو يكون عما لم يكن ، تقول : نسيت ما عرفته ، ولا يقال : سهوت عما عرفته ، وانما تقول : سهوت عن السجود في الصلاة فتجعل السهو بدلا عن السجود الذي لم يكن ... والفرق بين السهو ، والغفلة ان الغفلة

تكون عما يكون ، والسهو يكون عما لا يكون ، تقول : غفلت عن هذا الشيء حتى كان ، ولا تقول : سهوت عنه حتى كان ...»^(٢) .

ولم تمنع الاضافة الشّراح عن القول بترادف الالفاظ المتضايفة ، كلفظتي (الغلف) ، و(الكم) في قوله (ع) يصف الأرض ودحوها على الماء : (... وَمُنْفَسِحِ التَّمْرَةِ مِنْ لَأَوَجِ غُفِّ الْأَكْمَامِ)^(٣) ، إذ قال الراوندي : « الغلف : جمع غلاف ، والكم ايضا الغلاف والاضافة للتاكيد والتخصيص»^(٤) . وكذا ما في قوله (ع) : (كَفَى بِالْعَرَبِ جَهْلًا أَلَّا يَعْرِفَ قَرْنَهُ ، لَا يَهْلِكُ عَلَى التَّقَى وَسِنْخِ أَصْلٍ)^(٥) ، اذ ذهب أنصاريان الى ان « السنخ ، والاصل واحد ، فلما اختلف اللفظان اضاف احدهما الى الآخر»^(٦) .

٢- لجا الشّراح الى عقد الفروقات الدلالية صوتا لكلام الامام (ع) من التكرار ، فلما وقف البحراني على (الانشاء) و(الابتداء) في قوله (ع) : (أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِِنْشَاءً ، وَتَبَدَّأَهُ أُبْتَدَاءً ...) ^(٧) قال : « أقول : لم اجد لأهل اللغة فرقا بين الانشاء والابتداء ، وهو اليجاد الذي لم يسبق بمثله ، الا انه يمكن ان يفرق ههنا بينهما صوتا لكلامه (ع) عن التكرار بان يقال : المفهوم من الانشاء هو اليجاد الذي لم يسبق غير الموجد اليه ، والمفهوم من الابتداء هو اليجاد الذي لم يقع من الموجد قبل»^(٨) ، وهذا ما صرح به الخوئي الذي بين ترادف لفظتي الانشاء والابتداء لدى اللغويين^(٩) ثم قال : « وقد يفرق بينهما حيث اجتمعا صوتا للكلام عن التكرار ، تارة بأن الانشاء هو اليجاد لا عن مادة ، والابتداء هو اليجاد لعلّة ...»^(١٠) وعلى هذا طائفة من شراح النهج^(١١) . على حين قاد المعتزلي فريقا من الشّراح يقول بترادف اللفظتين دونما فرق بينهما^(١٢) .

(١) البحراني ٢٠٦/١-٢٠٧ .

(٢) الفروق اللغوية ٩٠ .

(٣) (٤) الراوندي ١٤١/٢ .

(٣) نهج البلاغة الخطبة ٩١ ص: ١٦٦ .

(٦) أنصاريان ٩٨/١ .

(٥) نهج البلاغة الخطبة ١٦ ص ٤٥

(٨) البحراني ١٧٢/١ .

(٧) نهج البلاغة الخطبة ١ ص: ١٧

(١٠) الخوئي ٣٥١/١ .

(٩) ينظر: المقاييس ١٠٢٨، ١١٨، والمفردات ١١٣، ٨٠٧ .

(١٢) ينظر : المعتزلي ٨٠/١ وعده ١ / ٤ وابو الفضل ١٥/١ .

(١١) ينظر : أنصاريان ٣١/١ والتستري ٥٧٨/١ .

وما عزاه البحراني والخوئي إلى اللغويين من عدم تفريقهم بين الانشاء والابتداء يكشف عن قلة نظر في كتب اللغة. فقد ذهب اغلب اللغويين الى ان الفارق بين الانشاء والابتداء هو كون الابتداء من افتتاح الشيء وهو تقديم الشيء على غيره ، اما الانشاء فهو ايجاد الشيء وترتيبه^(١) .

٣- حفزت الالفاظ القرآنية الواردة في كلام الامام (ع) الشّراح للتفريق بينها روما لدقة الاستعمال القرآني . فالقران يعبر عن المعنى المراد بلفظ معين ، ويحرص على ان يكون هذا اللفظ نفسه هو المقصود دون غيره من الالفاظ التي تبدو قريبة منه او مرادفة له^(٢) ، ولذا شاع القول في التفريق بين ما تقارب من الفاظ الذكر الحكيم^(٣) ، « فقد يستخف الناس

الفاظا ويستعملونها وغيرها احق منها ، الا ترى ان الله - تبارك وتعالى - لم يذكر في القرآن الجوع الا في موضع العقاب او في موضع الفقر المدقع ... وكذلك ذكر المطر ... واكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث «(٤) ، وللکلمة في موضعها من القرآن « سرها البياني الفريد الذي لا تؤديه كلمة اخرى مهما تبدو قريبة او مرادفة لها «(٥) . ومن هنا عني الشّراح بالتفريق بين الالفاظ القرآنية الواردة في النهج . من ذلك تفريقهم بين لفظتي (الفيء) ، و(الظل) الواردتين في قوله (٦) في وصف الدنيا: (... فَإِنَّهَا عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ كَالْفَيْءِ الظِّلِّ) (٦) ، فقد نبه الشّراح على افتراق اللفظين من ناحية العموم والخصوص ، فذكروا ان «(الفيء اخص من الظل ، فلذلك حسن اضافته اليه)» (٧) ، ووجه الخصوص والعموم بين اللفظتين هو ان «(الفيء لا يكون الا بعد الزوال ، وكل فيء ظل ، وليس كل ظل فيئا ، فلما كان فيه تغاير معنوي صحت الاضافة)» (٨) ، وهذا ما ذكره اللغويون في التفريق بينهما (٩) ، وذهب بعضهم الى اضافة فارق اخر هو تخصيص الظل بما «(يكون للشجرة وغيرها بالعادة ، والفيء بالعشي)» (١٠) ، مستدلين بقوله تعالى : ﴿ يَتَفَيَّأُ ظِلَّالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجْنًا ﴾ (١١) ، وهو كلام العسكري (١٢) . وقد ادخل بعض الشّراح لفظة اخرى مرادفة للفيء هي (الغنيمة) لتوضيح المراد من هذه الالفاظ ، فذهبوا الى ان الغنيمة ما اخذ من اموال اهل الحرب من الكفار بقتال . اما الفيء فهو ما اخذ بغير قتال ، واستدلوا عليه بقوله

- (١) ينظر : المقاييس ١٨ والفروق اللغوية ١٢٧ والمفردات ٨٠٧ .
(٢) ينظر : صفاء الكلمة ١٨٤ .
(٣) ينظر : الفروق اللغوية ١٣-١٥ والصاحبي ٤٤ والمزهر ٤٠٢/١ .
(٤) الاعجاز البياني ٢٦٩ وينظر : التصوير البياني ٥
(٥) الراوندي ٢٨٤/١
(٦) المعتزلي ١٤٣/٥-١٤٤ وينظر : الخوئي ٦/١١ ومغنية ١٨٢/٢ .
(٧) ينظر : فصيح ثعلب ٩٥ واصلاح المنطق ١٥٠ وادب الكاتب ٢٧ والمقاييس ٨٢١ والمفردات ٦٥٠
وشرح درة الغواص ٢٦ والكشاف ٤١٢/٢ ومعتزك الاقران ٤٨٣/٣ .
(٨) الخوئي ٢٣/١٥ .
(٩) النحل ٤٨ وينظر : الكشاف ٤١٢/٢ و الجامع لاحكام القرآن ٣٧/٣-٤٨ .
(١٠) ينظر : الفروق اللغوية ٣٠٤ .

تعالى : ﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أُوجِدْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ﴾ (١) ، منبهين على أن الذي جمع بين هذه المترادفات (٢) هو المعنى اللغوي للفيء الذي هو الرجوع (٣) . وقد يتجه الشّراح الى عقد الفروق الدلالية بين الالفاظ رغبة في توخي الدقة في الملاحظة الدلالية ، فنجدهم في مواضع يتلمسون فروقا طفيفة بين معاني هذه الالفاظ ، اما بترتيبها تصاعديا حسب الاهمية ، او حسب التدرج الزمني فيها ، واما بترتيب الالفاظ وفق اختصاصها بجهة ما او مكان ما . من ذلك ما ذكره الشّراح في تدرجات الالفاظ : (اللوائح ، اللوامع ، الطواع) ، الواردة في قوله (٤) يصف العارف : (قَدْ أَحْيَا عَمَّهُ ، وَأَمَاتَ نَفْسَهُ ، حَتَّى دَقَّ لَجِيئَهُ ، وَأَطْفَلَ لَمِيظُهُ ، وَبَرَقَ لَهُ لَمَعٌ كَثِيرُ الْبَرَقِ ، فَأَبَانَ لَهُ

الطَّرِيقَ ، وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ ...^(٤) ، اذ بين الشَّرَاح ان هذه الالفاظ على ثلاث مراتب : (اللوائح) التي هي كالبروق تظهر ثم تستتر ، ثم (اللوامع) وهي اظهر من اللوائح ، وليس زوالها بتلك السرعة ، ثم (الطوائع) وهي ابقى وقتاً^(٥) . ومن ذلك اهتمام الشَّرَاح بابرار الفروق الدقيقة بين الالفاظ المترادفة الواصفة لمراحل الحياة ، وذلك في شرحهم قوله (٦) في الخطبة الغراء: (هَذَا لِيَنْتَظِرُ أَهْلُ بَصَاضَةِ الشَّبَابِ إِلا حَوَانِيهِ رَمًّا)^(٦) ، وقوله (٧) في الخطبة نفسها يصف خلق الانسان: (أَمْ هَذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْحَامِ ، وَشُغِفِ الْأَسْتَارِ ، نُظَّةً دَهْقًا ، وَعَطَلَةً مَقْفًا ، وَجَنِينًا وَرَاضِعًا ، وَوَلِيدًا وَيَافِطًا ، ثُمَّ مَنَحَهُ لُبًّا حَافِظًا ، وَلِسَانًا لَافِظًا)^(٧) ، اذ انطلق الشَّرَاح من قوله (٨) لاستقصاء ما قيل في مراحل عمر الانسان من الفاظ تمثل بدقة كل مرحلة منها ، وفي ذلك يقول الكيدري: « مادام الانسان في الرحم فهو جنين ، فاذا ولد فهو وليد ، فمادام يرضع فهو رضيع ، فاذا قطع عنه اللبن فهو فطيم و فطم ، ثم اذا دب ونما فهو دارج ، فاذا بلغ طوله خمسة اشبار فهو خُمَاس ، واذا سقطت روضعه فهو مَثغور ، فاذا بلغ الحلم فهو يافع ومراهق^(٨) » ، ونبه التستري على ان لفظة (الوليد) لمرحلة ما بعد الرضاع ، مستدلا بسياق كلام الامام (٩) السابق ، رادا على الثعالبي^(٩) في ذهابه الى انها مرحلة اول التولد^(١٠) . وقد عالج البيهقي مرحلة ما بعد الشباب وتدرجاتها ، قائلا: « مادام الرجل من الثلاثين الى الاربعين فهو شاب ، ثم هو كهل الى ان يستوفي الستين عند العرب ... ثم بعد ذلك الوَخْطُ ، ثم الشيب ، ثم يقال بعد ذلك شَمَطٌ ، ثم يقال بعد ذلك شاخ ، ثم يقال بعد ذلك كبير ، ثم يقال بعد ذلك هَرَمٌ ، ثم يقال بعد ذلك خرف ، ثم يقال بعد ذلك أهتن^(١١) » .

(١) الحشر ٦ . (٢) ينظر : الخوئي ٢٤/١٥ .

(٣) ينظر : الصحاح ٨٢٩ . (٤) نهج البلاغة الخطبة ٢٢٠ ص: ٤٢٤ .

(٥) ينظر: المعتزلي ١٣٨/١١ والبحراني ٥٥/٤ والتستري ٤٨٨/١٢ .

(٦) نهج البلاغة ٨٣ ص: ١٢٨ .

(٧) نفسه ٨٣ ص: ١٣٢ .

(٨) الكيدري ٣٩٤/١ . (٩) ينظر : فقه اللغة للثعالبي ١٧٣ .

(١٠) ينظر : التستري ١١ / ١٦٤ . (١١) البيهقي ٨١ .

وثمة ترتيب آخر للالفاظ يراعي الفروقات بينها لدى شرح النهج يتمثل في عقد المقارنات بين الجهة التي تختص بها كل لفظة عن الاخرى ، كاختصاص (الربوض) بالبقرة ، والعنز ، والفرس . واختصاص البروك بالابل^(١) . واختصاص (المرابض) باماكن الغنم، و(المعاطن) باماكن الابل^(٢) ، واختصاص فعل (الجزر) بالابل ، و (الذبح) بالغنم^(٣) . واختصاص (المخلب) بالسباع، و(الظفر) بالانسان^(٤) . واختصاص (الزبن) بالثغفات، و(الخبط) باليد ، و(الركض) بالرجل^(٥) . وقد وصف المحدثون هذا الاتجاه عند اللغويين بانه دليل ثراء اللغة ، اذ يوجد لفظ لكل مرحلة، ومن ثم أوجدوا نظرية الحقول الدلالية ، او المجالات الدلالية التي تتصف باستيعاب تدرجات حالات المسمى للوصول الى نتيجة دقيقة في اظهار الملامح التمييزية للالفاظ المتقاربة المعاني^(٦) .

٤ - ثمة أسس عقد شراح النهج عليها تفريقهم بين الالفاظ المترادفة ، وهي كثيرة اعتمدوا معاييرها مما ذكره ابو هلال العسكري^(٧) ، وغيره من اللغويين الذين عنوا بالفروقات الدلالية ، لكن بعض المحدثين رأى أن ما التمسه اصحاب الفروق الدلالية من فروق بين الالفاظ كان من وحي خيالهم ، فقد وصف الدكتور ابراهيم انيس عمل ابي هلال العسكري بانه كان «يحاول ان يلتمس فروقا دقيقة بين مدلولات بعض الالفاظ المترادفة دون سند من نصوص ، او شواهد ، وليس عمله في هذا الكتاب الا عمل الاديب صاحب الخيال الخصب الذي يرى في الامور ما لا يراه غيره ، ويلتمس من ظلال المعاني مالم يخطر على ذهن اصحاب اللغة من القدماء»^(٨) .

وما أقره العسكري في مقدمة كتابه الفروق اللغوية يبطل ما ذكره الدكتور انيس ، اذ نبه العسكري على احتذاء ضوابط ، ومعايير للتفريق بين الالفاظ وهي^(٩) : اختلاف ما يستعمل عليه اللفظان اللذان يراد الفرق بين معنيهما ، ووضح هذه النقطة بالفرق بين لفظتي (العلم ، والمعرفة) ، لان العلم يتعدى الى مفعولين ، اما المعرفة فتتعدى الى مفعول واحد . ومراعاة صفات المعنيين اللذين يطلب الفرق بينهما ، ومثل لذلك بالفرق بين (الحلم ، والامهال) ، فالاول لا يكون الا حسنا ، والثاني يكون حسنا وقبيحا ، وهذا ما يسميه المحدثون بالجانب النفسي للمعنى^(١٠) .

(١) ينظر : الراوندي ١٧/١ .

(٢) ينظر : السرخسي ١١٥/١ والتستري ١٤/٨٦ وابو الفضل ٢٦٨/١ .

(٣) ينظر : الراوندي ٤٢٧/١ . (٤) ينظر : المصدر نفسه ٣١٩/٢ .

(٥) ينظر : نفسه ٤٢٦/١ .

(٦) ينظر : دلالة الالفاظ ٢١٦ والدلالات اللغوية ١٠٦-١٠٩ وعلم اللغة (مذكور) ٢٣٦ وعلم الدلالة (بالمر) ٧٨

وعلم الدلالة (جبرو) ١١٨ وعلم الدلالة (عمر) ٨٢ ومدخل الى علم اللغة ٧٤ والمجال الدلالي ٧٦ .

(٧) ينظر : الفروق اللغوية ١٠٦ .

(٨) دلالة الالفاظ ٢١٧ وينظر : في اللهجات العربية ١٨١ وفصول في فقه اللغة ٣١٣ .

(٩) ينظر : الفروق اللغوية ١٦-١٩ وعلم الدلالة (عمر) ٢٢٨-٢٢٩ . (١٠) ينظر : علم الدلالة (عمر) ٢٢٨ .

ومراعاة ما يؤول اليه المعنيان ، كالفرق بين المزاح الذي لا يقتضي تحقير الممازح ، والاستهزاء الذي يقتضي ذلك . ومراعاة الحروف التي تعدى بها الافعال ، كالفرق بين العفو الذي يعدى بـ (عن) ، والغفران الذي يعدى بـ (اللام) . ومراعاة النقيض ، كالحفظ الذي يكون نقيضه الاضاعة ، والرعاية التي يكون نقيضها الاهمال . ومراعاة الاشتقاق اي الاصل اللغوي للفظتين . واعتماد ما توجهه صيغة اللفظ ، اي الوزن الصرفي للفظتين . ومراعاة حقيقة اللفظين في اصل اللغة ، اي التطور الدلالي للالفاظ . وقد احتفى الشراح بهذه المعايير ، وزادوا عليها امورا اخرى ، ويمكن ايضاحها على النحو الاتي :

أ - اعتماد العموم والخصوص بين اللفظين ، وهذا المعيار هو الاكثر استعمالا لدى الشراح في توضيح الفروق الدلالية بين الالفاظ^(١) ، ومن أقوالهم : «الظنين اخص من المتهم»^(٢) ، و : «المس اعم من اللمس»^(٣) ، و : «اللحظة

أخص من النظرة»^(٤) ، و : « السنة اعم من الاثر »^(٥) ، و : « الوجع اعم من السقم »^(٦) ، و : « الصدق اعم من الوفاء »^(٧) ، و : « المفترى اعم من الباهت »^(٨) ، و : « الملاة اعم من السامة »^(٩) . ففي لفظتي (المس) ، و (اللمس) الواردتين في قوله (ي) يصف الخالق سبحانه : (لا تلمسه الأيدي فتمسه)^(١٠) ، جعل البحراني^(١١) العموم فارقا بين هاتين اللفظتين. وعلل اللغويون هذا العموم بان « المس يكون باليد خاصة ليعرف اللين من الخشونة ، والحرارة من البرودة . واللمس يكون باليد والحجر وغير ذلك ، ولا يقتضي ان يكون باليد ، قال تعالى : ﴿مستهم الباساء﴾^(١٢) ، وقال : ﴿وان يمسسك الله بضر﴾^(١٣) ، ولم يقل : يلمسك »^(١٤) ، فاللمس يشمل المعنويات والماديات ، وفي ذلك يقول ابن فارس: « اللام والميم والسين اصل واحد يدل على تطلب شيء ومسيسه ايضا ، تقول : تلمست الشيء اذا تطلبت به بيدك ، قال ابو بكر بن دريد : المس اصله باليد ليعرف مس الشيء ، ثم كثر ذلك حتى صار كل طالب ملتصقا »^(١٥) ، والى هذا ذهب الشيرازي ، مبينا ان المس يكون بلا حس^(١٦) ، اما الخوئي ففرق بين اللفظين على وجه اخر ، اذ جعل المس لمجرد الطلب للشيء ، اما اللمس فهو « ايصال الشيء بالبشرة على وجه تاتر الحاسة به »^(١٧) ، وفسر قوله (ي) بان الايدي « لا يمكن لها الطلب به فتصل اليه لاستنزاهه الجسمية »^(١٨) ، فمجرد الطلب للشيء اعم معنى من اشتراط الحصول على الشيء المطلوب ، وبهذا جعل الخوئي اللمس اعم من المس ؛

(١) ينظر : الراوندي ٦٢/٣ والمعتزلي ٩/٨ والبحراني ٥٤/٤ و ١٢٥ والشيرازي ٢٠٣/٣ و ٣٩٢ وانصاريان ٢٠٩/٢

والخوئي ٣٢٠/٢ (٢) الراوندي ١٤٠/٣ . (٣) البحراني ١٤٩/٤ .

(٤) نفسه ١١٣/٥ (٥) الشيرازي ١٩٨/٤ (٦) الشيرازي ٣٣٦/١ .

(٧) انصاريان ١٦٠/١ . (٨) مغنية ٥٠١/٦ . (٩) الراوندي ٢٠٢/١ وينظر: الشيرازي ١٤٢/١ .

(١٠) نهج البلاغة الخطبة ١٨٥ ص: ٣٤٤ (١١) ينظر: البحراني ١٤٩/٤ (١٢) البقرة ٢١٤ .

(١٣) الانعام ١٧ . (١٤) الفروق اللغوية ٢٩٩ وينظر: التبيان ١٩/٦ والمعجم الوسيط ١٧٥/٢ .

(١٥) المقاييس ٣٩٨ . (١٦) ينظر: الشيرازي ١٣٥/٣ .

(١٧) الخوئي ٨٩/١١ . (١٨) نفسه ٨٩/١١

لانه لا يشترط فيه تحقق المطلوب، وهو كلام الراغب الاصفهاني، الذي ذكر أن «اللمس قد يقال لطلب الشيء وان لم يوجد ، كما قال الشاعر :

وَأَلْمَسُهُ فَلَا أَجِدُ^(١) ،

والمس يقال فيما يكون معه ادراك بحاسة اللمس»^(٢) . ولم يجد شراح آخرون فرقا بين اللفظين ذاهبين الى ترادفهما^(٣) .

ب- اعتماد الشراح على معيار المفاضلة بين الألفاظ لبيان الفروق الدقيقة بين دلالاتها ، فقد احتفى الشراح بعقد المفاضلات بين الالفاظ في اتجاهات مختلفة ، اذ فاضلوا بين الالفاظ باعتبار الكثرة^(٤) ، كقول بعضهم : «الرفع اكثر من الدفع»^(٥) . وكذلك فاضلوا باعتبار الشدة ، كما في أقوالهم: «اللحظ اشد التفاتا من الشزر»^(٦) ، و«المرح اشد من الفرح»^(٧) ، و«الشح اشد من البخل»^(٨) ، و«المسكين اشد حالا من الفقير»^(٩) . وذكر الشارح الامدي ان المسكين لشدة

احتياجه يسأل الناس «والفقير : المحتاج الذي لا يسأل»^(١٠) ، ولم يخرج ما ذكره الشّراح هنا عمّا بينه اللغويون قبلهم^(١١) .

وفاضل الشّراح - ايضاً - باعتبار المسافة فذكروا ان «الادناء اشدّ قريبا من التقريب ، والاقصاء اكثر بعدا من الابعاد»^(١٢) . ووردت المفاضلة عند الشّراح باعتبار اللفظ الابليغ، كقولهم: «العفو ابلغ من الصفح»^(١٣) ، وغير ذلك^(١٤) والمراد بالابليغية في قول الشّراح صورة الفرق الدلالي بين اللفظين ، لا ما يتعلق بعلم البلاغة ، بل ما يتعلق بالدلالة ، وقد علل الشّراح وجه الابليغية بقولهم : « لان الصفح هو ان تعرض صفحة وجهك عن مجرم ، وربما يبقى في قلبك عليه شيء»^(١٥) . وجرت المفاضلة - ايضاً - بملحظ الرتبة^(١٦) ، كقولهم: « ومرتبة الابداع اعلى من مرتبة التكوين»^(١٧) .

(١) شطر من مجزوء الوافر في شرح الحماسة للتبريزي ١٨٤/٢ وكشف المشكل ٥٠٢/٢ من دون عزو .

(٢) المفردات ٧٦٧ .

(٣) ينظر : الراونديّ ٤٢٩/٢ والمعتزليّ ٨١/١٣ والتستريّ ٣١٦/١ والموسويّ .

(٤) ينظر : الراونديّ ٢٤٩/١ والكيدريّ ٢٧١/١ والسرخسي ٦٨/١ وعبدّه ١٠٩/١ .

(٥) الراونديّ ١٢٦/٢ وينظر السرخسي ٥٥/١ و الكيدريّ ١٨٦/١ .

(٦) الخوئيّ ٤٩/١٣ .

(٧) انصاريان ١٣٩/٢ .

(٨) التستريّ ١٠/٦ .

(٩) الراونديّ ٢٥٥/٢ وينظر الكيدريّ ٣٤٨/٢ البحراني ٣٦٨/٤ والخوئيّ ٣٨/١٩ .

(١٠) الخوئيّ ٣٨/١٩ .

(١١) ينظر : ادب الكاتب ٢٩ والفروق اللغوية ١٧٠ والمفردات ١٤٣ .

(١٢) الخوئيّ ٣٢٧/١٨ .

(١٣) الراونديّ ١٧٢/٣ وينظر : الكيدريّ ٥٤١/٢ .

(١٤) ينظر : البحراني ١٣٦/١ والخوئيّ ٣٣٨/١٨ .

(١٥) الكيدريّ ٥٤١/٢ .

(١٦) ينظر : الموسويّ ٥٨/١ .

(١٧) المعتزليّ ٤١٨/٦ .

ج- الرجوع الى الاصل الاشتقاقي للفظين^(١) ، ومن ذلك ما عقده الشّراح من فروق بين الالفاظ : (الاحصاء) ، و (العد) في قوله (ع) : (لَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ الْعَادُونَ)^(٢) ، وفيه ورد العد والاحصاء مترادفتين على لفظة (النعماء) . فمن الشّراح من اقام الفرق بينهما بالرجوع الى الاصل اللغوي الذي اشتقت منه كل لفظة ، فذكر الراونديّ ان الاحصاء مشتق من الاطاقة ، يقال : احصيته ، اي : اطقته ، اما العدد فهو مشتق من العد ، وهو الماء الذي له مادة ، ثم اضاف الشارح لفظة اخرى ليستكمل الموازنة الدلالية بين الالفاظ ، ويبرز بلاغة الامام (ع) ، وهي (الحساب) ، اذ ذكر انه مشتق من الظن ، ولهذا لم يستعمله الامام (ع) في كلامه بدلا عن لفظة (العد) ، قائلا : « انه لو قال امير المؤمنين (ع) : الذي لا يعد نعمه الحاسبون ، لم تحصل المبالغة التي ارادها بعبارته ؛ لان اشتقاق الحساب من الحسبان ، وهو الظن ، واما اشتقاق العدد فمن العد ، وهو الماء الذي له مادة ، والاحصاء : الاطاقة ، احصيته اي اطقته ، فتقدير الكلام : لا يطيق عد نعمائه العادون»^(٣) . وتابع الراونديّ في هذا كل من الكيدريّ والخوئيّ^(٤) . على حين انكر المعتزليّ هذه الفروق ، ورفض القول بصحة اشتقاقاتها اللغوية ، ذاهبا الى ترادف الالفاظ الثلاثة : الاحصاء

، والعد ، والحساب ، فكلها عنده دالة على العد ، والحصر ، فقال ردا على الراوندي : « اما الاحصاء فهو الحصر ، والعد ، وليس هو الاطاقة كما ذكر ... واما قوله : العدد مشتق من العد ، وهو الماء الذي له مادة فليس كذلك ، بل هما اصلان »^(٥) ، ثم قال : « اما الحساب ، فليس مشتقا من الحساب بمعنى الظن ، كما توهمه ، بل هو اصل برأسه ، الا ترى ان احدهما حسبت احسب ، والاخر حسبت احسب وأحسب بالفتح والضم »^(٦) . وقد تابعه في القول بترادف الثلاثة بعض شراح النهج^(٧) ، الا ان البحراني خص (الاحصاء) بمعنى النهاية في العد ، قائلا : « الاحصاء : انتهاء العد ، والاحاطة بالمعدود ، يقال : احصيت الشيء ، اي : انهيت عده ، وهو من لواحق العدد ، ولذلك نسبه الى العادين »^(٨) ، وذكر البيهقي^(٩) الى جانب تأييد الترأف في هذه الالفاظ رايبين اخرين : الاول : تخصيص الاحصاء بالجنس ، والعد بالافراد ، والثاني دلالة الاحصاء على العقل مستشهدا بقول الشاعر^(١٠) :

وَإِنَّ لِسَانَ الْمَرْءِ مَالِمَ تَكُنْ لَهُ
حِصَاةً عَلَى عَوَاتِقِهِ لِأَيْلٍ

وعلى هذا المعنى ينصرف (العادون) الى اللذين يعدون الدلائل الشواهد ، اي تخصيص المعدود بالدلائل ، والشواهد دون غيرها من مظاهر النعم . والحقيقة ان الدلالات الاشتقاقية التي ذكرها الشراح^(١١) للالفاظ الثلاثة لم تخرج عما

(١) ينظر : التستري ٥٠٦/١ . (٢) نهج البلاغة الخطبة ١ ص: ١٧ . (٣) الراوندي ١٧ / ٢٦ .

(٤) ينظر : الكيدري ١١٣/١ . (٥) المعتزلي ١-٦٦-٦٧ . (٦) ينظر : الموسوي ١٤/١ . (٧) ينظر : الموسوي ١٤/١ . (٨) البحراني ١٠٧/١ .

(٩) ينظر : البيهقي ٣٨-٣٩ . (١٠) في الصحاح ٢٤١ لكعب بن سعيد الغنوي .

(١١) ينظر : البيهقي ١٨٩ والمعتزلي ٦/٣٥٦ و ٩/٢٢٦ والخوئي ٣/٧٢ والشيرازي ٤/١٥٦ وانصاريان ٧٢/١ .

ذكرته المعجمات اللغوية ، فالاحصاء إنما هو تحصيل بالعدد لانه مأخوذ من لفظ الحسا التي كانوا يعتمدونها بالعد كاعتماد الاصابع^(١) ، ويحتمل معنى الاطاقة - ايضا - ولذا قال المفسرون في بيان قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٢) ، اي : « لا تطيقوا عدّها وبلوغ اخرها ، هذا اذا ارادوا ان يعدوها على الاجمال ، واما التفصيل فلا يقدر عليه الا الله »^(٣) ، وجعل ابن فارس الاطاقة ، والعد اصلا واحدا يدل عليه الجذر (حصا)^(٤) . اما العدد فهو مع كونه يدل على الاحاد المركبة حقيقة الا انه يمكن ان يتجاوز به الى الماء العد ، وهو الذي لا ينقطع كماء العين والبر^(٥) ، ولكنه لا يخلو من تكلف في الشرح ، لان المعنى يحتاج الى التاويل ، اي ان نعماءه لا يمكن ان يطبق احصاءها من لا ينقطعون عن العد ، اي : المنشغلين بالعد . اما الحساب فهو عد الشيء ، ويمكن ان يقاس عليه الحساب بمعنى الظن ، ولكنه تكلف - ايضا - في التاويل ((لانه اذا قال : حسب كذا فكانه قال هو في الذي اعده من الامور الكائنة))^(٦) . فاذا اردنا عدم التكلف يكون الرأي ما قاله المعتزلي وهو تقارب الالفاظ جميعا على معنى العد .

د- اعتبار صفات المعنيين اللذين يطلب الفرق بينهما ، وهذا هو المعيار الذي ذكره ابو هلال العسكري ، ويريد به اختلاف الاثر النفسي للفظين الدالين على معنى واحد من حيث الحسن والكرهية ، وقد اعتمده الشّراح في الفاظ كثيرة ، منها (الريح) ، و الرياح ، فقد ذهب اغلب الشّراح الى ان الرياح تستعمل غالبا في الخير والرحمة ، اما الريح فالغالب في استعمالها للشر والعذاب^(٧) مستنديين في قولهم هذا الى الاستعمال القرآني ، والاحاديث النبوية الشريفة ، واستقراء كلام العرب ، قال الشّراح الراونديّ : « ... وفي الخبر : اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا ، وهذا اشارة الى عرف العرب في ذلك ، فانهم يقولون : ريح العذاب ، ورياح الرحمة ، وبه نزل القرآن ، قال الله تعالى: ﴿ رِيحًا صَوْرًا ﴾^(٨) ، . وعلل انصارين هذا الاستعمال بقوله : « وكل ما جاء في القرآن بلفظ الرياح فهو للرحمة ، وما ورد في العذاب فهو بلفظ المفرد ، ولعله اشارة الى قلة العذاب وسعة الرحمة »^(٩) وأنكر السامرائي^(١١) هذا الفارق بين الريح والرياح مستدلا بقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجِبْنَٰ بِهَمِّ بَرِيحٍ

(١) ينظر : المقاييس ٢٦٧ والصحاح ٢٤١ والمفردات ٢٤٠ .

(٢) ابراهيم ٣٤ والنحل ١٨ .

(٣) الكشاف ٣٧٩/٢ وينظر: البحر المحيط ٤٤١/٦ .

(٤) ينظر : المقاييس ٢٦٧ .

(٥) ينظر : المجلد ٦١٢/٣ والمفردات ٥٥٠ .

(٦) المقاييس ٢٦٣ وينظر : المفردات ٢٣٢ .

(٧) ينظر: الراونديّ ٣٩/١ والكيدريّ ١٢٩/١ والبحراني ١٥٤/١ والخويّ ٣٠٨/١ والتستريّ ١٥٢-١٥٣ /١ والسامرائيّ ١٨٦ .

(٨) فصلت ١٦ والقمر ١٩ (٩) الراونديّ ٣٩/١ وينظر: التستريّ ١٥٢/١ .

(١٠) انصارين ٣٠/١ . (١١) ينظر: السامرائيّ ١٨٦ .

طَيِّبَةً وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ﴿١﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وَاصْرَبْ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيِّ اةِ الدُّنْيَا كَمَا أَتَزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَآخَذَ لَطِّ بِه نَبَاتٍ اأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ ﴾^(٢) ، ثم عاب على بعض الشّراح ممن فرق بين اللفظتين قائلاً: «ومن هنا نعلم ان الاختصاص الذي قال به الامام محمد عبده لا يعضده استقراء»^(٣) وقول السامرائي هذا مبني على هاتين الايتين فقط ، إذ الغالب في الاستعمال القرآني هو ما نبه معظم شراح النهج عليه ، فضلا عن المفسرين و اللغويين^(٤) ، وهو اختصاص الرياح بالرحمة ، والريح بالعذاب ، وفضلا عن ذلك الحديث الوارد عن الرسول (صلى الله عليه واله) انه كان اذا هبت ريح قال : (اللهم اجعلها رياحا ، ولا تجعلها ريحا)^(٥) . اما الايتان اللتان ذكرهما السامرائي ، فقد وردت لفظة الريح في الآية الاولى تمهيدا لما ستؤول اليه من استعمالها في العذاب ، فكانت طيبة ابتداء ، ثم صارت عاصفا لاحاق العذاب بهم وهي الصفة الثابتة للريح . ومع هذا نجد في كلام معظم الشّراح اشارة الى الاستعمال الغالب للفظتين وليس الاستعمال على وجه الاطلاق . اما الآية الثانية فليس فيها دلالة على انصراف الرياح الى العذاب ، لانه تعالى اسند اليها فعل (الذرو) على الهشيم اليابس

، ولا ينظر الى هذا الهشيم هل هو اليابس المتكسر على المعنى الحقيقي ، ام هو مثل الحياة الدنيا على التشبيه باعتبار ما يؤول اليه المعنيان^(١) ، اي: ما يقتضيه كل معنى من نتائج واثار .

ومن ذلك معالجة الشّراح للفظتي (الغبطة) ، و(الحسد) في قوله (م) يصف جامع الثروة لحظة احتضاره: (يَتَمَنَّى أَنَّ الَّذِي كَانَ يَغْطِيهِمْ بِأَيْدِيهِمْ وَيَحْسُدُهُ عَلَيْهِمْ قَدْ حَزَّهَا تُونَهُ)^(٧) ، إذ ذكروا أنّ « الفرق بين الغبطة والحسد ان الغبطة تمنى المرء ان يكون لنفسه مثل ما لغيره ، والحسد تمنى المرء زوال نعمة الغير »^(٨) ، فاللفظان يشتركان بمعنى التمني لما عند الآخر الا انهما يفترقان في الاثر الناتج على الآخر ، فالغبطة تمنى مثل حال الآخر مع بقائها في صاحبها ، اما الحسد فهو تمنى تلك الحال مع زوالها عن الآخر^(٩) ، والى هذ سبق العسكري^(١٠) .

هـ- اعتماد بعض شراح النهج على التمثيل للوصول الى فروق المعنى بين الالفاظ ، من ذلك ذكرهم الفرق بين لفظتي (الرجاء) ، و(الغرور) بالتمثيل بالزراع ، « فان من القى البذر النقي في الارض الطيبة منتظرا رحمة الله ، فهو الراجي ، فله الرجاء ، ومن القى البذر الفاسد في السباخ وينتظر نباته ، فهو صاحب الغرور ، ومن القى البذر

(١) يونس ٢٢ . (٢) الكهف ٤٥ .

(٣) السامرائي ١٨٧ وينظر : عبده ١٧/١-١٨ .

(٤) ينظر: المفردات ٣٧٠ والكشاف ٣٢٦/١ .

(٥) مسند الشافعي ١٨١/١ وينظر : مجمع الزوائد ١٣٥/١ واحكام القران ١٠٠/١ ومجمع البيان ٤٥٣/١ والمعجم الكبير ٢١٣/١١

(٦) ينظر : الراوندي ١٨٤/٢ والكيدري ١١٥/٢ والخوئي ٣٥/٢ وانصاريان ٣٠٠/١ .

(٧) نهج البلاغة ١٠٩ ص: ٢٠١ (٨) الشيرازي ١٨٦/٢ .

(٩) ينظر : الراوندي ٣٥٩/١ والموسوي ١١/٢ . (١٠) ينظر: الفروق اللغوية ١٢١ .

النقي في الارض الطيبة ، وما سقاها منتظرا الصيب من السماء ، فهو المتمني والمشتهي^(١) . ومن ذلك - ايضا - تفريقهم بين الجبر والاكراه بانه « اذا صب الماء في حلق انسان بالقوة ، سمي اجبار ، واذا قيل له : ان لم تشرب قتلتك ، فاخذ بيده وشربه سمي اكرهاها^(٢) .

و - وقد يحتكم الشّراح الى استعمال المتكلمين للمفردات في بيان ما بينها من فروق ، كالفرق بين (زخرف) ، و(نجد) ، إذ بينوا ان زخرف « يستعمل غالبا في تزيين سقف البيت ، ونجد في تزيين ارضه »^(٣) . ومن ذلك استعمال المتكلمين للفظة (احتسب) لمن مات ولده كبيرا ، ولفظة (افتطرط) لمن مات ولده صغيرا^(٤) ، وغير ذلك^(٥) .

وفي ختام هذا المبحث لا بد من الاشارة الى احتفاء شراح النهج بذكر ترادف المعاني بين العبارات والجمل الواردة في كلام الامام (م) ، وهو ما يسميه المحدثون بـ (الترادف الجملي)^(٦) ، الذي يعدونه من باب تنوع الاساليب البيانية^(٧) ، وعزا الشّراح هذا التقارب في دلالات الجمل الى « اقتداره - عليه السلام - على العبارة ، وسعة مادة النطق عنده »^(٨) .

ومن اشارات متقدمي شراح النهج الى تقارب جملة (م) في دلالاتها ، ان قوله (م) : « حيدي حيايد، مثل قوله (م): فيحي فيياح^(٩) ، وقوله (م): « يطيح العظام ، و (ينذ السواعد) بمعنى يسقطها »^(١٠) ، وقوله (م) : « (خبير

بالضمائر) قريب من قوله (هـ) : (العالم بالسرائر) ((^(١١) . ومن اشارات المتأخرين أن أقواله (هـ) : (حَدَّيْكَ دَوْحٍ الْحَسَنَانُ ، وَشُقَّ عَطْفَ آيٍ مُجْتَمَعِينَ حَوْلِي كَرِيضَةَ الْغَنَمِ) (^(١٢) و) (فَدَاكُوا عَطَيْتَ دَاكَّ الْإِدْلِ الْهَيْمِ) (^(١٣) . وَوَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُوذِ الْمَطَّافِيلِ عَلَى أَلْوَاهَا) (^(١٤) معانيها متقاربة (^(١٥) .

-
- (١) البيهقي ٢٦٨ وينظر : الكيدري ١١/٢ .
(٢) الشيرازي ٤٢٦/٣ . (٣) الخوئي ٤٢٦/٣ .
(٤) ينظر : السرخسي ٢٥٣/١ والخوئي ٥٥/٢٠ وابو الفضل ٢٠٨/٢ .
(٥) ينظر : الراوندي ٨٢/٢ والشيرازي ٢٧٠/٣ .
(٦) ينظر : علم الدلالة (عمر) ٢٢١ .
(٧) ينظر : التراف (لعيبي) ٥٠ .
(٨) المعتزلي ٣٦٠/١٨ وينظر : مغنية ٢٣١/٦ .
(٩) الكيدري ٢٤٦/١ وينظر : نهج البلاغة ٦٧ .
(١٠) المعتزلي ٨/٨ وينظر : نهج البلاغة ٢٢٩ .
(١١) البحراني ٢٨٩/٢ وينظر : نهج البلاغة ١٣٨ .
(١٢) نهج البلاغة الخطبة ٣ ص: ٣١ .
(١٣) نهج البلاغة الخطبة ٢٢٩ ص: ٤٤٣-٤٤٤ .
(١٤) نهج البلاغة الخطبة ١٣٧ ص: ٢٤٥ .
(١٥) ينظر : عبده ٢٣١/٦ ومغنية ١٧٦/٢ ، ٢٣١/٦ والتستري ٥٢١/٣ ، ٢٣٠/٨ والشيرازي ٣٨٠/٤ .

المبحث الرابع : التغير الدلالي للالفاظ

اللغة تتطور تطوراً دائماً مستمراً في أصواتها ومفرداتها وصيغها وتراكيبها ، وقد أصبح هذا امراً مقررًا أكدته الدراسات اللغوية التاريخية^(١) ، فالتطور التاريخي (تغير المعنى) ظاهرة شائعة في كل اللغات ، يلمسها كل دارس لمراحل نمو اللغة واطوارها التاريخية^(٢) . وثمة عوامل عديدة تعد اسباباً لحدوث التطور الدلالي للالفاظ^(٣) ، وهذه العوامل منها ما يؤثر في انظمة اللغة بصورة عامة ، ومنها ما يختص بنظام دون غيره ، وترجع أسباب التطور الدلالي الى عوامل اجتماعية ، او تاريخية ، او فردية ؛ لان العادات التي تطرأ على مظاهر الحياة الاجتماعية تترك اثرها في لغة المجتمع ، بل ان الاختلاف بين فرد واخر في المجال الاجتماعي يترك اثره في لغة هذا الفرد او ذاك^(٤) . فاللغة تشبه في نموها وتطورها الكائن الحي في نشاته ونموه وما يطرأ عليه من تغيرات خلال مسيرة حياته^(٥) ، وهي تتطور وترتقي بتطور المجتمع ورفقيه ، وتتحط بانحطاطه^(٦) .

واللغة في تطورها تسير على اسس ومبادئ لا مكان فيها للحرية الفردية المطلقة في الكلام، ولذا لم تثبت دلالة الالفاظ على حال واحدة ، بل كل لفظة معرضة لان تتغير دلالتها على مدى طويل او قصير ، وهذا التغير الدلالي غير مقصور على مرحلة من مراحل حياة اللغة دون اخرى ، ولا على مستوى لغوي دون غيره ، وانما هو عام دائم لا ينقطع الا بموت اللغة ؛ لأنه خاضع لقوانينها . ويحدث التطور الدلالي تدريجيا بطيئا تلقائيا في اغلب الاحوال لكنه ينتهي اخر الامر بتغيير كبير في المعنى لا يمكن ايقافه^(٧) . وتعد اللغة العربية من اهم اللغات الحية التي تعرضت لظاهرة التغير في دلالات الفاظها ((فمعاني الالفاظ التي كانت مستخدمة في العصر الجاهلي لم تبق جامدة بعد الاسلام ، بل لحقها تغيير قليل وكثير ... وهذا ما حدث في العصور التالية ايضا))^(٨) .

(١) ينظر : اللغة فندريس ٢٤٦

(٢) ينظر : دلالة الألفاظ ١٢٣ وفقه اللغة وخصائص العربية ٢٠٧

(٣) ينظر : لحن العامة والتطور اللغوي ٥٧ وعلم اللغة وافي ٣٢٠ والدلالات اللغوية عند العرب ١٤٤ والتطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن ٥٣-٦٥ وفقه اللغة وخصائص العربية ٢١٢-٢١٧ ودلالة الألفاظ ١٣٤-١٥١ واللسانيات من خلال النصوص ١٣١ وعلم الدلالة العربي ٢٦٦ وعلم الدلالة (جبرو) ٩٢ وعلم الدلالة (عمر) ٢٣٨

(٤) ينظر : اللغة والمجتمع ٥٨ وعلم اللغة (السعران) ٣٠٥ واللغة العربية عبر القرون ٩ وقاموس اللسانيات ٢٧

(٦) لحن العامة والتطور اللغوي ٣٠ وعلم الدلالة عمر ٢٣٦ وفقه اللغة وخصائص العربية ٢٠٧ والتطور اللغوي مظاهره وعمله ٩

(٦) ينظر : لحن العامة والتطور اللغوي ٣٠ والمعاجم النحوية ١١٩ وعلم اللغة بين التراث والمعاصرة ٢٨٤ والمدخل إلى علم اللغة (رمضان) ٢٢٨

(٧) ينظر: علم الدلالة (السعران) ٢٢٨ واللغة والمجتمع ٩١ الأضداد (آل ياسين) ٦٩ والتطور اللغوي التاريخي ٤٦ وفقه اللغة وخصائص العربية ١٠١ وفي الدلالة والتطور الدلالي ١٢٤ (٨) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية ٢٧٩

وقد تنبه اللغويون منذ القدم على التطور الدلالي وتغيرات المعنى التي تعترض الفاظ اللغة عبر تاريخها الطويل^(١) ، كما نجد في كتاب (الزينة) لابي حاتم الرازي (٣٢٢هـ) الذي بين فيه تغيرات المعنى في طائفة من الكلمات الاسلامية ، ومثله فعل ابن فارس في كتابه (الصاحبي في فقه اللغة) ، اذ خصص بابا نبه فيه على اثر الاسلام في تطور دلالات الالفاظ ، فضلا عن تفاسير القرآن التي عنيت بالدلالات الجديدة للالفاظ بعد الاسلام^(٢) .

وقد بحث المحدثون في التطور الدلالي وتغيرات المعنى عن طريق ما سموه بعلم الدلالة التاريخي ((الذي يعنى بدراسة تغير المعنى عبر الزمن))^(٣) ، وهو ما سموه بالتواصل الدلالي^(٤) . فذكروا مظاهر للتطور الدلالي وتغير المعنى . وهي : تخصيص الدلالة وتعميمها ، ورفي الدلالة وانحطاطها ، و نقل الدلالة من المجال الحسي الى مجال حسي اخر ، او نقل المعنى من مجال حسي الى اخر معنوي ، أو بالعكس^(٥) . ويبدو ان اشكال التطور هذه بمستوياتها الثلاثة يصدق عليها جميعا مصطلح (النقل) المذكور في تسمية المظهر الثالث ، وهو نقل المعنى من مجال دلالي الى اخر ؛ فالتغير يحصل للالفاظ بانتقال معناها نحو التخصيص او التعميم وهو الشكل الاول للتطور الدلالي للالفاظ ، او بانتقال

المعاني نحو الابتذال ، او التسامي والارتقاء ، وهو الشكل الثاني لهذا التطور ، وتنتقل المعاني - ايضاً - بشكل تتساوى فيه الدلالة وهو المظهر الثالث للتطور الدلالي ، وقد تجتمع الانتقالات في مستوياتها الثلاثة ، او في مستويين منها على اللفظة الواحدة ، كما في تطور دلالة لفظة (الغائط) ، اذ انتقلت اللفظة من مجال محسوس ، وهو دلالتها على المناطق المنخفضة الى مجال محسوس اخر وهو دلالتها على فضلات الانسان بعلاقة المجاورة المكانية ، وهو انتقال ابتدل فيه المعنى اذ انحطت دلالة اللفظة من معنى ملموس للارض المنخفضة الى معنى غير مرغوب تنفر منه الاسماع ، فضلاً عن انتقال اللفظة من معنى عام لما انخفض من الارض الى تخصيص هذه اللفظة بما يكون في هذه المنخفضات من الفضلات^(٦) ، وقد بين الشارح البحراني هذا الهبوط في دلالة الغائط حين عد التحقير من ضمن الاغراض المعنوية المرادة من المجاز^(٧).

وقد اهتم الشراح بمتابعة التغيرات الدلالية لجملة من ألفاظ النهج ، وهذا الاهتمام جاء في جانبين : الأول تنظيري ، والآخر التطبيقي . فعلى الجانب التنظيري بين الشارحان البحراني والخوئي في مقدمة شرحيهما للنهج تغيرات

(١) ينظر: دلالة الألفاظ ١٣٠ والتطور اللغوي التاريخي ٤٦ وفقه اللغة (المبارك) ١٠١

(٢) ينظر: الصاحبي ٧٨ والاتقان ٩٨/٢ وتطور البحث الدلالي (الصغير) ٣١ - ٥٦

(٣) علم الدلالة بالمر ٢٤ ومدخل إلى علم اللغة ١٤٥

(٤) ينظر: علم الدلالة (بالمر) ١٧

(٥) ينظر: اللغة فندريس ٢٥٦ وعلم اللغة السعمران ٣٠٥ ودلالة الألفاظ ٥٢ وفضول في فقه اللغة ٢٨٥

(٦) ينظر: البحراني ٥٥/١

(٧) ينظر: نفسه

المعنى من خلال بحثهما للحقيقة والمجاز والاستعارة ، فضلاً عن تصريحات الشارح المعتزلي في بعض معالجاته لالفاظ النهج التي طرأ عليها انتقال في دلالاتها ، اذ صرح بحصول التغير في المعنى على اربعة اقسام هي : تخصيص ، وتعميم ، وركي ، وهبوط^(١) .

وقد حد الشارح البحراني (المجاز) بقوله : « ما افيد به معنى غير ما اصطلح عليه في اصل المواضعة التي وقع التخاطب بها لعلاقة بينه وبين الاول »^(٢) ، ويفهم من حد البحراني للمجاز اشتراطه حصول النقل من معنى اول الى ثان يختلف عنه ، مع ارتباط المعنيين بعلاقة ما ، وقد بين البحراني مراده بالمعنى الاول بانه المعنى الذي شاع استعماله لدى الجماعة اللغوية حين قرنه بعبارة (التي وقع التخاطب بها) ، وهذا خلاف ما ذكره الدكتور ابراهيم انيس الذي اتهم القدماء بالضعف في علاجهم للمجاز ، لانهم « وجهوا كل عنايتهم الى نقطة البدء في الدلالة ، وركزوا نظرتهم نحو نشأتها ، فتصوروا ما سموه بالواضع الاول ، وتحدثوا عن الوضع الاصلي ... ولم يدركوا ان حديثهم عن نشأة الدلالات ليس في الحقيقة الا خوضاً في النشأة اللغوية للانسان ، تلك التي اصبحت من مباحث ما وراء الطبيعة ،

التي هجرها اللغويون المحدثون بعد ان يؤسوا من امكان الوصول في شأنها الى رأي علمي مرجح ، واصبحوا الان يقنعون ببحث اللغة وتطورها في العصور التاريخية التي خلفت لنا اثارا لغوية مدونة ومنقوشة»^(٣). و النظر الى المجاز من ناحية الوضع الاول « يعكس تصورا استاتيكيًا ثابتًا للغة . وكأن اللغة قد حددت معنى حقيقيا ثابتا لكل لفظ من الالفاظ ان خرج عنه كان مجازا»^(٤) ، وهو امر يصعب ادراكه لانه مهما « مهما رجعنا الى الوراء وتوغلنا في القدم ، ومهما كانت الفترة التي نختارها ، فان اللغة تظهر لنا على انها تراث من الفترة السابقة للفترة التي نحن بصدددها»^(٥) ، الا ان الشارحين البحراني والخوانساري لم يتناولوا مسألة الحقيقة والمجاز من ناحية الوضع الاول للغة ، وانما نظرا اليها من ناحية الاستعمال واستقرار الدلالة^(٦) ، فالحقيقة يكسبها اللفظ عن طريق الاستعمال اذا استقرت دلالاته واصبحت مرتبطة به ، اما المجاز فهو اكتساب اللفظة للدلالة عن طريق الاستعمال - ايضا - لكن في غير ما وضع له^(٧) . والشارح البحراني نظر الى المعنى الاول للفظ على انه المعنى الذي شاع استعمال الناس له ، لا على انه المعنى المبدوء به في نشأة اللغة ، ولذلك نجده يقرن الى جانب اصل الاصطلاح عبارة (الذي وقع التخاطب به) ، فليس المقصود ان الاصل الحقيقي للدلالة هو الاصل الاول لوضع اللغة في طور نشاتها ، وانما هو المعنى الذي جرى به الاستعمال مستقرا قبل ان يشهد شيئا من التغيير. والاستعمال اللغوي هو اساس تغير الالفاظ دلاليا لانه هو الذي يحدد معنى الالفاظ ومدى شيوع ذلك المعنى او اندثاره ، فالاستعمال هو

(١) ينظر: المعتزلي ٢٣٧/٨ (٢) البحراني ٥٢/١ .

(٣) دلالة الألفاظ ١٢٨ (٤) المدخل إلى علم اللغة ، حجازي ٨٦

(٥) علم اللغة العام سوسير ٩٠ (٦) ينظر: البحراني ٥٦/١ والخوانساري ٢٩/١

(٧) ينظر: التصوير الفني عند الأصوليين ١٠٣ والمجاز في البلاغة ٢٠٧

وسيلة احياء اللغة ، ولذا عد من اهم عوامل التطور الدلالي للالفاظ^(١) ، وهذا ما اشار اليه علماء اللغة والتفسير ايضا^(٢) . وقد اكد البحراني على غلبة الاستعمال مقياسا للحكم بالاصل الاول للفظ ، حقيقة هي أم مجازا؟ ، فقال في شرح (الدابة) : انه لفظ « وضع لكل ما يدب ثم خص بالفرس ، فصار حقيقة عرفية ، ثم استعمل بعد ذلك في الحمار فيعلم انه مجاز فيه الى ان يغلب الاستعمال عليه ، فيصير حقيقة عرفية ايضا»^(٣) ، فهذا النص واضح في ان غلبة الاستعمال تعد اصلا للمعنى الذي يصير حقيقة باتفاق الجماعة اللغوية عليه ، فان كان هذا الاتفاق في عرف جماعة معينة سمي حقيقة عرفية ، كما نلاحظ من تخصيص معنى (الدابة) في عرف اهل العراق بالفرس^(٤) ، بعد ان كان عاما في كل ما يدب ، ولانه لكثرة استعماله عند اهل العراق بهذا المعنى صار حقيقة عرفية عندهم ، ولما استعمل للدلالة على الحمار عند اهل مصر فيما بعد كان مجازا لحصول الانتقال من الاستعمال الشائع في الفرس الى تخصيصه بالحمار ، فاذا غلب الاستعمال مرة ثانية على المعنى الجديد صار حقيقة مرة ثالثة ، وهذا الذي ذكره البحراني في نسبية الحقيقة والمجاز قد نبه عليه من قبله الشارح المعتزلي الذي بين ان الحقيقة العرفية « هي التي كثر

استعمالها ، وهي في الاكثر مجاز»^(٥) ، وأشار الخوئي إلى انها مجاز لحصول النقل فيها من معنى الى اخر ، الا انها حقيقة لكثرة الاستعمال فيها^(٦) . ونبه اللغويون القديما الى مسالة نسبية الحقيقة والمجاز ، فقد نص ابن جني على ان المجاز اذا كثر لحق بالحقيقة^(٧) ، وهذا ما اقره درس اللغوي المعاصر ، فالالفاظ متناهية، والمعاني غير متناهية،»^(٨) فالكلمات لا تستعمل في مواقع اللغة تبعا لقيمتها التاريخية ، فالعقل ينسى خطوات التطور التي مرت بها ، اذا سلمنا بانه عرفها في يوم من الايام ، وللكلمات دائما معنى حضوري محدد باللحظة التي تستعمل فيها، ومفرد خاص بالاستعمال الوقتي الذي تستعمل فيه»^(٩) . واذا كان المجاز عند البحراني^(٩) هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له بالتحقيق في اصطلاح التخاطب مع قرينة مانعة عن ارادة معناها في ذلك الاصطلاح^(١٠) ، فهو عند الشارح الخوئي « الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له من حيث هو كذلك لعلاقة»^(١١) ، وقد أخرج الخوئي بقيد الحيثية « مثل لفظ الصلاة ، اذا استعملها المتشرع في الاركان المخصوصة ، فانه وان كان يصدق عليه انه لفظ استعمل في غير ما وضع له لغة الا إن استعماله له ليس من هذه الحيثية ، بل من حيث وضعه لها عندهم»^(١٢) .

(١) ينظر: علم الدلالة (عمر) ٢٣٧ ودور الكلمة ١٥٧ ودلالة الألفاظ ١٣٤

(٢) ينظر: الخصائص ٤٤٢/٢ والصناعتين ١٣ وأسرار البلاغة ٣٢٤

(٣) البحراني ٥٦/١ (٤) ينظر: الاستغناء ٣٩٦ وشرح تنقيح الفصول ٤٤

(٥) المعتزلي ٢٧/١١ (٦) ينظر: الخوئي ٣١/١

(٧) ينظر: الخصائص ٤٤٧/٢

(٨) دراسات في فقه اللغة ٣٠٦ وينظر: الأصول (حسان) ٢٣٢ واللغة (فندريس) ٢٢٨ والتطور اللغوي التاريخي ٣٧ .

(٩) ينظر: البحراني ٥٢/١ . (١٠) ينظر: التعريفات ١٨٠ وكشاف اصطلاحات الفنون ٢١٤ .

(١١) الخوئي ٢٨/١ (١٢) نفسه .

أي انه اقر بحصول الانتقال في معنى الالفاظ الاسلامية من اصولها اللغوية الا انه انتقل من جهة الشارع لا من جهة اللغويين ، ولذا لم يسم هذه الالفاظ بالمجاز ، وانما هي في نظره حقائق شرعية لشيوع استعمالها ، وهو بهذا يعرض للخلاف الدائر بين العلماء حول الالفاظ الاسلامية ، اذ انقسم العلماء بين منكرين للمجاز في اللغة ، ومؤيدين له ، فذهب فريق من العلماء الى اشمال اللغة على المجاز حتى غالى بعضهم ورأى ان اللغة في جملتها مجاز^(١) ، ومنهم ابو عليّ الفارسيّ ، وابن جنيّ الذي يقول : « اعلم ان اكثر اللغة مع تامله مجاز لا حقيقة»^(٢) ، والفريق الثاني انكر حصول المجاز في اللغة والقران الكريم بدعوى صيانة كتاب الله من المجاز ، لانه بنظرهم اخو الكذب ، ويفضي الى الالباس على المخاطب ، واغلب اصحاب هذا الفريق من الاصوليين^(٣) ، اما الفريق الثالث فمقتصد يرى وقوع المجاز في لغة العرب ، ولغة القران الكريم الى جانب وقوع الحقيقة ، واغلب اصحابه من البلاغيين^(٤) . وحصر الأصوليون خلافهم حول وقوع المجازات في القران الكريم^(٥) ، فمنهم من منع القول بانتقال معاني الالفاظ الاسلامية ، وهو مذهب الباقلانيّ ، الذي ذهب الى انها الفاظ باقية على اصل وضعها اللغوي مع زيادة شروط عليها من الشارع^(٦) ، على حين

أجاز المعتزلة نقل الالفاظ اللغوية الى معانٍ شرعية بلا علاقة بين المعنى اللغوي والشرعي^(٧) ، ومنهم من قال بالنقل فيها مع وجود علاقة بين المعنيين^(٨) . والحقيقة ان هذه الالفاظ الاسلامية تغيرت دلالتها سواء بنقلها من معناها اللغوي الى معناها الشرعي ام ببقائها على اصل وضعها اللغوي مع زيادة شروط عليها من الشارع ، لأن هذه الشروط هي سبب للتغير الدلالي^(٩) . ومن حد البحراني والخوانساري للمجاز نجدهما من المقرين بحصول النقل في معاني هذه الالفاظ ، مع وجود علاقة رابطة بين المعنيين اللغوي والشرعي ، فهي عند البحراني (مجازات) ، وعند الخواني (حقائق شرعية) . وهذا ما اقره الدرس الدلالي الحديث ، الذي وسم هذا الانتقال بانه تخصيص للدلالة بالمعاني الشرعية^(١٠) . وقد صرح شراح النهج بهذا التخصيص في معالجتهم لاشكال التغير الدلالي التي جاءت في الشروح على النحو الاتي :

(١) ينظر: تأويل مشكل القرآن ١٠٣ وأسرار العربية ٣١٠ والبرهان ٢/٢٥٥ والتراث النقدي والبلاغة ٨٩

(٢) الخصائص ٤٤٩/٢

(٣) ينظر: البرهان ٢/٢٢٢ ومعتزك الأقران ١/٣٤٦ والمجاز في البلاغة العربية ١٤٦ ومجاز القرآن (الصغير) ٦٥

(٤) ينظر: البلاغة والتطبيق ٣٢٧

(٥) ينظر: المحصول للرازي ١/١/٤١٥ والمزهر ١/٢٩٨ ومنهج البحث اللغوي (زوين) ١٣٤ والتصور اللغوي ٧٨

(٦) ينظر: الأحكام للأمدى ١/٤٨ ونهاية السؤل ٢/١٥٢ والمزهر ١/٢٩٨

(٧) ينظر: إرشاد الفحول ١/٩٦ والمعتد ١/٣١

(٨) ينظر: المحصول ١/١/٣٩٧ والبحث الدلالي عند الشوكاني ٥١

(٩) ينظر: دراسة المعنى عند الأصوليين ١٠٦

(١٠) ينظر: دراسات في القرآن ٣٦ ونحو وعي لغوي ٢١ واللغة العربية معناها ومبناها ٣٢٢

اولا : التخصيص الدلالي

هو «تحويل الدلالة من المعنى الكلي الى المعنى الجزئي أو تضيق مجالها ... أو تحديد معاني الكلمات و تقليبها»^(١) ، وسمّاه بعضهم بـ«تخصيص المعنى»^(٢) ، واصطُح آخر بـ«تضييق المعنى»^(٣) . ومن أمثله لفظة (الحج) التي انتقلت من معنى القصد - وهو المعنى اللغوي العام للأصل (حج) - الى اختصاصها بقصد بيت الله الحرام^(٤) . فالتخصيص الدلالي يحصل بخروج الالفاظ «من معنى عام الى معنى خاص»^(٥) ، وذلك «بقصر اللفظ العام على بعض افراده وتضييق شموله»^(٦) . وقد تلمس المحدثون الأسباب المؤدية إلى تخصيص معاني الالفاظ العربية ، وهي لانتفك عن الاثر التشريعي ، الذي اتجه بالمعنى نحو التضييق والتحديد ، والانتقال من الكلية الى الجزئية ، ومن العموم الى الخصوص .

وكذلك عكس الاسلام الاثر الحي في حياة اللغة العربية^(٧) ، فمثّل اول باب من ابواب التجوز في حياة الفاضل ، وقد تنبه القدماء^(٨) الى الاثر الاسلامي في تغيير دلالة الالفاظ ، وفي ذلك يقول ابن فارس: «كانت العرب في جاهليتها على ارث اباؤهم في لغاتهم ، وادابهم ، ونسائكهم ، وقرايبهم ، فلما جاء الله - جل ثناؤه - بالاسلام ، حالت احوال ،

ونسخت ديانات ، وابطلت امور ، ونقلت من اللغة الفاظ من مواضع الى مواضع اخر بزيادات زيدت ، وشرائط شرطت، فعفى الاخر الاول^(٩) ، فالدين الاسلامي والعرف اللغوي هما اكبر قوتين مؤثرتين في دلالة الالفاظ^(١٠) .
والعرف القولي والاجتماعي يضيفي ملامح دلالية جديدة على عدد من الحقائق اللغوية امتدادا لمعانيها في اصل اللغة لتكون دالة على معنى مخصوص^(١١) ، فيكون للشيوع والتعارف من قوة الاثر ما يضاهي الاصل احيانا^(١٢) . وقد اهتم شراح النهج ببيان اثر هاتين الجهتين في تخصيص المعنى ، وذلك من خلال وقوفهم على الالفاظ الشرعية والعرفية التي تخصصت عن اصولها اللغوية . وقد تعددت عبارات الشّراح في الاشارة الى التخصيص الدلالي للالفاظ ومنها :
(تخصص في كذا) و (اكتسب خصوصية) و (في الاصطلاح) و (وفي الشرع) و (شرعا) و (عرفا)

- (١) علم الدلالة عمر ٢٤٥ وينظر : علم اللغة (وافي) ٣١٣ ودلالة الالفاظ ١٥٠ وعلم اللغة (السرمان) ٣٠٧ وعلم اللغة (مدكور) ٢٢٨ وعلم اللغة (جيرو) ٥٨ والتطور الدلالي ٥٣ والترأف في اللغة (حاكم) ٢١ والدلالات اللغوية عند العرب ١٤١ .
(٢) دلالة الالفاظ ١٥٢
(٣) علم الدلالة (عمر) ٢٤٥ .
(٤) ينظر : المزهري ٢٢٧/١ .
(٥) اللغة (فندريس) ٢٥٦ .
(٦) فقه اللغة وخصائص العربية ٢١٩ .
(٧) ينظر : دراسات في القرآن ٣٦ .
(٨) ينظر : تفسير غريب القرآن ٧-٣٤ والمستصفي ١٠٢/٢ والاتقان ٩٨/٢ والمحصل ٤١٠/١/١ والاحكام ٢١/١ والمزهري ٤٢٧
(٩) الصاحبى ٧٨ .
(١٠) ينظر : دراسات في القرآن ٣٦
(١١) ينظر : البحث اللغوي عند الفخر الرازي ٥٠ .
(١٢) ينظر : التصور اللغوي عند الاصوليين ٦٣
و (استعير في كذا) . من ذلك تشبيههم على أن لفظة (الايمان)^(١) تخصصت شرعا بأشياء مخصوصة بعد ان كانت في اللغة تدل على التصديق^(٢) . ولفظة (التبعة) في قوله (ي) : (وَمَا يَعْزُدُ بِالْمَالِ مِنْ عَدُوِّ يَلِ يَسْلُبُهُ وَتَبَقَى عَلَيْهِ تَبَعًا وَجَسَبًا)^(٣) قد « اقتصت بالذنوب لانها تابعة للفعل القبيح »^(٤) وكانت عامة ، فالتبع ما يتبع شيئا^(٥) . ولفظة (البطحاء) « اقتصت بوادي مكة »^(٦) بعد ان كانت تعني الارض المنبسطة على ما هي عليه دلالة البطح^(٧) . ولفظة (التقية) لدى بعضهم مصدر اكتسب خصوصية في الدلالة ، وصارت من صفات بعض الطوائف التي اثرت ان تخفي بعضا من معتقداتها درءا للشّر ، وقد كانت تدل على الخوف ودفع الأذى^(٨) ، كما ذكرت المعجمات^(٩) .
ومن استعمالات الشّراح للفظتي : الشرع والعرف في الاشارة إلى تخصيص الدلالة ما جاء في شرحهم للفظه (الدين) أنها كانت تعني الطاعة ثم « تخصصت بالشريعة »^(١٠) فصارت تعني « الاسلام والملة عرفا »^(١١) . ومنها - ايضا - لفظة (الاعتكاف) التي تعني في اللغة الحبس^(١٢) ثم صار « الاعتكاف في الشرع : اللبث في مكان مخصوص للعبادة »^(١٣) . و اشار الامدي الى التخصيص الدلالي للفظه (التوبة) بقوله : التوبة « في الاصطلاح : الندم على الذنب »^(١٤) ، بعد ان بين معناها في اللغة^(١٥) ، وهو الرجوع ، وبه فسر توبة ادم (ي) في قوله تعالى : ﴿ فَتَدَقَّى اُمُّ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾^(١٦) ، فانه تعالى رجع عليه بالرحمة والقبول كما قال الزمخشري^(١٧) . ومن اصطلاحات الشّراح على التخصيص استعمالهم عبارة (الاستعارة) . وطريقة الانتقال بالدلالة نحو التخصيص عن طريق الاستعارة قائمة على التشبيه ، من

ذلك استعارة لفظ (الحبل) في قوله (م) : (وَالنَّاسُ فِي فِتْنٍ أَنْجَدَمَ هَيْبًا حَبْلُ الدُّنْيَا) (١٨) من معناه المعروف (١٩) ليتخصص بأوامر الله تعالى، يقول البحراني : « واستعمال لفظ الحبل ههنا وفي التنزيل الالهي : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (٢٠) استعارة لقانون الشريعة المطلوب منها لزومه والتمسك به » (٢١) . وقد اشار السامرائي الى تخصيص لفظة (العتاد) الواردة في قوله (م) : (لَاؤْتِيقِي لآخِرَتِكَ قَادًا) (٢٢) عن طريق الاستعارة من الذخيرة المعدة لوقت الحاجة إلى الذخيرة في الحرب بقوله : « ومن هنا

- (١) ينظر: الراوندي ٤٧٢/١ وانصاريان ٩٢/٢ .
(٢) ينظر : المقاييس ٨٤ والمفردات ٩٠ .
(٣) نهج البلاغة الخطبة ١٥٧ ص: ٢٧٧ .
(٤) الراوندي ١٠٨/٢ .
(٥) ينظر : المقاييس ١٧٧ والمفردات ١٦٢ .
(٦) الموسوي ٢١١/٢ .
(٧) ينظر : الصحاح ٩٥ .
(٨) ينظر: السامرائي ١٠٠ و ٣٦٦ .
(٩) ينظر : المقاييس ١١٠٠ والصحاح ١١٥٦ - ١١٠٧ .
(١٠) الراوندي ٤٣/١ وينظر : الكيدري ٢٢٢/١ .
(١١) البحراني ١٥٧/١ .
(١٢) ينظر : الصحاح ٧٣٠ .
(١٣) الخوئي ٣٢/١٥ .
(١٤) نفسه ١٦٨/١٥ .
(١٥) ينظر: الصحاح ١٣١ .
(١٦) البقرة ٣٧ .
(١٧) الكشاف ٢٧٤/١ .
(١٨) نهج البلاغة الخطبة ٢ ص: ٢٦ .
(١٩) ينظر : الصحاح ٢٠٨ .
(٢٠) آل عمران ١٠٣ .
(٢١) البحراني ٣٠٠/١ .
(٢٢) نهج البلاغة الكتاب ٧١ ص: ٥٩١ .

كان المعاصرون على شيء من الحق في استعارة العتاد للذخيرة الحربية من الاسلحة وما يتصل بها ، فقد صرفوها الى الخاص بدلا من العام (١) ، والعتاد في اللغة (٢) هو ما يذخر من طعام أو مال أو عمل صالح ، ثم استعير لذخيرة الاسلحة.

وكثر لدى الشراح استعمال عبارات من نحو: (ثم غلب على كذا) ، و(كثر استعماله في كذا) ، التي نبهوا من خلالها على اهمية كثرة الاستعمال في تخصيص دلالة الالفاظ في الشرع او العرف ، فكثرة استعمال العام يزيل مع تقادم العهد عموم معناه ، ويقصر مدلوله على الحالات التي شاع فيها استعماله (٣) ، حتى يصبح اللفظ حقيقة شرعية او حقيقة عرفية ، ولذا عدّ الاستعمال من اهم العوامل التي يعزى اليها حصول التخصيص الدلالي (٤) ، وقد علل المحدثون ذلك بميل الناس الى استعمال الالفاظ استعمالا خاصا ، فهم « ينفرون عادة من الكليات التي لا وجود لها في الازهان ، ويؤثرون الدلالة الخاصة التي تعيش معهم ، فيرونها ويسمعونها ويلمسونها » (٥) . ومما ورد من هذه الالفاظ لدى الشراح لفظة (الاله) التي ذكروا انها « تقع على كل معبود بحق او باطل ، ثم غلب على المعبود بالحق » (٦) ، على حين لم ير الشارح الراوندي حصول تخصيص دلالي لهذه اللفظة بفعل الاستعمال ، وانما هي لديه مصدر على وزن فعال بمعنى المفعول ، أي إله بمعنى مألوه (٧) ، ورفض المعتزلي قول الراوندي في هذه اللفظة وأكد حصول التخصيص الدلالي لها مستدلا على رأيه بالفاظ اخرى حصل فيها تخصيص عن طريق غلبة الاستعمال « كالنجم اسم لكل كوكب ،

ثم غلب على الثريا ، والسنة اسم لكل عام ، ثم غلب على عام القحط^(٨) . ومن ذلك - ايضا - لفظة (الابتلاء) التي ذكر الشراح^(٩) دلالتها العامة على الاختبار في الخير والشر ، لكنها كثر استعمالها « في الشر »^(١٠) . ومن ذلك لفظة (النعم) التي ذكر الشراح دلالتها على الابل ، والبقر ، والغنم ، ثم كثر استعمالها في الابل^(١١) . ولفظة (الزور) التي ذكر الشراح انها خلاف الحق ، ثم اطلقت كثيرا على الشهادة الكاذبة^(١٢) ، وغير ذلك من الالفاظ^(١٣) .

وقد فاق السامرائي شراح النهج المتأخرين في الاهتمام بغلبة الاستعمال واثره في تخصيص دلالة الالفاظ ، نحو معالجته للفظه (الشفاء) الواردة في قول الامام (ع) : (الصَّادِقُ عَلَى شَفَا مَنْجَاةٍ وَكَوَامَةٍ ، وَالكَاذِبُ عَلَى شَرَفِ

- (١) السامرائي ١٨١ .
(٢) ينظر : الصحاح ٦٦٨ .
(٣) ينظر : علم اللغة (وافي) ٣١٩ .
(٤) ينظر : المزهري ٢٢٧/١ .
(٥) دلالة الالفاظ ١٥٣ .
(٦) المعتزلي ٦٥/١ .
(٧) ينظر : الراوندي ٣٥/١ .
(٨) المعتزلي ٦٥/١ .
(٩) ينظر : الراوندي ٥٢/٢ والكيدري ٥٧٩/١ والبحراني ١٤٩/٣ .
(١٠) المعتزلي ٢٦٨/٨ .
(١١) ينظر : الراوندي ١٥٧/٢ وانصاريان ٦٨/٢ .
(١٢) ينظر : الخوي ١٣٥ / ٢٠ والراوندي ١٦١/٣ والشيرازي ١٢٩/٤ .
(١٣) ينظر : الخوي : ٩٩/١٠ و ٢٤/٥ .

مَهْوَاةٍ وَمَهَانَةٍ ...)^(١) ، إذ بين السامرائي الدلالة العامة للشفاء بأنه « حرف كل شيء وطرفه »^(٢) . ثم التمس جهة التخصيص لهذه اللفظة في استعمال المعاصرين بقوله : إن « الشفاء غلب استعماله فيما هو دنو من الموت ، او هلاك ، او سقوط ، او نحو هذا ، فكان هذا التخصيص مستفاد مما ورد في التنزيل العزيز ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾^(٣) و ﴿ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى شَفَا حُفْرٍ هَارٍ فَأَنْهَارٍ بِهِ ﴾^(٤) . وعلى هذا جرى المعاصرون في قولهم مثلا : ان فلانا او ان الامر على شفا هاوية^(٥) . وعلى الرغم من هذا لم يرفض السامرائي القول بحصول تطور في دلالة هذه اللفظة نحو التخصيص ، ورأى ان اللفظة لا تخصص فيها بالموت او الهلاك ، وانما هي عامة مستدلا بقوله (ع) السابق ، وفي ذلك يقول : « واما الشفاء في قوله (ع) ، فقد ورد في حيز النجاة والكرامة ، وعلى هذا فليس في الشفاء اختصاص بالموت والهلاك ونحوهما ، اما استعمال المعاصرين فهو حمل على ما ورد في لغة التنزيل ، فذهبوا الى تخصيص لم يكن للكلمة ، فكما يكون الشفاء في الهلاك ونحوه ، يصح كذلك في النجاة والسلامة ، وبذلك كان التخصيص لدى المعاصرين محمولا على الوهم . ويدل على هذا قوله ايضا : « ... فان النازل بهذا المنزل - اي الجهالة - نازل بشفاء جرف هار »^(٦) . ومن ذلك لفظة (الضراوة) الواردة في قوله (ع) : (... هَلْ يُدْرِي النَّاسُ تَوَلَّوْا مِنْ أَنْفُسِكُمْ تَأْبِيْدًا ، وَأَعْدِلُوهُدًى لِمَنْ عَنِ ضَرَاوَةِ عَائِلَتِهِ)^(٧) ، فقد بين السامرائي دلالة اللفظة العامة ، وهي اللهج بالشيء والولوع به . ثم اشار الى اثر الاستعمال في تخصيص عمومها بقوله : « ولكنها كثيرا ما ينحى بها الى الشر ، والى ما لا يرتضى ، كان يقال : قاتل بضراوة ، او استولى بضراوة ، ونحو هذا »^(٨) . وقد اشار فريق من شراح

النهج الى التخصيص الدلالي في بعض مشتقات الضراوة ، كالضاري ، اذ ذكروا اختصاص اللفظة بالاسد بعد ان كانت دلالتها تنصرف الى الاسد والضبع والذئب وغير ذلك من الضواري^(٩). ومن ذلك - ايضا - اشارة السامرائي الى الاستعمال المعاصر للفظه (التسريح) التي كانت تعني الارسال مطلقا ، ثم خصصت بالصرف عن العمل ، فقال : « ومن المفيد ان اشير الى ان التسريح قد تحول في القرون المتأخرة الى صرف الرجل عن عمله ، واعفائه منه ، وهذا هو الجاري في العربية المعاصرة ، اذ يقال : سَّحَّ الجند ، اي : انتهت مدة تكليفهم »^(١٠) .

ومما تقدم يظهر حرص الشَّراح جميعا على بيان المعاني اللغوية التي انتقلت منها الالفاظ نحو التخصيص ، فلم يغفلوا ذكر المعنى الاول الذي انتقلت منه الدلالة بعبارات من نحو: وهو في اللغة، او اشتقاقه من كذا .

- (١) نهج البلاغة الخطبة ٨٦ ص: ١٤٠ . (٢) السامرائي ٢٢٣ وينظر: الصحاح (شفا). (٣) ال عمران ١٠٣ .
 (٤) التوبة ١٠٩ . (٥) السامرائي ٢٢٣ . (٦) نفسه ٢٢٣ .
 (٧) نهج البلاغة الحكمة ٣٥٩ ص ٦٧٢ . (٨) السامرائي ٢٤١ .
 (٩) ينظر : الراوندي ١٧٢/٣ والكيدري ٥٤١/٢ والبحراني ١٤٠/٥ والخوئي ١٨٣/٢٠ والتستري ٤٨٢/٨ والشيرازي ١٤٤/٤
 (١٠) السامرائي ٢٠٢ وينظر : ٢٣٨ .

وكثر لديهم مصطلح (الاصل) او (الاصل اللغوي)^(١١) . وهو مصطلح شاع لدى ابن فارس في معجمه المقاييس ، ليمثل المعنى العام الذي تتفرع منه الالفاظ المشتقة التي معانيها فرع من ذلك الأصل فلا تبتعد عنه كثيرا، وهذا يعين على تتبع خطوات الانتقال الدلالي في مراحلها التاريخية وصولا الى المعاني التي استقرت عليها. من ذلك (المنافق)^(١٢) التي ذكر الراوندي ان « اشتقاقه من نافق اليربوع ، اي اخذ من نافقائه ، وهي احدى حجره يكتم فيها ويظهر غيرها »^(١٣) ، وفصل البحراني انتقالها بقوله : « واصله ان اليربوع يرقق موضعا من الارض من داخل حجره ، فاذا اوتي من قبل بابه ، وهو القاصعاء ضرب ذلك الموضع براسه فانفق ، اي خرج ، ويسمى ذلك النافقاء ، فاشتق لفظ النفاق منه »^(١٤) ، وجوز الخوئي أن يكون المنافق ماخوذا من النافقاء احدى حجرتي اليربوع أو من النفق وهو السرب^(١٥) ، على حين رجح التستري اشتقاقه من النفق وهو السرب ، « فكأنه يستتر بالاسلام كما يستتر الرجل في السرب »^(١٦) . وعزا اختياره إلى السجستاني في غريب القرآن^(١٧) . لكن الشائع لدى اللغويين أن المنافق أصله « من نافقاء اليربوع »^(١٨) .

ومن ذلك لفظ (البدعة) في قوله (٤) : (إِنْ أَبْغَضَ الْخَلْقَ إِلَى اللَّهِ رَجُلَانِ : رَجُلٌ وَكَاللَّهِ إِلَى نَفْسِهِ فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ ، مَشْغُوفٌ بِكَلَامٍ بَدْعَةٍ وَدُعَاءِ ضَلَالَةٍ ...)^(١٩) ، اذ بين البيهقي انها تعني « الحدث في الدين بعد الكمال »^(٢٠) ، ثم التفت الى اصل هذا التخصيص ، فذكر انه « ماخوذ من قول العرب : ابدعت الراحلة: كَلَّتْ ، وسميت البدعة بدعة لكلاله مركب صاحبها عن المحاجة والمباحثة »^(٢١) ، وشايح الكيدري البيهقي فرَّد كلامه^(٢٢) على حين ذهب مغنية الى ان اصل هذه اللفظة هو « ما ابتدع على غير مثال سابق لغة ، اما شرعا فهي الاحداث في الدين »^(٢٣) . وقد أورد ابن فارس هذين الاصلين في مادة بدع^(٢٤) ، ويبدو ان ما اختاره مغنية هو الانسب في تطور هذه

اللفظة نحو التخصيص لانه ينتقل باللفظة من ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال الى ابتداء شيء لم يكن له ذكر في الدين، فتكون البدعة ضد السنة كما اشار البيهقي في موضع اخر (١٥) .

وقد بين العلماء قدماء ومحدثين طريقة حصول الانتقال الدلالي للالفاظ عن طريق العرف ، وذلك اما بنقل اللفظ الى بعض افراد الحقيقة اللغوية بان يوضع الاسم لمعنى عام، ثم يخصص اهل اللغة ذلك الاسم ببعض مسمياته ، وهذا ما

- (١) ينظر : البيهقي ٢٨ والمعتزلي ٢٢٤/٧ والبحراني ٦٩/٤ والشيرازي ١٢٦/٣ والخوئي ٣٤٥/٣ ومغنية ٢٨٢/٦ والسامرائي ٣٦٨
(٢) في نهج البلاغة الخطبة ١٣ ص: ٤١ . (٣) الراوندي ٣٣٥/٢ . (٤) البحراني ٣٥٤/١ .
(٥) ينظر: الخوئي ١٧٠/١٢ . (٦) التستري ٥٧٥/٢ . (٧) ينظر : غريب القران
(٨) الصاحبى ٧٨ . (٩) نهج البلاغة الخطبة ١٧ ص ٤٦ . (١٠) البيهقي ١٠٠
(١١) نفسه ١٠٠ . (١٢) ينظر: الكيردي ٢٠٦/١ . (١٣) مغنية ٣١٢/١ .
(١٤) ينظر : المقاييس ١١٧ . (١٥) ينظر: البيهقي ٤٢١ .

يسمى بالعرف الخاص ، وهي الالفاظ التي تختص ببعض الطوائف دون غيرها، كالمصطلحات المنطقية والفلسفية، والكلامية، والنحوية، ومصطلحات علم الحديث، وغير ذلك من الالفاظ الخاصة التي جرت على السنة العلماء او اصحاب المهن^(١) . من ذلك دلالة الرفع والنصب والجر عند النحويين على حركات اواخر الاسماء دون غيرهم من الناس^(٢) . او دلالة (الجوهر) عند المناطق على ما لا يقبل القسمة من المتحيزات ، وهو دال على الحجر الكريم عند غيرهم^(٣) . او يحصل التخصيص العرفي بان ينقل اللفظ الى اجنبي عن الحقيقة اللغوية ، فيصير الاسم شائعا في غير ما وضع له اولاً ، اي ياتي فيما هو مجاز فيه بعلاقة تسوغ هذا الانتقال ، كلفظة (الغانط) التي تخصصت بالعذرة^(٤) ، ولفظة (الراوية) التي تخصصت بالمزادة^(٥) ، وغير ذلك من الانتقالات المجازية التي تسمى بالمجاز المنقول^(٦) .

ولم يهمل الشراح الاشارة الى الالفاظ العرفية الخاصة ، وذلك بتحديد نوع العرف وذكر الجهة والطائفة المستعملة له من متكلمين ومناطق وعلماء حديث . وقد انماز الشارح الخوئي^(٧) من بين شراح النهج في الاهتمام ببيان الجهة التي سارت باللفظ نحو التخصيص . وربما يكون سبب ذلك أن الخوئي من متأخري المتكلمين ، اذ استوعب مصطلحاتهم لاسيما تلك التي جادلوا فيها نظائرهم من علماء المنطق والفلسفة . من ذلك شرحه لفظة (الحركة) الواردة في قوله (ج) : (أنشأ الخلق إنشاءً ، وأبتدأه ابتداءً بلا رويّة آجالاً لها ، لاوتجربة استفادها ، لاوحركة أحدثها)^(٨) ، اذ بين الخوئي معنى اللفظة في اللغة ثم استعمالها عند المتكلمين والحكماء بقوله : « الحركة محرّكة : اسم من التحريك بمعنى الانتقال ، وهو خلاف السكون ، وهي عند المتكلمين حصول الجسم في مكان اخر ... وعند الحكماء هي الخروج من القوة الى الفعل على سبيل التدرّج »^(٩) . وكذا شرحه لفظة (القدرة) الواردة في قوله (ج) : (فَطَرَ الْكَلْبَ قَ بِقُدْرَتِهِ)^(١٠) ، اذ ذكر معناها العام ثم تخصصها عند أهل العلوم فقال : « والقدرة في الاصل القوة ، وعند المتكلمين هي الصفة التي

يتمكن معها الحي من الفعل وتركه بالارادة ، واما عند الحكماء عبارة عن كون الفاعل بحيث ان شاء فعل وان شاء لم يفعل^(١١) ، وربما يشير الخوئي الى عرف المتكلمين بعبارة

- (١) ينظر: المستصفي ٣٢٥/١ والمحصول ٤١١/١/١ والتصور اللغوي عند الاصوليين ٦٤ والبحث الدلالي عند المعتزلة ١٢٢ ودراسة المعنى عند الاصوليين ١٠٤ وعلم الدلالة (عمر) ٢٤٥ . (٢) ينظر: بحوث لغوية ٧٢ . (٣) ينظر : المحصول ٤١٣/١/١ واصول الفقه (بدران) ١٥٦ . (٤) ينظر : التعريفات ٤٩ والمعجم الفلسفي ٦٩/٢ . (٥) ينظر: الطراز ٥٢/١ . (٦) ينظر: المحصول ام ٤١٠/١ . (٧) ينظر: دراسات في القرآن ٢٩ وبحوث لغوية ٧٣ ومعجم المصطلحات البلاغية ٤٠٥/٢ . (٨) نهج البلاغة الخطبة ١ ص ١٨ (٨) الخوئي ٢٣١/٢٠-٢٣٢ . (١٠) نهج البلاغة الخطبة ١ ص ١٧ (١٠) الخوئي ٣٥١/١ . (١١) الخوئي ٣٠٩/١ . وينظر: المقاييس ٨٧٦-٨٧٧ والمفردات ٦٥٧

(في الاصطلاح) ، وذلك في بيانه لدلالة لفظة (التوحيد) الواردة في قوله (هـ) : (وَكَمَّالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ)^(١) ، اذ قال : « والتوحيد جعل الشيء واحدا ... وقد يطلق على التقرياق بين الشئيين ، وفي الاصطلاح اثبات ذات الله بوحديته ، ووحديته بمعنى انه لا ثاني له في الوجود^(٢) . ومن أمثلة اهتمام الشّراح بالمصطلحات المنطقية ما جاء في شرحهم لفظة (الحد) الواردة في قوله (هـ) : (إِنِّي لَيْسَ لِي صِفَةٌ حُدٌّ مَحْدُودٌ)^(٣) ، اذ جوز فريق من الشّراح أن يكون المراد بالحد المعنى اللغوي^(٤) وهو الغاية والنهاية ، فيكون المعنى : انه ليس لصفاته غاية معينة ونهاية مميزة^(٥) ، أو أن يكون المراد بالحد الدلالة المتعارفة لدى المناطق ، وهو ما يعرف به الشيء، ليكون المعنى: انه ليس لذاته حد يعرف به قياسا على الاشياء المحدودة . ولم يجز انصاريان تفسير الحد بغير المعنى اللغوي للفظ الحد ، فمنع المعنى الحاصل في عرف المنطقيين^(٦) . وعلل البحراني تسمية العلماء لتعريف الشيء باجزائه بالحد بانه « يمنع ان يدخل في المحدود ما ليس منه او يخرج منه ما هو منه^(٧) . وهنا ربط البحراني بين المعنى اللغوي والمعنى الذي تطور نحو التخصص .

وقد اهتم الشّراح بالالفاظ التي تخصصت دلالتها في عرف اهل الحديث ، الذين اشار الشّراح اليهم بمصطلح (الفقهاء) ، او (في الشرع). من ذلك معالجتهم للفظ (السنة) التي بينوا معناها اللغوي وهو الطريقة^(٨) ، و« في اصطلاح اهل الشريعة ما ثبت عن رسول الله (ص) من قول ، او فعل ، او تقرير^(٩) ، ومن ذلك لفظنا (النسخ) و(الرخصة) الواردتان في قوله (هـ) : (وَلَحَفَ فِيكُمْ مَا خَلَّتِ الْأَبْيَاءُ فِي أَمِّهِمْ ل... كَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ : مُبَيِّنًا حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ ، وَفَوَائِضَهُ ، وَفَضَائِلَهُ ، وَنَاسِخَهُ ، وَمَنْسُوخَهُ ، وَرُخْصَهُ ، وَعَزَائِمَهُ ...)»^(١٠) ، اذ بين بعض الشّراح أن المعنى اللغوي للنسخ هو الازالة وأن المعنى اللغوي للرخصة هو التساهل في الامر . اما في الشرع فتخصصت دلالة النسخ بـ

« رفع الحكم الثابت بالنص المتقدم بحكم اخر منه »^(١١) ، وتخصصت دلالة الرخصة بـ « الاذن للمكلف بفعل ما كان ممنوعا عنه ... لسبب موجب ، كالاذن للمضطر بالاكل من الميتة »^(١٢) .

ومن ذلك لفظة (الرُّسْل) التي بين الشَّراح اشتقاقها من « قولهم : غنم مرسل الى الراعي »^(١٣) ، ثم تخصصت دلالتها

(١) نهج البلاغة ١ ص ١٧ . (٢) الخوئي ٣١٨/١ .

(٣) نهج البلاغة الخطبة ١ ص ١٧

(٤) ينظر: الزاهر ٣٩١/١ و٥٨٧ والمقاييس ٢٣٩ والفروق اللغوية ٢٩٠ والمفردات ٢٢١

(٥) ينظر : البحراني ٣٥٨/٢ والخوئي ٣٠٥/١ . (٦) ينظر: انصاريان ١٦/٢ .

(٧) البحراني ١٤٢/١ . (٨) ينظر: المقاييس ٤٧٤

(٩) مغنية ٣٩٣/٥ . (١٠) نهج البلاغة الخطبة ١ ص ٢٤

(١١) البحراني ١/ ٢٧٤ وينظر: المفردات ٨٠١ . (١٢) مغنية ١٤٤/١ وينظر: المقاييس ٤٤٧

(١٣) الكيدري ١٤٢/١ .

في اصطلاح علم اصول الفقه^(١) بـ « الالفاظ المطلقة والمهملة ، وهي الالفاظ التي لا تمنع نفس مفهوماتها وقوع الشركة فيها، لكنها لم يبين فيها كمية الحكم ومقداره، ولم تقيّد بقيّد يفيد العموم ولا الخصوص »^(٢) ، وغير ذلك من الالفاظ التي كثر اهتمام شراح النهج ببيان ما اصابها من تخصيص في دلالتها لدى الفقهاء والاصوليين^(٣) . وعرض الراوندي للمفاضلة بين المعنيين : اللغوي من جهة ، والشعري او العرفي من جهة اخرى ، فرجح المعنى الشعري او العرفي على المعنى اللغوي معللا ذلك بالاستعمال . كما في شرحه لفظة (الاحباط) الواردة في قوله (٤) : (فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فَعَلِ اللَّهِ يَلِدُيسَ إِذْ أَحْبَطَ عَطَاهُ لَطِّ وَيْلَ ...) ^(٤) ، فقد بين الراوندي المعنى اللغوي^(٥) الذي انتقلت منه لفظة (الاحباط) نحو التخصيص بقوله : « الاحباط من حبطت الابل اذا اكلت الخضر فنفض بطونها ، وربما هلكت ، فجعل العمل محبطا اذا لم يقع مشروعا ، ... واصل الاحباط في الوضع : الابطال والافساد ، وما طرا عليه عرف او شرع فيجب حمل المعنى عليه ... »^(٦) . وهذا ما عليه اغلب القدماء^(٧) ، فالمجاز « متى استقر في البيئة مدلوله وتحدد معناه عاد الى ما كان عليه اولا في تسميته بالحقيقة مقيّدة بعرف هذه البيئة وتواضعها »^(٨) . فالحكم في مفهوم الالفاظ هو ما استقر عليه استعمالها .

ولم تقتصر عناية شراح النهج بالتخصيص الحاصل للالفاظ المفردة ، وانما اهتموا بالتخصيص الواقع على التراكيب ، وهو ما يعرف لدى المحدثين بالتركيب الموحد ، الذي يتكون من اثنين او اكثر من الصيغ الحرّة ، كتركيب (البيت الابيض) الذي لا يشير الى مبنى ، وانما تخصصت دلالاته بمؤسسة سياسية معينة^(٩) . ومن التراكيب التي خصصت دلالتها في متن النهج بعد ان كانت مطلقة عامة ، (اهل البيت) ، في قوله (٤) : (وَعِنْدَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَبْوَابُ حَكْمِ) ^(١٠) ، فقد ذهب معظم شراح النهج^(١١) الى ان المراد بـ (اهل البيت) هم اهل بيت النبي محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وهم : (محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - وعلي وفاطمة والحسن والحسين - عليهم السلام -) ، مستدلين بقوله تعالى: ﴿

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿١٢﴾

- (١) ينظر: مغنية ٤/١ .
- (٢) البحراني ٢٧٥/١ .
- (٣) ينظر : الراوندي ٣٤٧/١ والخوئي ٢٩٢/٦ ومغنية ٥١٥/٤ و ٤٤٢ /٦ .
- (٤) نهج البلاغة الخطبة ٢٣٤ .
- (٥) ينظر : المقاييس ٢٩٣ والمفردات ٢١٦ .
- (٦) الراوندي ٢٣٥/٢ . (٧) ينظر : الذريعة ١٦ /١ واصواء البيان ٥٥/٢ .
- (٨) دراسات في القرآن الكريم ٢٩ . (٩) ينظر : علم الدلالة (عمر) ٣٢-٣٤ .
- (١٠) نهج البلاغة الخطبة ١١٩ .
- (١١) ينظر : البيهقي ٧٩ ، ٢٥ والراوندي ٢٥/٢ والمعتزلي ٣٢/٩ والشيرازي ٢٣٩/٢ والخوئي ١١١/٨ .
- (١٢) الأحزاب ٣٣ وينظر: الكشاف ٢٦٠/٣ .

وجه التخصيص ان البيوت كثيرة لا حصر لها ولا عد ، ولأجل معرفة اهلها لابد من اضافة البيت الى صاحبه ، فيقال : اهل بيت فلان ، ولما كان النبي (عليه السلام) اعرف الخلق وخير البرية جاز الاستغناء عن ذكر اسمه عند الاشارة الى اهل بيته ، فصار التركيب (اهل البيت) علما لال محمد (صلى الله عليه واله) دون غيرهم ، كما كانت المدينة علما لمدينة الرسول (صلى الله عليه واله) دون غيرها من المدن ، وكما كان (الكتاب) علما لكتاب سيبويه دون غيره من الكتب ، وكما كان (النجم) علما للثريا دون غيره من النجوم . والتركيب مؤلف في الاصل من لفظتين : الاولى (اهل) ، وقد اشار الشراح الى ان اهل الرجل من يجمعه وايامهم نسب او دين ، والآخرى (البيت) وهو ماوى الانسان بالليل ، ثم تُجَوِّزُ فيه ليطلق على ماوى الانسان في ليله ونهاره^(١) ، وكذا تجوز بلفظ (اهل) فجعل اهل بيت الرجل لمن يجمعه وايامهم مسكن . وجمع اللفظين في تركيب واحد (اهل البيت) خصصت الدلالة باسرة النبي (عليه السلام) ، تخصيصا متأثرا من استعمال القرآن الكريم^(٢) .

وفي النهج تراكيب اخرى يمكن تسميتها بالتركيب الوصفية ، منها : (النقل الاكبر) ، و (النقل الاصغر) الواردة في قوله (ع) : (اَلَمْ اَعْمَلْ فِىكُمْ بِالْقَدَلِ الْاَكْبَرِ ؟ وَتُرْكُ فِىكُمْ النَّقْلَ الْاَصْغَرَ ؟)^(٣) ، فقد اشار الشراح^(٤) الى ان النقل معروف ، وهو متاع المسافر يحمله على راحلته ، وهذا هو المعنى العام للفظ^(٥) ، ثم خصصت بالوصف (اكبر ، اصغر) لتدل على القرآن والعترة ، وهو تخصيص متأثرا بالاستعارة على ما بينه المعتزلي بقوله : « النقل في اللغة متاع المسافر وحشمه ، فكانه (ص) لما شارف الانتقال الى جوار ربه تعالى جعل نفسه كالمسافر الذي ينتقل من منزل الى منزل ، وجعل الكتاب والعترة كمتاعه وحشمه ؛ لانهما اخص الاشياء به »^(٦) . والتخصيص في هذا التركيب متأثرا من الحديث الشريف : « تركت فيكم الثقلين ... كتاب الله وعترتي »^(٧) .

(١) ينظر: البيهقي ٧٩ والخوئي ٣٥٨/٢٠ والسامرائي ٩٩ .

(٢) ينظر:

(٣) نهج البلاغة ٨٦ .

(٤) ينظر: البيهقي ١٦٨ و الكيدري ٤٢٠/١ والبحراني ٣١٤/٢ .

(٥) ينظر: الزاهر ٣٣٢/٢ والمقاييس ١٨٥ والمفردات ١٧٤ واللسان ٩٠/١٣ .

(٦) المعتزلي ٣٨٠/٦ وينظر: السامرائي ٩٩ .

(٧) صحيح مسلم ١٠٢١ .

ثانيا : التعميم الدلالي

هو نقل اللفظ من ((المعنى الخاص الدالّ عليه الى معنى اعم واشمل))^(١)، وذلك بان ((يصبح عدد ما تشير اليه الكلمة اكثر من السابق ، او يصبح مجال استعمالها اوسع))^(٢) ، ويطلق على التعميم الدلالي تسميات اخرى نحو: توسيع المعنى او امتداده^(٣) . ومن أمثلته لفظة (البأس) التي توسعت دلالتها من معنى الحرب لتشمل الدلالة على كلّ شدة^(٤) . وقد اهتم علماء العربية القدماء بهذا المظهر من التطور الدلالي فنجده عند ابن دريد وابن فارس والسيوطي^(٥) .

اما شراح النهج فقد اشاروا الى ظاهرة التعميم الدلالي في شرحهم للفاظ الواردة في متن النهج بعبارات متنوعة من مثل قولهم : (استعمل في كذا ثم كثر ، .. ثم شاع ، .. ثم غلب ، .. وعم) وهي عبارات لا تخلو من التنبيه على اثر الاستعمال في الانتقال بالدلالة نحو مجال اعم ف ((كثرة استخدام الخاص في معان عامة عن طريق التوسع تزيل مع تقادم العهد خصوص معناه وتكسبه العموم))^(٦) . وقد كان استعمال الشّراح لعبارة (استعمل في كل...) اكثر من غيرها من العبارات الدالة على التعميم ، من ذلك قولهم في لفظة (الصبر) التي ذكروا انها ((بكسر الباء هذا النبات المر نفسه ، ثم سمي كل مر صبيرا))^(٧) ، ولفظة (العقم) التي ذكر الشّراح انه ((شجر بالغ المرارة ، ويصدق بالعرف على كل مر))^(٨) . ولفظة (السراج) إذ سميت الشمس ب ((السراج لحسنها وضئائها ، ثم اطلق لفظ السراج على كل نور وجمال))^(٩) ، و ((الجماع: القدر الذي يجمع الحضور كلها ، ثم اطلق على كل ما يشمل ويعم ، كما قال النبي (صلّى الله عليه واله وسلم): الخمر جماع الاثم))^(١٠) . و ((يقال : عشوته ، اي : قصده ليلا ، هذا هو الاصل ، ثم صار كل قاصد عاشيا))^(١١) . وكذا لفظة (الاعلام) ، ((جمع علم ، وهو المنار يهتدى به ، ثم جعل لكل ما دل على شيء))^(١٢)

(١) فقه اللغة وخصائص العربية ٢١٨ وينظر : علم الدلالة (جبرو) ٨ .

(٢) علم الدلالة (عمر) ٤٣١٢ وينظر : فقه اللغة (وافي) ٢٢٢ والدلالات اللغوية عند العرب ١٤٢ ونحو وعي لغوي ١٢١ والتصور اللغوي عند الاصوليين ٩٦ .

(٣) ينظر : دلالة الالفاظ ١٥٤ وعلم الدلالة (عمر) ٢٤٣ والتطور اللغوي ، مظهره وعلله ١١٤ .

(٤) ينظر : علم الدلالة والمعجم العربي ٦٦ .

(٥) ينظر : الجمهرة ٤٣٢/٣ والصاحبي ٥٨-٥٩ والمزهر ٤٢٩/١ .

(٦) علم اللغة (وافي) ٣٢٠ .

(٧) المعتزلي ٢٣١/٧ وينظر : الخوئي ١٦/٨ .

(٨) البحراني ٢٦/٢ وينظر : الخوئي ٣٦٧/١ .

(٩) البيهقي ٢٤ . (١٠) نفسه ٢٤٨ .

(١١) الراوندي ٢٧٥/١ . (١٢) المعتزلي ٢١٦/٣ وينظر : عبده ١٢٢/١ وينظر : ابو الفضل ١١٣/١ .

ولفظه (الدر) التي هي « في الاصل : اللبن ،... ثم استعمل الدر في كل خير ونفع ، فقيل : لا در دره ، اي : لا كثر خيره ، ويقال في المدح : لله دره ، اي : عمله »^(١) . ولفظة (القواعد) مأخوذة من قواعد الهودج ، وهي « اخشابه الاربع المقبوضات في اسفله ، ثم عدي الى كل اصل يبني عليه من كلام او غيره »^(٢) . و(الذوق) « اصله ما يدرك باللسان ، ثم تستعمل في كل شيء يدركه الانسان بالقوى اللامسة ، كما قال تعالى : ﴿ ذُقْ اِنَّكَ اَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾^(٣) ، وقال : ﴿ فَاذْ اَقْبَاهُ اللّٰهُ لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾^(٤) »^(٥) . ولفظة (الشغاف) التي تدل على « غلاف القلب ، ثم استعمل لكل غلاف »^(٦) . ولفظة (لَفْرَس) التي تدل في اللغة على ما يفترسه الاسد ، يقال : فرس الاسد فريسته وافترسها ، اي : دق عنقها^(٧) « واصل الفرس هذا ، ثم كثر حتى صار كل قتل فرسا »^(٨) . ولفظة (الجزل) التي تعني « ما عظم من الحطب ، ثم كثر ذلك حتى صار كل ما كثر جزلا ، وقالوا اعطاه عطاء جزلا »^(٩) . ولفظة (استحّر) « بمعنى اشدت ، وقد كثر استعمالها في القتل ونظائره »^(١٠) . ومنه (الهجر) فإنه « خلاف الوصل ، ثم غلب على الخروج من ارض الى ارض »^(١١) . ولفظة (السهم)^(١٢) التي بدأت دلالتها ب « واحد السهام التي يضرب بها في الميسر ، وهي القداح ، ثم سمي به ما يفوز به القادح سهمه ، ثم كثر حتى سمي كل نصيب سهما »^(١٣) .

والسمة الظاهرة لدى شراح النهج في التعميم الدلالي اهتمامهم بذكر المعنى الاصيل الذي انتقلت منه اللفظة على وفق ما سبق بيانه في التخصيص الدلالي ، اذ شاع لديهم مصطلح (الاصل)^(١٤) للتنبيه على المعنى الاول الذي استعمل فيه اللفظ قبل ان تعم دلالاته ، او يجري عليه مظهر من مظاهر تطور الدلالة . ومن امثلة التعميم بذكر (الاصل) اللغوي ، ما ذكره الشّراح في لفظة (الطوارق) في قوله (ي) يصف خلق الأرض : (... ثُمَّ حَقَرْنَا بِسَعَتِهَا عَقَابِيلَ فَلَهَّتْ بِا ، وَبِسَلَامَتِهَا طَوَارِقَ فَلَهَّتْ بِا)^(١٥) ، اذ بين بعضهم ان « اصل الطروق ما ياتي ليلا ، ثم استعمل في « كل ما يطرق باب الانسان بمكروه »^(١٦) . وذكر فريق منهم أن لفظة (النجعة) تعني « طلب الكلا في الاصل ، ثم سمي كل من قصد امرا يروم النفع منه منتجعا »^(١٧) .

- (١) المعتزلي ٣٨١/٦ و ينظر : عبده ٢٣٠/١ والخوئي ٢٣٨/٦ وابو الفضل ١٧٦/١ والموسوي ٢١/٢ وانصاريان ٢٢٣/١ .
 (٢) البحراني ١٢٦/١ (٣) الدخان
 (٤) النحل ١١٢ . (٥) التستري ١/٣٣٢ وينظر: الشيرازي ٣٠/١ .
 (٦) التستري ٣٣٣/١ . (٧) ينظر : الصحاح ٨٠٤ .
 (٨) التستري ٥١٨/٢ وينظر: ٤١١/٢ و ٤٤٣/٣ . (٩) التستري ١٢١/٦ .
 (١٠) السامرائي ١٢٦ . (١١) انصاريان ٢٥٠/٢ .
 (١٢) ينظر : الصحاح ٥٢٠ - ٥٢١ . (١٣) انصاريان ٤١٦/٢ .
 (١٤) ينظر: عبده ٢٥٤/٢ و ٢٦٧/٣ وابو الفضل ٢٠٣/١ و ٢٨٧/٢ . (١٥) نهج البلاغة الخطبة خ ٩١ ص ١٦٥ .
 (١٦) الشيرازي ٣٨٤/٣ . (١٧) المعتزلي ١٥٨/١٣ وينظر : انصاريان ٣٣٩/٢ وابو الفضل ١٠٠/٢ .

ولفظة (السبر) تعني « في الاصل ادخال الميل في الجراحة لمعرفة غورها ، ويطلق على مطلق الاختبار»^(١) .
 والاصل في المشهور كونه وصفا للسيف يقال : سيف مشهور اي مخرج من الغمد ، ثم استعمل في كل واضح»^(٢) .

وتعد الاستعارة من المسوغات الرئيسية للانتقال بدلالة الالفاظ نحو التعميم^(٣) . وقد بين الشراح طائفة من الالفاظ التي عمت دلالتها وتوسع معناها بطريق الاستعارة ، كلفظة (المضامين) في قوله (ي) يصف أهل القبور: (.... هَاهُمْ رَهَائِنُ الْقُبُورِ وَمَضَامِينِ الْأُحُودِ....)^(٤) إذ اشار الكيدري الى معناها الاصلي وبين أثر الاستعمال في تعميم دلالتها بقوله: « والمضامين في الاصل ما في اصلاب الفحول ، ثم استعير لكل شيء مستور ، وهو جمع مضمون ، اي هم في ضمن اللحد في القبور»^(٥) . ومثلها لفظة (الجلابيب) التي ذكر المعتزلي اصلها اللغوي^(٦) ، ثم نبه على تعميم معناها بالاستعارة فقال : « الجلابيب : جمع جلباب ، وهي الملحفة في الاصل ، واستعيرت لغيرها من الثياب»^(٧) . وأشار البحراني الى تعميم دلالة لفظة (السماء) باستعارتها من السقف لعلاقة المشابهة بقوله: «استعارة لفظ السقف من البيت للسماء في الاصل لما بينها من المشابهة في الارتفاع والاحاطة»^(٨) ، فالسقف سمي سماء لان « السماء كل ما علاك فاطلك»^(٩) . ولفظة (الحبل) معناها في اللغة هو ما « يتوصل به الى ماء ، ثم استعير لكل ما يتوصل به الى شيء»^(١٠) . و(الوعث) هو «رمل دقيق تغيب فيه الاقدام ، فهو شاق ، ثم استعير لكل امر شاق من تعب او اثم وغير ذلك ، ومنه وعثاء السفر ، اي شدة النصب والتعب»^(١١) .

وانماز السامرائي ببيان اثر الاستعارة في الانتقال بدلالة جملة من الالفاظ نحو التعميم ، كلفظة (الكرم) التي ذكر انتقالها من البعير الى غيره توسعا بطريق الاستعارة^(١٢) ، و (اللجام) الذي استعير من الفرس الى العاقل . و(الحرث) استعير من الارض « للعمل في الخير والشر ، وهو في لغة التنزيل ، قال تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَفَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾»^(١٣) (١٤) .

وانفرد السامرائي - أيضا - بتتبع التطورات الدلالية لالفاظ النهج في اللغة المعاصرة ، مبينا دلالاتها القديمة التي ذكرتها معجمات اللغة .

- (١) الخوئي ٤٧/١٥
 (٢) التستري ١٤٨/٦ .
 (٣) ينظر : المزهري ٤٢٩/١-٤٣٠ وعلم اللغة (وافي) ٣٢٠ .
 (٤) نهج البلاغة الرسالة ٤٥ ص ٥٣٤ .
 (٥) الكيدري ٥٠٣/٢ .
 (٦) ينظر : الصحاح ١٨٠ .
 (٧) المعتزلي ٨٠/١٥ وينظر : ابو الفضل ١٤٠/٢ .
 (٨) البحراني ١٨٩/١ .
 (٩) الخوئي ٦٨/١٥ . (١٠) الخوئي ١٠٥/٩ و ٢١٣/١٠ وينظر : الموسوي ٤٥١/٢ والسامرائي ١٥١ .
 (١١) الخوئي ٢٨٥/١٢ .
 (١٢) ينظر : السامرائي ١٠٠ .
 (١٣) الشوري ٢٠ .
 (١٤) السامرائي ١٢٥ .

ذلك أن « النظر في المعجم العربي القديم لا يبصر بهذه العلاقة بين المعنى الحقيقي ، والمعنى المجازي الذي انتهت اليه المادة وخلصت له »^(١) . ففي قوله (م) من خطبة له يصف العرب قبل البعثة : (تَشْرِبُونَ الْكَدْرَ ، وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ)^(٢) الجشِب (هو الغليظ او بلا ادم ... وقد توسع فيه المعاصرون الى الغليظ من العيش وحتى اللباس ، كما توسع فيه القدماء فدل على الغليظ والبشع من كل شيء)^(٣) . وفي قوله (م) يصف المتكبرين : (هُمُ أَسَاسُ الْفُسُوقِ ، وَأَحْلَاسُ الْقُوقِ)^(٤) ، الأحلاس جمع حلس البعير و « هو كساء رقيق يكون على ظهر البعير ملازما له ، فقيل لكل ملازم لشيء هو حلسه »^(٥) . ثم نبه على الاستعمال المعاصر لهذه اللفظة الذي ارتقى بها من التطور الاول في دلالتها وهو التعميم لكل ملازم للشيء الى ما يعرف برقي الدلالة ، فقال : « وفي عربيتنا المعاصرة نقول : هو حلس الدار ، أي الملازم لها ، وفي استعمالنا هذا نقل للاستعمال البدوي القديم الى شيء اخر يتصل بالحضارة »^(٦) .

ولم يقتصر بحث الشراح لظاهرة التعميم الدلالي على الالفاظ المفردة ، بل دلوا على التراكيب التي عمت دلالتها كالتركيب : (قطب الرحي) ، اذ بين البحراني ان « قطب الرحي المسمار الذي تدور عليه ، ثم استعمل في كل اصل ينتهي اليه ويرجع ، فقيل : قطب القوم لسيدهم لكونه عليه مدار امورهم ، وقطب الفلك لنهايتي محوره ... وعليه يدور »^(٧) . وكذا التركيب (بين اظهرهم) ، اذ ذكر الشراح ان عبارة (أقاموا بين أظهرهم) تعني « أقاموا بينهم على سبيل الإظهار والاستظهار والاستناد إليهم ، ثم كثر حتى استعمل في الإقامة بين القوم مطلقا »^(٨) . ويدخل ضمن التراكيب التي اصابتها تعميم في دلالتها (الامثال) وهي كثيرة في متن النهج ، اوضح الشراح تعميم دلالة قسم منها كالمثل (فضح رويدا) وهو في قوله (م) إلى بعض عماله : (فَضَحَّ رُوَيْدًا فَكَأَنَّكَ دَبَلْتَ الْمَدَى)^(٩) ، اذ ذكر الكيدري ان الاصل في هذا التركيب هو « ان الإعراب في باديتها تسير بالظعن ، فاذا عثرت على لمع من العشب قالت ذلك ، وغرضها ان ترعى الابل الضحا ، اي مرعى الضحوة قليلا ، وهي سائرة حتى اذا بلغت مقصدها شبع ، فلما كان من الترفق في هذا توسعوا ، فقالوا في كل موضع : ضح ، بمعنى ارفق »^(١٠) ، وهذا ما ذكره الزمخشري في امثاله^(١١) .

- (١) التطور اللغوي التاريخي ٣٧ .
 (٢) نهج البلاغة الخطبة ٢٦ ص ٥٩ .
 (٣) السامرائي ١١٢ .
 (٤) نهج البلاغة الخطبة ١٩٢ ص ٣٦٥ .

(٥) السامرائي ١٣٤-١٣٥ وينظر : عبده ١٦٦/٢

(٦) السامرائي ١٣٥ وينظر : ١٧٥ و ٢٩٤.

(٧) البحراني ١٢٥/١-١٢٦ وينظر : الخوي ٢٧٨/١ .

(٨) التستري ٢١/١

(٩) نهج البلاغة الرسالة ٤١ ص ٥٢٦ .

(١٠) الكيدري ٤٩٠/٢

(١١) ينظر : المستقصى في الأمثال ١٨٤/١ .

ثالثا : هبوط الدلالة

هو أن « تكون الكلمة في الاصل تدل على معنى محترم ، ولكن ينقص من قدرها تدريجيا فينحط معناها »^(١) ، اي ان اللفظة « تفقد مكانتها بين الالفاظ التي تنال من المجتمع الاحترام والتقدير »^(٢) . وهذا التغير « يصدق على الكلمات التي كانت دلالتها تعد في نظر الجماعة نبيلة ... ثم تحولت هذه الدلالات فصارت دون ذلك مرتبة »^(٣) . وسمى المحدثون هذا الضرب من التطور بابتذال المعنى او انحطاطه . وذكروا أنه اكثر من مقابله رقي الدلالة^(٤) .

ولم يصرح شراح النهج بمصطلح الهبوط الدلالي ، او انحطاط معاني الالفاظ عن اصولها اللغوية ، وانما اشاروا الى حصول تحول بالمعنى نحو الابتذال ، كلفظة (الدوث) التي اشار البيهقي الى انتقال دلالتها من اصلها اللغوي وهو البعير الذي ذلته الرياضة . يقال بعير مدب ، اي : مدلل بالرياضة ، ثم أطلق (الدبوث) على الذي « لا غيره له ، وذلته محارمه حتى تغافل عن فجورهن »^(٥) . ومثلها لفظة (المسالح) التي اشار البيهقي الى انها كانت مستعملة في مواضع السلاح ، ثم « اطلق المسالح على مواضع الخوف »^(٦) . وكذا لفظة (الزخرف) الواردة في قوله (م) : (... وَزُهْدًا فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرَفٍ وَزِيرِجٍ)^(٧) ، إذ قال الرواندي : « اصل الزخرف الذهب ، ثم شبه به كل مموه مزور »^(٨) ، وشايحه سائر الشراح^(٩) . مستدلين على رقي المعنى فيه بقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرَفَهَا وَأَرَبَّتْ ﴾^(١١) ، وعلى هبوط الدلالة بقوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَنَٰوًا شَيْطَٰنِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غَرُورًا وَلَمَّا شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فذرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾^(١٢) . على حين لم ير السامرائي هبوطا في دلالة هذه اللفظة ، وانما اشار الى تعميم دلالتها بقوله : « الزخرف في الاصل للذهب ، ولكنه انصرف الى الزينة عامة »^(١٣) . وأشار البيهقي الى انحطاط دلالة (الهجر) بقوله : « الهجر الافحاش في المنطق ، واصله من الهجر وهو الترك »^(١٤) . وذكر المعتزلي انحطاط معنى (الاسفاف) ليدل على الدخول « في الامر الدنيء ، أصله من اسف الطائر اذا دنا من الارض في طيرانه »^(١٥) . وغير ذلك^(١٦) .

(١) الدلالات اللغوية عند العرب ١٤٣

(٣) علم الدلالة (السعران) ٢٢٨ .

(٢) دلالة الالفاظ ١٥٦ .

(٤) دلالة الالفاظ ١٥٨ وينظر: دراسة المعنى عند الاصوليين ١٨٨ وعلم الدلالة (عمر) ٢٤٨ .

(٥) البيهقي ١١٦ . (٦) نفسه ١١٧ (٧) نهج البلاغة الخطبة ٧٤ ص ١١٤ .

(٨) الراوندي ١٥٤/٣ وينظر: المعتزلي ١٦٦/٦ والتستري ٣٠/١١ وعبد ٥٤/١ وابو الفضل ١٤٢/١ ومغنية ١٠٧/٢

(١١) يونس ٢٤ . (١٢) الانعام ١١٢ .

(١٣) السامرائي ١٩٢ . (١٤) البيهقي ٣٧٦ . (١٥) المعتزلي ١٨٤/١ .

(١٦) ينظر: الكيدري ٢٣٨ /١ وعبد ٣٤/٣ و الخوي ٩٩/١٩ وابو الفضل ١٧٤/٢ والشيرازي ١٢٨/٤ وانصاريان ٧٧/١ .

واشار الشراح الى اثر الاستعمال في الاتجاه بالدلالة نحو المعنى الادنى ، من ذلك ما ذكره الخوي في لفظة (الخوض) ، بقوله: « خاض في الامر دخل فيه ، واصل الخوض دخول القدم فيما كان مايعا من الماء والطين، ثم كثر استعماله في كل دخول فيه اذى»^(١) ، ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يَوْمَعُونَ ﴾^(٢) . وأشار عبده الى غلبة الاستعمال في المعنى المذموم للفظه الاهواء ، وهي « جمع هوى بالقصر ، واصله ارادة النفس وما تميل اليه ، محمودا كان او مذموما ، ثم غلب في الاستعمال على غير الم محمود »^(٣) .

وانماز السامرائي من بين الشراح في الاهتمام بما استقرت عليه دلالة الفاظ النهج في الاستعمالات المعاصرة ، كلفظة (الاقتراف) الواردة في قوله (٤) في خطبته الغراء : (فَانْقُوا الله تَقِيَةً مَنْ سَمِعَ فَخَشَع ، وَأَقْتَرَفَ فَاَعْتَرَفَ)^(٤) ، اذ بين ان دلالة الفعل في المعجمات^(٥) ، تعني : الاكتساب ، من ذلك قول العرب : قرف لعيله، اي : كسب، واقترف الماء، اي : اقتناه . ثم نبه على هبوط دلالة هذه اللفظة في العربية المعاصرة ، لان « الفعل اقترف اختص في العربية المعاصرة بالذنوب والجرائم ، ولم يرد في الخير ، يقال : اقترف جريمة بمعنى ارتكبها ، واقترف ذنبا ، اي ارتكبه »^(٦) . ومثلها (برضخ) في قوله (٤) يصف عمرو بن العاص : (لَهُ لَمْ يَبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ لَهُ أَنْ يُؤْتِيَهُ أُتْبِيَةً ، وَيَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدُّيْنِ رَضِيخَةً)^(٧) ، فقد ذكر السامرائي الدلالة القديمة لهذا الفعل ، وهي العطاء والمنح ، ثم بين انتقالها نحو المعنى المبذول في الاستعمال الحديث ، بقوله : « وهذا الفعل قد تغير في دلالته في العربية المعاصرة فصار يفيد الخضوع ، فيقال : رضخ للامر بمعنى خضع ، واين هذه الدلالة من الاولى الفصيحة؟ »^(٨) . وكذا لفظة (البطر) في كتاب الامام (٤) الى الاشتهر: (وَكُلُّ قَدِ اسْتَرَعَيْتَ هَاهُ ، فَلَا يَشْغَلُكَ عَنْهُمْ بَطْرٌ)^(٩) ، اذ بين السامرائي جنوح هذه اللفظة نحو الابتذال بقوله: « والبطر هو طغيان النعمة ، وهذه الكلمة احتملت في العربية المعاصرة ظلالا خاصة فهو فضلا عن طغيان النعمة الا انها مع شيء باحتقار النعمة الوافرة التي عند صاحبها »^(١٠) . وفي قوله (٤) يصف الملائكة : (... لَاوِيْرَجِعُ بِهِمُ اسْتَهْتَارُ بِلُزُومِ طَاعَتِهِ...) ^(١١) ، اذ جاءت لفظة الاستهتار بمعناها اللغوي^(١٢) ، وهو الولوع المقترن بطاعة الله (عز وجل) . ثم ذكر السامرائي ان هذه الدلالة « لانعرفها في العربية المعاصرة ، وكأن الاستهتار قد تحول الى معنى خاص بالشر ، فهو يعني الاستخفاف بكل ما هو ايجابي ، وعلى هذا يكون الاستهتار الخروج عن المألوف والنظام في السلوك والعادات

- (١) الخوئي ١٧٠/١٢ .
 (٢) الزخرف ٨٣ .
 (٣) عبده ٩٣/١ .
 (٤) نهج البلاغة الخطبة ٨٣ ص ١٢٦ .
 (٥) ينظر: المقاييس ٨٨٢ والمفردات ٦٦٧ .
 (٦) السامرائي ٢٩٩ .
 (٧) نهج البلاغة الخطبة ٨٤ ص ١٣٧ .
 (٨) السامرائي ٦٦ وينظر: المقاييس ٤٠٦ .
 (٩) نهج البلاغة الرسالة ٥٣ ص ٥٦١ .
 (١٠) السامرائي ٨٤ .
 (١١) نهج البلاغة الخطبة ٩١ ص ١٥٩ .
 (١٢) ينظر: الصحاح ١٠٨٦ .

والاخلاق»^(١) . ومن هذه الأمثلة (المخض) الذي ابتذلت دلالاته لاستعماله في المكاره عن طريق الاستعارة ، كما في قول السامرائي : «المخض في الاصل هو مخض اللبن ، اي تحريكه ليخرج زبده ، وقد استعير هذا الفعل فاستعمل في المكاره ، وهي الشدائد وما يكره ، بسبب انها تختبر ايمان اهل الصدق»^(٢) . وقد ذهب المحدثون الى ان اكثر الكلمات التي تنحط دلالتها هي «تلك الدائرة حول الجنس ، والزهو الطبقي ، وما يثير مشاعر الخجل كقطع الملابس الداخلية ، والخوف ، والذعر»^(٣) . اما شرح النهج^(٤) فلم يستعملوا الالفاظ المحظورة عرفا التي تتعلق بالجنس على انها ذات دلالات متحولة الى معان هابطة ، بل تعاملوا معها على انها الفاظ ادت معناها الذي وضعت له ، نحو : الأُر ، والسفاد ، والملاقح ، والاسْت ، وغير ذلك . ومن المحدثين من عد الالفاظ المحظورة (اللامساس) من اشكال التغيير المتسامي ، وهو ابدال الكلمات الحادة بكلمات اقل حدة ، واكثر قبولا نتيجة حساسية في بعض اللغات تجاه الفاظ معينة ترتبط بمعان لا يحسن التصريح باسمها^(٥) ، ولذا يلجا الى التلطف في التعبير بتجنب اللفظ المبتذل الى اخر اكثر استساغة وقبولا عند ابناء المجتمع^(٦) . والتأمل في شكل التطور الحاصل للالفاظ الحساسة ينبيء عن الاتجاه بها نحو الهبوط لانها الفاظ عبر بها عن المعاني المبتذلة في عرف المجتمع ، كلفظة (النكاح) التي تذكر المعجمات اشتقاقها من نكحت الحصة خف البعير^(٧) ، ثم استعملت لتأدية معنى يتحاشى افراد المجتمع ذكر لفظه الصريح .

رابعا : رقي الدلالة

المراد برقي الدلالة هو ما يصيب الالفاظ من قوة دلالية ترفع من شأنها بعد ان كانت تدل على معان ذات دلالة ضعيفة ، واصبحت ما عليه من دلالة قوية محترمة بين الناس ، وتعبير عن الفخامة والقوة^(٨) ، ويسمى هذا الضرب من التطور الدلالي بـ «التغيير المتسامي» ، وفيه تسمو دلالة الكلمة وترتقي بعد ان كانت تدل على معنى ليس فيه دلالة على الرفعة، مثل : دلالة الرسول التي ارتقت الى من بعثه الله تعالى بالرسالة الالهية الى العباد ، بعد ان كانت تطلق على الشخص الذي يرسل من مكان الى اخر^(٩) .

(١) السامرائي ٣٤٧ . (٢) نفسه ٣٢٤-٣٢٥ . (٣) علم الدلالة (السعران) ٢٢٨ وينظر: فقه اللغة وخصائص العربية ٢١٧ .
 (٤) ينظر: البيهقي ١٦٤ ، ٢٧٧ ، ٤٥٥ والراوندي ٣٠٥/١ ، ٣٥٣/١ ، ١٣٨/٢ ، ٥٢/٣ ، والكيدري ٤٠٤/١ ، ٣٧/٢ والمعتزلي ٢٦٩/٩ ، ٢٧٨/٩ والسرخسي ٤٩/١ ، ٨٧/١ ، ١٥٧/١ وعبده ٩٣/٢ ومغنية ٢٢١/١ ، ١٨٢/٢ ، ٤٢٥/٣ والتستري ٧٤/٢ ، ٢٥٤/٤ والسامرائي ٢٦٤ والشيرازي ٣٤٢/١ وأنصارين ٢٣٦/١ ، ١٣٦/٢ .

(٥) ينظر : علم الدلالة (عمر) ٤٠ والاسس النفسية ٢٣٣ .

(٦) ينظر : علم الدلالة (وافي) ١٦٣ ودور الكلمة ١٧٧ و لحن العامة والتطور اللغوي ٨٥ والامساس في العربية ٣ .

(٧) ينظر : ينظر: المقاييس ١٠٤٧ والمفردات ٨٢٣

(٨) ينظر: دلالة الالفاظ ١٥٨ والدلالات اللغوية عند العرب ١٤٣ . (٩) ينظر: دلالة الالفاظ ١٥٨ .

وفي النهج طائفة من الالفاظ التي اشار الشّراح الى ارتقاء معناها عن طريق الاستعمال بعد ذكرهم الاصل اللغوي الذي تطورت منه نحو الرقي . كلفظة (التلقّي) التي وردت في قوله (م) في توبة ادم (م) : (ثم بسط الله سبحانه له في توبته ، ولقاه كلمة رحمته)^(١) . إذ ذكر البحراني أنّ « اصل التلقي ... هو التعرض للقدام ، وضع في موضع الاستقبال للمسيء والجاني ، ثم وضع موضع القبول قال تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَتَلَقَّيَ الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَظِيمٍ﴾^(٢) . ولفظة (الاحتذاء) في قوله (م) : (يحتذون مثالا)^(٤) ، فقد دلّت على الاقتداء ، إذ بين المعتزلي ان الاصل في هذا الاستعمال يأتي من معنى هابط ، وهو من قولهم: «حذوت النعل حذوا ، اذا قدرت كل واحدة على صاحبها»^(٥) . ومن ذلك لفظة (البدائع) التي اشار البحراني الى اثر الاستعمال في تحويل دلالتها نحو المعنى الحسن ، فالبدائع «جمع بديعة ، فعيلة بمعنى مفعولة ، وهي الفعل على غير مثال ، ثم صار يستعمل في الفعل الحسن ، وان سبق اليه مبالغة في حسنه ، فكانه لكمال حسنه لم يسبق اليه»^(٦) . ولفظة (الخطائر) الواردة في قوله (م) يصف مواضع الملائكة في السماء : (وَمَلَأَ بِهِمْ فُورًا جَوْجَاهُ لَأ ، وَحَشَابَ إِهْم تَفُوقَ أَجْهَائِ لَأ ، وَبَيْنَ فَجَوَاتِ تَلْكَ الْفُورِ جَزَجُلُ الْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حَطَائِرِ الْقُدْسِ)^(٧) ، إذ بين الشارح المعتزلي ان «اصل الحظيرة ما يعمل شبه البيت للابل من الشجر ليقبها البرد ، فسّمى (م) تلك المواطن الشريفة المقدسة العالية التي تفوق الفلك خطائر القدس»^(٨) وشايعة فريق من المتأخرين^(٩) . على حين انفرد التستريّ بوجه اخر للربط بين المعنيين الرديء والحسن لهذه اللفظة ، ذاكرا ان الاصل اللغوي للفظه الخطائر هو الحظر ، اي: المنع، ثم ارتقى المعنى نحو مجال الملائكة بعلاقة عللها الشارح بقوله: «وسميت السموات التي هي محال الملائكة خطائر القدس لان الشياطين - وهم اهل الرجس - ممنوعون منها»^(١٠) ، وبغض النظر عن الاصل الذي انطلقت منه اللفظة نحو الرقي ، الا ان المجاز هو المسوغ لهذا الانتقال^(١١) ، لاسيما ان اضافة الخطائر الى القدس كانت قد سوغت لهذا الرقي .

ونبه السامرائي على رقي دلالة (العائلة) في الاستعمال المعاصر فقال : «اعال بمعنى افتقر ، والعيلة هي الفقر والحاجة ، والعائل هو الفقير ، ومن هنا كانت لفظة (العائلة) تدل على الفقر ، وليس كما هو شائع في العربية المعاصرة»^(١٢) .

(٢) النمل ٦

(١) نهج البلاغة الخطبة ١ ص ٢٢

(٤) نهج البلاغة الخطبة ٨٣ ص ١٢٣

(٣) البحراني ٢٢٣/١ .

(٦) البحراني ١٢٥/١ .

(٥) المعتزلي ٢٤٩/٦ وينظر: الخوئي ٣٥٠/٥ .

(٨) المعتزلي ٤٢٦/٦ .

(٧) نهج البلاغة الخطبة ٩١ ص ١٥٥ .

- (٩) ينظر : انصاربان ٢٨٢/١ وعده ٢٠٩/١ وابو الفضل ٩٢/١ . (١٠) التستري ٥٤٩/٣ وينظر : المقاييس ٢٧٢ .
 (١١) ينظر : السامرائي ١١٩ .
 (١٢) نفسه ٢٧٢

خامسا : انتقال مجرى الدلالة

كثيرا ما تتغير دلالة الألفاظ العربية من مجال الى اخر لا على وجه التخصيص او التعميم وانما على وجه المخالفة^(١) ويحصل الانتقال «عندما يتعادل المعنيان»^(٢) الحقيقي والمجازي، «فالمعنى الجديد هنا ليس اخص من المعنى القديم ولا اعم بل هو مساو له، ولذلك يتخذ هذا الانتقال المجاز وسيلة له لما يملكه من قوة التصرف في المعاني»^(٣) ، ويعدّ المجاز هو المحرك للطاقة التعبيرية في اللغة^(٤) ، وبه تبتعد الالفاظ عن الخمول والرتابة بتجدد المعاني^(٥) . والانتقال من مجال الى اخر جانب مهم في تطور الدلالة ، وذلك لتنوعه واشتماله على انواع المجازات والاستعارات . وهو لا يتم الا بتوافر جملة من العلاقات بين المعنى المنقول والمنقول اليه ، «ولذا يحصل بطريقتين : الاستعارة ، اي المجاز الذي علاقته علاقة التشبيه ، والمجاز المرسل ، وهو الذي تكون علاقته غير التشبيهية ، كالسببية ، والحالية ، والمحلية ، و الجزئية ، والكلية»^(٦) وغير ذلك من العلاقات المجازية^(٧) ، وقد نبه القدماء على هذا النوع من التغيير الدلالي ، وذلك في حديثهم عن المجاز وعلاقاته^(٨) .

وقد تجلّى هذا الضرب من التغيير الدلالي لدى شراح النهج من جانبيين : الأول أنهم نظروا للمجاز والاستعارة ببحث مستقل كما في مقدمتي البحراني والخوئي ، اللذين اشترطا في تعريفهما للمجاز وجود العلاقة بين المعنى المنقول ، والمنقول منه ، متابعة منهما لصاحب المحصول^(٩) ، الذي استدرك على سابقه من الاصوليين^(١٠) فاشترط هذا القيد من المناسبة بين المعنيين لحصول الانتقال في المعنى ، وذلك تحرزا من الالفاظ المرتجلة . ولولا هذه العلاقة لكان المجاز وضعاً جديداً . وهذا ما اكد عليه البحراني باشتراطه «ان يكون النقل لمناسبة بين المعنيين ، والا لكان الثاني مرتجلاً»^(١١) .

وقد بين المحدثون اهمية العلاقة الرابطة بين الاصل والفرع ؛ لانها القرينة الدالة على عملية الانتقال الدلالي ، ف «الدليل المشروط في هذا التحول هو بمثابة الصريح على تعمد الباحث عصيان احد بنود العقد في منطوقه

(١) ينظر : التعريفات ٤ ودلالة الالفاظ ٦٠ ودور الكلمة ١٨١ وعلم الدلالة العربي ٣١٤-٣١٥ .

(٢) اللغة (فندريس) ٢٥٦ . (٣) في الدلالة والتطور الدلالي ١٣٢ وينظر : التفكير اللساني ١٨٨ .

(٤) ينظر : قاموس اللسانيات ٤٤ . (٥) ينظر : عوامل التطور اللغوي ٥٧ وكلام العرب ٤١-٤٢ ودلالة الالفاظ ٦١ . (٦)

التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن ٥٦ وينظر : فقه اللغة وخصائص العربية ٢٢٠ وعلم الدلالة (عمر) ٢٤٧ .

(٧) ينظر : علم البيان ، دراسة تاريخية ١١٦-١٢١ والاسس النفسية لاساليب البلاغة العربية ٢١٢ وعلم البيان (عتيق) ١١٩

وفقه اللغة وخصائص العربية ٥٤٣ والمجاز في البلاغة العربية ٦٣ .

(٨) ينظر : الخصائص ٤٦٨/٢ والصاحبي ٤٥ واسرار البلاغة ٢٢ ودلائل الاعجاز ٢٧٧ والمزهر ٣٣٥/١

(٩) ينظر : المحصول ٣٩٧/١/١ .

(١٠) ينظر : المعتمد ١٦/١ وكشف الظنون ٢٠٠/٢ والاعلام ١٦١/٥ .

(١١) البحراني ٥٢/١ وينظر : الخوئي ٢٨/١ .

ومضمونه ، ويقوم الدليل مقام الجسر الرابط بين اختلال توازن انسجة المواضعة والمحافظة على الطاقة البلاغية في الحدث اللساني^(١) . وقد استقصى الشارحان هذه العلاقة المجازية ، فأحصى البحراني منها اثني عشر صنفاً ، على حين احصى الخوئي خمسة وعشرين^(٢) . وقد خص الشارحان علاقة المشابهة بـ (الاستعارة) التي عرفها البحراني بانها « استعمال اللفظ في غير ما اصطلاح عليه في اصل المواضعة التي بها التخاطب لاجل المبالغة في التشبيه^(٣) ، فعلاقة المشابهة هي الفاصل بين المجاز والاستعارة ، اذ يعتمد انتقال الدلالة في الاستعارة على المشابهة بين المدلولين ، على حين يكون انتقال مجال الدلالة في المجاز المرسل لعلاقة غير المشابهة بين المدلولين^(٤) . ونبه البحراني على ان الاستعارة تأتي بالدرجة الثانية بعد المجاز في حصول الانتقال الدلالي ، وذلك في معالجته للفظ (النفس) الواردة في قوله (٤) (يصف من حوله: جَرَعْتُ مَوْنِي نَغَبَ النَّهْمَامِ أَنْفَاسًا)^(٥) ، اذ قال : « انفاًساً مجاز في الدرجة الثانية ، فان النفس حقيقة لغوية في الهواء الداخل والخارج في الحيوان ، ثم استعمل عرفاً لمقدار ما يشرب في مدة ادخال الهواء بقدر الحاجة ، اطلاقاً لاسم المتعلق على المتعلق ، ثم استعمل هاهنا في كل مقدار من الهم يرد عليه من قبل اصحابه وقتاً فوقتاً ، وهي درجة ثانية من المجاز^(٦) . فالاستعارة في هذه اللفظة هي العلاقة الثانية ، المؤدية الى الانتقال المجازي للفظ (النفس) من الهواء المنتفس الى مقدار الهم الواقع عليه (٤) . اما العلاقة الاولى لانتقال المعنى في هذه اللفظة فهي علاقة التعلق التي انتقلت بها اللفظة من معنى الهواء الى النفس الذي يحتاجه الانسان ، فتعاقب على هذه اللفظة انتقالان دلاليان ، وليس انتقالاً واحداً ، فكانت الاستعارة الدرجة الثانية من المجاز كما ذكر البحراني . وخص الخوئي هذه المسألة ببحث مستقل عنوانه (جواز سبك المجاز على المجاز) ، اذ تابع في هذا التجويز ما أقره الزمخشري في أساس البلاغة من تعاقب انتقالين على لفظة واحدة ، وهو ما عبر عنه المحدثون بـ ((قدرة الكلمات على اتخاذ دلالات متنوعة تبعا للاستعمالات المختلفة التي تستعمل فيها ، او على البقاء في اللغة مع هذه الدلالات^(٧) ، اذ يزداد معنى الكلمة تغيراً كلما ازداد استعمالها . وقد مثل الشارح الخوئي لهذه الانتقالات بلفظة (النطح) التي يراد بها «تقابل الكباش ذي القرن مع مثله للمضاربة والتناطح ، ثم اطلق مجازاً على الصيد المظاهر على الصياد المواجه له بعلاقة المشابهة ، فكانه يستقبل الصياد لينطحه بقرنه ، وهو مشؤوم عند الصيادين ، ثم استعمل في الرجل المشؤوم بعنوان الاستعارة ، فيكون مجازاً بمرتبين^(٨) .

(١) التذكير اللساني ١٦٣-١٦٤ وينظر : اصول البيان العربي ٤٢ .

(٢) ينظر : البحراني ٥٣-٥٤ والخوئي ٣٨-٤١ . (٣) البحراني ٦٥/١ وينظر : الخوئي ٩٠/١ .

(٤) ينظر : الصنائع ٢٧٤ واسرار البلاغة ٥١ والاستغناء ٢٩٩ وجواهر البلاغة ٢٩٢ ودور الكلمة ٨٨

- ولحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ٢٨٥ وفقه اللغة (وافي) . (٥) نهج البلاغة الخطبة ٢٧ ص ٦٣
 (٦) البحراني ٣٩/٢ .
 (٨) الخوئي ٤٥/١ .

اما الجانب الثاني في بحث الشّراح هذا النوع من التغير الدلالي ، فيبرز في تلمسهم الفاظ النهج التي اعترها تطوّر دلالي. وفي هذا الجانب ركز الشّراح على مسألتين:

الأولى: هي التنبية على الاصل الاول الذي انتقل منه المعنى ، وبيان نوع العلاقة المؤدية الى هذا الانتقال . وهي سمة اشترك فيها شراح النهج جميعا لأنها تمنح الدارس ثراء وفهما يمكنه من الوقوف على الصلة المعنوية بين الاصل والفرع مما لو درس منقطعا عن جذوره التاريخية . وقد اهتم المحدثون بهذا الاصل ، واطلقوا عليه المعنى الاساسي او المعنى المركزي^(١) . اذ تتفرع منه المعاني الاخرى بنوع من الصلة^(٢) . ولحرص الشّراح على تلمس العلاقة المؤدية الى الانتقال بدلالة اللفظ من مجال الى اخر ، لجؤوا الى التاويل لهذه العلاقة إن استغلق وضوحها لديهم . من ذلك ما بينه السامرائي من انتقال دلالة لفظة (انصاحت) في قوله (م) في الاستسقاء : (قَدِ أَنْصَاحَتْ جِبَالُنَا)^(٣) ، من المعنى الاصلي ، وهو الشق الى معنى الجذب والجفاف ، لعدم ظهور العلاقة المؤدية الى هذا الانتقال ، فصرح السامرائي بالحاجة الى التاويل لاستظهار هذه العلاقة قائلا: «انصاحت ، اي : جفت الجبال وجدبت، والاصل في الفعل انصاح هو بمعنى انشق ، ولا سبيل الى هذا إلا باللجوء الى التاويل توسعا»^(٤) .

وورد عند الشّراح التصريح بمصطلح (نقل المعنى) ، من ذلك انتقال دلالة لفظة (النكس) من السهام الى الضعيف من الرجال كما في قول الخوئي : « النكس اصله في السهام ، ونقل الى الضعيف من الرجال»^(٥) . وقد بين المعجميون العلاقة المسوغة لهذا الانتقال في الدلالة ، بان (النكس) هو السهم الذي انكسر فوقه فجعل اعلاه اسفله ولذلك يكون رديئا ، وبهذه الرداءة شبه به الرجل الدني . وأكثر ما اصطلح الشّراح على (نقل المعنى) بعبارة : (الاصل) ، ثم اصطاحوا على المعنى الجديد الذي انتهت اليه الدلالة بعبارتي : ثم غلب في ، ثم كثر في^(٦) . وبيّن الشّراح (نقل المعنى) من خلال ذكر العلاقات المؤدية لهذه الانتقالات ، ومن ابرز تلك العلاقات التي ذكروها علاقة المجاورة ، كما في لفظة (العذرة) التي تعني «فناء الدار ، وانما سميت تلك الحاجة عذرة ؛ لانها بالافنية كانت تلقى ، فكنى عنها بالعذرة كما كنى عنها بالغائط»^(٧) . وكذا لفظة (الحُجْزة) إذ هي في الأصل «موضع شد الازار ، ثم قيل للازار حجة للمجاورة»^(٨) . ومن العلاقات الأخرى علاقة المشابهة ، كما في لفظة (صياصي) التي انتقلت من القرون ، الى معنى الحصون ، بعلاقة المشابهة في التحصن والامتناع ، اذ بين الشّراح ان « اصل الصياصي القرون، ثم استعير ذلك للحصون ؛ لانه يمتنع بها كما يمتنع ذو القرن بقرنه»^(٩) .

(١) ينظر اللغة المعنى والسياق ٣٥
 (٢) ينظر : فقه اللغة وخصائص العربية ٢٠١
 (٣) نهج البلاغة : الخطبة ١١٥ ، ص : ٢١٥
 (٤) السامرائي ٢٣٧ .
 (٥) الخوئي ٣٧٩/١٩ .

(٦) ينظر للمزيد : المعتزلي ٧٨/٢ والخوئي ١٨٥/١١ والتستري ٤٤٥/٩ وانصاريان ٢٣١/١ . (٧) المعتزلي ١١٩/١٩ .

(٨) انصاريان ٢٠٨/١ وينظر : الراوندي ١٥٦/٢ والتستري ٥٢/٢ والسامرائي ٢٩٧ .

(٩) المعتزلي ٩٠/١٥ وينظر : ابو الفضل ١٤٣/٢ .

ومنها علاقة المصاحبة ، كما في (الحداء) ، اذ بين الشّراح انتقال دلالاته من سوق الابل الى الصوت المصاحب للسوق^(١) ، و(الوغى) الذي هو ((في الاصل كلمة تعرب عن الأصوات الشديدة المتصلة ، ولما اقتربت الحرب بالصوت والضجيج والجلبة تحولت لها فكانت بمعناها))^(٢) . وغير ذلك من العلاقات^(٣) .

وفي شروح النهج امثلة كثيرة للانتقال من المجال الدلالي المحسوس إلى المجرد(المعنوي) أو بالعكس . لكن امثلتهم للانتقال من المجال المحسوس إلى المجرد فاقت أمثلة الانتقال من المجرد إلى المحسوس بنسبة كبيرة . وهذا يوافق ما توصل اليه علم الدلالة الحديث^(٤) الذي يرى ان الاصل الحسي يفترض ان يكون اقدم المعاني واقربها الى ظروف المكان والزمان التي عايشها اهل اللغة^(٥) .

وأمثلة الانتقال الدلالي من المجال المحسوس الى المعنوي انماز البحراني من بين أقرانه بالتصريح بانتقالها . ومنها لفظة (النهج) في (نهج البلاغة) ، اذ ذكر البحراني ان ((نهج البلاغة استعارة لطيفة لهذا الكتاب ، لان النهج حقيقة في الطريق الواضحة المحسوسة ، فوجه المشابهة ان الطريق لما كانت محل الانتقال بالمشي وقطع الاحياز المحسوسة من واحد الى اخر ، كذلك الذهن ينتقل في هذا الكتاب ...))^(٦) . فهذا صريح بأن لفظة (النهج) انتقلت دلالتها من الطريق الذي ينتقل فيه الماشي الى الكتاب الذي تنتقل فيه الافكار . فهو انتقال من المحسوس الى المعنوي . ومنها لفظة (النكت) اذ بين البحراني ان النكت في الأصل ((هو الاثر في الشيء يتميز بعض اجزائه عن بعض ... ومنه رطبة منكتة ، اذا بدا إرطابها ، ثم عدي الى الكلام والامور المعقولة))^(٧) . و(المثاقيل) لدى البحراني ((جمع مثقال ، وهو ما يوزن به الذهب والفضة ، ويكون حذاء لها ، ثم كثر استعماله حتى عدي الى الموزون ايضا، فيقال: مثقال مسك ونحوه، ثم عدي الى الامور المعقولة والمقادير منها ، فقيل : مثقال فضل))^(٨) .

ومن أمثلة الخوئي لهذا الضرب من التطور الدلالي نعته الماديات بعبارة (الاجسام) التي تنتقل بالاستعارة للمعنويات . كقوله في لفظة (الغلظة) : إنها الخشونة ،والاصل في هذا اللفظ ((ان يستعمل في الاجسام، لكن قد يستعار

(١) ينظر : السامرائي ١٢٤

(٢) السامرائي ١٢٦ وينظر : المعتزلي ١٩١/٢ و٧٦/٧ والبحراني ٤٢١/٢ وانصاريان ١٥٠/١ والخوئي ٧١/٤ وابو الفضل ٩٣/١ .

(٣) ينظر : الكيبري ٢٠٢/١ والمعتزلي ١٢٥/١١ .

(٤) ينظر : في اللهجات العربية ٦٥ ودلالة الالفاظ ١٦٥ وفقه اللغة وخصائص العربية ٢٢٢ ومن اسرار اللغة ١٤١ .

(٥) ينظر : الفلسفة اللغوية ٩٧-٩٨ .

(٦) البحراني ١٤٠/١ .

(٧) نفسه ١٢٦/١ .

(٨) نفسه ١٢٤/١ وينظر: ١٣١/١ و ٦٢/٣ و ٤٣٣ و ٣٩١/٥ .

للمعاني كالكبير والكثير، قال تعالى: ﴿ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غَضَبَةً ﴾^(١) ، وقال: ﴿ ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾^(٢) .
وصرح السامرائي بهذا النوع من النقل، ك(الحسم) في قوله (ع): (لَا تُحْسِمُوا أَحَدًا عَنْ حَاجَتِهِ)^(٤) . فالحسم لدى السامرائي يعني « القطع ، ومنه الحسام للسياق ، ولكنه صرف عن القطع المادي الى القطع المعنوي »^(٥) . وصرح البحراني بأن « (المعقول فرع للمحسوس)^(٦) . وهذا ما اقره علم الدلالة الحديث الذي علل هذا النوع من الانتقال برقي الحياة العقلية، « فكلما ارتقى التفكير العقلي جنح الى استخراج الدلالات المجردة وتوليدها ، والاعتماد عليها في الاستعمال »^(٧) . فالمعنى الحسي يمثل المعنى الاصلي للفظ الذي يتفرع منه عن طريق المجاز عدة معان^(٨) . وهذا النوع من النقل في الدلالة يعكس قابلية الالفاظ على التنوع ، ويظهر ما فيها من كوامن معنوية يمكن الإفادة منها^(٩) فالمجاز والاستعارة والكناية تخرج الالفاظ من الجمود والرتابة ، مما يمنحها حيوية وفاعلية^(١٠) .

وقد اهتم الشارح البحراني بإبراز العلاقات المجازية ، والاستعارات التي ينتقل من خلالها اللفظ من مجال دلالي حسي الى اخر معنوي ، ومن ذلك ذكره للعلاقة السببية التي نقلت (القناة)^(١١) من دلالتها على الرمح الى دلالتها على « القوة والغلبة والدولة التي حصلت لهم مجازا، وهو من باب اطلاق اسم السبب على المسبب، فان الرمح او الظهر سبب للقوة والشدة »^(١٢) . وكذا نقلت العلاقة السببية الالفاظ : العين^(١٣) واليد^(١٤) واللسان^(١٥) من دلالتها على (الجوارح) الى دلالتها على العلم تجوزا بلفظ (العين) . والى التعاون بلفظ (اليد) . والى الوعظ بلفظ (اللسان)^(١٦) . ومن تلك العلاقات علاقة المسيبية ، كلفظة (الموت) التي سمي بها الهم « تجوزا بلفظ الموت في الهم والغم ، تسمية للشيء باسم ما يؤول اليه ، واطلاقا لاسم المسبب على السبب »^(١٧) . ومنها - أيضا - علاقة المشابهة كما في (الانغماس) ، فهو « حقيقة في الدخول في الماء ، وما في معناه ، الا ان الحرب لما كانت في غمارها واختلاط المتحاربين فيها تشبه الماء المتراكم الجَم ، صحت نسبة الانغماس اليها ، كما صحت اليه ، فيقال: انغمس في الحرب وخاض فيها ونحوه »^(١٨) وغير ذلك من العلاقات والأمثلة^(١٩) .

(٢) لقمان ٢٤

(١) التوبة ١٢٣

(٤) نهج البلاغة الرسالة ٥١ ص ٥٤٢

(٣) الخوئي ٣٢٥/١٨ .

(٦) البحراني ٥٧/١ . وينظر: نهاية الإيجاز ٥٩ .

(٥) السامرائي ١٢٩ وينظر: ٨٣ .

(٨) ينظر : في اللهجات العربية ١٧١ وكلام العرب ٤٢ .

(٧) دلالة الالفاظ ١٦١ .

(١٠) ينظر: كلام العرب ٢٤٤ ونظرية المعنى ٨٥

(٩) ينظر : علم الدلالة العربي ٣٢٦ .

(١٢) البحراني ٣٧٥/٣ .

(١١) البحراني ٧٤/٢ وينظر : انصاريان ١٤٥/١ .

(١٤) ينظر: نفسه ٢١٠/٢ .

(١٣) ينظر: نفسه ٢١٧/٥ .

(١٥) ينظر: البحراني ٧٤/٢ و ١٤٥/١ .

(١٦) ينظر : الخوئي ٣/١٣ ومغنية ٤٠٩/٥ .

(١٧) البحراني ٣٧/٢ .

(١٨) البحراني ١٣٨/١ و ١٢٧ .

(١٩) ينظر : المعتزلي ١٩٩/١ والبحراني ٤٢٩/٣ والخوئي ١٩٦/١٦ و....

ومن الملاحظ ان اغلب الاصول الحسية التي ذكرها الشراح مأخوذة من حياة الصحراء والبدواة لاسيما (الناقة والجمل) سواء كان الانتقال من هذا المحسوس الى مجال حسي اخر او إلى مجال معنوي ، حتى فاقت نسبتها الثمانين بالمئة من الاصول الحسية . وفي ذلك يقول السامرائي: «وقد امدّ الحيوان وسائر المخلوقات ، العربية بمادة وفيرة استقيدت من علاقة ما، تشبيهاً أو نحو ذلك»^(١) . ومن أمثلة هذا الانتقال لدى الشراح ان (الغرار) وهو قلة النوم ماخوذ من قلة لبن الناقة^(٢) ، و (الاناخة) بمعنى الإقامة اصلها من اناخة الابل على الارض^(٣) ، و (المثافنة) بمعنى المجالسة اصلها من ثفنة البعير ، وهو ما يقع على الارض من اعضائه كالركبتين^(٤) ، و (الدُلج) وهو الثقيل من السحاب اصله من البعير الذي يمشي بالحمل وقد اثقله^(٥) ، و (الضروس) بمعنى الحرب في الاستعمال المعاصر أصله من الناقة السيئة الخلق^(٦) ، و (الرياضة) التي انتقلت من قولهم: راض المهر رياضة اي: ذلّله^(٧) . ولفظة (المسافة) بمعنى « البعد ، واصله من الشم ، وكان الدليل اذا كان في فلاة اخذ التراب فشمه ليعلم اعلى قصد هو ام على جور ، ثم كثر استعمالهم لهذه الكلمة حتى سمو البعد مسافة»^(٨) ، و (المباءة) بمعنى المنزل أصلها « هو الموضع الذي تبوء اي ترجع اليه الابل ، ثم جعل عبارة عن المنزل»^(٩) . ومن النقل الى المعنويات لفظة (الصعب) ، وهو الامر الشاق ، والاصل فيه من البعير المستصعب يركبه الانسان فيغرر به^(١٠) ، و (البلية) بمعنى المشقة والعذاب ، الاصل فيها الناقة التي « تعقل في الجاهلية عند قبر صاحبها فلا تلحف ولا تسقى حتى تموت ويحفر لها حفرة وتترك فيها الى ان تتفرق اجزاؤها»^(١١) ، و (النجاة) بمعنى طاعة الله المؤدية للجنة ، والاصل فيها من الناقة التي ينجى عليها^(١٢) ، و (الوكة) بمعنى الثبات والبقاء ، اصلها من بروك الابل اذا نامت على الارض، ووجه هذا الدوام على الشيء^(١٣) و (الحدو) بمعنى الباعث والمحرض، والاصل فيه ماخوذ من حدو الابل، وهو سوقها^(١٤) ، و (المحافلة) بمعنى المفاخرة بالامتلاء ، والاصل من الحفل وهو امتلاء ضرع الناقة باللبن^(١٥) ، و (الكانفة) بمعنى العاصمة ، والاصل فيها من كنف الابل ، اي : جعلت لها كنيفا ، وهي الحظيرة من الشجر تستتر فيها^(١٦) ، و (القصيدة) بمعنى الكلمة الممتلئة بالمعاني ، والاصل فيها من الناقة القصيدة ، اي كثيرة الشحم واللحم^(١٧) ، و (الوله) بمعنى ذهاب العقل ، واصله من النوق الوالهة ، اي الفاقدة اولادها^(١٨) ،

(١) السامرائي ١١٥ .

(٢) ينظر: المعتزلي ٢٦٦/٦ وابو الفضل ١٥٨/١ والموسوي ٤٨٧/١

(٣) ينظر : التستري ١٥٩/٦ .

(٤) ينظر : السرخسي ٢٦٧/١ .

(٥) ينظر : انصاريان ٢٨٥/١ .

(٦) ينظر : السامرائي ١٩٢ .

(٧) ينظر : نفسه ٦٧ .

(٨) الراوندي ١٠٤/٣ وينظر: التستري ٢٦٣ .

(٩) الخوئي ٢٥٣/١٤ .

(١٠) ينظر: المعتزلي ١٣٣/١٦ وابو الفضل ٢٠٣/٢ .

(١١) البيهقي ٢٢ .

(١٢) ينظر : المعتزلي ٢٣٩/٩ والبحراني ٢٧٢/٣ .

(١٤) ينظر : المعتزلي ٧٠/١٧ والبحراني ١٢٤/١ وانصاربان ٢٥٨/٣ .

(١٦) ينظر : المعتزلي ٢٩٦/٨ وعبد ٢٨/٢ . (١٧) ينظر : البيهقي ٤٥٩ .

(١٣) ينظر : الشيرازي ١٢٦/٣ .

(١٥) ينظر : الخوئي ٢٦٧/١ .

(١٨) ينظر : ابو الفضل ١١٧/١ .

و(السدى) وهي من الابل المهملة بلا راع فانقلت الى اهمال الناس بلا حاكم^(١) ، و(انجابت) من قولهم : انجابت الناقة اذا مدت عنقها للحلب فانقلت الى معنى الخضوع لنور البصائر^(٢) ، و(القريحة) لما يستتبط من الازاء ، والاصل فيها هو اول ما يستتبط من ماء البئر^(٣) ، و(الورطة) بمعنى الهلاك^(٤) ، والاصل فيها من الارض المطمئنة التي لا طريق فيها^(٥) ، و(الوعشاء) بمعنى الصعوبة، والاصل فيها من الرمل اللين السهل الذي تغيب فيه الاقدام^(٦) ، و(الرحيل) بمعنى السفر ، والاصل فيها وضع الرحل استعدادا للركوب^(٧) .

اما الانتقال من المجال المعنوي الى المجال الحسي ، فورد في امثلة قليلة لدى الشراح ، وقد علل المحدثون هذا النوع من الانتقال بإرادة التوضيح الدلالي^(٨) ، اذ يجري فيه تمثيل الصورة الذهنية بمعان حسية بهدف تقريب المعنى الى الازهان^(٩) ، فيكون أكثر رسوخا في النفس^(١٠) . ومن امثلة الشراح لهذا الانتقال^(١١) نكرهم ان اصل (البغي) هو الحسد ، ثم سمي به الظالم ، وهو الخارج على السلطان او قاطع الطريق ؛ لان الحاسد ظالم^(١٢) . وان الاصل في (الجزر) هو «القطع ، ومنه سميت الجزور لما ينحر من الابل»^(١٣) . وأن لفظة (الجأش) تعني (القلب) ، و«الاصل في معناه الاضطراب ، سمي جاشا لاضطرابه»^(١٤) ، ولفظة (الرنق) بكسر النون تعني (الكدر) ، «واصل ذلك في العيش ، ونقل الى المشرب مجازا»^(١٥) ، و (الضريح) بمعنى الشق وسط القبر «وأصله من ضرحه بمعنى دفعه ، وسمي بذلك لعلاقة الحال والمحل ، فان الميت مدفوع الى هناك»^(١٦) . و «اصل اليتيم: الغفلة، ومنه سمي اليتيم لانه يغفل عنه»^(١٧) . ولم تذكر المعجمات هذا المعنى الأصلي ، واكتفت بذكر المعنى العرفي لليتيم وهو من فقد اياه من البشر ، ومن فقد امه من الحيوانات^(١٨) .

(١) ينظر : عبده ١٣٦/١ .

(٢) ينظر : السامرائي ١١٧ .

(٣) ينظر : الراوندي ٣٨٤/١ والمعتزلي ٤١٤/٦ وانصاربان ١٤٢/١ ٢٧٣ والشيرازي ٢٣٧/١ .

(٤) ينظر : الراوندي ٣٤٨/١ والكيدري ٣٩٨/١ والمعتزلي ٢٧٦/٦ والسرخسي ١١/١ والتستري ١٩١/١٢ وابو الفضل ١٦٣/١ .

(٥) ينظر : الصحاح .

(٦) ينظر : الراوندي ٢٦٢/١ والكيدري ٢٩٤/١ والبحراني ١٢٢/٢ وانصاربان ٣٨٣/٢ وابو الفضل ١١٠/١ والموسوي ٣٣٣/١ .

(٧) ينظر : السامرائي ٧١ و ١٧٤ .

(٨) ينظر : دلالة الالفاظ ١٦٠ ودور الكلمة ١٨٦ .

(٩) ينظر : اصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم ٨٦ .

(١٠) ينظر : اساليب البيان في القرآن ٦٥٠ .

(١١) ينظر : البيهقي ٢٢٧ والراوندي ٣٧٢/٢ ، ٢٥٣/٢ ، والكيدري ٥٥٤/١ ، ٣٥٥/٢ ، والمعتزلي ٢٢/٧ والبحراني ٥٣/٤ .

(١٢) ينظر : الخوئي ٢٧١/٥ ، ٢٤٩/٣ ، ٣٣٦/٢٠ ، والتستري ٢٧٤/٨ .

(١٣) ينظر : المقاييس ١٤٢ والمفردات ١٣٦ (١٣) البحراني ٤٠٥/٢ . (١٤) التستري ٥٥٧/١٣ .

(١٥) ابو الفضل ١٥٢/١ . (١٦) الشيرازي ٣١٦/١ وينظر : عبده ١٦٦/١ والسامرائي ٢٣٩ .

(١٧) التستري ٧٧/١١ . (١٨) ينظر : المقاييس ١١٠٩ والمفردات ٨٨٩

على حين قلت الالفاظ التي ذكر الشّراح انتقال معناها من المجال المعنوي إلى آخر معنويّ ، لتقتصر على بضعة أمثلة ، منها لفظة (السفه) التي بين الخوئي ان الاصل فيها منقول من معنى (الخفّة) الى معنى النقص في العقل والقدر ، وبه فسر قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَغْبُ عَن مِّلَّةِ اِبْرَاهِيمَ اِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾^(١) ، اي : جهل قدره^(٢) . ولفظة (الغيّ) التي ذكر الخوئي انتقالها من معنى الجهل من اعتقاد فاسد الى معنى الضلال والانهماك في الباطل ، وبه فسر قوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾^(٣) ، والغيّ هو (العذاب)^(٤) ، ووجه النقل تسمية « الشيء بما هو سببه »^(٥) ، اي : تسمية العذاب بالغيّ ، وهو الضلال المسبب للعذاب .

واغلب النماذج التي اوردها الشّراح للانتقال بالمعنى من المجال الدلالي المجرد لها اصول حسية في معجمات اللغة ، فلفظة (السفه) التي ذكر الشّراح ، اصلها المعنوي و هو الخفة ، نجد اصلها الحسي من قول العرب : تسفّيت الريح ، اذا مالت ... ويقال تسفّيت فلانا عن ماله اذا خدعته كأنك ملت به عنه^(٦) ، وقد المح الراونديّ الى هذا الاصل بقوله : « والسفه : ضد الحلم ، واصله الخفة والحركة ، يقال : تسفّيت الريح الشجر ، اي : مالت به »^(٧) . ولفظة (الغي) بمعنى الجهل من اعتقاد فاسد ، أصلها الحسي هو الغيابة ، وهي الغبرة والظلمة تعشيان ، ويقال : تغايا القوم فوق راس فلان بالسيوف ، كأنهم اظلوه بها ، ويقال : وقع القوم في أغوية ، اي داهية ، وامر مظلم^(٨) . ولفظة (البغي) أصلها المحسوس من قولهم : بغي الجرح ، اذا ترامى الى فساد^(٩) . ولفظة (الجزر) التي ذكر الشّراح انتقالها من القطع ، لها في كلام العرب أصل حسّي هو الجزرة ، وهي « الشاة التي يقوم اليها اهلها فيذبونها »^(١٠) ، والشيء نفسه في لفظة (الجأش) التي أصل لها الشّراح بمعنى الاضطراب ، تذكر لها المعجمات اصلا حسيا ، هو جيشان القدر ، اي غليانها واضطرابها^(١١) ، ولفظة (الضريح) ذكرت المعجمات لها اصلا حسيا من قولهم : فرس ضروح ، وهو النضوح برحله ، وقوس ضروح : الشديدة الدفع للسهم^(١٢) .

ويمكن القول ان ما ذكره الشّراح من اصول معنوية (مجردة) للالفاظ هو في الحقيقة معان عامة دلّت عليها الالفاظ بغض النظر عن اصولها ، حسية كانت ام معنوية؟ وربما يقف تعاقب الاستعمال اللغوي للالفاظ بمعنى معين في كل مرة وراء تعدد القول في الاصول الدلالية للالفاظ ، فتجدد معاني الالفاظ « ناتج من المواضع التي تمثل تشكلا دائما ومستمرًا للغة »^(١٣) ، وانتقال الدلالة من مجال الى اخر « يتم عادة في صورة تدريجية ، وتظل الداللتان سائدتين

(١) البقرة ١٣٠ وينظر الكشاف ٣٢١/١ . (٢) ينظر : الخوئي ٢١١/٣ .

(٣) مريم ٥٩ (٤) ينظر: الكشاف ٥١٤ - ٥١٥ .

(٥) الخوئي ٣٨١/١٩ . (٦) المقاييس ٤٨٢

(٧) الراونديّ ٢٦٧/٢ . (٨) المقاييس ٨٠٦ .

(٩) ينظر : المقاييس ١٤٢ .

(١٠) نفسه ٢١٥ .

(١١) نفسه ٢٣٢ .

(١٢) ينظر : نفسه ٦١٢ .

(١٣) قاموس اللسانيات ٤٤ .

جنبنا الى جنب زما ما خلاله ، وقد تستعمل الدلالة المحسوسة فلا تثير دهشة او غرابة، وتستعمل في نفس الوقت الدلالة المجردة فلا يدهش لها احد . وليست احدهما حينئذ باحق واولى بالاصالة من الاخرى، حتى يمكن ان تعد احدى الدالتين مما يسمى بالحقيقة،والاخرى مما يسمى بالمجاز،اذ لا مجاز ولا حقيقة بينهما في مثل هذا الحال^(١). فبعد كثرة الاستعمال وشيوع اللفظ بين الناس بالمعنى الجديد ، تصبح دلالاته على المدلول الجديد حقيقية لا مجازية^(٢) ، اي ان اللفظة الواحدة تتوالى عليها الحقائق المعنوية مع تعاقب الاستعمال، وهكذا تكثر اصولها الدلالية . ويمكن توضيح ذلك في لفظة (الفجور) التي ذكر الشراح^(٣) لها اصلا معنويا ، وهو الميل عن الصواب ، مستشهدين بقول لبيد^(٤) : **فَإِنْ تَقَدَّمَ تَغَشَّ مِنْهَا مُقَدِّمًا** **فَإِنْ تَقَدَّمَ تَغَشَّ مِنْهَا مُقَدِّمًا** **فَإِنْ تَقَدَّمَ تَغَشَّ مِنْهَا مُقَدِّمًا** **فَإِنْ تَقَدَّمَ تَغَشَّ مِنْهَا مُقَدِّمًا**

ثم ذكروا انتقال دلالة اللفظة الى العاهر والفاسق . وقد فصل ابن فارس الانتقالات الدلالية المتعاقبة على هذا اللفظ بأثر الاستعمال ، اذ بين ان المعنى بدا باصل عام هو « التفتح في الشيء ، من ذلك الفجر انفجار الظلمة عن الصبح ... ثم كثر هذا حتى صار الانبعاث والتفتح في المعاصي فجورا ، ثم كثر هذا حتى سمي كل مائل عن الحق فاجر »^(٥) ، فالاصول تتعاقب على اللفظة بتعاقب الاستعمال عليها لتصبح حقائق دلالية لللفظة ، والمعنى الحقيقي هو المعنى الاصلي لللفظة . لذلك يكون القول بالمعنى العام لللفظة الذي تنفرع منه دلالاتها الحسية والمعنوية هو الحل في حسم القول بالاصول الدلالية للالفاظ .

وأبدى شراح النهج اهتماما واضحا بالتاصيل الدلالي للالفاظ باعتماد المعنى العام لللفظة ، من ذلك لفظة (المدالسة) ، اي : « الخديعة ، يقال : فلان لا يوالس ولا يدالس ، اي : لا يخادع ولا يخون ، واصل الدلس الظلمة ، والتدليس في البيع : كتمان عيب السلعة عن المشتري »^(٦) ، فالمعتزلي يذكر - هنا - الاصل الدلالي لهذه اللفظة ، وهو الظلمة ، وينبئ - أيضا - على المعنى الحسي والمعنوي لهذا الاصل ، وهو كتمان العيب في السلعة ، والخداع^(٧) . ولفظة (التهزيع) في قوله (ع) : (**إِيَّاكُمْ وَتَهْزِيَةَ الْأَخْلَاقِ**)^(٨) ، وردت في كلام الامام (ع) بالمعنى الذهني مع الاخلاق ، وهو « تغييرها ، واصل الهزع : الكسر ، اسد مهزع : يكسر الاعناق ويرض العظام »^(٩) ، فالمعنى الاصلي لللفظة هو معنى عام ، وهو الكسر ، والى جانبه ما تفرع منه من المعنى الحسي الماخوذ من قولهم : اسد مهزع . ومما ذكره المعجميون « تهزعت القناة : اضطربت ، وتهزعت السيف : اضطرب ، وتهزعت الابل في سيرها : اهتزت ، وهزعت العظم : كسرت »^(١٠)

(٢) ينظر : فقه اللغة وخصائص العربية ٢٢١ ودلالة الالفاظ ١٣٠

(١) فقه اللغة وخصائص العربية ٢٢١ .

(٤) ديوانه ٥/٢

(٣) ينظر : المعتزلي ٦٧/١١ والتستري ٤١١/١ .

(٦) المعتزلي ١٧/١٠٩ .

(٥) المقاييس ٨٣٦ .

(٧) ينظر: المقاييس ٩٦٣ .

(٨) نهج البلاغة الخطبة ١٧٦ ص ٣١٨

(٩) المعتزلي ٢٨/١٠ .

(١٠) المقاييس ١٠٧ وينظر: الصحاح ١٠٩٨ .

ومن ذلك لفظة (الضراء) التي ذكر لها السامرائي معنى حسياً هو : شجر الوادي الملتف ، والمعنى الذهني هو الذي يقال لمن يخاتل ويخادع^(١) ، فالضراء : شيء فيما يواري من شجر او غيره ، وهو يمشي له الضراء اذا كان يخاتله ويخادعه^(٢) ، وهذه المعاني الحسية والذهنية يجمعها معنى عام هو (الخفاء) المفهوم من قوله (ي) يصف المنافقين : (قُلُوبُهُمْ نَوِيَّةٌ وَّصِفَاحٌ مَّيِّقَةٌ . يَمْشُونَ الْعَاءَ ، وَيَدْبُونَ الضَّرَاءَ ...)^(٣) ، اذ استدل السامرائي بسباق الخطبة على الدلالة العامة للفظه التي تنفرع منها المعاني الحسية او المعنوية قائلاً: ((... وكانى المح فيه الاستخفاء قبل كل شيء هنا ، ويدل على ذلك العبارة السابقة ، وهي قوله : يمشون الخفاء ، وقد فهم منها الامام محمد عبده : انهم يمشون على هيئة ديبب الضراء ، اي يسرون سرعان المرض في الجسم ، او سريان النقص في الاموال والانفس والثمرات))^(٤) . ومن ذلك - ايضا - لفظة (الضراعة) في قوله (ي) موبخا بعض اصحابه: (أَضَعَ رَأْسَهُ خُودَكُمْ)^(٥) وردت بمعناها المجرد الدال على الازلال ، وتلمس السامرائي لهذه الدلالة معنى عاما هو دلالتها على (النزول) ، بقوله : ((واضرع تعني اذل ، وكان الاضرار هو الخسف ، وهو في حقيقته نزول ، ومن اجل ذلك صرفوه الى الذل))^(٦) وكان ابن فارس قد أورد المعنى العام للضراعة على انه : اللين في الشيء ، ليصلح من خلاله التفرع الى المعنى الحسي والذهني معا ، وهو ذل الرجل من جهة ، وضرع الشاة من جهة اخرى ((سمي بذلك لما فيه من لين ، ويقال : اضرعت الناقة اذا نزل لبنها عند قرب النتاج))^(٧) .

وتفاوت الشراح في تحديد الاصول الحسية والمعنوية للفظه الواحد^(٨) ، من ذلك لفظة (المناقشة) التي ذكر معظم شراح النهج^(٩) انتقالها من المجال المحسوس في قولهم ((نقشت عن الشوكة اذا كشفت عنها اللحم والجلد حتى تستخرج بالمنقاش))^(١٠) الى المعنى الذهني الذي هو محاسبة النفس والجوارح ، حتى قيل : من نوقش الحساب عذب^(١١) ، وعكس التستري الامر قائلاً ((اصل النقش استقصاؤك الكشف عن الشيء))^(١٢) . ومن ذلك لفظة (العسف) التي ذكر معظم الشراح^(١٣) انتقالها من المعنى الحسي وهو أن يأخذ المسافر على غير طريق ولا جادة ، الى المعنى الذهني وهو الجور والظلم^(١٤) . لكن الخوئي ذكر اصلا اخر لهذه اللفظة هو ((ركوب الامر على غير

(١) ينظر: المعتزلي ١٠/١٦٧ .

(٢) ينظر: المقاييس ٦١١ .

(٣) نهج البلاغة الخطبة ١٩٤ ص ٣٨٦

(٤) السامرائي ٢٤١ وينظر: عبده ١/٤٢٦ .

(٥) نهج البلاغة الخطبة ٦٩ ص ١٠٨

(٦) السامرائي ٢٤٠ .

(٧) المقاييس ٦١٤ .

(٨) ينظر للمزيد : الكيروي ٢/١٦٠ والبحراني ١/١٢٤ وانصاريان ٣/٨٧ والخوئي ١/٢٦٨ والتستري ٥٥/ .

(٩) ينظر: البيهقي ٨٣٢ والراوندي ١٣٤/٣ والكيدري ٤٨٩/٢ والمعتزلي ١٦٨/١٦ والبحراني ٨٩/٥ والسرخسي ٢٥٥/١ وعبد ٦٧/٢ والخوئي ٧٤/٢٠ ومغنية ٥٥٩/٣ وأبو الفضل ٢١٥/٢ والشيرازي ١٠٠/٤ والموسوي ٤٤٨/٤ وانصاريان ١٣٨/٣ (١٠) المقاييس ١٠٤٥ . (١١) النهاية ١٠٥/٥ (١٢) التستري ٣٩٠/٨ . (١٣) ينظر: الراوندي ٥٨/٣ والمعتزلي ١٥٤/١٥ (١٤) ينظر: المقاييس ١٠٤٥ والصاح ٧٠٣ . روية ، فنقل الى الظلم والجور»^(١) . ومن ذلك اختلافهم في الاصل الدلالي للفظه (الحكمة) ، فقد ذكر الكيدري ان « اصل الحكمة المنع ، ومنه حكمة اللجام ؛ لانها تمنع الدابة من الاعوجاج»^(٢) ، ونقض الشارح رايه السابق في موضع آخر فقال : « الحكمة : العلم الذي يدفع الانسان عن فعل القبيح ، مستعار من حكمة اللجام»^(٣) ، فذكر اولاً ان حكمة اللجام ماخوذة من معنى المنع، ثم جعلها اصلاً للمنوع، ويلحظ مثل هذا الخلط في تلمس أصل الحكمة لدى شارح آخرين^(٤) .

ومن ذلك لفظه (الوشيجة) التي ذهب معظم الشراح الى ان الاصل فيها حسي ، وهو دلالتها على عروق الشجرة^(٥) ، ومن هذا الاصل انتقلت دلالة اللفظة الى الرحم والقرايات^(٦) ، وخالف التستري ، فذكر ان الاصل الدلالي للفظه هو الاشتباك ، ومنه اخذ المعنى الحسي ، وهو عروق الشجرة^(٧) .

وقد امتد اضطراب الشراح في تاصيل دلالات الالفاظ ليشمل تباين ارائهم في تحديد الاصول الحسية للالفاظ المنتقلة دلالاتها من المجالات الحسية ، من ذلك اختلافهم في تاصيل لفظه (متذائب) في قوله (م) : «لَمْ يَخْرَجْ لِيَّ مِنْكُمْ جَنِيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيْفٌ...»^(٨) ، فقد سبق الشريف الرضي الى بيان معناها بقوله: «متذائب ، اي : مضطرب ، من قولهم : تذاعبت الريح ، اي اضطرب هبوبها ، ومنه سمي الذئب ذئبا لاضطراب مشيته»^(٩) ، وتابع فريق من الشراح الرضي في جعل الاصل الحسي لهذه اللفظة ماخوذ من الريح^(١٠) ، على حين ذهب اخرون الى ان الاصل الحسي للفظه ماخوذ من مشية الذئب^(١١) ، كقول السامرائي: «متذائب اي : مضطرب ، وهو في الاصل ماخوذ من كلمة الذئب المعروف ، لمحا لاضطراب مشيته ، وليس العكس كما ذهب الشريف الرضي في شرحه»^(١٢) . وكذا ذهب أكثرهم الى ان (الشكيمة) منقولة من المعنى الحسي الذي هو «الحديدة المعترضة في اللجام في فم الدابة»^(١٣) الى المعنى المجرد ، وهو الالباء والقوة ، لكن الراوندي رأى أنها «من شكم اذا عض ، فقوله : اشتدت شكيمته ،

-
- (١) الخوئي ٣٨٢/١٨ . (٢) الكيدري ٦٠٣/١ . (٣) نفسه ٦١٣/٢ . (٤) ينظر : المعتزلي ٤٤٠/٦ البيهقي ٤١٢ و ٢٢٣ . (٥) ينظر : المقاييس ١٠٩٣ . (٦) ينظر : الراوندي ٤٠١/١ والمعتزلي ٤٢٩/٦ وعبد ٢١٢/١ والسامرائي ٣٦١ وانصاريان ٢٨٦/١ . (٧) ينظر : التستري ٤٧٤/٢ . (٨) نهج البلاغة الخطبة ٣٩ ص ٨٢ . (٩) المعتزلي ٣٠٠/٢ .

(١٠) ينظر : المعتزلي ٣٠٠/٢ ومغنية ٤٧٢/١ والموسوي ٣٠٣/١ .

(١١) ينظر : البيهقي ١٢٩ والكيدري ٢٨٠/١ .

(١٢) السامرائي ١١٤-١١٥ و ينظر : المعتزلي ١٠٠/٧ والبحراني ٧٩/٥ وعده ٢٤٤/١ والخوئي ٦٦/٢٠ والشيرازي ٩٧/٤ .

(١٣) المقاييس ٥٣٣

إذا ضعفت عضته وصارت نفسه مجربة معضضة صلبة»^(١) . ومن ذلك (الجفاة) إذ اختلف الشّراح بين ان تكون من جفا الثوب يجفو اذا غلظ^(٢) ، او من جفا السرج عن ظهر الفرس ، اذا نبا وارتفع^(٣) ، وعن احد هذين الاصلين انتقلت دلالة اللفظة الى المعنى الذهني وهو الغلظة والفضاضة . ومن ذلك اختلافهم في لفظة (الصريع) ، فمنهم من ذكر ان الاصل الحسي لهذه اللفظة هو الصريع من الاغصان ، وهو ما تهدل منها وسقط الى الارض ، ثم انتقلت الى القتل^(٤) ، ومنهم من ذهب الى ان « اصل الصرع الطرح على الارض »^(٥) . ومن ذلك اختلافهم في لفظة (العقب) التي انتقلت دلالتها الى معنى المتابعة والموالاة ، فمنهم من ذكر ان الاصل الحسي لها من قولهم : « جاء زيد يطا عقب عمرو ، والمعنى : كلما رفع عمرو قدما وضع زيد قدمه مكانها »^(٦) . ومنهم من ذهب الى ان العقب « اصله جرى الفرس بعد جريه ، يقال : لهذا الفرس عقب حسن »^(٧) . ومن ذلك لفظة (الشموخ) التي انتقلت دلالتها الى العلو ، فمنهم من ذهب الى انها منقولة « من شمش الجبل اذا ارتفع »^(٨) ، ومنهم من ذهب الى ان الاصل فيها من « شمش بانفه ، اي تكبر »^(٩) .

ومن هنا نجد دعوات بعض المحدثين الى اقصاء القول بالاصل الحسي ، او المعنوي في دلالات الالفاظ ، ليستبدل به القول بدلالة اللفظ على معنى عام مستحصل من ائتلاف أصواته مع بعضها ، ومن هذا المعنى العام تتفرع المعاني الحسية او المعنوية بحسب الاستعمال اللغوي لها ، وبذا يتسع مجال اللغة ولايقف عند الصحراء ، والجمال ، والبدواة ، بل يتعداه ليشمل جوانب البيئة اللغوية العربية كلها من بدواة وتحضر^(١٠) ، وهي دعوى نجد جذورها التطبيقية لدى ابن فارس في المقاييس والمجمل ، والراغب في المفردات .

(١) الراوندي ٤٤٢/١ .

(٢) ينظر : المعتزلي ١٠٧/٨ و الخوئي ٢١١/١٥ .

(٤) ينظر : الخوئي ١٤٦/٧ .

(٣) ينظر : العين ٣٠١/١ .

(٥) الموسوي ٣٧٤/١ .

(٦) الخوئي ٣٥٠/٥ .

(٧) المعتزلي ٢٤٨/٦ وينظر : عبده ١٦٥/١ وابو الفضل ١٥٣/١

(٨) انصاريان ٢٩٢/١ .

(٩) المعتزلي ٤٤٠/٦ .

(١٠) ينظر : الحل القسدي ٢٤٦ و ٢٤٩ واللغة الموحدة ٢٨٧ والنظام القراني ١١٨

الخاتمة

أسفر البحث في هذا الموضوع عن عدة من النتائج والتوصيات ، أهمها :

- نهج البلاغة سفر جليل كان ولما يزل ميدانا خصبا تتبارى فيه افكار طالبي العربية وعقولهم ، والنظر فيه يورث المروءة والشجاعة والعفة ؛ لانه من لدن رجل هو من الرسول (صلى الله عليه وآله) بمنزلة هارون من موسى .
- شراح نهج البلاغة جاوز عددهم المئتين عبر القرون ، وما وصل اليها من شروحهم قليلا بعد ان اتى الزمن على كثيرها ، وتعد الشروح التي وصلت اليها من اغنى كتب المكتبة العربية عناية بفنون العربية ، وتتبع اهميتها من اهمية نهج البلاغة الذي هو فوق كلام المخلوقين ودون كلام الخالق . وهذه الشروح لم يعرف بعضها لدى طالبي العربية ، وهذه دعوى لدرسها لغويا ، ومنها شرح الراوندي وشرح الكيدري ، وشرح البحراني ، وشرح التستري .

- اختط كل شارح منهجه الى متن النهج ، فقد نحا الراوندي في شرحه منحى لغويا فقهيا مع ميل الى الاختصار على حين طغى السرد التاريخي على شرح المعتزلي مع ميل الى التفصيل والتوسع في شتى الفنون والمعارف ، والاهتمام بعقيدة الاعتزال وكثرة الرد على الراوندي . وطبع شرح البحراني بطابع فلسفي مع ميل الى اقتفاء اثر المناطق الاصوليين في انتقاء الالفاظ وتبويب الكلام . وتباين الشراح اللاحقون في اقتفاء اثر سابقهم ، فقد تابع الكيدري الراوندي ، على حين شايح عبده وانصاريان وابو الفضل المعتزلي ، وجمع المتأخرون كالحوئي والشيرازي ومغنية والموسوي سبل السابقين رغبة في الاجتهاد الشخصي ، على حين برز التستري بمنهج مستقل عن السابقين ، فاختار المنهج الموضوعي في شرح متن النهج ، وهو من اكثر الشراح ردا على المعتزلي والانتصار للراوندي .
- تعددت طرق الشراح في تناول متن النهج من حيث : توثيق متنه والاستدراك على جامعته ، وتوجيه رواياته ، وتتبع مصادره قبل الرضي وبعده ، وتصحيح متنه من خلال المقابلة بين نسخه وذكر مناسبة الخطب واسمائها وغير ذلك .

- اجتهد الشراح في بيان اثر النهج في التراث العربي الاسلامي من حيث : اثره في تفسير القرآن الكريم ، وفهم القصص القرآني والحديث الشريف والفلسفة الاسلامية . ثم تلمس اثر النهج في الادب العربي والبلاغة العربية والنحو العربي والمعجم العربي والتصحيح اللغوي والعلم الحديث .
- كان شراح النهج من اشد المناصرين له ازاء الشبهات التي حامت حوله ، ومنها : شبهة ذم الصحابة ، والسجع ، والنزعة الفلسفية ، والانبياء بالغيب ، وغير ذلك .

- يكاد يتفق الشراح في عرضهم البحث الدلالي في شروحهم ، وامارة الاتفاق بينهم انهم خلطوا في الجانب التطبيقي ما بين اعتبارية العلاقة بين الدال والمدلول وقصدية تلك العلاقة .
- انماز الشارحان البحراني والخوئي بالتنظير المفصل لمبحث دلالة الالفاظ ، وعلاقة الدال بالمدلول وذلك في مقدمتيهما اللتين جاءتا زاخرتين بالتعريف بالمباحث الدلالية من حيث : تقسيم الالفاظ ، وعلاقة اللفظ بالمعنى وذكر انواع الدلالات ، ثم برزوا حدود الترادف والمشتراك والتضاد والحقيقة والمجاز والتطور الدلالي .
- نحا البحث منحى قصديا في توثيق العلاقة بين الدال والمدلول وفي فنون اللغة جميعها : الصوتية ، والصرفية ، والنحوية ، والمعجمية ، وفي هذا المقام يوصي البحث باعادة درس هذه المباحث على وفق المنهج القسدي للغة الذي ارسى قواعده المفكر العراقي عالم سبيط النيلي .
- وثق الشراح طبيعة العلاقة بين الصوت والمعنى في مواضع متفرقة من شروحهم لاسيما في التعاقب الصوتي بين الكلمات التي تشترك في نوع اصواتها عدا صوت واحد نحو : (وخز ، وكز) ، (لطم ، لدم) الخ . فضلا عن تلمس المعاني المختلفة بين الالفاظ المتشابهة تبعا لتعاقب الصوائت القصيرة عليها ، نحو : (جهد ، جهد) ، (خبر ، خبر) الخ .
- توقف الشراح عند ظاهرة التكرار الصوتي بين الالفاظ ، نحو : (الشقشقة) ، و (الجرجرة) ، و (الذدعة) ، و (الهمهمة) الخ . واجتهد بعضهم في قرن معنى اللفظة العام بطبيعة التكرار الصوتي لاصواتها .
- المح الشراح الى ما يفيد الاداء الصوتي لمتن النهج من دلالة يفهم بها معنى النهج ، كالنبر ، والتنغيم ، والفصل ، والوصل على الرغم من انهم لم يسموا هذه الظواهر الصوتية باسمائها التي عرفت لدى المحدثين .
- عني الشراح بتتبع معاني الابنية الصرفية عناية واضحة شملت الابنية الاسمية والفعلية ، اذ توالى اقوالهم في اقرار معاني الابنية الاسمية المجردة والمزيدة بحرف ، او المزيدة بحرفين فاكثر ، فضلا عن تلمس معاني ابنية الافعال الواردة في النهج وهي كثيرة ومتنوعة . وقد حاول البحث التوفيق بين اقوال الشراح المتعددة في البناء الواحد لتوجيهها الى دلالة واحدة ، فلا نيابة صرفية بين بناء واخر ، ولا دلالات متعددة للبناء الواحد .
- عني الشراح بدلالة الالفاظ الواردة في النهج كما يسوقها المعجم العربي ، فنبهوا على الالفاظ المترادفة ، وتلمس بعضهم فروقا لغوية بينها ، و اشاروا الى ما جاء مشتركا منها او متضادا ، وتتبع بعضهم مسيرة اللفظة في سبيل العربية وتطورها من معنى الى اخر هبوطا او رقيا ، ضيقا او اتساعا ، وغير ذلك . وقد انفرد السامرائي من بين الشراح المتأخرين بتتبع التطور التاريخي للالفاظ والتنبيه على الاستعمال المعاصر لها .
- عني الشراح بإعراب متن النهج ومن ثم زخرت شروحهم بمعاني النحو العربي من حيث : دلالة تعاقب حركات الإعراب على اللفظة الواحدة تبعا للروايات العديدة ، ودلالة التراكيب المختلفة بسبب التقديم والتأخير ، والتعريف

والتنكير ، والفصل والوصل ، وعود الضمائر ، والحذف والذكر ، وغير ذلك . واكثر ما جلب انتباه الشراح في الجانب النحوي هو عنايتهم بابرار معاني الادوات والحروف في متن النهج . وفي هذا المقام خلص البحث الى ان لكل اداة معنى رئيسا مهيمنا على ورودها في اي سياق ترد فيه ، فلا تتعدد دلالة الاداة الواحدة ، ولا تتضمن الاداة معنى اداة اخرى .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

[حرف الألف]

- انتلاف النصره في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة : عبد اللطيف الشرجي الزبيدي (٨٠٣هـ) ، تحقيق الدكتور طارق الجنابي ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٧ .
- أبحاث في أصوات العربية : د.حسام سعيد النعيمي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٩٨ م .
- أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية : د . رشيد العبيدي ، مطبعة التعليم العالي ، بغداد ١٩٨٨ م .
- ابراهيم السامرائي وجهوده في اللغة والتحقيق : علي حسين عبد الحسين السراي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القادسية ٢٠٠٣ م .
- ابن الأعرابي مع دراسة وتحقيق كتاب النوادر وجمع مروياته : كامل سعيد عواد ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ١٩٧٦ م .
- أبنية الصرف في كتاب سيبويه : دخديجة الحديثي ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .
- أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة : د. احمد مكي الانصاري ، مصر ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي (٩١١ هـ) تح: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط١، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني ، مصر ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .
- أثر التشيع في الأدب العربي : محمد سيد كيلاني ، لجنة النشر للجامعيين ، القاهرة ، ١٩٤٧ .
- أثر الوقف على الدلالة التركيبية : د.محمد حبلص ، دار الثقافة ، الأردن ، ١٩٩٣ م .
- الإحكام في أصول الأحكام : سيف الدين علي بن محمد الامدي (٦٣١هـ) ، مطبعة المعارف ، مصر ، ١٩١٤ م .
- أحكام القرآن : أبو بكر احمد بن علي الرازي الجصاص (٣٧٠هـ) ، ضبطه وخرج آياته عبد السلام محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت) .
- إحياء علوم الدين : ابو حامد محمد بن محمد الغزالي (٥٠٥هـ) ، دار الحديث ، مصر (د.ت) .
- إحياء النحو : ابراهيم مصطفى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥١ م .
- أدب الكاتب : ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦ هـ) تحقيق وضبط وشرح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط ٤ ، مطبعة السعادة ، مصر ١٣٨٢ / ١٩٦٣ م .
- الأدوات النحوية وتعدد معانيها الوظيفية : د . أبو السعود حسنين الشاذلي ، مكتبة دار العلوم ، جامعة القاهرة ، الطبعة الاولى ١٩٨٩ م .
- ارتشاف الضرب من لسان العرب : أبو حيان اثير الدين محمد بن يوسف الاندلسي (٧٤٥ هـ) تح: احمد مصطفى النماس ، الطبعة الأولى ، مطبعة المدني ، مصر ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م .
- ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم : ابو السعود محمد بن محمد العمادي (٩٨٢ هـ) ، ط٤ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .
- ارشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الاصول : محمد بن علي الشوكاني (١٣٥٠ هـ) ، ط١، مطبعة مصطفى البابي ، مصر ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م .
- الازهية في علم الحروف : علي بن علي النحوي الهروي (٤١٥هـ) ، تحقيق عبد المعين الملوح ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .
- أساس البلاغة : أبو القاسم محمد بن عمر جار الله الزمخشري (٥٣٨ هـ) تقديم د. محمود فهمي حجازي الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ٢٠٠٣ م .

- أساليب البيان في القرآن : السيد جعفر الحسيني ، ط ١ ، طهران ١٤١٣ هـ .
- اسباب اختلاف الفقهاء في الاحكام الشرعية : مصطفى ابراهيم الزلمي ، الدار العربية ، ط ١ ، ١٩٧٦ م .
- الاستغناء في احكام الاستثناء : احمد بن ادريس بن عبد الرحمن القرافي (٦٨٢هـ) ، تحقيق طه محسن ، مطبعة الارشاد ، بغداد ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- استناد نهج البلاغة : امتياز علي مرعشي ، الهند ، ١٩٥٣ .
- أسرار البلاغة : عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (٤٧١هـ او ٤٧٤هـ) ، قرأة وعلق عليه ابو فهر محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، الطبعة الاولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .
- اسرار العربية : أبو البركات كمال الدين الانباري (٥٧٧هـ) ، تحقيق محمد بهجة البيطار ، مطبعة الترقى ، دمشق ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م .
- اسس علم اللغة : ماريوباي ، ترجمة د. احمد مختار عمر ، ط ٨ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٨ م .
- الاسس النفسية لأساليب البلاغة العربية : د. مجيد عبد الحميد ناجي ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٨٤ م .
- اسم المفعول في نهج البلاغة / دلالاته وما ينبوع عنه : د. كاطع جارالله سظام ، بحث مقبول للنشر في مجلة الأستاذ ، كلية التربية / ابن رشد .
- الاشباه والنظائر في القرآن الكريم : مقاتل بن سليمان البلخي (١٥٠هـ) ، تحقيق د. عبد الله محمود شحاتة ، القاهرة ١٩٧٥ م .
- اشتات مجتمعات في اللغة والادب : عباس محمود العقاد ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٣ م .
- إصلاح المنطق : ابن السكيت (٢٤٤هـ) شرح وتحقيق : احمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، مصر ١٩٤٩ م .
- أصوات العربية بين التحول والثبات : د. حسام النعيمي ، المكتبة الوطنية ، بغداد ١٩٨٦ م .
- الأصوات اللغوية : د. ابراهيم انيس ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٢ م .
- الأصوات ووظائفها : محمد منصف القماطي ، منشورات جامعة الفاتح ، ليبيا ، ١٩٨٦ .
- الأصول : محمد بن احمد بن سهل السرخسي (٤٩٠هـ) ، تحقيق ابي الوفا الافغاني ، مطبعة دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٣٧٢ هـ .
- أصول البلاغة : كمال الدين ميثم البحراني (٦٧٩هـ) ، تحقيق د. عبد القادر حسين ، دار الشروق ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم : د. محمد حسين علي الصغير ، دار المؤرخ العربي بيروت ١٤٢٣ هـ / ١٩٩٩ م .
- الاصول دراسة إستراتيجية للفكر اللغوي عند العرب : د. تمام حسان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٨٨ م .
- أصول الفقه : بدران ابو العينين بدران ، مطبعة دار المعارف الاسكندرية ١٩٦٩ م .
- أصول الفقه : محمد رضا المظفر ، النجف ، ١٣٥٦ هـ - ١٩٦٦ م .
- أصول الفقه الاسلامي في نسيجه الجديد : د. مصطفى ابراهيم الزلمي ، دار الحكمة ، بغداد ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .
- الأصول في النحو : ابن السراج ابو بكر بن محمد بن سهل البغدادي (٣١٦هـ) تحد : د. عبد الحسين الفتلي ، مطبعة النعمان ، النجف الاشرف ١٩٧٣ م .
- أصول الكافي : محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ) ، دار المرتضى ، بيروت ، ١٤٢٦ هـ .
- الأضداد : محمد بن المستنير قطرب (٢٠٦هـ) ، تصحيح : هانس كوفلر ، مطبوع ضمن مجلة (اسلاميك) ، المجلد الخامس (د. ت) ١٩٣١ م .

- الأضداد : عبد الملك بن قريب الأصمعي (٢١٣هـ) ، ضمن ثلاثة كتب في الاضداد ، نشر الدكتور اوغست هفتر ، بيروت ١٩١٣ م .
- الأضداد : أبو يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت (٢٤٤هـ) ، ضمن ثلاثة كتب في الاضداد .
- الأضداد : لابي حاتم سهل بن محمد السجستاني (٢٥٥هـ) ، ضمن ثلاثة كتب في الاضداد .
- الأضداد : ابو بكر محمد بن القاسم بن الانباري (٣٢٨هـ) تح : محمد أبي الفضل إبراهيم ، الكويت ١٩٦٠ م .
- الأضداد : الشيخ العلامة الحسن بن محمد الصاغاني الحنفي ، تحقيق محمد عبد القادر احمد ، دار النهضة ، مصر ١٩٩١ م .
- الأضداد في كلام العرب : ابو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (٣٥٥هـ) ، تحقيق د. عزة حسن ، مطبوعات المجمع العلمي العربي - دمشق ١٣٨٢-١٩٦٣ م .
- الأضداد في اللغة : ابن الدهان (٥٦٩هـ) ، تحقيق محمد حسين ال ياسين ، النجف ١٩٧٢ م .
- الأضداد في اللغة : د: محمد حسين ال ياسين ، مطبعة دار المعارف ، بغداد ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .
- أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقران : محمد الامين الشنقيطي (١٣٩٣هـ) وتتمته لتلميذه عطية محمد سالم ، اعتنى به الشيخ صلاح الدين العلايلي ، ط ١ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ١٩٩٦ م
- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة : د. نايف خرما - مطابع اليقظة - المجلس الوطني للثقافة والفنون - الكويت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٩ م .
- الاعجاز البياني في القرآن الكريم ومسائل بن الازرق : د . عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء) ، دار المعارف ، مصر ١٩٧١ م .
- إعجاز القرآن : لابي بكر محمد بن الطيب الباقلائي (ت٤٠٣هـ) ، تحقيق السيد احمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٤ م .
- إعراب القرآن : ابو جعفر احمد بن محمد بن النحاس (٣٣٨هـ) وضع وتعليق : عبد المنعم خليل ابراهيم ، ط١ ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢١هـ / ٢٠٠١ م .
- أعلام نهج البلاغة : علي بن ناصر الحسيني السرخسي (ت القرن السابع الهجري) ، طهران ، ١٣٦٦هـ .
- الأعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين : خير الدين الزركلي ، الطبعة الخامسة ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٠ م .
- أعيان الشيعة : السيد محسن بن عبد الكريم العاملي الامين (ت ١٩٥٢ م) ، تحقيق حسن الامين ، الطبعة الثانية ، مطبعة الانصاف ، بيروت ١٩٦٣ م .
- الأفعال : أبو عثمان سعيد بن محمد المغافري السرقسطي ، اعداد الدكتور حسين محمد محمد شرف ، مراجعة الدكتور محمد مهدي علام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .
- اقسام الكلام من حيث الشكل والوظيفة : د. فاضل مصطفى الساقي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧ م .
- الأمالي : أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (٣٥٦هـ) ، دار الفكر (د.ت) .
- امالي ابن الحاجب : لابي عمرو عثمان بن الحاجب النحوي(٦٤٦هـ) ، دراسة وتحقيق د. فخر الدين صالح سلمان قدارة ، دار عمار ، عمان ١٩٨٩ م .
- امالي المرتضى . غرر الفرائد ودرر القلائد : الشريف المرتضى : علي بن الحسين الموسوي (٤٢٦هـ) ، تح : محمد أبي الفضل ابراهيم ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧ م .
- الامالي الشجرية : أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسيني المعروف بابن الشجري ، (ت٥٤٢هـ) ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت (د.ت) .
- أمراء البيان : محمد كرد علي ، دار الأمانة ، ط ٣ ، بيروت ، ١٩٦٩ .

- **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين** : ابو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن ابي الوفاء بن عبيد الله الانباري (٥٧٧هـ) ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف لمحمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ١٩٦١ .
- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** : القاضي ناصر الدين ابو سعيد عبد الله بن عمر البياضوي (ت ٧٩١هـ) ، تح: عبد القادر عرفات العشا حسونة ، دار الفكر ، بيروت ١٩٩٦ م .
- **أوزان الفعل ومعانيها** : د. هاشم طه شلاش - مطبعة الاداب - النجف الاشرف ١٩٧١ م .
- **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك** : جمال الدين عبد الله بن يوسف بن احمد بن هشام الانصاري (ت ٧٦١هـ) ، تقديم ووضع : د. اميل بديع يعقوب ، الطبعة الثانية ، منشورات : محمد علي بيضون .
- **الإيضاح في شرح المفصل** : أبو عمرو عثمان بن الحاجب (٦٤٦هـ) ، تحقيق وتقديم د. موسى بناي العليبي ، منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الدينية ، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٨٢ م .
- **الايضاح في علل النحو** : ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي (٣٣٧هـ) تح: مازن المبارك ، الطبعة الرابعة ، دار النفائس ، بيروت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ م .
- **الايضاح في علوم البلاغة** : المعاني والبيان والبديع : الخطيب القزويني جلال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن (٧٣٩هـ) ، تقديم د. علي ابو ملحم ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٩١ م .
- **ايضاح الوقف والابتداء** : لابي بكر بن الانباري (٣٢٨هـ) ، تحقيق د. محيي الدين عبد الرحمن رمضان ، دمشق ١٣٩١هـ / ١٩٧٢ م .

[حرف الباء]

- **البحث الدلالي عند الشوكاني في كتابه ارشاد الفحول** : محمد عبد الله علي سيف ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، الجامعة المستنصرية ، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩ م .
- **البحث الدلالي عند المعتزلة** : علي حاتم الحسن ، اطروحة دكتوراه ، الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ١٩٩٩ م .
- **البحث الدلالي في ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم** : أبو السعود (٩٨٢هـ) ، زينب عبد الحسين السلطاني ، رسالة دكتوراه ، جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات ٢٠٠٥ م .
- **البحث الدلالي في التبيان في تفسير القران** : لابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠هـ) ، اطروحة دكتوراه ، ابتهاج كاصد ياسر الزيدي ، جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات ٢٠٠٤ م .
- **البحث اللغوي عند العرب** : د. احمد مختار عمر ، الطبعة الثانية ، مطبعة اطلس ، القاهرة ١٩٧٦ م .
- **البحث النحوي عند الاصوليين** : مصطفى جمال الدين ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ١٩٨٠ م .
- **البحر المحيط في التفسير** : أبو حيان محمد بن يوسف الاندلسي (ت ٧٤٥هـ) ، عناية : الشيخ زهير جعيد ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٥ م .
- **بحوث لغوية** : د. احمد مطلوب ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، الطبعة الاولى ١٩٨٧ م .
- **بحوث ومقالات في اللغة** : د. رمضان عبد التواب ، الطبعة الثانية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٨٨ م .
- **بدائع الفوائد** : أبو عبد الله محمد بن ابي بكر بن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) ، تحقيق هاني الحاج ، تصحيح وتعليق دار التوفيقية للطباعة ، القاهرة (د.ت) .
- **البداية والنهاية** : أبو الفداء اسماعيل بن كثير دمشقي (٧٧٤هـ) ، الطبعة الثانية ، مكتبة المعارف ، بيروت ١٩٧٧ م .
- **البرهان في اصول الفقه** : أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني (٤٧٨هـ) ، تحقيق د. عبد العظيم الديب ، الطبعة الثانية ، دار الانصار ، القاهرة ١٤٠٠هـ .
- **البرهان في علوم القران** : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ) تح: محمد أبي الفضل ابراهيم ، الطبعة الأولى ، دار إحياء الكتب العربية - مصر ١٩٥٨ م .

- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) ، تحقيق محمد علي النجار ، القاهرة ١٩٦٩م .
- البغداديات ، المسائل النحوية المشككة المعروفة بالبغداديات : أبو علي الفارسي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار (ت ٣٧٧هـ) ، تحقيق ودراسة صلاح الدين السنكوي ، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٨٣م .
- البلاغة وقضايا المشترك اللفظي: د . عبد الواحد الشيخ ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر ١٩٨٦م .
- بنية العقل العربي دراسة تحليلية لنظم المعرفة في الثقافة العربية : د. محمد عابد الجابري ، الطبعة الثانية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٨٧م .
- بنية اللغة الشعرية : جان كوهين ، ترجمة محمد المولى ومحمد العمري ، الطبعة الاولى ، دار توبقال ، الدار البيضاء ١٩٨٦م .
- بهج الصياغة في شرح نهج البلاغة : الشيخ محمد تقي بن كاظم التستري (هـ ١٤١٥هـ) ، منشورات مكتبة الصدر ، طهران ، (د . ت) .
- البهجة المرضية في شرح الألفية : جلال الدين السيوطي ، دراسة وتحقيق على سعد الشتيوي ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، السلسلة ١٧ ، ١٩٩٥م .
- البيان في غريب اعراب القران : ابو البركات الانباري (ت ٥٧٧هـ) - تح: د. طه عبد الحميد طه - مراجعة : مصطفى السقا - دار الكتاب العربي- مصر ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
- البيان والتبيين : ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) - تح : عبد السلام محمد هارون - الطبعة الخامسة - مكتبة الخانجي للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٨٥ م .
- [حرف التاء]**
- تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣هـ : الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣ هـ) ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، (د.ت) .
- تاريخ علوم اللغة : طه الراوي ، الطبعة الاولى ، مطبعة الرشيد ، بغداد ١٩٤٩ م .
- تأويل مشكل القران : ابن قتيبة ، شرح ونشر : السيد أحمد صقر ، الطبعة الثالثة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- التبصرة والتذكرة : أبو محمد عبد الله بن علي بن اسحاق الصيمري (ت ق ٤هـ) ، تحقيق فتحي أحمد مصطفى ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٢م .
- التبيان في اعراب القران : ابو البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ) تح: علي محمد البجاوي - دار احياء الكتب العربية - (د.ت) .
- التبيان في تفسير القران : ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ) تح: أحمد شوقي الامين وأحمد حبيب قصير - المطبعة العلمية ، ومطبعة النعمان - النجف الاشرف ١٩٥٧م .
- تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية التي صنفها نجم الدين بن علي القزويني المعروف بالكاتب (ت ٤٩٣هـ) : شرح قطب الدين محمود بن محمد الرازي (ت ٧٦٦هـ) ، (د.ت) .
- تحف العقول عن آل الرسول : الشيخ الحسن بن علي بن شعبة الحراني (ت ٣٣٦هـ) ، دار المرتضى ، بيروت
- التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة : د. محمود عكاشة ، مصر ، ٢٠٠٥م .
- التراث اللغوي العربي وعلم اللغة الحديث : حسام البهنساوي ، الطبعة الاولى ، الناشر : مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة ١٢٢٥هـ/ ٢٠٠٤م .
- التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري : د. وليد قصاب ، دار الثقافة ، الدوحة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- الترادف : علي الجارم مجلة مجمع اللغة العربية ع ٣٠٩/١ ، ١٩٣٥م .

- الترادف في اللغة : حاكم مالك لعبيبي الزيايدي- دار الحرية للطباعة – بغداد – ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
- ترجمة الإمام علي (ع) : احمد زكي صفوة ، مطبعة العلوم ، ١٩٣٢م .
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك ، تحقيق محمد كامل بركات ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .
- التشكيل الصوتي في اللغة العربية / فونولوجيا العربية : د. سلمان العاني ، ترجمة الدكتور ياسر الملاح ، الطبعة الاولى ، جدة ١٩٨٣م .
- تصحيح الفصح : عبد الله بن جعفر بن درستويه (ت٣٤٧هـ) – تح: د. عبد الله الجبوري- الطبعة الاولى – مطبعة الارشاد – بغداد١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .
- تصريف الاسماء : استاذ محمد الطنطاوي ، الطبعة الخامسة ، مطبعة وادي الملوك ، ١٩٥٥م .
- التصور اللغوي عند الأصوليين: السيد احمد عبد الغفار ، ط١، شركة عكاظ للنشر والتوزيع ، ١٤٠١هـ.
- التصوير الفني في القرآن : سيد قطب ، سلسلة مكتبة القرآن ١ ، مصر ، دت .
- التضاد في ضوء اللغات السامية : ربحي كمال – جامعة بيروت – بيروت ١٩٧٢م .
- التضاد في القرآن الكريم : محمد نور الدين المنجد ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ، ١٩٩٩م .
- التطبيق الصرفي : د.عبد الراجحي ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٣م .
- التطورات المعجمية والمعجمات اللغوية العامة العربية الحديثة : د . صافية زفكي ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ٢٠٠٧م .
- تطور البحث الدلالي /دراسة في النقد البلاغي واللغوي : محمد حسين علي الصغير ، مكتبة العاني ، بغداد ١٩٨٨م .
- التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم .. دراسة دلالية مقارنة : عودة ابو خليل عودة – الطبعة الاولى – مكتبة المنار – الاردن ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .
- التطور اللغوي التاريخي : ابراهيم السامرائي ، دار الاندلس ، الطبعة الثانية ١٩٨١م .
- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه : د . رمضان عبد التواب – الطبعة الثانية – مطبعة المدني – الناشر : مكتبة الخانجي – القاهرة ١٤٢٠هـ/١٩٩٠م .
- التطور النحوي للغة العربية : برجستراسر ، تحقيق د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، دار الرفاعي ، الرياض ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
- التعريفات : علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت٨١٦هـ) – تح: ابراهيم الابياري – دار الكتاب العربي – بيروت ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م .
- التفسير البياني للقران الكريم : د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء) ، دار المعارف بمصر ١٩٦٢م .
- تفسير غريب القران : ابن قتيبة ، تح: السيد احمد صقر ، دار احياء الكتب ، القاهرة ، ١٩٥٨م .
- التفسير الكاشف : محمد جواد مغنية ، دار الأنوار ، ط٤ ، بيروت ، ٢٠٠٩هـ .
- التفسير الكبير او مفاتيح الغيب : فخر الدين محمد بن عمر التميمي البكري الرازي (ت٦٠٤هـ) – الطبعة الاولى – دار الكتب العلمية – منشورات محمد علي بيضون – بيروت ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .
- التفكير اللساني في الحضارة العربية : د. عبد السلام المسدي –الدار العربية للكتاب – ليبيا – تونس ١٩٨١م .
- التقابل الدلالي في القرآن الكريم : منال الصفار رسالة ماجستير ، جامعة الموصل ، كلية الاداب ١٩٩٤م .
- التقديم والتأخير في القرآن الكريم : حميد احمد عيسى العاوي
- التكملة : ابو علي الحسين بن احمد الفارسي (ت٣٧٧هـ) – تحقيق ودراسة : كاظم بحر المرجان – مطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر – جامعة الموصل – الموصل ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- تلخيص البيان عن مجازات القرآن : الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ) ، تحقيق محمد عبد الغني حسن ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٥٥م .

- التلخيص في علوم البلاغة : القزويني الخطيب - شرح : عبد الرحمن البرقوقي - الطبعة الثانية - دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٣٢ م .
- تلخيص المفتاح : جلال الدين القزويني (ت ٧٣٩هـ) ، بيروت ١٣٠٣هـ .
- تناوب حروف الجر في لغة القرآن : د. محمد حسن عواد - الطبعة الاولى - دار الفرقان - عمان ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ م .
- تمام نهج البلاغة : تحقيق وتتميم وتنسيق السيد صادق الموسوي ، مؤسسة الاعلمي ، لبنان ١٤٢٦هـ .
- التوابع في كتاب سيبويه : د. عدنان محمد سلمان ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد دار الحكمة ، الموصل ١٩٩١م .
- توضيح نهج البلاغة : السيد محمد بن المهدي الشيرازي ، قم ، ١٤١٠هـ
- تهذيب اللغة : ابو منصور محمد بن احمد الازهري (ت ٣٧٠هـ) تح : يعقوب بن عبد النبي - مراجعة : محمد علي النجار - الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة (د.ت) .
- توليد المعاني في العربية : د. فاضل السامرائي ، بحث في مجلة لغة الضاد ، المجمع العملي العراقي ، ١٩٩٨م .

[حرف الجيم]

- جامع البيان عن تاويل القرآن : ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) - دار الفكر - بيروت ١٩٨٨/١٤٠٨ م .
- الجامع لاحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ) ، خرج احاديثه محمد بن عيادي بن عبد الحليم ، مكتبة الصفا ، الدار البيضاء ٢٠٠٥ م .
- الجمل في النحو : ابو القاسم الزجاجي - تحقيق وتقديم : د. علي توفيق الحمد - الطبعة الرابعة - مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٨ م .
- جمهرة اللغة : ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ) ، دار صادر، بيروت (د.ت) .
- الجنى الداني في حروف المعاني : حسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ) تح : د. طه محسن ، مطابع دار الكتب ، الموصل ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .
- جموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية : عبد المنعم عبد العال ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧٧م .
- جمهرة أشعار العرب : ابو زيد محمد بن ابي الخطاب القرشي (ت ١٧٠هـ) ، دار المسيرة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٣م .
- جمهرة الأمثال : أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) ، تح أبي الفضل وقطامش ، مصر ، ١٩٦٤م .
- جمهورية الحكمة في نهج البلاغة : د. حسن عباس نصر الله ، الطبعة الاولى ، بيروت ٢٠٠٦ م .
- جواهر الادب في معرفة كلام العرب : الامام علاء الدين بن علي بن محمد الاربلي (ت ٧٤١هـ) ، منشورات مكتبة الحيدرية ، النجف ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م .
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : السيد احمد الهاشمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠٠١م .
- جمالية المفردة القرآنية في كتب الاعجاز والتفسير : احمد ياسوف ، دار المكتبي ، سوريا ، الطبعة الاولى ١٩٩٤ م .
- جواهر القاموس في الجموع والمصادر : محمد شفيح القزويني (ق ١٢هـ) ، تحقيق محمد جعفر الكرياسي ، النجف الاشرف ١٩٨٢ م .

[حرف الحاء]

- حاشية الدسوقي على التهذيب : محمد بن عرفة الدسوقي ، نشره الحلبي ، القاهرة ١٩٣٦م .
- حاشية الصبان على شرح الاشموني على الفية ابن مالك : محمد بن علي الصبان (ت ١٢٠٦هـ) - تح : محمود بن الجميل - الطبعة الاولى - مكتبة الصفا - القاهرة ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م .

- الحجة في القراءات السبع : لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠هـ) ، تحقيق احمد مزيد المزيدي ، قدم له د. فتحي حجازي ، منشورات علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، لبنان (د.ت) .
- حدائق الحقائق في فسر دقائق أفصح الخلائق : قطب الدين أبو الحسين محمد بن الحسين البيهقي النيسابوري الكيدري (ت القرن السادس الهجري) ، تح: عزيز الله العطاردي، طهران ١٣٧٥ هـ
- حروف المعاني : ابو القاسم الزجاجي - تحقيق وتقديم : د . علي توفيق الحمد - الطبعة الاولى - مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر - بيروت ، دار الامل - الاردن ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
- حقائق التأويل في متشابه التأويل : الشريف الرضي ، تح محمد رضا كاشف الغطاء ، النجف ، ١٩٣٥ .
- الحل القصدي للغة في مواجهة الاعتباطية : عالم سبيط النيلي ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ٢٠٠٧ م .

[حرف الخاء]

- خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب : عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ودار الرفاعي الرياض (د.ت) .
- الخصائص : ابو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) تح: محمد علي النجار - الطبعة الرابعة - مطابع الهيئة المصرية العامة - مصر ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- الخطابة في صدر الاسلام : محمد طاهر درويش ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٧ م .
- الخطب في العصر العباسي :

[حرف الدال]

- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : د. غانم قدوري الحمد ، الطبعة الاولى ، مطبعة الخلود ، بغداد ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م .
- دراسات في فقه اللغة : صبحي الصالح - مطبعة جامعة دمشق - دمشق ١٣٧٩ هـ - ١٩٤٠ م .
- دراسات في فقه اللغة العربية : د . يعقوب بكر ، مكتبة لبنان ، ١٩٦٩ .
- دراسات في القرآن : السيد احمد خليل ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٦٩ م .
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم : محمد عبد الخالق عزيمة ، ط١ ، دار الحديث ، ٢٠٠٤ م .
- الدراسات اللغوية عند العرب الى نهاية القرن الثالث الهجري : د . محمد حسين ال ياسين - الطبعة الاولى - مكتبة الحياة - بيروت ١٩٨١ م .
- دراسات نقدية في النحو العربي : عبد الرحمن ايوب ، مؤسسة الصباح ، الكويت . (د.ت).
- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني : د. حسام سعيد النعيمي ، دار الرشيد ، ١٩٨٠ م .
- دراسة حول نهج البلاغة : محمد حسين الحسيني الجلاي ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ٢٠٠١ م .
- دراسة الصوت اللغوي : د. احمد مختار عمر ، الطبعة الاولى ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٦ م .
- دراسة المعنى عند الاصوليين : د. طاهر سلمان حمودة - الدار الجامعية للطباعة ، مصر ١٩٨٣ م .
- دروس في علم اصوات العربية : جان كاتنينو ، تعريب صالح القرماوي ، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ، تونس ١٩٦٦ م .
- دروس في التصريف : محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثالثة ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .
- دقائق التصريف: للقاسم بن محمد بن سعيد المؤدب (ت بعد ٣٣٨ هـ) ، تحقيق د. احمد ناجي القيسي و د.حاتم صالح الضامن ود. حسين تورال ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- دلائل الاعجاز : عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) - تصحيح وتعليق : محمد رشيد رضا - دار المعرفة - بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .
- دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم : الدكتور خالد قاسم بن دومي ، ، الأردن ، ٢٠٠٦ م .
- الدلالات اللغوية عند العرب : د. عبد الكريم مجاهد - دار الضياء - عمان ١٩٨٥ م .

- دلالة الالفاظ : د. ابراهيم انيس - الطبعة الثالثة - مكتبة الانجلو المصرية - مطابع مجلة العرب - مصر ١٩٧٢ م .
- دلالة السياقية عند اللغويين : عواطف كنوش ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ١٩٩٢ .
- دلالة الفريد من الفاظ القرآن المجيد / ٢ - أبيبيل : د. كاطع جارا الله ، بحث في مجلة دراسات ، الجماهيرية العربية الليبية ، العدد ١٩ ، ٢٠٠٣ م .
- دلالة القرآنية في جهود الشريف الرضيّ : رسالة دكتوراه ، ، حامد كاظم عباس ، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٠ م .
- دلالة اللفظية : محمود عكاشة ، مكتبة الأنجلو ، مصر ، ٢٠٠٢ م .
- دور الكلمة في اللغة : ستيفن اولمن - ترجمة وتقديم : د. كمال محمد بشر - الطبعة العاشرة - النشر : مكتبة الشباب - مصر ١٩٨٦ م .
- ديوان ابن المعتز : تحقيق محيي الدين الخياط ، دمشق ، ١٣٣٢ هـ .
- ديوان ابي العتاهية : دار الكتب العلمية ن بيروت . دت .
- ديوان الأدب : أبو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الفارابي ت ٣٥٠ هـ ، تحقيق د. أحمد مختار عمر د. ابراهيم أنيس ، مصر ، ١٩٧٦ م .
- ديوان امريء القيس : تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، ١٩٥٨ م .
- ديوان البحترى : تحقيق حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .
- ديوان الخطيئة بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني : تحقيق نعمان أمين طه ، مصطفى البابي الحلبي ، ط١ ، دت .
- ديوان الشريف الرضي : تح عبد الفتاح محمد المصري ، باريس ، ١٩٧٧ .
- ديوان طرفة بن العبد : تحقيق فوزي عطوي ، بيروت ، ١٩٦٩ م .
- ديوان علقمة الفحل بشرح الاعلم الشنتمري : حققه لطفي الصقال ودرية الخطيب ، راجعه د. فخر الدين قباوة ، دار الكتاب العربي ، حلب ، الطبعة الاولى ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٦ م .
- ديوان لبيد بن ربيعة العامري : تحقيق الدكتور إحسان عباس ، الكويت ، ١٩٦٢ .
- ديوان مهيار الديلمي :

[حرف الذال]

- الذخيرة : شهاب الدين ابو العباس احمد بن ادريس القرافي (ت ٦٨٤ هـ) ، مطبعة كلية الشريعة ، الجامعة الازهرية ، مصر ١٩٦١ م .
- الذريعة إلى أصول الشريعة : الشريف المرتضى ابو القاسم علي بن الحسين ، تحقيق د. ابو القاسم كرجي ، مطبعة دالشكاه ، طهران ١٣٤٨ هـ .
- الذريعة إلى تصانيف الشيعة : المحدث أغا بزك الطهراني ، ت (١٩٧٠ هـ) ،

[حرف الراء]

- الرجال ، خلاصة الأقوال في معرفة الرجال : ابو العباس أحمد بن علي بن أحمد النجاشي (ت ٤٥٠ هـ) ، مطبعة مصطفوي ، إيران .
- رسائل الشريف المرتضى : لابي القاسم علي بن الحسين الشريف المرتضى ، تقديم و اشراف : احمد الحسيني ، منشورات مؤسسة النور للمطبوعات ، لبنان ١٤٠٥ هـ .
- رسالة الاضداد : محمد جمال الدين بن بدر الدين المنشي ت ١٠٠١ هـ ، تحقيق محمد حسين آل ياسين ، بغداد ، ١٩٨٥ .
- رصف المباني في شرح حروف المعاني : المالقي احمد بن عبد النور (ت ٧٠٢ هـ) ، تحقيق احمد محمد الخراط ، مطبعة زيد بن ثابت ، دمشق ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

- **روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات** : الخوانساري (ت ١٣١٣هـ) ، تحقيق أسد الله اسماعيليان ، إيران ، ١٣٩٠م.

[حرف الزاي]

- **الزاهر في معاني كلمات الناس** : ابن الأنباري (ت ٣٢٨هـ) ، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن ، دار الشؤون الثقافية ، ١٩٨٩م.
- **الزمن في اللغة العربية / بيئاته التركيبية والدلالية** : امحمد الملاح ، دار الأمان ، الرباط ، ٢٠٠٩م.
- **الزهد الكبير** : البيهقي ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .
- **الزوائد في الصيغ في العربية** : زين كامل الخوينسكي ،
- **الزينة في الكلمات الإسلامية العربية** : أبو حاتم الرازي ت ٣٢٢ هـ تعليق حسين بن فيض الله الهمداني ، ط ١ ، اليمن ، ١٩٩٤م .

[حرف السين]

- **الساق على المساق في ما هو الفاريق** : احمد فارس الشدياق ، تقديم : نسيب وهيبة الخازن ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، د.ت .
- **سجع الحمام في حكم الإمام** : علي النجدي وآخرون ، القاهرة ، ١٩٦٧م .
- **سر صناعة الإعراب** : ابن جنبي - تح: محمد حسن اسماعيل واحمد رشدي شحاتة - الطبعة الاولى - منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت ٢٠٠٠ م .
- **سر الفصاحة** : لابي عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) ، شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي ، مطبعة محمد علي صبيح ١٩٦٦ م .
- **سنن ابن ماجة** : لابي عبد الله محمد بن زيد القرويني (ت ٢٧٥هـ) ، تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٥٢م .
- **سنن الترمذي** : ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٩٧هـ) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الاولى ، مصر ، ١٣٣٧هـ .
- **سنن الدارقطني** : لابي الحسن علي بن عمر الدارقطني البغدادي (ت ٣٨٥هـ) ، تحقيق السيد عبد الله هاشم يمانى المدني ، دار المعرفة للنشر ، بيروت ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .
- **سنن النسائي** : شرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الامام السندي ، دار الفكر ، الطبعة الاولى ، بيروت ١٩٣٠م .
- **سير اعلام النبلاء** : الذهبي شمس الدين محمد بن احمد (ت ٧٤٨هـ) تحقيق شعيب الارنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٣م .

[حرف الشين]

- **شذا العرف في فن الصرف** : الشيخ احمد الحملوي - الطبعة السادسة عشرة - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر ١٩٦٥ م .
- **شذرات الذهب في اخبار من ذهب** : ابو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) - دار احياء التراث العربي - بيروت ١٣٥١هـ .
- **شذور الذهب في معرفة كلام العرب** : ابن هشام الانصاري ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٣م .
- **شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك** : بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني (ت ٧٦٩هـ) : تح: محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، دمشق ١٩٨٥م .
- **شرح ابن الناظم** : بدر الدين أبو عبد الله محمد بن جمال الدين بن مالك ت ٦٨٨هـ ، عني بتصحيحه محمد بن سليم اللبابيدي ، طهران .

- شرح الاشموني على ألفية بن مالك : الأشموني ت ٩٢٩هـ ن تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ن مصر ن ١٩٥٥م.
- شرح التصريح على التوضيح : الشيخ خالد بن عبد الله الازهري (ت ٩٠٥ هـ) - الطبعة الاولى - مطبعة الاستقامة - دار احياء الكتب العربية - مصر ١٩٥٤ م .
- شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في علم الاصول للرازي : احمد بن فارس القرافي (ت ٦٨٤ هـ) - تح: طه عبد الرؤوف سعد - مكتبة الكليات الازهرية - مصر ١٩٧٣ م .
- شرح جمل الزجاجي : لابن عصفور الاشبيلي (ت ٦٦٩ هـ) ، تحقيق صاحب ابو جناح ، جامعة الموصل ١٩٨٢ م .
- شرح الحدود النحوية : عبد الله بن احمد بن علي الفاكهي (ت ٩٧٢ هـ) ، دراسة وتحقيق د. زكي فهمي الالوسي ، مطابع دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ١٩٨٨ م .
- شرح درة الغواص : شهاب الدين الخفاجي (ت ١٠٩٦ هـ) ، مطبعة الجوانب .
- شرح ديوان المتنبّي : عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، مصر ، ١٣٥٧ هـ.
- شرح ديوان الحماسة : التبريزي ت ٥٠٢ هـ ، تح محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة حجازي ، القاهرة دت.
- شرح ديوان عمر ابن أبي ربيعة المخزومي : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مصر ، ١٩٥٢ م .
- شرح ديوان الفرزدق : عبد الله بن اسماعيل الصاوي ، مطبعة الصاوي ، القاهرة ، ١٩٣٦ م .
- شرح شافية ابن الحاجب : الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي النحوي (ت ٦٨٨ هـ) - تحقيق وضبط وشرح: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف ، ومحمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، منشورات : محمد علي بيضون ، بيروت (د.ت) .
- شرح شنور الذهب في معرفة كلام العرب : ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ) تح محمد محيي الدين عبد الحميد ، مصر ، دت .
- شرح عمدة الحافظ وعمدة اللافظ : ابن مالك جمال الدين (ت ٦٧٢ هـ) ، تحقيق عدنان عبد الرحمن الدوري مطبعة العاني ، بغداد ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٧ م ، وزارة الاوقاف ، احياء التراث الاسلامي .
- شرح القوائد التسع المشهورات : صنعة أبي جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت ٣٣٨ هـ) ن تح أحمد خطاب عمر ، سلسلة كتب التراث (٢٣) ن العراق ، ١٩٧٣ م.
- شرح القوائد السبع الطوال الجاهليات : لابي بكر محمد بن القاسم الانباري (ت ٣٢٨ هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٣ م .
- شرح القوائد العشر : أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ) ، تح فخر الدين قباوة ، حلب ، ١٩٦٩ م.
- شرح الكافية في النحو لابن الحاجب : رضي الدين الاسترابادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د.ت) .
- شرح اللحة البدرية في علم اللغة العربية : ابن هشام الانصاري ، دراسة وتحقيق : د. هادي نهر ، مطبوعات الجامعة المستنصرية ، بغداد ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .
- شرح المراح في التصريف : بدر الدين محمود بن احمد العيني (ت ٨٥٥ هـ) ، تحقيق عبد الستار جواد ، مطبعة الرشيد ، بغداد ١٩٩٠ م .
- شرح المفصل : الشيخ موفق الدين بن علي بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣ هـ) - تحقيق وشرح : احمد السيد احمد - مراجعة : اسماعيل عبد الجواد عبد الغني - المكتبة التوفيقية - مصر (د.ت) .
- شرح الملوكي في التصريف : ابن يعيش ، تحقيق د. فخر الدين قباوة ، الطبعة الاولى ، المكتبة العربية ، حلب ١٩٧٣ م .
- شرح نهج البلاغة : عز الدين عبد الحميد بن محمد بن ابي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦ هـ) تح: محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار احياء اتراث العربي ، ط ٢ ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م.

- شرح نهج البلاغة : كمال الدين ميثم بن علي البحراني (ت ٦٧٩هـ) ، منشورات دار الثقبين ، بيروت ١٩٩٩هـ
- شرح نهج البلاغة : الشيخ محمد عبده ت١٣٢٣هـ ، تح محمد عاشور ومحمد البنا ، القاهرة ، ١٩٦٨م.
- شرح نهج البلاغة : محمد عبده ، تح محمد محيي الدين عبد الحميد ، مصر ، دت.
- شرح نهج البلاغة : السيد أبو علي عباس الموسوي ، لبنان ، ١٤١٨
- شرح نهج البلاغة ، محمد أبو الفضل ابراهيم ، بيروت ، ١٤١٦هـ .
- شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار للعلامة المجلسي : علي أنصاريان ، طهران ، ١٤٥٨هـ،
- شروح التلخيص : سعد الدين التفتازاني (ت٧٩٢هـ) - مطبعة عيسى البابي الحلبي - مصر ١٩٣٧
- الشرف الرضي : محمد عبد الغني حسن ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٠م.
- الشفاء (العبارة) : ابن سينا أبو علي الحسين بن عبد الله ت٤٢٨هـ ، تح محمود الخضري ، القاهرة ، ١٩٧٠م.

[حرف الصاد]

- الصاحب في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها : ابو الحسن احمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) - تعليق : احمد حسن بسج - الطبعة الاولى - منشورات احمد بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٨ م ١٩٩٧/
- الصحاح ، معجم الصحاح قاموس عربي مرتب ترتيبا ألفبائيا وفق أوائل الحروف : اسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٨هـ) ، اعتنى به خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ن بيروت ، ٢٠٠٨م.
- صحيح البخاري : ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ) - تح: د. محمد محمد تامر ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ٢٠٠٩م.
- صحيح مسلم : ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ) - تح: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الآفاق العربية ، مصر ، ٢٠٠٥م.
- صفاء الكلمة : د. عبد الفتاح لاشين ، دار المريخ ، الرياض ، ٩٨٣ م .
- الصناعتين .. الكتابة والشعر : ابو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) - تح: محمد علي البجاوي ، ومحمد ابو الفضل ابراهيم - مطبعة البابي الحلبي - القاهرة ١٩٧١م .
- صوت الامام علي في نهج البلاغة : السيد حسن السيد علي القبنجي ، النجف الأشرف ، ١٤٢٦هـ .
- الطراز .. المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز : السيد يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي اليميني (ت٧٤٥هـ) ، مراجعة وضبط وتدقيق : محمد عبد السلام شاهين ، الطبعة الاولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م .

[حرف الطاء]

- الطور المهدي : عالم سبيط النيلي ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، ٢٠٠٣م.

[حرف الظاء]

- ظاهرة الترادف في ضوء التفسير البياني للقران الكريم : د. طالب محمد الزوبعي ، الطبعة الاولى ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، ١٩٩٥ م .
- ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية : عبد الكريم محمد العبيدي - رسالة ماجستير - الجامعة المستنصرية - كلية الاداب - ١٩٨٩ م .
- ظاهرة التقابل في علم الدلالة : د. احمد الجنابي ، بحث في مجلة اداب المستنصرية - العدد (١٠) - ١٩٨٤ م
- الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري : د. صلاح الدين زرال
- ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة : د. احمد الجنابي - مجلة المجمع العراقي - الجزء الرابع - المجلد (٣٥) لسنة ١٩٨٤ م .

- ظلال المعنى بين الدراسات التراثية وعلم اللغة الحديث : د. علي زوين ، مجلة افاق عربية ، العدد الخامس ١٩٩٠ م .
- الظواهر الدلالية في تفسير اضواء البيان للشنقيطي : قحطان جاسم محمد ، كلية الاداب ، الجامعة المستنصرية ، رسالة ماجستير ، ٢٠٠٢ م .
- [حرف العين]**
- عبقرية الشريف الرضي : د. زكي مبارك ، مصر ، دت .
- عدة الأصول : لابي جعفر الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) ، مطبعة برساد بمبي ، طبعة حجرية ١٣١٨ هـ .
- العربية الفصحى دراسة في البناء اللغوي : هنري فليش ، تعريب د. عبد الصبور شاهين ، القاهرة ، ١٩٩٧ م .
- العقد الفريد : ابن عبد ربه الاندلسي (ت ٣٢٨ هـ) ، تحقيق احمد امين واحمد الزين و ابراهيم اليباري ، دار الكتب ، بيروت - لبنان ، ١٩٥٦ م .
- على طريق التفسير البياني : د. فاضل صالح السامرائي ، جامعة الشارقة ، ٢٠٠٢ هـ .
- علم الأصوات اللغوية : د. مناف الموسوي ، ليبيا ، ١٩٩٣ م .
- علم البيان : د. عبد العزيز عتيق ، دار الافاق العربية ، مصر ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٤ م .
- علم البيان دراسة تاريخية فنية في اصول البلاغة العربية : د. بدوي طبانة ، المطبعة الفنية الحديثة ١٩٦٧ م
- علم الدلالة : احمد مختار عمر ، ط ١ ، مكتبة دار العروبة للنشر ، الكويت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- علم الدلالة : بالمر ، ترجمة : مجيد عبد الحلیم الماشطة ، بغداد ، ١٩٨٥ م .
- علم الدلالة : بيار جيرو ، ترجمة الدكتور منذر عياشي ، الطبعة الاولى ، دار طلاس للدراسات والترجمة ، دمشق ١٩٨٨ م .
- علم الدلالة : جون لاينز ، ترجمة : مجيد عبد الحلیم الماشطة ، وحليم حسين فالج ، وكاظم حسين الباقر ، مطبعة جامعة البصرة ، ١٩٨٠ م .
- علم الدلالة العربي .. النظرية والتطبيق دراسة بلاغية : فايز الداية ، دار الفكر ، ١٩٨٥ م .
- علم الدلالة بين التراث والمناهج الحديثة : محمود فهمي حجازي ، مصر ، ١٩٧٠ م .
- علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية : فريد عوض حيدر ، مصر ، ١٩٩٩ م .
- علم الدلالة (علم المعنى) : د. محمد علي الخولي ، الناشر دار الفلاح ، الاردن ٢٠٠١ م .
- علم الدلالة والمعجم العربي : د. عبد القادر ابو شريفة وحسين لافي و د. داود غطاشة - الطبعة الاولى - دار الفكر للنشر - بيروت ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .
- علم الصوتيات دراسة مقارنة : محمد حديد ومحمد زريق ، ليبيا ، جامعة السابع من أبريل ، دت .
- علم اللغة بين التراث والمعاصرة : د. عاطف مذكور ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٨٧ م .
- علم اللغة بين التراث والمعاصرة والمناهج الحديثة : د. محمود فهمي حجازي ، مصر ١٩٧٠ م .
- علم اللغة بين القديم والحديث : عبد الغفار حامد هلال ، الطبعة الثانية ، مطبعة الجبلوي ، ١٩٨٦ م .
- علم اللغة العام : فردينان دي سوسور - ترجمة : د. يوثيل يوسف عزيز - مراجعة النص العربي : د. مالك يوسف المطلبي - دار افاق عربية للصحافة والنشر - بغداد ١٩٨٥ م .
- علم اللغة العام الاصوات : كمال محمد بشر - دار المعارف - مصر ١٩٦٢ م .
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : د. محمود السعران ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٢ م .
- علم الوضع / دراسة في فلسفة اللغة بين علماء أصول الفقه وعلماء اللغة : د. عبد الرزاق الحربي ، ديوان الوقف السني ، بغداد ، ٢٠٠٦ .
- علوم نهج البلاغة : محسن باقر الموسوي ، دار العلوم ، بيروت ن ٢٠٠٣ .
- عمدة الصرف : د. كمال ابراهيم ، الطبعة الثانية ، مطبعة الزهراء ، بغداد ١٩٥٧ م .

- عمدة الطالب في انساب ال ابي طالب : ابن عنبه جمال الدين احمد بن علي (ت ٨٢٨هـ) ، الطبعة الثانية ، المطبعة الحيدرية ، النجف ١٩٦١م .
- العمدة في صناعة الشعر : ابن رشيح القيرواني (ت ٤٥٦هـ) ، تح محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، الطبعة الرابعة ١٩٧٢م .
- عوامل التطور اللغوي : احمد عبد الرحمن حماد ، بيروت ١٩٨٣م .
- العين / ترتيب كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) : تح : د. مهدي المخزومي ، و د. ابراهيم السامرائي ، طهران ، ١٤٢٥هـ .
- عيون الاخبار : ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ، تحقيق يوسف علي الطويل ، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٨ .

[حرف الغين]

- غاية الوصول شرح لب الاصول : كلاهما للشيخ زكريا الانصاري الشافعي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي مصر (د.ت) .
- الغدير في الكتاب والسنة والأدب : عبد الحسين بن أحمد الأميني (ت ١٩٧١ م) ، ط ٤ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٧هـ .
- غريب الحديث : ابو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) ، تح محمد عبد المعين خان ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٦هـ .
- غريب الحديث : عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ، تحقيق د. عبد الله الجبوري ، الطبعة الاولى ، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٧٧م .
- غريب الحديث : ابراهيم بن اسحاق الحربي (ت ٢٨٥هـ) ، تح سليمان ابراهيم العايد ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٥هـ .
- غريب القرآن وتفسيره : ابو عبد الرحمن عبد الله بن يحيى المبارك اليزيدي (ت ٢٣٧هـ) - تح : محمد سليم الحاج ، ط ١ ، عالم الكتب ، مصر ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

[حرف الفاء]

- الفائق في غريب الحديث : جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعرفة ، الطبعة الثانية ، لبنان (د.ت) .
- فجر الاسلام : أحمد أمين ،
- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال : ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري (ت ٤٨٧هـ) ، تح احسان عباس وعبد المجيد عابدين ، بيروت ، ١٩٧١م .
- فصيح ثعلب والشروح التي عليه : نشر وتعليق الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي ، الطبعة الاولى ، ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م ، الناشر مكتبة التوحيد بدر الجمال ، المطبعة النموذجية .
- الفروق اللغوية : ابو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) ، ضبط وتحقيق : حسام الدين القدسي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، د ت .
- فصول في فقه اللغة : د. رمضان عبد التواب - الطبعة الثالثة - الناشر : مكتبة الخانجي - القاهرة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م .
- فقه اللغة : د. حاتم صالح الضامن ، جامعة بغداد ، ١٩٩٠م .
- فقه اللغة : علي عبد الواحد وافي ، الطبعة السابعة ، دار نهضة مصر ، ١٩٧٢م .
- فقه اللغة في الكتب العربية : د. عبده الراجحي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٣م .
- فقه اللغة العربية وخصائصها : اميل بديع يعقوب ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٩٩م .
- فقه اللغة العربية : د. كاصد ياسر الزبيدي ، جامعة الموصل ، ١٩٨٧م .
- فقه اللغة وأسرار العربية : ابو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) ، وضع وتعليق : د. ديزيرة سقال - الطبعة الاولى - مطابع يوسف بيضون - دار الفكر العربي للطباعة والنشر - بيروت ١٩٩٩م .

- **فقه اللغة وخصائص العربية** : محمد المبارك – الطبعة الثانية – دمشق ١٩٦٤ م .
- **الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية** : جرجي زيدان – مراجعة وتعليق : د. مراد كامل – الطبعة الثانية – دار الحداثة للطباعة والنشر – بيروت ١٩٨٢ م .
- **الفن ومذاهبه في النثر العربي** : د. شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، ط٤ ، ١٩٧١ .
- **فوات الوفيات والذيل عليها** : محمد شاکر الکتبي (ت ٧٦٤هـ) ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، ١٩٧٤ م
- **الفوائد الضيائية شرح كافية ابن الحاجب** : نور الدين عبد الرحمن الجامي (ت ٨٩٨هـ) ، تح أسامة طه الرفاعي ، بغداد ، ١٩٨٣ م .
- **في الدلالة والتطور الدلالي** : د . احمد محمد قدور ، مجلة مجمع اللغة العربية الاردني ، العدد (٣٦) ، السنة (١٣) ، عمان ١٩٨٩ م .
- **في الاصوات اللغوية /دراسة في أصوات المد** : د. غالب فاضل المطلبي ، سلسلة دراسات (٣٦٤) ، بغداد ١٩٨٤ م .
- **في ظلال القرآن** : سيد قطب ، الطبعة الحادية عشرة ، دار الشروق ، بيروت ١٤٠٥ هـ .
- **في ظلال نهج البلاغة ، محاولة لفهم جديد** : الشيخ محمد جواد مغنبة (ت ١٤٠٠هـ) عناية سامي الغريزي لبنان ٢٠٠٥ م .
- **في اللهجات العربية** : د. ابراهيم انيس ، الطبعة الثانية ، مصر ١٩٥٢ م .
- **في النحو العربي نقد وتوجيه** : د. مهدي المخزومي ، ط٢ ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨٦ م .
- [حرف القاف]**
- **قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح** : د. عبد السلام المسدي ، ليبيا - تونس ، ١٩٨٤ م .
- **القاموس المحيط** : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي (ت ٨١٧هـ) ، إعداد وتقديم محمد عبد الحمين المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ٢٠٠٣ م .
- **القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث** : د. عبد الصبور شاهين ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٦٦ م .
- **القطع والانتفاف** : أبو جعفر النحاس ت٣٣٨هـ ، تح أحمد خطاب عمر ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧٨ م .
- [حرف الكاف]**
- **الكافية في النحو** : جمال الدين ابو عمرو عثمان بن عمر بن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) – الطبعة الثانية – دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٧٩ م .
- **الكامل في اللغة والادب** : لابي العباس محمد بن يزيد المبرد(ت ٢٨٥هـ) ، عارضه باصوله وعلق عليه محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة .
- **الكتاب** : ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه) (ت ١٨٠هـ) – تح: عبد السلام هارون – الطبعة الثالثة – الناشر : مكتبة الخانجي – القاهرة ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨ م .
- **كشاف اصطلاحات الفنون** : محمد بن علي الفاروقي التهانوي (ت ١١٥٨هـ) – تح: د. لطفي عبد البديع ترجمة : د. عبد المنعم محمد حسنين – الناشر : الهيئة المصرية للكتاب – القاهرة ١٩٧٧ م .
- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الاقاويل في وجوه التاويل** : محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، ط١ ، دار الفكر ، ١٩٧٧ م
- **كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون** : حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٧هـ) – الطبعة الثالثة – طهران ١٩٦٧ م .
- **كشف المشكل في النحو** : علي بن سليمان الحيدري اليمني (ت ٥٩٩هـ) ، تحقيق د. هادي عطية مطر ، الطبعة الاولى ، مطبعة الارشاد ١٩٨٤ م .
- **كلام العرب من قضايا اللغة العربية** : حسن ظاظا ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ١٩٧٦ م .
- **الكلمة دراسة لغوية ومعجمية** : د. حلمي خليل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠ .

- الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) : ابو البقاء الحسين الكفوي (ت ١٠٩٤هـ) - اعداد : د.عدنان درويش ومحمد المصري ، ط ٤ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٩٨م .
- الكنى والالقاب : الشيخ عباس القمي ، النجف ، ١٩٧٠م.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : علاء الدين بن علي الهندي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٩هـ [حرف اللام]
- اللامات : ابو جعفر النحاس ، تح : د. طه محسن - نشر ضمن كتاب (نصوص محققة في اللغة) - بقلم : مجموعة من الاساتذة - الطبعة الاولى - دار الشؤون الثقافية - بغداد ١٩٨٧م .
- اللامات : ابو القاسم الزجاجي ، تح : د. مازن المبارك - الطبعة الثانية - دار صادر - بيروت ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- اللامات : ابو الحسن علي بن محمد الهروي (ت ٤١٥هـ) - تح : يحيى علوان البلداوي - الطبعة الاولى - مكتبة الفلاح - الكويت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- اللامات دراسة نحوية شاملة في ضوء القراءات : د. عبد الهادي الفضلي ، دار القلم ، بيروت - لبنان ، الطبعة الاولى ١٩٨٠م .
- اللامات في العربية (بحث في ضوء علم اللغة الحديث) : د. علي زوين ، مجلة افاق عربية ، السنة الاولى ، العدد الاول ، جمادي الثانية - شوال ١٤٢١هـ ، تشرين الاول - كانون الاول ٢٠٠٠م .
- لؤلؤة البحرين في الإجازات والتراجم : ابن عصفور يوسف بن أحمد الدرزي (ت ١١٨٦هـ) ، تح محمود صادق بحر العلوم ، ١٩٨٠م.
- لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : د. عبد العزيز مطر - الناشر : دار الكتاب العربي - القاهرة ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م .
- لحن العامة والتطور اللغوي : د. رمضان عبد التواب - دار المعارف - مطبعة البلاغ - القاهرة (د.ت)
- لسان العرب : ابن منظور ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١هـ) - دار صادر - بيروت ١٩٥٦م .
- لسان الميزان : شهاب الدين بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٣هـ) ، حيدر اباد الدكن ، الطبعة الاولى ، ١٣٣٠هـ .
- اللسانيات من خلال النصوص : د. عبد السلام المسدي ، دار التونسية للنشر ، الطبعة الاولى ١٩٨٤م .
- اللغات السامية : تيودور نولدكه ، تحقيق د. رمضان عبد التواب ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٥م
- اللغة : فندريس - تعريب : عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص - الناشر : مكتبة الانجلو المصرية - مطبعة لجنة البيان العربي - القاهرة ١٩٥٠م .
- اللغة العربية عبر القرون : د. محمود فهمي حجازي ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٨م .
- اللغة العربية معناها ومبناها : د. تمام حسان - الطبعة الثالثة - عالم الكتب - القاهرة ١٤١٨هـ/١٩٩٨م
- لغة القرآن في جزء عم : محمود احمد نحلة - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت ١٩٨١م .
- اللغة الموحدة : عالم سبيط النيلي ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، ٢٠٠٨م.
- اللغة والمجتمع : د. علي عبد الواحد وافي ، دار احياء الكتب العربية ، الطبعة الثانية ١٩٦٣م .
- اللغة والمعنى والسياق : جون لاينز ، ترجمة : د. عباس صادق الوهاب ، مراجعة : د. يوثيل عزيز ، الطبعة الاولى ، طباعة ونشر : دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٨٧م .
- اللمع في اصول الفقه : ابو اسحاق ابراهيم بن علي الشيرازي (ت ٤٧٦هـ) ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥م .
- اللمع في العربية : ابن جني ، تح : د. فائز فارس ، دار الأمل ، عمان ، ١٩٨٨م .
- اللهجات العربية في القراءات القرآنية : د. عبده الراجحي ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٩٦م .
- ليس في كلام العرب : ابن خالويه ، لابي عبد الله الحسين بن احمد (ت ٣٧٠هـ) ، تح أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ن ١٩٧٩م.

[حرف الميم]

- ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد : ابو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ) - تعليق : عبد العزيز الميمني الراجكوتي - المطبعة السلفية- القاهرة ١٣٥٠هـ .
- ما هو نهج البلاغة : هبة الله الشهرستاني : مطبعة العرفان ، صيدا ١٣٥٢هـ ، الطبعة الاولى ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ١٣٤٥هـ .
- المباحث اللغوية في العراق ومشكلة العربية العصرية : مصطفى جواد ، الطبعة الثانية ، مطبعة العاني ، بغداد ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .
- المبدع في التصريف : أبو حيان الأندلسي ، تح د. عبد الحميد السيد طلب ، دار العروبة ، بيروت ، دت.
- المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر : ضياء الدين بن الاثير (ت ٦٣٠هـ) - تقديم د. احمد الحوفي و د. بدوي طبانة - دار نهضة مصر للطباعة والنشر - القاهرة (دت) .
- المثلث : ابن السيد البطلبوسي ، ابو محمد عبد الله بن محمد (ت ٥٢١هـ) ، تحقيق ودراسة د. صلاح مهدي علي الفرطوسي ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- مجازات الآثار النبوية : الشريف الرضي ، تح مروان عطية ، دمشق ، ١٩٨٧م .
- المجاز في البلاغة العربية : مهدي صالح السامرائي ، ط ١ ، دار الدعوة ، سوريا ، ١٩٧٤م .
- مجاز القرآن : ابو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت ٢١٠هـ) - معارضة وتعليق : محمد فؤاد سزكين - الطبعة الثانية - مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
- المجال الدلالي بين كتب الالفاظ والنظرية الدلالية الحديثة : د. علي زوين -مجلة افاق عربية - العدد الاول - السنة (١٧) - ١٩٩٢م .
- مجمع البيان في تفسير القرآن : ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) - الطبعة الثانية - دار الكتاب ، ودار الفكر - بيروت ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م .
- مجمع الزوائد : علي بن بكر الهيثمي (٨٠٧هـ) ، دار الريان للتراث ، القاهرة ١٤٠٧هـ .
- مجمل اللغة : احمد بن فارس - تح: زهير عبد المحسن سلطان - الطبعة الاولى - مؤسسة الرسالة - ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
- محاضرات في اللغة : عبد الرحمن ايوب ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٦م .
- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها : ابن جني ، تحقيق علي النجدي ناصف ود. عبد الحليم النجار ود. عبد الفتاح شلبي ، مطابع التجارية ، القاهرة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م .
- المحصول في علم اصول الفقه : فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) ، تحقيق جابر فياض العلواني ، الطبعة الثالثة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ١٩٩٧م .
- المحكم والمحيط الأعظم : علي بن اسماعيل (ابن سيده ت ٤٥٨هـ) ، تح جماعة ، القاهرة ، ١٩٧٢م .
- مختصر العين : أبو بكر الزبيدي (ت ٣٧٩هـ) ،
- مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع : ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) ، نشره برجستراسر ، دار الهجرة.
- المخصص : ابو الحسن علي بن اسماعيل (ابن سيده) ، دار الفكر .
- المدارس الصوتية عند العرب: د. علاء جبر محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٦م .
- المدارس النحوية: د. خديجة الحديثي ، ط ٢ ، بغداد ، ١٩٩٠م .
- المدارس النحوية : د. شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨م .
- المدخل الى العربية (ابحاث توجيهية في اللغة العربية) : محمد بدر الدين ابو صالح ، الطبعة الاولى ، دار مكتبة الشرق ، حلب (دت) .
- المدخل الى علم أصوات العربية : غانم قدوري الحمد ، المجمع العلمي العراقي ، ٢٠٠٢م .
- المدخل الى علم اللغة : د. محمود فهمي حجازي - الطبعة الثانية- دار الثقافة للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٧٨م .

- المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي : رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٥ .
- المدخل الى علوم نهج البلاغة : د. محسن باقر الموسوي ، دار العلوم ، بيروت ، ٢٠٠٢م.
- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو : د. مهدي المخزومي ، البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٥٨م
- المذكروالمؤث : لابي زكريا يحيى بن زياد الفراء(ت٢٠٧هـ) ، تحقيق د. رمضان عبد التواب ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ١٩٧٥م .
- المذكر والمؤث : لابي العباس المبرد ، تحقيق د. رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي ، مطبعة دار الكتب ١٩٧٠م .
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان : لابي محمد عبد الله بن سعد بن علي اليافعي (ت٧٦٨هـ) ، الطبعة الثانية ، منشورات مؤسسة الاعلمي ، بيروت - لبنان ١٩٧٠م .
- المرتجل : لابي محمد عبد الله بن احمد بن احمد بن الخشاب (ت٥٦٧هـ) ، تحقيق محمد احمد جاد المولى واخرين ، دار احياء الكتب العربية .
- المزهري في علوم اللغة وانواعها : جلال الدين السيوطي - تح: محمد احمد جاد المولى ومحمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد الجاوي - دار الجيل ودار الفكر للطباعة والنشر - بيروت (د.ت) .
- مستدرك وسائل الشيعة : المحدث حسين محمد النوري (ت ١٩٢٠هـ)
- المستصفي من علم الاصول : ابو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ) - تح: فرج الله زكي - الطبعة الاولى ، المطبعة الاميرية ، بولاق ١٣٢٢م .
- المستقصى في الامثال : الزمخشري ، حيدر آباد الدكن ، ١٩٦٢م.
- مسند الإمام احمد : لابي عبد الله احمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤٢هـ) ، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر ، مصر (د.ت) .
- مسند الشافعي : محمد بن ادريس ابو عبد الله الشافعي(ت٢٠٤هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د.ت) .
- المشترك اللفظي نظرية وتطبيقا : د. توفيق محمد شاهين ، مطبعة الدعوة الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٨٠م .
- مصادر نهج البلاغة واسبابه : عبد الزهراء الحسيني الخطيب ، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .
- المصادر والمشتقات في معجم لسان العرب .. دراسة صرفية دلالية : خديجة زبار الحمداني - اطروحة دكتوراه - جامعة بغداد - كلية التربية (ابن رشد) - ١٩٩٥ م .
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي : احمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (٧٧٠هـ) - الطبعة الثالثة - المطبعة الاميرية - مصر ١٩٠٢ م .
- المصطلح النحوي : عوض احمد القوزي ، الطبعة الاولى ، جامعة الرياض ١٤٠١هـ .
- مصطلحات الدلالة العربية / دراسة في ضوء علم اللغة الحديث : جاسم محمد عبد العبود ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٣م.
- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية : د. عبد العزيز الصيغ ، الطبعة الاولى ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ودار الفكر ، دمشق ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
- المعاجم النحوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث : د. محمد أحمد الفرج ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٦م.
- مع نهج البلاغة دراسة ومعجم : د. ابراهيم السامرائي (ت ٢٠٠٤م) ، عمان ١٩٨٧م.
- المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث : محمد احمد ابو الفرج ، مصر ١٩٦٦ م .
- معارج نهج البلاغة : ظهير الدين أبو الحسن علي بن أبي القاسم زيد بن محمد البيهقي ، فريد خراسان،(ت ٥٦٦هـ ، تح: محمد تقى دانش، مكتبة آية الله المرعشي ١٤٠٩هـ
- معاني الابنية في العربية : د. فاضل السامرائي ، الطبعة الاولى ، جامعة الكويت ، ١٩٨١ م
- معاني الحروف : ابو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي - تحقيق وتقديم : د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي - الطبعة الثالثة - دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة - جدة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م

- معاني القرآن : ابو الحسن سعيد بن مسعدة المعروف بالاخفش الاوسط (ت ٢١٥هـ) - تقديم وتعليق : ابراهيم شمس الدين ، الطبعة الاولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢ م .
- معاني القرآن : ابو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء (ت ٢٠٧هـ) - تقديم وتعليق : ابراهيم شمس الدين ، الطبعة الاولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢ م .
- معاني القرآن واعرابه : ابو اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١هـ) - شرح وتحقيق : د. عبد الجليل عبده شلبي - الطبعة الاولى - عالم الكتب - بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م .
- معاني النحو : د. فاضل السامرائي - مطبعة التعليم العالي - الموصل - بيت الحكمة - بغداد ١٩٨٧ م .
- معترك الاقران في اعجاز القرآن : جلال الدين السيوطي - تصحيح وضبط : احمد شمس الدين - دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٨ م .
- المعتمد في اصول الفقه : ابو الحسين محمد بن علي (ت ٤٣٦هـ) - تح : محمد حميد واخرين - دمشق ١٩٦٥ م .
- معجم الادباء : ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) ، دار المشرق ، بيروت - لبنان (د.ت) .
- المعجم الادبي : جبور عبد النور ، دار العلم للملايين ، بيروت .
- معجم رجال الحديث : لابي القاسم الخوئي ، مطبعة الاداب ، النجف الاشرف ، الطبعة الاولى (د.ت) .
- المعجم الفلسفي : يوسف كرم ومراد وهبة ، مطابع كوستا توماس وشركاه ، القاهرة ١٩٦٦ م .
- المعجم الكبير : لابي القاسم سليمان بن ايوب الطبراني (ت ٣٦٠هـ) ، دار النشر ، مكتبة العلوم والحكمة ، الموصل ١٩٨٣ م .
- معجم اللسانيات الحديثة : سامي عياد حنا ، بيروت (د.ت) .
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : د. احمد مطلوب - مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد ١٤٠٣هـ / ١٩٨٧ م .
- معجم مصطلحات اللغة والادب : مجدي وهبة وكامل المهندس ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٨٢ م .
- المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية - اخراج : ابراهيم مصطفى ، واحمد حسن الزييات ، وحامد عبد القادر ، ومحمد علي النجار - دار الدعوة للتأليف والطباعة والنشر والتوزيع - استانبول ١٩٨٩
- المعني في تصريف الافعال : محمد عبد الخالق عزيمة ، ط ٣ ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٥ .
- معني اللبيب عن كتب الاعراب : جمال الدين بن هشام الانصاري (ت ٧٦١هـ) ، تح : د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، مراجعة سعيد الافغاني ، الطبعة الخامسة ، مؤسسة الصادق ، طهران ، ١٣٧٨هـ .
- المفارقة القرآنية / دراسة في بنية الدلالة : الدكتور محمد العبد ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٦ .
- مفاهيم الالفاظ ودلالاتها عند الاصوليين : بشير مهدي الكبيسي ، اطروحة دكتوراه ، كلية العلوم الاسلامية ، جامعة بغداد ١٩٩١ م .
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زادة : احمد بن مصطفى ، دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن (د.ت) .
- مفتاح العلوم : لابي يعقوب يوسف بن ابي بكر محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ) ، الطبعة الاولى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، القاهرة ١٩٣٧ م .
- المفردات في غريب القرآن : لابي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ) ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت (د.ت) .
- المفصل في علم العربية : الزمخشري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، (د.ت) .
- المقاييس في اللغة : لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) ، تح : شهاب الدين ابو عمرو ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٨هـ / ١٩٩٨ م .
- المقتصد في شرح الايضاح : عبد القاهر الجرجاني ، تح : د. كاظم بحر المرجان ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٢ م .

- **المقتضب** : ابو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ) ، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة ، عالم الكتب ، بيروت . دت .
 - **المقرب في النحو** : ابو الحسن علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور الحضرمي الاشيلي (ت٦٦٩هـ) تح : د. احمد عبد الستار الجوارى و د. عبد الله الجبوري ، مطبعة العاني - بغداد (د.ت) .
 - **المكتفي في الوقف والابتداء** : لابي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ) ، دراسة وتحقيق جابر زيدان مخلف ، مطبعة وزارة الاوقاف والشؤون الدينية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م .
 - **المتع في التصريف** : ابن عصفور ، تحقيق د. فخر الدين قباوة ، الطبعة الثالثة ، منشورات دار الافاق الجديدة ، بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
 - **من اسرار اللغة** : د. ابراهيم انيس - الطبعة السابعة - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٨٥ م .
 - **مناهج البحث في اللغة** : د. تمام حسان ، الدار البيضاء ، ١٩٧٩ م .
 - **المنتظم في تاريخ الملوك والامم** : لابي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد ، ١٣٥٨هـ .
 - **المنصف .. شرح لكتاب التصريف لابي عثمان المازني** : ابن جني - تح : ابراهيم مصطفى وعبد الله امين - الطبعة الاولى - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤ م .
 - **من قضايا اللغة والنحو** : د. مصطفى النحاس - الطبعة الاولى - مطبوعات جامعة الكويت - الكويت ١٤١٥هـ / ١٩٩٥ م .
 - **منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة** : قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي (ت٥٧٣هـ) تح عبد اللطيف الكوهكري عنيبت بطبعة مكتبة المرعشي ، ١٤٠٦هـ
 - **منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة** : السيد حبيب الله بن السيد محمد الموسوي الخوئي (ت١٣٢٤هـ) تصحيح ابراهيم الميانجي ط٤ ، منشورات المكتبة الإسلامية طهران
 - **منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث** : د. علي زوين - الطبعة الاولى - طباعة ونشر : دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ١٩٨٦ م .
 - **المنهج الصوتي للبنية العربية .. رؤية جديدة في الصرف العربي** : د. عبد الصبور شاهين - مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م .
 - **المهذب في علم التصريف** : د. هاشم طه شلاش ، و د. صلاح مهدي الفرطوسي ، و د. عبد الجليل عبيد - دار الكتب للطباعة - بغداد ١٩٨٩ م .
 - **موسيقى الشعر** : د. ابراهيم انيس ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٨م .
 - **ميزان الاصول في نتائج العقول في اصول الفقه** : لابي بكر محمد بن احمد السمرقندي (ت٥٣٩هـ) ، تحقيق وتعليق د. عبد الملك عبد الرحمن السعدي ، الطبعة الاولى ، مطبعة الخلود ، بغداد ١٩٨٧م .
 - **ميزان الاعتدال في نقد الرجال** : الحافظ الذهبي ، تح محمد علي البجاوي ، القاهرة ، ١٩٦٣م .
- [حرف النون]**
- **نتائج الفكر** : ابو القاسم السهيلي (ت٥٨١هـ) - تح : محمد البنا - دار الرياض للنشر (د.ت) .
 - **نحو القران** : د. احمد عبد الستار الجوارى ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٧٤م .
 - **النحو الوافي** : عباس حسن - الطبعة الثالثة - منشورات ناصر خسرو - قم ١٤٢٢هـ .
 - **نحو وعي لغوي** : د. مازن المبارك ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
 - **النثر الفني في القرن الرابع الهجري** : زكي مبارك ، دار الكتب المصرية ، ١٩٧٥ .
 - **نزهة الاعين النواظر في علم الوجوه والنظائر** : ابن الجوزي ، تحقيق محمد عبد الكريم الراضي ، مؤسسة الرسالة الاولى ١٩٨٤م .
 - **نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة** : محمد الطنطاوي ، جامعة السنوسي ، ليبيا ، ١٩٦٣م .

- النشر في القراءات العشر : لابي الخير محمد بن محمد الدمشقي المعروف بابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) ، تعليق علي محمد الصباح ، مكتبة المثنى ، بغداد (د.ت) .
- النظام القراني ، مقدمة في المنهج اللفظي : عالم سبيط النيلي ، دار المجة البيضاء ، بيروت ، ٢٠٠٦م.
- نظرة جديدة في دلالة الكلمة القرانية : د. عبد الصبور شاهين ضمن كتاب (بحوث في اللغة والادب) ، الكويت ١٩٧٨م .
- نظرة مقارنة على بعض ادوات المعاني في ضوء اللغات السامية : اسماعيل احمد عميرة ، مجلة دراسات ، المجلد ٢٠ (١) ، العدد ١٩٩٣/٤ ، الجامعة الاردنية .
- نظرية المعنى في النقد العربي : مصطفى ناصف ، دار الأندلس ن بيروت ، ١٩٨١م.
- نفاحات الولاية /شرح عصري جامع لنهج البلاغة : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، قم ، ١٤٢٤هـ .
- نقد النثر : قدامة بن جعفر (ت ٣٧٧هـ) مطبعة نهضة مصر ، ١٩٣٩م.
- النكت في اعجاز القران (ضمن ثلاثة كتب في اعجاز القران) : علي بن اسماعيل الرماني ، تحقيق : محمد خلف الله ومحمد زغول سلام ، دار المعارف ، مصر (د.ت) .
- نهاية الايجاز في دراية الاعجاز : فخر الدين الرازي - تد : د. ابراهيم السامرائي و د. محمد بركات حمدي - دار الفكر للنشر والتوزيع - عمان ١٩٨٥ م .
- نهاية السؤل في شرح منهاج الاصول : عبد الرحيم بن الحسن الاسنوي (ت ٧٧٢هـ) ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٤٣هـ .
- النهاية في غريب الحديث والاثر : ابن الاثير مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد (ت ٦٠٦هـ) ، تحقيق ظاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، الطبعة الاولى ١٩٦٣م .
- نهج البلاغة : تحقيق صبحي الصالح ، ١٤٢٩هـ ، مطبعة وفا ، إيران ، قم .
- النوادر في اللغة : لابي زيد سعيد بن اوس الانصاري (ت ٢١٥هـ) ، تحقيق ودراسة محمد عبد القادر احمد ، دار الشروق ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩٨١م .

[حرف الهاء]

- هدية العارفين .. اسماء المؤلفين واثار المصنفين : اسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٩هـ) - عناية : وكالة المعارف - استانبول ١٩٥١ م .
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : السيوطي - تد : احمد شمس الدين ، الطبعة الاولى ، دار الكتب العلمية - منشورات : محمد علي بيضون - بيروت ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م .

[حرف الواو]

- الواضح في علم الصرف : جماعة ، كلية الدعوة الإسلامية ، ليبيا ، ٢٠٠٣م .
- الوافي بالوفيات : صلاح الدين بن ابيك الصفدي (ت ٧٦٤هـ) ، بعناية هلموت ريبير ، مطبعة وزارة المعارف ، استنبول ١٩٤٩م .
- الوجوه والنظائر في القران الكريم تاريخ وتطور : د. عبد الرحمن مطلق الجبوري - رسالة ماجستير - الجامعة المستنصرية - كلية الاداب - ١٩٨٩ م .
- الوجيز في فقه اللغة : محمد الانطاكي ، ط ٢ ، منشورات دار الشرق ، سوريا ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .
- الوضع والاصطلاح في النظرية اللغوية الحديثة : عبد الرزاق الحربي - اطروحة دكتوراه - الجامعة المستنصرية - كلية الاداب - ١٩٩٥ م .
- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان : ابن خلكان ، تحقيق د. احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت (د.ت) .
- يتيمة الدهر : لابي منصور عبد الملك النيسابوري الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) ، مطبعة الصاوي ، الطبعة الاولى ، ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م .

**The Semantic Inquiries in the Printed Versions of
Book of *Nahij Al-Balagha* Interpretations**

**A Dissertation Submitted by
*JINAN NADHIM HAMEED MAJEED***

**To
Council of the College of Education for Women in Baghdad University in
partial fulfillment for the requirements of PhD degree in Arabic and Its
Literatures**

Supervised by

Prof. Dr. KHADIJA ZIBAR ANIZAN AL-HAMDANI

1430 A.H.

BAGHDAD

2009A.C.

Abstract

Nahij Al-Balagha has been the preoccupation of people since appeared. It has filled the world, and scholars, revisers, translators, refuters and defender from all over the world crowded. The interpreter Sharif Al-Radhi (D. 406 A.H.) has stirred the pencils of those by spurring them in on further creation and innovation. Thus, they got enthusiast to comment on the, they derived the treasure from thence. Then, the interpretations and exceeded the two hundreds, some in Arabic and the other in various languages of the world. Only few survived.

These interpretations were not studied fully. This is why I have chosen this theme **{The Semantic Inquiries in the Printed Versions of *Nahij Al-Balagha* Interpretations}** as the theme of my dissertation. I have chosen the semantic study, as other than the branches of linguistic.

The nature of the study required the division of the dissertation into five chapters preceded by an introduction. The introduction included the total theme of *Nahij Al-Balagha* between supporter and opposers. The first chapter was entitled **the interpretations of *Nahij Al-Balagha*** through centuries. It is subdivided into three inquiries. The first inquiry was about names of interpreters arranged chronologically. Of whom fifteen were numbered. The second inquiry has been about the *Nahij Al-Balagha* has been the preoccupation of people appeared. It has filled the world. The second was devoted to the study the phonetic indications interpretation of *Nahij Al-Balagha* in four inquiries; the first inquiry was about the indication of phonetic repetition in the interpretations of *Nahij Al-Balagha* for interpreters of *Nahij Al-Balagha*, the last inquiry tackles phonetic performance

in interpretation *Nahij Al-Balagha*. The third chapter studied grammatical semantic in *Nahij Al-Balagha*, also in four inquiries. The first of which is devoted to the signification of the unaugmented nouns. The second tackled the signification of one-letter augmented nouns. The fourth chapter studies lexical signification in four inquiries. The fifth chapter is devoted to the study of syntactical signification in four inquiries; the first studied the signification in the interpretation *Nahij Al-Balagha*, the second inquiry studied the syntactic signification. Finally, the conclusion sums up the most important findings of the study.